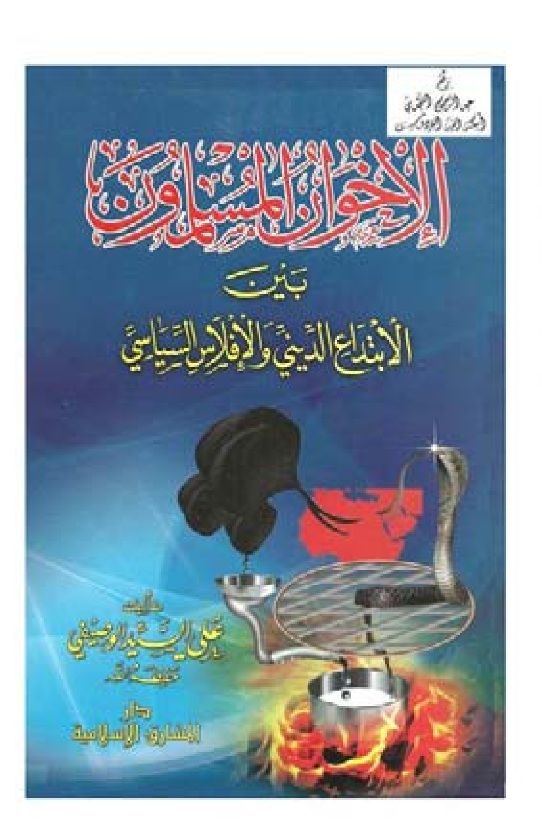

الإخوان المسلمون
بين
الابتداع الديني والإفلاس السياسي
تأليف
علي السيد الوصيفي
دار
المشارق الإسلامية



بين
الابتداع الديني والإفلاس السياسي

تأليف
علي السيد الوصيفي
حفظه الله
ali_elwasefy@hotmail.com

طبعة خاصة بمصر

دار
المشارق الإسلامية
elabdo3012@yahoo.com

بسم الله الرحمن الرحيم

الطبعة الاولى
١٤٣١هـ-٢٠١٠م

رقم الإيداع
٢٠١٠/٩٢١٥

دار
المشارق الإسلامية
elabdo3012@yahoo.com



بسم الله الرحمن الرحيم

الحمد لله والصلاة والسلام على رسول الله وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا وبعد : فإن دراسة جماعة من الجماعات لا يتحقق إلا من خلال منهجها الثابت، والصبغة العامة لها . ومن المعلوم أنك إذا خاطبت أحد دعاة جماعة الإخوان المسلمين عن مخالفات تلك الجماعة .. فسيقول لك نحن لا نؤاخذ إلا بما يقوله المرشد.فهو المعبر عن الموقف الرسمى للجماعة ..

قال الأستاذ سيد قطب تعليقا على الخلاف الذى دار بين الإخوان حول الموقف من الإنجليز : « إنه لا الأخ طاهر منير رئيس شعبة الإخوان بالسويس ولا الأخ محمد الغزالى " عضو مكتب الإرشاد " يملك أن يقول كلمة الإخوان الرسمية. فقانون الإخوان يجعل هذه الكلمة الرسمية حق المرشد العام » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٥٠٤) .. وقد اتفق عامة الإخوان على رد كل النزاعات الواقعة بينهم إلى فكر حسن البنا ، قال عصام العريان : « والإخوان في حاجة لفهم أطروحات سيد قطب فى إطار فهم الشهيد حسن البنا ، وإذا وجد اختلاف بين الشهيدين فعلينا أن نتسلح بالشجاعة لكى نعتمد كلام حسن البنا وليس كلام أى أحد آخر » (محيط نت . ٥ إبريل ٢٠٠٦م) .

ويرجع ذلك إلى أن حسن البنا أكد عليهم أن يفهموا الإسلام فى حدود فهمه، وقال فى تفسير ركن " الفهم" الذى هو أحد أركان بيعته : « إنما أريد بالفهم : أن توقن بأن فكرتنا إسلامية صحيحة وأن تفهم الإسلام كما نفهمه فى حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز » (الرسائل ص/ ٣٩٠) .

ووصف هذا الفهم بالكمال والتمام ، فقال : « واذكروا جيدا أيها الإخوان .. أن الله قد من عليكم ، فهمتم الإسلام فهما نقيا صافيا شاملا كافيا وافيا ، يساير العصور ويفي بحاجات الأمم » (الرسائل ص/ ٣٢٦).

وعامة الإخوان يؤمنون بذلك..

قال سعيد حوى : « ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته » (فى آفاق التعاليم . ص/ ٥) .

وقد ظن جمع كبير منهم فى زمن الأستاذ الهضيبي : أن المرشد العام لا يخطئ قال محمد الغزالي : « ولقد رأيت جمعا غفيرا من شباب الإخوان المسلمين ينظرون إلى مرشدهم نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر . قال أحدهم فى اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية : " إن المرشد لا يخطئ " » (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامي (ص / ٢٠٦) .

وهذا الفكر غير بعيد على من ظنوا أن الله تعالى اختار لهم قائدهم على سبيل التشريف والتزكية ، قال التلمسانى : « لما كان الأمر أمر تجميع وتكوين وتوحيد مفاهيم أمة مسلمة لما كان الأمر أمر عودة المسلمين إلى الإيمان . لما كان الأمر كذلك اختار الله لهذه الدعوة إمامها الشهيد حسن البنا » (ذكريات لا مذكرات . ص/ ٨).. ومن كان مختارا من قبل الله تعالى فلا حق لأحد أن يعترض عليه .. وهذا هو الذى دعا التلمسانى أن يكون بين يدي حسن البنا : « كالميت بين يدي مغسله » (ذكريات لا مذكرات).

وعليه فمحور دراستنا سيكون حول أصحاب المسئولية ، خاصة أولئك الذين أصلوا أصولا باطلة ، دارت عليها المفاهيم العملية لتلك الحركة زمنا طويلا .. وعلى خلاف ما قالوا بحصر المسئولية على المرشدين فسنحاسبهم على ما قال الأدباء والمفكرون ، وذلك إذا اعتقدوا وعملوا بما فيه مخالفة صريحة لكتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ لأن الجماعة ليست هى المرشد العام فقط ، وإن كان للمرشد التوجيه الأول، فالجماعة تتأثر بالمفكرين تربية وعلما وثقافة ، كما أنها تتأثر بالمرشدين ، وإن كان الرأى الرسمي يرجع إلى المرشدين .. فالجميع أصحاب مسئولية فى تربية هذا النشء ، والتأثير على مشاعره ..

ولا يخفى أن كثيرا من مشاهير الإخوان يتحدثون باسم الجماعة فى الصحف والفضائيات والمنتديات .. وكلامهم محسوب على الجماعة . خاصة أنهم لا يتكلمون إلا باتفاق مسبق فيما بينهم . قال محمد عاكف :« وأنا منذ أن انتخبت مرشدا عاما سمحت لجميع قادة الإخوان - بلا استثناء - بالحديث للصحف وأجهزة الإعلام ...» (الشرق الأوسط. ٣٠ يونيو ٢٠٠٥) .

وقد اعترف هؤلاء جميعا بترك كثير من وصايا المرشد الأول وأفكاره وراء ظهورهم ، متقلبين فى المفاهيم الليبرالية ، والتكتيكات السياسية ، والنظم والقوانين، التى تمكنهم من اختراق جميع الهيئات والنوادي والنقابات . دون النظر فى كون ذلك يتوافق مع معتقداتهم التى كانوا يدينون بها أم لا .

قال عبد المنعم أبو الفتوح : « ولكننا في جماعة الإخوان قمنا بالكثير من المراجعات .. إننا لم نتشبث برؤانا السابقة ، بل تجاوزناها وتخلينا عنها » (الشرق الأوسط ١٢ سبتمبر ٢٠٠٤) وقد انتهى الحال بالمذكور إلى التشكيك فى التزام الجماعة بشعارها القديم " القرآن دستورنا " ، قائلا : « إن شعار الجماعة " القرآن دستورنا "، هو شعار عاطفي وأدبي يعبر عن مرجعية الجماعة، ولكنه لا يعبر عن منهجها في العمل السياسي ، الذي تحترم فيه القانون والدستور الوضعي للدولة » (الشرق الأوسط ٢٥ مايو ٢٠٠٥) .

وهذا بخلاف ما كان عليه الأمر فى زمن حسن البنا إذ كان يدعو إلى اعتزال : « المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى ، والأندية والصحف والجماعات والمدارس، والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية ! مقاطعة تامة»(الرسائل.ص / ٤٠٣).

وقد صارت تلك الجماعة بجميع طبقاتها خلف هؤلاء القادة وإن كانت الطبقات الدنيا متأخرة فى فهم تلك المتغيرات التى انتهوا إليها .. قال عصام العريان: « فالقيادة أكثر تفهما للمتغيرات السياسية ، ولكن القاعدة .. علاقتها بالسياسة علاقة موسمية » (إسلام أون لاين . ٢٤/ ١٠/ ٢٠٠٢م) .

ومن أكبر المصائب التى لحقت بفرقة الإخوان ظنهم أن مواجهة أخطائهم خط أحمر لا ينبغى تجاوزه .. فجماعتهم زعموا : هى الجماعة المتفردة بامتلاك المفهوم الشمولي للإسلام ، قال القرضاوى : « فإن عقيدتهم وفكرتهم من حيث النقاء والأصالة لا تشوبها شائبة» (الإخوان سبعون عاما. ص/ ٢٨٣)

وهذا حكم فاسد إذا كان يقصد به عقيدة الإخوان ، أما إذا كان يقصد أهل السنة والجماعة ، وهم لهم تبع ، فالإخوان ليسوا من أهل السنة ، ويكفى دليلا على ذلك اعترافه بأنهم مزيج من أصناف متعددة ، بقوله : « وقد ضمت فى صفوفها ألوانا مختلفة من الناس ، منهم السلفي ومنهم الصوفي ، منهم المتمسك بمذهبه ومنهم من لا يرى التمذهب ، ومنهم المحافظ الميال إلى القديم ومنهم المحرر الميال إلى الجديد» (المصدر السابق ص/ ١٧٨) .

وأهل السنة مشرب واحد ، ومعتقد واحد ، ومنهاج واحد ...

ومن وجه آخر صرح سعيد حوى أن عقيدة الإخوان المسلمين هى عقيدة الأشاعرة والماتريدية .. وزعم أن الأمة سلمت بذلك ، فقال فى كتابه :(جولات فى الفقهين الكبير والأكبر. ص/ ١٣ . ط. دار السلام . ١٩٩٣م) :

« إن المسلمين خلال العصور (الماضية) أئمتهم فى الاعتقاد وأئمتهم فى الفقه وأئمتهم فى التصوف والسلوك إلى الله عز وجل .. فأئمتهم فى الاعتقاد كأبى الحسن الأشعرى وأبى منصور الماتريدى» .

والأشاعرة هم الذين نسبوا أنفسهم للإمام أبى الحسن الأشعري (رحمه الله)..وقد كان على معتقد المعتزلة فى إنكار الصفات زمنا طويلا ، ثم تركه إلى معتقد ابن كلاب فى التأويل الذى عليه الأشاعرة الآن ، ثم ترك هذا المعتقد إلى معتقد الإمام أحمد (رحمه الله) وسجل ماكان يدين به بعد توبته فى كتاب " الإبانة" إلا أنه بقى فيه بعض الشوائب مما كان عليه ..

والأشاعرة الموجودون الآن يقفون على المرحلة الثانية التى كان عليها الإمام الأشعرى . وهم لا يثبتون الصفات كاملة ، وإنما يثبتون سبع صفات .. وهى المتضمنة

لقول الناظم :

حى عليم قدير والكلام له إرادة وكذلك السمع والبصر

ومنهم من يثبت تسع صفات فقط ، ومنهم من يثبت ثلاث عشرة صفة .. تلك الصفات لا تثبت عندهم بالشرع ، إنما يثبتونها بالعقل مع اضطراب فى ذلك ، أما بقية الصفات فإنهم يؤولونها عن ظاهرها بغير دليل ، وبغير سلف : إما أن يفسروا صفة بصفة أخرى ، أو يفسروا الصفة بشيء من لازمها .. فهم مقلدون فى الفقه للأئمة الأربعة ، غير أنهم مقلدون فى العقيدة لابن كلاب .. والإخوان خليط من هذا كله ..

ومع تعذر تعيين معتقد محدد لجماعة الإخوان ، فإن دعاتهم يظنون أن من اعترض عليهم فقد اعترض على الحق المنزل ، وأن من خاصمهم فقد خاصم الإسلام، ولا مانع أن يتهموا من نصحهم فى دينه وعقله .. ويقولون عنه إن كان منهم : ليس عنده إحساس بالمسئولية ولا تقدير للقيادة ، ولا مراعاة لحرمتها ..

وإذا انشق عنهم أو كان من غيرهم قالوا عنه : إنسان موتور ، سطحى التفكير، مريض التدين ، طالب شهرة ومكانة ، إن لم يكن رموه بالعمالة لجهات داخلية أو خارجية . وهذا أمر يرده الواقع ، وترده الوثائق الموجودة فى كتبهم ، فعندهم الضعف المعرفي والهزيمة النفسية ، التى شهد عليهم بها الأديب سيد قطب ، وعندهم المنظمات التكفيرية ، وعندهم الاغتيالات السياسية والمنظمات الانقلابية .. وعندهم التلون والتقية .. وعندهم كل ما من شأنه أن يجرحهم ويسكت ألسنتهم تجاه خصومهم ، الذين يقذفونهم بشتى التهم ..

ولو فرض الأمر كما يدعون فى ناصحيهم .. فماذا يضيرهم إذا خرج الحق منهم .؟ أليس الحق حبيبا إلى الله تعالى . ؟ فلماذا يرفضونه ؟ ألم يقر القرآن الكريم كلمة ملكة سبأ - وهى كافرة - فى الملوك الجائرة : ﴿إِنَّ الْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا ﴾.. فصدقها الله بقوله : ﴿وَكَذَلِكَ يفعلون ﴾ النمل: ٣٤) ؟ ألم يقر النبى ﷺ ما أخبر به إبليس أبا هريرة (رضى الله عنه) بفضل آية الكرسي ، وأنها تحفظ

المتحصن بها حتى يصبح . قال النبي ﷺ لأبى هريرة : « صدقك وهــو كذوب » (رواه البخارى . كتاب بدء الخلق ٣٠٣) .

ولله در الشاعر اللبيب :

لا تحقرن الرأى وهو موافق	حكم الصواب إذا أتى من ناقص
فالدر وهو أعز شيء يقتنى	ما حط قيمته هــــوان الغائــص

إن العمالة التى يرمى بها قادة الإخوان ودعاتهم مخالفيهم باختلاف صورهم وأشكالهم ، بسبب نصحهم لهم هم أحق بها من غيرهم . فللإخوان خطوط سرية رسمية مع الأمريكان والغرب منذ زمن طويل .. وقد اعترف الأستاذ مأمون الهضيبي بأن أفراداً من الإخوان أجروا اتصالات متعددة بالأمريكان ، و: « كشف المرشد العام للإخوان " مأمون الهضيبي" عن مفاجأة جديدة عندما أشار إلى أن هذا الحوار لم يبدأ حسبما أشارت المصادر في شهر مارس الماضي ، لكنه "امتد لحوالي ثلاثة أشهر مضت" » (الإخوان أون لاين ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٤ م) .

تلك العلاقات المشبوهة التى غرق فيها الإخوان متعلقة بالاستقواء بالغرب . مع مقصد آخر لا يتعلق بالدعوة إلى الله تعالى وتوحيده ، إنما يتعلق بطمأنة الغرب وأمريكا نحو إسلام إخوانى ديمقراطي إذا هم وصلوا إلى الحكم . . وتمهيدا لذلك دعا عبد المنعم أبو الفتوح فى كلمة له بجامعة " أوسلو " الغرب إلى نسيان ما قام به المسلمون عند غزو أوربا فى مقابل نسيان المسلمين ما فعله الصليبيون بهم أثناء الحروب الصليبية . فقال : « إن عالم اليوم أيها السادة الكرام ليس هو عالم الأمس ، فتاريخ الحملات الإسلامية على أوروبا وما تركه من مشاعر سلبية لا سيما حصار فيينا قد دفن مع الماضي .. ونحن أيضا نعتبر أن الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، وكذالك الحملات الاستعمارية، وما تركته من أثر مشابه قد دفنت أيضا مع الماضي» (إخوان أون لاين . ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٧م) وقدم المذكور فى سعيه الخائب خطة إخوانية ترعى الإلحاد والزندقة ، ليزين صورته وصورة جماعته عند أصحاب

الفكر الليبرالي ، وقال : « الأعمال المختلف عليها من حق صاحبها أن ينشرها على نفقته أو على نفقة ناشر خاص ، ويقول فيها ما يشاء، حتى لو كان يدعو إلى الإلحاد» (العربى. ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣م) .. وشاركه عصام العريان في ذلك فقدم خطة فى النادي السويسري بالجيزة تلتف حول الديمقراطية والمواطنة والمرأة والأقليات .. الخ: « وأشار إلى أن الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات المعهودة ، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان . الخ» (إسلام أون لاين. نت/ ٢٢-٤-٢٠٠٣) .

وقام المرشد العام محمد عاكف فطالب : « بإعطاء الشعب حريته فى الحركة والدعوة إلى الله ، وحتى الدعوة إلى العلمانية والإباحية وأن تكون الحرية للجميع» (جريدة الدستور . نافذة مصر .نت ٤/ ١٢/ ١٤٢٧) .

فأباحوا نشر الإلحاد والكفر والإباحية تقربا للأيدلوجيات الفكرية المعاصرة فى الوقت الذى تراهم يتأسدون بالزور على من ينتقدهم أو يذكر أخطاءهم فى كتاب أو مقالة أو تلفاز . فيشنعون عليه بشتى التهم والأكاذيب . .

فالحرية عند الإخوان تطول كل مقدس حتى ولو كان الإسلام ، ولكنها تتذمر وتتشنج إذا تكلمت عن الجماعة .. فقضية العمالة فى المضمار الإخوانى تمس جانب الاستقواء بأعداء الإسلام ، وتمس كذلك الجوانب الفكرية . ولا شك أن خطر العمالة الفكرية أشد على الأمة من ضياع الخلافة .. ومن خلال هذا البحث ستتضح حقائق مذهلة فى دعوة الإخوان ، تبين للقاصى والدانى كيف أعدت جماعة الإخوان للموت وكيف بنت للخراب ..

ومن أجل ذلك ندعو قادة الإخوان إلى التزام الإسلام على صورته الأولى ، والعودة إلى طريق سلف الأمة الصالح أهل الحديث (رضى الله عنهم) تأصيلا وتفصيلا ،لا مجرد إشارة قولية خالية المضمون والمعنى ، أوجملة متناقضة متضاربة المعنى كقولهم : (طريقة سنية وحقيقة صوفية) ، إنما منهج حياة وعمل ، واعتقاد وسنة

وولاء وبراء .. كما ينبغى التعلم من تجارب الفشل الماضى ، والحذر من تعريض الأمة والشباب لفتن لا قبل لهم بها . كما يجب أن تحل جميع التنظيمات السرية ، التى تهدد أمن المجتمع ، وتثير الفتن ، ليدخل أفرادها فى حلق العلم والعلماء ، وتـدخل الجماعة فى إطار الإصلاح الاجتماعي الظاهر ، مع بقية فئات المجتمع المسلم .. فالإسلام يعرف الفقه والعلم والاجتهاد والمدارس الفقهية ، ولا يعرف التنظيمات السرية .. ولا يخفى أن وجود هذه الفئات فى تلك الحركة أدى إلى سيادة الفكر التنظيمي على كل شيء ، ولو كان الإسلام نفسه ، كما أدى إلى اتخاذ مبدأ " الغاية تبرر الوسيلة " ، ورفع الموالين لهم ، ولو كانوا جهالا ، وإقصاء المخالفين ، ولو كانوا من أعبد الناس وأتقاهم .. فهؤلاء هم الذين يحددون البرامج التربوية ، التى لا تجد فيها طريقا مفصلا لبيان التوحيد والسنة ، وإنما تجد فيها كيف يكون العضو منضبطا .؟ كيف يكون مطيعا . ؟ كيف يكون أستاذا فى الكونغ فو ، والضربات القاتلة ..؟ كيف يطلع على المجلات ، ويكتب تحليلا للأحداث .؟ مع بعض المعانى العامة عن الإسلام كلها للمحافظة على كيان الجماعة .. فلا علم ولا فقه . فضلا عن ضعف التفكير فى المقصد الأخروي المتعلق برؤية وجه الله الكريم ، والهروب من ناره ، والطمع فى جنته .. فإنهم لا يذكرون الناس بذلك .. فالدين وهداية الناس لأجل مواجهة الحكومات ، والصراع على النقابات والمجالس والهيئات .. والتفاعلات الخاصة والعامة والمظاهرات لقياس نبض المجتمع .. ومن أجل ذلك نقدم لهم النصيحة – ولغيرهم الحذر – ليراجعوا أنفسهم .

وسنراعيهم فى الله تعالى ، وسنضرب لهم الأمثال ، وسنوضح بما لا اختلاف فيا حقيقة ما فيه اختلاف ، وسنحصر الكلام فيما لا يخضع للاحتمال ، مما لا ينبغى القطع فيه رحمة بالناس ، كل ذلك بالأدلة والبراهين .. وما كفرنا أحدا منهم ، وما ضللنا من لم تقم عليه حجة الله تعالى ، ولا نشك فى النوايا ، فالله أعلم بما فى القلوب . اللهم إلا تـوبيخا لمعتقداتهم الفاسدة ، وزجرا لمن يتبع طريقهم ويقتفى آثارهم ، وإلا فإننا نسأل الله تعالى أن يرحم المسلمين جميعا برحمته الواسعة ، وأن

يتجاوز عن سيئاتهم ..

وقد يسر الله تعالى لنا فى هذا الكتاب إقامة الحجة قدر المستطاع ، وتوضيح أمور كثيرة قد لا يعرفها كثير من الناس عن تلك الجماعة ، وقد أحسن من انتهى إلى ما سمع . وقد أردت حفظ الدين والملة .

فإذا ثبت وقوع قادة الإخوان فى أخطاء وبدع فقد وجب إنكارها ، بكل طرق الإنكار ، براءة للذمة ، ومعذرة إلى الله تعالى ، ورغبة فى الأجر والثواب فى الآخرة .. فلقد قامت جماعة الإخوان من أجل مصيبة واحدة ، وصارت تتقلب إلى الآن فى آلاف المصائب .. ولا يزال قادتها يستخفون بعقول شبابهم المسكين ، محتجين بأن ما هم فيه نوع من الابتلاء ، وليس من الضرورة أن ترى النصر ، المهم أن تعمل له . . ولا يزالون يقولون إن حرب الأنظمة لنا دليل آكد على أننا من أهل الحق ، لأنه لا يحارب إلا أهل الحق .. وهم فى حقيقة الأمر يتجاوزون عن مصائبهم البليغة وأخطائهم الشنيعة ، التى حالت دون وصولهم إلى بغيتهم ، طيلة ما يقرب من سبعين عاما ، إضافة إلى أن سنن الله الكونية مع عباده الصالحين لم تكن معهم ، فكيف يكون طول الابتلاء علامة على صحة منهجهم .! وهم فضلا عن تخبطهم فى فهم الحق والاجتماع عليه وتفصيله والدعوة إليه أعجز من أن يفرقوا بين طول الابتلاء وطول العقوبة .. فالابتلاء بالمصائب فى دعوة الإخوان ليس له نتيجة إيجابية .. فلا مانع أن يكون الخذلان مرافقا لأكثر من جيل ولأكثر من عقد . ولا يعاتبون أنفسهم .. مصرين على أن ما هم فيه إنما هو ابتلاء ، وليس عقوبة ..

وقد أوجب الله تعالى على نفسه أن ينصر من ينصره فى الدنيا والآخرة .. قال تعالى : ﴿ وَلَيَنصُرَنَّ اللَّهُ مَن يَنصُرُهُ ﴾ [الحج : ٤٠] وهؤلاء لم ينصرهم الله . وقد ذهب جيلهم الأول ولم يعد له دور .. وقد شتتهم الله فى البلاد وفى السجون منذ عام ١٩٤٨م حتى ١٩٧١ ، إلى ما يقرب من ٢٣ عاما .. وهم مغيبون عن الواقع . ومن منتصف الثمانينات وهم يعملون فى السياسة . ومع ذلك فهذا الجيل الذى

يطلق عليه جيل الشباب – وقد دخل أكثره في عقد الستينات – لا يزال منكوسا ، لم يصل إلى شيء من التمكين والحكم ، بل إنه يخرج من كل مصيبة ليدخل فى أخري . . على الرغم من تقديمه كافة المراجعات السياسية ، التى يراها من أعظم السبل الموصلة إلى سدة الحكم ولم يصل . ولو مكنوا فليس ذلك دليلا على صحة معتقداتهم . فكم مكن لأمم ضالة لا تؤمن بالله ولا باليوم الآخر ..

ولقد كانت حركة الإخوان ولا زالت من أكبر العقبات ، التى حالت دون إظهار الدين الإسلامي بالصورة التى كان عليها النبي ﷺ وأصحابه . ومنهم نشأت جميع الفرق الخارجية ، وبسببهم هرب كثير من الناس من التدين والاستقامة ، بسبب تصرفاتهم الحمقاء مع الملوك والرؤساء .. فهم أصحاب فتنة منذ أن نشأوا . قطاع طرق عما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه (رضي الله عنهم) .. وإذا كان الأخذ على أيدي قطاع الطرق أمر واجب ، لتحقيق المصالح وحفظ الحقوق ، فالأولى بذلك الأخذ على أيدى الذين يقطعون الطريق أمام دعوة التوحيد ، ويستخفون بسنة الحبيب ﷺ .. وليس فى الدين مبرر للسكوت على أهل البدع ، الذين يفسدون الدين بالمقالات الباطلة والأفعال الثورية . فليس عرضهم أعظم من عرض الدين ، وليست ثوابتهم أعظم من ثوابت الدين ، وليس فى كتمان الحق مصلحة إلا للشياطين والمفسدين فى الأرض ...

ومن أجل ذلك ينبغى على من علم الأدلة والبراهين على منهج أهل الحديث بوجه خاص أن يحذر من حركة الإخوان ، وأن يبين فساد فكرهم وضحالة مسالكهم وغلوهم فى شيوخهم،وإثارتهم للمجتمعات الإسلامية،وتهديدهم لاستقرارها ﴿معذرة إلى ربكم ولعلهم يتقون﴾ [الأعراف : ١٦٤) .

ومن لم يفعل ذلك مع القدرة عليه والحاجة إليه فهو متواطيء معهم ، فى اتباعهم مذاهب الفرق الضالة فى العقيدة ، وفى تمييعهم سنة النبى ﷺ ، وفى احتقارهم دعوة السلف أهل الحديث وعلمائهم .. فليست القضية فى أمة مضت،

ولا فى تاريخ قد انتهى ، ولا فى أناس أصبحوا فى ذمة الله تعالى .. القضية فى تاريخ يحتجون به ، ومرحلة يستمرون فى إتمامها ، وأشخاص يتخذونهم فرقانا بين الحق والباطل .. والواجب أن نأخذ من التاريخ ما ينفع وندع ما يضر ، وأن نعرف الرجال بالحق ولا نعرف الحق بالرجال ، وأن تنتهى النظرة الاستئصالية التى فرقت المجتمع وفتنت الأمة . وهم لايفعلون ذلك ؛ وهذا بالضرورة يؤثر على الأجيال الآتية بالسلب .. فليست القضية متعلقة بأفراد ورموز إخوانية ، كما يظن من لا دراية لهم بمذاهب الفرق . القضية متعلقة بعرض الإسلام .. وعرض الإسلام ليس مستباحا لكل مبتدع ، كى يحرف فيه كما يشاء ، بل الواجب صيانة الإسلام ، ولو أدى ذلك إلى غيبة الأشخاص . فالغيبة فى هذا الباب ليست محرمة ، بل هى جهاد فى سبيل الله ، يثاب عليها المرء إن شاء الله تعالى ولا يذم .. ولا جهاد يسمو فوق هذا النوع من الجهاد .. فإذا كان المخالف من أهل السنة ووقع فى شيء من أخطاء أهل البدع فيجب على أهل العلم والاختصاص التحذير من مخالفاته أولا ، غير أنه لا يحكم عليه بالتبديع ولا بالتفسيق إلا بعد النصيحة والبيان ، وإقامة الحجة الرسالية ، وانتفاء الموانع الشرعية والعقلية .. فإن عاد المخطئ إلى الحق واعتذر عن الباطل قبل اعتذاره .. وإذا التزم البدع وعدها دينا يتقرب به إلى الله تعالى فهو مبتدع يعامل معاملة أهل البدع ، ويحذر منه ومن بدعته ..

أما إذا كان المخطئ منتسبا لفرقة من الفرق الضالة فحكمه حكم الفرقة التى ينتمي إليها .. خاصة إذا كان داعيا متصدرا ، أو رافعا لواء المحاربة لأهل السنة أهل الحديث .. فلا شك أن جهاد أهل البدع وتبيين حالهم والتشهير بهم من أعظم أنواع الجهاد فى سبيل الله تعالى ، لما يتحقق فيه من تمييز وتمحيص . وما شرع الجهاد فى الإسلام لأجل مال ولا مغنم ، إنما شرع لإعلاء كلمة الله تعالى .

وهؤلاء يدمجون الحق بالباطل ، ويغررون الناس بحماسهم فى الدين ، ومظهرهم فى الإسلام ، وهم فى الحقيقة أعظم الناس تلبيسا على العامة وفتنة للخاصة. وأمثال هؤلاء ينبغى جهادهم والرد عليهم ..

قال شيخ الإسلام : « الراد على أهل البدع مجاهد ، حتى كان يحيى بن يحيى يقول : الذب عن السنة أفضل من الجهاد »(نقض المنطق . ص/ ١٢) وقال ابن القيم: « الجهاد بالحجة والبيان .. وهذا جهاد الخاصة من اتباع الرسل ، وهو جهاد الأئمة ، وهو أفضل الجهادين ، لعظم منفعته وشدة مؤنته ، وكثرة أعدائه » (مفتاح دار السعادة ص/ ٧١) .

وقد عد علماء الإسلام مجاهدة أهل البدع الظاهرين أعظم من مجاهدة الكفار المحاربين ، وذلك لأن الكفار المحاربين يفسدون الدين من الخارج ، أما هؤلاء فإنهم يفسدون الدين من الداخل .. قال الحميدي : « والله لأن أغزو هؤلاء الذين يردون حديث رسول الله ﷺ ، أحب إلي من أغزو عدتهم من الأتراك ـ الكفار » (أحاديث فى ذم الكلام وأهله ٢/ ٧١) وقال ابن هبيرة : « قتال الخوارج أولى من قتال المشركين والحكمة فيه أن في قتالهم حفظ رأس مال الإسلام وفي قتال أهل الشرك طلب الربح وحفظ رأس المال أولى» (الفتح . ١٢/ ٣٠١) .

وقال شيخ الإسلام : « ولولا من يقيمه الله لدفع ضرر هؤلاء لفسد الدين ، وكان فساده أعظم من فساد استيلاء العدو من أهل الحرب ، فإن هؤلاء إذا استولوا لم يفسدوا القلوب وما فيها من الدين إلا تبعا ، وأما أولئك فهم يفسدون القلوب ابتداء» (الفتاوى ٢٨/ ٢٣٢) .

وقال فى (نقض المنطق . ص / ١٥٦) : « من الحكايات المشهورة التي بلغتنا أن الشيخ أبا عمرو بن الصلاح أمر بانتزاع مدرسة معروفة من أبي الحسن الآمدي – وهو من أئمة المتكلمين – وقال : أخذها منه أفضل من أخذ عكا » أهـ

وكانت عكا يومئذ تحت سلطان النصارى الإفرنج ..

وقال أبو الفضل الهمداني : « مبتدعة الإسلام والواضعون للأحاديث أشدّ من الملحدين، لأن الملحدين قصدوا إفساد الدين من خارج ، وهؤلاء قصدوا إفساده من داخل . » (الموضوعات لا بن الجوزي :١/ ٥١)

وقال ابن القيم : « ولهذا اشتد نكير السلف والأئمة لها ، وصاحوا بأهلها فى أقطار الأرض ، وحذروا فتنتهم أشد التحذير ، وبالغوا فى ذلك ما لم يبالغوا مثله فى إنكار الفواحش والظلم والعدوان ، إذ مضرة البدع وهدمها للدين ومنافاتها له أشد» (مدارج السالكين . ١/ ٣٧٢)

ومع ما تقدم فإن كثيرا ممن لا دراية لهم بأقوال أئمة السلف فى أهل البدع يغترون بزهد أهل البدع ، وذيوع نفيرهم ، وعلو شأنهم ، فيمنعهم ذلك من نقدهم ـ حتى إنهم يذمون الناصحين لهم ويحاربونهم ويشنعون عليهم بالظن والوهم ـ وليس ذلك بمانع عن نصحهم والتحذير منهم .. فما اقترف أهل البدع من البدع أشد جرما من الوقوع فيهم .. فكيف إذا كان فى الوقوع فيهم منقبة محمودة وسنة موروثة . ولو كان في هؤلاء خير لتركوا ما اقترفوا من البدع ، ولنزلوا على معتقد أهل السنة وسلف الأمة ومنهجهم ، ولكنهم اغتروا بأنفسهم ، وتصدروا بغير أهلية وتكابروا على أهل العلم فكان هذا جزاءهم ..

قال حزم القطيعي حدثنا عاصم الأحول قال : « جلست إلى قتادة فذكر عمرو بن عبيد فيه ـ وهو من أئمة المعتزلة – فقلت : يا أبا الخطاب ألا أرى العلماء يقع بعضهم في بعض . قال : يا أحول ولا تدري أن الرجل إذا ابتدع بدعة فينبغي لها أن تذكر حتى تعلم .. فجئت من عند قتادة وأنا مغتم لقوله في عمرو بن عبيد وما رأيت من نسك عمرو بن عبيد وهدية ، فوضعت رأسي بنصف النهار ، فإذا أنا بعمرو بن عبيد في النوم ، والمصحف في حجره ، وهو يحك آية من كتاب الله ، قلت : " سبحان الله تحك آية من كتاب الله " ..!

قال إني سأعيدها ، فتركته حتى حكها .

فقلت له : أعدها

فقال : إني لا أستطيع » (اعتقاد أهل السنة للالكائى ٤/ ٧٣٩)

وقد وجه أشخاص ممن لا علم لهم بمنهج السلف أهل الحديث القضية إلى منأى آخر زعموا فيه أن الرد على المخالف من باب تتبع العورات وذكر المسلم بما

يـكره . ! ولو أنهم أرادوا الحق بدليله لعلموا أن موافقة مراد الله تعالى أبين فى صدق الدين ورضا الله تعالى من الرضا ببقاء الباطل دون دفعه ..

قال شيخ الإسلام : « وليس هذا الباب مخالفا لقوله ﷺ : « الغيبة ذكرك اخاك بما يكره » فإن الأخ هو المؤمن والأخ المؤمن إن كان صادقا فى إيمانه لم يكره ما قلته من هذا الحق الذى يحبه الله ورسوله وإن كان فيه شهادة عليه وعلى ذويه » (مجموع الفتاوى . ٢٨/ ٢٣٥) وقال : « فلا بد من التحذير من تلك البدع وإن اقتضى ذلك ذكرهم وتعيينهم ، بل ولو لم يكن قد تلقوا تلك البدعة عن منافق لكن قالوها ظانين أنها هدى وأنها خير وأنها دين ولم تكن كذلك لوجب بيان حالها » (مجموع الفتاوى . ٢٨/٢٣٣) .

ومن تتبع أقوال الأئمة فى علم الجرح والتعديل وأقوال علماء التوحيد يلحظ أنهم تتبعوا الفرق الضالة بأسمائها وأعيانها وأئمتها وأوصافها بالزجر والتوبيخ . وليست جماعة الإخوان بمنأى عن ذلك ، خاصة أنها تتوافق مع جميع الفرق فى كثير من اتجهاتها ومبادئها ، خاصة المرجئة ..

فمفهومها فى تناول القضايا والأحداث والعقائد والسنن يشبه إلى حد كبير مفاهيم المرجئة ، وإن كانوا قد أخذوا من جميع الفرق والمذاهب .. وعلى ذلك يجب التحذير منها باسمها ووصفها وأعيانها ...

قال شيخ الإسلام : « وبإزاء هؤلاء المكفرين بالباطل أقوام لا يعرفون اعتقاد أهل السنة والجماعة كما يجب ، أو يعرفون بعضه ، ويجهلون بعضه ، وما عرفوه منه قد لا يبينونه للناس بل يكتمونه ، ولا ينهون عن البدع المخالفة للكتاب والسنة ، ولا يذمون أهل البدع ويعاقبوهم ؛ بل لعلهم يذمون الكلام في السنة وأصول الدين ذما مطلقا ؛ لا يفرقون فيه بين ما دل عليه الكتاب والسنة والإجماع ، وما يقوله أهل البدعة الفرقة، أو يقرون الجميع على مذاهبهم المختلفة ، كما يقر العلماء في مواضع الاجتهاد التي يسوغ فيها النزاع . وهذه الطريقة قد تغلب على كثير من المرجئة وبعض

المتفقهة والمتصوفة » (مجموع الفتاوى . ١٢/ ٤٦٧) .

ولعل المتدبر فى تلك المقالة يظن أن جماعة الإخوان كانت فى زمن شيخ الإسلام-وهذا غير صحيح فجماعة الإخوان جماعة محدثة نشأت فى القرن الرابع عشر الهجري ، وقد كانت قبل ذلك ميتة لا وجود لها .. غير أن تلك الأوصاف التى حذر منها شيخ الإسلام متوافقة تماما مع أوصافها . .

فقارن بين ما قاله شيخ الإسلام فى نصر الحق وتأييده وبين نظرة حسن البنا فى الخلاف الواقع بين السلف والخلف فى باب الصفات الربانية ، وكذلك الخلاف الواقع بين السنة والشيعة يتبين لك الأمر . وانظر إلى الأتباع كيف يعظمون أهل البدع ، ويحذرون من الكلام فى التوحيد والسنة ، بحجة أن للواقع أولويات أهمها تجميع الناس . كل ذلك يؤكد لك حقيقة الخلل الواقع فى دعوة الإخوان ..

وقد ابتلى الشيخ القرضاوى بكل ما حذر منه شيخ الإسلام ..فقد جند نفسه فى الدفاع عن أهل البدع ، وقام بجهد ملحوظ فى حماية مناهج المعطلة والمؤولة ، وقد اجتمع هذا الرهط على القاعدة التى أصلها حسن البنا ، التى قال فيها " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ..

تلك القاعدة المطلقة التى طالت جميع العقائد والأيدلوجيات ، وأدت إلى ضم جميع الأصناف ، والاتجاهات ، ووحدت الجميع تحت الإيمان بفكر المرشد فى الانقلاب والتغيير . وجعلت السني الذى يثبت العلم الأزلي لله تعالى كالقدري الذى يقول إن الله لا يعلم الشيء إلا بعد وقوعه ، وجعلت الموحد الذى يثبت العلو لله تعالى كالحلولى الذى يقول الله موجود فى كل الوجود ، أو كالعدمى الذى يقول لا فوق ولا تحت ولا داخل العالم ولا خارجه . . الخ .

ولولا اغترار كثير من الشباب بهتافات الإخوان فى الجامعات والنقابات العمالية ، بغير وعى ولا فقه ، وما يصوره هؤلاء الغلمان لشيوخهم من الهالة العجيبة والثناء الباطل مع ما عندهم من الضلال والشر ماردت عليهم، ولكن أمانة الدين

تقتضى حماية هؤلاء الأحداث من الاغترار بتلك المظاهر الباطلة .

قال الإمام أحمد (رحمه الله) : « كنا نرى السكوت عن هذا قبل أن يخوض فيه هؤلاء فلما أظهروه لم نجد بدا من مخالفتهم والرد عليهم » (النقض على بشر المريسي للدارمى ٣١٢) .

وقد بين الإمام ابن بطة (رحمه الله) فى (الشرح والإبانة . ص/ ٣٤٨) الحكمة فى ذلك قائلا : « أنا أذكر طرفا من أسمائهم وشيئا من صفاتهم ؛ لأن لهم كتبا قد انتشرت ومقالات قد ظهرت ، لايعرفها الغرّ من الناس ولا النشء من الأحداث ، تخفى معانيها على أكثر من يقرؤها ..

فلعل الحدث يقع إليه الكتاب لرجل من أهل هذه المقالات قد ابتدأ الكتاب بحمد الله والثناء عليه والإطناب في الصلاة على النبي ﷺ ثم أتبع ذلك بدقيق كفره وخفي اختراعه وشرّه ، فيظن الحدث الذي لا علم له والأعجمي والغمر من الناس أن الواضع لذلك الكتاب عالم من العلماء أو فقيه من الفقهاء ، ولعله يعتقد في هذه الأمة ما يراه فيها عبدة الأوثان ومن بارز الله ووالى الشيطان » أهـ .

فلا يغرنك أيها المتحمس ما حصرت نفسك فيه وأنت لا تدري أحق هو أم باطل، ولا يفوتنك ما عند علماء الحديث من الحق ، لأجل انشغالك بأمور قد ثبت للعامة والخاصة أنها أدت إلى خذلان تلك الجماعة منذ أن نشأت .

ولا يدفعنك خروج النصيحة من غير جماعتك أن توليها ظهرك أو أن تسد لها أذنك ، فالحق أحق أن يتبع ، ونجاة نفسك أولى من التغنى بانتمائك لتلك الجماعة.. فاختر طريق السلف الصالح وأهل الحديث (رضى الله عنهم) ، ولا تسد أذنك وارفع الكرسف عنها ، وقل كما قال الشاعر اللبيب : « فما يمنعني أن أستمع من هذا الرجل ما يقول؟ إن كان الذي يأتي حسنا قبلته وإن كان قبيحاً تركته » أهـ

أو اختر طريق من استخار الله فخيره لما يحب ، طريق الغلام الذى احتار فى أمر الراهب والساحر فاستخار الله قائلا : « اللهم إن كان أمر الراهب أحب إليك من

أمر الساحر فاقتل هذه الدابة » (رواه مسلم فى الزهد والرقائق ٣٠٠٥, والترمذى فى تفسير القرآن ٣٣٤٠ وأحمد فى المسند٢٣٤١٣).

ومن رحمة الله تعالى بالخلائق أن بين لهم الحقائق ، وأرسل لهم الرسل ، وأنزل الكتب ، ليتحقق مراده الشرعي المحبوب له ، فمن ضم الإيمان بالشرع إلى الإيمان بالقدر فقد فاز، ومن فرق بينهما فقد ضل . ومن تقدير الله تعالى أن أراد الشر كونا ولم يرده شرعا ، ومعنى أراده كونا : أراده لمحبوب آخر ، ولم يرده لذاته: وهو إحقاق الحق وإظهار الخير ، هذا بجوار ما فيه من عبادة لله تعالى بأسماء وصفات لم يكن لها أن تتحقق إلا فى وجود هذا الشر .. هذا بالإضافة إلى ما فى خلق المتضادات من بيان لكمال ربوبية الله تعالى على الخلائق ، وكمال قدرته ، أن يخلق ما يشاء ، ويحكم ما يريد . والإيمان بذلك أصل من أصول الإيمان بالله تعالى.

وعليه فنحن لم نتعرض لمذاهب الفرق اكتفاء بما انتهت إليه من الضلال ، إنما أردنا أن نعرف الحق الذى أراده الله تعالى ، ونعبده بمقتضاه ، وأن نحمد الله تعالى على النعم التى أنعم بها علينا وهدانا إليها .. ومن أعظم تلك النعم أن جعلنا مسلمين ناصرين للسنة ، على مذهب أهل الحديث (رضي الله عنهم) ، وجنبنا مذاهب الفرق المنحرفة.. ولذا فنحن نعتقد أن الأمة لا تصلح إلا إذا عادت إلى ما كان عليه النبي ﷺ وأصحابه الكرام (رضي الله عنهم) ... ولا يكون ذلك إلا بتحقيق العبودية الكاملة لله جل جلاله ، وذلك بتصفية المجتمعات من الشركيات والبدع ، وتربية الناس على التوحيد والسنة ؛ فيتحقق بذلك الولاء والبراء ، والحب فى الله والبغض فى الله ، والذى من خلاله تعتصم الأمة بحبل الله تعالى جميعا ولا تتفرق ، ومن ثم تنال بركة التأييد والنصر من الله تعالى ، فلا يؤثر كيد عدوها فيها شيئا. قال تعالى:﴿ إن تنصروا الله ينصركم ويثبت أقدامكم﴾ [محمد : ٧) وقد قسمت الكتاب إلى عدة فصول . كالآتى :

الفصل الأول : نشأة جماعة الإخوان .

الفصل الثانى : الخلل التربوى ..

الفصل الثالث : الخلل العلمى ..

الفصل السادس:الآثار المسلكية فى دعوة الإخوان .

الفصل الخامس : فكر التكفير ..

الفصل السادس : فكر الانقلاب ..

الفصل السابع : الإفلاس الجهادي ..

الفصل الثامن : الإخوان ودولة الثورة

الفصل التاسع : الإفلاس السياسي ..

هذا وما كان من خير فمن الله ، وما كان من خلل فمنى ومن الشيطان والله منه براء(فاللهم اجعلنا من أوليائك ونصراء دينك) وصل اللهم على عبدك ورسولك محمد وعلى آله وصحبه وسلم .

كتبه / على بن السيد الوصيفي

Email : ale-Elwasefy @ Hotmail.com

الفصل الأول

تاريخ ونشأة

مناهج المرشدين

مفكرو الإخوان

أحكام علماء الدين

الإخوان يطعنون في أنفسهم..

بسم الله الرحمن الرحيم

نشأة جماعة الإخوان المسلمين

أنشأ حسن البنا جماعة الإخوان عام ١٩٢٨م ، وذلك بعد تخرجه من مدرسة المعلمين بعام واحد ، حيث كان يجتمع بعامة الناس فى المقاهى ، ويتكلم معهم بأسلوب عامى ، يثير الحماس ويلهب المشاعر ، حتى قصده ذات يوم ستة من العمال المهنيين ما بين سباك ونجار .. لم يكن فيهم عالم ولا مفكر ولا داع . وطلبوا منه إنشاء جماعة تعمل من أجل الدين ، ويكون هو زعيمها وقائدها .. هؤلاء الستة هم : إسماعيل عزو وفؤاد إبراهيم وحافظ عبد الحميد وعبد الرحمن حسب الله وزكى المغربى وأحمد الحصرى .. فطلب منهم البيعة وكمال الطاعة ، كما أشار فى (رسالة التعاليم .ص/ ٣٩٧) : « ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا كمال الطاعة كذلك ، وعلى ذلك بايع الصف الأول من الإخوان المسلمين فى يوم ٥ ربيع الأول سنة ١٣٥٩هـ » أهـ . واستمر فى دعوته لا يقرب إلا أصحاب الكفايات العادية ، قال محمد الغزالى « فقد مرت بهذا الرجل العظيم ـ حسن البنا ـ ظروف جعلته يختار المعاونين الأوائل له على أساس الكفاية العادية أو الضعيفة إذا صحبها التفانى فى الدعوة والإخلاص للقيادة ، فهى أجدر بالحفاوة من الكفاية الخارقة إذا ضعفت علاقتها بشخص القائد » (من معالم الحق . ص/ ٢٢٢) .

واستمر من عام ١٩٢٨م إلى عام ١٩٣٥م يستخدم لغة الدعوة والدين . و لم يكن يقبل على دروس الثلاثاء فى هذا الوقت إلا قلة قليلة ، لا تجاوز عدد أصابع اليدين . قال محمود عبد الحليم : « كنت أحضر هذا الحديث فى المركز العام فى شارع الناصرية ولا يكاد يتعدى عدد الحاضرين فيه أصابع اليدين ، وقد أشرت إلى الوسائل التى كان يلجأ الأستاذ إليها محاولا جذب انتباه سكان هذه المنطقة من حى

السيدة زينب إلى دار المركز العام ، لعل عدد من يحضرون هذا الحديث يتضاعف ، ومع ذلك كله لم يتضاعف » (أحداث صنعت التاريخ . ١/ ٣٨٤) .

وفى عام ١٩٣٥م دخل فى طور العمل التنفيذى السري .. فأسس مليشيات عسكرية فى الجيش والشرطة ، كما أسس جهازا سريا خاصا يخضع لأوامره بقصد حماية دعوته ، وأسس تنظيم الجوالة ، ليخفى وراءه عمل تلك التنظيمات ، وليظهر قوة الجماعة .. وأنشأ جهاز استخبارات للتجسس على الناس ، وأردفه بجهاز متخصص فى نشر الإشاعات ، لقياس نبض المجتمع تجاه الأحداث .ويحكم تلك الأجهزة السرية باختلاف صورها الإيمان المقدس بالطاعة المطلقة لفضيلة المرشد. وقد اقتبس حسن البنا فكرة تشكيل التنظيمات السرية والأسر والكتائب من الخلايا الشيوعية .. وعندما اشتد عود الجماعة دعا حسن البنا رؤساء الأحزاب والهيئات إلى الانضمام إليه ، وبشرهم إن هم سبقوا إليه بالرياسة والريادة ، وإن تأخروا بضعف المكانة والذل ، ولو عملوا فى محيط الدعوة ـ انظررسالة المؤتمر الخامس .ص/١٧٨) وبدأ يجابه الدولة ومؤسساتها ، ويهدد باستخدام القوة إن لم تنفع لغة الوعظ (الرسائل .ص/ ١٨٩) ووعد أتباعه فى رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان " متى تكون خطواتنا تنفيذية " إن هم بلغوا ثلاثمائة كتيبة مجهزة بالعلم والثقافة والإيمان أن يقاتل بهم كل جبار عنيد .. واستمر فى الرسائل يغرر أتباعه بدعوته وبمنهجه ، حتى جعل من تخلف عن جماعته مخدر الإيمان ، بخلاف من ينضم إليه ويصير معه ، فهو مؤمن كامل الإيمان والعزة ..

وفى عام ١٩٤٢م رشح نفسه فى الانتخابات البرلمانية ، فطلب منه النحاس باشا التنازل عن الترشيح ، وذلك لأن البلد كانت فى حالة حرب ، فتنازل حسن البنا عن الترشيح مقابل الحصول على تسهيلات دعوية استفاد منها حتى عام ١٩٤٨م.

وفى عام ١٩٤٤م رشح نفسه مرة أخرى ، فطلب منه أحمد ماهر التنازل عن الترشيح ، لأن البلد كانت مقبلة على حرب – وقد كان أحمد ماهر متحالفا مع الإنجليز ضد الألمان وقوات المحور .. ولم يرض منه الإخوان ذلك .. فرفض التنازل .. وسقط فى الانتخابات التى كان يتوافد عليها الإخوان من جميع البلاد .. فقرر الإخوان بعدها قتل أحمد ماهر ، وأعدوا لذلك خطة محكمة . غير أنهم استطاعوا الهرب من تحمل تبعات تلك الجريمة ، حيث اتهم فيها شاب من شباب الحزب الوطنى اسمه " محمود العيسوي ". وكان منتسبا إلى الإخوان .

وفى عام ١٩٤٥م قام الإخوان بمظاهرة كبيرة بمناسبة وعد بلفور ، كان الغرض منها كما بين محمود عبد الحليم هز مكانة الحكومة ، وإظهار قوة الدعوة .

وفى عام ١٩٤٦م ألقى الإخوان قنابل فى جميع أقسام القاهرة ..

وبعد عشرين سنة من دعوته . وتحديدا فى عام ١٩٤٧م شعر بضآلة المفاهيم العلمية فى الجماعة ؛ فبادر بإصدار بعض المجلات العلمية ، كى تعالج هذا الضعف ، وقد أكد ذلك القرضاوي فى كتابه (ابن القرية١ ,/ ٢٩٨)

وفى عام ١٩٤٨م . وقعت أحداث وجرائم صدر بسببها الأمر الرئاسي رقم ٦٣ لعام ١٩٤٨ من دولة النقراشي باشا بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها وغلق شعبها فى جميع أنحاء القطر المصري . وأطلق عليها منذ ذلك الوقت لقب " الجماعة المنحلة " .. وعلى أثر ذلك قام التنظيم الخاص لجماعة الإخوان بتكفير الحكومة والدولة واستحلال دم النقراشى باشا والاتفاق على قتله وقتل موظفى الحكومة .. وعندما اشتدت الفتن على الجماعة عرض حسن البنا على حكومة الملك التنازل عن العمل السياسي للحزب الوطنى والعودة إلى العمل الدعوى .. أو فتح الباب ليهاجر إلى الجبال والفلوات ، بعيدا عن الناس .. وفر جميع أصحابه ورفقائه من حوله ، وانفضت تنظيماته ، وتركوه وحيدا يلقى الموت ..

وفى ١٩/ ٢/ ١٩٤٩م أطلق على حسن البنا عدة رصاصات أمام دار الشبان المسلمين بالقاهرة مات على أثرها فى المستشفى ..

واتهمت حكومة السعديين بتدبير ذلك ، ردا على مقتل النقراشى باشا ..

غير أن الإخوان عزو القتل إلى هيئات أجنبية أمريكية وغربية تريد الكيد للإسلام ونسوا جرائمهم السابقة ..

واستمرت جماعة الإخوان بعد وفاة حسن البنا (رحمه الله) ثلاث سنين بدون مرشد عام .. وقع فيها عدة جرائم ، قام بها التنظيم الخاص لجماعة الإخوان على طريقة ابن لادن وتنظيم القاعدة ..

مناهج المرشدين ..

منهج حسن البنا ...

سعى حسن البنا في تجميع أطياف المجتمع باختلاف توجهاتها العقائدية والفكرية خلف قيادته ، و لم يكن له خصومة دينية مع أى طائفة من الطوائف . فلم تكن له خصومة مع الروافض ، الذين سبوا صحابة رسول الله ﷺ وكفروهم .. وزعموا أن القرآن ناقص ومحرف . بل إنه دعا إلى التقريب معهم ، والتجاوز عن الخلافات القائمة بينهم وبين أهل السنة ، وقال : « الخلاف بينهما فهو في أمور من الممكن التقريب فيها بينهما » (ذكريات لا مذكرات. ٢٤٩-٢٥٠) ولم تكن له خصومة دينية مع اليهود الذين سبوا الله وكذبوا رسله وقتلوا أنبياءه ، وقال : «إن خصومتنا لليهود ليست دينية » (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٤٥٥) .

وتعهد فى المؤتمر الذى عقد بدار المركز العام بمناسبة مرور عشرين عاما على قيام تشكيلة الإخوان بمسالمة جميع الطوائف والملل ، قائلا : « وليست حركة الإخوان المسلمين حركة طائفية موجهة ضد عقيدة من العقائد أو دين من الأديان أو طائفة من الطوائف » (مواقف فى الدعوة . ص/ ٣١٩) .

وقد أكد أحمد رائف أن حسن البنا كان يسر بالتخطيط للانقلاب على الملك والدولة لبعض الخاصة من جماعته ، ومن لهم به علاقة ثورية . أمثال عزيز المصرى والصاغ محمود لبيب . غير أنه أكد لأتباعه خلاف ذلك فى رسائله ، قائلا: « وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها»(الرسائل . ص/ ١٩٠) .

كذلك لم يميز حسن البنا دعوته بتحقيق مسائل توحيد الإلهية والعبادة ، إتباعا لمنهج الأنبياء والرسل (صلوات الله عليهم) ، وو لج فى مفاهيم صوفية خرافية شركية ، تجعل الرسول يحضر مجالس المخرفين ، ليغفر الذنوب ، ويتجاوز عن المثالب والعيوب ، فقال :

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضر وسامح الكل في ماقد مضى وجرى .أهـ

(حسن البنا بأقلام تلامذته . ص٧٠-٧١ ط . الوفاء ١٩٩٠).

ودعا إلى التجاوز عن تحقيق مسائل الصفات الربانية على طريقة السلف أهل الحديث ، واتهم المهتمين بها بالتطرف والغلو ، قائلا : « ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلف بين الطريقين لا تحتمل شيئا من هذا لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو ...» (ص/ ٧٤ . رسالة العقائد)

ودعا إلى مسايرة أهل البدع ، دون نصيحة وبيان . فقال : « وأهم ما يجب أن نتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة ما استطعنا إلى ذلك سبيلا »(العقائد ص/ ٤٥٦) .

وكان يرفض النظر فى التفاسير .. وقال لمحمود عبد الحليم : « إن كنت تريد نصيحتى فلا داعى لقراءة تفاسير »(أحداث صنعت التاريخ. ١/ ٢٠٨) .

وكان يدعو أتباعه إلى أن يثقوا في شخصه ، ويتركوا آراءهم فى مسائل النزاع ، نزولا على رأيه . وقال للدكتور عبد العزيز كامل : « أنا أعلم نوع تفكيرك وتمسكك بالسنة ، وستأتى أيام وظروف قد نختلف فيها ، وأود فى هذه الظروف أن تترك رأيك لرأى . ألا تطمئن إلى ؟» (مذكرات د/ عبد العزيز كامل ص/ ٥٣) .

وكان لا يرى للمسلمين فى زمنه إماما يرجعون إليه ... فقال : « ليس للمسلمين الآن (إمام) » (فى قافلة الإخوان المسلمين .ص/ ٢٠٨).

وكان يلبس الخارجين عليه لباس الخوارج على الدولة . فقال : « ولقد كان الإسلام حكيما أعظم الحكمة فى وصيته بأخذ مثل هؤلاء الخوارج على رأى الجماعة بمنتهى الحزم : " من أتاكم وأمركم جميع يريد أن يشق عصاكم فاضربوه بالسيف كائنا من كان " ولكننا تأثرنا إلى حد كبير بالنظم المائعة التى يسترونها بألفاظ الديمقراطية والحرية» (مذكرات الدعوة .ص/ ١٥٤) .

وكان يرى أن ما يقوله هو الإسلام .. وقال :

« وعلى كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام ، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة» (مذكرات الدعوة والداعية ص/ ٢٥٤).

وكان ينمى فى أتباعه رؤية أنفسهم فى مقابل استصغار غيرهم ، وقال لهم فى رسالة " الإخوان تحت راية القرآن " : « أيها الإخوان المسلمون : هذه منزلتكم ، فلا تصغروا في أنفسكم ، فتقيسوا أنفسكم بغيركم»أهـ واقترح لهم شارة تميزهم عن غيرهم ، حتى ظن أتباعه أن الإسلام لم يعرف شمولية الدين إلا فى زمنه ..

الهضيبي مرشدا عاما ...

فى عام ١٩٥١م تم اختيار المستشار حسن الهضيبي مرشدا عاما للإخوان ، على الرغم من كونه من خارج النطاق الحركى للجماعة ، مما أحدث شقا عظيما فى صفوفها .. وقد كان لمهادنة الهضيبي للقصر الملكى وترحيبه بالسعديين المتهمين بقتل الشيخ حسن البنا أكبر الأثر فى اتساع الشقاق بينه وبين الشيخ الغزالى .. ولم يكن الهضيبي عالما بالحجة والبرهان ..ولم يكن لديه مؤهلات الخطابة ولا التصنيف ، وكان يتقمص شخصية القاضى فى التعامل مع الآخرين . كما أشار القرضاوي . ولم يكن قادرا على جذب العقول والعواطف ، وكان يتعالى على أصحاب المسئولية ، فما جلس مع أحد إلا واضعا ساقا على ساق عن قصد وتعمد .

وعندما جلس مع الملك فاروق لم يرد ولم ينطق ، على الرغم من عرض الملك عليه التعاون مع الجماعة على نصر الإسلام ، واحتفى به احتفاء بالغا . غير أنه لم يتعاون معه في شيء . لا فيما يخص الشرع ، ولا فيما يخص الجماعة .

وفى لقائه مع عبد الناصر كان متجاهلا معاندا ، حتى أطال المسافة ووسع الشقاق .. قال القرضاوي : « كان يعامل عبد الناصر ورجال الثورة بعزة واستعلاء، معاملة الند للند والسيد للسيد » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ).

ورفع لواء المواجهة ضد حركة الجيش بعد اختفائه فى الإسكندرية ، وبين أن البلاد لن تهدأ ولن تستقر ، حتى يؤخذ برأى الإخوان ، كما أشار محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ٤٧) .

وكانت اهتمامات عامة الإخوان فى زمنه دائرة حول الانقلاب والاغتيال السياسي والوصول إلى الحكم . فقد بعث بالمنشورات التى تدعو إلى قلب نظام الحكم ، قال محمود عبد الحليم : « حتى إن بعض هذه المنشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء» (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ٣٧٣)

وفى ٢٨ فبراير ١٩٥٤م خرج الإخوان فى مظاهرة عابدين لتأييد اللواء محمد نجيب فى خلافه مع عبد الناصر ، على الرغم من مبايعة ثلاثة مـــن كبرائهم له ..

ويتحمل الهضيبي مسئولية ما حدث للإخوان من مصائب عام ١٩٦٥م ، حيث قبض على ثلاثة آلاف إخوانى ، بسبب التنظيم السري الذى أمر عليه سيد قطب ، بشهادة زينب الغزالى فى كتابها " أيام من حياتى" ، كما سيتبين .

الأستاذ عمر التلمساني مرشدا

ثم جاء عمر التلمسانى .. ولم يكن عالما من علماء الإسلام ، ولكنه كان يعمل بمهنة المحاماة ، وقد نشأ منتميا لحزب الوفد ، وتأثر بالأحرار الدستوريين ، وتربى على كتب العشق والهيام ، قال : « فقد كانت تستهوينى بأعمال البطولة وحماية الشرف والعشق والهيام .. فقرأت أول ما قرأت كتب أبى زيد الهلالى سلامة وقرأت عن عنترة بن شداد وسيف بن ذى يزن . ثم تدرجت إلى قراءة كل روايات " اسكندر ديماس " وابنه ، وتعرفت إلى أبطال قصصه الذين كانت شجاعتهم والدفاع عن معشوقاتهم تملك على كل أوقاتى فى شهور الأجازة » (ذكريات لا مذكرات . ص / ١٢) وكان يمارس الرقص الإفرنجي ، وقد أشار إلى ذلك بقوله : «فى حياتى بعض ما لا يرضى المتشددين من الإخوان أو غيرهم كالرقص الأفرنجى والموسيقى» (ذكريات لا مذكرات.ص/ ٣) وقال (ص/ ٨) : «تعلمت الرقص الإفرنجى فى صالات عماد الدين ، وكان تعليم الرقصة الواحدة فى مقابل ثلاث جنيهات ، فتعلمت الدن سيت والفوكس تروت، والشارلستون ، والتانجو ، وتعلمت العزف على العود» أهـ

وقال (ص/ ١٣) : «حتى أننى لما كنت أباشر عملى كمحام وأنزل يوم الجمعه لأحضر بعض الأفلام السينمائية وكنت انتهز فرصة الاستراحة (الانتراكت) لأصلى الظهر والعصر مجموعين مقصورين فى أحد أركان السينما التى أكون فيها » أهـ

وختم ذلك بقوله (ص/٢٦٣) : «ولئن سألونى عن الهوى فأنا الهوى وابن الهوى وأبو الهوى وأخوه» أهـ

والأستاذ التلمسانى كان يفعل ذلك كما زعم من باب تيسير الإسلام ، الذى يحب من وجهة نظره الانطلاق فى ميادين الهوى والرقص ، وأكد ذلك بقوله : «وحبى للانطلاق فى حياتى بعيدا عن قيود التزمت الذى لم يأمر به دين من الأديان خاصة إسلامنا، الذى وصفه نبينا بما معناه : أنه سمح لن يشاده أحد إلا غلبه» (ذكريات لا مذكرات ص/ ٢٣٩ . ط. ١٩٨٥ . دار التوزيع الإسلامية) .

والحقيقة أنه كان متأسيا بشيخه الذى كان يدعو ضيوفه إلى دابر الأوبرا ليتمتعوا برؤية العروض الفنية والرقصات الغربية .. قال عبد المنعم أبو الفتوح : « كان حسن البنا يصر على اصطحاب ضيوفه العرب والأجانب إلي العروض الفنية في دار الأوبرا تكريما واحتفاء بهم ، كما أنه كان يرعى بنفسه الفرق المسرحية والفنية المنتشرة في جميع ربوع مصر قبل الثورة» (إسلام أون لاين. نت . ٤-١٢-٢٠٠٥)

ولم يقف أمر التلمسانى عند ذلك . بل تعدى إلى الانحراف فى مسائل العقيدة .. فتكلم فى الصفات الربانية على طريقة المؤولة والمعطلة . وزين فكر عباد القبور ، وجعل أعمالهم عند القبور مجرد أذواق . فقال : « فلا داعي إذن للتشدد في النكير على من يعتقد في كرامة الأولياء واللجوء إليهم في قبورهم الطاهرة والدعاء فيها عند الشدائد» (شهيد محراب ص/١٩٧- ,٢٢٦ ط ١٩٨٥م . دار التوزيع والنشر ، ترقيم داخلى / ٢١٢٨ . ترقيم دولى/ ١-١٤٢-٩٧٧) . وفى زمن التلمساني فتحت الدولة كافة السبل لنشر دعوة الإخوان ، وكان للأستاذ عمر علاقات ثنائية مع كثير من المسئولين فى مصر استفاد منها كثيرا ، غير أنه خسر كل شيء بعد الاعتراض على معاهدة السلام .

محمد حامد أبو النصر مرشدا

❊ وجاء محمد حامد أبو النصر ففتح الأبواب لإنشاء الأحزاب الشيوعية ، توطئة لبسط السبل بين أصحاب الفكر السياسي ، فقال : « فلا مانع عندنا من إنشاء حزب شيوعي فى دولة إسلامية» (المجتمع ٢٢ , ذى القعدة ١٤٠٦ هـ)

مصطفى مشهور مرشداً

❊ ثم بويع للأستاذ مصطفى مشهور .. وقد كانت جل اهتماماته تنظيمية تربوية ، تهدف فى المقام الأول إلى ترسيخ مبدأ السمع والطاعة . وقد اعترف مشهور بمذهب الشيعة الروافض ، وقال :« والإثنا عشرية معترف بها كمذهب ، وجرت اتصالات بهم ...»(الأسبوع . ١٤ إبريل ١٩٩٧) والروافض ليسوا مذهبا ، إنما هم فرقة ضالة ، لها اعتقادات شركية باطلة ، ولهم تاريخ حافل بخيانة المسلمين.

المستشار المأمون الهضيبي مرشداً

❊ ثم تبعه المستشار المأمون الهضيبي ، وقد كان كسابقيه فى الفهم والمعتقد والمنهج ، وكان يرى أن تطبيق الشرع يخضع للاستفتاء العام .. وهذا استئناف للإسلام والإيمان ، وهو مذهب المعتزلة .. ثم إن الأمر بتطبيق الشريعة ثابت فى النص الثانى من الدستور المصري ، فما الحاجة إلى إجراء الاستفتاء عليه .؟ وفى زمن المأمون الهضيبي تعمقت اتصالات الإخوان بالأمريكان ، لتقوية وجود الجماعة فى مواجهة العواصف التى تتعرض لها .

محمد عاكف مرشداً

❊ ثم جاء محمد عاكف أستاذ العصيان المدنى والدراسات الليبرالية .. فاستبدل الأحلاف السياسية بالحجة الرسالية والهداية الربانية ، وفتح الأبواب لانضمام كافة الطوائف والملل لجماعته ، وقال : « كنت عضوا فى جماعة الشبان المسيحيين وناديهم ، فالإخوان لهم رسالة ومنهج ، وكل من يوافق على هذا سواء أكان مسيحيا أو يهوديا فأهلا به » (العربى . ١٨ / ١١/ ٢٠٠٤م)

ومن أجل تعميق التقريب مع الأفكار الليبرالية العلمانية بين أن العقيدة الإسلامية فى زمن حسن البنا كانت تأتى فى المرتبة الثانية بعد الفكر والثقافة ، وبين أنه ماض على أثره ، بقوله : « يقول البنا : نريد أن يكون قوى الجسم متين الخلق مثقف الفكر.. قبل أن يكون صحيح العقيدة سليم العبادة » (نافذة مصر. نت ٣٠/ ٣/ ١٤٢٧هـ)

ومن باب التوسع فى نشر الفتن فى المجتمع المصري طالب بإقامة أحزاب للنصاري وأخرى للشيعة الروافض .. قائلا : « فأنا مع حزب قبطي أو حزب شيعي أو حزب (لل...» (الميدان ٢٩ , سبتمبر ٢٠٠٥م)

وقد بين عاكف حقيقة فكره الانقلابي فى تهييج العامة ، قائلا : « إن دور الإخوان المسلمين هو إثارة وعي المواطنين للتحرك ضد الحكام » (إخوان أون لاين نت ٣١/ ٧/ ٢٠٠٦ م) وجعل غاية هداية الناس فى الوقوف مع جماعته فى الانتخابات البرلمانية ، قائلا : « هدفنا هو تربية الفرد والأسرة والمجتمع حتى نصل للمستوى الذى نضمن من خلاله أن يقف وراءنا جميع الناخبين » (الأخبار ٢٧ , أغسطس ٢٠٠٥م)

مفكرو الإخوان

* تأثر الإخوان بفكر الأستاذ سيد قطب .. وقد كان رجلا فاضلا فى اللغة والأدب ، وكانت له حماسة دينية عالية ، وكان على علم بمذاهب الفرق الضالة ، فدخل فى بطونها ، ولم يستطع أن يخرج منها .. وكان سبب فتنة كبري للمسلمين فى زمنه . وهو أيضا سبب الفتنة الثانية للإخوان بعد فتنة الهضيبي عام ١٩٥٤م ، وذلك بتأسيسه تنظيم ١٩٦٥م بالتعاون مع زينب الغزالى وعبد الفتاح إسماعيل وغيرهما ، وقد كان تنظيماً انقلابياً ، كما شهد بذلك فريد عبد الخالق فى كتابه (الإخوان فى ميزان الحق) وقد تأثر بفكر سيد قطب جميع الخوارج المنتهجين سبل العنف فى الأمر والنهى ، المكفرين للمجتمعات الإسلامية ..

وقد اختلط فكره بمذاهب الحلوليين والاتحاديين والجهمية المعطلين لصفات الله تعالى . فقال بما قالوا ، وناضل عنهم بالكيفية التى أصلوها.وتخبط بين إثبات فكر الوجوديين وبين نفيه في مواضع مختلفة . وتأثر سيد قطب بمذهب الجبرية فأنكر تأثير الأسباب . وقال بمذهب المعتزلة فى الإيمان ، وادعى أن من حكم بغير حكم الله فى مسألة واحدة فهو منكر لإلهية الله ، ورافض للإيمان بالكلية . .

وفى الصحابة (رضى الله عنهم) تأثر بفكر الروافض ، واتهم معاوية وعمرو بن العاص بالنفاق والكذب وبيع الذمم . وطعن فى نبى الله موسى (عليه السلام) ، وشبه سور القرآن بالمنظومات الموسيقية ، كما فى تفسير سورتى النجم والجن ، ورد أحاديث الآحاد فى مجال العقيدة .. وتأثر بالاشتراكية ، ودعا إلى نزع الملكيات والأموال ، ولو كانت آتية بالطريق الشرعي . وهو أول من وجه فكر الثورة إلى الاتجاه الاشتراكى .. ويشهد على ذلك كتاباته فى جرائد الاشتراكيين والوطنيين ، وما خطه فى كتابه " العدالة الاجتماعية " بشهادة اللواء محمد نجيب ، كما نقل عنه أخوه محمد قطب..كما سيتبين ..

أ/ محمد الغزالى

* أما الأستاذ محمد الغزالى فقد كان من كبار مفكرى الإخوان .. وكان له دور بارز فى الرد على المستشرقين .. ولو أنه اكتفى بذلك لكان خيرا له ، ولكنه شارك أهل البدع والأهواء فى الطعن فى أهل الحديث ونقلة العلم والأثر ، الذين لولاهم ما عرفنا عن الإسلام ولا عن نبى الإسلام شيئا .. وعلى الرغم من إقراره بأن نقد الأئمة لا يكون إلا لمن قارب مستواهم بقوله : « إن نقد الأئمة لا يتصدى له إلا من قارب مستواهم على الأقل » (دستور الوحدة الثقافية ص/ ٩٩) وعلى الرغم من شهادته على نفسه أنه ليس له دراية بعلم الحديث ، قائلا : « أنا لست من علماء هذا الفن » (السنة النبوية. ص/ ٧٦) كما شهد أيضا فى ملتقى الفكر الإسلامى فى الجزائر أنه ليس من أئمة الفقه بقوله : « إننى ليس لى عقلية الفقيه » (الشيخ الغزالى كما عرفته ليوسف القرضاوى .ص/ ١٥٧) .

إلا أنه سب أهل الحديث وأئمة السلف ، ورماهم بكل نقيصة . وسعى بالوقيعة بينهم وبين الفقهاء ..

وقد شذ الغزالى فى باب الأسماء والصفات ، فقام يرجح مايريد ويبطل ما يريد، بغير دليل ولا برهان . وكانت كتب الغزالى مرصدا لجمع الشبهات ، التى اتخذها أهل الأهواء تكأة للطعن فى السنة وأهلها . وتلك عادة المدرسة العقلية التى غرس بذورها أئمة المعتزلة . وهو واحد منهم ، كما شهد بذلك الإمام الألبانى ..

ويعد الغزالى المرجع الكبير للفكر الاشتراكى فى دعوة الإخوان فى زمن الملك والثورة ، كما ظهر فى كتابه " الأوضاع الاقتصادية فى الإسلام " وهو أستاذ سيد قطب فى ذلك ، وكان له دور كبير فى إثارة المجتمعات الإسلامية ... وكان له مشاغبات متعددة مع المستشار الهضيبي تسببت فى معاملة الإخوان له معاملة الكفار ، كما ذكر فى كتابه (من معالم الحق الثابت ص . ٢٠٦) .

الشيخ القرضاوي

* وسار على درب الغزالى الشيخ القرضاوي ، وهو أحد المراجع الفكرية المعاصرة لحركة الإخوان ، وهو عضو مشارك فى منظمات عالمية مشبوهة .. فهو رئيس الاتحاد العالمى لما يسمى بعلماء المسلمين ، الذى يضم فى جنباته الشيعة والإباضية .. وقد أنشىء هذا الاتحاد فى أوربا ، ليجعل له ولاية إخوانية على المؤسسات الرسمية فى العالم الإسلامي .. وهو رئيس المجلس الأوروبي للإفتاء والبحوث ، ورئيس مجلس أمناء الجامعة الأمريكية الإسلامية ، وهو عضو مجلس الأمناء لمركز الدراسات الإسلامية في أوكسفورد (بريطانيا) .

وهذه كلها مراكز استشراقية تقدم بحوثا تطعن فى الإسلام ..

وقد اقتفى القرضاوي سقطات كثير من العلماء وزلاتهم ، تحت مسمى الوسطية والمعاصرة والتيسير .. وهون من فكر التأويل والتعطيل والتفويض فى الصفات الربانية ، بعوارض العقل والمجاز وأحاديث الآحاد ، وسفه حقيقة الخلاف الدائر بين علماء السلف وبين الخلف بشأنها ، بحجة أن زمنه قد تولى وانتهى ،

ودعا إلى التقريب بين الإخوان وبين أصحاب المذاهب الشاذة ، ليجمع الناس باختلاف ألوانهم حول فكر الجماعة ، وليخفف من الحظر المفروض عليها من قبل الحكومات الإسلامية ، ومن أقواله فى ذلك : « إن المعركة اليوم ليست مع الأشاعرة ولا الماتريدية ولا المعتزلة ولا الجهمية ، إن معركتنا الكبرى مع الملاحدة الذين لا يؤمنون بإله ولا بنبوة ولا بكتاب ، ليست معركتنا مع الذين يقولون عن الله ليس له مكان ، بل مع الذين يقولون ليس له وجود» (وجود الله .ص/ ٧) .

وهذا استخفاف بعقول المسلمين .. فالقاصي والداني يعلم أن ليس للإخوان معركة مع المؤولة ، الذين ينكرون صفات الله تعالى كما قال ، وليس لهم معركة مع الشيوعيين ، الذين ينكرون وجود الله تعالى ، لأنهم يجوزون قيام أحزاب لهم تقوم على مبادئهم وتدعو إلى أفكارهم . وهذا ثابت فى أدبياتهم .

أحكام علماء الدين ..

من أجل تلك التقلبات الفكرية السابق ذكرها وعدم وضوح المناهج والعقائد في دعوة الإخوان لم يستطيع العلامة العثيمين أن يحدد ماهية عقيدة الإخوان ، قائلا: « والله ما نعرف عن الإخوان المسلمين ما هى عقيدتهم » (انظر الفتاوى المهمة . ص / ١٧٤) .

وقد شهد جمع آخر من الأئمة أن الإخوان ليسوا من أهل السنة والجماعة .. وقد قال عنهم شيخنا العلامة محمد حامد الفقى " مؤسس أنصار السنة بمصر" :" الإخوان خوان الفرق " . وقد أخبرنى بذلك شيخنا العلامة محمد عبد الوهاب مرزوق البنا (حفظه الله) ، حيث قال : « إن الشيخ محمد حامد الفقى أسماهم : " خوان الفرق " ـ بكسر الخاء وتشديد الواو – والشيخ مقبل بن هادى الوادعي أسماهم " الإخوان المفلسون " فهم : « الخوان المفلسون » أهـ فجمع (حفظه الله) بين ماقاله الشيخان (رحمهما الله) .

وأخبرنى شيخنا الأستاذ عبد العزيز عاشور عن والده أن الشيخ محمد حامد الفقى التقى بالشيخ حسن البنا مع جمع من أئمة المعطلة فقال له :" أنت حاطب ليل "وقال لأئمة المعطلة " لا تقولوا إنكم تعبدون الله .فمعبودكم لا صفات الله . والله له أسماء وصفات ثابتة فى الكتاب والسنة . .

وحاطب الليل هو الذى يجمع من حشاش الأرض بالليل وقد تلدغه الحية . أو هو الذى يجمع الغث مع الثمين .وما يضره بجوار ما ينفعه.

وليس أمرا هينا أن يلحق أحد من الناس بأهل البدع والأهواء ، فتلك قضية كبرى ، لا يتصدر لها إلا أهل العلم المشهود لهم بالدين والدراية غير أنه إذا وقع إنسان فى أى محذور من المحاذير الآتية فقد اتصف بصفات أهل البدع :

١- رد أصل من أصول الدين ، أو رفض قاعدة من قواعده الكلية .

٢- كثرة الوقوع فى المخالفات الفرعية ..

٣- التصدر للعلم بغير أهلية ..

٤- بغض أهل الحديث وعلماء السلف (رضى الله عنهم) والتشنيع عليهم بأنهم حشوية ومجسمة و نابتة وبدو ، أو القول بأنهم علماء حيض ونفاس ، أو أنهم من أصحاب الكتب الصفراء . الخ

٥- التعصب للأحزاب والأشخاص والولاء والبراء فى غير الله تعالى .

٦- إثارة الفتن وتهييج العامة وعدم اقتفاء الطرق الشرعية فى مناصحة الحكام ..

٧- الثناء على أهل البدع والتقرب إليهم ومعاداة من يحذر من مساوئهم .

وكثير من أفراد الإخوان ينطبق عليه تلك الأوصاف أو بعضها ، ولأجل ذلك اتفق كبار مشايخ الأزهر فى مصر فى الحكم عليهم قبل أن يحكم عليها أى طائفة أخرى من طوائف المسلمين .. وذلك بعد جرائم القتل التى وقعت منهم فى مصر فى الأربعينات والخمسينات من القرن الماضي ..

وفى عام ١٩٥٤م .. أعلن مشايخ الأزهر أن جماعة الإخوان تستخدم الدين لكسب ثقة الناس فيهم ، وأنها انحرفت عن منهج القرآن والسنة .

وقد نقل ذلك الأستاذ عباس السيسي " فى كتابه (فى قافلة الإخوان .ص/ ٥٦٣) ، قائلا : « أعلنت جماعة كبار العلماء بالأزهر رأى الإسلام فى عصابة الإخوان فاستنكرت فى بيان أصدرته أمس ١٧ نوفمبر ١٩٥٤م انحراف هذه العصابة عن منهج القرآن فى الدعوة .. وجاء فى البيان : « فهذا نداء من جماعة كبار العلماء بالأزهر الشريف نتجه به إلى الشعب المصري الكريم وإلى سائر المسلمين ، وتحت عنوان " التستر بالدين " « وقد ابتلى المسلمون فى عصورهم المختلفة بمن أخذوا بتلك المبادئ على غير وجهها الصحيح أو لعبت بقلوبهم الأهواء فجعلوا منها باسم الدين وسائل يجذبون بها ثقة الناس فيهم ويتسترون بها للوصول إلى غاياتهم ومطامعهم .. والتاريخ الإسلامى حافل بأنباء تلك الطوائف التى انبعثت من خلاله ثم كانت حربا عليه أشد من حرب أعدائه. الخ»أهـ

مراحل متعددة وأحكام منسوخة ..

وقبل الشروع فى بيان ما انتهى إليه الأئمة من الحكم على جماعة الإخوان ينبغى أن يعلم أن من أثنى من الأئمة عليهم فى زمن من الأزمان إنما كان من قبل أن يستبين حالهم وتتضح صورتهم ، أما حين ظهرت مناهجهم ، وانكشفت أفكارهم ، التى كانوا يتفننون فى إخفائها من قبل عن العلماء والأمراء بستور متنوعة من الأقوال والأفعال ، فإنهم لم يختلفوا فى الحكم على أنهم من أهل البدع . وعلماء الجرح والتعديل يقولون : « الجرح المفسر مقدم على التعديل » وارجع إلى علم الرجال لترى كيف كان الأئمة يحدثون عن رجال ثم انقطعوا عنهم ، لما تبين حالهم .! وفى المرتبة الخامسة من مراتب الجرح والتعديل يقولون : « فلان تغير بآخره ».

وبسبب عدم اتضاح حقيقة جماعة الإخوان لكثير من العلماء كان المحدث مقبل بن هادى الوادعى (رحمه الله) يذكر الإخوان بالخير حتى بين فى كتابه(المخرج من الفتنة) أنهم مجتهدون فى الدعوة إلى الله تعالى . غير أنه كان ينفى عنهم صفة العلم ، وقال فى نفس الكتاب (ص/ ١٠٧) : « ما الإخوان المسلمون رجال علم ، بل ينفرون عن العلم ويقولون لبعض أبنائنا: إنكم تشغلون أنفسكم بالحديث ورواه فلان وأخرجه فلان وهذا حديث متفق عليه ، فحالهم كما قيل :

أتانا أن سهلا ذم جهـــلا علوما ليس يدريهن سهـــــل

علوما لو دراها ما قلاها ولكن الرضا بالجهل سهل. أهـ

ولكن حين انكشف أمرهم جرحهم ، ولم يذكرهم بخير ، وقال فى هامش كتاب (المخرج من الفتنة ص/ ٩٨) : « اعلم أننى كتبت هذا قبل أن ألم بأحوالهم ؛ لأن هذا الكتاب بحمد الله من أوائل الكتب فى الرد عليهم ، وبعد ذلك كشف الواقع كثيرا من أحوالهم الزائفة»أهـ وقال فى حق من ليس بداعية لضلالة أو رافعا لراية منهم : « موقف أهل السنة والجماعة من الإخوان المسلمين أنهم يحكمون على منهجهم بأنه منهج مبتدع ، وعلى أفرادهم بأنه من كان يعلم بالمنهج ويلتزم به فإنه

مبتدع ، ومن كان لا يعلم المنهج وهو يظن أنه ينصر الإسلام والمسلمين فيعتبر مخطئًا » (تحفة المجيب . ص/ ٢٠٣) ... وقال بشأن حسن البنا - الذى أثنى عليه من قبل - : « وكذا حسن البنا ما كنت ملما بأحواله وبعد قراءة ما كتب فى بيان أحواله ؛ فإذا الرجل مبتدع زائغ » (المخرج من الفتنة . ص/ ٩٩).

ونفس الأمر بالنسبة للإمام المحدث الشيخ الألباني .. فقد ظن فى الشيخ الغزالى ظنا حسنا ، وذلك حين طلب منه تحقيق كتابه "فقه السيرة " قال :

« فسارعت إلى تخريجه ظنا مني يومئذ أن ذلك كان منه اهتماما بالسنة والسيرة النبوية وحرصا على صيانتها من أن يدخل فيها ما ليس منها » ..

ولكنه حين تبين له أمره رماه بالاعتزال ، وقال عنه : « وفى كتابه الأخير (السنة النبوية بين أهل الفقه والحديث) فقد تبين منه للناس أنه معتزلي المنهج وأنه أصبح لا قيمة عنده لجهود الأئمة الفقهاء فيما وضعوه من الأصول وفرعوا عليها من الفروع فإنه يأخذ ما يشاء ويدع ما يشاء دون ارتباط بأصل من أصولهم أو قاعدة من قواعدهم » (صفة صلاة النبي (ص/ ٦٦-٦٨)

ونفس الأمر بالنسبة لبعض علماء اللجنة الدائمة ، التى كان يرأسها الإمام العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله) لم ينكشف لهم حال الإخوان انكشافا كاملا، فحكموا عليهم بحسن الظن فيهم ، لكثرة ما سمعوا من ابتلائهم فى الدين ، وجهادهم ، وأنهم معظمون للسنة وأهلها ، وما أظهروه بين أيديهم من البكاء ، إبان هروبهم من مصر فى زمن عبد الناصر ، فقالوا كما فى فتاوى اللجنة الدائمة رقم ٦٢٥٠ : « أقرب الجماعات الإسلامية إلى الحق وأحرصها على تطبيقه أهل السنة وهم أهل الحديث وجماعة أنصار السنة ثم الإخوان المسلمون ، وبالجملة فكل فرقة من هؤلاء فيها خطأ وصواب.وصلى الله على نبينا محمد وآله وصحبه وسلم»أهـ.

ولكن حين انكشف حالهم ، **واتضح فكرهم قالوا فيهم ما يستحقون** من النقد والتجريح ، وجعلوهم من الفرق **الخارجية النارية ، ومنعوا التعاون معهم ، إذا أبوا قبول النصيحة ..**

وكان في مقدمة من تصدر أمر التحذير منهم العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز، فقال إنهم من الاثنتين وسبعين فرقة . وذلك حين سئل عن حديث النبي ﷺ: «.. وستفترق أمتي على ثلاث وسبعين فرقة ، كلها في النار إلا واحدة . قلنا : من هم يارسول الله ؟ قال : من كان على مثل ما أنا عليه اليوم وأصحابي ». فقال سماحته: من خالف عقيدة أهل السنة والجماعة دخل في الاثنين وسبعين فرقة .. ومن أظهروا ابتداعهم من الاثنين وسبعين فرقة .. والفرق فيهم الكافر ، وفيهم العاصي وفيهم المبتدع .. السائل : هل هاتان الفرقتان ـ يعني التبليغ والإخوان ـ من الاثنتين وسبعين فرقة ؟ فأجاب سماحته : من الاثنتين وسبعين فرقة..والخوارج من الثنتين وسبعين فرقة [أسئلة الطائف تسجيل سنة ١٤١٩] وقال أيضا : « فكثير من أهل العلم ينتقدون على الإخوان المسلمين هذا الأمر ، أي : عدم النشاط في الدعوة إلى توحيد الله والإخلاص له ، وإنكار ما أحدثه الجهال من التعلق بالأموات والاستغاثة بهم والنذر لهم والذبح لهم ، الذي هو الشرك الأكبر ، وكذا ينتقدون عليهم عدم العناية بالسنة » (مجلة " المجلة " ٢٥/ ٢/ ١٤١٦هـ) ..

وعلى الرغم من شفاعة العلامة ابن باز فى سيد قطب عند عبد الناصر حين حكمت عليه محكمة الشعب بالإعدام فى الستينات ، بسبب تنظيم ١٩٦٥م إلا أنه لما تبين له حاله قال عنه : " مسكين ضايع فى التفسير .. ينبغى أن يؤدب "

وذلك كما فى كتاب (براءة علماء الأمة . ص/ ٢٨) وفيه : « ولما قرئ على الشيخ ابن باز قول سيد فى (الظلال ص ٢٣٢٨ و٣٤٠٨) عن الاستواء على العرش: (كناية عن الهيمنة). قال : « هذا كله كلام فاسد باطل يدل على أنه مسكين ضائع في التفسير» ، وقال عمن يوصي بقراءة الظلال : « لا.. لا.. غلط ، سنكتب عليه إن شاء الله»أهـ وحين قرىء عليه سب سيد قطب لمعاوية وعمرو بن العاص في كتابه (كتب وشخصيات. ص٢٤٢ - ٢٤٣) قال : « إن سبه لبعض الصحابة أو واحد منهم منكر وفسق يستحق أن يؤدب عليه، لكن إذا سب الأكثر أو فسقهم يرتد لأنهم حملة الشرع ، فإذا سبهم قدح في الشرع » وقال :

« كل هذا كلام قبيح وكلام منكر» (المصدر السابق.ص/ ٣١) وقال عن تلك الكتب التى حـوت تلك الطعون : « يجـب أن تمزق » (المصدر السابق ص/ ٣٢).

ولما قرىء عليه ما قاله سيد قطب فى حق نبى الله موسى (عليه السلام) .. الذى اصطفاه الله تعالى بكلامه وخط له التوراة بيده .. حيث صوره فى صورة الزعيم المندفع العصبى المزاج ، بقوله : « لنأخذ موسى . إنه نموذج للزعيم المندفع العصبي المزاج » (التصوير الفنى فى القرآن . ص/ ٢٠٠) وقال فى نفس كتابه ص/ ٢٠١ : « ثم لندعه فترة أخرى لنرى ماذا سيفعل الزمن فى أعصابه»أهـ

قال العلامة ابن باز : « الاستهزاء بالأنبياء ردة مستقلة »(تسجيلات منهاج السنة بالرياض ١٤١٣هـ).

أقوال الأئمة ...فى الإخوان

هذه بعض أقوال أئمة السلف وأهل الحديث ، التى تؤكد حقيقة تصنيف حركة الإخوان المسلمين من جملة الفرق المبتدعة ، وهى كالآتى :

١- حكم المحدث الشيخ محمود شاكر

أـ قال : « أنتم تذكروننى بأمرين : صلابة أصحاب العقائد والمحكوم عليهم بالسجن المؤيد من مجرمى ليمان طرة .. رجال العصابات فى الصعيد عندنا أولاد الليل لا يعرفون الخوف .. ما رأيت نظراتكم هذه إلا عند أولاد الليل فى الصعيد » (مذكرات عبد العزيز كامل ص/ ٦٦) .

ب- قال : الإخوان ضحالة فكرية وتعصب لا يستند إلى دليل ..

قال الدكتور عبد العزيز كامل : « وناقشوه فى أمر الإخوان ، فوجد فى أكثرهم ضحالة فوجىء بها ، وتعصبا لا يستند إلى دليل ، وسرعة إلى النتائج دون تثبت. وازداد الجو توترا وبدأ ينفر من بعض تصرفاتهم ، ومن تصرفات الإخوان فى الفترة السابقة . واشتد الحوار وارتفعت حرارته . ورأوا فيه عدم احترامه لقيادتهم واستخفافا بجهودهم وتخطئة لمنهجهم ، ورأى فيهم صورا من التعصب الضيق والإسراع بالحكم على الناس ولو بالكفر واستباحة الدم . وفى يوم اشتد غضبه وضاق بهم ذرعا وقالها فى عنف فاتر : الذى يريد أن يتعلم منى أو يتناقش معى فليترك ما فى رأسه مع حذائه الذى يخلعه عند بيتى . وكانت هـذه الفاصلة بينهم وبينه »أهـ

ج- قال : الإخوان أسراع بالحكم على بالناس بالكفر واستباحة للدماء.

قال الدكتور / عبد العزيز كامل : « وذهبت إليه بعدها فوجدته فيه الغضب والحزن .. كانت الدموع فى عينيه وهو يحس الخطر المحدق الذى ينحدر إليه الإخوان وخاصة فى موضوع الدم .. لقد دافعوا أمامه عن الإخوان فيما نسب إليهم من

حوادث النسف أو القتل واعتبروا هؤلاء معتدين عن الإسلام يستحقون القتل .. هكذا تحكمون على الناس بالكفر .؟ تحكمون . من أنتم .؟ وهل يعطى الإسلام أى مسلم الحق فى دم أخيه لأى سبب .؟ وأين تذهب أحاديث رسول الله ﷺ" لا يزال المسلم فى فسحة من دينه ما لم يصب دما حراما " كل المسلم على المسلم حرام دمه وماله وعرضه » (مذكرات عبد العزيز كامل.ص/ ٦٧)

٢- ليسوا من أهل السنة ..

قال العلامة المحدث الإمام محمد ناصر الدين الألباني (رحمه الله) : « ليس صوابا أن يقال إن الإخوان المسلمين هم من أهل السنة لأنهم يحاربون السنة » (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

٣- يسعون إلى الحكم بضراوة .

قال العلامة المحدث عبد المحسن العباد (حفظه الله) : « وأما أبرز أهداف هذه الفرقة فهو الوصول إلى سُدة الحكم في البلاد الإسلامية ، لذلك يبذل قادتها الغالي والنفيس في سبيل هذا الهدف ، ولو وصل الأمر إلى الانحراف عن الصراط المستقيم عقيدة ومنهجا» (الفوائد لأبى عبد الله الأثري) ...

وقال أيضا : « جماعة الإخوان من دخل معهم فهو صاحبهم يوالونه ، ومن لم يكن معهم فإنهم يكونون على خلاف معه ، أما لو كان معهم ولو من أخبث خلق الله ، ولو كان من الرافضة فإنه يكون أخاهم ويكون صاحبهم ، وإذا من مناهجهم أنهم يجمعون من هب ودب» (تسجيلات منهاج السنة بالرياض).

٤- متلونون ، لا يحترمون السنة .

قال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ :

« أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم ، وعدم إظهار حقيقة أمرهم ، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها (تسجيلات منهاج السنة)

٦- ليسوا على أساس .

قال شيخنا الدكتور/ سعد عبد الرحمن ندا (حفظه الله)الأستاذ بالجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا : « إن دعوة الإخوان باءت بالفشل ، لأن الأساس الذى بنيت عليه دعوتهم كان هشا ، فلما ساروا عليه لم يتحمل البناء ، بل انهار شيئا فشيئا ، حتى ذرته الرياح ، وكأن شيئا ما كان» أهـ

وقال : « فإن حركة الإخوان المسلمين ظهرت فى مصر فى وقت كانت عقول الهداة فى راحة من إجهاد الفكر ، وأخذت الجماعة تستقطب أجيالاً غضة ، لأنفسهم معالى الأمور ، ولا تدرك مغازيها ، ولا تستوعب ماتنطوى عليه ، واستمرت فى التركيز على كل مرحلة ، وكل مرحلة لها قدرها من الفهم ، مع إغرائهم بما يتشبثون به بالجماعة وأنشطتها ، حتى سيطرت على العباد ، ونشرت بينهم الطاعة التامة التى لا تقف أمامها معارضات أو انتقادات ـ أو ما يسمى بالطاعة العمياء- حتى جرتهم إلى التدريب والكشف . ثم انتهى الأمر بعد الصدام مع الحكومات أن أغلقت مقارها وألغيت أنشطتها ، وزج بأغلب أعضائها فى السجون ، وهرب بعض منهم إلى خارج البلاد ، وحاولوا مرات إلى إعادة تجميع أنفسهم فى دولة بعد دولة فكانوا يتجمعون تارة ويفشلون أخرى ..

ورغم كل هذه المحاولات المتابعة لم يهتد معظمهم إلى تحديد أغراضهم وتعيين أهدافهم التى يبغونها ، ومع ذلك عاشوا يعادون دعاة السلفية والداعين لعقيدة التوحيد ..

وقد قيض الله تعالى أخا سلفى العقيدة ، ونصيراً للسنة المطهرة ، أحسبه كذلك والله حسيبه ولا أزكى على الله أحدا ، وهو الشيخ على بن السيد الوصيفى ، فألف كتابا قيما بعنوان (الإخوان المسلمون) وأخذ يكشف أسرارهم التى خفيت على كثير من الناس فضلا عن أهل الدين ، وقد استخرج المؤلف كثيرا من أخطاء حركة الإخوان نشير إلى أهمهما فيما بعد ،

ولو أننا أتينا على باقى النقاط لطال القول ، ومن ثم فيغنى عن ذلك أن يركز

القارىء فى هذا الكتاب فيستوعب خلاصة النقاط وباقيها المفصلة تفصيلا جيدا كى يدخر الوقت لهضم ما قرأ . وأعود هنا إلى تلخيص أهم أخطاء الجماعة فيما يأتى :

١- فهم يهربون من النصيحة ولا يحبون مواجهة المخطىء ، وبذلك ينتشر المرض فى الأمة انتشارا واسعا ، ويتغلغل فى قلوب أبنائها ، وينهار كيانها ... وعلى أى أساس تقوم الخلافة التى يحتمون قيامها قبل كل شىء من أمر الدين ؟

أتقوم على رصيد ضخم من البدع ؟ إذن لا يضمن بقاؤها مع حشد البدع الذى يملأ أفاق الأمة .مع أن الرسول يقول : « الدين النصيحة قلنا لمن يارسول الله ؟ قال لله ، ولكتابه ، ولرسوله ، ولأئمة المسلمين ، وعامتهم ». ويبدو أن كراهيتهم لمواجهة المخطىء ونصحه ، هو خوفهم مما يزعمون من تفرق الأمة بالمواجهة ، وبث النصيحة، حتى يبقوا على حب الناس لهم .ولذا قبلوا المبتدعة ملحقين بالجماعة كمستشارين : فساهموا فى نشر البدع والخرافات فى صفوف الجماعة ، وبدأت الجماعة تنحل ، وتتخلخل قواعدها ، ويعتريها الضمور ..

٢- تقسيم الدين إلى قشور ولباب لمن دعاهم إلى السنة : وهذا تقسيم مبتدع ، لأن الدين كله لباب ليس فيه قشور ، فاللباب هو الشىء الهام الذى لا يستغنى عنه ، أما القشور فهى الغطاء لهذا اللباب ويمكن أن يستغنى عنه .

٣- التقية فى أمور الدين ، بمعنى أن يظهر المرء على لسانه خلاف ما يبطن ، وهذا ولا شك نفاق يتعامل به المرء إن أراد إخفاء حق يخشى ظهوره ـ وهذا من أخطر الأمور ، لأن الله تعالى قال : ﴿إن الله جامع المنافقين والكافرين فى جهنم جميعا﴾ [النساء. ١٤٠).

٤- دعوتهم إلى التقريب بين الشيعة وأهل السنة : والشيعة يكرهون أهل السنة كرها شديدا ، ويسبون الصحابة رضى الله عنهم ، وينتقصون من قدرهم ، كما يسبون أم المؤمنين عائشة رضى الله عنها ، ويتهمونها بارتكاب الفاحشة ، وحاشاها ذلك ، فقد برأها الله تعالى من فوق سبع سموات بقرآن يتلى إلى أن تقوم الساعة .. كما أنهم يحرفون قرآننا المجيد ، ويردون جميع الأحاديث الصحيحة التى وردت فى

صحيحى البخارى ومسلم وفى جميع كتب السنة الصحيحة بزعم أن رواتها ليسوا من نسل على بن أبى طالب وزوجته فاطمة رضى الله عنهما - فضلا عن ذلك فإنهم لا يأتمون فى صلاتهم بإمام من أهل السنة ويفضلون الصلاة فرادى - والشيعة التى يحبها الإخوان ويصادقونهم يتمنون القضاء على الدعوة السلفية وأهلها ؛ لأنها تكشف عورهم ، وتبين أساليب مكرهم وخداعهم ، لذلك رأى مؤلف هذا الكتاب أن يكشف حقيقة الصلة بين الإخوان والشيعة ويوضح الخصائص الرئيسية للدعوة السلفية ونظامها وما تحرص عليه ، ما تحبه وما تبغضه كما بين العبادة التى كان عليها السلف الصالح رضوان الله عليهم ، وحذر من البدع التى انتشرت بشكل خطير بين أولئك الذين يزعمون أنهم حريصون على تطبيق شرع الله سبحانه مهما كانت العقبات والمعوقات .

٥- حرصهم على الزعم بوحدة الكلمة واجتماع الصف فى مقابل إهمال دعوة التوحيد : مع أن دعوة التوحيد هى أساس الدين عند جميع المرسلين ، يقول تعالى : ﴿ وما أرسلنا من قبلك من رسول إلا نوحى إليه أنه لا إله إلا أنا فاعبدون ﴾ [الأنبياء. ٢٥) ويقول سبحانه : ﴿ولقد أوحى إليك وإلى الذين من قبلك لئن أشركت ليحبطن عملك ولتكونن من الخاسرين ، بل الله فاعبد وكن من الشاكرين﴾ [الزمر٦٥- ٦٦) .

وحركة الإخوان لا تقيم وزنا لعقيدة التوحيد،ولا تلقى بالا لأقسام التوحيد التى أكد عليها أهل السنة والجماعة ، وهى توحيد الربوبية ، وتوحيد الإلهية الذي يتضمن توحيد العبادة لله الواحد الأحد الفرد الصمد ، وتوحيد الأسماء الحسنى والصفات العلا ، وتوحيد المتابعة لرسولنا محمد ﷺ - هذا التوحيد الذى لا تصح عبادة الفرد إلا إذا أسست عليه ، والذي جاء به المرسلون جميعا ، والذى من أجله خُلق الخلق ، وأرسلت الرسل وأنزلت الكتب ، وخلقت الجنة والنار . هذا التوحيد الذى لا تحب حركة الإخوان الدعوة إليه ولا حتى الإشارة إليه ، بزعم أنه يفرق الأمة ، ويشتت شملها ، ولا يجمعها على كيان واحد ، ولا تسعى حركة الإخوان جاهدة إلا إلى جمع أفراد الأمة مهما كان اعتقادهم ، ولا يهمها أن يجتمع سنى مع شيعى

وصوفى ، وموحد مع مشرك ، وأشعرى مع سنى ، وخارجى مع معتزلى ، وقدرى مع مرجىء ، وملتزم بالسنة مع راد لها غير مصدق بها ، ومستمسك بالدين الحق مع مخلط فى دينه .. المهم أن يجتمع هذا الحشد الجامع مهما كانت عقائدهم واتجاهاتهم .. وهل جاء رسول الله محمد ﷺ واستمر يناضل ويكافح مدة ثلاث وعشرين سنة حتى يجمع هذا الغثاء ؟ ويوحد هذا الخليط الذى لا يكون أمة واحدة متجانسة فى بدايتها ومسيرتها ونهايتها . هل كل هذا الجهد والتعب الذى لقيه إمام الهدى محمد ﷺ والمؤمنون معه يكون مصيره هذ الجمع غير المتآلف من الناس المتنافرين فى كل شىء ، وغير المجتمعين على شىء ؟

هل هذا الجمع غير المقبول هو الذى أمر به الله تعالى ورسوله بأن يقوم على بنائه وتكوينه فى قوله تعالى : ﴿ إن هذه أمتكم أمة واحدة وأنا ربكم فاعبدون ﴾ الأنبياء. ٩٢) .

وهل جمع إمام المرسلين محمد لدعوة التوحيد أشتات الناس المتعادين المتحاربين المتخاصمين ، أم فرقهم ..؟

لقد كان الفرد قبل الإسلام يخاصم جاره أو من يتعامل معه لأوهى الأسباب ، وتنشب بينهم الحروب وتستمر قرابة المائة عام يهلك فيها الحرث والنسل ويدمر فيها الأخضر واليابس ، وبظهور هذا النبى الكريم انتهت جميع المشاحنات والخصومات والعداوات ، وأصبحوا بنعمة الله تعالى إخوانا متحابين متعاونين ، يؤثر الواحد أخاه على نفسه ولو كان به خصاصة ، نشأ هذا الإيثار الذى لا يوجد فى أى مجتمع فى العالم ، بل إن مجتمعات الناس فى هذا العصر لا تسمن ولا تغنى من جوع ولا تجمع حتى بين اثنين أو ثلاثة على أساس هذا الإيثار الرائع ، الذى لم تعرفه أمة من الأمم فتكونت به أمة محمد ﷺ ، أمة التوحيد ، ولما يسر الله عز وجل لرسولنا العظيم (والمؤمنين معه إقامة هذه الدولة أثنى عليهم فى قرآن يتلى إلى يوم القيامة فقال سبحانه :﴿كنتم خير أمة أخرجت للناس تأمرون بالمعروف وتنهون عن المنكر وتؤمنون بالله ﴾ آل عمران. ١١)

ثم أعطى الله تعالى المؤمنين وعدا صادقا إن هم حفظوا له التوحيد بعبادته وحده وعدم الإشراك به فقال سبحانه وتعالى :﴿ وعد الله الذين آمنوا منكم وعملوا الصالحات ليستخلفنهم فى الأرض كما استخلف الذين من قبلهم وليمكنن لهم دينهم الذى ارتضى لهم وليبدلنهم من بعد خوفهم أمنا يعبدوننى لا يشركون بى شيئا﴾ [النور. ٥٥) ..

ولما أمرنا به رسولنا الكريم محمد ﷺ : «الدين النصيحة .قلنا لمن ؟ قال : لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم ـ نوجه نحن السلفيين أهل السنة والجماعة أهل التوحيد الخالص والسنة المطهرة نوجه النصح إلى البقية الباقية الطامحين إلى محاولة عودة الإخوان مرة أخرى فى أى مكان على سطح الأرض أن ينصرفوا عن هذه المحاولة ، ويلفتوا أنفسهم إلى ما أمربه الله تعالى المرسلين والمؤمنين إلى دعوة التوحيد فى قوله : ﴿ولقد بعثنا فى كل أمة رسولا أن اعبدوا الله واجتنبوا الطاغوت﴾ [النحل. ٣٦) وذلك حتى يكونوا من الذين آمنوا وعملوا الصالحات لخشية ربهم كما قال تعالى : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات أولئك هم خير البرية جزاؤهم عند ربهم جنات عدن تجرى من تحتها الأنهار خالدين فيها أبدا رضى الله عنهم ورضوا عنه ذلك لمن خشى ربه﴾ [البينة ٧، ٨) .

نسأل الله جل وعلا أن يثبت قلوبنا وقلب مؤلف هذا الكتاب وقلوب الموحدين فى جميع أنحاء الأرض ، وأن يهدى قلوب المعادين لعقيدة التوحيد إليها ، والنافرين منها ، إلى الالتفات إليها والالتزام بها . كما نضرع إليه سبحانه وتعالى أن يختم لنا بعقيدة التوحيد ختام الإيمان ، إنه سبحانه على ذلك قدير ، وبإجابة ضراعتى إليه جدير.وصلى الله وسلم وبارك على عبده الكريم ورسوله الأمين محمد وعلى آله وصحبه تسليما كثيرا.

٧- خـــوارج انقلابيون

قال الشيخ حسن عبد الوهاب مرزوق .. أستاذ العقيدة فى الجامعة الإسلامية بالمدينة النبوية سابقا : « فقد طلب منى الابن الشيخ / على بن السيد الوصيفى أن أقدم لبحثه بعنوان " الإخوان المسلمون بين الابتداع الديني والإفلاس السياسي . دراسة تحليلية لتاريخ ومذاهب جماعة الإخوان المسلمين .. " والذى جمع فيه الدقة فى العلم والبحث ، وجمع المعلومات الصحيحة والاستقصاء والتحليل والاستنتاج ، وهذا والله أعلم ليس إطراءً له ، ولكنه اعتراف بالواقع من خلال قراءتى لأكثر من بحث من بحوثه فضلا عما سمعته من محاضراته ،والتى كان يلقيها فى المركز العام لأنصار السنة فى القاهرة فى شرح العقيدة الواسطية لشيخ الإسلام ابن تيمية ، وأسأل الله أن يوفقه وإيانا للعلم النافع والعمل الصالح والله حسيبنا ولا نزكى على الله أحدا.

ثم هلا تسمحوا لى معشر الإخوة والأخوات الذين يوفقون للاطلاع على هذا البحث أن أعرض لكم بعض ما مر بى من فترة من حياتى فى نفس مجال البحث ، الذى نحن بصدده ، فإن الأمر الواقع هو المرجع الأول لصحة المعلومات المطلوبة فى كل أمر بعامة وفى أمور الدين بخاصة حتى يتسنى لأهل الحنيفية السمحة أن يزنوا الأمور المعروضة بميزان الشرع ويعرضوها بكل أمانة على كل من يتحرى الإنصاف فى حكمه ، لأن القاضى العادل لا يحكم على الأمر المعروض دون أن يسمع حجة المدعى والمدعى عليه فيجنب بذلك القسطاس المستقيم. . بفضل من الله تعالى عرفنى شقيقى الأكبر فضيلة الشيخ محمد عبد الوهاب البنا بجماعة أنصار السنة المحمدية والتى كان قد انتسب إليها بعد جولات له فى الطرق الصوفية والجماعات التى كانت على الساحة كالجمعية الشرعية والإخوان المسلمين ، حيث كانت جماعة أنصار السنة المحمدية غير معروفة لدى الكثيرين لأن منهاجها مخالف لمنهاج غيرها ، والذين لا يذكرون الناس بتوحيد العبادة ، ولا يتكلمون فى توحيد الأسماء والصفات إلا بالتأويل والتعطيل والتفويض بما يخالف مذهب أهل السنة والجماعة . الفرقة الناجية إن شاء الله تعالى.. ثم التقيت ببعض شباب حركة الإخوان المسلمين ، وكنت أراهم يداومون على الصلاة ويظهرون التحمس للإسلام والغيرة عليه بصفة عامة ، وكنت أعرض عليهم منهاج دعوة أهل السنة والجماعة على النحو السابق ، كانوا يعارضونه

محتجين بأن المرشد العام للجماعة يحذرهم من هذا العرض ؛ لأنه يفرق المسلمين ويركزون دعوتهم فى ضرورة إقامة الحدود ، ويحكم الشرع عن طريق حكومة إسلامية يتطلعون إليها إن عاجلا أو آجلا ، ولو عن طريق العصيان المدنى ، ومجاهدة الحكام ، والذين يعتبرونهم كفارا أو ظالمين وفاسقين متأولين الآية الكريمة ": ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الظالمون﴾ ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الفاسقون﴾ ثم شاء الله أن أتوجه مع بعض شبيبة الإخوان لزيارة فضيلة الشيخ حسن البنا المرشد العام للجماعة (رحمه الله) بالمركز العام للجماعة بميدان الحلمية ، ووافق ذلك درس الثلاثاء الأسبوعى عندهم ، فاستمعت إليه فى وسط الهتافات والتكبيرات والتحميدات ، وكان له تأثير كبير على الجماعة ، ويعتبرون كلامه ومحاضراته وخطبه كمنهج يسيرون عليه ، فلا حظت فى كلامه حماسا ، وتطرق إلى أكثر من موضوع وكان يربط بينها وبين الإسلام بالآيات والأحاديث ، وكان خطيبا ومحاضرا لنا يستمر على ذلك ربما لوقت طويل ، ولكنه لم يتطرق إلى الصدع بالعقيدة الإسلامية الصحيحة ، فلم يذكر هذه الجموع الزاخرة بتوحيد العبادة ، وتوحيد الأسماء والصفات ، مشيرا أو قاصرا استدلالاته على توحيد الربوبية ، فكان كلامه فى الإسلام عاما ، ممكن أن يرضى به كل صوفى أو أشعرى أو معتزلى أو شيعى أو خارجي .. ولكن المسلم الذى استوعب عقيدة الفرقة الناجية لا يروى له غليلا ولا يشفى له عليلا ..

فالله تعالى جعل لنا فرقانا وسبب لنا شيوخا كانت هذه الدراسة هى شغلهم الشاغل ، والذين كانوا يتطرقون فى خطبهم ومحاضراتهم إلى كل أمور الشرع . ولكنهم لا يدعون خطبة أو محاضرة إلا ويعرجوا في كلامهم على الدعوة إلى توحيد العبادة مع توحيد الربوبية ونبذ التوسل بالموتى والتعلق بالقبور والتقليد الأعمى للآباء والشيوخ دون دليل من الكتاب أو السنة ، وكذلك توحيد الأسماء والصفات ، وبيان مذهب أهل السنة والجماعة المباين لمذاهب الفرق المخالفة لذلك من أشعرية ومعتزلة وشيعة وغيرهم ، والتى يأبى أن يتكلم فيها الإخوان المسلمون حرصا على جمع الأمة على عقائد مختلفة كما يدعون... فبقدر ما لمسنا من حماس فضيلة الشيخ وحماس الأتباع بقدر ما أقلقنى عدم التزام الجماعة الكبيرة بمذهب أهل السنة والجماعة فى

الأصول ، وكذلك بالنسبة لجريدة " الإخوان المسلمون " ومجلة الجماعة وكنت أقرأها فلم أجد فيها ما كنت آمله فى هذه الجماعة الحركية .

ولقد حدثنا إخوة من الموثوق بهم عن لقاء تم بين فضيلة الشيخ حسن البنا(رحمه الله) ومعه بعض قادة الإخوان فى مقر جماعة أنصار السنة المحمدية (١٠ حارة الرمالشة بعابدين) مع فضيلة الشيخ محمد حامد الفقى رئيس جماعة أنصار السنة المحمدية (رحمه الله) ومعه بعض إخوانه وعرض عليه الشيخ حسن البنا أمر التعاون فى الدعوة فسأله الشيخ حامد الفقى إلى أى شيء ندعو؟

قال الشيخ حسن البنا : إلى الإسلام بعامة .. قال الشيخ حامد : نبدأ أو نؤسس على التوحيد (عقيدة أهل السنة والجماعة) . فرد عليه الشيخ حسن البنا معترضا : إذن ينفض عنا الناس .. وأصر كل منهما على موقفه ثم تقابلا أكثر من مرة ولم يتفقا ، واستقل كل منهما بأسلوبه الذى دأب عليه .

هذا وإزاء ما قرأته فى هذا السفر الذى ذكرت فيه الوقائع الثابتة بأدلتها الشرعية بالمعايير الدقيقة لعقيدة أهل السنة والجماعة ، والتى اتضح منها أن فضيلة الشيخ حسن البنا لم يصرح بعقيدة أهل السنة والجماعة فى دعوته ، ولما صرح به فى مؤلفات الجماعة من عقائد أشعرية ومعتزلية وصوفية ، وفى تطبيقه للعقيدة حركيا اتبع أسلوب الخوارج ، كما يتضح ذلك فى كتب أساطين الإخوان المسلمين مثل سيد قطب وغيره ، فضلا عن نظرته إلى بقية الجماعات على الساحة وعلى رأسها جماعة أنصار السنة المحمدية ، والتى تدعو إلى عقيدة أهل السنة والجماعة أنها ليست على السبيل السوي وأن جماعته هى الجماعة الرائدة ، والتى يجب أن يسيروا تحت لوائها وإلا سوف يكونون أذيالا بعد أن كان بإمكانهم أن يكونوا رءوسا فى حركة الإخوان المسلمين ... .

وختاما : وجهت وجهى للذى فطر السموات والأرض حنيفا وما أنا من المشركين ، وبقلب خالص إن شاء الله تعالى أسأل الله أن يرينا الحق ويدلنا على أهله، وأن يوفقنا إلى محبتهم والتعاون معهم على البر والتقوى ، وأن يكون الولاء كله لله

ثم لهم والبراء يكون لكل من خالفهم فى الالتزام بعقيدة أهل السنة والجماعة.

أما ما عداها من الأمور الشرعية والتى فيها أكثر من وجه فقد اختلف فيها من هم خير منا ممن سبقونا بالإيمان ، وكل يدلى بحجته من الكتاب والسنة ، فيأخذون بالراجح ، وإذا تساوت المسائل فالمرء على السنة والأدلة الصحيحة . هذا مع اتفاقهم فى الأصول ، وكما كان على ذلك الأئمة الأربعة وغيرهم رحمهم الله . . ولا يظن ظان أننا نفرح لأخطاء المسلمين وتفرقهم ، ولكننا نسعد بتمسكهم بالكتاب والسنة على فهم السلف ، ونأسف لغير ذلك، وموقفنا كذلك مع من سبقنا نبين أخطاءهم ليتقيها من بعدهم. . ولا يسعنا إلا أن ننبه إلى هذه الثلمات والتى وقع فيها بعض السابقين وندعو لهم بالرحمة والمغفرة محسنين الظن بهم بأنهم رجعوا إلى مذهب أهل السنة والجماعة .

مع نصيحتنا للإخوة الحاضرين بالرجوع إلى منهج الفرقة الناجية (عقيدة ومنهاجا) والتعليق على ما كتب من مخالفات لمذهب أهل السنة والجماعة فى كتب السابقين والحاضرين . وحتى يجتمع الجميع بحول الله وقوته تحت لواء الإسلام إخوة متحابين متعاونين حتى يستخلفنا الله فى الأرض كما استخلف الذين من قبلنا ويمكن لنا ديننا الذى ارتضاه لنا ويبدلنا بعد خوفنا أمنا ما دمنا بعقيدة صحيحة ولا نشرك بربنا أحدا. ونسأل الله الهداية والتوفيق (اللهم آمين)

وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

٧- مفسدون فى الأرض مبغضون لأهل الحديث ..

قال فضيلة الشيخ / مجدى بن محمد بن عرفات (حفظه الله) : فإن حركة الإخوان المسلمين (سماهم شيخنا مقبل بن هادى الوادعى رحمه الله : الإخوان المفلسون) وأنا أقول : " الإخوان المفسدون " حقا يستحقون هذا الوصف . أفسدوا العقيدة بتمييعهم مسائلها ، أفسدوا السنن ببدعهم الكثيرة فى الدين ، أفسدوا الدعوة بخروجهم على الحكام ، أفسدوا فى التربية والتعليم لأنهم لم يتربوا على الكتاب والسنة بفهم سلف الأمة ، والتعليم لأنهم لم يتعلموا العلم الشرعى السلفى الصحيح

، فأفهامهم للنصوص بالمرصاد ، ولفهم السلف الصالح بالعداء ، موافقين فى ذلك أهل البدع ، من الفرق التى حكم عليها سلفنا الصالح بالزيغ ، ودربوا شبابهم على هذا المنهج معادين لأهل السنة محذرين منهم واصفين إياهم بكل قبيح ، شأن أهل البدع ، الذين يصفون أهل السنة بالحشوية ، معادين لأهل الحديث فى كل زمان ومكان ، واصفين إياهم بعدم الفقه فى الدين وعدم الفقه للواقع الأليم ـ زعموا ـ وأقول لهم كما قال الأول .

قل لمن عاند الحديث وأضحيعائبا أهله ومن يدعيه

أبعلم تقول هـــذا أبن لى   أم بجهل فالجهل خلق السفيه .

أيعاب الذين هم حفظوا الد   ين من الترهات والتمويـــــه

وإلى قولهم وما قـــد رووه   راجع كل عالـــم وفقـــيه .

وقد صح عن النبى ﷺ فى شأنهم قوله : نضر الله امرءاً سمع منا حديثا فحفظه حتى يبلغه غيره ، فرب حامل فقه إلى من هو أفقه منه ورب حامل فقه ليس بفقيه" (رواه الترمذى وأبو داود وابن ماجه وأحمد ، انظر صحيح الجامع ٦٧٦٣)

قال عنهم الخطيب البغدادى : « وقد جعل الله تعالى أهله يعني أهل الحديث أركان الشريعة وهدم بهم كل بدعة شنيعة ، فهم أمناء الله من خليقته ، والواسطة بين النبي ﷺ وأمته ، والمجتهدون في حفظ ملته ، أنوارهم زاهرة ، وفضائلهم سائرة ، وآياتهم باهرة ، ومذاهبهم ظاهرة ، وحججهم قاهرة ، وكل فئة تتحيز إلى هوى ترجع إليه ـ مثل الإخوان المفسدين- أو تستحسن رأيا تعكف عليه سوى أصحاب الحديث ، فإن الكتاب عدتهم ، والسنة حجتهم ، والرسول (فئتهم ، وإليه نسبتهم ولا يعرجون على الأهواء ، ولا يلتفتون إلى الآراء ، يقبل منهم ما رووا عن الرسول ، وهم المأمونون عليه والعدول ، حفظة الدين وخزنته ، وأوعية العلم وحملته ...الخ) (شرف أصحاب الحديث ص ٨- ٩) .

وذكر حديث النبى ﷺ : « لا تزال طائفة من أمتى ظاهرين على الحق لا يضرهم من خذلهم حتى يأتى أمر الله وهم كذلك » (متفق عليه . رواه مسلم كتاب

الإمارة ١٩٢٣) وذكر أن أصحاب الحديث هم هذه الطائفة المنصورة ، وروى ذلك عن البخارى وابن المدينى وابن المبارك وأحمد بن حنبل، وغيرهم ، ومن الناس إلا أولئك؟ ومع ذلك يبغضهم الإخوان المفسدون ويلمزونهم وينبزونهم بالألقاب لما هم عليه من الابتداع ، قال أحمدبن سنان : « ليس فى الدنيا مبتدع إلا وهو يبغض أصحاب الحديث ، فإذا ابتدع الرجل نزع حلاوة الحديث من قلبه » أهـ

قال الزهرى : لا يطلب الحديث من الرجـال إلا ذكرانها ولا يزهد فـيه إلا إناثها أهـ .

نعم : أهل الحديث همـوا أهـل رسول الله وإنلم يصحبوا نفسه أنفاسه صحبوا .

أما الإخوان المفسدون فهم بمنأى عن الحديث وأهله ، يقدمون العقل على النقل، ويرفضون السنن التى تخالف آراءهم وأهواءهم وطائفتهم ويفهمونها على غير فهم السلف الصالح رضى الله عنهم .. فإذا ذكرتهم تذكرت الصوفية وأصل فرقتهم على التصوف ، وتذكرت الشيعة وأصل فرقتهم يرون التقارب بين السنة والشيعة ـ فخطرهم على الأمة داهم ، وضررهم على صدرها جاثم .. فلذلك انبرى لكشف عوارهم وبيان زيغهم كثير من أهل العلم السابقين واللاحقين ، لأن هذا واجب من واجبات الدين ...أهـ.

الإخوان يطعنون فى الإخوان ...

لم يتفرد أئمة السلف أهل الحديث بتجريح فرقة الإخوان ، وعدها على غير السبيل ، بل شاركهم فى ذلك أساتذة متخصصون ، من أقطار متفرقة ، بل ومن فئات كثيرة من المجتمع ، باختلاف ثقافاتهم ، بل ومن أفراد كانوا منهم . ولا أظن قادة الإخوان وشبابهم سيتهمون هؤلاء جميعا بالعمالة ، بسبب ذلك . !

١- سيد قطب ...

أ- السذاجة والضعف النفسي ..

اتهم سيد قطب جميع أعلام الإخوان المسلمين بأمرين : والكلام للشيخ يوسف القرضاوى : الأول : السذاجة والبله ، ونحو ذلك مما يتصل بالقصور فى الجانب العقلي والمعرفى .. والثانى : الوهن والضعف النفسي والهزيمة النفسية أمام ضغط الواقع الغربى المعاصر وتأثير الاستشراق الماكر مما يتعلق بالجانب النفسي والخلقى .. والذين يتهمهم بذلك هم أعلام الأمة فى العلم والفقه والدعوة والفكر . وذكر مجموعة أسماء من المشاهير ، منهم :« محمد عبده .. مرورا بالشيخ محمد رشيد رضا . الخ وعد من الإخوان: « محمد البهى وحسن البنا ومصطفى السباعى ومصطفى الزرقا ومحمد المبارك وعلى الطنطاوى ومعروف الدواليبي والبهى الخولى ومحمد الغزالى وسيد سابق وغيرهم.. الخ » (آفاق عربية . ٢٩ يوليو ٢٠٠٤م)

ب- ضحالة فكرية ولين فى الدين ...

قال الدكتور / عبد العزيز كامل " عضو مكتب الإرشاد السابق " : « كانت هذه أول تجربة لسيد قطب فى اعتقاله مع الإخوان .. والاعتقال حياة كاملة ، أقرب ما يكون فيها شبها بالأشعة السينية على الإنسان وكثير من بواطننا تبدوا فى الاعتقال على ظواهرنا .. ولا شك فى أن سيد قطب صدم فى كثير مما رأى ، وفى بعض من رأى وبخاصة فى المستويات الإدارية العليا للإخوان .. ورأى الرجل فى بعضهم ضحالة فى الفكر واضطرابا ولينا فى الدين .. كان صدمة له .. ولم يكن يخفى ذلك

عندما تلاقينا.. » (مذكرات عبد العزيز كامل ص/ ٢٨، ٨٣)

٢- محمد الغزالى ....

أ- جماعة مخترقة من الماسونية العالمية ...

قال : « ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان ، ولكنى لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخترق جماعة كبيرة على النحو الذى فعلته» (من معالم الحق ص/ ٢٢٤)

ب- جبناء فى حياة حسن البنا ...

قال : « كان هؤلاء الجبناء فى حياة حسن البنا يقبلون يده ظهرا وبطنا ، فلما ولى هرعوا إلى القصر الملكى ، يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات ، ويهادنون أعضاء الحزب السعدى ، وينظرون إلينا شذرا إذا سألناهم معاتبين أو جادلناهم محاسبين» (من معالم الحق . ص/ ٢٢٢)

ت- حقوقيون فاشلون فى الإدارة ...

قال : « فإن سبعة أو ثمانية من الحقوقيين الفاشلين كانوا هم الذين يمسكون بزمام الجماعة فى عدة مجالات حساسة ، وكذلك كان الشأن فى بقية أنحاء النشاط الأخرى .. » (من معالم الحق . ص/ ٢٢٢)

ث- التنظيم الخاص كان أداة للتخريب والإرهاب .

قال محمد الغزالى : « وقد كان هؤلاء الشباب الأخفياء شرا وبيلا على الجماعة فيما بعد فقد قتل بعضهم بعضا ، وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب فى يد من لا فقه لهم فى الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام» (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامي الحديث . ص/ ٢٢٦).

ج- القادة ينتحلون طرق الأحزاب المنحلة . (!)

قال الشيخ الغزالى : « إن قيادة الإخوان الآن حريصة على الأوضاع الغامضة

والقرارات المريبة الجائرة وهي مسئولة أمام الله ثم أمام الناس عن مشاعر الحيرة والبلبلة التي تغمر قلوب الإخوان في كل مكان ، ثم هي مسئولة من قبل ومن بعد عن الخسائر التي أصابت الحركة الإسلامية في هذا العصر وعن التهم الشنيعة التي توجه للإسلام من خصومه المتربصين ، فقد صورته نزوات فرد م كما صورت هيئة الإخوان المسلمين وكأنها حزب من الأحزاب المنحلة تسود سائس وتسيرها الأهواء » (المصدر السابق . ص/ ٢٢٠) .

ح- عيون يتطاير منها الشرر ضد من يقيم الشهادة لله .

قال الغزالى : « وشهدت رجلا يفتى فى دين الله بغير علم ولا هدى ولا كتاب منير فلما قيل له اتق الله أخذته العزة بالإثم وكاد فى فورة الحماس أن يرفع العصا فى يده ويقول : إن شئتم برهانا فهذا برهاني . وشهدت إخوانا من الشباب ـ لم يهدهم علم ولم تصقلهم تجربة ـ شهدتهم يقفون على رؤوس المعارضين بعيون يتطاير منها الشرر ويريدون التحرش بكل من يريد أن يدلى بالحق ويقيم الشهادة لله »(المصدر السابق ..)

خ- يأبون الحكم بما أنزل الله على أنفسهم ..

قال الغزالى : « والرجل الذى يأبى الحكم بما أنزل الله فى خاصة نفسه وفى حدود إخوانه وأقربائه لا يتصور منه أن يحكم بما أنزل الله بين الناس ، وسيكذبه العالم كله يوم يزعم ذلك .. فاحذروا على كيانكم أيها الإخوان هذا التطاول الذى ـ إذا كره طارد العلماء المجاهدين وإذا رضى قرب المداهنين أوالقاعدين ثم ادعى بعد ذلك أنه يحكم بما أنزل الله » (من معالم الحق ص/ ٢٣٠)

٣- الهضيبي والقرضاوى..

جماعة مليئة بالنزاعات والأهواء ..

قال الدكتور القرضاوى دفاعا عن المستشار الهضيبي ، كما فى (آفاق عربية . ٩ ديسمبر ٢٠٠٤م) : « إنه لم يسع إلى قيادة الإخوان ، ولكن الإخوان هم الذين سعوا إليه ، وإن من الظلم تحميله أخطاء هيئة كبيرة مليئة بشتى النزاعات والأهواء»

أهـ ... وقد كان هذا هو نفس حكم الهضيبي فى جماعة الإخوان قبل أن ينصب مرشدا عاما عليها ، فقد قال عنهم : « إنه لا يستطيع أن يتسلم قيادة دعوة أقرب معاونيه متفرقو القلوب والأهواء ، وضرب لذلك أمثلة لا داعى لذكرها الآن » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٤٧٠)

ب- غلاة فى الحب والكره ، غير صادقين فى الحكم ..

قال القرضاوى :« وأقول بأسف : لقد كان رجال المباحث أصدق فى الحكم علينا من إخواننا الذين عرفناهم وعرفونا وعايشونا وعايشناهم » .. « وهذا ما يعاب على كثير من الإخوان : أنهم إذا أحبوا شخصا رفعوه إلى السماء السابعة ، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى» (سيرة ومسيرة . ٢/ ٧٨)

٤- أحمد رائف ...

السذاجة السياسية ..

طعن أحمد رائف فى المفهوم السياسي لحركة الإخوان فى زمن الملك فاروق ، فقال : « كان جسم الإخوان المسلمين أو البنية الأساسية لهم تعتمد على مدرسى المدارس الإلزامية والصناع بمختلف تخصصاتهم . لهذا كان الإدراك السياسي العام ضعيفا ، مع انعدام القدرة على تكوين الكوادر السياسية وقيادة الشارع المصرى من خلال تبنى مشاكله الرئيسية ..

وبوجه عام لم تمنحهم الأحداث الفرصة الكافية العادلة للتفكير والتخطيط ، وتصوروا خطأ أن طبيعة المرحلة تقتضى الحشد والجمع ورص الصفوف لجند قد لا يتبينون الخطة الكلية ، وقادة لا يعرفون غاية هذا الحشد على وجه واضح مبين .. كل هذا ترك أثره على الجماعة عندما دخلت حربا من نوع جديد لم تعهده من قبل ، واستغرقتها تفصيلات لم تكن ببالها» (الصفحات.ص/ ٢٣٦)

٥- محمد قطب ... العبث فى مواجهة السلطة .

تسبب الإخوان المسلمون فى سوريا فى مقتل ما يقرب من ثمانين إلى مائة

وعشرين ألف مسلم فى حماة .. وسيحاسبهم الله تعالى على هذا العبث . وقد اتهم محمد قطب جماعة الإخوان فى سوريا بالعبث وعدم التدبر ، فقال : « كل محاولة للصدام مع السلطة للوصول إلى الحكم عبث غير مبنى على بصيرة ولا تدبر وقمته مذبحة "حماة " نموذجا بارزا ينبغى أن تتدبره الحركة الإسلامية جيدا » (واقعنا المعاصر.ص/ ,٤٣٨ ط. ١٩٩٧م . الشروق) ..

٦- محمود عبد الحليم ...

أ- اقتفاء مبدأ ميكافيلى لمصلحة الدعوة ..

وصف محمود عبد الحليم طريقة رفض الإخوان مذكرة الصلح التى تمت بين كبراء الإخوان وبين عبد الناصر أنها كانت تسير على مبدأ " ميكافيلى " فقال : « ولكن يبدو أن إخواننا هؤلاء هذه المرة . قد استباحوا القاعدة الميكيافيلية التى تقول : إن الغاية تبرر الوسيلة فأمام ما اعتقدوا أنهم على الحق وأن طريقهم هو الطريق الأمثل لمصلحة الدعوة وعلى أساس أن التيار المضاد صار من القوة بحيث لا يستطيعون التصدى له بالأساليب المشروعة لجأوا إلى أسلوب وإن كان غير كريم إلا أنه يضمن لهم تحقيق ما يأملون » (أحداث صنعت التاريخ . ٣/ ٤١٩) .

ب - سابحون فى الأوهام ..

وصف محمود عبد الحليم إخوان القاهرة وإخوان الأقاليم على العموم بأنهم كانوا سابحين فى الأوهام ، لايدرون الأمور على حقيقتها ، قائلا : « لم يكن إخواننا هؤلاء ولا إخوان الأقاليم يتوقعون ما كنا نتوقعه من أهوال ستنصب على رؤوسنا صبا ، لأنهم حجبوا أنفسهم عن الحقائق ، ورضوا أن يعيشوا سابحين فى الأوهام ، ولم يصدقوا ما أنذرتهم به من أن أسرارنا مكشوفة لهؤلاء الناس..وأرادوا أن يفرضوا على الواقع ما تخيلوه من أوهام » (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ٤٢٥).

٧- عبد العزيز كامل ..

أ- سطحيون يسخرون من العلم والمنهجية ..

قال الدكتور / عبد العزيز كامل : « ولقد كنت دائما أدعو إخوانى وأبنائى إلى العناية بالعلم والمنهجية والتخطيط الطويل ، حتى أصبحت هذه ـ وأسفا أقولها ـ مثار دعابة ، قد تصل أحيانا إلى شيء يقرب من السخرية المهذبة ، إن كان فى السخرية تهذيب .!! وأخذت أستعيد الخطب العريضة الرنانة والقوالب المحفوظة التى يستطيع الخطيب أن يحدد أماكن الهتاف والتكبير كأنها تمثيلية معادة ، أخذت أستعيد التبسيط والتسطيح لقضايا الحياة وقضايا الإسلام ، حتى كأن الإخوان يمتلكون المفاتيح السحرية لحل قضايا العصر .. قضايا الاقتصاد تحل فى كلمات .. قضايا الاجتماع تحل فى كلمات .. المشكلات السياسية فى كلمات .

الشورى فى كلمات . هكذا بكل بساطة يمكن أن تحل قضايا الحياة !! واستطاع هذا التبسيط أن يجتذب الكثير من الشباب » ص/ ٦٩ .

ب- يظنون أن الله تعالى تعهد لهم بتصحيح أخطائهم ...

كان الإخوان يظنون من فرط جهلهم أنهم إذا وقعوا فى خطأ فلا بد أن يصحح الله خطأهم ويرد ضلالهم ـ كأن بينهم وبين الله عهدا بذلك .. وليس هذا أمرا مضمونا لهم .. فهذا أمر خاص بالأنبياء والمرسلين أن الله تعالى لا يتركهم على خطأ .. وللأمة بأكملها فلا يجمعها على ضلالة .. قال الدكتور عبد العزيز : « ولقد كان من الأعراف الفكرية عند الإخوان أن يد الله التى ترعاهم ـ قادرة على أن تحول خطأ تصرفهم إلى صواب ، نسير فى خطأ فإذا برحمة الله تتداركنا فنتحول إلى صواب ، نقصد أمرا فتوجهنا عناية الله إلى غيره هكذا كنت أسمع وسمع كثيرون غيري من الأستاذ البنا ـ رحمه الله ـ فإذا كان كل ذلك كذلك فلا داعى لتضييع كثير من الوقت والجهد فى تقليب القرار والدراسة العميقة المتأنية لملابساته ، فإننا إذا أخطأنا تكلفت عناية الله بإصلاح هذا الخطأ » (المذكرات الشخصية . ص/ ٧٠).

٨- سعيد حوى ...

أ- أصحاب الأقلام المأجورة والألسنة المسعورة ...

عندما ظهرت ثورة الخمينى فى إيران سارع الإخوان فى تأييدها ، وقام التنظيم الدولى للإخوان بزيارة الخمينى ، وهنؤوه على الثورة ، التى جعلوها المثل الوحيد للإسلام فى العالم ؛ عند ذلك قام الشيخ سعيد حوى (رحمه الله) بتحذيرهم من هذا التأييد ، ولما لم يجد تراجعا منهم عن نصرة الخمينى اتهمهم بأنهم أصحاب ألسنة مسعورة وأقلام مأجورة . وقال فى كتابه (الخمينية شذوذ فى العقائد وشذوذ فى المواقف ص/ ٥٦ (بدون اسم الدار ، ولكنه ثابت فى كتب سعيد حوى ، انظر كتاب هذه تجربتى وهذه شهادتى . ص/ ,١٥٩ ط. ١٩٨٧م) :

« وليعلم أصحاب الأقلام المأجورة والألسنة المسعورة ، الذين لا يزالون يضللون الأمة بما يكتبونه وبما يقولونه أن الله سيحاسبهم على ما ضلوا وأضلوا ، فليس لهم حجة فى أن ينصروا الخمينية ، فنصرة الخمينية خيانة لله والرسول والمؤمنين .. ألم يروا ما فعلته الخمينية وحلفاؤها بأبناء المسلمين حين تمكنوا ، ألم يعلموا بتحالفات الخمينية وأنصارها مع كل عدو للإسلام » أهـ

ب- منحرفون فى التصوف ..

قال : « إن كثيرين من أبناء دعوة الأستاذ البنا كانوا يستشعرون فراغا وخواء روحيا ، فأدى ذلك ببعضهم إلى السلوك على يد شيخ أو شيوخ لم يعرفوا حقيقة الدعوة الإسلامية المعاصرة وضرورتها فحرفوهم أو صرفوهم عن واجبات هى فى الذروة من فرائض الله فى هذا العصر » (تربيتنا الروحية . ص/ ١٣)

٩- سعد الدين صالح ...

عميد كلية أصول الدين بالزقازيق سابقا "

لا يسمعون ولا يفقهون .. قال : « إن الإخوان ليسوا على استعداد لإعمال عقولهم وتحكيم ضمائرهم فيما يوجه إليهم من أوامر ، وإذا أقيمت عليهم الحجة على أخطاء الإخوة الكبار فإنهم لا يسمعون ، وإن سمعوا تحت الإلحاح فإنهم لا يعقلون ، وإذا عقلوا واقتنعوا فإنهم لا يتكلمون ، وإن تكلموا فسوف يكون كلامهم نميمة..سيخبرون قادتهم بأنك تتحدث عن الإخوة الكبار بما يمس هيبتهم وكرامتهم . .

ويضيف قائلا : إن من المؤسف فى أمر الإخوان أن القواعد على مستوى عال من العلم والثقافة فمنهم المهندس النابغة والطبيب البارع والمحامى النابه ، ولكن حين يتعلق الأمر بما يسمى بقادة الجماعة فشعارهم : لا أرى لا أسمع . لا أتكلم» «الإخوان المسلمون إلى أين ! نقلا عن صوت الأمة. ١٦/ ٦/ ٢٠٠٣)

١٠- أبو العلا ماضي .

لا يقبلون النصيحة كأنهم معصومون .

قال فى جريدة (العربى . ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣ م) :

« التيار الإسلامي (الاسم الحركي للإخوان سابقا) مارس النفي والإقصاء والقتل ، ولا بد من نقد أنفسنا قبل أن ننقد الآخرين ، ومن هذه الزاوية فإن التيار الإسلامي لم يمارس النقد الذاتي ولا مراجعة تصرفاته ، وهى تصرفات بشر ، ولا رؤاه التى هى فهم بشرى للإسلام ، ولا يريد أن يضع نفسه أبدا فى موقع أنه أخطأ وكأنه يريد أن يعصم نفسه مثل الأنبياء» أهـ

١١- سيد عبد الستار المليجي .

أ- جماعة يقودها الصرافون وليس الدعاة .. قال الدكتور / المليجي فى رسالة غير مسبوقة لمحمد عاكف : « وجماعتنا اليوم تقاد بالصرافين وليس بالعلماء الواعظين » (جريدة الكرامة . العدد ٧٩ . ١/ ٥/ ٢٠٠٧)

ب- مذبذبون فى فهم أهداف الجماعة ..

قال : « هناك بالفعل تفاوتا في فهم الإخوان فيما يتعلق بجماعتهم وأهدافها حتى في القيادة العليا » (إسلام أون لاين . ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٧م شيرين نصر)

ت- بعض القادة مشاركون فى تلطيخ أعراض إخوانهم .

قال : « بعض القيادات العليا تشارك في تشويه صورة بعض إخوانهم دون تبرير مقبول ، ودونما أي نوع من التحقق في ظنونهم وشكوكهم ، والقيادات الوسطى للأسف الشديد تفهم خطأ المعنى المقصود من السمع والطاعة ، فيطيعون فيما أعتبره معصية ، فالإسلام يأمرنا أن تكون الطاعة مبصرة ، لاسيما عندما تتعلق بكلام عن أي واحد في الإخوان . » (إسلام أون لاين .نت . ٢٣/ ٤/ ٢٠٠٧م)

١٧- عصام تليمة ...

عاطفة مجردة من العلمية .

عندما طرح الدكتور النفيسي "فكرة حل تنظيم " الإخوان " باعتباره يمثل عبئا على الأمة الإسلامية ، هاج عليه قادة الإخوان ومفكروهم ، واتهموه بشتى التهم المعروفة ، ومن هنا اتهمهم عصام تليمة " أحد دعاة الإخوان " قائلا فى :

« المأخذ الثاني : وهو على جماعة الإخوان المسلمين ، فليس كل فكرة مهما كانت غرابتها أن تقابل بهذا السيل من العاطفة المجردة من العلمية الذي بدا من كثير من شباب الإخوان ، كان ينبغي أن يكون الرد علميا ، وأن نقول : لا مانع أن ندرسها ونرى صحتها من خطئها، إننا نحن الإسلاميين ! للأسف ، لا نعرف كيف ندير حواراتنا ، وفي أحيان كثيرة نصنع أزمة من فكرة ، هي مجرد فكرة ، ليس خطأ أن تطرح ، ولكن يأتي الخطأ في التعامل مع الطرح ، وهل كان يتوقع الإخوان الذين عاصروا حسن البنا أن يأتي يوم يتبنون فيه القبول بالأحزاب ، ومعلوم كلام حسن البنا في الأحزاب ، لو أن أحد تلامذة البنا قال هذا الكلام في عام ١٩٥٠، أو في حياة البنا لقوبل اقتراحه باستهجان واستغراب» (المصر٦٤يون . نت . ٢٤ - ٢ -٢٠٠٧م.

معروف بخيت ..

خطاب مضطرب ...

قال الأستاذ معروف البخيت " رئيس الوزراء الأردني " :

« بدايات العقد الحالي شهدت تحولات مختلفة دفعت باتجاه بروز خطاب إخواني جديد اتسم بالاضطراب والمراوحة بين التكفير والهجرة تارة والتساوق مع عناصر مشروع الإصلاح الأمريكي الموجه للمنطقة تارة أخرى » (دار الخليج .. ١٤-٥-٢٠٠٧) .

اتهامات سمو الأمير / نايف بن عبد العزيز آل سعود

لم ينتفع الإخوان من أحد قدر انتفاعهم من بلاد الحرمين ودولة الملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) فقد سعى الملك سعود إلى إصلاح العلاقة بين عبد الناصر وبين الإخوان عام ١٩٥٤م ، كما أكد على ذلك عاكف فى جريدة (الأخبار ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م) كما سعى الملك فيصل عن طريق مستشاريه إلى عمل مصالحة بين الإخوان وبين الرئيس السادات ، ترتب عليها فتح مجال الدعوة لهم فى مصر ، بعد انقطاع دام اثنين وعشرين عاما تقريبا ..

" الإخوان سبب المشاكل فى العالم الإسلامى "

قال سمو الأمير نايف بن عبد العزيز آل سعود ، وذلك فى لقائه مع جريدة (السياسة الكويتية فى ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٢م) : « مشكلاتنا كلها جاءت من الإخوان المسلمين. لقد تحملنا الكثير منهم ولسنا وحدنا الذين تحملنا منهم الكثير.إنهم سبب المشاكل في عالمنا العربي وربما في عالمنا الاسلامي، حزب الإخوان المسلمين دمر العالم العربي. .. وقال : « بحكم مسؤوليتي أقول إن الإخوان لما اشتدت عليهم الأمور، وعلقت لهم المشانق في دولهم ، لجأوا إلى المملكة فتحملتهم وصانتهم، وحفظت حياتهم بعد الله، وحفظت كرامتهم ومحارمهم وجعلتهم آمنين، وإخواننا في الدول العربية الأخرى قبلوا بهذا الوضع ، وقالوا : إنه لا يجب أن يتحركوا من المملكة ، لكن بعد بقائهم سنوات بين ظهرانينا، وجدنا أنهم يطلبون العمل، فأوجدنا لهم السبل، ففيهم مدرسون وعمداء، فتحنا أمامهم أبواب المدارس والجامعات ، لكن للأسف لم ينسوا ارتباطاتهم السابقة ، فأخذوا يجندون الناس ، وينشئون التيارات ، وأصبحوا ضد المملكة . ! » أهـ

الفصل الثاني

الخلل التربوى

فى دعوة الإخوان

الإخوان منظمة سرية

معالجات تربوية مؤسفة

بداية التربية في الفكر الإخواني:

الوصول إلى الحكم

١- فكر التحالف وحدوده

٢- تكوين حزب سياسي

٣- الانتخابات والإخوان

٤- المظاهرات

الخلل التربوى فى دعوة الإخوان

لم تكن نشأة حسن البنا نشأة سوية على منهاج أهل الحديث ، فقد نشأ فى أول أمره مع الصوفية ، فقد كان أبوه حصافيا شاذليا ،وله مؤلف فى أوراد الطريقة الرروقيه بالمسجد« تنوير الأفئدة الزكية في أذكار الوظيفة الزروقية . طبع عام ١٩٣٣م بحارة الروم بالفورية بمصر، والتقى بالشيعة وتشبع بأفكار الأفغانى . وهو على العموم لم ينتصر بأحد منهم : فالصوفية هتفوا له فى السلام ، وتخلوا عنه فى زمن المحنة ، ومظاهرات نواب صفوى كانت السبب فى حل جماعته فى زمن الثورة ، وحركة الأفغانى أسلمته للساسة والحكام ، ولم تضع له سبيلا لفض النزاع معهم .

تأثر حسن البنا بالحصافي الصوفي ..

تلقى حسن البنا العلم الصوفي على يد السيد عبد الوهاب الحصافى ، شيخ الطريقة الحصافية .. وقد أثرت النظرة الصوفية لحسن البنا فى تكوين الجانب الروحى الداعى إلى العزلة والنظر إلى النفس ، والاحتجاب عن الأغيار ، ورؤية المشاهد والمكاشفات .. والاهتمام بالذوق والتجربة على حساب العلم والدراسة .. وقد كان لهذا التصور الجانب الأكبر فى السيطرة على أتباعة ، حتى كانوا بين يديه كالموتى بين يدى المغسلين .. ومن هنا نشأ الجانب التنظيمى الذى يتعلق بالإمام تعلق الباطنية ... طاعة تامة واستجابة فورية .. والنظرة الصوفية تدعم جانب التقية كما يدعمها الاتجاه الشيعى .. ذلك لأنها تعتمد على الجانب الإشاري فى تفسير الدين والحياة .. والجانب الإشارى لا يخضع لقواعد علمية شرعية .. وهذا سر تصادمها مع الواقع الإسلامي ؛ ومن أجل ذلك دعا ابن عربي أتباعه إلى إخفاء كل مايتعلق بعلم الحقيقة والأسرار عن دارسى علم الشريعة والرسوم ..وقد أثبت حسن البنا مصاحبته للصوفية بقوله : « وصحبت الإخوان الحصافية بدمنهور، وواظبت على الحضرة فى مسجد التوبة كل يوم سبت - تلقيت الحصافية عنه - ، وأذنني بأورادها ووظائفها» (مذكرات الدعوة والداعية . ص/ ٢٧)

وصحب أيضا الإخوان الختمية المرغنية ، واحتفل بهم وزكاهم عام ١٩٤٨هـ ، وذلك فى آخر أيامه ، مع ما هو معروف عن تلك الطائفة من الوقوع فى الشرك ، والابتداع فى الدين ، والغلو فى الصالحين ، فضلا عن قولهم بوحدة الوجود .. فقد أنشأ الشيخ المرغني طريقته من عدة طرق صوفية ، هى : الجنيدية والقادرية والشاذلية والنقشبندية .. جمعت كل أنواع الضلال . الأمر الذى يدفع أى موحد يعرف دين الأنبياء والمرسلين أن يحذر منهم ، لكنه لم يفعل ذلك ، وإنما خطب فيهم وزكى قلوبهم ، وجعلهم أعلام العرب والجهاد ، وأكد أنهم شاركوا فى تأسيس دعوته . فقال :« إن دار الإخوان لتسعد وتأنس أعظم الإيناس إذ تستقبل هذه القلوب الطاهرة والنفوس الكريمة أعلام الجهاد وأبطال العروبة . ثم قال مبررا هذه الحفاوة : ولكنه دين قديم منذ نشأت هذه الدعوة بالإسماعيلية ، فقد كان أول أنصارها والمجاهدون لتركيزها الإخوان الختمية الميرغنية » (فى قافلة الإخوان .ص/ ٢٠٢) وكان يمارس رياضات ومجاهدات الصوفية ويعيش أحوالهم ، وقال بشأن ذلك :

« وكنا فى كثير من أيام الجمع التى يتصادف أن نقضيها فى دمنهور ، نقترح رحلة لزيارة أحد الأولياء القريبين من دمنهور» (مذكرات الدعوة والداعية . ص/ ٣٣) وتعبد بأوراد مشايخ الطرق باختلاف صورهم .. ونقلها فى كتابه " المناجاة " .. وأكثر من ذلك فقد نقل من كتاب " نهج البلاغة " المنسوب لعلى بن أبى طالب (رضى الله عنه) ، والذى ألفه الشريف الرضى الرافضي . دعاء الطريقة التيجانية ، وعلمه أصحابه ، ودعاهم أن يرددوه بنفس الهيئة السابقة ، وفيه : « اللهم داحى المدحوات وداعم المسموكات وجابل القلوب على فطرتها شقيها وسعيدها ، اجعل شرائف صلواتك ونوامى بركاتك على محمد عبدك ورسولك الخاتم لما سبق والفاتح لما انغلق والمعلن الحق بالحق » (المناجاة ص/ ٤٤ , دار الطباعة والنشر ١٩٩٢م . رقم الإيداع . ٣٢٦٧).

وقال شعرا يوهم القول بوحدة الوجود ،على طريقة ابن عربي والحلاج ، جاء فيه :

الله قل وذر الـوجود وما حـــوى   إن كنت مرتادا بلوغ كمالي

فالــكل دون الله إن حققته عدم   على التفصيل والإجمـــالي.

(حسن البنا بأقلام تلامذته . ص٧٠-٧١)

وكان يردد أشعار ابن الفارض .. وهو أحد دعاة وحدة الوجود ، التي ينتسب إليها ملاحدة الصوفية ، الحاقدين على الإسلام والمسلمين . قال محمود عبد الحليم : وكان ـ حسن البنا – كثيرا ما يردد قول ابن الفارض :

ولا تك ممن طيشته طروسه (!)   بحيث استقلت عقله واستبدت

فإن وراء العقل علما يجل عن   مدارك غايات العقول السليمة

(أحداث صنعت التاريخ . ١/ ٢٠٨) .

وقد قصد ابن الفارض بهذا الشعر ذم العلم والشرع ، ليحصر النفس فى تلقى العلوم عنه .. وهذا هو مقصده من الغيب ، الذى أراد به وحد الوجود .. وهو الإيمان بأن الطبيعة هى عين الله .. والكل عنده شيء واحد فلا غيرية ولا فرق .. وكان ابن الفارض يرى نفسه حقيقة الغيب التى تفيض على نفسه وعلى غيره ، ولم ير لله تعالى ملكا ولا سلطانا ولا عفوا وغفرانا .. ولم يفرق بين داع ولا مدعو ..ولا بين خالق ولا مخلوق.ويؤكد ذلك البيت الذى يلي هذه الأبيات التى تلاها حسن البنا لصاحبه ، وفيه قال :

ولا تك ممن طيشته دروســه !.. بحيث استقلت عقله فاستقــرت

فثم وراء النقل علم يدق عن ... مدارك غايات العقول السليمـة

تلقيته عني ومني أخذتـــــه ...ونفسي كانت من عطائي ممدتي

إلى أن قال :

ولا تحسبن الأمر عني خارجـــا ... فما ساد إلا داخل في عبودتي

ولولاي لم يوجد وجود ولم يكن ... شهود ولم تعهد عهود بذمة ..

فدقق النظر فيما قال ابن الفارض .. لتعلم أن حسن البنا كان يردد ما لا يدرك حقيقته ومنتهاه ...

وقد كان هذا التخبط وكانت تلك الصحبة الفاسدة سببا فى حرص حسن البنا على استيعاب جميع الطوائف الصوفية إليه ، وعدم الدخول معها فى نزاعات عقائدية أو غير عقائدية .. وقد أكد على ذلك بقوله : « ولكن الحق أنني لم أكن متحمسا لنشر الدعوة على أنها طريق خاص لأسباب أهمها : أنني لا أريد الدخول فى خصومة مع أبناء الطرق الأخرى » (مذكرات الدعوة . ص/ ٧١ دار الشهاب) .

تأثر حسن البنا بنواب صفوي الرافضي وإخوانه ...

كان نواب صفوى الشيعي الرافضى من جملة رفقاء حسن البنا فى دعوته ، و كان محاضرا فى المركز العام لجماعة الإخوان فى لقاء الثلاثاء .. وكانت دعوته قائمة على التهييج والإثارة .. ومن أبرز الملامح الدالة على ذلك أنه كان يدفع طلبة الجامعة من الإخوان وغيرهم إلى التظاهر والثورة على الأوضاع السياسية .. وقد استمرت جهود صفوى مع الإخوان ، إلى ما بعد الثورة المصرية .. قال القرضاوي: «.. ذلك أن طلبة الإخوان فى جامعة القاهرة أرادوا الاحتفال بشهداء الجامعة شاهين والمنيسي وغانم ، ودعوا الزعيم الإيراني المعروف (نواب صفوي) أحد المعارضين لطغيان الشاه زعيم حركة (فدائيان إسلام) الشهيرة » (سيرة ومسيرة ٢/ ٣٩) .. وقد أكد الأستاذ / سالم البهنساوي على وحدة المناهج بين الإخوان وبين الشيعة ، قائلا : « منذ أن تكونت جماعة التقريب بين المذاهب الإسلامية والتي ساهم فيها الإمام البنا والإمام القمي والتعاون قائم بين الإخوان المسلمين والشيعة وقد أدى ذلك إلى زيارة الإمام نواب صفوي سنة ١٩٤٥م للقاهرة "

وقال فى نفس الصفحة : " ولا غرو في ذلك فمناهج الجماعتين تؤدي إلى هذا التعاون » (السنة المفترى عليها.ص. ٥٧)

وقد أكد من جهته نواب صفوى أن الإخوان والشيعة شيء واحد .. وقال أمام الدكتور مصطفى السباعى ، الذى اشتكى له تصرف بعض شباب الشيعة فى

الانضواء تحت لواء الحركات العلمانية والقومية وتركهم الإخوان : « من أراد أن يكون جعفريا حقيقيا فلينضم إلى صفوف الإخوان المسلمين » (موقف علماء المسلمين من الشيعة لعز الدين إبراهيم ص/ ١٥ . ط. سبهر ١٤٠٦هـ) ..

واعترافا بالجميل كان الإخوان يحتفلون بذكرى وفاة نواب صفوى كل عام .! قال التلمساني : « كان طلبة الإخوان يحتفلون بذكرى نواب صفوي رئيس جمعية فدائيان إسلام الشيعية في إيران » (ذكريات لا مذكرات . ص ١٣١) ...

ومما يؤكد حقيقة ولاء الإخوان للشيعة أن عبد الرحمن البنا أخى حسن البنا كان شيعيا غاليا فى التشيع ، ولم يعاتبه حسن البنا فى ذلك ..

قال محمود عبد الحليم : « وأما الأستاذ عبد الرحمن الساعاتى بما كان يغلب عليه من تشيع لأهل البيت رضوان الله عليهم ومن مغالاة فى هذا التشيع ، فإنه رأى نفسه واشقاؤه وبعض أهله وعشيرته أحق الناس بمكان أخيه وشقيقه فى الدعوة...» (أحداث صنعت التاريخ ٢/ ٤٤٦)

ولم تكن لقاءات حسن البنا لقاءات دعوة ومناظرة ، كعادة أهل السنة مع المخالفين ، إنما كانت لقاءات تقريب وتلبيس .. قال التلمسانى : « ولم تفتر علاقة الإخوان بزعماء الشيعة ، فاتصلوا بآية الله الكاشانى ، واستضافوا فى مصر نواب صفوى ، كل هذا فعله الإخوان لا ليحملوا الشيعة على ترك مذهبهم ! ولكنهم فعلوه لغرض نبيل يعدو إليه إسلامهم وهو التقريب بين المذاهب الإسلامية» (مجلة الدعوة عدد ١٠٥ . يوليو ١٩٨٥) ولم يكن صفوى بمفرده الذى كان ينزل ضيفا على الإخوان فقد كان تقى الدين القمى كذلك .

قال التلمساني فى كتابه (ذكريات لا مذكرات . ٢٤٩-٢٥٠) : « وفي الأربعينات على ما أذكر كان السيد القمي ـ وهو شيعي المذهب ـ ينزل ضيفًا على الإخوان في المركز العام ، ووقتها كان الإمام الشهيد يعمل جادا على التقريب بين المذاهب ، حتى لا يتخذ أعداء الإسلام الفرقة بني المذاهب منفذا يعملون من خلاله على تمزيق الوحدة الإسلامية .. » أهـ

وقد أثر هذا المفهوم على فكر التلمسانى ، حتى كتب مقالا فى مجلة(المختار الإخوانية) بعنوان : (لا سنة ولا شيعة مسلمون أولا) وقد كان هذا عنوانا لمجلة المختار الإسلامى عدد ٣٧ محرم وصفر ,١٤٠٦سبتمبر وأكتوبر١٩٨٥م . كأنه كان يظن أن الإسلام يصلح بسب الصحابة (رضى الله عنهم) وإنكار القدر وإنكار الصفات الربانية وإنكار السنة النبوية .. والسنة وحى كالقرآن ، وحاجة القرآن إلى السنة أعظم من حاجة السنة إلى القرآن ، كما قال علماء السلف ؛ وذلك لأن السنة مفسرة ومبينة للقرآن ، وطرح السنة طرح للقرآن وللإسلام بالكلية .. والطعن فى الصحابة طعن فى الإسلام والشريعة بالضرورة .. فلا تعجب إذن من دفاع الإخوان عن الشيعة الروافض ، فإنهم فى الحقيقة يدافعون عن أنفسهم .. نفس التنظيم ونفس الفكرة ونفس المنهج .. بل ونفس المعتقد .. فالإخوان هم الشيعة ، والشيعة هم الإخوان .. فليس بينهما خصومة .. وإذا كان حسن البنا ليس له خصومة مع اليهود – الذين يسبون الله تعالى ويكذبون رسوله محمدا ﷺ – فكيف يكون بينه وبين الشيعة الذين ينكرون صفات الله ، ويقولون بالبداء والرجعة والوصية والعصمة ، ويسبون صحابة رسول الله ﷺ ويكفرونهم خصومة دينية ؟

قال محمد عاكف فى جريدة الوفد المصرية : « الإخوان يتفقون مع الطوائف الرئيسة للشيعة " الجعفرية والإثنا عشرية والزيدية" في العقيدة ، أما الاختلاف فلا يكون إلا في الفروع فقط»(إخوان أون لاين نت . ٨/ /٢٠٠٦) و قال :

« فالمذاهب السنية والمذاهب الشيعية كلها مذاهب معتبرة تقود إلى الجنة إن شاء الله حينما يحترمها الإنسان » (الجزيرة . نت ٣/ ١٠/ ٢٠٠٤م) ...

والظاهر أن الأستاذ/ عاكف لا يدرى شيئا عن معتقدات الشيعة .. فطوائف الشيعة عياذا بالله تعالى تدعو إلى النار ولا تدعو إلى الجنة..

ولا عجب من توجهات الإخوان تجاه الشيعة ومؤمراتهم فى العالم الإسلامي . فالإخوان فى أفغانستان دخلوا كابل بقيادة عبد رب الرسول سياف تحت ستار النيران الأميركية ، بالتعاون مع قوات التحالف الشمالى الشيعى المدرب فى إيران ...

واشتركوا مع الشيعة فى أول مجلس حكم انتقالى فى العراق تحت قيادة بول بريمر الأمريكى .. ولا يخفى أن الاتجاهات السياسية الشيعية الإيرانية والسورية النصيرية واتجاهات حزب الله الشيعى فى لبنان والحوثيين فى اليمن .. كل هذا يلتقى مع اتجاهات الإخوان فى مصر ، فما يتظاهر به هؤلاء يتظهر به أولئك .. وإذا كان تصريح محمد حبيب نائب المرشد العام قد قلل من خطر المد الشيعى فى العالم الإسلامي .. فإن المرشد العام للإخوان فى مصر محمد عاكف قد صرح لجريدة النهار الكويتية فى ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨م أنه لا يمانع من انتشار التشيع فى العالم الإسلامي .. قائلا : « وفيما يخص المد الشيعي أرى أنه لامانع في ذلك ، فعندنا ٥٦ دولة في منظمة المؤتمر الاسلامي سنية ، فلماذا التخوف من إيران وهي الدولة الوحيدة في العالم الشيعية ، أليس حسن نصر الله شيعيا، ألم يؤيده الناس في حربه ضد إسرائيل في صيف ٢٠٠٦ » (النهار الكويتية . ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٨ عدد ٤٧٠) .

وهذا التصريح يضع مرشد الإخوان بجوار نصير الدين الطوسي وصاحبه محمد بن المؤيد العلقمى الذى راسل جنكيزخان ملك التتار وفتح له المجال لاحتلال العراق وتقتيل أهلها والقضاء على الخلافة العباسية . وهذا يفتح الباب للفرس ليقضوا على العالم العربي والإسلامي .. عامله الله بما يستحق .

وقد ظهر ولاء الإخوان للشيعة فى أعلى درجاته عند قيام الثورة الخمينية . قال يوسف القرضاوي : « وفى إيران حيث يكون الشيعة الإثنا عشرية أغلبية الشعب انطلقت حركة (الإمام الخميني) التي تقوم على ولاية الفقيه بدلاً من انتظار الإمام الغائب ، ونيابة عنه ، فقاوم طغيان الشاه وفساده ، وأوذي في سبيل ذلك ما أوذي .. الخ » (أمتنا بين قرنين : ص ٧٢ .ط) .

وقد أكد القرضاوى عمق تأثر الحركة الخمينية فى إيران والحركة الترابية فى السودان بفكر الإخوان ، قائلا فى كتابه (الإخوان المسلمون ٧٠ عام.ص/ ٢٩٦: «وتأثير الحركة الإسلامية فى هاتين الحكومتين لا ينكر» أهـ ..

وقال الأستاذ المودودي : « إن ثورة الخميني ثورة إسلامية ، والقائمون عليها

هم جماعة إسلامية ، وشباب تلقوا التربية الإسلامية في الحركات الإسلامية . وعلى جميع المسلمين عامّة ، والحركات الإسلامية خاصّة : أن تؤيد هذه الثورة كل التأييد، وتتعاون معها في جميع المجالات» (مجلة الدعوة عدد ٣٩ ـ ١٩٧٩م)

وقال الأستاذ فتحي يكن : « وفي التاريخ الإسلامي القريب شاهد على ما نقول ألا وهو تجربة الثورة الإسلامية في إيران ، هذه التجربة التي هبت لمحاربتها وإجهاضها كل قوى الأرض الكافرة ولا تزال ، بسبب أنها إسلامية وأنها لا شرقية ولا غربية » (أبجديات التصور الحركي للعمل الإسلامي . ص / ١٤٨) .

ومن أجل ذلك « دعا التنظيم الدولي للإخوان المسلمين قيادات الحركة الإسلامية ... إلى اجتماع أسفر عن تكوين وفد توجه إلى طهران على طائرة خاصة وقابل الإمام آية الله الخميني لتأكيد تضامن الحركات الإسلامية الممثلة في الوفد كافة » (مجلة المجتمع الكويتية . ٤٣٤ . ٢٥/ ٢/ ١٩٧٩م) .

وقد اعترض الإمام العلامة محمد ناصر الدين الألبانى على الإخوان عامة والتنظيم الدولى خاصة فى معاونة الشيعة الروافض فى إقامة دولتهم وتقوية ثورتهم ، قائلا : « إن عجبي لاينتهى من أناس يدعون أنهم من أهل السنة والجماعة يتعاونون مع الخمينيين فى إقامة دولتهم ، والتمكن لهم فى أرض المسلمين جاهلين أو متجاهلين عما هم فيه من الكفر والضلال والفساد فى الأرض ﴿والله لا يحب الفساد﴾ فإن كان عذرهم جهلهم بعقائدهم ، وزعمهم أن الخلاف بيننا وبينهم إنما هو خلاف فى الفروع وليس فى الأصول فما عذرهم بعد أن نشروا كتيبهم " الحكومة الإسلامية" وطبعوه عدة طبعات ..ونشروه فى العالم الإسلامى وفيه من الكفريات ما جاء.. مما يكفى أن يتعلم الجاهل ويستيقظ الغافل !! (٢٦/ ١٢/ ١٤٠٧هـ)

وقد شهد جمع كبير من علماء السنة بكفر الخميني وخروجه عن ملة الإسلام بما يدل على أن ثورته لم تكن ثورة إسلامية ، وأن تأييد الإخوان لها كان تأييدا للمجوسية والفارسية ، ولم يكن لله ولا لرسوله ولا للمؤمنين ، كما قرر المؤتمر الإسلامى الثالث لرابطة العالم الإسلامي المنعقد فى مكة المكرمة ، كما فى مجلة

(التضامن الإسلامي عدد ربيع أول ١٤٠٨هـ) : « لقد تبين للمشاركين في المؤتمر، أن الخميني داعية ضلال، جر على المسلمين من المصائب والفتن، ما مزق الشمل، وأن منهجه خارج على الإسلام وتعاليمه، ويشكل خطورة على أمة الإسلام، لذا فإنهم يطلبون الحكام والمنظمات ، والشعوب الإسلامية، بمقاطعته على مختلف المستويات، والتصدي لتحركاته على الساحة الإسلامية» أهـ

وأخير : فبعد أن كان القرضاوي متأثرا بدعوة التقريب التى أسسها حسن البنا ، مناديا بـ : « عدم الاستماع إلى الدعوات التي تمزق الأمة الإسلامية من خلال تسميات متعددة خاصة فرض واقع السنة والشيعة . وتابع قائلا : « ولذا فإن بعض الخلافات البسيطة لا يجوز أن تفرق الأمة ، التي هي أحوج ما تكون للوحدة في حالات الشدة واجتماع الأعداء علينا وفي ظروف الخطر حيث نواجه معركة عسكرية وسياسية وثقافية » (إسلام أون لاين . ١١- ٥ - ٢٠٠٥ م)

انقلب على فكر التقريب وحذر من انتشار التشيع فى العالم الإسلامي خاصة فى فلسطين ، وقال : « لا يمكن أن يحدث تقريب بين من يقول عمر بين الخطاب (رضي الله عنه) ، ومن يقول عمر بين الخطاب (لعنه الله) .. أو من يقول عائشة (رضي الله عنها) ، ومن يلعنها ويلصق بها أبشع التهم » .

وقال "التبشير الشيعي هـو أمر مبرمج وترصد له ميزانيات وله برامجه العملية ". واستنكر امتداد التبشير الشيعي إلى فلسطين ، معتبرا إياه فتنة أخرى تضاف إلى ما يعانيه الفلسطينيون من محن » (إسلام أون لاين نت ٣ محرم ١٤٢٧ هـ) .

تأثر حسن البنا بالأفغاني ..

وإذا كان حسن البنا قد تأثر بفكر نواب صفوى الشيعى الرافضى حتى دعاه إلى التجاوز عن الخلافات التى بين أهل السنة وبين الشيعة مع شدتها وقوتها فتأثره بدعوة جمال الدين الأفغانى الإيرانى الشيعي البابى الذى دخل مصر فى مارس ١٨٧١م فى عهد الخديوى إسماعيل .. أشد .. فقد ولد حسن البنا فى أجواء دعوة الأفغانى وتلامذته. . وقد أثبت محمود عبد الحليم عظم تأثر حسن البنا بدعوة الأفغانى ، فقال : « دعوة الإخوان استوعبت الدعوتين (دعوة جمال الدين الأفغانى ودعوة السنوسية) وزادت عليهما بنظام أشمل ، وقيادة أشد إحكاما وأبعد نظرا » (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ٦٠٦)

وقد أكد حسن البنا بنفسه تأثره بدعوة جمال الدين الأفغاني ، وذلك بمدحه وثنائه عليه فى كتابه " مذكرات الدعوة والداعية . ص/ ١٤١" فقال بعد أن بين أهمية المنهج والزعامة فى بناء الأمم : « على هذه القواعد بنى مصطفى كامل وفريد ومن قبلهما جمال الدين والشيخ محمد عبده نهضة مصر ، ولو سارت فى طريقها هذا ولم تنحرف عنه لوصلت إلى بغيتها أو على الأقل لتقدمت ولم تتقهقر وكسبت ولم تخسر» أهـ

وقد كان الأفغاني أحد عتاة الروافض البابية ، وكان يرى النبوة مكتسبة ، وكان يدعو إلى دمج الأديان .. وقد حكم عليه معاصروه بالإلحاد . قـال أحمد أمين فى كتابـه (زعماء الإصلاح فى العصر الحديث ص/ ١١٠) :

« فاتهموه بالإلحاد لهذا وشنعوا عليه بأنه يقول بأن النبوة صناعة وشغبوا عليه حتى نصح له بالخروج من الأستانة ، فلما جاء إلى مصر اتهمه العلماء كالشيخ عليش وبعض العامة بالإلحاد » أهـ

وقال الدكتور محمد عمارة فى " الأعمال الكاملة . ص/ ٢٣ " :

« كتب أبو الهدى الصيادي إلى الشيخ رشيد رضا مهاجما ترديد المنار لأفكار

الأفغاني ، قال :« إني أرى جريدتك طافحة بشقائق المتأفغن جمال الدين الملفقة ، وقد ثبت فى دوائر الدولة رسميا أنه مازندرانى (بابى) من أجلاف الشيعة ، وهو مارق من الدين كما مرق السهم من الرمية » أهـ

قلت : والبابية كما فى (الموسوعة الميسرة . ص/ ٦٣) حركة باطنية نشأت سنة ١٢٦٠هـ ١٨٤٤م تحت رعاية الاستعمار الروسى واليهودية العالمية والاستعمار الإنجليزى بهدف إفساد العقيدة الإسلامية وتفكيك وحدة المسلمين وصرفهم عن قضاياهم الرئيسية .أما معتقداتهم فهى :

١-يعتقد البهائيون أن الباب هو الذى خلق كل شيء بكلمته وهو المبدأ الذى ظهرت عنه جميع الأشياء ...

٢ - يقولون بالحلول والاتحاد .

٣-يقولون بتناسخ الأرواح وخلود الكائنات . . الخ » أهـ .

وقد كان الأفغانى كما حكى المؤرخون عنه متلونا مع كل مذهب ومع كل معتقد ومع كل جنس ، يلبس ثياب الشيعة إذا عاش معهم ، والعرب إذا جاورهم ، له ألقاب متعددة . فهو أفغانى وحسيني وطوسى وأسدابادى .. له أفكار مختلطة ، وله خطط واسعة .. ولا يخفى انتماؤه للمحفل الماسونى الفرنسي واختياره رئيسا عاما له فى مصر عام ١٨٧٨م .

ومع ذلك فقد كان حسن البنا يراه مصلحا مجددا ، لو سارت خطته فى طريقها ولم تنحرف لوصلت إلى بغيتها .. والبصير بفكر حسن البنا لن يعيا فى الوصول إلى معرفة العلاقة التى جمعت بين حسن البنا وبين الأفغاني .. فهما يشتركان فى تهييج العامة على ولاة الأمور ، والسعى الدءوب فى ذبذبة الواقع ، لتحقيق مكاسب سياسية .. فقد كان الأفغانى بارعا فى ذلك ..

قال رشيد الذوادي في كتابه (رواد الإصلاح . ص ٩٩) : « ويكفي الأفغاني فخرا وشرفا أنه كان ملهم الثورات ، وداعية سياسي قدير ، لم يشأ أن يذعن لرجالات الحكم العاجزين على تطوير شعوبهم ، بل استنكر تصرفاتهم المخزية وأعلنها حربا

عليهم .. خطب مرة في الإسكندرية قبل خلع الخديوي إسماعيل عام ١٨٧٩م فقال : « أنت أيها الفلاح المسكين تشق قلب الأرض لتنبت ما تسد به الرمق وتقيم أود العيال، فلم لا تشق قلب ظالمك؟

لماذا لا تشق قلب الذين يأكلون ثمرة أتعابك » ..أهـ

وقال أيضا (ص ٩٦) : « وواصل الأفغاني ثورته على الأوضاع المتعفنة في مصر، فترصدته الأسماع ؛ وأخيرا لم يعد بإمكان الخديوي توفيق باشا أن يتغاضى عن أقواله ونشاطاته ، فاستدعاه إلى قصر عابدين ليؤنبه قائلا:

« إني أحب كل المصريين، وإن دروسكم وأقوالكم المهيجة ستؤدي بالشعب والبلاد إلى التهلكة ". فأجابه الأفغاني بكل لطف : إن الشعب المصري فيه الخامل والجاهل والعاقل ، وإذا قبلتم نصحي وأسرعتم لإشراك الأمة في حكم البلاد فتأمرون بإجراء انتخاب نواب عن الأمة تسن القوانين ، فإن ذلك أثبت لعرشكم وأدوم لسلطانكم » أهـ

فقد كانت دعوة الأفغانى دعوة سياسية ، قائمة على استغلال الأوضاع وإبراز المظالم ، والمتاجرة بها ، ومخاطبة الولاة والسلاطين مجاهرة بغير حياء ، وتأليب العامة والفلاحين ، والدعوة إلى التهييج والإثارة ، من خلال الجمعيات الأهلية والصحف والمؤتمرات الجماهيرية ..

وقد صادف ذلك هوى فى نفس حسن البنا .. وذلك فى أوائل الأربعينات ، حيث بدأ ينقل دعوته من إطار النظام التربوى الدعوى إلى النظام الحركي ، وبدأ يظهر على الساحة السياسية . وبدأ يهتم بالانتخابات النيابية ، ومخاطبة الملك والوزراء مخاطبة مباشرة ، من خلال رسائله ، التى كان يوجهها إليهم من خلال جريدة الشهاب والإخوان والنذير والدعوة . الخ ...

وبعد أن كان لا يحضر دروس الثلاثاء إلا قلة قلية لا تزيد عن عدد أصابع اليد، ابتداء من نشأة جماعته عام ١٩٢٨ حتى عام ١٩٣٦م ، تضاعف المنتسبون إليه ، وبدأ يفتخر بالأعداد الهائلة التى انضمت إليه ، وبدأ يهدد الدولة بها ، قائلا :

«ونحن الآن وقد اشتد ساعد الدعوة وصلب عودها وأصبحت تستطيع أن توجه ولا توجه وأن تؤثر ولا تتأثر نهيب بالكبراء والأعيان والهيئات والأحزاب أن ينضموا إلينا وأن يسلكوا سبيلنا وأن يعملوا معنا » (رسالة المؤتمر الخامس . ص / ١٧٨) .

وقد تأثر بحركة الأفغانى الثورية حركات كثيرة فى مصر والعالم والعربي ، وكتاب كثيرون وأئمة . وكان من آثار تلك الحركات زعزعة الاستقرار وتهييج المجتمع المصري ، حتى دخل الانجليز مصر عام ١٨٨١م ، ولم يستطع أحمد عرابى أن يردهم ، واستمر الإنجليز فى مصر إلى أن خرجوا منها على يد الرئيس عبد الناصر فى أكتوبر ١٩٥٤م .

الإخوان منظمة سرية ...

تعد جماعة الإخون من أكبر المنظمات السرية فى العالم الإسلامي . ونظام الأسر فى دعوة الإخوان نظام سري مجهول لا يعرف أهله ، ولا يأمن المرء فيه على نفسه من الغواية ، ففيه تقع الفتن ، ولا يعرف من الذى أوقعها ، فتجد الشاب يتحمل ما لا يعلمه ، ويسأل فيما يجهله .. فهناك أسر تنظيمية ، وأخري دعوية ، وأسر خاصة بالدعاية والتشنيع ، وأسر خاصة بجمع الأخبار والأسرار والتجسس على العامة والخاصة .. وكل أسرة لا تعرف شيئا عن الأخري .. وقد تقترف أسرة من الأسر عملا فتنكره الأخرى ، وهى لا تدري أن الأمر قد صدر من المرشد أو النائب إلى تلك الأسرة ، كى تقوم بهذا العمل القبيح ، لمصلحة الدعوة .. وليقع الناس في الحيرة .. هل هذا مراد للجماعة أم غير مراد .؟ هل هذا يعبر عن رأى الجماعة أم لا يعبر ؟ وبين السطور مقاصد ورسائل لا يدركها إلا من خطط لها .. وأمر المرشد أكبر من تلك العقول ، والواجب السمع والطاعة .

فكرة التنظيم السري ..

من خلال استقراء المنهج العملى فى المنظمات الشيوعية والتشكيلات الحزبية والحركات الرافضية استطاع حسن البنا أن يستنبط فكرة التنظيم والخلايا السرية ، ويبلورها فى العمل الإسلامي لأول مرة فى تاريخ الإسلام .. وقد شهد بذلك الأستاذ / عصام تليمة ، قائلا : « .. حسن البنا نفسه.. استفاد من تشكيلات الشيوعيين وغير الإسلاميين في تشكيلات الإخوان المسلمين، وهي نظام الأسر في الإخوان، والخلايا في الشيوعيين، واستفاد من تجربة النظام الخاص (التنظيم السري) من بقية الأحزاب المصرية في هذا الوقت » (المصريون.نت . ٢٤ - ٢٠٠٧م) .

وقد بين الأستاذ / عبد العزيز كامل أن نظام البيعة فى دعوة الإخوان مقتبس من الهيئات الماسونية .. فقال :

« بل تستطيع القول إن هذا الإسلوب كان أقرب إلى النظام الماسونى أو

الجماعات السرية التى أفرزتها عهود التآمر منها إلى عهود الصفاء والنقاء الإسلامى الأول » (مذكرات عبد العزيز كامل .ص/ ٥٧)

وقال الدكتور / مصطفى غلوش " الأستاذ بالأزهر": « الإخوان لهم تنظيم يشبه التنظيم الشيعى ، ولهم أهداف براجماتية أو نفعية بحتة ، والإسلام لا يعرف ما يسمى بالتنظيم ، ولو كانت هذه الجماعة تنظيما إسلاميا لأخذ به الأزهر من ألف عام»(الأخبار ٣ / ١٢/ ٢٠٠٥م)

وقد سيطر الفكر السري على دعوة الإخوان منذ نشأتها إلى الآن . قال أبو العلا ماضي : « النظام الخاص موجود برجاله المسيطرين على مفاتيح القرار وعلى التشكيل وعلى صياغة العقلية الجديدة ، لدرجة أنه بدأت الآن تتولد مجموعات من أجيال لاحقة تفكر بنفس الطريقة »(العربي. ٣٠ مايو ٢٠٠٤م)

فالسرية سمة غالبة فى جماعة الإخوان أينما كانت .. يريدون أن يقولوا لشباب المسلمين : الأرض مظلمة ، وأنتم مضطهدون ومراقبون ؛ ولا بقاء لكم إلا بالتنظيمات السرية .. وقد أصل حسن البنا لهذا الطريق ، بزعم أن الحكومات ستحاربهم ، والناس سيكونون ضدهم ، ليكونوا دائما على خوف وحذر .. فقال : « أحب أن أصارحكم أن دعوتكم لا زالت مجهولة عند كثير من الناس ، ويوم يعرفونها ويدركون مراميها وأهدافها ستلقى منهم خصومة شديدة وعداوة قاسية .. وأضاف قائلا : سيقف جهل الشعب بحقيقة الإسلام عقبة فى طريقكم ، وستجدون من أصحاب التدين ومن العلماء الرسميين من يستغرب فهمكم للإسلام ، وينكر عليكم جهادكم فى سبيله ، وسيحقد عليكم الرؤساء والزعماء وذوو الجاه والسلطان، وستقف فى وجهكم كل الحكومات على السواء ، وستحاول كل حكومة أن تحد من نشاطكم ، وأن تضع العراقيل فى طريقكم . » (رسالة بين الأمس واليوم . ص/ ١٦٢) .

وقد ساعدهم على اقتفاء هذا الطريق ما قاله سيد قطب فى كتابه (فى ظلال القرآن . ٤ / ٢٠٠٩) فى حق أمة الإسلام :

« إن هذا المجتمع الذى نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم » أهـ

أراد من ذلك أن يدفعهم إلى العزلة الشعورية ثم الانقلاب ، بزعم أنهم يعيشون فى مجتمع جاهلي ، كما أراد حسن البنا أن يزرع فيهم نوعا من التميز والاختصاص، كى يدفعهم إلى الحذر والسرية .. بزعم عدم وجود إمام للمسلمين، وعدم وجود دولة للإسلام .. فالاتجاهان متقاربان .. وهم فى الحقيقة لا تمييز ولا اختصاص .. ففكرهم يلتقى مع فرق شتى ومذاهب متعددة ، وهذا بالضرورة لا يدعو إلى الحذر والريبة بقدر ما يدعو إلى التقريب والاندماج . وليس الأمر بتلك الصورة التى صوروها .فالأمة مسلمة ، والخير باق بفضل الله تعالى ، والشعائر قائمة ، والدعوة موجودة بالطائفة المنصورة على ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه ، وليست بحاجة إلى السرية .

متى يلحق الشباب بالتنظيم السري ..؟
بداية التربية الإخوانية ..

تبدأ التربية فى حركة الإخوان بصغار السن ، ليسهل ترويضهم والتحكم فى رغباتهم ومشاعرهم ، حيث تهرب بهم من الواقع إلى الشواطىء وملاعب الكرة ، والمراكز الصيفية والمقابر ، حيث التوجيهات السرية ، التى لا يستطيعون التصريح بها فى وسط العامة ، ثم الأناشيد والمسرحيات والأفلام ، ثم تحديد الخصوم والأعداء والعقبات ، ثم بناء الآمال ، ثم اختبارات ترك الخلاف والأفكار الأخرى .

وفى التشكيل الفكري تضرب الأمثال وتقص المظالم التى تعرض لها الإخوان فى سجون شمس بدران ، كى تؤثر فى النفوس والمشاعر ، ثم تعرض الكتب الحركية الإخوانية ، لتحديد الاتجاهات والمنطلقات والآمال والعوائق ..

وكى تتيسر المقاصد وتتضح المفاهيم تعرض بعض المسرحيات ، التى يقوم أحد أفرادها بدور مدرس اللغة المتعجرف ، الذى يهدر عمره فى خلافات لغوية ، وآخر يقوم بدور الفقيه المجادل الذى يشغل نفسه في قضايا الحيض والنفاس ، وآخر يقوم بدور الدرويش الذى لا له ولا عليه .. ومن بين هؤلاء يظهر صاحب الفكر

الراقى المعبر عن الصورة المتكاملة للمسلم الشمولى ، الذى يهتم بأمر المسلمين فى العالم ، ويفرق بين الأصول والفروع ، والأولويات والمتروكات .! يظهر معاتبا أو زاجرا لهؤلاء الذين شغلوا أنفسهم فى قضايا فرعية ، وتركوا المسلمين فى العالم يذبحون ويقتلون .. وبالموازنة بين الفريقين لا يجد الشباب الذى لا يعرف شيئا عن دقائق العلوم الإسلامية مهربا دون الوقوع فى فلك تلك المنظمة .. وكيف يتخلى عنها وهى هيئة مثالية كاملة ، لا يعتريها نقص ولا يعيبها عيب ، ففيها المنافع والمصالح ، وفيها الأنشطة وفيها الأصحاب ، وفيها الأموال الكثيرة ، بينما الواقع من حولها يشوبه الفساد والفقر .! وكيف يتركها وهو محاصر بين أفراد لا يتركونه بالليل ولا يفارقونه بالنهار ، يحولون بينه وبين العالم أجمع ، حتى يتم تجنيده .! وكيف لا يجند وقد سمع أن " القافلة تسير والكلاب تنبح " .. " وإن لم تركب القطار فلن يقف لك ". ثم بعد ذلك يلحق الشباب بحلقة دعوية ، ثم بأسرة سرية مكونة من خمسة أفراد .. قال محمود عبد الحليم : « وتتكون الأسرة من خمسة أفراد .. وتكوين الأسرة من هذا العدد القليل يسهل لها الوجود فى أى مكان وفى أى وقت دون التقيد بمكان معين أو زمن معين .. وللأسرة نقيب هو الذى يتصل بالقيادة المحلية ، وللقيادات المحلية نقيب يتلقى من القيادة الأعلى وهكذا حتى يكون التلقي فى أوله من المرشد العام .. وللأسرة صندوق للطوارىء ، وهذه الصناديق كلها فى النهاية هى صندوق الدعوة » (أحداث صنعت التاريخ . ١/ ٢٨٧)

و تتكون الأسر من تنظيمات طبقية – أطباء مع أطباء ، عمال مع عمال . الخ ، وقد استفادوا ذلك أثناء اعتقالات ١٩٥٤م ..

وفى تلك الأسر يتربى الشباب على المفاهيم والأفكار الإخوانية ، ويتلقى التعليمات المنتظمة ، التى تنقله من مرحلة إلى مرحلة – حتى يصير أخا له حقوق الولاء والنصرة – من محب إلى أخ عامل إلى نقيب ، وإذا ابتلي بالسجن والاعتقال نال تشريفة الأخ المجاهد .. ثم ينتقل فى الترقيات من نائب ومدير إدارى إلى عضو شورى أو عضو إرشاد ثم إلى مرشد عام .. قال محمد عاكف :

« الفرد لا يصل إلى مرتبة الأخ العامل إلا عبر مراحل طويلة ، حتى يفهم طبيعة الإخوان ويكون له حق الترشيح والانتخابات ، فنحن جماعة مؤسسية ، كل مؤسسة هي التي تختار . . وحتى تكون أخًا من الإخوان المسلمين لابد أن تمر على مراحل من أخ منتسب إلى أن تصل إلى تفهم ما هي جماعة الإخوان » (نافذة مصر . نت ٢٠/٦/١٤٢٧هـ)

تدبر قوله : " وحتى تكون أخا من الإخوان " لتعلم مقدار الإخوة الإسلامية فى دعوة الإخوان ، وأنها قاصرة على من ينتسب إليهم .!

والجهد فى نظام الأسر يشغل الفرد بتتبع المصائب والأحداث عن طريق الصحف والمجلات ونشرات الأخبار، ثم تقديم تقارير بذلك إلى القيادة العليا ، بما لا يدع للفرد مجالا لفهم الدين وتلقيه من مصادره الصحيحة ..

والدراسة في الأسر لا تهتم بأمهات الكتب الشرعية ، ولا تعبأ بالحفظ ، ولا تقتفى وسائل الطلب والجلوس للمشايخ والعلماء ، وإنما تقف فى الغالب عند مذاكرة الأصول العشرين وسلسلة الرسائل ، مع قراءة بعض الكتب الحركية ، التى تحدد الإطار التنظيمى والدعوى للجماعة ، والتى ترمى إلى أن يصل الفرد إلى مقام المؤيد لها والمتعلق بشيوخها فى المقام الأول ..

ولا يمكن أن يلحق الشباب بالتنظيم السري إلا بعد اختبار السمع والطاعة والبيعة . وفى هذا الاختبار يؤمر العضو بمقابلة مسئول التنظيم فى مكان محدد بهيئة معينة وفى زمن معين ..

ليتحقق لدى المسئول التنظيمى أن العضو أصبح بين يديه ، يوجهه كيفما يشاء.. فمن سأل عن الحكمة فيما طلب منه . قيل له : حين تأتى تعرف الحكمة .. فإن أصر على معرفة الحكمة استبعد كعضو تنظيمي ، ويكتفى به محبا ، وإلا طرد وشنع عليه ، واتهم بالمرض النفسى والعمالة .. وإذا سمع وأطاع ترقى إلى مرتبة البيعة..

وفى زمن حسن البنا كان امتحان الترقى إلى مرتبة الأخ العامل المخلص يتم على الكيفية الآتية : « أن يذهب المرشح للمكان المحدد ، ويتلقى من الشخص المقصود لفافة فيها قطعة حجر ، ويقول له هذا مسدس .. خذه وأعطه لفلان .. فإذا تبين له أن المرشح قد انزعج وأظهر الخوف فإنه يقول له لا تخف ، لقد نجحت فى امتحان طاعة الأوامر ، ثم يصرفه . أما إذا أظهر شجاعة ، ونفذ التعليمات فإنه يكون قد نجح بالفعل ، وحينئذ ينضم إلى الفئة العاملة المخلصة الحافظة على السر » (محمود عساف . مع الإمام الشهيد ص/ ٦٣) .

وقد أشار إلى مثل ذلك عبد العزيز كامل قائلا :« كذلك هناك اختبارات الكفاءة البدنية للأفراد والتوازن النفسي والحماسي للدعوة ، مع القدرة على ضبط النفس .ويعرض عليه أحد أعضاء النظام هذه المبادئ الثلاثة (السمع والطاعة والكتمان) وأن ينفذ ما يلقى إليه دون تردد. فإذا ما اطمأن إليه ومر فى بعض الاختبارات التمهيدية تحددت له ليلة البيعة» (مذكرات عبد العزيز كامل . ص/ ٥٧)

وقال الشيخ عبد الرحمن الرصد : « في يوم من الأيام وبعد عودتي من السكة الحديد من محطة ببا بأسيوط ، وجدت ورقة تركها لي أحد الإخوان في البيت ، مكتوبا فيها " توجه إلى شعبة عابدين " وعندما وصلت إلى هناك ، وجدت رسالة أخرى أن أتوجه إلى شعبة قلعة الكبش ، وبيتي قريب من شعبة قلعة الكبش ، فلم أقل لماذا أذهب إلى عابدين ، إذا كنت سأذهب في النهاية إلى قلعة الكبش ، ولكن أنا لم أتعلم النقد ولكن تعلمت الطاعة ! » (إخوان أون لاين . نت ١٤ رمضان ١٤٢٨هـ) ..

وتعد البيعة المحك النهائى للانتماء إلى حركة الإخوان .. فإذا بايع العضو فى الغرف المظلمة ألحق بالنظام السري ، وأصبح عضوا عاملا .. وارتقت مهماته عن مهمات العضو الدعوى .. ومن ثم يتم توجيهه حسب قدراته إما فى تنظيم الدعاية والإعلان والسياسة أو فى التنظيم الخاص بالاستخبارات والتجسس على المخالفين .الخ . (أحداث صنعت التاريخ . ٣/ ٢٤٨)

فإذا عقد الشاب الإخوانى البيعة لزمه الطاعة التامة ، فلا يناقش ولا يجادل .. وهذا التسليم الكامل يجري تحت بند أن الإخوة الكبار يعرفون مصلحتنا ومصلحة دعوتنا أكثر من معرفتنا بها ، ويرون فى الأمور ما لا نراه ، ولهم من التجارب والخبرات ماليس لنا . ولنترك الأمور تسير وفق الخطة المرسومة ، وعلينا الاتباع وكتمان السر ، ومن خالف كان مصيره إلى النار.

قال محمود الصباغ فى كتابه (التنظيم الخاص ص/ ١٣٤): « ثم يقول له فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير»اهـ

ولا ينبغى له أن يسأل عن علة حكم أو اختيار ، فإذا سأل أو اعترض وجه بقول الله تعالى : ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْأَلُوا عَنْ أَشْيَاءَ إِنْ تُبْدَ لَكُمْ تَسُؤْكُمْ﴾ [المائدة . ١٠١) وتلك هى وصية مرشدهم الأول فى (رسالة التعاليم .ص/ ٣٩٧) حيث قال: « أريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر والمنشط والمكره ، وذلك أن مراحل الدعوة ثلاث ..

ثم بين حكم المرحلة الثانية (مرحلة التكوين) قائلا :

«ونظام الدعوة فى هذه المرحلة صوفى بحت من الناحية الروحية وعسكرى بحت من الناحية العملية وشعار هاتين الناحيتين دائما أمر وطاعة من غير تردد ولا مراجعة ولا شك ولا حرج »اهـ وقال فى (رسالة التعاليم .ص/ ٣٩٧) : « ولا يكفل النجاح فى هذه المرحلة إلا كمال الطاعة » اهـ

وبناء على ذلك لا يجوز للإخوانى إذا بلغ رتبة " الأخ الركيزة " أن يتحرك أو يسكن أو يسافر أو يتزوج إلا بإذن . قال حسن البنا : « وأن تحيط القيادة علما بكل ظروفك ، ولا تقدم على عمل يؤثر فيها تأثيرا جوهريا إلا بإذن ، وأن تكون دائم الاتصال الروحى والعملى بها وأن تعتبر نفسك دائما جنديا فى الثكنات تنتظر الأمر...» (الرسائل . ص/ ٤٠٤)

قال محمود الصباغ : «وعلى الفرد ألا يقدم على أى عمل يؤثر فى مجرى

حياته كالزواج والطلاق قبل أن يحصل على تصريح به من القيادة عن طريق أمير الجماعة » (التنظيم الخاص . ص/ ١٤٠).

وقد اتخذ النواب تعليمات القائد نصوصا قاطعة ، لا تجاوز ولا تمانع ، كما هو الأمر فى النظم الكهنوتية والتنظيمات الباطنية .. فالطاعة العمياء جزء من كمال الدين وتمامه .. هكذا فهم الإخوان .. قال أحمد رائف نقلا عن أحد أعضاء التنظيم الخاص : « النظام الخاص تحكمه الطاعة العمياء والإيمان المقدس بأن هذه الطاعة جزء من كمال الدين وتمامه » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ٢٢٩)..

هذا هو منهج الإخوان .. ومن أجله كانوا يتبعون كافة الرياضات والمجاهدات مع أتباعهم ، ليكونوا طوع أيديهم ورهن إشاراتهم .. فإذا خالف العضو التعليمات عوقب بما يناسبه ، قال حسن البنا : « كل أخ لا يلتزم هذه المبادىء لنائب الدائرة أن يتخذ معه العقوبة التى تتناسب مع مخالفته وتعيده إلى التزام حدود المنهج »(مذكرات الدعوة . ص/ ٢٥٥) .

تلك هى الحقيقة التى كان عليها الإخوان ، وتلك هى الطاعة التى أوردتهم المهالك ، عندما وقعت الفتنة بينهم وبين عبد الناصر عام ١٩٥٤م ، كما عبر عن ذلك محمود عبد الحليم، بقوله لعبد القادر عودة : « إن دماء هؤلاء أمانة فى أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم ، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة فمن حقهم علينا أن نطلعهم على ما عندنا» (أحداث التاريخ ٣ / ٣٩١)...

وقد حذر الغزالى شباب الإخوان من الوقوع فى مغبة هذا المنزلق الخطير الذى عده من موروثات الفرق الماسونية والطقوس الكنسية ، فقال : « أيها الأخ المسلم . ارفض الغموض في رسالتك واحذر قبول الريبة باسم السمع والطاعة فالطاعة في المعروف . فإن التسليم للأوهام بعض طقوس الماسونية في هذا العصر وبعض طقوس الكنيسة في العصور الوسطى المظلمة ، أما الإسلام فبريء من هذه المسالك المحدثة .. ثم قال : إن هذه المناشدة الحارة لم تجد صداها الواجب .. وإن الجمهور المخدوع كان كالزجاجات المعبئة إلى نهايتها لا تقبل جديدا و لا مزيدا » (من

معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى . ص / ٢٢٠ . دار الصحوة . ط ١٩٨٤م)

وهذا النوع من السمع والطاعة هو الذى أغلق مجالات البحث والنظر والفكر فى تلك الدعوة . وبانتهائها إلى هذا الحد يقع العضو فى مجالات التطرف والتكفير . أو يسقط فى مهاوى التقليد والجمود ، ليتولد من ذلك جماعات متعددة وأفكار متشعبة ، قال الأستاذ فتحي يكن : « إن الثقة بالفكر والثوابت المنهجية التي نحمل ونعتمد يجب أن تدفعنا إلى الانفتاح على من خالفنا ، والاستماع إلى الرأي المعاكس ،سواء كان من صفنا أم من صفوف غيرنا ، فإما أن نقنعه بما عندنا ، وإما أن نضيف مالديه إلى ما لدينا من غير غضاضة ولا حرج . لو أن ذلك حدث لما كانت هناك المدرسة القطبية والمدرسة الترابية و حزب الوسط وغيرها من المدارس ، التي توالدت من رحم الحركة بشكل أو بآخر » (تساؤلات مستقبلية حول الدعوة الإسلامية . ص٧٣) ...

وإذا سقط العضو فى برك التقليد كان فريسة لعقول المرشدين ..

وما أكثر القوالب المستنسخة والعقول الجامدة فى تلك الدعوة . فأكثر الأعضاء فى دعوة الإخوان ما هم إلا كالخاتم فى يدي المرشد ، يقلبهم كيفما يشاء ، يأمرهم بعبادات معينة ، ويكرههم على الالتزام بها ، لا من أجل شرعيتها ، ولا من أجل أنها دين يتعبد به ، ولكن لأجل أن المرشد أمر بها . ويجب علي المنتسب أن يخضع لما رآه المرشد دون النظر فى مصدره أوحجيته .. وقد بلغ بهم الأمر أن استجابوا للمرشد العام محمد عاكف حين دعاهم ألا يخرجوا من بيوتهم ولو من أجل الصلاة ، التزاما بالاعتصام والعصيان المدني الذى دعت إليه حركة كفاية و" شباب ألفيس بوكس " فى صيف ٢٠٠٨م .. فالمرشد له الحق أن يخترع عبادات معينة ويلصقها بالدين : كصيام أيام محددة ، دون تحديد شرعي ، والالتزام بقيام ليل فى أيام محددة ، لاصطياد الشباب ، والالتزام بالذكر الجماعى على طريقة جهلة الصوفية وعباد القبور وترديد أورادهم المشتهرة كورد الدرقاوية أو ورد التيجانية .

وللمرشد الحق أن ينهاهم عن الصلاة فى المساجد جماعة ، وله الحق أن يأمرهم بحلق

اللحى ومخالفة هدي النبي ﷺ ..

لماذا يرفض أهل الحديث التنظيمات السرية .؟

ليست السرية غاية فى العمل الدعوى ، ولكنها وسيلة ، إذا انقضت ضرورتها انقطع العمل بها ، وقد كانت الحاجة إلى السرية ملحة فى أول الدعوة الإسلامية ، حيث استعرت المواجهات واشتدت الفتن بين الرسول ﷺ وبين مشركي قريش ، ولم يكن لأكثر الصحابة (رضى الله عنهم) من يجيرهم من أذى قريش ، كى يبلغوا دعوة الله تعالى ..

واستمرت تلك السرية ثلاث سنين ، ثم بدأت المواجهة بإعلان الحق ، مع الأمر بالصبر وعدم القتال .. وقد دعا النبى ﷺ إلى الله تعالى بالحجة والبرهان ، ولما مكن وصارت له دولة وأعلنت شعائر الإسلام لم يكن هناك حاجة إلى السرية ؛ لأن المجتمع أصبح مسلما ، والجميع مشارك فى العمل للإسلام ..

ونحن الآن فى مجتمعات إسلامية ظاهرة ، تفتح فيها المساجد لإقامة الشعائر ، ويفسح فيها المجال للدعوة إلى الله تعالى ، وليس فى المجتمع من هو بحاجة إلى كتمان إسلامه ، خوفا من العقاب ، ولا من هو مكره على مشاركة المشركين أعيادهم أو صلواتهم .. ووجود جماعات علنية على الساحة تدعو إلى الله تعالى ينقض مبدأ الإخوان فى ضرورة السرية ..

ثم إن الإخوان ليسوا دولة ، فهم حركة داخل دولة ، تلك الحركة قامت على مر السنين والأعوام بمبايعة الملوك والرؤساء مبايعة صريحة أو مشروطة ، تلك البيعة لا تحل لهم تلك التنظيمات السرية الباردة .. فكيف إذا كان الإسلام لا يعرف أصلا ما يسمى بالتنظيم .. فلم يكن من هدى النبى ﷺ ولا من هدى الصحابة من بعده (رضى الله عنهم) ولا من هدى التابعين ومن تبعهم ..

فقد حذر النبى ﷺ من السرية فى دائرة الإسلام ، لما فيها من الفتنة .. فعن نافع عن ابن عمر قال : جاء رجل إلى النبى ﷺ فقال : أوصني . قال : « اعبد الله ولا تشرك به شيئا وأقم الصلاة وآت الزكاة وصم رمضان وحج البيت واعتمر واسمع

وأطع وإياك والسر » (السنة لابن أبى عاصم ٢/ ٥٠٩ . قال الألبانى : إسناده جيد.)
ونهى أن يتناجى اثنان دون ثالث فقال ﷺ : « لا يتناجى اثنان دون ثالث » (رواه الشيخان عن ابن عمر) والتناجى : هو التخاطب سرا من غير المتخاطبين ..وحكمة النهى عن التناجى لما فيه من إثارة الوساوس والظنون بين المسلمين ، ولما فيه من تقلب الحزن والبغض فى النفوس .. وهذا ثابت فى التنظيمات الإخوانية . ونهى النبى ﷺ عن التفرق فى الشعب والأودية ، حتى لا يفتح مجالا للتنازع والتباغض ، فيكون ذلك دافعا إلى تمزيق أواصر الجماعة . روى أبو داود عن أبى ثعلبة الخشني قال : كان الناس إذا نزل رسول الله (منزلا تفرقوا في الشعاب والأودية ، فقال رسول الله ﷺ :

« إن تفرقكم في هذه الشعاب والأودية إنما ذلكم من الشيطان " فلم ينزلوا بعد ذلك منزلا إلا انضم بعضهم إلى بعض حتى يقال : لو بسط عليهم ثوب لعمهم » (صحيح سنن أبى داود ٢٦٢٨)

وبناء على ذلك حذر أئمة السلف من اقتفاء السرية فى العمل الدعوى . قال عبد الله بن المبارك عن الأوزاعى قال عمر بن عبد العزيز : « إذا رأيت قوما يتناجون بشيء دون العامة فاعلم أنهم على تأسيس ضلالة » (أصول الاعتقاد للالكائى ١ / ١٣٥) .

فالعمل السري يثير العداوة والبغضاء والفرقة . وإن لم يكن فى نظام الأسر إلا ذلك لكان كافيا فى نقدها والتحذير منها ، فكيف وقد جمعت كل بلاء وخالفت سنن المرسلين والأنبياء .! فبسببها يتربى الشباب على الحذر والخوف ، الذى يقيد فكره وحركته وحياته ، وبسببها يبرر الكذب والتلون و الامتزاج مع الباطل ، ومن أجلها تحتقر السنن وتتبدل الشرائع والأحكام ، وتتقلب المشاعر وتفتن القلوب . . وهذه مفاسد أخرى فى التنظيمات السرية يلمسها كل دارس ويفقهها كل لبيب ، ويدركها كل مجرب ، لا يسع المؤمن الصادق إلا أن يمجها ويحتقرها مهما كان أمرها:

١- أنها تحجب النصيحة عمن يحتاجها ، للاحتياطات الكبيرة والشكوك الكثيرة التى يستشعرها تجاه المحيطين به ... فالإخوان يربون شبابهم على مراعاة الحس الأمنى ، حتى يظن الشاب أن كل الناس يتلصصون عليه ، وأن الأقمار الصناعية تراقبه .. وقد ينهى الإخوانى فى العمل التنظيمى عن القيام بالأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ، وذلك حتى لا ينكشف التنظيم الذى يعمل فيه . وإذا خالف عوقب . ويعظم العقاب إذا كان الأمر والنهى يؤثر على رابطة الأحلاف المنعقدة مع أصحاب الأيدلوجيات المخالفة .

٢- العمل فى نظام الأسر ليس عملا خيريا ، يتعاون فيه الناس على فعل الخيرات ، لخدمة المجتمع والمسلمين على السواء ، ابتغاء وجه الله تعالى ، وإنما ينحصر فى محيط الجماعة وما يعود عليها وما يرفع اسمها فى المقام الأول ..

٣- يقوم الاختيار فى العمل السري على مفهوم النظم الاستخباراتية التى تبحث عن الموالين وتقربهم ، وإن كانوا جهلاء ، وتبعد الأكفاء وإن كانوا من أعبد الناس وأعلمهم ..

٤- التنظيم السري هو الطريق الأخطر لخروج جيل لا يخضع للعلم ولا للعلماء ، وإنما يخضع لكوادر تنظيمية جاهلة ، تأخذ الشباب بعيدا عن عامة الناس ، ليملوا عليهم ما لا يستطيعون إملاءه وسط العامة .. وهذا الجيل الذى يتربى على السرية قد يشارك فى العنف دون علم غيره ، ويأتى الغير ليتبرأ فيجد الآخر يثبت . ويرجع ذلك إلى أن التنظيم السري يتضمن عدة تنظيمات متنوعة فى اتجاهات مختلفة ،لا يعرف بعضها شيئا عن الآخر .. وعندما يقع ضرر عليهم أو على المجتمع من أى من تلك التنظيمات تجد الآخرين لا يعرفون عن ذلك شيئا .. وينكرون ما هو فى الحقيقة من صميم دعوتهم . وقد بين الدكتور عبد العزيز كامل فى مذكراته ص/ ٨٣ أن القاعدة الإخوانية : « هى وقود كل اعتقال يتحملونه بالصبر ويحاسبون على ما لا يعرفون ويحصدون ما لم يزرعوا » أهـ

ولا يخفى على كل بصير بأمر الدعوة عظم ضلوع التنظيمات السرية

للإخوان المسلمين فى الاغتيالات السياسية ؟ ومفاسد النظام السري مؤثرة بالخيبة والخسران . إن لم يكن على نفسها فعلى غيرها من الدعوات ..

٥- يساهم نظام الأسر فى تنمية فكر التعصب والتحزب للأشخاص ، فكل أسرة لها رئيس ، وكل رئيس ينقل للنقيب ، والنقيب ينقل للنائب ، والنائب ينقل لعضو المكتب ، وعضو المكتب ينقل للمرشد.. هذا هو الذى يطلقون عليه البناء الهرمى .. وهو سمة عامة من سمات المنظمات السرية ..

ولأجل اختصاص كل طبقة بنوع معين من العلوم ، وحدود معينة من القضايا فإن شباب الإخوان لا يصدقون ما يقال فى شأن جماعتهم من النقد والتجريح . فالعلوم متدرجة فى المحيط التنظيمي عند الإخوان ، كما هى متدرجة فى إطار الإمام المعصوم عند الباطنية ، كما هى متدرجة فى إطار الولاية عند الصوفية. وليس للعلماء مساحة فى توجيه هؤلاء الشباب . فلا يعرف الفرد الإخوانى ولاء إلا للمرشد وللجماعة .. هذا هو الذى له يعمل ومن أجله يثور . . فجماعة الإخوان تشبه إلى حد كبير دعوة الباطنية .. والدعوة الباطنية لها مراتب . تبدأ بالتفرس فى حال المدعو قبل عرض الدعوة عليه ، هل يقبلها أم لايقبلها .! ثم الدخول إلى كل شخص من الباب الذى يناسبه ، حتى تستوعب الدعوة كافة أفراد المجتمع .. ثم أخذ العهد على المدعو ألا يفشي سرا من أسرار الجماعة .. والزعم أثناء ذلك أن أكابر الناس من القضاة والأطباء معهم ، ليتيسر قبول الناس لدعوتهم . وهم فى نفس الوقت يرفعون كافة العوائق التى تحول دون الانتساب إليهم ، ولو أدى ذلك إلى إسقاط السنن وتهوين الفرائض وتأويل العقائد أو تفويضها . وأساس دعوتهم قائم على سحب البساط من تحت أقدام العلماء الربانيين لوضعه فى يد الأفراد النظاميين والحزبيين السياسيين .. ليتخذوا أئمة يقتدى بهم فى كل فعل .

التربية الحزبية فى دعوة الإخوان ..

لا تجد نبذا لأهل العلم والسنة كما هو فى جماعة الإخوان ، وذلك لأن العمل فى نظام الأسر ينمى فكر التحزب للجماعة فى المقام الأول ، ولو أنك انتقدت أحدا منهم اتهمت فى دينك وعرضك . فآراؤهم قطعية الثبوت والدلالة ، غير قابلة للنقد ولا للمراجعة ، وأعداؤهم عملاء وخونة ، لا شيء غير ذلك .! وهذا بدوره ينزع من قلب المسلم الولاء والبراء فى الله تعالى إلى الولاء والبراء فى غيره . ويمنع قبول الحق ، مهما كانت براهينه ومصادره ، إلا إذا جاء عن طريق أئمتهم وأشياخهم ، كشأن الذين قال الله تعالى فى حقهم : ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَاءَهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ﴾ [البقرة . ٩١) ..

والحزبية الإخوانية تسعى بكل طريق إلى احتواء الفرد فى الجماعة قبل أن تجتذبه أفكار أخرى ، وإذا احتوته أحاطته كسوار المعصم ، حتى لايفكر فى شيء آخر . ومن أجل ذلك فهم يعملون على اختراق جميع الهيئات ، أملا فى السيطرة عليها ، وبث الفكر الإخوانى من خلالها .. تلك الحزبية لا يمكن أن تخضع لمنهج آخر ، طالما أنه جاء من غير مفكريها ومرشديها، فهناك إسلام خاص اسمه " إسلام الإخوان ". ذا هو الذى أقسموا على التمسك به والجهاد فى سبيله . ومن أجل ذلك فإنهم يستخدمون النصوص الشرعية ، ويستغلون العواطف الدينية ، لخدمة الفكر الخاص بالجماعة ؛ وهذا يفسر عزوف شبابهم عن تلقى العلوم الشرعية من أهل الحديث . ويفسر كذلك سعيهم فى إفساد دعوتهم بكل سبيل .. وهذا سلوك مخالف لمنهج الإسلام ، ومخالف لمقومات الشخصية السوية والفطرة الصحيحة ، التى ينبغى لها أن تنفتح لفهم الحقائق دون جمود وتعصب ..

وغاية المنتهى فى سلوكهم أن يجعلوا من وافقهم ووالهم على الحق ، ومن خالفهم وعاداهم على الباطل .. وهذا مما حذر منه أئمة الإسلام ، وذلك أن أهل

الحق يقبلون الحق ويعملون به ، مهما كان بغضهم لقائله ، ومهما كانت مصادره .

قال شيخ الإسلام (رحمه الله) : « وليس للمعلمين أن يحزبوا الناس ويفعلوا مايلقى بينهم العداوة والبغضاء بل يكونون مثل الأخوة المتعاونين على البر والتقوى كما قال تعالى : ﴿وَتَعَاوَنُواْ عَلَى الْبرِّ وَالتَّقْوَى وَلاَ تَعَاوَنُواْ عَلَى الإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ﴾ [المائدة. ٢) .

وليس لأحد منهم أن يأخذ على أحد عهدا بموا فقته على كل مايريده وموالاة من يواليه ومعاداة من يعاديه.

بل من فعل هذا كان من جنس جنكيزخان وأمثاله الذين يجعلون من وافقهم صديقا واليا ومن خالفهم عدوا باغيا ،

بل عليهم وعلى أتباعهم عهد الله ورسوله بأن يطيعوا الله ورسوله ويفعلوا ما أمر الله به ورسوله ويحرموا ما حرم الله ورسوله ويدعوا حقوق المعلمين كما أمر الله ورسوله»(مجموع الفتاوى ١٥/٢٨)

فالطاعة فى الإسلام لا تكون إلا بالعلم والدليل ، ولا تكون إلا فى المعروف، ولا تكون بالقوة إلا من قبل أولياء الأمور ، ولا تكون إلا بقدر الاستطاعة ، قال تعالى : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم واسمعوا أطيعوا﴾ (التغابن. ١٦)

ولا تكون الطاعة تحزبا للهيئات ، ولا تعصبا للأشخاص ، ولا تعظيما للصور، إنما تكون لله تعالى وحده إخلاصا لدينه واتباعا لرسوله (. ومن ترك الإخلاص فقد نافق ، ومن ترك المتابعة فقد ضل .. والجمع بينهما هو عمل المؤمنين الصاديقين .. أما المنهج الإخوانى فقد تجاوز عن تلك القواعد ، وقام بإرضاء كافة الطوائف ، من أجل تجميع أكبر عدد من الناس ، إما بالسكوت عن أصل الحق ، أو بالبحث عن الرخص والزلات ، أو باقتفاء مبدأ ميكافيلي .

وقد استشعرالأديب سيد قطب فى دعوة الإخوان سعيها الدءوب فى إرضاء الناس على حساب الدين والملة ، كأنهم أوصياء عليه .. فبين أن شريعة الله تعالى أغلى من أن يضحى بها من أجل إرضاء أحد من البشر أو من أجل وحدة الصف ،

فقال (رحمه الله) فى كتابه (فى ظلال القرآن ٩٠٣) : « أغلق الله - سبحانه - مداخل الشيطان كلها ؛ وبخاصة ما يبدو منها خيرا وتأليفا للقلوب وتجميعا للصفوف ؛ بالتساهل في شيء من شريعة الله ؛ في مقابل إرضاء الجميع ! أو في مقابل ما يسمونه وحدة الصفوف ! إن شريعة الله أبقى وأغلى من أن يضحى بجزء منها في مقابل شيء قدر الله ألا يكون !» أهـ

وأهل السنة لاينكرون اجتماع الناس ووحدتهم . إنما ينكرون التحزب للأشخاص والجماعات .. ولكن ما الاجتماع المطلوب .؟

والجواب : أن من أراد الاجتماع باعتبار الالتفاف حول المنهج النبوي فقد أصاب ، وهذا هو ما أمر به الله فى كتابه ، قال تعالى : ﴿واعتصموا بحبل الله جميعا ولا تفرقوا﴾ (آل عمران . ١٠٣)

كما نهى عن الفرقة والاختلاف فى قوله تعالى : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ (الأنفال . ٤٦)

أما من أراد الاجتماع على حساب المنهج النبوي ، وقدم مصلحة الجماعة على مصلحة الإسلام ، فهذا سعى فيما يغضب الله تعالى ..

منهج الصحابة ..

ولو اطلع الإخوان على منهج الصحابة (رضى الله عنهم) وقت المحن لتبين لهم حقيقة ما هم عليه من المفاهيم الشاذة .. فقد كان الصحابة إذا اشتدت بهم المواقف يميزون الصفوف ، فيردون المخلطين ، ويقربون البدريين وأصحاب الشجرة . وما ذلك إلا لعلمهم بالفارق بين من يأتى على يديه النصر وبين من هو شؤم أهله .. وهكذا كل من أراد وحدة الصف وصلاح الأمة ، لا بد أن ينظر فى البطانة أولا ، كما نظر الصحابة ، ليختار أخلص الناس غاية ، وأثبتهم دينا ، وأكثرهم ورعا ، وأزهدهم فى الدنيا ، وأحبهم للفقراء ، ثم يبدأ بالإصلاح ..

أما أن يقاتل بصفوف مخلطة ، فهذا كالذى يسبح فى الأوهام ، ويبنى فى الوحل .. قال الإمام ابن كثير : « بعث " أبوبكر الصديق " خالد بن الوليد لقتال مسيلمة وبني حنيفة وكانوا في قريب من مائة ألف أو يزيدون ، وكان المسلمون بضعة عشر ألفا ، فلما التقوا جعل كثير من الأعراب يفرون ؛ فقال المهاجرون والأنصار : " خلصنا يا خالد " فميزهم عنهم . وكان المهاجرون والأنصار قريبا من ألفين وخمسمائة فصمموا الحملة وجعلوا يتدابرون ويقولون : "يا أصحاب سورة البقرة بطل السحر اليوم" فهزموهم بإذن الله »(البداية والنهاية. ٦/ ٢٦٨)

بهؤلاء الأخيار وبهذا المنهج فتح الصحابة العالم ، ونشروا الإسلام ، ورفعوا راية التوحيد ، ودانت لهم الأرض ، وغير الناس دينهم إلى دين الإسلام ، ولغتهم إلى لغة الإسلام ، وعاداتهم وتقاليدهم إلى عادات وتقاليد المسلمين . هذا هو منهج الصحابة (رضى الله عنهم).

أما الإخوان فقد اقتفوا منهجا لا أصل له ، جمعوا فيه بين الغث والثمين ، ليصلوا إلى بغيتهم فى الحكم ، فلم يستفد العالم الإسلامى منهم إلا فى إضعاف الأمة ، وتشويه صورة الإسلام ، وزيادة أعدائه وخصومه ..

مثل الإخوان ..

فمثلهم كمثل فارس دخل حلبة سباق بفرس له أربعة أرجل أحدها : رجل فرس ، والثانية : رجل جمل ، والثالثة : رجل ثعلب ، والرابعة : رجل بقرة ..

ومع تلك التراكيب المتفاوتة ظن الفارس أنه سيكون بفرسه الأعرج فى المقدمة . وهذا بلا شك وهم باطل وظن فاسد، فلا يمكن أن يكون الفرس بهذا الوصف ويقبل فى السباق ، فضلا أنه لو قبل لكان فسكلا فى المؤخرة . ولو جاز أن يقبل هذا الفرس فى حلبة السباق لجاز للدعوة الإخوانية الشمولية (!) أن تسير بمذاهب شتى وعقائد متنوعة ثم تصل إلى غايتها .. أظن أن هذا ممتنع كهذا.

وقد مثل العلامة مقبل بن هادى الوادعى المنتسب لفكر الإخوان كحاطب ليل يجمع ما يقع تحت يده ، وربما تلدغه الحية وهو لا يدري . فقال (رحمه الله) إنه : « مثل المخضرية . والمخضرية : أنه كان رجل فى سوق الملح بصنعاء يبيع الفول ، فمرت بجانبه بغلة ، فذرقت فى الفول ، ثم التفت يمينا وشمالا : هل يراه أحد ؟ فلم يره

أحد، فحرك الفول بيده ثم يدعو الناس : مخضرية ، مخضرية» (فضائح ونصائح ص/ ١٢٦) .

ومثلهم العلامة محمد أمان (رحمه الله) برجل بنى مسجدا فى سوق غاصة بالناس ثم وقف بينهم يدعوهم إلى الصلاة ، قائلا : « فليأت كل واحد على ما هو عليه ، المتوضىء بوضوئه ، والمحدث بحدثه ، والجنب بجنابته ، بل وحتى الحائض والنفساء ، لأننا لا نرد أحدا ، إذ قصدنا خلق مجتمع إسلامى عام شامل وكلنا إخوان مسلمون ، ولا داعى للتشدد لأن التشدد يفرق بين صفوف المسلمين » (مجلة الجامعة الإسلامية ص/ ٢٨٣ عدد: ٥٦ ,١٤٠٢هـ)..

وأعتقد أن تمييز الباطل من الحق لا يحتاج إلى كثير جهد ، فالله تعالى لا يقبل صلاة محدث حتى يتوضأ ، ولا جنب حتى يتطهر ، ومن أدرك ذلك علم أن الأمة لا تصلح بصفوف مخلطة ولا بعقائد فاسدة . فصراط الله تعالى واحد غير متعدد ، والصراط المستقيم هو الطريق الذى لا التواء فيه ، وهو طريق الفلاح . من استقام عليه فى الدنيا اجتاز الصراط المنصوب بين ظهراني جهنم فى الآخرة . . أما صرط الشياطين فهى كثيرة متباينة ، لا تقف على غاية ، ولا تنتهى إلى فلاح .. من سقط فيها فهو مستحق لعذاب الله فى الآخرة . وعليه فلا أظن دعوة تزعم أنها دعوة شمولية تجمع أطيافا متنوعة تحت لواء واحد ثم تنتهى إلى غاية واحدة مقصودة أو تكون فى المقدمة.فقد أرادوا التجميع الديني من أجل الضغط السياسى ، ففرطوا فى الدين ، وأفلسوا فى السياسة، فلا أرضا قطعوا ولا ظهرا أبقوا .

احتجاج قديم ..

كان دعاة الإخوان قديما يحتجون على تقديم فكر التجميع ووحدة الصف على كلمة التوحيد بقول نبى الله هارون حين عاتبه نبى الله موسى(عليهما السلام)قائلا :﴿مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا * أَلَّا تَتَّبِعَنِ أَفَعَصَيْتَ أَمْرِي ﴾ [طه ٩٢، ٩٣) فقال له هارون : ﴿ إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي ﴾ [طه آية . ٩] فيقولون . دعوا الناس على ما هم عليه حتى تتوحد كلمتهم ..

وينصب إمامهم وترد مقدساتهم ..وتعود الدولة الإسلامية .. وهذا بلا شك خطأ تأصيلي ؛ وذلك لأن الله تعالى بين أن هارون (عليه السلام) لم يتجاوز النزاع القائم بين الموحدين والمشركين ، ولم يهادن أهل الباطل من قومه ، بل إنه أدى ماعليه من الأمر والنهى ، كما أمره الله .. قال تعالى :﴿ وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِن قَبْلُ يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنتُم بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي وَأَطِيعُوا أَمْرِي ﴾ [طه ٩١،٩٠] وبسبب ذلك كاد أن يقتله سفهاء بنى إسرائيل ، وهذا ما دل عليه قوله : ﴿إن القوم استضعفوني وكادوا يقتلونني فلا تشمت بي الأعداء ولا تجعلني مع القوم الظالمين ﴾ [الأعراف. ١٥١) .

وقد عاتب موسى هارون على بقائه مع الذين اتخذوا العجل ، دون الهجرة إليه بعدما أن رأى منهم من الشرك ما رأى .. ثم إن الله تعالى كتب علي بنى إسرائيل الذلة والمسكنة فى الحياة الدنيا وفى الآخرة ، وأمرهم أن يقتلوا أنفسهم ، إذا أرادوا أن يتوبوا إلى الله تعالى من فعلهم . فلو كانت الغاية مجرد التجميع كما يزعم الإخوان ما كانت تلك هى العاقبة . فليس للإخوان حظ فى الآية ، ولا يجب التهوين من قضايا الأمر والنهى ، لأجل التكوين والتجميع ووحدة الصف ..

متى أسفر حسن البنا عن فكر التجميع ..؟

أسفر حسن البنا عن فكر التجميع حين تعرض لنقد من جماعة أنصار السنة المحمدية ، جراء تهاونه فى محاربة البدع والمنكرات ، والاقتصار على جمع الناس حوله ، باختلاف ألوانهم ، على حساب الدين والمنهج ، اكتفاء بالموافقة على قيادته وبيعته .. فقام يرد على هذا النقد فى مجلة (الإخوان المسلمين) فى أواسط الثلاثينات ، كما ذكر محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢/ ٣٥٤) : فكتب مقالا رسم فيه مربعا كبيرا كتب على حوافه الأربع من الداخل" لا إله إلا الله محمد رسول الله " ورسم فى مركز هذا المربع مربعا صغيرا ، وكتب فيه : « إن إخواننا الذين ينتقدوننا يحصرون دعوتهم فى حدود المربع الصغير الذي يقع فى مركز الدائرة ، وهم بذلك يقصرونها على الذين اكتمل فيهم كل مايرون أنه العقيدة الصحيحة وهذا عدد ضئيل . » أهـ

فجعل حسن البنا الذين يهتمون بتحقيق الدين ويردون على أهل البدع عاملين للإسلام فى حدود المربع الصغير ، الذى ليس فيه إلا القلة العددية ،

أما الإخوان فإنهم يعملون مع أصحاب المربع الكبير ، الذي يجمع كل من قال " لا إله إلا الله محمد رسول الله ". مهما كانت معتقداتهم ..

هذا هو طريق الإخوان : ترك الخصومة فى الله تعالى ، لأجل التفاف الناس حولهم ، والأستاذ المرشد لا يشغله فساد القدرية ، ولا ضلال المعتزلة ، ولا يؤرقه تكفير الشيعة الروافض لصحابة رسول الله ﷺ ، ولا يعنيه معتقد المعطلين لصفات الله تعالى. ولا خصومة بينه وبين اليهود .! فتصحيح المفاهيم الدينية لا يدخل فى جملة اهتماماته ! وهذا بالضرورة طعن فى مفهوم الشمولية الذى يغترون به على الجماعات الأخرى ..

وقد سيطر فكر التجميع على دعوة حسن البنا حين تكلم فى الصفات الربانية فقدم فكر التفويض والتجهيل على فكر الإثبات والتنزيه ، وقال عن الخلاف الدائر بين السلف وبين الخلف فى تلك القضية إنه : « لا يستحق من السلف ضجة ولا إعناتا » (ص/ ٧٦ من رسالة العقائد) وقال فى نفس الصفحة : « أن تأويلات الخلف لا تستدعى هذا النزاع الطويل بينهم وبين غيرهم قديما وحديثا » أهـ ودعا إلى إهمال النظر فى تلك القضايا لحساب وحدة الصف ، وقال فى (رسالة العقائد .ص/ ٧٨): « وأهم ما يجب أن تتوجه إليه همم المسلمين الآن توحيد الصفوف وجمع الكلمة » أهـ ودعا إلى ترك الفصل فى مسائل النزاع على العموم ، وكانت حجته فى ذلك عدم وجود الإمام وغياب الدولة (فى قافلة الإخوان . ص/ ٢٠٨) .. فالإخوان ينتظرون الإمام منذ أن قامت دعوتهم سنة ١٩٢٨م إلى الآن ، كما ينتظر الشيعة إمامهم المعدوم من ٢٦٥هـ إلى الآن . فلا تشغلن بالك بمعرفة الحق ، إلى أن يخرج الإمام ، وتقام الدولة الإخوانية . وحتى ذلك فلتعبد ربك بالطريقة التى تراها .. المهم أن تكون تحت راية حسن البنا .. تسمع وتطيع وتكتم ! وإلا فمصيرك الطرد والإبعاد . . وما انتهى إليه من إرجاء الأمر والنهى إلى أن تعود الخلافة خلاف ما أمر الله تعالى فى كتابه

من رد النزاع إليه على كل حال دون التقيد بزمان أو مكان أو إمام ، قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شىء فردوه إلى الله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر﴾ (النساء . ٥٩) .

وقد تبين أن الخلافة انقرضت ..

غير أن الدول الإسلامية باقية ، وإن كان كل قطر منفصل عن الآخر. لتعذر اتفاق الناس فى جميع الأقطار على أمر الخلافة .. فهذا أمر أقره علماء الأمة .. فلا يعنى عدم وجود الخلافة غياب الدولة المسلمة ، كما يعتقد الإخوان .

القاعدة الشهيرة ..

ومن أجل الوصول إلى تجميع الناس حوله أطلق حسن البنا قاعدته الشهيرة " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ".. يقولون إنه أخذها من الشيخ محمد رشيد رضا (رحمه الله) الذى حاول التقريب مع الشيعة ، ولكنه فشل فى ذلك . ولما تبين له أمرهم عاداهم معاداة شديدة ، ولم يتجاوز عن الخلافات التى بين أهل السنة وبينهم ، لأجل وحدة الصف ، كما فعل حسن البنا . . وقد قدس الإخوان تلك الكلمة التى ضيعت المناهج ، وأفسدت المعتقدات ، وأسقطت الحجة الرسالية ، وفتحت الجسور مع أهل الباطل ، من أجل إقامة الدولة الإخوانية ، قال محمد عاكف : « وحتى الأحزاب العلمانية سيكون بيننا وبينها علاقة تحكمها القاعدة المشهورة : نتعاون فيما نتفق فيه، ويعذر بعضنا بعضًا فيما اختلفنا فيه.. ولا قطيعة ولا حرب» (إسلام أون لاين.نت/ ١٥-١-٢٠٠٤).

وقد كانت تلك الكلمة سببا فى بقائهم بعيدين عن كثير من أمور الدين العلمية والعملية ، بسبب تجميد التناصح السنى فيما بينهم من جهة ، وفيما بينهم وبين غيرهم من جهة أخرى . وهذا هو الذى أخذه الشيخ الألباني على جماعة الإخوان ، حيث قال : « الإخوان المسلمون ينطلقون من هذه القاعدة التي وضعها لهم رئيسهم الأول وعلى إطلاقها ولذلك لا تجد فيهم التناصح المستقى من نصوص كتاب الله وسنة رسول الله . هذه العبارة هي سبب بقاء الإخوان المسلمين نحو سبعين سنة عمليا

بعيدين فكريا عن فهم الإسلام فهماً صحيحا وبالتالي بعيدين عن تطبيق الإسلام عمليا لأن فاقد الشيء لا يعطيه» (شريط رقم (٣٥٦) سلسلة الهدى والنور تعليق الفوائد لأبي عبد الله الأثرى)

ولا يجب عليهم إذا أرادوا أن يكونوا فى صف أهل السنة أن تبقى هذه الكلمة على حساب المفاهيم الشرعية ، ولا يجب أن تكون مطلقة ، فهى ليست قرآنا يتلى ، وإنما هى كلام بشر يخطىء ويصيب .

وكان من الواجب أن تضبط هذه الكلمة على هذا النحو " نتعاون فيما اتفقنا عليه ، وينصح بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " كما قال المحدث الشيخ مقبل الوادعى (رحمه الله)، فيما نقله عنه تلميذه الشيخ مجدى عرفات (حفظه الله)

كما يجب على المنصوح أن يخضع للحق عند الاختلاف ، ويجب زجره إذا لم يقبل النصيحة ..

نعم هناك خلاف سائغ ، وهناك مسائل تخضع للاجتهاد والنظر ، وهذه لا يجوز فيها التوبيخ ولا الزجر .. غير أن تلك الكلمة لا يجب أن تكون مطلقة ..والمسألة فيها تفصيل ..

والعجب أن حسن البنا كان متضاربا فى هذا المفهوم ، كشأن دعاة الإخوان على العموم ..! فقد سبق أن قال أقوالا تدفع مفهوم التقارب مع أى طائفة تخالف دعوته ، فقال فى الرسائل . ص/ ١٩: « وموقفنا من الدعوات المختلفة - التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار- أن نزنها بميزان دعوتنا. فما وافقها فمرحبا به وما خالفها فنحن براء منه. ونحن مؤمنون بأن دعوتنا عامة محيطة لا تغادر جزءا صالحا من أية دعوة إلا ألمّت به وأشارت إليه » أهـ

نظرية اللباب والقشور..

ومن أجل ترسيخ الفكر التجميعي جعل الإخوان كل ما يتعارض مع دعوتهم قشورا تتعارض مع مصلحة الدعوة ، ومن هنا تولدت نظرية " اللباب والقشور " .تلك النظرية التى ردوا بها كثيرا من العلوم الشرعية والسنن النبوية ، وحرموا شباب الإسلام من التقرب إلى الله تعالى بها ، خاصة فى أوقات المحن ، بحجة أن للجماعة فى كل فترة أولويات خاصة . والأولويات الآن تنحصر فى المطالبة بالحرية والديمقراطية وتكوين حزب سياسي . هذا هو اللباب ، وكل ماعارض ذلك فهو قشور ، لاينبغى البحث فيها ولا مناقشتها . ولو كانت أمورا دينية، ولتؤجل كل القضايا حتى يعود الإمام وتقام الدولة ..

ولو قدر للإخوان التعايش بفكر حسن البنا فى زمن الخلفاء الراشدين لخاصموهم .. فإذا حارب أبو بكر مانعى الزكاة لقالوا له : " نتعاون فيما اتفقنا عليه ..الخ " وإذا حارب علي بن أبي طالب الخوارج لقالوا له كيف تقتل إخواننا فى الإسلام . لماذا نختلف ؟ يافرحة الأعداء بنا ..!

مرجعية الإخوان ..

ليس لدى الإخوان أى مرجعية علمية للبرهنة على هذا الفكر، ولا سلف لهم فيما يدعون إلا أنهم يقولون لشبابهم : العالم الإسلامى كله يحترق ، والاستعمار يريد القضاء علينا ، وأنتم تريدون منا الانشغال بتلك القشور ! قال محمود عبد الحليم : « لم يكن ردنا على هؤلاء من خلال هذه الفترة من حياة الدعوة ردا موضوعيا بحيث نناقش فيه تفاصيل العقيدة وتفصيل البدعة ، بل كنا نقول لهم : انظروا إلى العالم الإسلامى بجميع أجزائه ، هل ترون فيه بلدا واحدا حرا طليقا أم أنه جميعا مستعبد رازح تحت أثقال الاستعمار.؟ إن مثلنا ومثلكم كمثل أسرة ورثت بيتا شبت فيه النيران ، فهل يتجادل الورثة فى كيفية اقتسام البيت وترتيب أساسه .؟ أم يلقون بحقوقهم فى الاقتسام جانبا ويتفرغون متحدين لمقاومة النيران.؟» (أحداث صنعت التاريخ ١/ ١٥٦) فلم يكن الإخوان فى الرد على مخالفيهم على القدر

الكافى من العلم ، الذى يجعلهم على بصيرة من الأمر ، وإنما كانوا يردون على مخالفيهم بأمور لا علاقة لها بالمسائل المطروحة موضع النزاع ..! فيهربون من حل القضايا جهلا بالدين ، ويكافئون بالصدارة فى السياسة والإمارة ، بحجة أنهم يتكلمون عن العالم الإسلامى ، ويتْ غلون بقضاياه ..

وفى هذا المثل تناسى عبد الحليم من أين شبت النيران .

ونحن نعتقد أن النيران لا تشب داخل البيت المسلم إلا من قبل أهل البدع ، الذين هم أضر عليه من الكفار الأصليين .. فإطفاء النار متوقف على إزالة البدع والمنكرات التى فى الداخل ، لأن الاستعمار لا يتمكن من بلاد المسلمين إلا بانتشار البدع وتسلط أهلها . فهؤلاء هم وسطاء الاستعمار فى إفساد الأمة .

قال ابن القيم : « فضرر هذه الفرقة - فرقة التأويل - على الإسلام وأهله أعظم من ضرر أعدائه المنابذين له . ومثل أولئك كمثل قوم في حصن حاربهم عدو لهم فلم يطمع في فتح حصنهم والدخول عليهم فعمد جماعة من أهل الحصن ففتحوه له وسلطوه على الدخول إليه فكان مصاب أهل الحصن من قبلهم»(الصواعق المرسلة . ١ / ٣٥٠)

والإخوان من أكبر رءوس أهل البدع ، وهم أسباب رئيسية فى إشعال النار فى بيوت المسلمين . ورؤية النار مشتعلة فى المساجد أهون من رؤية بدع الإخوان وغيرهم بغير إنكار .. ورحم الله أبا إدريس الخولاني حيث قال :

« لأن أرى في المسجد نارا لا أستطيع إطفائها أحب إلي من أن أرى فيه بدعة ، لا أستطيع تغييرها» (السنة لابن أبى عاصم ١/ ٣٢)..

أما قياس الإصلاح الدينى على المواريث الأنصبة .. فهذا مفهوم باطل .. فأنصار السنة وأهل الحديث لا يبحثون عن الأنصبة والمواريث ، كما يبحث الإخوان فى أجندة الحكام والسلاطين ، إنما يبحثون عن مرضات الله تعالى ، بإظهار التوحيد والسنة . وحاجة الناس إلى التوحيد والسنة لا تنتهى ولا تنقطع ، كما أن حرب الكفار وعداوتهم للمسلمين لا تنتهى ، قال تعالى : ﴿ولا يزالون يقاتلونكم حتى

يردوكم عن دينكم إن استطاعوا ﴾ (البقرة . ٢١٧) .

وإذا كنا سنرجىء الإصلاح فى بيوت المسلمين حتى تنتهي تلك الحرب وحتى تحرر الدول المستعمرة فلن يقوم للدين قائمة على طريقة الإخوان إلى يوم القيامة .

وقد تبلورت المفاهيم الفكرية التى أصلت الفكر الإخوانى ـ القشور واللباب - من خلال فكر المعتزلة .. ذلك الفكر الذى أدى إلى تقسيم الدين إلى أصول كلية وفروع جزئية .. وحد التمييز بين الأصول والفروع كما بين شيخ الإسلام لا ضابط له ، فلو قيل هو الفرق بين الاعتقاد والعمل لقيل كل أمر مركب منهما ، فلا يخلو العمل من الاعتقاد ، ولا يستغنى الاعتقاد عن العمل ..

وخطورة هذا الأمر أن حد التمييز بين الأصول والفروع مختلف فيه عند كثير من الفرق المبتدعة .. فالأصول عند بعض الفرق أن تعرف فقط أن الله واحد وأن الله موجود . وغير ذلك من أمور الاعتقاد والعمل كالصلاة وغيرها فروع . ولا شك أن أهل السنة يختلفون مع القائلين بذلك .. ومن الواجب ضبط تلك التقسيمات ، كما يجب رد النزاع إلى الله تعالى عند الاختلاف على الدوام ، مهما كان نوع الخلاف . قال تعالى : ﴿فإن تنازعتم فى شيء فردوه إلى الله والرسول ﴾ [النساء . ٥٩)

وما اختلاف الناس فى القضايا يبرر السكوت عنها ، بحجة أن هذه فروع وهذه أصول . فالدين واحد ، ينبغى أن يؤخذ كله بغير تقسيم ولا تمييع .قال تعالى: ﴿يا أيها الذين آمنوا ادخلوا فى السلم كافة ولا تتبعوا خطوات الشيطان إنه لكم عدو مبين ﴾ [البقرة ٢٠٨) وقد زجر الله تعالى بنى إسرائيل على أخذ بعض الأحكام دون بعض فقال تعالى ذكره : ﴿أفتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض ﴾ [البقرة . ٨٥)

تتبع الرخص والزلات ...

ومن أجل هيمنة فكر التجميع على منهج الجماعة دعا مفكرو الإخوان إلى تتبع الرخص ، والخوض فى زلات العلماء وسقطاتهم . وقد ذكر لى أحد المنتسبين السابقين لحركة الإخوان ، نقلا عن أحد أعضاء التنظيم الدولى فى مؤتمره الذى عقد فى جنيف منذ ما يقرب من خمسة عشر عاما أو يزيد قليلا أنهم طرحوا الحلول الواجب اتخاذها تجاه عزوف العامة عن الانتساب إلى حركة الإخوان ، وغلبة

التيارات الأخرى على حركة الإخوان ..

فطالب أصحاب الفكر التنظيمى بتخفيف حدة المواجهات مع الأنظمة السياسية ، بينما طالب أصحاب التوجه الاجتماعى بتكثيف سبل الاحتكاك بالهيئات الاجتماعية ، كما كان الأمر فى نظام الأسر والشعب . ولما جاء الدور على " فقيه العصر " طالب بضرورة الأخذ بالمرجوح وترك الراجح .! فأنكر عليه أحد الأعضاء السوريين، معترضا على تضييع الدين بتتبع الأفكار الشاذة ، كي تتناسب مع أهواء الناس ، لأجل تماسك الحركة ووصولها السياسي . كأن تماسك الحركة أعظم من ثوابت الدين . وترتب على ذلك أن ترك هذا العضو الجماعة .

وقد تبين للعلماء هذا المسلك فى فكر الشيخ القرضاوى .

قال الشيخ صالح الفوزان : « للأسف نجد بعض مثقفينا وحملة الأقلام منا بدلا من أن يقفوا هذا الموقف المشرف ـ موقف الدفاع عن دينهم ـ راحوا يروجون لكثير من هذه الأباطيل الوافدة ويلتمسون لها المسوغات ، ولو على حساب الدين ، فصاروا يبحثون عن الأقوال الشاذة وأغلاط المجتهدين ؛ ليقيموا منها مستندا لهم فيما يفعلون. ومن هذا الصنف صاحب كتاب الحلال والحرام - القرضاوي- فقد ضمن كتابه هذا كثيرا من هذا النوع » (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام.ص/ ٧)

وهذا الطريق يعد تلبيسا كبيرا على الأمة ، وتضييعا للحق الثابت ، الذى أوجب الله تعالى على العلماء الجهاد فى سبيل تبليغه والدعوة إليه . والدين نص إلهي يقيني ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .. وليس الدين لعبة يقلبه أحد حسب عقله وهواه ، لأجل مصلحة تعود عليه أو تعود على جماعته .. فهناك قواعد ومفاهيم ثابتة ، لاينبغى تجاوزها من أجل غايات دنيوية أو مطامع رخيصة . قال، عبد الله : سمعت أبي يقول : سمعت القطان يقول : « لو أن رجلا عمل بكل رخصة بقول أهل الكوفة في النبيذ وأهل المدينة في السماع وأهل مكة في المتعة لكان فاسقا» (عون المعبود ١٣/ ١٨٧).

وقال سليمان التيمي : « لو أخذت برخصة كل عالم أو زلة كل عالم اجتمع فيك الشر» (سير أعلام النبلاء . ٦/ ١٩٨)

وقد سهل الإخوان على أنفسهم الأخذ بزلات العلماء وتبع الرخص بزعم أن قضايا الدين أكثرها قضايا خلافية . فليختر الناس ما يشاءون ، ولا داعى للخلاف أو النزاع .. أو فليترك هذا المختلف فيه إلى المتفق عليه ..

وأحيانا يقولون ليس فى هذه المسألة نص قطعى فلنترك الناس على ما يختارون .. فالنصوص ظنية ..

والحقيقة أنهم متضاربون مع أنفسهم فى ذلك ...

إذ أن القياس وهو أصل من أصول التشريع قائم على الاجتهاد فى فهم النصوص وتنزيلها على الواقع ، والاجتهاد فيه الخطأ وفيه الصواب .. وفيه التحريم وفيه التحليل ، وهذا ليس أمرا قطعيا ..بل هو قائم على غلبة الظن . ومع ذلك يلتزمون به أو يلزمون به ، بل ويحاربون ويتهمون مخالفيهم فى كثير من المسائل النظرية والعملية بالعمالة والخيانة . وهى مجرد اجتهاد ..

فتلك الجماعة لايتعامل مفكروها مع النصوص تعامل أهل السنة ، فيقبلون ماثبت بالدليل البرهانى ، أو ما ثبت بتلقى الأمة له بالقبول ، إنما يردون مالا يتوافق مع أهوائهم من النصوص الثابتة فى البخارى ومسلم ، كما كان يفعل الغزالى بغير دليل ولا برهان . أو يؤولون النصوص الثابتة المتواترة على أصول مدارسهم وعقولهم ، يريدون من ذلك سحب الناس إلى جماعتهم بتلك المقولات ، على حساب البحث والنظر والدراسة ، دون اعتبار لحقيقة الخلاف وأهميته ، أو دون اعتبار لمقام المختلفين . هل هم أهل سنة أم أهل بدعة . !

والمختلف فيه إما حق وإما باطل ، إما حرام وإما حلال ، إما مباح وإما مكروه .. والخلاف فى قضية إيمان وكفر ..حلال وحرام يختلف عن الخلاف فى قضية مكروه ومستحب .. والخلاف بين أهل السنة وبين أهل البدعة يختلف عن الخلاف بين أهل السنة بعضهم بعضا. والإخوان يضعون الخلاف كله فى سلة واحدة ، لأجل السياسة والتجميع . ..

فالأسماء والصفات مختلف فيها بين أهل الإثبات وبين أهل التحريف ، بين

أهل السنة وبين أهل البدعة. وعلى منهج الإخوان فلنترك القضية بأكملها ، لأنها على حد زعمهم مختلف فيها ، وليأخذ المتفق عليه : أن الله موجود ، وأنه واحد . قال القرضاوى : « ليست معركتنا مع الذين يقولون عن الله ليس له مكان ، بل مع الذين يقولون ليس له وجود » (وجود الله . ص / ٧)

فالقضية لا تؤثر بشىء .. ولا شك أن أهل البدع إما أن يختلفوا فى إثبات الدليل ، وإما أن يختلفوا فى تأويله ..

ولا يمكن أن يكون الحق متضاربا متناقضا .. فالدين واحد والحق واحد لا يمكن أن يضرب بعضه بعضا ..

والواجب إلزام أهل الباطل بالدليل الصحيح والفهم الثابت عن الأئمة ، أما الهروب من القضايا والأحكام وتمييع المواقف ، بأخذ ما يروق للناس ويتناسب مع أهوائهم فهذا تدليس بغيض ، ينتهى إلى تزييف الدين وتضييع إرادة الأمة ووحدتها. ولا حق لهم فى ذلك فليسوا أصحاب وصاية على الدين . .

غير أنه لو قدر أن المختلف فيه يقع فى دائرة الخلاف المعتبر كمثل الذى تستوى فيه الأدلة ، فلا شك أنه لا يجوز لأحد أن يزجر أحدا فى قضية الناس منها فى سعة أو يفرض أحد على أحد حكما لمجرد أن فهمه واجتهاده يميل إليه ..

فقول هؤلاء هذه قضايا خلافية على العموم ، دون تحديد ، ودون أن يكون لهم سلف فيما يقولون من أهل العلم المعتبرين ..

وقولهم " ننقل دائرة الاهتمام من المختلف فيه إلى المتفق عليه" ... هذا كله مفهوم خاطئ ينتهى إلى تضييع منهج أهل السنة بالكلية ، أو ينتهى إلى إهمال أقوال الفقهاء والعلماء ، ومن ثم عدم التعبد لله تعالى بما يرضيه ..

وقد ثبت أن أصل هذه الكلمة التى يروج لها كثير من عامة الإخوان على الدوام ، والتى تصدر القرضاوي فى نشرها بينهم وهى " ننقل دائرة الاهتمام من المختلف فيه إلى المتفق عليه " يهودي .. فقد كان اليهود يقولون نفس هذا الكلام فى مناظراتهم .. يقولون لا يلزمنا إلا ما اتفقنا عليه .. وكان هذا الأمر شائعا فى بلاد

الأندلس حيث المناظرات والمجادلات فى مختلف العلوم .. وقد أثبت هذا التوجه فى كلام اليهود الإمام ابن حزم الأندلسي في كتابه (الإحكام في أصول الأحكام ٣, فقد كانوا يقولون : « قد اتفقنا على وجوب استعمال الخطاب على بعض ما اقتضاه واختلفنا في سائره فلا يلزمنا إلا ما اتفقنا عليه» .

قال ابن حزم تعليقا على ذلك : « قيل لهم وبالله تعالى التوفيق هذا اعتراض فاسد من وجوه كثيرة أحدها أنه خلاف النصوص والعقول والإجماع لأن الأمة مجمعة والعقول قاضية والنصوص من القرآن والسنن واردة كل ذلك متفق أن ما قام عليه دليل برهاني فواجب المصير إليه وإن اختلف الناس فيه وواجبألا نقتصر على ما أجمع عليه دون ما اختلف فيه إلا في المسائل التي لا دليل عليها إلا الإجماع المجرد المنقول إلى النبي (.. أيضا فقد قال تعالى ﴿ يا أيهاالذين آمنوا أطيعواالله وأطيعوا الرسول وأولي الأمر منكم فإن تنازعتم في شيء فردوه إلىالله والرسول إن كنتم تؤمنون بالله واليوم الآخر ذلك خير وأحسن تأويلا ﴾ فأمر تعالى عند التنازع بالرد إلى القرآن والسنة ودلائلهما قد قامت بوجوب حمل الألفاظ على موضوعها في اللغة ... وقال أيضا : فإن هذا من سؤالات اليهود ! إذ قالوا : قد وافقتمونا على نبوة موسى وخالفناكم في نبوة محمد ..

وهذا سؤال فاسد لأن الدلائل التي أوجبت تصديق موسى عليه السلام هي التي أوجبت تصديق محمد ﷺ إن لم يجب بها تصديق نبوة محمد ﷺ لم يجب بها تصديق نبوة موسى عليه السلام » أهـ

قلت : وهذا القول ثابت أيضا فى مناظرات النصارى مع المسلمين ، قال الإمام الشنقيطي : « ذكر بعض العلماء أن نصرانيا قال لعالم من علماء المسلمين ناظرنى فى الإسلام والمسيحية أيهما أفضل ؟ فقال العالم للنصرانى : هلم إلى المناظرة فى ذلك ..فقال النصرانى: المتفق عليه أحق بالاتباع أم المختلف فيه؟ قال العالم : المتفق عليه أحق بالاتباع من المختلف فيه.. فقال النصراني : إذن يلزمكم أتباع عيسى معنا ، وترك أتباع محمد ﷺ عليهما الصلاة والسلام).

فقال المسلم : « أنتم الذين تمتنعون من اتباع المتفق عليه ، لأن المتفق عليه الذى هو عيسى قال لكم :﴿ ومبشرا برسول يأتى من بعدى اسمه أحمد ﴾ فلو كنتم متبعين عيسى حقا لا تبعتم محمدا ﷺ ، فظهر أنكم أنتم الذين لم تتبعوا المتفق عليه ولا غيره، فانقطع النصرانــى» (تفسير سورة المائدة . الآية ٤٨) (أضـواء البـيان ١٠٨/٢).

معالجات تربوية مؤسفة

لم يقف حد التجاوز عن الخلافات فى دعوة الإخوان مع أصحاب الفرق على الشيعة والصوفية والمعتزلة والجهمية والمفوضة وأمثالهم ، فقد كان حسن البنا يرى كذلك عدم وجوب تصحيح المفاهيم والأخطاء الدائرة فى محيطة مرافقيه ، اكتفاء بعرض الفكرة الإخوانية .. ويرجع السر فى ذلك ..إلى نشأة حسن البنا .. لقد بين جمال البنا أن أخاه تربى فى بيت ليبرالى . وقد وصف هذا البيت بأنه : «منزل ليبرالي كل واحد له اتجاه . لا أحد يسال أحدا عما يفعل » (إيلاف نت . الحوار المتمدن .١٤/ ١٢/ ٢٠٠٣) وقد كان لجمال هذا اعتراضات على توجهات الإخوان ، وكان يصرح بها لأخيه ، ولم يكن يرد عليه ، فقال :

« فكنت أدلى للامام الشهيد بخلجات النفس ، ولم يكن هو جاهلا باتجاهاتي أو بتحفظاتى علي بعض المبادئ التي يتمسك بها الإخوان ، وكان يستمع ويبتسم دون أن يوافق أو يخالف)(شفاف الشرق الأوسط . نت. ٢٤ ديسمبر ٢٠٠٥م)

وكان تاركا للصلاة ، ولم يكن يعتب عليه ..قال جمال البنا : « وعينوني مدير المطبعة في عام ١٩٣٩ . وأعطوني غرفة بجوار المطبعة والمركز العام .. وأنا وسط هذا العمل أجد معاون الدار الشيخ عبد البديع صقر ، وكان رجلاً مسنا ينادي على الصلاة ، فكنت أقول له دعني يا أخ عبد البديع ، فيذهب إلى الأستاذ البنا ويقول له إن غرفة جمال وكر لتارك الصلاة ، وكنت أرد عليه بأن العمل عبادة .. فكان الأستاذ البنا يقول له : دعه . لأنه يؤمن أيضا بأن العمل عبادة..! » (إيلاف نت . الحوار المتمدن ١٤/ ١٢ / ٢٠٠٣م)

وهذا هو نفس ما كان يتعامل به حسن البنا مع عامة الإخوان ..

قال التلمسانى فى كتابه (ذكريات لا مذكرات) : « وكنت من المدخنين وشكا إخوان المكتب من هذا .. فقلت للإمام الشهيد : إما أن تأمرنى فأقلع وإما أن تسكت فأستمر .فقال : لا آمرك ولآ أنهاك .. إن فضيلته كان ينهى عن تناول المكيفات

حتى الشاى والقهوة ، ولكن لعله لمس فى طبعى عنادا ، فلم يرد أن يحرجنى أو يضعنى فى ركن فأنفلت ، أليست هذه تربية .!» أهـ

٢- صورة أخرى ..

وتلك صورة مشابهة تظهر جلية فى تعامل حسن البنا مع مقال للأستاذ / سيد قطب ، نشر فى جريدة الأهرام ، دعا فيه إلى الإباحية والعرى ..

قال محمود عبد الحليم : « وقد قرأت فى هذا الوقت فى جريدة الأهرام مقالا لسيد قطب يدعو فيه دعوة صريحة إلى العري التام ، وأن يعيش الناس عرايا ، كما ولدتهم أمهاتهم ـ وكانت هذه البدعة قد انتشرت فى بعض بلاد أوروبا ـ وقد أثارنى هذا المقال إثارة لم أستطع معها أن أقاوم القلم الذى وجد فى العقل والمنطق والخلق والحياء ألف دليل ودليل يدحض هذه الدعوة ويثبت أنها دعوة تخريبية بهيمية دخيلة .. الخ » (أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢١١)

فكتب محمود عبد الحليم مقالا رد فيه على تلك الدعوة ، ثم ذهب ليعرضه على الأستاذ المرشد ، فقال : « حملت المقال الذى كتبته وذهبت به إلى الأستاذ المرشد ـ كدأبى فى كل مقال أكتبه فى غير مجلتنا ـ وكنت مزمعا نشره فى الأهرام مطالبا إياه بنشره فى نفس المكان الذى نشر فيه المقال المردود عليه .. قرأه الأستاذ المرشد ثم أطرق طويلا .. الخ

وكان ملخص ماقاله ردا على هذا المقال :

- كاتب هذا المقال شاب متأثر بالبيئة التى نشأ فيها ..
- هدف هذا الشاب .. هو محاولة جذب الأنظار إليه ..
- قراء الأهرام عدد محدود بالنسبة لسكان البلاد .
- إذا نشرنا ردا على هذا المقال فى الأهرام كانت لذلك النتائج الآتية:

١- سيثير نشر الرد اهتمام الذين لم يقرأوا المقال الأصلى إلى البحث عنه

٢- نكون ـ بغير قصد ـ قد لفتنا الأنظار إلى نوع من الرذائل ربما علقت به بعض النفوس الضعيفة .

٣- الرد نوع من التحدى ـ والتحدى يخلق فى نفس المردود عليه نوعا من العناد وهذا الكاتب شاب وترك الفرصة أمامه للرجوع إلى الخير خير من إحراجه. الخ

ثم قال : ما رأيك فى هذه المخاطر ؟ قلت : إنها مقنعة تماما ... ومزقت الرد بين يديه .. ولا داعى للإشارة إلى ماكان من أمر هذا الشاب » أهـ

تلك هى دعوة الأستاذ حسن البنا تجاه قضايا الأمر والنهى . لاترد فى مسائل الدين والشريعة ... أما السياسة فلا يمكن أن تستقر البلاد أو تهدأ ، حتى يعرف رأى الإخوان ، كما قال الهضيبي .. ونحن فى صراع لاينتهى ، كما قال صالح أبو رقيق . ولا بد من تهيج العامة على الحكام ، كما قال عاكف .. فانظر إلى مواضع النزاع لتعلم حقيقة تلك الدعوة .

وأعجب ما فى الأمر أن يضرب محمود عبد الحليم ألف دليل فى إبطال حجج سيد قطب ثم يتراجع عنها لحجج هزيلة أثارها حسن البنا ، فقال : « وقد أثارنى هذا المقال إثارة لم أستطع معها أن أقاوم القلم ، الذى وجد فى العقل والمنطق والخلق والحياء ألف دليل ودليل يدحض هذه الدعوة ، ويثبت أنها دعوة تخريبية بهيمية دخيلة.الخ »أهـ

وهكذا الإخوان إذا تعارض الفهم الصحيح مع أهدافهم التجميعية . .

* وكما أن حسن البنا لم يكن منشغلا بالرد على دعاة الإباحية كذلك كان يرى عدم الرد على دعاة الشيوعية ، وعدم الاهتمام بتفنيد حججهم ، وتزييف أفكارهم، غير أنه كان يرى الاكتفاء بتبيين المنهج الإسلامى وعرض الفكرة الصحيحة فقط .. وقد وضح ذلك محمود عبد الحليم بقوله : « كان الأستاذ المرشد يرى أن الوقت الذى نضيعه فى مهاجمة فكرة كالشيوعية نحن أحوج إليه لنشر فكرتنا وتوضيح معالمها وأهدافها .ولقد كنت من أشد الناس اقتناعا بخطة المرشد فى مقاومة الفكرة الهدامة بإغفال ذكرها وعدم التعرض لها أو الهجوم عليها واستغلال كل

الوقت والجهد فى توضيح فكرتنا ونشرها على أوسع نطاق» (أحداث صنعت التاريخ ١/ ٥٣٨) ثم التمس العذر للشيوعيين بزعم أنهم لا يجدون بديلا يقدم لهم من قبل الحكام .فقال : « وهؤلاء الذين عطفوا على الشيوعية واستجابوا لها يلتمس لهم العذر لأنهم رأوا فكرة تضطهد دون أن يروا فكرة بديلة يعرضها عليهم هؤلاء الحكام»أهـ..

ولا شك أن هذا الكلام ساقط ، وسقوطه يغنى عن إسقاطه ، سواء ما انتهى إليه من عدم تعيين الباطل بالزجر والتوبيخ ، اكتفاء بعرض الفكرة الصحيحة ، أو من جهة التماس العذر للشيوعيين ، وذلك لأن الشيوعية تتصادم مع فطرة التوحيد الضرورية ، التى خلق الله تعالى عليها الخلائق ..

وهذا الأمر لا يلتمس فيه عذر لغياب فكرة ، لأن الحجة قائمة .. كما أن عرض الفكرة الصحيحة لا يكفى لمعرفة الحق من جميع أوجهه . ولا شك أن منهجه يتصادم مع حقائق ثابتة فى الكتاب الكريم والسنة الصحيحة ..

٢- صورة ثالثة ....

يكفى أن تؤمن بما أمن به حسن البنا ، وما أعده فى باطنه ، ثقة فيه ، دون أن تستطلع الحجج والبراهين . وقد تقدم شاهدا على ذلك قول حسن البنا لعبد العزيز كامل : « أنا أعلم نوع تفكيرك وتمسكك بالسنة ، وستأتى أيام وظروف قد نختلف فيها ، وأود فى هذه الظروف أن تترك رأيك لرأى .. ألا تطمئن إلى ؟» (مذكرات عبد العزيز كامل . ص/ ٥٣)

وقد أشار حسن البنا إلى ذلك على الإجمال فى رسالة المؤتمر الخامس بقوله: « أيها الإخوان المسلمون .. إن طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده ، ولست مخالفا هذه الحدود التى اقتنعت بها كل الاقتناع بأنها أسلم طريق للوصول ، أجل قد تكون طريقا طويلة ولكن ليس هناك غيرها .. إلى أن قال :

« على أن التجارب فى الماضى والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا فى طريقكم ولا إنتاج إلا مع خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون فلا تغامروا بجهودكم ولا

تقامروا بشعاركم .. » أهـ ..

هذا هو الذى كان يملكه حسن البنا : الكلام المجمل العام والعواطف الجياشة ، أما تأصيل القواعد وتحقيق النصوص وتفصيل الشبهات واستنباط الأحكام وبناء الشخصية المستقلة فليس هذا طريقه ولا سبيله .. ومن أجل ذلك كان يفر من الأحداث ، ويبتعد عن مواقع النزاع ، لعجزه التام عن الفصل فى الأمور ، وليترك لأصحاب التنظيم الخاص تناول القضايا بطريقتهم الخاصة . حتى إذا هدأت الأمور عاد إلى موقعه وأمسك بزمام الأمور .. ففتنة واحدة أو قضية علمية واحدة فى جماعة الإخوان كفيلة بهدم الصرح على من فيه . نعم قضية علمية أو سؤال واحد كفيل بأن يجتذب جميع الأكابر والمخلصين والدعاة من حول المرشد .

قضية أحمد رفعت ..

من تلك القضايا التى مزقت جماعة الإخوان إربا بعد تسع سنين من نشأتها قضية " أحمد رفعت " تلك القضية التى وقعت أحداثها عام ١٩٣٧ م .. فقد عصفت بأناس وصفهم محمود عبد الحليم - غلوا وتعظيما لم يحتسب فيه علما عند الله تعالى - بأنهم : « مجموعة بلغت نفوسها فى الصفاء درجة الشفافية وسمت أرواحهم حتى حلقت مع الملائكة ...

لا أعتقد أنه على وجه الأرض فى ذلك الوقت قوم أصفى نفوسا ولا أنقى قلوبا ولا أشد حبا للإسلام ولا أسمح بالنفس والمال فى سبيله من هذه المجموعة التى أوقدت نار هذه الفتنة وكانت هى وقودها » (أحداث صنعت التاريخ . ١/ ٢٢٣)

وقد وجدت تلك الفتنة عند كثير منهم أعيانهم آذانا ضاغية واستجابة سريعة .. لم يمنعهم علم ولا فهم ولا قرب من الإمام من الوقوع فى براثنها ، قال محمود عبد الحليم : « والظاهرة العجيبة التى لاحظتها أن دعوة أحمد رفعت كانت تلقى من كثير من الإخوان آذانا صاغية واستجابة سريعة » ص/ ٢٢٥ ..

وقال ص/ ٢٢٧ : « والعجيب الذى لا أزال أذكره أن بعض عقلاء الإخوان

رأيتهم يقفون فى هذا الاجتماع يتحدثون تأييدا لأحمد رفعت ... وانتهى هذا الاجتماع وقد ازداد عدد مؤيدى أحمد » .

وقال ص/ ٢٢٩: « وكان مما أثارني وحملنى فى التفكير على خطة حاسمة للوقوف فى مجه هذه الفتنة المتفاقمة أننى رأيت إخوانا كراما من ذوى العقل والسبق الرزانة يحضرون هذه الجلسات فى منزل حسن اليد عثمان ، وعلمت أنه كادوا يقعون فى حبائلهم بدليل توالى ترددهم على جلساتهم فى هذا المنزل ، ومن هؤلاء الإخوان الشيخ أحمد الباقورى ..» أهـ ..

وكان هناك إخوان يلعبون على الحبلين ، ينتظرون إلى أين تدور الدوائر ، كى يقفزوا على الكراسي والمواقع . . قال محمود عبد الحليم : « وبدأ الذين يلعبون على الحبلين من الإخوان والذين اتخذوها لعبوا ولهوا يشعرون أن نظام المقاطعة الذى هادنهم فى أول الأمر قد اقترب منهم .. الخ » (أحـداث صنـعت التاريخ . ١/ ٢٣٢) ..

وأعجب ما فى ذلك أن هؤلاء الأخيار انضموا إلى أحمد رفعت ، وآزروه فى دعوته ، مع كونه ومن كان معه كانوا يوجهون السباب لفضيلة المرشد على الملأ ..قال محمود عبد الحليم : « وانتهى هذا الاجتماع وقد ازداد عدد مؤيدى أحمد ولعل ذلك قد بعث فى نفسه شيئا من الغرور فبدأ يتحدى الأستاذ المرشد ويوجه له ألفاظا نابية ويخاطبه بأسلوب لا يليق به ثم ازداد تطرفا فصار هو وشيعته يسبون الأستاذ المرشد ويوجهون إليه الشتائم»(أحداث صنعت التاريخ . ١/ ٢٢٧) ..

فما القضية التى عصفت بهؤلاء الأخيار - الذين لا يوجد أحد على وجه الأرض أصفى قلوبا منهم ، كما وصفهم محمود عبد الحليم - وأدت إلى هجران حسن البنا المركز العام شهرا كاملا أو يزيد ، حتى ينتهى النظام الخاص من القضاء عليهم والتخلص منهم .. القضية أن هؤلاء الشباب اعترضـوا على عـدة أشياء منـها : ..

١- اعترضوا على منهج حسن البنا فى مداهنة الملك فاروق ، وعدم توضيح الحقيقة التى تريدها الجماعة منه ، والتى يرددونها فيما بينـهم فى الأسـر والكتائب ..

٢- اعترضوا على طريقته فى الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر ...

٣- اعترضوا على اقتصار جانب الجهاد بفلسطين على الدعاية والإعلان .

أسئلة أحمد رفعت وموقف حسن البنا ....

قال محمود عبد الحليم : « وعقد الأستاذ المرشد جلسة ضمت صفوة الإخوان وتحدث ماشاء الله له أن يتحدث ، ثم دعا أحمد رفعت ليحدد اعتراضاته على الإخوان ومطالبه التى يريدها ، فقام أحمد وحدد اعتراضاته ومطالبه فى ثلاثة بنود : الأول : أنه يرى أن الإخوان تجامل الحكومة وتتبع معها سياسة اللف والدوران ، ويجب على الإخوان أن يواجهوا الحكومة بالحقيقة التى قررها القرآن فى قوله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ [المائدة . ٤٤].

الثانى : موضوع المرأة وإلزامها حدود الإسلام فى عدم التبرج والاحتشام مكتفين بدعوة المرأة إلى ذلك بالنصيحة والكلام دون العمل ..

ويرى أحمد .. أن يوزع الإخوان أنفسهم فى شوارع القاهرة ومع كل منهم زجاجة حبر ، كلما مرت فتاة أو امرأة متبرجة إلقى عليها هذا الحبر ، حتى يلطخ ملابسها فيكون هذا رادعا لها ...

الثالث : موضوع فلسطين : يرى أحمد أن وقوف الإخوان فى مساعدة مجاهدى فلسطين عند حد الدعاية لهم وجمع المال لهم هو تقصير فى حق هذه القضية وقعود عن الجهاد وتخلف عن المعركة ، وعلى الإخوان أن يتركوا أعمالهم ويتطوعوا فى صفوفهم وإلا كانوا من الخالفين»أهـ .

لم يرد حسن البنا على ما أثاره أحمد رفعت وإخوانه .. و كان من الواجب عليه أن يرد . باعتباره القائد العام ، والكلمة الأولى والأخيرة له ، كما قال سيد قطب ، وإنما ترك بعض أتباعه ليرد ، دون استحضار لأدلة أو براهين. فانظر وتأمل فى هذا الرد ، لترى حقيقة الدعوة الإخوانية منذ نشأتها إلى الآن .

قال عبد الحليم : « وتصدى بعض الحاضرين للرد على أحمد فى الاعتراضين **الأولين فقالوا: إن مواجهة الحكومة يجب ألا تكون إلا بعد توفر عاملين :**

١ – توعية الشعب بالحقائق الإسلامية التي لازال حتي اليوم خالي الذهن منها ولا زال الشعب يجهل علاقة الإسلام بالحكم وعلاقة الإسلام بالتشريع ـ ونحن لولا اتصالنا بدعوة الإخوان ما فهمنا هذه المعانى.

٢– **اكتساب الدعوة قوة شعبية إذا ما أرادت مواجهة الحكومة ، ولا زالت** الدعوة حتى اليوم دعوة وليدة فى حاجة إلى تثبيت لدعائمها وبسط لرواقها. والمواجهة بغير توفر هذين العاملين لن يكون لا انتحارا لا نتيجة له ولا جدوى من ورائه .

أما موضوع المرأة فكان ردهم عليه هو : أننا لو أخذنا باقتراح الأخ أحمد لكانت النتيجة فى اليوم الأول للأخذ بهذا الأسلوب أن يلقى القبض على جميع الإخوان ويجرى معهم التحقيق ويودعوا السجون ... الخ

أما موضوع فلسطين فكان الأستاذ المرشد قد اتصل فى شأنه بالسيد أمين الحسيني مفتى فلسطين فرد على الأستاذ بخطاب قرأه علينا فى هذا الاجتماع وفيه يقول سماحته : « إن المجهود الذى يبذله الإخوان فى الدعاية لقضية فلسطين فى مصر هو القدر المطلوب ، والذى نحن فى أمس الحاجة إليه ، ولا يستطيعه غيرهم ، ولسنا فى حاجة إلى متطوعين » ..وانتهى هذا الاجتماع ، وقد ازداد عدد مؤيدي أحمد .. (أحداث صنعت التاريخ ١/ ٢٢٧) .

هذا هو محور النزاع .. ولو دققنا النظر لوجدنا أن ليس ثمة خلاف بين الطرفين من الناحية المنهجية ... اللهم إلا فى توقيت البدء بالأفعال التى تترجم تلك الأفكار .. فهؤلاء يريدونها فى الحال ، وأولئك يرون تأجيلها إلى أجل .. غير أن الذى عصف بالجماعة فى تلك المحنة أن حسن البنا ومن معه لم ينظروا فى القضية بتأصيلات السلف أهل الحديث .. فحسن البنا كان يعد الأغلبية والكثرة لمواجهة الحكام ، هذا فقط هو الذى يملكه، لا يريد شيئا يعكر عليه قصده ..ولا يريد الجهر بما يريد وما يسر فى نفسه ..

وقد كان من الواجب فى القضية الأولى أن يبين فقه السلف فى معاملة الحكام. وأن مقام الملك الذي بايعه على الولاء التام يقتضي النصح والبيان ولا يقتضي الكثرة والعدد .

أما القضية الثانية : المتعلقة بالتبرج والسفور فقد كان من الواجب على حسن البنا أن يبين منهج أهل الحديث فى تغيير المنكر ، ثم يبين موقع من لا أهلية له ولا سلطان من الأمر والنهى . لا أن يقف الأمر على ما يتعرض له الإخوان من السجن والاعتقال بسبب اتخاذ العنف طريقا للتغيير ...

وسبحان مغير الأحوال فقد عرضت قضية الحجاب فى ديسمبر ٢٠٠٦م وانخلع الإخوان منها ، وتصدى لها نواب الحزب الوطنى .بينما قال محمد عاكف فى حوار مع جريد العربي : « الوزير حر بما يقول والإخوان لن ينشغلوا بمعركة ضد الرأي ، بل معركتهم ضد الفساد والمحسوبية» أهـ . وقال فى اتصال هاتفى مع قناة دريم كما نقله (نافذة مصر نت) : « مصر تعاني من مشاكل وأزمات أكبر وأخطر ألف مرة من الحجاب مثل الاستبداد والفقر. ونفى المرشد أن يكون لنواب كتلة الإخوان دور في تصعيد الموقف داخل مجلس الشعب » أهـ

أما القضية الثالثة : قضية فلسطين .. فقد كان من الواجب على المرشد العام أن يبين أنه فرد من أفراد الرعية .. وأن مسئولية الجهاد والخروج للقتال ليست له ، إنما هى للإمام . كما بين النبي ﷺ : « الإِمام جــنة يقاتل مِن ورائِــهِ ويتقى بِهِ » (رواه

البخاري . كتاب الجهاد ٢٩٩٤) .

قال العثيمين فى (الشرح الممتع . ٨/٢٥) : « لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر ، لأن المخاطب بالجهاد هم ولاة الأمور » أهـ ..

لم يفعل حسن البنا شيئا من ذلك ، ولم يقم حجة على المخالفين . ولم يبين حكم معاملة الحكام ، ولم يبين قواعد الأمر والنهى ولا أصول الجهاد فى سبيل الله تعالى .. وبسبب ذلك خرج هؤلاء الشباب من تلك الجلسات غير مقتنعين بحجج حسن البنا ولا بحجج أتباعه .. وزاد أتباع أحمد .. فقد تبين أن حسن البنا لا يدخل فى ثنايا الموضوع إلا من قبل الألفة والمحبة والمودة ، وكذلك من كان معه ، كما بين محمود عبد الحليم فى أحد اللقاءات ، قال : فقمت : « بإعداد كلمة تدور حول جمع الكلمة ونبذ ما يدعو إلى الفرقة وأن الاجتماع على نتف الحق خير من التفرقة على الحق كله . وتمثلت فى ذلك قول على : « كدر الجماعة خير من صفو الفرد » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٢٥) .

خطة القضاء على أحمد رفعت ومن معه ..

وبناء على هذا العجز العلمى والفشل المنهجى فى معاملة هؤلاء الشباب فكر الإخوان فى طريقة أخرى للتعامل مع هؤلاء الشباب تنتهى بهم إلى الجنون والصرع والقتل .. وهذا هو المصير الذى يعده الإخوان لمن يختلف معهم .. يرفعون من ينتسب إليهم فى الجانب الشعورى حتى يقدس الصورة ويعشقها .. دون الجانب العقلي أو العلمى .. فالجماعة هى الأمة .. والدعوة هى الحق والإسلام .. والإخوة هى المثال .. والبيعة هى الأمان ... وحسن البنا هو الإمام ولا إمام غيره .. ويجب عليك قبل نومك وقبل دعائك أن تتفقد فى مخيلتك صور إخوانك وصورة حسن البنا ... ثم بعد ذلك ينزع هذا كله بغير علم ولا برهان .. ويقال له " إن مت فميتتك جاهلية ومصيرك إلى النار ، لأنك فارقت الجماعة وخالفت الإمام " فأعد محمود عبد الحليم خطة للقضاء على تلك المجموعة ، التى أدت إلى ترك حسن البنا الدروس والمركز العام للجماعة لمدة تزيد على الشهر ، حتى يستطيع أتباعه أن

يتخذوا الإجراءات التى لا يحب هو أن يتخذها بنفسه .. قال عبد الحليم : « الدعوة توقفت تماما فترة تزيد على الشهر، وهى الفترة التى كان لابد من احتجاب الأستاذ المرشد فى بيته خلالها .. وقال : « استغرقت هذه الفتنة منذ كانت بصيصا تحت الرماد حتى قضي عليها قرابة نصف عام كانت الدعوة فى خلاله عرضة للانتهاء والزوال » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣٣) .

وقد قامت خطة محمود عبد الحليم على ثلاثة محاور :

١- دعوة الإخوان الذين تركوا الجماعة للعودة إليها مرة أخرى .

٢- تجديد البيعة لحسن البنا .. بما يدل على خطورة الموقف ..

٣- الدعوة إلى مقاطعة أحمد رفعت وجماعته مقاطعة تامة ...

قال محمود عبد الحليم : « تعهد كل فرد من المجتمعين منذ اليوم بمقاطعة أحمد رفعت ومجموعته مقاطعة تامة بمعنى ألا يلقى عليهم السلام وألا يرد عليهم السلام إذا ألقوه عليهم ، وألا يتحدث إليهم ، وألا يرد عليهم إذا واجهوا إليه حديثا ، وألا يعيرهم سمعه ، وألا يومئ إليهم ولو بإشارة ، حتى إذا شتموه لا يرد عليهم » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣١) .. فطبق الإخوان تلك التعهدات مع أحمد رفعت ورفاقه الأخيار الأطهار ، الذين لايوجد أحد على وجه الأرض فى صفائهم ونقائهم ، كما وصفهم محمود عبد الحليم .. حتى انتهى الأمر بأحمد رفعت إلى الجنون والقتل . قال محمود عبد الحليم :

« حينئذ وجد أحمد رفعت نفسه حبيسا فى بيت حسن عثمان ، وليس معه إلا صديق أمين ومحمد عزت .. لا أحد غيرهم يطرق عليهم البيت بالليل ولا بالنهار ، فأصيب أحمد بما يشبه الجنون .. حتى رق قلبنا له ولمن معه .. فبعثت إليهم من يعرض الصلح وأن يرجعوا تائبين معلنين توبتهم فاختلفت إجابتهم » (١ / ٢٣٣)

النهاية ... قال محمود عبد الحليم :

« قرر أحمد السفر إلى فلسطين لينضم إلى المجاهدين فى محاربة الإنجليز واليهود .. ولما علمنا بعزمه هذا أرسل إليه الأستاذ المرشد وطلب إليه الحضور ليجهزه بالمال والسلاح ويسلمه إلى مجموعة من المجاهدين الفلسطينيين الذين كانوا يتصلون بنا حتى يؤمنوا له الطريق لأن المجاهدين يشكون فى كل من يرونه فى طريقهم ـ ما داموا لا يعرفونه ـ ويعدونه جاسوسا عليهم ويقتلونه .. فرفض أحمد طلب الأستاذ وأصر على الذهاب وحده وذهب فعلا ولقى مصرعه كما كنا نتوقع على أيدي المجاهدين » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣٣) .

ترى من الذى أوصل أحمد رفعت إلى الجنون والصرع ومن الذى قتله ؟

مسائل عجيبة ...

كان من أعجب ما قرأت فى تلك القضية أن محمود عبد الحليم قال إن أحمد رفعت زعم أنه كان يتلقى من النبى ﷺ كل ما يدعيه من الأمور فى المنام ، بل وأكثر من ذلك زعمه أن النبى ﷺ كان يأتيه يقظة يأكل معه ويشرب .. قال محمود : « وصل بهم الأمور إلى الحد الذى ادعى فيه أحمد رفعت أنه يتلقى تعليمات وأوامر تلقيا مباشرا عن رسول الله ﷺ وادعى أولا أنه عليه الصلاة والسلام يأتيه فى الرؤيا ويوجه إليه أوامره . وقد وجد من يصدقه فى ذلك ومنهم أفراد من أكرم الإخوان وأخلصهم .. وكانت هذه الأوامر والتعليمات كلها منصبة على أن الإخوان قد تخاذلوا عن القيام بدعوتهم وأنهم خانوا الدعوة وأن الرسول ﷺ قد اختار أحمد رفعت للقيام بأعباء الدعوة .. ثم تعاظم الغرور فادعى أنه يتلقى من رسول الله ﷺ جهارا نهارا فى تمام اليقظة ، ثم ادعى أنه ﷺ يحضر معه الغداء ويتناول معه الطعام ويتلقى منه الأوامر والتعليمات ..الخ وكان مما رأيت إخوانا كراما من ذوى العقل والسبق والرزانة يحضرون هذه الجلسات .. وعلمت أنهم كادوا يقعون فى حبائلهم بدليل توالى ترددهم على جلساتهم فى هذا المنزل » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٢٩) .

وهنا نوضح عدة مسائل :

المسألة الأولى : أن الأستاذ محمود أنكر على أحمد رفعت ادعاءه أن النبى ﷺ كان يأتيه فى اليقظة ، وعد ذلك من الخرافات ، وقال إنه انحدار إلى الحضيض - وهو صحيح - غير أنه نسى أن شيخه حسن البنا كان يؤمن بذلك ويعتقده . وكان يردد أبياتا شعرية تتضمن هذا المعتقد فى مناسبات المولد النبوى ، التى كان يحتفل بها الإخوان فى زمنه ، فقد قال شقيقه عبد الرحمن البنا : « وذلك أنه حين يهل هلال ربيع الأول كنا نسير في موكب مسائي كل ليلة حتى ليلة الثاني عشر ننشد القصائد في مدح الرسول ﷺ، وكان من قصائده المشهورة في هذه المناسبة المباركة :

صلى الإله على النور الذي ظهر اللعالمين ففاق الشمس والقمر

كان هذا البيت تردده المجموعة بينما ينشد أخي وأنشد معه :

هذا الحبيب مع الأحباب قد حضرا و سامح الكل في ماقد مضى وجرى

وقال :

وما لركب الحمى مالت معاطفه لا شك أن حبيب القوم قد حـضرا.

(حسن البنا بأقلام تلامذته ص٧٠ـ٧١).

فإذا كان الذى ادعاه أحمد رفعت من التخاريف ، كما قال محمود عبد الحليم .. فالذى علمه ذلك هو المرشد العام الأستاذ حسن البنا ..

المسألة الثانية : أن كثيرا من الإخوان انماع مع دعوة أحمد رفعت ، منهم أفراد من ذوى العقل والرزانة ، كما قال محمود عبد الحليم : « وقد وجد من يصدقه في ذلك ومنهم أفراد من أكرم الإخوان وأخلصهم » . وقال : « وكان مما رأيت إخوانا كراما من ذوى العقل والسبق والرزانة يحضرون هذه الجلسات » الخ .

فإذا كان أخلص الناس فى القوم وأشدهم عقلا ورزانة قد اختل توازنه وفكره فى تلك القضية ، حتى صدق تلك الخرافات . فكيف بالعامة !.

أليس فى هذا دليل على انتشار الجهل والخرافات فى دعوة الإخوان ، وأنها

كانت تجمع كل من هب ودب . وأن حسن البنا لم يكن يملك مقومات التربية العلمية على كتاب الله وسنة رسوله ﷺ ؟

المسألة الثالثة : أن محمود عبد الحليم كان فى حيرة شديدة كعادته فى الرد على المسائل العلمية الدينية .. كيف يرد على زعم أحمد رفعت برؤية الرسول ﷺ فى المنام . ؟ قال محمود : « لقد شغلتنى تلك القضية وأقلقت مضجعى وظللت دائب البحث عن رد مقنع وإجابة شافية تملأ النفس وتزيل الحرج» أهـ .

حتى اهتدى إلى كتاب الاعتصام للشاطبي فى مكتبة أحد شيوخ الأزهر ، فلم يسأل الشيخ ولم يعبأ به ، وانصرف إلى الكتاب ، وبحث المسألة ، وخرج منها إلى أنه لا يمكن لأحد أن يرى النبى ﷺ إلا إذا كان قد رآه مسبقا كالصحابة (رضى الله عنهم) فإنه فى مخيلتهم ، أما غير الصحابة فكيف يصح ادعاؤهم رؤية النبى ﷺ؟ فقال : « أما من سوى هؤلاء الصحابة ممن لم يروا النبى ﷺ رأى العين فإنه إذا جاءهم فى المنام من يدعى أنه رسول الله ، فكيف يحكمون بصحة ادعائه ، وليس فى مخيلتهم صورته ﷺ الحقيقية » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٣٠) هذا هو ما انتهى إليه . وقد نسى أن صورة النبى ﷺ منقولة فى كتب السنة بأسانيد صحيحة واضحة كالشمس فى رابعة النهار .. فلا علم ولا تحقيق ولا ضبط .. حركة مفتقرة إلى العلماء والمحققين .. إذا وقعت الفتنة اضطرب المضطرب وتزلزل الشاك . . لا يجد أحدهم أحدا يأوى إليه ، لينهل من علمه ومن فقهه . إلى أن يرجع إلى كتاب ليشفى ظمأه . قد يفهم منه فهما صحيحا ، أو يتخبط ويجهل ، فلا يدرى ولا يفهم ، ولا يصل إلى نتيجة .

غاية التربية فى الفكر الإخوانى الوصول إلى الحكم

لا يزال الإخوان يتكلمون عن الإسلام وأعينهم على الحكم ، فالإسلام عندهم وسيلة للحكم .. هذه حقيقة لايمكن لأحد منهم إنكارها . وتلك أعظم غايات التربية فى الفكر الإخوانى ، يؤمن بها وينشأ عليها الفرد الإخوانى ويدعو إليها وينشرها فى المجتمع منذ أن ينتسب إلى الجماعة إلى أن يموت .. والأدلة علي رغبتهم فى الحكم لا تحتاج إلى بيان : فقد سعوا فى الانقلاب على الملك فاروق ملك مصر. وقتلوا الإمام يحى بن حميد الدين إمام اليمن من أجل الحكم .؟ وشاركوا فى الانقلاب الذى تم فى السودان بقيادة حسن الترابي من أجل الحكم .؟ وشاركوا الخميني ثورته الشيعية الرافضية فى إيران من أجل الحكم ..؟

قال العلامة المحدث عبد المحسن البدر العباد (حفظه الله) :

« وأما أبرز أهداف هذه الفرقة فهو الوصول إلى سُدة الحكم في البلاد الإسلامية، لذلك يبذل قادتها الغالي والنفيس في سبيل هذا الهدف ، ولو وصل الأمر إلى الانحراف عن الصراط المستقيم عقيدة ومنهجا» (تعليق الفوائد لأبى عبد الله الأثرى)...

وقال العلامة صالح بن عبد العزيز آل الشيخ (حفظه الله) : « الغاية من دعوتهم هو الوصول إلى الدولة ، أما أن ينجى الناس من عذاب الله جل وعلا وأن تبعث لهم الرحمة بهدايتهم إلى ما ينجيهم من عذاب القبر وعذاب النار وما يدخلهم الجنة وما يقربهم إليها فليس في ذلك عندهم كثير أمر ولا كبير شأن ولا يهتمون بذلك» (تسجيلات منهاج السنة بالرياض) .

وقد أكد قادة الإخوان سعيهم الدءوب من أجل الوصول إلى الحكم . قال محمد عاكف : « الإخوان تنظيم ديمقراطي وله شعبية كبرى فلماذا لا يصل إلى السلطة ، طالما أنه سيصل عبر صناديق الانتخابات ومن خلال الناس ، وليس على ظهور الدبابات» (إسلام أون لاين . نت ١٧ / ٤ / ٢٠٠٥م) ..

لا يخفى الإخوان حرصهم على السلطة غير أنهم يسلكون سبلا مرحلية ، يقصدون بها تهيئة الشعب للوصول إلى حد المنافسة على السلطة ، بدلا من مجرد المشاركة .. والإخوان لا يجهزون المجتمع عقائديا ولا دينيا ، ولا يعدون كذلك من ينتسب إليهم على نفس الوجهة ، إنما يلعبون على النواحى السياسية ، ويلتفون حول القوانين الوضعية ، ويتسترون بالديمقراطية . هذا هو مجال البحث والمناظرة والكتابة . لا علاقة لهم بالدين ولا بالدعوة .. اللهم إلا أنهم يستخدمون الشعارات الإسلامية التى تمثل بالنسبة لهم" حصان طروادة " ، الذى يختبئون فيه ليصلوا إلى الحكم .. بزعم أنهم فصيل سياسي له الحق فى ذلك ، ولا مانع من استغلال قاعدة عمياء ، لا تفهم اللعبة السياسية ، غير ظنها أن كل ما تفعله الجماعة إنما يراد به نصر الإسلام وإقامة الدولة . .

مرجعية قديمة ...

وإذا كان الإخوان الآن يطلبون الحكم بمرجعية ديمقراطية وقوانين وضعية .. فقد كانوا فى الزمن الماضي ينتحلون نهجا آخر متمثلا فى غطاء ديني ، يبررون به سعيهم إلى السلطة .. وذلك أنهم اتخذوا من فعل نبى الله يوسف (عليه السلام) فى طلب الولاية من عزيز مصر ، بقوله : ﴿اجعلنى على خزائن الأرض إنى حفيظ عليم﴾ [يوسف : ٥٥) دليلا على جواز طلب الولاية والسعى إليها .. وهذا قياس مع الفارق ، وهو مردود من عدة أوجه :

أولا : إذا قلنا إن شرع من قبلنا شرع لنا فهذا مشروط بعدم مخالفته لشرعنا ، وقد ثبت فى شرعنا النهى عن طلب الإمارة ، وعدم تمكين من طلبها ، وذلك لما رواه البخارى ومسلم عن عبد الرحمن بن سمرة قال : قال لي رسول الله ﷺ: « يا عبد الرحمن بن سمرة لا تسأل الإمارة فإنك إن أعطيتها من غير مسألة أُعنت عليها وإن أعطيتها عن مسألة وكلت إليها»(انظر البخاري رقم ٦٧٢٨ باب من سئل الإمارة وكل إليها) .

قال الإمام النووى : « في هذا الحديث فوائد :

منها : كراهة سؤال الولاية ، سواء ولاية الإمارة والقضاء والحسبة وغيرها .

ومنها : بيان أن من سأل الولاية لا يكون معه إعانة من اللّٰه ، ولا تكون فيه كفاية لذلك العمل ، فينبغي أن لا يولى ، ولهذا قال ﷺ : " لا نولى عملنا من طلبه أو حرص عليه " » (شرح صحيح مسلم ١١٦/ ١١) أهـ .

ثانيا : أن فى طلب الإمارة تزكية للنفس ورؤية لها ، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله : ﴿فَلَا تُزَكُّوا أَنفُسَكُمْ هُوَ أَعْلَمُ بِمَنِ اتَّقَى﴾ [النجم: ٣٢) والإخوان يزكون أنفسهم ، كى يتصدروا نيابة عن الأمة باسم الإسلام ، مع كونهم ليسوا موضع تزكية من علماء الأمة المشهود لهم بالدين والدراية ، فهم فى فهم الدين فى مصاف العامة ، وفى السياسة لا وزن لهم ، وتاريخهم شاهد على ذلك ..

ولا يجب أن يكون الشعب المصري محلا لتجارب فاشلة .. أما نبى الله يوسف (عليه السلام) فقد زكاه الله تعالى وبرأه من أمراض النفس التى قد تعتري عامة من يتعرض لتلك المسألة . كما أنه (عليه السلام) مأمون من الفتنة عند مباشرة الحكم ، لأنه نبى ، وقد شهد الله تعالى بأنه " حفيظ عليم " وقد حفظ الله به مصر حقا .

ثالثا : أن الإخوان مستمرون فى صراع الطلب ، مظهرون الخروج الدائم على الدولة ؛ وهذا بدوره يسبب الاضطراب ، ويسد أبواب النصيحة ، ويشكك فى الموعظة ، كما أنهم يشعلون الصراع الأيدلوجى إذا كان متعلقا بنظام الدولة ، أما خارج نطاق الحكم والدولة فهم أخلاء وأصدقاء لكل الأيدلوجيات المخالفة للإسلام .

وهذا يدل على أن الإسلام ليس غاية لهم ، إنما هو وسيلة للوصول إلى الحكم، وأن ولاءهم وبراءهم لصالح الجماعة .. وأن قضية الأمر والنهى فى محيط

الحكم لا تعنيهم بشيء بقدر ما يعنيهم الحكم نفسه .

رابعا : أن نبى الله يوسف (عليه السلام) طلب الإمارة من الحاكم المسئول ، أما الإخوان فإنهم يطلبون الإمارة ممن لا يملكها ، استعداء وتهييجا على الساسة والحكام .. كما أن نبى الله يوسف (عليه السلام) طلب الإمارة بعد أن علم أنه ممكن . فقد قال له الملك : ﴿ إنك اليوم لدينا مكين أمين﴾ [يوسف : ٥٤] أما الإخوان فإنهم يطلبون الإمارة استجداء بغير قبول .. وفى الوقت الذى عرضت عليهم الإمارة وعرض عليهم العمل للدين داخل نطاق الدولة من قبل عبد الناصر رفضوا ذلك .. ولو أنهم قبلوا العرض الذى عرض عليهم بغير طلب منهم ، وأقاموا العدل قدر المستطاع ، وحفظوا دماءهم لكان خيرا لهم .

فقد قبل يوسف (عليه السلام) الولاية ولم يكن له أن يفعل كل ما يريد ، أو يبطل كل ما يكره ، وإنما كان يسدد ويقرب ، ويصلح قدر استطاعته ، ويحفظ الجماعة المؤمنة .. قال شيخ الإسلام : « ولم يكن يوسف يمكنه أن يفعل كل ما يريد وهو ما يراه من دين الله ، فإن القوم لم يستجيبوا له ، لكن فعل الممكن من العدل والإحسان ، ونال بالسلطان من إكرام المؤمنين من أهل بيته مالم يكن يمكن أن يناله بدون ذلك ، وهذا كله داخل فى قوله : ﴿فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ [مجموع الفتاوى ٢٠- ٥٦)

وقد بلغ نبى الله يوسف (عليه السلام) مقصوده فى تأمين أهله ، وانتهى إلى الخير ، واتقى الله قدر استطاعته .. فمن استطاع أن يفعل كما فعل فليفعل ، بشرط ألا يطلب الإمارة ، ولا يزكى نفسه على الله ، وبشرط أن يمكن لفعل الخير قدر المستطاع ، وذلك لأن كثيرا ممن يطلب الإمـارة يتغير إلى الباطـل وهـو لا يدرى..

والقضية الأخرى أن الإخوان يسعون إلى الحكم بزعم أن الدولة الإسلامية لا وجود لها ، هذا هو الذى يربون عليه من ينتسب إليهم ، ومن أجل ذلك فإنهم يستخدمون النصوص المتعلقة بالكفار ويسقطونها على المجتمعات الإسلامية ..وإذا كانوا يقولون نحن لا نكفر الدولة ، وإنما نقول بإسلاميتها ، فهل أفتاهم أحد من

الأئمة بجواز النزاع الدائم مع الحكام من أجل الوصول إلى الحكم .؟ وهل زكاهم أحد من الأئمة دون غيرهم للتحدث والتصدر باسم المسلمين ؟ .

إن للإخوان أيدلوجيات فكرية لايوافقهم عليها أصحاب الاتجاهات الإسلامية الأخرى . فضلا عن عامة المسلمين . فهل مـن حـق الإخـوان أن يرفعوا شعار الإسلام ؛ ليتكلموا من تحته باسم شيخهم حسن البنا ، وباسم مرشديهم ، وباسم مفكريهم .؟

وهل من حق الإخوان أن يستجدوا أصوات العامة ، الذين لايعرفون عنهم شيئا، من أجل أن يعيدوا شعب حسن البنا إلى المجتمع المصري ، لتعود العمليات الإرهابية إليه مرة أخرى ..؟ يلعبون بالديمقراطية فإذا وصلوا إلى الحكم سحلوا الناس فى الشوارع وقتلوهم فى البيوت والمساجد، بغير قضاء ولا محاكمة ، كما فعلت حركة حماس الإخوانية فى فلسطين..

القضايا التربوية المعاصرة فى دعوة الإخوان

١- فكر التحالف وحدوده ..

يؤمن الفرد الإخوانى بفكرة التحالف مع شتى الأحزاب ، ولو كانت متأثرة بالأفكار الشيوعية والعلمانية ، ولو كان ثمن ذلك ترك الخلافات المتعلقة بمجال الدعوة والاعتقاد قائمة ، دون حجة أو بلاغ .. يتربى على ذلك الفرد الإخوانى ويدعو إليه ويعيش من أجله ..يناور ويحاور ويتخصص فى هذا المجال كأنه أصل من أصول الإسلام .. قال د/ محمد حبيب : « ولا شك أن الخطوة الأولى التى نهدف إليها هى محاولة تجميع الأحزاب والقوى السياسية والوطنية على آلية واضحة ومحددة من حيث تأكيد القواسم المشتركة بينها ، وطرح الخلافات جانبا ، وإيجاد شكل ينتظم الكل فى عقد واحد » (آفاق عربيه . ١٩ أغسطس ٢٠٠٤) .. وعلى هذا النسق سعى الإخوان إلى التحالف مع الكنيسة الأرثوذكسية بعروض كثيرة ، كان آخرها أن عرض الدكتور العريان على الكنيسة اشتراك نحو ألف نصراني جنبا إلى جنب مع الإخوان فى انتخابات المحليات ٢٠٠٦م - ٢٠٠٨م ، قائلا : « إنه يتحتم على الإخوة الأقباط أن يشاركوا بإيجابية فى العمل السياسي ويترشحوا فى الانتخابات، ويبتعدوا عن التقوقع داخل الكنيسة» (جريدة الميدان ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م) وقال مثل ذلك فى (أفاق عربية عدد ٧٤١ . ٢٩ ديسمبر ٢٠٠٥م)

وقام الإخوان جراء ذلك بتدعيم بعض المرشحين الأقباط فى الانتخابات البرلمانية، وأفرغوا لهم الدوائر .. كما نقل الأستاذ قطب العربي مراسل إسلام أون لاين نت . فى ٢٦ أغسطس ٢٠٠٠م عن المستشار المأمون الهضيبي ..

والإخوان يقصدون من وراء هذا المسلك استخدام النصاري وسيلة ضغط على الدولة المصرية باعتبارها الخصم الأكبر لهم . وقد بدا ذلك واضحا فى تصريحات محمد عبد القدوس ، حيث قال :

« هناك ثلاث فئات تحديدا تعارض أى تقارب أو حوار بين كبرى الجماعات

الإسلامية ـ الإخوان ـ وأقباط مصر .. وذكر منها : النظام المستبد الذى يحكمنا وأمن الدولة ... فهم يخشون وحدة أبناء مصر فى مواجهة الديكتاتورية والاستبداد السياسي الجاثم على أنفاسنا » (آفاق عربية . ٥ يناير ٢٠٠٦م)

وقد كان الإخوان فى الزمن الماضي يرفضون فكر التحالف مع أصحاب الاتجاهات الأيدلوجية المغايرة لهم ، قال حسن البنا: « إن الإخوان يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب » (الرسائل ص/ ٢٠٢)

وعندما وقف التلمسانى أمام الرئيس السادات فى القناطر الخيرية نقض فكر التحالف مع الشيوعيين ، قائلا : « زعماء الحزب الشيوعي الموجودين في مصر أكثر من مرة يدعونني لحضور ندوات عندهم فكنت أرفض في كل مرة لأني أعلم ما بين الإسلام وما بين الشيوعية من عداء وأن الإثنين لا يمكن أن يجتمعا في ركب واحد أو أن يسيرا في طريق واحد» (انظر موسوعة الإخوان . نت)

وأظن أن الإخوان عندهم اضطراب فى إقرار مفهوم التحالف على القواسم المشتركة . غير أن الإقرار أقرب إلى العقلية الإخوانية التى رسم خططها حسن البنا من غيره .

أساس فكر التحالف فى الإسلام ...

يظن الإخوان أن التحالف الذى يعقدونه مع الفرق والأحزاب السياسية - ذات الأيدلوجيات الفكرية المتنوعة - نوع من أنواع الأحلاف الجائزة فى الإسلام كحلف الفضول ، الذى قال فيه النبى ﷺ : « لقد شهدت مع عمومتي في دار عبدالله بن جدعان حلفا ما أحب أن لي به حمر النعم ، ولو أدعى به في الإسلام لأجبت » (رواه أحمد وغيره ، انظر صحيح الجامع . ٣٧١٧)

ومن هذا المنطلق بالغ الإخوان فى فكر التحالف والالتقاء على القواسم المشتركة ، وحرصوا على الدعوة إليه ، حتى صار كأنه أصل الأصول فى دين الإسلام .! مما ترتب عليه إهدار القيمة الدعوية الدينية التى أنشئت من أجلها الجماعة .

ومثل هذه الأحلاف التى أجازها الشرع الحنيف لا تكون بالحركات الجزئية ،

إنما تكون على مستوى الدول ، بين أصحاب المسئولية من الملوك والرؤساء باختلاف ألوانهم ، حيث يتفقون على الانتصاف للمظلوم من الظالم ..

أما داخل المجتمعات الإسلامية فليست الأحلاف بنفس الصورة التى يباشرها الإخوان مع غيرهم من الفرق . فلا يجوز اجتماع طائفة من المسلمين للانتصاف من الحاكم المسلم ، ولو كان ظالما ، لما أمر به الرسول ﷺ من الصبر على الحاكم وعدم الخروج عليه ، وذلك لقوله ﷺ : « تسمع وتطيع للأمير ، وإن ضُرب ظهرك ، وأُخذ مالك ، فاسمع وأطع» (متفق عليه.رواه مسلم. كتاب الإمارة ١٨٤٧) ولو حدث أن اجتمعت طائفة للخروج على الحاكم بالقول أو بالفعل وجب على الحاكم المسلم التضييق عليها بشتى السبل ، حتى ينتهى أمرها ويزول خطرها . . فكيف يكون الأمر إذا تحالف الإخوان مع أصحاب الملل المضادة للإسلام ضد الدولة المسلمة والحاكم المسلم ؟ ومن جهة أخرى فقد ثبت عن النبى ﷺ النهى عن اتخاذ الأحلاف إذا كانت مثيرة للفتن مفرقة للجمع ، بقوله : « لا حلف فى الإسلام » (رواه مسلم وغيره عن جبير بن مطعم) .

وذلك لأن الشرع الإسلامي حقق العدل وجاء بالانتصار للمظلومين ، فلا حاجة حينئذ للحلف ..قال ابن كثير فى شرح هذا الحديث : « ومعناه أن الإسلام لا يحتاج معه إلى الحلف الذي كان أهل الجاهلية يفعلونه، فإن في التمسك بالإسلام كفاية عما كانوا فيه » (التفسير العظيم ٢ / ٧٧٠) وقال ابن القيم : « الحلف .. إن اقتضى شيئا يخالف الإسلام فهو باطل ، وإن اقتضى ما يقتضيه الإسلام فلا تأثير له ، فلا فائـدة فيه » (حاشية ابن القيم على سنن أبى داود ٨ / ١٠١) . والأحـلاف عند الإخـوان ما هى إلا طريقة مبتدعة لإظهار الخروج بصوره المختلفة .. وهذا أمر منهى عنه ، لأنه يفضى إلى النزاع الطويل ، الذى لا تؤمن عواقبه . وقد أغنى الله تعالى الأمة بدعوة الولاة إلى الحق بالحكمة والموعظة الحسنة ، وهـذا أعلى وآكد فى بلوغ المقصود من الأحلاف الإخوانية، التى توغـر الصـدور وتثير الفتنة.

الشاهـد :

أن الأحلاف فى الإسلام ليست لإثارة المجتمعات الإسلامية .. وليست بترك مواضع النزاع العقدية والفكرية ، دون بيان وبلاغ ، كما ينتهى عمل الإخوان ، كما لايصح بناء دولة إسلامية على أكتاف ملل وأديان ومذاهب لاتؤمن بالإسلام .. فلم يتحالف النبى ﷺ مع قبائل العرب ضد كفار قريش ، كى يقيم دولة على قواسم مشتركة ، كما يريد الإخوان .. ولم يقبل ﷺ منهم الحكم حين عرضوه عليه ، وهو أيسر لإقامة الدولة من غيره .. وقد قيل له : « إن كنت تريد به ملكا ملكناك علينا» فقال لهم : « ما جئت بما جئتكم به أطلب أموالكم ولا الشرف فيكم ولا الملك عليكم ولكن الله بعثني إليكم رسولا وأنزل علي كتابا وأمرني أن أكون لكم بشيرا ونذيرا» أهـ.

أما إذا كان المقصود من الحلف ما تقوم به الجمعيات الخيرية داخل المجتمعات الإسلامية من البر والإحسان ورد المظالم ونصر الضعفاء فهذا خير أقره الإسلام وزاده قوة ... فلا بأس من تدعيمها والعمل على تيسير السبل لها .

٢- تكوين حزب سياسي ..

تدور أولويات العمل والدراسة فى جماعة الإخوان حول حقهم فى إقامة حزب سياسي يعبر عن فكرهم ودعوتهم .. يعقدون الاجتماعات من أجله ويتظاهرون من أجله .. ينظرون فى طريقة إنشائه وقانونية وجوده وصورته وموقعه من الجماعة . هذا هو عملهم وديدنهم الآن ... وقد ورث الإخوان من حسن البنا أنهم دعوة دينية وليسوا حزبا سياسيا .. وقال لهم فى رسائله : « أيها الإخوان أنتم لستم جمعية خيرية ولا حزبا سياسيا ولا هيئة موضوعة لأغراض محدودة المقاصد ولكنكم روح جديدة يسرى فى قلب هذه الأمة » .أهـ

وأكد رأيه بكل وضوح فى مفهوم التحزب ، دون تعلق بحال الأحزاب وصورها فى زمنه ، فقال : « وبعد هذا كله أعتقد أيها السادة أن الإسلام وهو دين الوحدة فى كل شيء ، وهو دين سلامة الصدور ؟، ونقاء القلوب ، والإخاء الصحيح والتعاون الصادق بين بنى الإنسان جميعا فضلا عن الأمة الواحدة والشعب الواحد لا يقر نظام الحزبية ولا يوافق عليه » (الرسائل ص/ ٣٢٠) .

وقد أوضح التلمسانى فيما نقل عنه إبراهيم قاعود فى كتابه (الإخوان فى دائرة الحقيقة الغائبة) علة رفضه تكوين حزب للإخوان ، قائلا : « نحن رفضنا أن نكون حزبا ، لأن للأحزاب أسلوبا معيبا فى العمل ، ولأن للحزب برنامجا ونحن ليس لنا برنامج أو منهاج ، لأننا ندين بكتاب الله وسنة رسوله ﷺ وهو منهاجنا لهذا المعنى ، ولأننا لا نقر الأساليب التى تتخذها الأحزاب سبيلا للوصول إلى أهدافها ومن بينها الحكم» أهـ

غير أن هذا المنطق أصبح لا يتناسب مع الطرق الحديثة فى الوصول إلى الحكم ، ولا بد من التراجع عن هذا الفكر المعوق ، ولا بد من وجود حزب تنضوى تحته المقاصد الإخوانية المعاصرة .. فتراجع الإخوان عن وصايا شيخهم .. وانطلقت المظاهرات ، وقالوا نريد حزبا .. أى حزب تريدون ؟ قالوا : لا نريد حزبا دينيا ، إنما نريد حزبا مدنيا بمرجعية إسلامية . ولا مانع أن ينضم إلينا اليهود والنصارى والمجوس والزنادقة والروافض .. طالما أنهم يؤمنون بالمنهج السياسي للإخوان .. فالحزب كما قال العريان : «لكل أبناء الشعب مسلمين ومسيحيين وحتى يهود أفراد » (قناة الجزيرة ٥ / ٤ / ٢٠٠٥ م) ولا علاقة له بالدعوة الإسلامية ، فقال : الدعوة محلها الجماعة . ولكن مهمة الحزب هى النشاط السياسى» (لقاء مع قناة دريم ١ / ٢٠٠٧م . نافذة مصر.نت)

وعندما شرع الإخوان فى عرض برنامجهم الحزبي أكدوا أنه لا علاقة له بأى دين من الأديان .. ونادى جمال حشمت - أحد كوادر الإخوان - بتغيير لغة الخطاب فيه ، وإخراجه من هيمنة النص الديني ! قائلا : « كل ما نرجوه فى برنامج الحزب الذى طال انتظاره أن يراعى عدة أمور إجمالية وتفصيلية .. أن يصاغ بلغة سياسية بعيدا عن الصيغات التراثية الدينية - رغم مرجعيته الإسلامية- كى يفهمها الجميع ولكى يتجمع عليها كل من يقتنع بها بغض النظر عن مرجعيته أو ديانته هو!وهى مهمة لاشك فى صعوبتها»(نافذة مصر.نت ٣/ ٧/ ٢٠٠٧م)

هل يجيز الإسلام إنشاء حزب إسلامي فى دائرة الدولة المسلمة ؟

والجواب : إذا كان العمل للإسلام ليس حكرا على أحدا فالتكلم باسم الإسلام ليس حكرا على أحدا.. إلا أنه يشترط للحديث باسم الإسلام مكانة مميزة فى العلم والدين والدراية .. وإنشاء الأحزاب ليس مرفوضا من جهة التعبير عن معانى العدل والعلم والأمانة ، وبيان الحق الواجب على الأمة والأفراد ، وتمييز المصالح من المفاسد ، وبذل المنفعة للمجتمع بتقديم دراسات علمية نافعة ، أو تقديم إعانات مباشرة للفقراء والمساكين ... ولكنه مرفوض من باب الولاء والتحزب للأشخاص ومرفوض من باب الأفعال والمقولات والأيدلوجيات الشاذة ، التى تهدم دين المجتمع ومقوماته،ومرفوض كذلك من باب التطاول على الأمراء والسلاطين ؛ بما يؤدى إلى تمزيق المجتمع وتشتيت جهوده . ومرفوض كذلك من قبل السعى الدءوب للانقلاب على الدولة والوصول إلى الحكم . ومرفوض من باب عدم الموازنة بين النقد

وبين المسئولية . وهذا كله موجود فى الأحزاب . وقد نهى الله تعالى عن التحزب والتفرق قال تعالى : ﴿ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم﴾ [الأنفال: ٤٥].

وقد عرف الإسلام المدارس الفقهية ، ولكنه لم يعرف المدارس الحزبية .. فالمدارس الفقهية مدارس علمية ، وليست مدارس انقلابية خارجية مناوئة .

ومكمن الخطر فى تسمية الحزب بالحزب الإسلامى فى أمة مسلمة وفى دائرة المسلمين ما يترتب على ذلك من الحكم على من لم ينضم إليه .. فقد كان حسن البنا يعتبر الذين لم ينضموا إليه :" أذنابا لا قيمة لهم .. إما ثاروا وإما غاروا. . فماذا يكون الأمر إذا كان مرشد الإخوان محمد عاكف يفرد نفسه بأحقية الحديث عن الإسلام ، قائلا : « وليس هناك أحق من أن يقول الحق كما أنزل على قلب محمد- صلى الله عليه وسلم- إلا الإخـوان المسلمـون » (إخوان أون لاين ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٦م) .

وبسبب تلك النعرة الجاهلية رفض الأئمة الأحزاب ولو كانت إسلامية !

قال العلامة الألبانى فى (السلسلة الصحيحة ١ / ٣٥٣) :

« نحن ننكر تحزب المسلمين في دائرة الإسلام . كأن يكون حزب إسلامي يسمى كذا، وحزب إسلامي يسمى كذا، هذا التحزب ـ مع أنهم جميعاً يعملون في دائرة الإسلام وفي صالح الإسلام والله أعلم بما في نفوسهم .. مع ذلك فنحن لانرى أنه يجوز لدولة مسلمة أن تسمح لمثل هذا التكتل وهذا التحزب ، ولو في دائرة الإسلام ؛ لأن هذا ليس من صنيع المسلمين ، بل هو من عادة الكافرين، ولذلك قال رب العالمين : ﴿وَلاَ تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعاً كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ أهـ

٣- الانتخابات والإخوان ..

يعتقد الإخوان أن العمل فى المجال السياسي هو الأساس الأول لإصلاح المجتمع ، والوسيلة العظمى والاستراتيجية الكبرى لبناء الأمة وإعادة الخلافة . ومن أجل ذلك يتمرس الفرد الإخوانى ويتربى على جميع محاور وأساليب اللعبة الانتخابية ..من حيث التجسس على الأفراد ونشر المنشورات التى تثير البلبلة وتزوير البطاقات الانتخابية ، ورفع المرشحين فوق منزلتهم التى أنزلهم الله إياها ..هذا هو الواقع التربوى المعاصر فى دعوة الإخوان .

قال محمد عاكف : « فى البداية يجب أن تكون من الإصلاح السياسي الذى هو نقطة الانطلاق لإصلاح بقية مجالات الحياة » (آفاق عربية ١١من مارس ٢٠٠٤) .كما يعتقد المرشد أن المقصد الأول من هداية الناس هو ادخارهم لصناديق الانتخابات (الأخبار . ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م) ومن أجل ذلك أعلن المرشد أنه سيخوض الانتخابات باختلاف صورها (انظر. إخوان أون لاين ٢٠ / ٧ / ٢٠٠٦).

الإخوان والعامة ..

الإخوان لا يريدون العلم ولا العلماء إنما يريدون حكم الشارع ، فقد قال عاكف : « إنما شرعيتي من الشارع كما ينص الدستور» (إسلام أون لاين.نت/ ٨-٥-٢٠٠٥) والشارع يحكم ساعة الانتخاب فقط ، ولا يحكم كله ، وإنما يحكم بالأغلبية ، وقد تزيد الأغلبية بنسبة قليلة جدا عن الأقلية . وكلاهما بالضرورة : الفائز وغير الفائز لا يعبران عن الشارع كله .. وقد تتكون الأغلبية بالهتافات الكاذبة ، والعصبيات الجاهلية ، والتحالفات المتناقضة ، وقد تتحقق بنظرية تكسير الأصوات .. وقد تتكون بشراء ذمم الناخبين .. وقد تتكون بتجمعات وهمية لا وزن لأصحابها فى المكان الذى ترشحت فيه ، وهذا كله يفعله الإخوان فى الانتخابات .. فالانتخابات فى الغالب لا تخضع لقيم ولا لمبادىء . فالشعب كله لا يحكم ، وإن حكم فهى بضع ساعات ، ثم بعد ذلك ينتهى الحكم إلى الأفراد ، حيث لا يمكن أن يؤخذ رأى

الشعب فى كل قضية .. ويبقى الحكم والقول للنائب ، وليس هناك نائب يعبر عن ناخبيه فى كل قضية من القضايا المعروضة أمام البرلمان ، إنما يكتفى برأيه الخاص فقط أو رأى الجماعة التى ينتمى إليها .. والإخوان يريدون من الشعب المصري تفويضا عاما، كى يتكلموا باسمه فى جميع القضايا والمعضلات، والناس لا يعرفون عنهم ولا عن جماعتهم شيئا . إلا الشعارات الإسلامية التى يرفعونها ، والتاريخ المجهول الذي يتغنون به .

وهم فى نهاية الأمر يلعبون على مشاعر العامة بأحاسيس فارغة ، وينصبون أفرادا لا علم لهم ولا دراية .وبهذين الوجهين تفسد الأمم وتضيع الثقافات وتذبل القيم ويضعف الدين ، ولا يبقى للعلم ولا للعلماء مقام ولا مكان .

لا يصلحُ القومُ فوضى لا سراةَ لهم ... ولا سراةَ إذا جهالهُم سادُوا

تهدى الأمورُ بأهلِ الرأيِ ماصلُحَتْ ... فإن تولَّتْ فبالأشرارِ تنقــادُ

كيفَ الرشادُ إذا ما كنتَ في نفرٍلهم ... عن الرشدِ أغلالٌ وأقيــادُ

أعطَـوا غُواتهـم جهــلاً مقادتهـــمْ ... فكلهم في حِبالِ الغَيِّ منقـاد

وهذا مثل واضح يؤكد تلك المحاور الفاسدة . قال فضيلة الشيخ يوسف البدري: « وجاءت انتخابات ٨٧ ، وفكرت في الترشيح ، وطلب مني الدخول ضمن القائمة، لكنني اصطدمت بالإخوان في دائرة ؟جنوب ...

وأقول إن شعارهم " الإسلام هو الحل " هو للمتاجرة ، وهذا ما اعترف لي به المستشار مأمون الهضيبي .. وجلسنا معهم ، الإخوان والأحرار، ووجدت أن اسمي رقم ٣ في القائمة ، وكان يسبقني فراش رشحه الإخوان ؛ فقلت لهم : احنا رايحين لتنظيف مكان ما أم لانتخابات مجلس الشعب ، احتراماً للعلم الذي أحمله ، إما أن أكون الأول أو أنسحب ، وبالفعل اعتذرت عن القائمة ، وخضتها على مقعد الفردي» (المصري اليوم ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦م) .

٤- المظاهرات

المظاهرات هى اللغة المفلسة التى تواصى بها الإخوان وتربوا عليها منذ أن نشأت دعوتهم إلى الآن .. وفيها يتربى الفرد الإخوانى على كيفية تجميع الأفراد وتنظيم اللقاءات وتحديد الأوقات وحفظ الصياحات . وتعلم طرق الكر والفر .. الخ.

ويدور مقصد المظاهرات حول عدة مقاصد :

١- هز الاستقرار واستعراض القوة ..

قال عبد الحليم : «. وقامت هذه المظاهرات ، وكان قيامها فى يوم واحد ، وبهتافات واحدة فى جميع أنحاء البلاد دليلا على قوة الدعوة ، وهزا لمكانة الحكومة» (أحداث صنعت التاريخ ١ / ١٩٥) .

وهذا اعتراف آخر للأستاذ / أحمد عادل كمال حول غاية الاستعراضات الإخوانية فى زمن الملك فاروق ، قال فيه : « وقد كنا ننتهز الفرص لإجراء هذه الاستعراضات - فرق الجوالة - ولم تكن هذه المناسبة مقصودة لذاتها ، وإنما كانت ذريعة .. وكان بيت القصيد فيها إظهار قوة الجماعة ومظهرها العسكرى»(الإخوان والنظام الخاص.ص/ ٥٠) .

ولا تزال العقلية الإخوانية تفكر بنفس المنطق .. وهذا هو سرر خروج مليشيات " الكنغ فو " الإخوانية فى أواخر عام ٢٠٠٧ م جامعة الأزهر .. قال محمد حبيب : « أراد شباب جامعة الأزهر أن يعطي إحساسا وانطباعا أنهم قادرون على التعامل مع البلطجية .. » (الجزيرة نت ١٥ / ٨ / ٢٠٠٧م) .

وقد نفى محمد عاكف أن يكون مقصد الإخوان من المظاهرات استعراض القوة، وقال : « استعراض القوة تعبير اعتاد الصحفيون استخدامه وليس له أساس ، ونحن لا نستقوى على أحد »(الأهرام ١٨ أكتوبر ٢٠٠٥م)

ولنتركه ليرد على نفسه .. فقد سئل فى موقع " نافذة مصر " عن سبب تكبر

شباب الإخوان أمام أصحاب الا مات الإسلامية الأخرى . فرد قائلا : « لماذا هذا الشعور موجود؟ لأننا متواجدون خم كبير ، والذي يأتي لحوارنا يقف وحده ، قد تجد حركة تضم كتابا وخطباء و نين، ولكن ليس لها زخم كبير مثل الإخوان ، وعندما تحدث مظاهرة يكون عددهم نحو المائتين فيما نحن ١٠ آلاف » أهـ

ولو أردت غير هذا الكلام فالإخوان صور وأشكال .. والحقيقة بخلاف ماقال ، فهى قوة مصطنعة ، كما شهد فى (الشرق الأوسط ١٢ مايو ٢٠٠٥م) بقوله : «وكما رأينا قامت مظاهرة في ميدان رمسيس وحضرها أكثر من عشرة آلاف ، رغم أن الاخوان كانوا ثلاثمائة فقط ، وكذلك في ميدان سعد زغلول . قال عبده زينه : تقصد بذلك أن مظاهرات رمسيس لم تكن كلها من الإخوان .؟

الجواب : نعم ، لم تكن كلها من الإخوان . فالإخوان كانوا ثلاثمائة فقط . ولكن الشعب انضم إليها فأصبحت آلافا ، وكذلك في السيدة زينب ، وهكذا في ضريح سعد زغلول » أهـ

٢- المظاهرات وسيلة دعاية ..

المظاهرات وسيلة من وسائل الدعاية للمنهج الإخوانى ، لجذب الشباب ، عن طريق سيل من الهتافات ، التى تخاطب الجانب النفسي الشعورى أكثر مما تخاطب العقل ، وتجنح إلى الآراء والتجارب أكثر مما تجنح إلى الأدلة والبراهين ، فهى تابعة لبرنامج فكرى ، إن لم تقع مبرراتها تصطنع لها المبررات .

٣- المظاهرات معيار لوزن شعور المجتمع ..

ويرجع هذا المعيار إلى ماحدده قادة تنظيم ١٩٦٥م من طرق لقياس نبض المجتمع ، وذلك كل ثلاثة عشر عاما ، كما ذكرت زينب الغزالى فى كتابها (أيام من حياتى . ص/ ٤٥) فإذا كان شعور المجتمع نحوهم شعورا إيجابيا اتجهوا نحو الدولة ، وإذا كان شعور المجتمع سلبيا عادوا مرة أخرى إلى سراديب التربية ..

حصان طروادة ..

مر الإخوان بمرحلة التعريف والتكوين وإعداد القوة الشعبية ، التى فيها التزلف والبيعة للأمراء والسلاطين والحكام (بشرط أو بغير شرط) فقد بايعوا الرئيس مبارك أربع مرات . وهم الآن يستقبلون المرحلة الثانية التى تسقط فيها شرعية النظام ، مرحلة الصدام والعصيان المدنى . قال الأستاذ عبد الله علوان في كتابه (العقبات ٢ / ٣٦٨) : « وحين يصل المسلمون إلى مرحلة إيجاد القاعدة الشعبية ، وتمتدّ حركتهم في الجموع الزاخرة من أبناء الأمّة الإسلامية ، وتتخلل في الشعوب المؤمنة في كلّ مكان .. تأتي مرحلة التنفيذ ولحظة الحسم».أهـ وقد أكد هذا المفهوم محمد عاكف بقوله : « إن جماعته لن تتوانى عن إعلان إضراب عام أو عصيان مدني في مصر ما دام "سيحقق العدلَ والإنصاف والحرية للشعب"، ولكنه قال : " لم نصل بعـد إلى هذا "» (إسلام أون لاين.نت/ ٨- ٥-٢٠٠٥) .

والملاحظ فى الفكر السياسي المعاصر أن الشعب المصري يمثل الميدان الأول فى المنظومة السياسية للإخوان .. أو قل هو حصان طروادة الذى يستخدم لتحقيق الغاية والوصول إلى " سدة الحكم " .. وهذا بخلاف ما كان عليه الإخوان فى الزمن الماضى . فقد كان سيد قطب يدعو إلى العزلة الشعورية عن الشعب المصري وغيره من شعوب العالم الإسلامي وعدم الاعتماد عليه اكتفاء بتربية أفراد النظام .. وكان الشعب المصري لا وزن له ولا كرامة عند الإخوان الآخرين . قال أحمد رائف : «الشعب المصري بما يحمله من سبعة آلاف سنة حضارة هو شعب مستكين بليد لا يثور ولا يغضب ، ولا يحتج ولا يحرك ساكنا إذا ما ظلم أو اضطهد » (الصفحات . ص/ ٣٢) وهذا هو الذى يؤمن به عاكف حقا ..كما أكد فى لقائه مع نبيل عطا فى جريدة (الأخبار ٢٧ أغسطس ٢٠٠٥م) قائلا : « الشعب المصرى لا يبغى ثورة، ولن يدعو إلى ثورة ، ويتحمل ويصبر ، وأصبح سلبيا للغاية » أهـ..

فالإخوان هم القلة المبدعة ، أما الشعب المصري فهو الكثرة المتخلفة أو المتفرجة، أو هم الكثر غير المدركة . ولا أدري لماذا تعتمد القلة المبدعة على الكثرة المتخلفة إذا كانت تسير ضدها فى منحنيات غير متقابلة .؟ لماذا تريد تلك القلة المبدعة أن تحكم كثرة متخلفة .؟

إن الشعب المصرى ليس به من الجنون ولا من السفه ما يدفعه إلى السير وراء الإخوان فى حركة شعبية ، ليجرب الإفلاس ويمشى فى الوهم ..

فالشعب المصري وإن كانت العاطفة الدينية تدفعه إلى السير خلف من يرفع الشعارات الإسلامية بحسن قصد إلا أنه يعلم أن الإخوان ليس لهم خصومة مع أى أيدلوجية مغايرة لهم فى قضايا الدين .. الخصومة الوحيدة مع الحكومات والأنظمة .. ولا يزال الإخوان يريدون من الشعب أن يفيق من غفوته ، ليحقق تلك الرغبة ، ويسلب الحكم ، ويسلمه للإخوان على طبق من ذهب ، ويقول لهم احكموا مصر آمنين مطمئنين . ولو بالعصيان المدنى ووقف الحياة العامة . وافق ذلك الشرع أم لم يوافق .. أضر ذلك بالمجتمع أم لم يضر .. فكل النخب السياسية تطالب بذلك. ولا يلزم موافقة ذلك للشرع والدين .. فيكفى أن يكون لهم أسوة فى سيرة الخميني فى إيران والمهاتاما غاندي فى الهند ومارتن لوثر فى أمريكا ..

العصيان والأحلام ..

لا شك أن الاعتماد على العصيان المدنى فى إقامة دولة لا يحقق شيئا من أحلام الفضلاء فضلا عن غيرهم ، لأنه لو فرض أن الشعب على أهبة الاستعداد للقيام بمثل هذا الأمر لكان ذلك دليلا على تحقق نوع من التغيير المتكامل فى العقول والنفوس والمشاعر .. ولو وصل الشعب إلى هذا القدر من النضج لما كان فى حاجة إلى ثورة ولا إلى عصيان ، لأنه يستطيع بهذا التغير المتكامل أن يحقق الإصلاح فى نفسه ، دون الحاجة إلى العصيان ، أو الثورة التى يريدها الإخوان . غير أن أصحاب تلك الدعوة من الإخوانيين والقانونيين والسياسيين باختلاف توجهاتهم السياسية يريدون فقط التخلص من خصومهم السياسيين ، بشرط أن يسدد الشعب المصري الفاتورة بمفرده ..وهم يعلمون أكثر من غيرهم أن الدعوة إلى العصيان المدنى لا يحقق للشعب ما يريد .. بل ولا يحقق لهم أنفسهم ما يريدون ..

إنما هى رغبة الانتقام فقط .. والعاقبة مؤلمة .ولو كانوا لا يعلمون العاقبة فتلك مصيبة أكبر .. وتلك هى عادة من يتصدرون للحديث عن الشعب بغير وكالة ، وهم لا يدرون إلى أين يذهبون ..

ولا شك أن قيام جميع الأطياف السياسية بتلك المبادرة .. العصيان المدني..

سيضعها فى إشكالية متعلقة بالهدف والمقصد من جهة ، ومتعلقة بموقع الصدارة والتعبير عن الجموع من جهة أخرى . ماذا يريد هؤلاء. أى أيدلوجية ستحسم السباق .؟ فالأيدلوجيات متنوعة متباينة .. من الذى سيعبر عن تلك الأطياف .. هل ستتكلم جميع الأطياف بلسان واحد .؟

أم ستختار من بينها من يتكلم بلسانها جميعا .؟

لا شك أن تجارب كثير مطروحة فى الواقع تبين استحالة الاتفاق على هدف واحد يجمع أقصى اليمين مع أقصي اليسار. لا فى الناحية السياسية ولا فى الناحية الدينية . . فدمج الأطياف الدينية المتعددة فى أفغانستان فى زمن مجددى وحكمت يار وسياف ويونس خاص لم يحقق دولة قوية ثابتة المبدأ والغاية .. وتنوع الأطياف السياسية فى لبنان أوقف عجلة التطور والنمو وأدخل المجتمع اللبنانى فى الصراع الدائم

أما نظرية القواسم المشتركة فهى نظرية فاشلة لا تقوى على البقاء فى ظل الرئاسة، كما قال أحمد شوقى " أصدقاء السياسة أعداء بعد الرياسة " وسيكون الشعب هو الضحية فى جميع الأحوال ... وبهذا العصيان تعود الأمة من حيث بدأت ، وترجع نظرية الإصلاح ، لتفرض نفسها على الواقع من جديد ، بعيدا عن الثورة والانقلاب والعصيان ..

تقنين المظاهرات بالآثار الضعيفة ...

لم تكن المظاهرات وسيلة إمام من أئمة المسلمين .. فكم سجن الإمام أحمد فى زمن المأمون ، ومع ذلك لم يتظاهر من أجله أحد ، وقد طلب بعض الناس من الإمام أحمد الخروج على الخليفة المأمون فى فتنة خلق القرآن فأبى وحذر من عاقبة الخروج .. وكم سجن شيخ الإسلام فى زمن بيبرس ، ولم يتظاهر من أجله أحد، وصبر واحتسب عند الله تعالى .. فدل ذلك على امتناع وجود آثار صحيحة تدعو إلى تلك المظاهرات . ولو وجدت تلك الآثار لما تغافل عنها الأئمة ، وهم أولى الناس بالاتباع ، خاصة مع وجود الحاجة الداعية إليها ..

أما الإخوان فإنهم لا ينظرون فى الآثار السلفية ، إنما ينظرون فى الروايات الضعيفة والموضوعة .. ويتتبعون الزلات والسقطات .. ومن تلك الآثار الضعيفة التى يحتجون بها على مشروعية المظاهرات : ماروى من خروج المسلمين صفين فى زمن النبى ﷺ . صف خلف عمر وآخر خلف حمزة (رضى الله عنهما) ؛ ليغيظوا كفار مكة ، ويلقوا الرعب فى قلوبهم . » (رواه أبو نعيم فى الحلية ١ / ٤٠) .

هذا الأثر مكذوب ، وفيه أبان بن صالح ليس بالقوى ، وعنه إسحاق بن عبد الله الدمشقي متروك.(ذكره المتقى الهندى فى كنز العمال فى مناقب عمر رضى الله عنه برقم ٣٥٧٤٢، وذكره أبو نعيم فى الدلائل) وقدأجمع علماء الجرح والتعديل على ترك حديث إسحاق . قال الإمام النسائي في "الضعفاء والمتروكين" ترجمة (٥٠): "متروك الحديث". قال الإمام البخاري في "الضعفاء الكبير" ترجمة (٢٠): "إسحاق بن عبد الله بن أبي فروة: تركوه".قال الإمام الدارقطني في "الضعفاء والمتروكين" رقم (٩٤): "متروك" » أهـ .

ثانيا : لو قدر صحة تلك الرواية فإن هؤلاء الصحابة (رضى الله عنهم) لم يتظاهروا على القائد ، ولم يخرجوا بغير إذنه ، وإنما خرجوا بإذنه ﷺ .

فأى إذن مع الإخوان للخروج والتظاهر على أولياء الأمور ، فهل أولياء

الأمور فى الدول الإسلامية كفار يجب إعلان القوة أمامهم والخروج عليهم ؟ وهل الشعوب المسلمة كافرة حتى يستعرض الإخوان أمامها القوة .؟ والإخوان فى الحقيقة يتصالحون مع الكفار الأصليين ويتحالفون معهم فكيف بالمسلمين .!

إن الإخوان لا يقبلون أن تكون المظاهرات هى الوسيلة التى يعترض بها عليهم . ولا يخفى كيف رفض محمد عاكف انتقاد الدكتور المليجي جماعة الإخوان على الملأ، وقال: « الكلام في الجرائد فهذا أسلوب معيب ولا أقره، فهو خارج عن المألوف في الجماعة» (الكرامة . ١ / ٥ / ٢٠٠٧م)

فكيف تكون المظاهرات هى الوسيلة التى يتعاملون بها مع السلطان الذي عقدوا له البيعة أربع مرات .؟

التعبير لمن ؟

يسعى الإخوان دوما إلى التكاثر على الأمراء والسلاطين بهذا الشباب التائه ، الذى يجندونه فى المدارس والجامعات ، قبل أن يعرف شيئا عن الحياة ودقائق الدين وخفايا السياسة ، فضلا عن مذاهب الفرق.. والإخوان يهتمون بشباب الجامعات ، لما عندهم من حماسة وثورة ، وقلما يكون لأمثال هؤلاء نظرات موضوعية وأبعاد عميقة فى فهم الأمور.. والشباب الإخوانى يتحمس ويتحرك بدافع قائم على الأمر، ولا قدرة له على الاعتراض .. ومثل هؤلاء المقلدون لا حق لهم فى المشورة فى القضايا العامة ، ولا حق لهم فى فرض آرائهم على المجتمع ، وذلك لأن النوازل التى تمر بها الأمة أكبر من عقولهم ، وأكبر من ثقافاتهم المحدودة .. وهم بتلك المظاهرات لم يتركوا مساحة للبحث والنظر، ولم يقتربوا من أصحاب القرار، ولم تتحقق أمانيهم التى خرجوا من أجلها ..

والحكم فى دقائق الجهاد والنوازل التى تمر بها الأمة من خصائص العلماء المجتهدين ، والأئمة الربانيين والساسة العظام ، قال تعالى : ﴿وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُوْلِي الأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ﴾ (النساء:٨٣) .

والمسلم الحق يعلم أن الله تعالى تعبدنا بالوسائل كما تعبدنا بالغايات ، وقد

أرشدنا النبى ﷺ إلى أعظم الغايات ، كما علمنا أعظم السبل ..

وقد كان النبى ﷺ يلجأ إلى الله تعالى فى ساعة العسرة وكان يلح فى الدعاء وقد تبعه الصحابة (رضى الله عنهم) فى ذلك ، حتى إن منهم من كان يقسم على الله تعالى فيبر قسمه ، صيانة له من الحنث ، وإكراما له ولتقواه ، لكنهم لم يتظاهروا على الولاة خروجا عليهم ، ولم يتظاهروا على الكفار استعطافا لهم . فلم تكن المظاهرات فى أزمنتهم من جملة الوسائل المبينة للحق الدافعة للباطل .. وفى زمن الخلفاء كانت النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة .

وكان الدعاء هو المخرج .. والصبر على المحن والشدائد هو الخلق .. والجهاد والنفير هو الطريق الشرعى إلى النصر والتمكين .

أما المظاهرات فهى أمر محدث نقل للأمة الإسلامية من قبل الأعاجم ، مشربا بأبعاد ثقافية واجتماعية وفلسفية ، بعيدة كل البعد عن المضمون الشرعى ، الذى يعبر عنه ديننا الحنيف ، سواء من جهة الوسائل أو من جهة المقاصد . .

وهؤلاء الذين أصلوا المظاهرات فى الدول الغربية ما أرادوها وسيلة للتغيير ، وإنما أرادوها وسيلة لإخراج الطاقات المكنونة ، وكشف المتغيرات المجهولة فى المجتمع . . أما التغيير والإصلاح فلم يكن فى تلك الدول بالمظاهرات .. فهناك معامل للقرارات ، ومؤسسات للتخطيط ، وفرق للدراسات ، وهيئات لتناوب الآراء والأفكار ، كلها طويلة المدى .. تأخذ أزمنة طويلة وجهودا كبيرة .. أما المظاهرات فهى دقائق وساعات .

وحقائق الإصلاح المعتبرة لا تصلح بالدقائق والساعات ، فالمجتمع الذى انتشر فيه الفساد زمنا طويلا لا يتغير بين عشية وضحاها ، ولا يتغير بلغة الحوارى والشوارع ، بل لا بد من جهود مستمرة وخطط طويلة وتربية مباشرة وغير مباشرة ، وتوجيه دائم ، ورقابة صارمة ، وإخلاص صادق ، ومحاسبة مستمرة ، تتخلل مواضع الضعف لتسدها ، ومواطن القوة لتدعمها ، وتختار لكل موقع أصلح من يقوم به من علم وورع وقوة فى النفس والدين .. فإذا ما ألم بالأمة ملمة رأتها قبل أن تقع ، ووزنتها

قبل أن تشرئب ، وأعدت لها العدة قبل أن تتفاقم . هذه هى الحقائق وتلك هى الثوابت ..

أما الصور فهى أوهام ساقطة وخيالات زائفة ، لا تستشعر الخطر بالبحث والنظر فى القواعد والحكم والأدلة والنصوص ، إنما تستشعر الخطر بالألم والضرب والتهديد والتوبيخ ، فإذا ما ألم بها ملمة أو نازلة من نوازل الدهر صرخت وتظاهرت .. وهى أول من زرعت الفتن ، وهيأت للضلال والبدع ..

إن المظاهرات وسيلة مؤقتة مقطوعة تلهب الحماس ثم تصيب بالفتور والهزال ، لأن صاحبها رآها الأمل المنعقد والجذيل المحك والعذيق المرجب ، وهى غير ذلك . فلا هى تزيل الفساد وتخفف الألم ، ولا هى تحمى من العواصف .. فهى مرفوضة من جميع الفئات العاقلة فى المجتمع . ليست وسيلة من وسائل الإصلاح ، ولكنها وسيلة لضرب استقرار المجتمع وهدم مؤسساته ، وتلك حقيقة يتغافل عنها كل إخوانى ، ويدركها كل حريص على أمن المجتمع وسلامته .



الخلل العلمى فى دعوة الإخوان

لم يقم التطبيق العملى فى جماعة الإخوان سواء فى الجانب الدعوى أم فى الجانب السياسي على العلم والدليل ، بقدر ما قام على العواطف والظروف الطارئة ، التى تدفع كثيرا من مفكريهم إلى صياغة مجموعة من النظريات ، كى تتناسب مع الأحداث التى يمرون بها ، ثم حين يفاجئون بالمصائب تترى عليهم يقومون بترقيع أعمالهم ونظرياتهم مرة أخرى ، كى تصل إلى الحد الأدنى من القبول ، فتنتقل الجماعة من مصيبة إلى مصيبة .. كما هو دأبها على الدوام .. ولا شك أن افتقار تلك الجماعة إلى العلماء ، وعدم تمكينهم من تولى زمامها كان السبب الأول فى وقوعهم فى تلك المصائب .. فلم يتول قيادة الإخوان فى زمن من أزمانهم عالم من العلماء .. والعلماء يرون المصائب قبل أن تقع ، أما العامة وما أكثرهم فى تلك الجماعة فإنهم لايرون المصائب إلا بعد وقوعها واشتداد لهيبها .. ولو أنك صاحبت رجلا من قدامى الإخوان لا تجد عنده علما ولا إفتاء ، فليس فيهم علماء ، ومن وصف منهم بالعلم أو نسب إليه فإنه لم يكتسبه منهم ، بل اكتسبه من غيرهم ، أما طريقهم فإنه لا ينشىء عالما ... وإنما تجد عندهم تاريخ البنا وجهاد البنا ، وسجون الإخوان . ومحاكمات ١٩٥٤م ، وتنظيم ١٩٦٥م .تلك هى القضايا التى كانوا يهتمون بها فى المنتديات والصحف ؛ استعطافا لأكبر قدر من العامة .. أما المعاصرون فليلهم ونهارهم فى التحالفات والأحزاب والأيدلوجيات والدفاع عن التهم المتعلقة بالأقليات والأقباط وحقوق المرأة والتعددية الحزبية .. بأفكار متقلبة متنوعة .. بالإضافة إلى طمأنة الغرب وأمريكا وجميع الحركات الثورية عن دورهم فى حال وصولهم إلى الحكم .. فالناس منهم فى سعة .. وقد اتفق المحققون من الدعاة والمفكرين أن النماذج البشرية فى دعوة الإخوان نماذج جامدة مستنسخة ، لا تستطيع الخروج عن القالب الذى وضعت فيه ، وهذا هو الذى جعل دعوة الإخوان دعوة جماهيرية ، تسخر من العلم ، وتتحزب حول شخصية القائد . فهو يرى ما لا يرون، ويعلم ما لا يعلمون .

والقول بأن الإخوان ليس فيهم علماء ليس بدعا من القول فقد قال به العلامة المحدث مقبل الوادعي منذ ما يزيد على ثلاثين سنة ... ولكنهم لم ينتبهوا لذلك ، حتى فضحهم الدكتور المليجي في رسائله الخاصة ... قال الشيخ مقبل في كتابه (المخرج من الفتنة ص / ١٠٠) : « وأكبر برهان على انحطاط دعوة الإخوان المسلمين وأنها أصبحت الآن ليست على شيء نفور العلماء المبرزين منهم ، فلا تكاد تجد في صفوف الإخوان المسلمين عالما ، بل من التحق منهم من متخرجي الجامعات الإسلامية ميعوه حتى يصير في منزلة العوام » أهـ

فلم يكن حسن البنا من العلماء المجتهدين ، بل كان رجلا مدنيا باحثا بنفسه ، وكان يتهرب من مواجهة النزاعات العلمية التفصيلية ، ويوجه السائلين إلى غيره .. وقال ذات مرة ردا على سؤال سائل : « يا أخي إني لست بعالم ، ولكني رجل مدرس مدني أحفظ بعض الآيات وبعض الأحاديث النبوية الشريفة وبعض الأحكام الدينية من المطالعة في الكتب ، وأتطوع بتدريسها للناس ، فإذا خرجت بي عن هذا النطاق فقد أحرجتني ، ومن قال لا أدري فقد أفتى» (مـذكرات الدعـوة والداعية. ص/ ٨٥) .

وإذا كانت هذه طريقة للتخلص ، وأن حسن البنا كان يريد إغلاق باب الجدال في المسائل الخلافية ! كما يزعم الإخوان ، وأنه يحفظ أكثر من هذا القدر ، كما قال عن نفسه في موضع آخر ، فالحقيقة تدل على أن نكران العلم كان منهجا عاما واستراتيجية ثابتة وضعها حسن البنا لجماعته : وهو منهج قائم على ترك التثبت في مسائل الخلاف ، والتولي عن دائرة المحققين في دلالات المعاني المرادة من النصوص ، بحجة ترك الجدال ، ورغبة في تجميع الأمة حول فكر الإمام . ومهما أنكر الإخوان ذلك فحقيقة الواقع تدل عليه . سواء في منهج حسن البنا أو في منهج تلامذته ..

ولو كان عند حسن البنا قدرات تفصيلية لاستطاع أن يتخلص من المعضلات التي كانت تواجهه بتصرف علمي مناسب ، وكلمات معدودة ، بدلا من الهروب من أصل المشكلة وطرحها على الغير .. غير أنه حقا لم يكن عالما ، ولم يكن

يقرب إليه أحدا من أهل العلم ، كعادة الأكابر في هذا الفن ، وإنما كان يقرب العامة من الناس حوله ، كما أكد على ذلك محمد الغزالي في كتابه (من معالم الحق ص/ ٢٢٢ . ط ١٩٨٤ م . دار الصحوة).

وقد أدرك حسن البنا فشل جماعته في الناحية العلمية، ولكن بعد عشرين سنة من نشأة الجماعة .. وقد شهد بذلك الدكتور القرضاوي - الذى جعل جل الجماعات في زمن الشيخ حسن البنا مجموعة من العميان - قائلا : « في سنة ١٩٤٧م فكر الأستاذ البنا في إصدار مجلة علمية شهرية .. وقد برر ذلك بقوله : يبدو أن الإمام البنا - عليه رحمة الله - شعر بأن الإخوان في حاجة إلى ثقافة إسلامية معمقة ، تملأ الفراغ الثقافي لدى الإخوان الذين اكتفى كثير منهم بما قرأه في رسائل الأستاذ ، وفي الصحيفة اليومية والمجلة الأسبوعية... الخ .

وقد علق القرضاوى على ذلك قائلا : « وأعتقد أن الأستاذ البنا كان صائب الفكرة في ذلك فقد طغى الجانب التكويني العملي السلوكي لدى الإخوان على الجانب العلمي الثقافي ، أقصد الثقافة العميقة والمنهجية .

ثم قال : ومن قرأ العدد الخاص الذى أصدرته جريدة (الإخوان المسلمون) اليومية بمناسبة مرور عشرين عاما على تأسيس دعوة الإخوان ، ولحظ قائمة الإنتاج الثقافي والعلمي لدى الجماعة وجدها متواضعة جدا، بالنظر إلى جماعة واسعة الانتشار كالإخوان» (سيرة ومسيرة ١ / ٢٩٨).

هـذا هـو ما أكده الدكتـور القرضاوى : أن المحصول العلمي كـان متواضـعا جـدا..

غير أن محمد عاكف المرشد الأخير للجماعة قلب الحقائق ، ورد بغير علم ما أكده الأستاذ القرضاوى ، وزعم أن حسن البنا كان يهتم بالجانب الثقافي والفكري .. حتى إنه كان يقدمه على صحة الدين والعقيدة ، فقال : « يقول البنا : نريد أن يكون قوي الجسم متين الخلق مثقف الفكر.. قبل أن يكون صحيح العقيدة سليم العبادة .! » (نافذة مصر نت ٣٠ / ٣ / ١٤٢٧هـ) .

أما الأستاذ سيد قطب فقد وقف فى صف القرضاوى ، وأكد ما أشار إليه حسن البنا آنفا ، وذهب إلى القول بضعف قادة الجماعة ومفكريها فى الجانب المعرفي الثقافي ، وكذلك فى الجانب النفسي ، على السواء ، كما شهد بذلك القرضاوي فى (آفاق عربية . ٢٩ يوليو ٢٠٠٤م) وأكد عبد العزيز كامل أن سيد قطب وجد فى قادة الإخوان عام ١٩٥٤م ضحالة فكرية بارزة ، فقال كما تقدم :

« ورأى الرجل فى بعضهم ضاحالة فى الفكر واضطرابا ولينا فى الدين . كان صدمة له » (مذكرات عبد العزيز كامل ص/ ٢٨) .

وبعد موت حسن البنا أكد سيد قطب حقيقة الضعف العلمي لمحاضري لقاء الثلاثاء ، قائلا : « فى كل ثلاثاء يقدم أحد الإخوان الدعاة ليلقى ما يخطر بباله بدون إعداد ولا تحضير ، وإنما هو حديث مرتجل عفو الخاطر ، ومثل هذا لا يليق بجماعة كبيرة مثل الإخوان » (سيرة ومسيرة ٢ / ٥٨ ٤)

وقد بين عبد العزيز كامل أن الإخوان كان يسخرون من العلم ، ولا يهتمون به ، قائلا : « ولقد كنت دائما أدعو إخوانى وأبنائى إلى العناية بالعلم والمنهجية والتخطيط الطويل ، حتى أصبحت هذه ـ وأسفا أقولها ـ مثار دعابة ، قد تصل أحيانا إلى شيء يقرب من السخرية المهذبة ، إن كان فى السخرية تهذيب ! » (مذكرات عبد العزيز كامل ص/ ٦٩) .

وفى آخر حياته .. وبعد أن رأى الفشل الذريع فى التربية التى سلكها مع أتباعه عبر الشيخ حسن البنا للدكتور / عبد العزيز كامل عن وجهة نظره قبالة الاحتفالات والدروس العامة ، التى كان يلقيها فى عامة الشعب الإخوانية فى ذلك الوقت بأنها " شغل دكاكيني لا قيمة له " ، وأنه كان يتمنى لو أنه ربى من أتباعه مائة فرد تربية دينية صحيحة . قال عبد العزيز كامل فى مذكراته : « بأذنى سمعت منه فى وصف هذه الاحتفالات العامة بأنه " شغل دكاكيني " أى عمل صغير متفرق لا قيمة له» (المذكراتالشخصية . ص / ٥٩ . المكتب المصري .ط. ٢٠٠٦م) .

ومن جانبه لم يترك الأستاذ القرضاوي سيد قطب يطعن بمفرده فى قادة

الجماعة، حتى طعن فيه ، ونفى عنه الاطلاع الصحيح على الفقه الإسلامي ، وذلك فى مقال بعنوان "ملاحظات وتعقيبات على آراء سيّد قطب " قائلا :

« أحسب أن سيد قطب لو أتيح له دراسة الفقه الإسلامى دراسة صحيحة ، ولو أتيح له العيش فى كتبه ومراجعه زمنا ، لغير رأيه ومرئياته . ولكن تخصصه ولون ثقافته لم يتح له هذه الفرصة ، خاصة أن مراجع الفقه بطريقتها وأسلوبها لا تلائم طبيعته الفكرية ، إذ كان أديبا و شاعرا ولم يكن فقيها على أى حال » (الشعب المصرية .تاريخ ١٨ نوفمبر ١٩٨٦)

ومن صدق من الإخوان مع نفسه قال مثل ذلك..وهذا هو الذى دعا الأستاذ / سعيد حوى فى آخر حياته إلى القول بأن الإخوان لا يكفون بمفردهم فى إيجاد العالم الربانى ، فقال : « لقد كانت دروس هذه المرحلة كبيرة ، فقد جعلتنى مع مثيلاتها أصل إلى قناعات كثيرة حكمتنى ولا زالت تحكمنى : أولا : إنه لا الجامعة ولا الإخوان المسلمين ولا حلقات الصوفية قادرة كل منها منفردة (!) أن توجد العالم الربانى المعاصر» (هذه تجربتى . ص/ ٤٨) ... هذا هو نفسه الرجل الذى سبق أن قال (فى آفاق التعاليم . ص/ ٥) : « ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته » أهـ

أما المكانة العلمية فى أسر الإخوان المعاصرة ..

فقد أكد الدكتور / سيد عبد الستار المليجي فى رسالته التى وجهها للمرشد العام محمد عاكف أن قيادات الإخوان وأسرهم لا يعرفون علما ولا دعوة ، وليس فيهم تدين ولا نصح . فقال : « وجماعتنا اليوم تقاد بالصرافين وليس بالعلماء الواعظين ، وبيني وبين من يدعي غير ذلك الإحصاء والتحليل لكافة طبقات القيادات الإخوانية العليا والوسيطة والطرفية ، ولننظر كم تكون نسبة علماء الدين في قيادة جماعة قامت علي أساس الدعوة الدينية » (جريدة الكرامة ١ / ٥ / ٢٠٠٧م) .

لا تقرأوا التفاسير...!

أراد حسن البنا أن يحصر أتباعه فى حدود ضيقة من العلم .. فهذا أقرب للقائد فى التحكم فى أتباعه بموجب عقد الطاعة ، ذلك العقد الذى لايبيح لأحد الاعتراض أو التردد فى الأمر . وحتى تنسجم الجماعة فى هذا المضمار كان حسن البنا يمنع تلامذته من النظر فى التفاسير والإطلاع على أقوال الأئمة الربانيين ، اكتفاء ببعض المعانى اللغوية وبعض مشاهد السيرة النبوية . قال محمود عبد الحليم : «سألته مرة ـ حسن البنا – أى التفاسير تنصحنى أن أقرأ ؟ فقال لى : إن كنت تريد نصيحتى فلا داعى لقراءة تفاسير . إن القرآن واضح . حسبك أن تعرف معانى الكلمات الغريبة عليك قليلة هى ثم اقرأ وتدبر معانيه وافتح له قلبك ، وأنت تعرف سيرة النبى ﷺ إذا فعلت فإنك سيتضح لك من معانيه ما لا تظفر به من كتب التفسير» (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٠٨) .

وهذا دليل واضح على أن حسن البنا لم تكن عنده مدرسة تفسيرية . بالإضافة إلى أنه ترك أتباعه يجتهدون بأنفسهم فى الفهم ، مع كونهم يفتقرون إلى ملكات الدراسة وأصول العلم ..

وفى مجال الفقه سعى سيد قطب فى العمل على تجهيل الأمة وصرفها عنه. فقال : « أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام في هذه

الفترة فأحسب ـ والله أعلم أنه مضيعة للعمر، وللأجر أيضا» (الظلال ٤ / ٢٠١٢).

وقد تأكدت تلك الحقيقة بطعنهم البالغ فى صحابة رسول الله ﷺ من الناحية العلمية .. قال محمود عبد الحليم : « وما كان الصحابة (رضوان الله عليهم) مع علو قدرهم يعرفون من الأحكام الفرعية من الدين عشر ما يعرفه الآن طلاب المراحل الأولى من الدراسة الأزهرية ، ولكن حياتهم مع ذلك كانت ممارسة عملية لما تعلموه من المعلومات الأساسية القليلة من أحكام الدين فكانوا يتحركون للدين ويسكنون للدين» (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٩) .

ولم يترك سيد قطب حسن البنا بمفرده فى ميدان الاستغناء عن أئمة الإسلام ، فدعا إلى هجران التفاسير الإسلامية للقرآن الكريم ، وانتقص جهد الأئمة الربانيين، ودعا إلى عدم الاعتبار بأقوالهم ، وقال فى كتابه (التصوير الفنى . ص/ ٨) : «ودخلت المعاهد العلمية فقرأت تفسير القرآن في كتب التفسير ، وسمعت تفسيره من الأساتذة ، ولكنّني لم أجد فيما أقرأ أو أسمع ذلك القرآن اللّذيذ الجميل الذي كنتُ أجده في الطفولة والصبا.. ترى هما قرآنان ؟

قرآن الطفولة العذب الميسر المشوق ، وقرآن الشباب العسر المعقد الممزق ؟ أم إنها جناية الطريق المتبعة فى التفسير ؟ » .أهـ

فإلى أى نتيجة انتهى سيد قطب .؟ فيجيب قائلا : « وعدت إلى القرآن أقرأه في المصحف لا في كتب التفسير .. وعدتُ أجد قرآني الجميل الحبيب . الحمد لله . لقد وجدت القرآن ! » أهـ .

فمدارس التفسير الأولى كانت مدارس بدائية لم تستطع أن تكتشف جمال القرآن على حقيقته ، كما أراد .. ذلك أنها حصرت مفاهيم القرآن فى اللفظ والمعنى الخاص دون المعنى العام . قال : « وأيا ما كانت تلك الجهود التى بذلك فى التفسير وفى مباحث البلاغة والإعجاز فإنها وقفت عند حدود عقلية النقد العربي القديمة تلك العقلية الجزئية التى تتناول كل نص على حدة فتحلله وتبرز الجمال الفنى فيه - إلى

الحد الذى تستطيع ـ دون أن تتجاوز هذا إلى إدراك الخصائص العامة فى العمل الفنى كله» (التصوير الفنى ص/ ٣٤) .

وانتهى سيد قطب من خلال دراسته إلى أن القرآن من وجهة نظره مر بثلاث مراحل .. كان هو آخرها ..

أما المرحلة الأولى فلم يكن الصحابة مدركين معناه ، وإن كان قد سحرهم فى أعماقهم ، فقال فى كتابه (التصوير الفني . ص/ ٢٥) : « لقد تلقوه مسحورين يستوي فى ذلك المؤمنون والكافرون ، هؤلاء يسحرون فيؤمنون وهؤلاء يسحرون فيهربون ، ثم يتحدث هؤلاء وهؤلاء عما مسهم منه فإذا هو حديث غامض لا يعطيك أكثر من صورة المسحور المبهور الذى لا يعلم موضع السحر فيما يسمع من هذا النظم العجيب وإن كان ليحس منه فى أعماقه هذا التأثير الغريب » أهـ

وأما المرحلة الثانية .. فهى مرحلة التابعين . فقال : « فلما كان عصر التابعين نما التفسير نموا مطردا ولكنهم كانوا يقتصرون فى تفسير الآية على توضيح المعنى اللغوى الذى فهموه من الآية بأخصر لفظ » (المصدر السابق ص/ ٢٧).

ثم قال : « أما المرحلة الثالثة .. فلم يصلوا إليها أبدا لا فى الأدب ولا فى القرآن ، وبذلك بقى أهم مزايا القرآن مغفلا خافيا وأصبح لدراسة هذا الكتاب المعجز من منهج للدراسة جديد » (ص/ ٣٤)

فما المرحلة الجديدة التى وقف عندها سيد قطب .. وابتدعها فى التفسير مخالفا سائر أئمة الإسلام والدين . ؟ إنها مرحلة إدراك الخصائص العامة . مرحلة التصوير . تصوير المعنى الذهني فى حركة أو هيئة .. وتصوير الحالة النفسية فى مشهد تمثيلي أو لوحة مرسومة محسوسة ، يتخيلها المرء أثناء تلاوته للقرآن . قال سيد قطب: « التصوير هو الأداة المفضلة فى أسلوب القرآن فهو يعبر بالصورة المحسة المتخيلة عن المعنى الذهني والحالة النفسية وعن الحادث المحسوس والمشهد المنظور وعن النموذج الإنساني والطبيعة البشرية ثم يرتقى بالصورة فيمنحها الحياة الشاخصة أو الحركة المتجددة فإذا المعنى الذهني هيئة أو حركة وإذا الحالة النفسية لوحة أو مشهد ، وإذا

النموذج الإنسانى شاخص حى وإذا الطبيعة البشرية مجسمة مرئية . فأما الحوادث والمشاهد والقصص والمناظر فيردها شاخصة حاضرة فيها الحياة وفيها الحركة فإذا أضاف إليها الحوار فقد استوت فيها كل عناصر التخييل » (التصوير الفنى.ص/ ٣٦) .

ومن خلال اطلاع سيد قطب على كثير من الفنون جعل قصص القرآن ومشاهد يوم القيامة حركات ومشاهد ولوحات معبرة عن مفردات وقواعد التمثيل السينمائى والرسم والعمل المسرحي وفنون الموسيقى ونغماتها ودرجاتها .. وعبر عن ذلك بكلمات تتناسب مع هذا المجال . وصار يعبر عن النص بما يستشعره فى ذاته وفى نفسه وفى حياته الأولى من معان ذوقية متعلقة بذلك .. ومن أراد فهم القرآن على هذا النحو فلينظر إليه بهذا التصور ، فقال على سبيل المثال فى تفسير قوله تعالى : ﴿كلا إذا دكت الأرض دكا دكا وجاء ربك والملك صفا صفا وجىء يومئذ بجهنم ... إلى قوله تعالى : ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعى إلى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادى وادخلى جنتى ﴾ في وسط هذا الروع الذي يبثه العرض العسكري الذي تشترك فيه جهنم بموسيقاه العسكرية المنتظمة الدقات المنبثقة من البناء اللفظي الشديد الأسر وبين العذاب الفذ والوثاق النموذجي يقال لمن آمن ﴿يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي إلي ربك راضية مرضية ..﴾ هكذا فى عطف ولطف : " يا أيتها " وفى روحانية وتكريم ﴿يا أيتها النفس .. المطمئنة ﴾ فى وسط هذا الروع " ارجعى إلى ربك " بما بينك وبينه من صلة وإضافة ..

إلى أن قال : « والموسيقى حول هذا المشهد مطمئنة متموجة رخية فى مقابل تلك الموسيقى العسكرية ذلك نموذج للمقابلة النفسية بين الكافرين والمؤمنين » (التصوير الفنى.ص/ ٨٧ ، ٩٨ .دار الشروق . ط ٢٠٠٤م).

وهكذا تناول سيد قطب الآيات والسور القرآنية . إما موسيقى ، وإما صور وألوان وخطوط ، وإما مسرح وسينما . تلك هى الخصائص العامة التى غفل عنها الجيل الأول ..

* ومن وجه آخر فقد وصف سيد قطب القرآن بالسحر فى عدة مواضع.. فقال على سبيل المثال : « كيف استحوذ القرآن على العرب هذا الاستحواذ وكيف اجتمع على الإقرار بسحره المؤمنون والكافرون » (التصوير الفنى . ص/ ١٧) وقال : « يجب أن نبحث عن منبع هذا السحر في القرآن .

وقال :" وكان مع ذلك محتويا على هذا النبع الأصيل الذي تذوقه العرب فقالوا : " إن هذا إلا سحر يؤثر " »أهـ

وهذا هو الاتهام الذى قوبل به القرآن من كفار قريش فى أول الأمر .. طعنا فيه وردا له ، لا تعظيما وإجلالا ، كما توهم .. أما أن المؤمنين قالوا عن القرآن إنه سحر فهذا ما لا حقيقة له إلا فى الخيالات والوساوس ...

* كذلك وصف سيد قطب القرآن بالشعر ، فجعله مساويا له فى كل شيء إلا فى القوافى والتفاعيل ، فقال : « القرآن الكريم صدق ، إذ لا تتوفر لـه القافية والتفاعيل ، وإن توفرت لـه بقية خصائص الشعر الأساسية » أهـ

غير أنه فى موضع آخر أثبت أن القرآن أخذ من الشعر القوافى والموازين والإيقاع، وبهذا يكون القرآن عنده شعرا من جميع جوانبه . وضرب المثل لذلك بسورة النجم ، فقال : « هذه السورة فى عمومها كأنها منظومة موسيقية علوية منغمة يسري التنغيم فى بنائها اللفظى كما يسري فى إيقاع فواصلها الموزونة المقفاة » ..

وقال فى تفسير قوله تعالى : ﴿أَفَرَأَيْتُمُ اللَّاتَ وَالْعُزَّى . وَمَنَاةَ الثَّالِثَةَ الْأُخْرَى﴾ [النجم: ١٩-٢٠] فلو أنك قلت ومناة الثالثة لاختلت القافية ، ولتأثر الإيقاع ، ولو قلت : ومناة الأخرى فالوزن يختل » أهـ

هذا هو سيد قطب الذى جعل أصحابه أدبه مسوغا لقبول أخطائه ، وهو مع ذلك علم مقدس لا ينال . . هذا هو تفسيره المعاصر .. وهذا هو تصويره الفنى ، الذى ناوله الموسيقى الفنان الأستاذ (محمد حسن الشجاعي) كى يتفضل بمراجعته ، وضبط المصطلحات الفنية الموسيقية عليه ...

* ولم يقف أمر سيد قطب عند الدعوة إلى هجران التفاسير الإسلامية ، والقول بالذوق التصويري ، والإيقاع والجرس والموسيقى .. الخ وإنما امتد ليفتح باب المدرسة العقلية أساسا لفهم الدين .. فالتزم الأفكارالاعتزالية .. وقدم العقل على جميع الأصول ، وجعله الحاكم الأول على صحة الاعتقاد والدين ، فقال :

« وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم »أهـ وقال أيضا: « الدين لايقف في طريق البحوث الفنية والعلمية التي تتناول مقدساته تناولاً طليقاً من كل قيد »(التصوير الفنى ص/ ٢٥٣).

وفى موضع آخر بين الحيرة التى تملكته وهو يبحث موضوع القصة فى القرآن ، وبين أنه على استعداد أن يحاكم القرآن إلى غيره بشرط أن يكون هذا الغير حقيقة يعتمد عليها . فقال : « فلست أنكر أن شبهات اعترضت طريقي وأنا أبحث موضوع القصة في القرءان ومشاهد القيامة في القرءان أهذا كله مسوق على أنه حاصل واقع أم أن بعضه مسوق على أنه صور وأمثال .؟

وقفت طويلا أمام هذه الشبهات ولكني لم أجد بين يدي حقيقة من حقائق التاريخ أو حقائق التفكير فأطمئن إلى يقينيتها وقطعيتها فأحاكم القرءان إليها ، وما كان يجوز لدي أن أحاكم القرءان إلى ظن أو ترجيح »أهـ ..

فهو يحتاج إلى حقيقة تاريخية أو فكرية يحاكم إليها قصص القرآن ومشاهد القيامة هل هى حقيقة واقعة أم صور وأمثال .. ولا شك أن هذا المقام ليس مقام تصديق ويقين بكلام الله ، إنما هو مقام شك وتكذيب .

قال ابن القيم : « ولا يكون الرجل مؤمنا حتى يؤمن بالرسول إيمانا جازما ليس مشروطا بعدم معارض ، فإذا قال أنا أؤمن بخبره مالم يظهر له معارض يدفعه لم يكن مؤمنا به ، كما لو قال أنا أشهد أن لا إله إلا الله إلا أن يكون في العقل دليل يدل على إثبات إله آخر ، أو يقول أنا أؤمن بالمعاد إلا أن يكون في العقل دليل ينفيه، أو يقول أنا أؤمن بالرسول إلا أن يكون في العقل ما يبطل رسالته ، فهذا وأمثاله ليس بمؤمن جازم بإيمانه ، وأحسن أحواله أن يكون شاكا» (الصواعق المرسلة ٣ / ٨٧٠) .

وهل هناك مؤمن يتناول الدين تناولا عقليا بحتا ، لا ينظر إلى آية ، ولا إلى معجزة ، ولا إلى رسول مؤيد ، ولا إلى صحابة ، ولا إلى سنة ، ولا إلى فطرة فطر الله الناس عليها .. ؟

تخبط واضح وتذبذب مثير..

* ولم يقف أمر سيد قطب الذى تربى على يديه غالب الحركات الإخوانية على ما تقدم ذكره فقد ورث سيد قطب مذاهب المعطلة والمؤولة من الجهمية والمعتزلة فى الصفات ، ولم يكن يوما على طريقة السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم) .. ومن جمل الخلل الذى وقع فيه فى كتابه الظلال تسمية الله تعالى بمعان ، لا تليق بذاته .. ولا يبررها مفهوم أدبي ولا تأويل عقلي ولا غير ذلك من العلل ، التى تبرر للباطل بشتى الصور .. فقد سمى سيد قطب الله تعالى بالريشة المبدعة وبالريشة المعجزة ...

وسماه أيضا بالعقل المدبر ، فقال فى وصف ملامح النفوس فى (الظلال .. ٢٠٤) : « هذه اللمسات العجيبة من الريشة المبدعة في رسم ملامح النفوس ، تشير بذاتها بأن مصدر هذا القول المعجز ليس مصدرا بشريا على الإطلاق » أهـ .

وقال فى خلق الكون : « وتبدأ الريشة المعجزة في رسم المشاهد الكونية الضخمة . . لمسة في السماوات ، ولمسة في الأرضين . ولمسات في مشاهد الأرض وكوامن الحياة . . » الظلال ص/ ٢٠٤٤ .

وقال فى تفسير سورة " عم " : « وجعل الأرض مهادا للحياة – وللحياة الإنسانية بوجه خاص – شاهد لا يمارى في شهادته بوجود العقل المدبر من وراء هذا الوجود الظاهر » (الظلال ٣٨٠٤) .

ولا يجوز إطلاق هذا اللفظ ـ العقل المدبر – على الله تعالى .. فهذا اللفظ لا ينتهى إلى التعظيم والكمال ، إنما ينتهى إلى النقص والتشبيه .

هذا فضلا عن كون الأسماء والصفات توقيفية ، لا يجوز فيها الاختراع .. وقد نزه الله تعالى نفسه عن مشابهة الخلائق ،وقال : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع

البصير ﴾ [الشورى : ١١) .

ووصف سيد قطب الله تعالى بالالتفاف ، فقال : «إن الله العظيم الجبار القهار مالك الملك كله قد تكرم فى عليائه فالتفت إلى هذه الخليقة» (الظلال ٣٩٣٦) ..

والالتفات هو لى العنق يمينا ويسارا. وهذا المعنى لا يليق بالله تعالى . والواجب أن يقدم اللفظ الشرعى ، وهو لفظ النظر ومنه العام والخاص..

غير أن وصف سيد قطب الله تعالى بهذا الفعل يتناقض مع إنكاره الصفات الفعلية وتعطيله إياها . كالاستواء والنزول وغيرها. وذلك لأن الالتفات على منهاجه صفة حادثة متحددة ، وهذا ما ينكره فى أصول قواعده .

وعلى طريقة الجهمية تكلم سيد قطب فى نفى الصفات ، مستخدما ألفاظهم فى ذلك كلفظ التحيز والتجسيم ، والمكان . . الخ

فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿وما جعلنا القبلة التى كنت عليها ﴾ [البقرة . ١٤٣) : « فتتم الوحدة والاتساق بين كل قوى الإنسان فى التوجه إلى الله الذى لا يتحيز فى مكان ، وإن يكن الإنسان يتخذ قبلة له من مكان » أهـ

وبين بكل وضوح إيمانه بهذا المعتقد قائلا : « وكيف تطيق ذات محدودة فانية أن تتلقى كلام الله الأزلي الأبدي الذي لا حيز له ولا حدود؟ ولا شكل له معهود؟وكيف؟ وكيف؟ . » (٦ / ٣٣٨) وعرف الوحى بأنه : « الصادر من غير مكان ولا زمان ولا حيز ولا حد ولا جهة » أهـ ...

وهذا هو قول الجهمية المعطلة الذين وصفوا الله تعالى بالعدم ، وقالوا : " لا داخل العالم ولا خارجه ولا عن يمين ولا عن شمال ولا أعلى ولا أسفل ولا فى الإمام ولا فى الخلف " ..وهذا هو معنى نفى التحيز الذى ذهب إليه ..

وأظن كذلك أنه كان مضطربا فيه غاية الاضطراب . وذلك لأنه لو أثبت أن الله تعالى محيط بكل شيء فلازم ذلك أن يكون فوقه وأعلاه ، فالهواء محيط بالأرض فهو فوقة بالضرورة ، والسماء محيطة بالأرض فهى فوقها بالضرورة ،

والكرسي محيط بالسموات فهو فوقها بالضرورة .

وهو مع ذلك جمع بين الضدين ، فقال : «كيف يكون هذا الاتصال بين الذات الأزلية الأبدية التي ليس لها حيز في المكان ولا حيز في الزمان ، المحيطة بكل شيء » (٦ / ٣٣٨) فنفى التحيز فى أول الكلام وأثبت الإحاطة فى عجزه ..

والإثنان متناقضان .. فالذين قالوا بنفى الحيز والمكان أرادوا أنه لا فى جهة ، وأنه لا يشار إليه بالعلو ولا بالفوقية .. والذين قالوا إن الله محيط بكل شيء .. قصدوا أن المحيط هو الجبار العالى .. وفى هذا إثبات للمكان بمعنى العلو .. إلا أن يريد بالإحاطة العلمية .. فأى شيء أراد ..؟

وأهل السنة يثبتون استواء الله تعالى على عرشه ، كما يثبتون علوه على خلقه علو ذات وقدر وقهر ... علوا لا يماثل علو المخلوقين .. ولا يلزم من ذلك أن يكون حالا فى مكان ولا زمان ، بل هو فوق الزمان وفوق المكان وفوق كل شيء ، بائن من خلقه ، مستو على عرشه . . أما ألفاظ الحد والتحيز فهى ألفاظ مشتركة تحتمل الحق والباطل . وأهل السنة يفصلون القول فى تلك الأقوال ..

أما القول بالجهة فما يزال السلف يقولون به ، كما أكد ذلك الإمام القرطبي عند تفسير قوله تعالى : ﴿إن ربكم الله الذى خلق السموات والأرض فى ستة أيام ثم استوى على العرش﴾ [الأعراف : ٥٤) .

وعلى نفس الوجه السابق أنكر سيد قطب عروج الملائكة إلى الله تعالى .. وهذا من باب إنكار العلو كما هو معلوم .. فقال فى تفسير قوله تعالى : ﴿ تعرج الملائكة والروح إليه ﴾ [المعارج : ٤) : « ولم نكلف أو ندري طبيعة هذه المهام ، وكيف يصعد الملائكة ولا إلى أين يصعدون » ... أهـ

ولا شك أن الضمير فى قوله : " إليه " عائد إلى الله تعالى

وعندما تكلم سيد قطب عن النفخة ، وكلمة " كن " تحير وتردد ، وقال هذه بحوث لا طائل من ورائها .... فقال فى النفخة : « أهذه النفخة هى الكلمة .. الكلمة هى توجه الإرادة .؟ الكلمة " كن " التى قد تكون حقيقة وقد تكون كناية عن

توجه الإرادة والكلمة هى عيسي أو هى التى منها كينونته .. وكل هذه بحوث لا طائل تحتها ... » ... (١ / ٣٦٩) .

وهذه الأقوال تدل على أنه كان فى قمة التذبذب فى أمر الاعتقاد ..

وذلك أن النفخة فى آدم غير النفخة فى عيسى غير النفخة التى فى سائر البشر .. فالنفخة فى آدم صفة فعل من الله تعالى .. والمنفوخ مخلوق مربوب باتفاق أهل السنة والجماعة ...

والنفخة فى عيسى كانت من جبريل ، والنفخة كذلك فيه مخلوقة مربوبة . وكذلك فى سائر البشر ، وهى من الملائكة الموكلة بالأرحام .. وتلك هى الروح التى اختص الله تعالى بعلمها ..وليست النفخة ذات الكلمة .

والمراد بالكلمة " كن " الكلمة الكونية التى خلق الله بها جميع المخلوقات ، وليست هى توجه الإرادة كما زعم ، قاصدا تعطيلها ..

والكلمة ليست مخلوقة كما قالت الجهمية .. ولا هى ذات المسيح ، كما تردد .. فهذا خلاف ماهو معلوم عند أهل الإسلام .. فعيسى جاء بالكلمة وليس هو ذات الكلمة ، كما قالت النصارى .. فليس هناك كلمة تأكل وتشرب وتمشي .

قال شيخ الإسلام فيما نقله عن الإمام أحمد فى الرد على الجهمية :

« ساق الإمام أحمد الكلام في القرآن والرؤية وغير ذلك إلى أن قال ثم إن الجهم ادعى أمرا فقال إنا وجدنا آية في كتاب الله تدل على القرآن أنه مخلوق فقلنا أي آية قال قول الله : ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم وروح منه﴾ وعيسى مخلوق ..

فقلنا : إن الله منعك الفهم في القرآن عيسى تجري عليه ألفاظ لا تجري على القرآن لأنه يسميه مولودا وطفلا وصبيا وغلاما يأكل ويشرب وهو مخاطب بالأمر والنهي يجري عليه الوعد والوعيد ، ثم هو من ذرية نوح ومن ذرية ابراهيم ولا يحل لنا أن نقول في القرآن ما نقول في عيسى ، هل سمعتم الله يقول في القرآن ما قال في

عيسى ولكن المعنى في قول الله : ﴿إنما المسيح عيسى بن مريم رسول الله وكلمته ألقاها إلى مريم﴾ فالكلمة التي ألقاها إلى مريم حين قال له :" كن " فكان عيسى بكن وليس عيسى هو الكن ، ولكن بالكن كان ، فالكن من الله قول وليس الكن مخلوقا.

وكذب النصارى والجهمية على الله في أمر عيسى ، وذلك أن الجهمية قالوا عيسى روح الله وكلمته إلا أن الكلمة مخلوقة ،

وقالت النصاري عيسى روح الله من ذات الله وكلمة الله من ذات الله كما يقال إن هذه الخرقة من هذا الثوب ..

وقلنا نحن إن عيسى بالكلمة كان وليس كان وليس هو الكلمة ، قال وقول الله: ﴿وروح منه﴾ يقول من أمره كان الروح فيه كقوله : ﴿ وسخر لكم ما في السموات وما في الأرض جميعا منه﴾ يقول من أمره » (الفتاوى ٤ / ٢١٨) .

فقول سيد قطب عن الكلمة : « والكلمة هى عيسي أو هى التى منها كينونته . كل هذه بحوث لا طائل وراءها إلا الشبهات » وتحيره وتردده فى ذلك يدل على قلة فهمه لكتاب الله – كما قال الإمام أحمد فى الجهم - ويدل على أنه لا يقدر على التفريق بين كلام الله المضاف إليه إضافة الصفة إلى الموصوف وبين الأشياء المخلوقة بأمر الله تعالى وبكلامه ...

أما قوله : « وكل هذه بحوث لا طائل تحتها ... » فهذا تسفيه بالغ لقضية اختلف عليها المسلمون والنصارى والجهمية ... وهى قضية من قضايا الاعتقاد والإيمان .. كما أنها قضية من قضايا الصفات ، فكيف يكون تفسيرها وتبيينها أمرا لا طائل من ورائه . ولماذا أنزلها الله فى القرآن ، ولماذا فصلها بالقول ..؟

الطائل فقط عنده أن المجتمعات الإسلامية مجتمعات جاهلية ، وكل من حكم فى حكومة واحدة بغير ما أنزل الله فهو كافر .. والإنقلاب واجب فى جميع الأقطار ، كى تسير على منهجه الجهمى المعطل المفوض المستهزىء.. فمنهجه الجهمى الذى استباح به الدماء وكفر به المجتمعات الإسلامية هو الحكم الذى أنزله الله ... من حكم به أو دعا إليه فلا غبار عليه ولا عيب فيه ولا كفر فيه .. ومن تعداه فهو مرجىء

. أما السلف فهم المشبهة والمجسمة والنابتة .. ألا ساء ما يحكمون . .

هذا هو نهج الإخوان فى تسفيه قضايا الصفات الربانية ، وانظر ماذا قال القرضاوي وقارن بينه وبين ما قال سيد قطب لتعلم أن المعين واحد .. فقد قال :

« قد يحتاج المفتي في بعض الأحيان إلى ترك الإجابة عن سؤال السائل لعدم أهميته. مثل ذلك : من يسأل عن آيات الصفات ، مثل : ﴿على العرش استوى﴾ الخ» (الفتوى بين الانضباط والتسيب . ص / ١٣٩) .

أما العرش والسماء والكرسي فحدث عن حيرة تملكت سيد قطب فيهما .. لا أدرى كيف تجرأ فى أمور لا علم له بها ..؟ وهو لا يملك ملكات النظر والبحث والدراسة فى علم العقيدة .. فليس له فى علم الحديث نصيب .. ولا عنده لأهله تقدير ولا تعظيم .. فهو لا ينظر إليهم ولا يعبأ بعقائدهم .

وهذه تفسيرات أخرى تدل دلالة قوية على تعمق سيد قطب فى ضلالات المعطلة وخرافات الجهمية .. وتقديمه إياها على كل نص وعلى كل تفسير .. فعطل صفة الأستواء على العرش ، وأول صفة اليد ، وأنكر صفة السمع لله تعالى ..

تعطيل صفة الاستواء ..

قال سيد قطب فى تفسير قوله تعالى :﴿ ثُمَّ اسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ ﴾ والاستواء على العرش كناية عن مقام السيطرة العلوية الثابتة الراسخة باللغة التي يفهمها البشر ويتمثلون بها المعاني على طريقة القرآن في التصوير » (في ظلال القرآن ٣ /١٧٦٢).

ومعلوم أن الهيمنة من لوازم الاستواء ، وليست هى حقيقة الاستواء ومعناه .. وفعل الاستواء إذا عدى بحرف الجر " على " فلا معنى له فى لغة العرب إلا العلو .. وقد رد سيد قطب تفسير الإمام مالك لتلك الآيات ، والذي نقله عن شيخه ربيعة بن عبد الرحمن حين سئل عن الاستواء ، والذى فيه أن :

« الاستواء غير مجهول والكيف غير معقول ومن الله تعالى الرسالة وعلى الرسول البلاغ وعلينا التصديق » (اجتماع الجيوش الإسلامية ص/ ٧١) .

فقال فى كتابه (فى ظلال القرآن ٤ / ٣٤٨٠) : « أما الاستواء على العرش فنملك أن نقول : إنه كناية عن الهيمنة على هذا الخلق . استنادا إلى ما نعلمه من القرآن عن يقين من أن الله – سبحانه – لا تتغير عليه الأحوال . فلا يكون في حالة عدم استواء على العرش ، ثم تتبعها حالة استواء . والقول بأننا نؤمن بالاستواء ولا ندرك كيفيته لا يفسر قوله تعالى : ﴿ثم استوى﴾ والأولى أن نقـول : إنه كناية عن الهيمنة كما ذكـرنا » أهـ

وقد أكد منحى الأشعرية فى إنكار الصفات الفعلية بقوله :« فهو – سبحانه – منزه عن الحدوث وما يتعلق به من الزمان » (فى ظلال القرآن ١٧٦٢) .

وسيد قطب هنا يقتفى قواعد الفرق التى ردت عقيدة السلف أهل الحديث كالجهمية والمعتزلة والأشعرية والماتريدية وغيرها ..

وفي قوله عدة ثلمات :

الأول : أنه ينكر الصفات الفعلية لله تعالى .. والفارق بين الصفات الفعلية والصفات الذاتية هو أن الصفات الفعلية أزلية النوع متجددة الآحاد متعلقة بمشيئة الله تعالى ، تظهر فى وقت دون وقت ، بخلاف الصفات الذاتية فهى دائمة الظهور .. والاستواء على العرش من الصفات الفعلية التى ثبتت بالسمع ، وعلى ذلك فيصح أن يكون الله مستويا على العرش بعد أن لم يكن مستويا عليه ، كما يصح أن يغفر لعبده بعد أن كان غاضبا عليه ، كما يصح أن يكون مع عباده بالمعية العامة والمعية الخاصة بعد أن خلقهم ، كما يصح أن يبعث عباده بعد أن أماتهم ، والبعث مختلف عن الإماته .. فهذا فعل وهذا فعل .. كما يصح أن ينزل فى ثلث الليل الآخر إلى السماء الدنيا ، ويأتى ويجىء للحساب يوم القيامة ، كما يصح أن يكلم عباده جميعا يوم القيامة بعد أن لم يكن متكلما إلا مع بعضهم .. ومن الآيات الدالة على إثبات الصفات الفعلية قوله تعالى : ﴿ولما جاء موسى لميقاتنا وكلمه ربه﴾ الأعراف : ١٤٣) فقد ثبت الكلام بعد مجىء موسى عليه السلام .. ولو سرنا على طريقة سيد قطب فى إنكار الأفعال المتجددة كالاستواء وغيره لكان كلام الله تعالى مع موسى عليه السلام

كلاما أزليا قبل خلق موسى عليه السلام ، وهذا ترده الآيات القرآنية والعقول السوية ، فقد كلم الله موسى فى الطور ولم يكلمه فى الأزل .. وإن كان الكلام معلوما فى علم الله أزلا ..

ولو كان المقصود بكلام الله تعالى لموسى هو الكلام النفسي الأزلى كما زعم الأشاعرة لعلم موسى جميع علوم الله تعالى عند تكليمه إياه ، ولكنه علم بعض العلوم دون بعض ؛ فدل ذلك على خطأ الأشاعرة البالغ فى تعريف صفة الكلام.. والجدير بالذكر أن كلام الله تعالى من الصفات الذاتية الفعلية فى آن واحد ..فهو أزلى فى نوعه متجدد فى آحاده . والله يتكلم إذا شاء . وهو على كل شىء قدير .كما أن الاستواء باعتبار تعلقه بالعرش صفة فعلية ، وباعتبار معناه صفة ذاتية ..

الثانى : أن قوله : " إن الله لا تتغير عليه الأحوال " ، هو القول الذى يرد به أئمة الفرق الصفات الفعلية .. وهذا القول يقتضى أن يخلق الله تعالى الخلق جميعا بفعل واحد وبقول واحد وبمشيئة واحدة .. وهذا غير صحيح .. فالمخلوقات خلقت بترتيب زمنى خلقا من بعد خلق ، فلم تخلق فى وقت واحد ، كما أن لكل خلق أمرا خاصا وفعلا خاصا ومشيئة خاصة من الله تعالى ، قال تعالى : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون﴾ يس : ٨٢).

وأهل السنة عندما يثبتون الصفات الفعلية يقولون إنها معبرة عن الكمالات الاختيارية ، ولا يقولون بحلول الحوادث المخلوقة فى ذات الله تعالى ، ولا يقولون بتغير الأحوال الذى يستلزم النقص على الله تعالى ، كما يظن أهل الأهواء ..

الثالث : أن سيد قطب كان على علم بمذهب السلف ، ولكنه لم يعبأ به .لا كما يقول بعضهم إنه لا يعلم . وشاهد ذلك نقله قول الإمام مالك فى إثبات الاستواء بمعنى العلو على العرش ورده له وعدم قبوله به ..

الرابع : أن الهيمنة ثابتة مع الخلق قبل أن تكون ثابتة مع الاستواء ، فما الذى ميز فعل الاستواء عن فعل الخلق إذا كان الاستواء بمعنى الهيمنة ؟ وهذا يرد قوله أن " ثم " فى الآية ليست للترتيب الزمانى . بل هى للترتيب الزمانى كما هو ظاهر .

الخامس : أن سيد قطب لم يلحظ فائدة تخصيص العرش بالاستواء دون غيره من المخلوقات ..

وقد بين الإمام الأشعري حقيقة هذا التخصيص فى كتابه (الإبانة ص/ ١٠٨) قائلا : « وقد قال قائلون من المعتزلة والجهمية والحرورية : إن معنى قول الله تعالى: ﴿الرحمن على العرش استوى ﴾ (طه. ٥) أنه استولى وملك وقهر وأن الله تعالى في كل مكان ، وجحدوا أن يكون الله عز وجل مستو على عرشه كما قال أهل الحق، وذهبوا في الاستواء إلى القدرة ، ولو كان هذا كما ذكروه كان لا فرق بين العرش والأرض السابعة ، لأن الله تعالى قادر على كل شيء ، والأرض لله سبحانه» أهـ

تأويل صفة اليد ..

* وقال سيد قطب فى تفسير قولــه تعالى : ﴿ وَالأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ ﴾ [الزمر: ٦٧) : « وكل ما يرد فى القرآن وفى الحديث من هذه الصور والمشاهد إنما هو تقريب للحقائق ، التى لا يملك البشر إدراكها بغير أن توضع لهم فى تعبير يدركونه ، وفى صورة يتصورونها . ومنه هذا التصوير لجانب من حقيقة القدرة المطلقة ، التى لا تتقيد فى حيز ، ولا تتحدد بحدود » (الظلال ٤ / ٣٠٦٢ . دار الشروق . الطبعة الثالثة عشر ١٩٨٧م) ..

قلت : قوله هذا يدل على أنه كان على دراية عميقة بمذاهب الفرق الشاذة .. وجوانب الخطورة في قوله تنتهى إلى نفى مدلولات القرآن الظاهرة ، وأن القرآن يدعو الناس إلى اعتقاد ما لا وجود له ، وإنما هو تقريب فقط . كأن كلام الله تعالى ألغاز وإشارات ، لا تستقيم اعتقادا ولا تصح دينا إلا بتفسير المؤولة والمعطلة . . وقد كان الفلاسفة يعتقدون أن الأنبياء خاطبوا الناس بالخيالات وأخفوا عنهم الحقائق .. التى زعم الفلاسفة احتكارهم إياها ، حتى أطلقوا على أنفسهم أهل الحكمة ....

وقد فسر سيد قطب القبضة هنا بالقدرة المطلقة . والقبضة فى الآية صفة ليد الذات المضافة إلى الله تعالى إضافة الصفة إلى الموصوف ..

والذى قاله سيد قطب رأى عقلى فلسفى نظري ، قائم على مناهج المتكلمين

والنص بخلافه . وقد أمرنا الله تعالى أن نعبده بما قال المرسلون لا بما تفلسف المتكلمون . وقد أثبت النبى ﷺ اليدين لله تعالى على ما يليق بجلاله ، وفسر الآية تفسيرا واضحا ، فقال ﷺ : « يطوي الله السماوات يوم القيامة ثم يأخذهن بيده اليمنى ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون ، ثم يطوي الأرضين ثم يأخذهن بشماله ثم يقول : أنا الملك أين الجبارون أين المتكبرون» (رواه مسلم . صفة القيامة ٢٧٨٨ , عن عبد الله بن عمر)

وفى هذا الحديث ثنيت اليد .. وتلك التثنية لا تجوز فى حالة تفسير اليد بمعنى القدرة .. فالقدرة لا تثنى باتفاق جميع الفرق .. واليد صفة ذات متعلقة بالله تعالى ، وليس فى الوجود شيء مستقل يقال عنه " يد الله " ، فدل ذلك على أن اليد صفة من الصفات الذاتية لله تعالى ، وليس فى العقل ما يمنع إطلاق ذلك على مايليق بجلال الله تعالى ، وليس فى النصوص الشرعية معارض لهذا الإطلاق ، ولو كانت اليد بمعنى القدرة ، كما أولها سيد قطب لاحتج إبليس على الله تعالى بها حين قال له : ﴿ما منعك أن تسجد لما خلقت بيدي ﴾ وقال : وأنت يارب خلقتنى بيديك.

الأمر الآخر : أن سيد قطب وصف القدرة أنها " لا تتحيز فى حيز ولا تتحدد بحدود" ... ونفى التحيز قد يمر على كثير من الناس دون أن يدرك مراده .. فنفى التحيز عند الجهمية الذين وافقهم سيد قطب يراد به أن الله تعالى لا يكون داخل العالم ، ولا يكون خارجه .. وهذا أكبر وصف للعدم ..

قال شيخ الإسلام فى (التدمرية ص/ ٢١) : « فالمتحيز يراد به تارة ماهو داخل العالم وتارة ما هو خارج العالم . فإذا قال ليس بمتحيز كان معناه : ليس بداخل العالم ولا خارجه . فهم غيروا العبارة ليوهموا من لا يفهم حقيقة قولهم أن هذا معنى آخر ، وهو المعنى الذى علم فساده بالضرورة» أهـ

وبتطبيق ذلك على صفة القدرة بتفسير سيد قطب يكون نفيا لوجودها .. ويكون المعنى أن لا قدرة له داخل العالم ، ولا قدرة له خارجه ..

ولا أظن سيد قطب كان يقصد ذلك ..

أما قوله " ولا تتحدد بحدود " فقد عنى بذلك أنها مطلقة فى كل مكان ، فى الداخل وفى الخارج ، لا يمنعها مانع .. وما عناه بنفى التحيز يختلف عما عناه بنفى الحدود ، وهذا أثر من آثار النقل عن الجهمية . التضارب فى الأقوال والمفاهيم .

تعطيل صفة " السمع لله تعالى " ..

※ أيضا من جملة الصفات التى عطلها سيد قطب صفة " السمع " . فقال فى تفسير قوله تعالى : ﴿كلا فاذهبا بآياتنا إنا معكم مستمعون ﴾ [الشعراء : ١٥] .

« ولكن الصحبة المقصودة هنا هى صحبة النصر والتأييد فهو يرسمها فى صورة الاستماع الذى هو أشد درجات الحضور والانتباه ، وهذا كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة وذلك على طريقة القرآن فى التعبير بالتصوير » أهـ

فلم يثبت السماع بمعنى إدراك الأصوات على حقيقتها ، مهما دقت ومهما بعدت، وإنما جعل ذلك كناية عن دقة الرعاية وحضور المعونة . وهذا تفسير منحرف، يلزم منه تعطيل الصفة بالكلية . وقد عطلها على طريقة الجهمية فى إنكار الصفات . باعتبار نفى التجديد من جهة وباعتبار نفى التجسيم من جهة أخرى ... فهو ينكر الصفة من كل الجهات . وعلى طريقة الجهمية والمعتزلة لا يثبت الصفة من جهة الفعل ، لأن إثباتها عنده يقتضى الحدوث . ولا يثبتها من جهة الذات ، لأن ذلك يقتضى عنده التجسيم .. والاثنان يقتضيان تشبيه الخالق بالمخلوق .

وقد رد الله تعالى فساد تأويلات الجهمية والمعطلة والمشبهة بقوله : ﴿ليس كمثله شيء وهو السميع البصير ﴾ [الشورى : ١١] .

※ قال : " القرآن مصنوع " ...

وفى القرآن الكريم لم يقل سيد قطب إنه كلام الله تعالى ، المضاف إليه إضافة الصفة إلى الموصوف ، ولم يثبت أنه لفظ ومعنى ، كما أثبته أئمة السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم)، ولم يشر إلى ذلك من قريب أو بعيد ، وإنما جعله من صنع الله تعالى ، فعطل بذلك صفة من صفات الله تعالى .. وذهب إلى هذا التعطيل الذى يتماشى مع قواعد مذهبه الجهمي فى أكثر من موضع فى تفسيره ، فقال كما فى

(الظلال.ص/ ١٥) : « إن هذه البشرية - وهي من صنع الله - لا تفتح مغاليق فطرتها إلا بمفاتيح من صنع الله ، ولا تعالج أمراضها وعللها إلا بالدواء الذي يخرج من يده (سبحانه) ! وقد جعل في منهجه وحده مفاتيح كل مغلق ، وشفاء كل داء : وننزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين.. ﴿إن هذا القرآن يهدي للتي هي أقوم﴾ أهـ .... وقد قصد بالمنهج هنا القرآن .. وهو مقصوده من الصنع ...

وقال أيضا (ص/ ٢٧١٩) : « الحروف المقطعة التي اخترنا في تفسيرها أنها للتنبيه إلى أنها مادة الكتاب الذي أنزله الله على رسوله (مؤلفا من مثل هذه الحروف ، المألوفة للقوم ، الميسرة لهم ليؤلفوا منها مايشاءون من القول ؛ ولكنهم لا يملكون أن يؤلفوا منها مثل هذا الكتاب ؛ لأنه من صنع الله لا من صنع إنسان» أهـ

وقال (ص/ ٢٨٠٤) : « والفارق بين القرآن وما يصوغه البشر من هذه الحروف من كلام ، هو كالفارق بين صنعة الله وصنعة البشر في سائر الأشياء . صنعة الله واضحة مميزة ، لا تبلغ إليها صنعة البشر في أصغر الأشياء» أهـ

والملاحظ أن سيد قطب استخدم ألفاظ الجهمية التى يطعنون بها فى أهل السنة . كلفظ التحيز والجهة والتجسيم . . الخ ، ولكنه لم يستخدم لفظ مخلوق الذى يستخدمه المعتزلة فى إنكار إضافة القرآن إلى الله إضافة الصفة إلى الموصوف ...

ولكنه وإن كان استخدم لفظ " مصنوع " ليغرر به السذج الذين يظنون أنه لفظ أدبي لا يعبر عن مدلول المعتزلة فى نفى نسبة القرآن إلى الصفات الربانية .. فإنه صرح فى مواضع أخرى بما يؤكد اعتقاده فى أن القرآن مخلوق - وإن كان لفظ التحيز والتجسيم وحلول الحوادث الذى يقول به يكفى فى بيان مراده من القول بخلق القرآن - منها : القول بتوجه الإرادة : فقال فى تفسير قوله تعالى :

﴿إنما أمره إذا أراد شيئا أن يقول له كن فيكون ﴾ فتوجه الإرادة لخلق الشيء كاف وحده لوجوده كائنا ما يكون ، إنما يقرب الله للبشر الأمور ، ليدركوها بمقاييسهم البشري المحدود » (الظلال : ٥ / ٢٩٧٨) وقال : « **فتوجه الإرادة إلى خلق كائن ما كفيل وحده بوجود هذا الكائن ، على الصورة المقدرة له** » (الظلال .

/ ١ ٨٠) وقال : « فالبدء كالإعادة أثر لتوجه الإرادة : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ الظلال ٥ / ١٨١) وقال : « إنما هي الكلمة . هي المشيئة : ﴿إنما أمره إذا أراد شيئاً أن يقول له كن فيكون ﴾ (الظلال : ٦ / ١٥) .

وقوله " توجه الإرادة لخلق الشيء كاف " تعطيل واضح لصفة الكلام .. وتأويل باطل .. إذ جعل القول والأمر لغوا لا قيمة له ..

والحقيقة أن الله تعالى يخلق بأمره وفعله وقدرته . قال تعالى : ﴿ألا له الخلق والأمر ﴾ [الأعراف : ٥٤) .. وأمر الله تعالى يكون بكلامه الكونى – وقد يراد بالأمر الكلام الشرعي – والخلق هو قدرته على إيجاد الموجودات بقوته وفعله (وقد يراد به المخلوق المكون كما أشار بعض السلف فى التفريق بين الأمر والخلق) .

ولكن سيد قطب لم يشر إلى فائدة الكلام الكونى ، لأنه يعده من الحوادث المتجددة الممنوع إطلاقها على الله تعالى.. أما الإرادة عنده فهى على طريقة الأشاعرة إرادة واحدة متعلقة بالأزل .. وهذا يلزم منه تخلف الأفعال عنها ، وهذا التفسير معارض لقوله تعالى : ﴿فعال لما يريد ﴾ والحقيقة أن كلمة " توجه الإرادة " عند سيد قطب تلزمه بأن يعد الإرادة من صفات الأفعال . وهذا ما لا يقول به .

وسيد قطب يعد الإرادة خالقة مدبرة ، وقد أشار إلى ذلك فى عدة مواضع منها: « إنما تسير النشأة الإنسانية في هذا الطريق دون سواه من شتى الطرق الممكنة بناء على قصد وتدبير من الإرادة الخالقة المدبرة في هذا الوجود » (الظلال ٥ / ٢٢٦) .

وقال فى موضع آخر : «والنظر المجرد إلى السماوات والأرض يوحي بوحدة الإرادة الخالقة المدبرة » (الظلال ٦ / ٢٢٤) .

وتلك النسبة غير صحيحة ، ولا يجوز أن ينسب الخلق إلى الإرادة ولا إلى القدرة .. إنما ينسب الخلق إلى لله تعالى لأنه الخالق ، ثم يرجع السبب إلى الإرادة والأمر والفعل المتعلق بذاته تعالى ، فيقول يخلق الله بإرادته ويخلق بأمره وفعله ويخلق الله بكلامه وتدبيره .. وقد وقع أكثر مفكرى الإخوان فى هذا الغلط .فقد قرأت كثيرا من كتب الإخوان فوجدتهم يقولون « شاء قدر الله ، شاءت إرادة الله » .

قال الغزالى فى كتابه (الإسلام المفترى عليه ص/ ١٩٢) : « وكأن القدر شاء أن سرب مثلا حيا متكررا » أهـ وقال القرضاوى فى الهضيبي : « ولكن هكذا شاءت له الأقدار أن يكون...»(آفاق عربية. عدد ٦٨٦) . وقد سبق هؤلاء حسن البنا فقال: « إن ذلك المغلوب الذى شاء له القدر أن يسعد بالإسلام ويهتدي بهديه . الخ » (الرسائل ص / ٦١) .

فنسبوا جميعا المشيئة إلى القدر ـ كما نسب سيد قطب الخلق إلى الإرادة والمشيئة ... وهذا قصور فاضح فى فهم العقيدة .. ذلك لأن القدر لا ينادى ، ولا ينسب إليه مشيئة ، والمشيئة ليست وصفا للقدر ، حتى يفعل بها القدر ما يريد ، ولكنها صفة لله تعالى ، وعلى ذلك نقول : شاء الله ، أراد الله .. وهذا القصور فى فهم العقيدة يدل على أنهم كانوا كالعامة فى فهم التوحيد .. ومثل هؤلاء لا يحق لهم التصدر فى مخاطبة الحكام ولا النظر فى شئون الأمة ..

قال الإمام العلامة محمد صالح العثيمين : « الأقدار جمع قدر ، والقدر لا مشيئة له ، وإنما الذى يشاء هو الله ـ عز وجل ـ نعم لو قال الإنسان : "اقتضى قدر الله كذا وكذا " فلا بأس به . أما المشيئة فلا يجوز أن تضاف للأقدار ، لأن المشيئة هى الإرادة ، ولا إرادة للوصف إنما الإرادة للموصوف . » أهـ (فتاوى أركان الإسلام ص/ ١٩٧).

٢- إنكار سماع موسى كلام الله تعالى بالأذن .

أيضا فإن سيد قطب عندما تكلم فى تفسير قوله تعالى : ﴿وناديناه من جانب الطور الأيمن ﴾ [مريم . ٥٢) تحير وتردد . هل سمع موسى كلام الله بأذنه أم سمعه بكيانه الإنساني كله . ؟ لينكر أنه لفظ وحرف .. فقال : « ونحن لا ندري كيف كان هذا الكلام وكيف أدركه موسى أكان صوتا تسمعه الأذن أم يتلقاه الكيان الإنسانى ؟ ولا نعلم كيف أعد الله كيان موسى البشري لتلقى كلام الله الأزلى ، إنما نؤمن أنه كان ـ وهو على الله هين ـ أن يصل مخلوقه به بطريقة من الطرق وهو بشر على بشريته وكلام الله علوى على علويته ومن قبل كان الإنسان إنسانا بنفخة من روح

الله »أهـ

ولا شك أنه اضطراب واضح فى فهم صفة الكلام .. لم يترجح لديه هل هو صوت أم معنى .. ؟ لم يرجع فيه إلى ما قاله أهل السنة .. فلو كان الكلام للكيان الإنسانى كما ظن لكان نوعا من الإلهام .. وهذا يشارك فيه موسى غيره .. أما كلام الله باللفظ والحرف والمعنى والصوت فهو خاص بموسى عليه السلام .. وهذا هو المراد من قوله تعالى : ﴿ إنى اصطفيتك على الناس برسالاتى وبكلامي ﴾ والحقيقة أن الله تعالى تكلم مع موسى بصوت وحرف ، كما أنه يتكلم يوم القيامة مع أدم ، ومع البشر جميعا بصوت وحرف . وفى الحديث يقول الله تعالى : « ياآدم فيقول لبيك وسعديك فينادى بصوت إن الله يأمرك أن تبعث بعثا إلى النار » (متفق عليه . البخارى ٢٤ / ٣٤٣).

وقد أكد الله تعالى صفة الكلام بالمصدر الذى يمنع تنزل المجاز ويثبت حقيقة الكلام بجميع مشتملاته لفظا ومعنى وحرفا وصوتا .. فقال تعالى : ﴿ وكلم الله موسى تكليما ﴾ ولا يختلف فى ذلك أحد من أئمة اللغة ..

أما النفخة فى آدم التى قالها فى عجز كلامه ..

فإن أراد الروح فالروح مربوبة مخلوقة ، وليست من ذات الله ، ولا هى صفة له ، فكيف يقرب اتصال الله بآدم فى صفة الكلام بهذا الشيء المخلوق .؟

لقد جمع سيد قطب فى كلام الله تعالى بين معتقدين :

معتقد المعتزلة القائلين بأن كلام الله مخلوق أو مصنوع ..

وبين معتقد الأشاعرة القائلين بالكلام الأزلى – يريدون بذلك معناه النفسي .. والصحيح أن يقول فى صفة الكلام إنها صفة فعلية ذاتية فى آن واحد –

ترى أنحاكم سيد قطب على اعتبار أنه معتزلى ينكر الكلام كصفة لله تعالى .؟ أم نحاكمه على اعتبار أنه أشعري يقول بالمعنى النفسي الأزلى ..؟ فجميع النصوص القطبية المتعلقة بكلام الله تعالى عند سيد قطب تشير إلى أنه مصنوع ..

باستثناء هذا النص الذى الآخير قال فيه بالمعنى الأزلى .. إلا إذا أراد أن نصفــه أزلى والنصـف الآخــر مخلوق .

القرآن كلام الله منه بدأ وإليه يعود ..

إن هذا النهج الذى انتهى إليه سيد قطب نهج منحرف ، مخالف لمعتقد السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم)، وذلك لأن المصنوع هو المخلوق المكون ، أما القرآن فلم يكن مخلوقا ولا مكونا ولا مصنوعا ، بل هو من علم الله تعالى ..

قال تعالى : ﴿ لكن الله يشهد بما أنزل إليك أنزله بعلمه﴾ النساء : ١٦٦) وعلم الله تعالى ليس مخلوقا ولا مصنوعا ، لأنه فى نفسه ، وشاهد ذلك قول عيسى عليه السلام لربه تعالى ذكره:﴿تعلم ما فى نفسى ولا أعلم ما فى نفسك﴾ [المائدة : ١١٦) .

ونفس الله لا يحل فيها مصنوع ولا مخلوق .. فإذا كان القرآن من علم الله وعلم الله غير مخلوق فالقرآن غير مخلوق . . وقد أثبت الله تعالى نزول القرآن على جبريل عليه السلام من عنده ، قال تعالى : ﴿قل نزله روح القدس من ربك ﴾ [النحل :١٠٢). فأثبت نسبة معلومة مضافة إلى الله ، فدل ذلك أن القرآن قائم بالله تعالى ، وليس قائما بغيره .. فالقرآن كلام الله تعالى ، وهو بحروفه وألفاظه ومعانية صفة من صفاته الذاتية الفعلية .. منه بدأ وإليه يعود .

الإمام أحمد يثبت صفة الكلام ...

أثبت الإمام أحمد أن لله تعالى كلاما يتكلم به ، يخالف به الخرس والبكم ، خلافا لقول المعتزلة الذين يقولون كلام الله مخلوق ، وخلافا للجهمية الذين قالوا لا يتكلم وليس له كلام ، فقال : « إن لله عز وجل كلاما هو به متكلم ، وذلك صفة له في ذاته خالف بها الخرس والبكم والسكوت ، وامتدح بها نفسه فقال عز وجل في الذين اتخذوا العجل:﴿أَلَمْ يَرَوْاْ أَنَّهُ لاَ يُكَلِّمُهُمْ وَلاَ يَهْدِيهِمْ سَبِيلاً اتَّخَذُوهُ وَكَانُواْ ظَالِمِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٨) فعابهم لما عبدوا إلها لا يتكلم ولا كلام له ، فلو كان إلهنَا لا يتكلم ولا كلام له رجع العيب عليه ، وسقطت حجته على الذين اتخذوا

العجل من الوجه الذي احتج عليهم به » (اعتقاد الإمام أحمد بن حنبل (ص/ ٢٩٥)..

وذهب الإمام أحمد إلى أن كلام الله صوت وحرف ، خلافا لما يقوله الأشاعرة ، الذين يحصرون الكلام فى المعنى النفسى الأزلى - كما قال سيد قطب فى الاتجاه الثانى - وينكرون اللفظ والحرف والصوت ، بناء على شبهات مردودة .. عن عبد الله بن أحمد قال : سألت أبي عن قوم يقولون :" لما كلم الله موسى لم يتكلم بصوت " فقال أبي : « بل تكلم تبارك وتعالى بصوت ، وهذه الأحاديث نرويها كما جاءت ، وحديث ابن مسعود : " إذا تكلم الله بالوحي سمع له صوت كجر السلسلة على الصفوان " قال أبي : " والجهمية تنكره " قال أبي :" وهؤلاء كفار " » (العقيدة الأصفهانية. ص/ ٥٣) ..

فلم يقل الإمام أحمد إن كلام الله تعالى مخلوق أو مصنوع ، كما قال سيد قطب .. وما قال ما أدرى ما معنى كلام الله كما قال المفوضة .. وما قال نصفه معنى نفسى إلهى ، والنصف الآخر حروف وألفاظ مخلوقة ، وأن المعنى النفسى الأزلى حل فى الحروف الحادثة المخلوقة ، كما قال الأشاعرة ـ تشبها بقول النصارى بحلول اللاهوت فى الناسوت ـ إنما قال :" القرآن كلام الله ، وكلام الله صوت وحرف ..القرآن من علم الله ؛ فهل علم الله مخلوق.؟

بطلان احتجاج الأشاعرة ..

أما احتجاج الأشاعرة بقول الله تعالى : ﴿ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ [المجادلة : ٨) وجعله دليلا على إثبات الكلام النفسي القديم .! بمعنى أن كلام الله تعالى معنى أزلى لا صوت ولا لفظ ولا حرف .. فهو احتجاج فى غير موضعه .. لأن معنى الآية : ﴿ويقولون فى أنفسهم﴾ يعنى " ويقولون فيما بينهم". وقد كان اليهود يقولون للنبى ﷺ " السام عليكم " ثم بعد أن ينصرف يقولون ﴿لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ قال ابن كثير فى تفسير الآية : « أي يفعلون هذا ويقولون في أنفسهم لو كان هذا نبيا لعذبنا الله بما نقول له في الباطن ، لأن الله يعلم ما نسره ، فلو

كان هذا نبيا حقا لأوشك الله أن يعاجلنا بالعقوبة فى الدنيا »أهـ .

قال الثعالبي فى فقه اللغة فصل الإشباع: والتأكيد ٨٧ فى تفسير قول الله تعالى: ﴿ويقولون فى أنفسهم لولا يعذبنا الله بما نقول﴾ فاعلم أن ذلك القول باللسان دون كلام النفس » أهـ

فلا يصح أن يكون القول أو حديث النفس كلاما إلا إذا تكلم به على اللسان ، لقول النبى ﷺ :« إن الله تجاوز عن أمتي ما حدثت به أنفسها، ما لم تعمل أو تكلم» (رواه البخارى .كتاب الطلاق . ٤٩٦٨) ولو كان كلام الله هو المعنى النفسى الأزلى الذى لا يتبعض ولا يتجزأ كما يقول الأشاعرة ومن نحا نحوهم لكان موسى عالما بجميع معلومات الله تعالى حين كلمه فى الطور...

تخبط القول بين الوجودية والحلولية ..

أيضا ومن جمل الخلل الذى وقع فيه سيد قطب قوله بمفاهيم الوجودية والحلولية .. ففى الحلولية : قال سيد قطب عند تفسير قول الله تعالى :﴿هُوَ الأَوَّلُ وَالآخِرُ وَالظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ﴾ (الحديد:٣) « فحقيقة كل شىء مستمدة من الحقيقة الإلهية وصادرة عنها » ثم قال : « وإن استقرار هذه الحقيقة فى قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة ، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار ؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد » فى ظلال القرآن: ٣٤٧٩) .

والكلمة المنتقدة فى هذا المقطع هى قوله : « فحقيقة كل شىء مستمدة من الحقيقة الإلهية » وقوله : « واستمرار هذه الحقيقة فى القلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة » ... و هذا هو معتقد الحلول الذى دعا إليه الحسين بن منصور الحلاج ، الذى قال " إن من تدرج فى الرياضات واشتغل بالمجاهدات فنيت بشريته وحلت فيه روح الله ... أما كلامه فى الوجودية ... فأقول ابتداء : إن من الوجوديين من يفرق فى صفة الوجود ، فيجعله واجبا وممكنا ، حاكما ومحكوما ، كابن عربى وأتباعه من ملاحدة الصوفية ، ومنهم من يجعله لا واجبا ولا ممكنا ، لا خالقا ولا مخلوقا ، ولا

حاكما ولا محكوما ، فهو وجـود واحــد بلا تفريق ، كالصدر القـونوى.

والفريقان متفقان على أن وجود الله هو عين وجود الكائنات . وهذا هو عين التعطيل ..

وقد اتفق الوجوديون على أن العبادة يجب أن تتوجه لكل صور الموجودات ، ولا يخص منها شيء دون شيء وإلا فهى باطلة ..

قال ابن عربى :

[عقد البرية فى الإله عقائد وأنا اعتقدت جميع ما اعتقدوه] .

ولا شك أن قول ابن عربى بالجمع يتناقض مع قول سيد قطب بتفرد الله تعالى بالحاكمية المطلقة .. لكن مع ذلك فقد صدر عن سيد قطب كتابات تثبت أنه توغل فى القراءات الوجودية ، وإن كان قال مايخالفها فى موضع آخر .. وهذا هو الذى شكك الناس فى أمره . حتى إن بعضهم أراد التعامل مع تلك النصوص بنفس الطريقة التى يرد بها المتشابه إلى المحكم فى القرآن الكريم .. وهذا بعيد جدا ، لأن تلك القاعدة متعلقة بالتعامل مع النصوص القرآنية ، وليست متعلقة بالتعامل مع النصوص البشرية ، وذلك لأن الإنسان محاسب على عمله خيرا كان أم شرا ، وقد يتقلب الإنسان فى المعتقدات المختلفة أثناء حياته ، وهذا شأن كثير من أهل البدع .. فلا بد من التحذير من ظاهر الأمر ، أما الحكم على الشخص فأمره إلى الله تعالى ..

أما النصوص الدالة على ثبوت فكر وحدة الوجود فى كتب سيد قطب فمنها ما قاله فى كتابه (فى ظلال القرآن.دار الشروق الثالثة عشر ١٩٨٧م) فى تفسير (سورة الإخلاص) ص/ ٤٠٠٢ : « إنها أحدية الوجود .. فليس هناك حقيقة إلا حقيقته . وليس هناك وجود حقيقي إلا وجوده . وكل موجود آخر فإنما يستمد وجوده من ذلك الوجود الحقيقي ، ويستمد حقيقته من تلك الحقيقة الذاتية . وهي – من ثم – أحدية الفاعلية . فليس سواه فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء ، في هذا الوجود أصلا . وهذه عقيدة في الضمير وتفسير للوجود أيضا...». أهـ

وفى هذا القول نفى سيد قطب كل الحقائق غير الله ، ونفى كل الأفعال

وجعلها جميعا فعل الله ..

وقد كان ابن عربى يفرق بين الوجود الأزلى والوجود الممكن ، ثم ل الكل هو الله ، وما الوجود الممكن إلا صورة للوجود الواجب ..

أما الصدر القونوى تلميذ ابن عربي فكان لا يفرق بينهما ، وكان يقول الكل هو الله – كما تقدم – (تعالى الله عما يقول الظالمون علوا كبيرا) ..

أما سيد قطب فقد بدأ كلامه بوحدة الوجود ، ثم أنكر حقيقة كل وجود غير وجود الله تعالى ، ثم جعل وجودين بقوله (وكل موجود آخر) ، ثم جعل الموجود الآخر يستمد وجوده من تلك الحقيقة الذاتية . ثم قال بأحدية الفاعلية ، وقال : " فليس سواه فاعلا لشيء ، أو فاعلا في شيء "..

فقوله فى الوجود هو نفس ما قاله ابن عربي فى وحدة الوجود ..

فابن عربي الذى كان يقول بوجود واحد ، كان فى نفس الوقت يقسم الوجود الواحد إلى وجودين : وجودا واجبا أزليا ، ووجودا ممكنا ، يقول إنه مجلى ومظهر للوجود الأول .. هذا الوجود الظاهر عنده يجوز فيه التعدد والتنوع ، ففيه الحسن وفيه القبيح وفيه القوي وفيه الضعيف وفيه العابد وفيه المعبود .. الخ والكل عنده هو الله .. وقد كان ابن تيمية يرد قولهم هذا بقوله كما فى (مجموع الفتاوى ٢ / ٣١٩) : « وهم يقولون : إن الكون مظاهر الحق فإن قالوا المظاهر غير الظاهر لزم التعدد وبطلت الوحدة ، وإن قالوا : المظاهر هى الظاهر لم يكن قد ظهر شيء فى شيء ، ولا تجلى شيء فى شيء ، ولا ظهر شيء لشيء ولا تجلى شيء لشيء» أهـ ومن أشعار ابن القيم فى بيان هذا التناقض عندهم ما قاله فى النونية :

يا أمة معبودها موطوؤها أين الإله وثغرة الطعان .. (١ / ١٣٧)

والثغرة : هى نقرة النحر التى بين عظام الترقوة ... والمعنى كيف تجعلون الأول الأزلى والمقتول المطعون شيئا واحدا .. ؟

كذلك فإن ما قاله سيد قطب فى الفعل هو نفس ما قاله الجهم بن صفوان فى

الجبر والتأثير.. فسيد قطب كان ينكر التأثير فى الأفعال . والجهم كذلك . فالفاعل عند كليهما واحد ..

وبناء على هذا النص السابق نسب جمع من أهل العلم المعاصرين المشهود لهم بالدين والدراية سيد قطب إلى مقولة الوجوديين ، منهم الشيخ العلامة محمد صالح العثيمين كما فى مجلة (الدعوة السعودية عدد ١٥٩١ فى ٩ / ١ / ١٤١٨ .

ومنهم العلامة المحدث ناصر الدين الألبانى كما فى شريط بعنوان " مفاهيم يجب أن تصحح" وانظر أيضا . مجلة المجتمع الكويتية . عدد . ٥٢٠ . جمادى الأولى١٤٠١هـ ، حيث قال : « إن قول سيد قطب في تفسير سورة الإخلاص وأول سورة الحديد هو عين قول القائلين بوحدة الوجود ...» ..

وقال (ص / ٢٣) : « ظاهر كلامه تماما أنه لا وجود إلا وجود الحق ، وهذا هو عين القائلين بوحدة الوجود ، كل ما تراه بعينك فهو الله ، وهذه المخلوقات التي يسميها أهل الظاهر مخلوقات ليست شيئا غير الله ، وعلى هذا تأتي بعض الروايات التي تفصل هذه الضلالات الكبرى بما يرى بعض الصوفيين...»أهـ

وأظن والله أعلم أن سيد قطب كان متخبطا .. قرأ جملا وعرف ألفاظا فطحن بعضها فى بعض .. ولم يكن يدرك ما تؤول إليه من الخلل .. ولم ينتج ذلك بالضرورة عن علم وفقه ، وإنما نتج من غلبة الأساليب البلاغية والانشائية غير المنضبطة علي الفقه والعلم .. وقد زاد هذا الخلل بسبب مرجعياته البدعية ، التى استقاها من مذاهب فلاسفة الجهمية . ويظهر هذا التناقض عندما جمع بين معتقدين متضادين ..

المعتقد الأول : هو القول بالحلول وهو أكثر صراحة فى النسبة إليه ..

المعتقد الثانى : هو معتقد وحدة الوجود ..وهو يوهم الانتساب إليه ..

فالقول بوحدة الوجود ينفى الثنائية بين وجودين ، ليثبت وجودا واحدا ، والقول بالحلول يثبت وجودين أحدهما يحل فى الآخر .. والمعتقدان متناقضان ، ومع ذلك ذكرهما سيد قطب وتكلم بهما...

* فمن قال من العلماء إن ظاهر قوله يدل على أنه قال بوحدة الوجود فهو صادق فى قوله ، لأن كلامه يدل على ذلك دلالة صريحة لا يستطيع أحد مهما كان علمه أن ينفيها عنه ، وألفاظه هى ألفاظ ابن عربى ..

* ومن حسن به الظن .. فقال : لا نظن أنه يقصد بكلامه وحدة الوجود كما هو عند ملاحدة الصوفية ، خاصة أنه نفى صراحة القول بوحدة الوجود فى تفسير سورة البقرة ، بقوله : « والنظرية الإسلامية : أن الخلق غير الخالق . وأن الخالق ليس كمثله شيء . . ومن هنا تنتفي من التصور الإسلامي فكرة :"وحدة الوجود" على ما يفهمه غير المسلم من هذا الاصطلاح - أي بمعنى أن الوجود وخالقه وحدة واحدة - أو أن الوجود إشعاع ذاتي للخالق ، أو أن الوجود هو الصورة المرئية لموجده..

أو على أي نحو من أنحاء التصور على هذا الأساس .. والوجود وحدة في نظر المسلم على معنى آخر: وحدة صدوره عن الإرادة الواحدة الخالقة ، ووحدة ناموسه الذي يسير به ، ووحدة تكوينه وتناسقه واتجاهه إلى ربه في عبادة وخشوع » (فى ظلال القرآن ١ / ١٠٦)

أو قال إن ما ذكره سيد قطب من ألفاظ فى هذا الأمر يمكن أن يقال فيها إن التعبير خانه ، فلم يستطع أن يعبر عن مقصوده بألفاظ تتناسب مع حقيقة معتقده .. كما هى العادة فى التعامل مع أخطائه فقد يقبل منه ذلك .

إلا أن هؤلاء لا يمكن أن يدفعوا عنه شبهة القول بالحلول ، فكلامه مستقيم تماما مع معتقد الحلول ، الذى قال به الحسين بن منصور الحلاج .

وذلك لأنه جعل القلب بعد الوصول قطعة من الحقيقة الإلهية ، فقال :

« وإن استقرار هذه الحقيقة فى قلب ليحيله قطعة من هذه الحقيقة ، فأما قبل أن يصل إلى هذا الاستقرار ؛ فإن هذه الآية القرآنية حسبه ليعيش في تدبرها وتصور مدلولها، ومحاولة الوصول إلى هذا المدلول الواحد. » أهـ

فقوله " قبل وصول القلب " دليل على إثبات الثنائية التى تفرق بين وجودين منفصلين .. وهذا يدل على أنه لا يعتقد وحدة الوجود ..

وقوله " بعد وصول القلب " دليل على قوله بحلول أحدهما فى الآخر .. والله تعالى لا يحل فى شىء حتى يكون جزءا منه ، وإنما الذى يحل فى القلوب واردات الإيمان والإسلام .. ونحن بذلك لا نحكم على ما انتهى إليه سيد قطب فيما بينه وبين الله تعالى فالله أعلم بحاله ..غير أنه ينبغى التنبيه والتحذير من هذا الفكر ، لما يجره من الخيبة والخسران فى الدنيا والآخرة .

تحقير الجزاء والعقاب ..

أيضا من جملة ما تخبط فيه سيد قطب تحقيره أمر الجزاء والعقاب والجنة والنار، فقال عند تفسير قوله تعالى : ﴿مثل الجنة التى وعد المتقون ﴾ [محمد . ١٥): « ولا ينظرون وراء ذلك إلى جنة أو نار ... جاعلا جزاءهم عند الله على ذلك أن يقول لهم : ﴿إن الذين آمنوا وعملوا الصالحات سيجعل لهم الرحمن ودا ﴾ ونقل كلام رابعة العدوية الذى فيه : « ما عبدته خوفا من ناره ، ولا حبا لجنته فأكون كالأجير السوء. عبدته شوقا إليه » ..أهـ

وهذا بالضرورة يعد تسفيها لمقام الأنبياء والرسل ، الذين عبدوا الله سبحانه خوفا من ناره وطمعا فى جنته .. وقد زكاهم الله تعالى على ذلك بقوله : ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَيَدْعُونَنَا رَغَبًا وَرَهَبًا وَكَانُوا لَنَا خَاشِعِينَ ﴾ [الأنبياء . ٩٠) ابتداء من أبى الأنبياء إبراهيم عليه السلام الذى دعا ربه تعالى ذكره بقوله : ﴿وَاجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ ﴾ [الشعراء : ٨٥) إلى محمد ﷺ الذى قال لمن قال له : لا أحسن دندنتك ولا دندنة معاذ : « كيف تقول في الصلاة .؟ قال أتشهد وأقول : اللهم إني أسألك الجنة وأعوذ بك من النار . فقال النبي ﷺ : « حولها ندندن » (صحيح أبى داود ١ / ١٥٠) ..

والحقيقة أن الجنة تتضمن كافة أنواع النعيم ، بما فى ذلك رؤية وجه الله تعالى .. فإن المؤمنين يرون الله تعالى فى الجنة ...عن عبد الله بن قيس عن أبيه عن النبي ﷺ قال : « جنتان من فضة آنيتهما وما فيهما وجنتان من ذهب آنيتهما وما فيهما وما بين القوم وبين أن ينظروا إلى ربهم إلا رداء الكبرياء على وجهه في جنة عدن » (

متفق عليه . رواه البخارى .باب قوله تعالى : ومن دونهماجنتان . ١٦ / ٢٠٦) فمن سأل الله تعالى الشوق إليه وجد ذلك فى الجنة حين يكشف الله تعالى حجاب الكبرياء عن وجهه فى جنة عدن ، فكيف لا تكون الجنة مطلوبة لعابد ، وكيف يكون طالبها أجير سوء ..؟

تلك هى الحقائق التى غابت عن الأستاذ سيد قطب فى بعض تفسيره حين استقل به عن أقوال الأئمة وخالف أهل الحديث ... فكتب ما لا يحسنة ، ووقع فيما يجب عليه أن يحذره ويحذر منه ..

الشاهد :

أن سيد قطب لم يفهم الدين بفهم أهل الحديث ولم يربى أحدا من الإخوان على ما كان عليه النبى وأصحابه ..

ولكنه نقل مذاهب الفلاسفة والجهمية وصاغها بعبارات إسلامية وألفاظ أدبية . ظن كغيره أنها أدلة عقلية تحررية .. ولم يستطع أحد منهم أن يدرك الحق خالصا كى يكون قدوة فيه لغيره .. وذلك أنهم حصروا عقولهم فى تلك المفاهيم دون غيرها فصاروا أسرى فى قالب واحد ونسخة فى صورة واحدة .. تلك هى النهاية التى وصل إليها كوادر الإخوان ومفكروهم.. ومع ذلك تجدهم يتطاولون على غيرهم بزعم أنهم الأكثر شمولا والأعمق فهم والأعظم جهادا.. والحقيقة بخلاف ذلك ..

الفصل الرابع
الآثار المسلكية الفاسدة في دعوة الإخوان

أولا : مظاهر الغلو والغرور ..

ثانيا : مظاهر الكذب في دعوة الإخوان ..

ثالثا : مظاهر التلون والتقية ..

رابعاً : عداوة العلماء والأئمة ..

أولا : مظاهر الغلو والغرور...

ومع الإفلاس العلمى الواضح فى حركة الإخوان ، والاعتراف الصريح أن شيخهم لم يكن عالما متميزا ، إنما كان مربيا فاضلا ، أو مدرسا مدنيا ، ومع أنه بالمنظمات السرية أوصل جماعته إلى طريق مسدود مع حكومة الملك ، كما أنها وصلت إلى طريق أشد سدا مع حكومة الثورة وغيرها من الحكومات ، إلا أنك تجد الثناء والغلو فى حسن البنا ورفاقه ومنهجه ودعوته إلى درجة تفوق الخيال .. بما لو كان قولهم صحيحا لساس الدنيا بأسرها ، لا أن يسوس حركة محدودة فى قطر من الأقطار .. فقد رفع صالح عشماوى حسن البنا إلى درجة القاضى المطلق ، الآخذ بحق الأموات من الأحياء ، وقال فى رثائه :

لقد كنت أوثر أن تقول رثائى　　　يا منصف الموتى من الأحياء

(جابر رزق . حسن البنا بين تلامذته وحوارييه ص / ٦٠) .

وجعله فى موضع آخر من فلتة من فلتات الطبيعة .. فقال : « رحم الله حسن البنا ، فقد كان فلتة من فلتات الطبيعة قلما يجود بمثله الزمان ، وهو لم يمت، بل حي عند ربه » (حسن البنا بأقلام تلامذته.ص/ ٦٠) .. والطبيعة لا تجود بشيء إنما هو الله خالق كل شيء. .

وشق سعيد رمضان عن قلب شيخه فجعله قلبا خالصا ، ليس فيه شيء لغير الله ، فقال : « وكل ما بينه وبين الله نسب من القبول والرضى ، لأن حسن البنا كان نسمة خالصة ، ليس فيها لغير الله شيء» (حسن البنا.ص/ ١٢٢، ١٢٦) ... وهذه صور أخرى من صور الغلو ، وفيها قال عبد الرحمن البنا عن أخيه : « كان يهيأ لكل شيء ، ويعد لكل ظرف ، ويصنع على عين ربانية (!) ، وتحيطه هالة محمدية. (!) » (المصدر السابق . ص ٧١) ..

ولا شك أن الصنع بهذه الكيفية من العطاء الخاص الذى لا يثبت إلا بنص ..
ولم يكن حسن البنا معبرا عما كان عليه النبى ﷺ ، حتى ينال تلك المكانة .. فقد كان يدعو إلى التفويض والتقريب والتهوين من ضلالات الفرق المخالفة لمنهج أهل السنة والجماعة .. و لم يتحقق له ولا لجماعته من النصر والتأييد كما تحقق لموسى عليه السلام ، ولا كما تحقق لنبينا محمد ﷺ . حيث صنعهما الله تعالى على عينه.

وقال الأستاذ التلمساني : « وكف القلب المعلق بالعرش عن النبض في هــذه الحياة لينبض في مقعد صدق عند مليك مقتدر» (حسن البنا بأقلام تلامذتــه ص / ٤٤)..

والشهادة لمعين بالجنة بغير دليل رجم بالغيب ..

و قال أحمد أنس حجاج : « إذا ذكرتم حسن البنا فاذكروا رجلا عاش معجزا في كل شيء ، حتى أتعب خصومه وصرعهم جميعا ، وبقي حيا مع الزمن ، خالدا مع التاريخ معجزا فوق قمة المعجزات !»(المصدر السابق.ص/ ١١٨)

وهذا مخالف لحقيقة الواقع ونهاية حسن البنا واعترافه بعجزه أمام أصحابه يفسد تلك المقالات ..

وعلى نفس الدرب صار إخوان سوريا فى الغلو فى حسن البنا ، فقد رفع عمر بهاء الدين الأميرى حسن البنا إلى مرتبة جبار السموات والأرض ، الذى لا تخفى عليه خافية ، فقال كما فى كتاب جابر رزق السابق ص/ ٩١ :

منكر الذات حكيم السير فى وجهته طب أرواح فلا تخفى عليه خافية .. أهـ

ورفعه مصطفى السباعي إلى ما لا يتصور ببال فقال : « فما هو إلاّ النور المرسل من السماء ؛ ليكشف عن أهل الخلود ظلماتهم ، ثم يظل في السماء دائما وأبدا ، ولن يختلط بتراب الأرض ، إلا كما تقع أشعة الشمس على أعلى القصور وأدناها » (المصدر السابق ص/ ١٠٤) .

المرشد العام لا يخطىء ..

ارتقى الإخوان مرتقى صعبا فى النظر إلى مرشديهم ، يجعل النقاش والحوار معهم حول فكر الجماعة أمرا عسيرا ، وليس هذا ببعيد .. فقد كان كثير من شباب الإخوان يعتقدون أن الإيمان بالمرشد العام جزء من الدين ، وأنه لا يخطىء . وقد بين الغزالى حقيقة ذلك ، قائلا : « قال لى ذات يوم واحد من أقرب رجال المرشد إليه : إن الإيمان بالقائد جزء من الإيمان بالدعوة ، ألا ترى أن الله تعالى ضم الإيمان بالرسول (إلى الإيمان بذاته ـ جل شأنه ـ ذلك لأن المظهر العملى للطاعة والأسوة هو اتباع القائد اتباعا مطلقا !! ثم استدرك محدثى يقول : لا أعنى بهذا أن أسوى بين المرشد وبين الرسول فى حقيقة الطاعة ، إنما أقصد دعم مشاعر الولاء نحو الرجل الذى يحمل راية الدعوة أنا أضرب مثلا فحسب.! .. وقال أيضا « ولقد رأيت جمعا غفيرا من شباب الإخوان المسلمين ينظرون إلى مرشدهم نظرة يجب أن تدرس وأن تحذر . قال أحدهم فى اجتماع ضخم للهيئة التأسيسية : " إن المرشد لا يخطىء "» (فى كفاحنا الإسلامى ص / ٢٠٦- ٢١٣).

لا منهج إلا منهج الإخوان !

وكما غالى الإخوان فى شيخهم غالوا فى منهجهم ودعوتهم . وقد تلقف الإخوان ذلك من حسن البنا . الذى قال فى رسائله : « على أن التجارب فى الماضى والحاضر قد أثبتت أنه لا خير إلا فى طريقكم ولا إنتاج إلا فى خطتكم ولا صواب إلا فيما تعملون » (الرسائل . ص/ ١٨٠)

فإذا كان يقصد الإسلام ، فليس الإسلام بالتجارب ، فالإسلام صدق ويقين ، وعلم ودليل .. وإذا كان يصف دعوة الإخوان ، فالتجارب فى الماضى والحاضر قد أثبتت فشلها الذريع وخذلانها العريض ..

وفى النصين الآتيين بين حسن البنا أن الكمال المقصود فى الدعوة الإسلامية

، هو الكمال الذى تضمن دعوة الإخوان وفهم قائدها ، وأن كل نقص فى عقيدة الإخوان هو فى الحقيقة نقص من الإسلام ، حيث راى " اعتبار عقيدة الإخوان رمزا لهذا المنهاج " .. ثم قال : « وعلى كل مسلم أن يعتقد أن هذا المنهج كله من الإسلام ، وأن كل نقص منه نقص من الفكرة الإسلامية الصحيحة »(مذكراته . ص/ ٢٥٤ . ط ١٩٩٠م . الزهراء للإعلام العربي) .

وفى موضع آخر أوجب على الشباب أن يفهموا الإسلام ، كما فهمه هو . فقال فى تفسير ركن " الفهم" الذى هو أحد أركان بيعته : « إنما أريد بالفهم : أن توقن بأن فكرتنا إسلامية صحيحة وأن تفهم الإسلام كما نفهمه فى حدود هذه الأصول العشرين الموجزة كل الإيجاز » (الرسائل.ص/ ٣٩٠) ووصف هذا الفهم بالكمال ، فقال : « واذكروا جيدا أيها الإخوان .. أن الله قد من عليكم ، فهمتم الإسلام فهما نقيا صافيا شاملا كافيا وافيا ، يساير العصور ويفي بحاجات الأمم » (الرسائل ص/ ٣٢٦) .

وفى مقدمة الرسائل طعن حسن البنا فى إيمان عامة الناس ، فقال : « والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا علي حكمه ، ولا أن يعملون بمقتضاه ، علي حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين » أهـ

وقد دعا غلو حسن فى جماعته أن يميزهم بشارات عنصرية يعرفون بها عن بقية المسلمين ، فقال فى كتابه (مذكرات الدعوة.ص/ ٢٧٤):

« وقد اقترح الإخوان عمل شارة تميزهم عن بقية الهيئات ، ووافق المكتب على هذا الاقتراح ، وعلى أن تكون الشارة عبارة عن خاتم من الفضة ذى عشرة أضلاع ترمز إلى الآية الكريمة ﴿قل تعالوا أتل ما حرم ربكم عليكم ﴾ أهـ ..

وقد صار عامة الإخوان على نفس الدرب ..

وانظر قول المرشد الثانى حسن الهضيبي فى منهج الجماعة : « دعـوة الإخوان .. هى لا غيرها الملاذ والإنقاذ والخلاص ، وعلى الإخوان أن لا يشركوا بـها شـيئا » (فى قافلة الإخوان . ص/ ٢٩٨) .

وزعم محمود الصباغ أن الله تعالى شهد بصدق الجماعة وصدق أتباعها ، وقال : « ولقد شهد الحق تبارك وتعالى بصدق الإخوان فيما أسروا وما أعلنوا فنصرهم على مدى جيل واحد فى أربع معارك قاصمة » (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ١٨) .

وقال محمد عاكف : « وليس هناك أحق من أن يقول الحق كما أنزل على قلب محمد(إلا الإخوان المسلمون» (إخوان أون لاين ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٦م) .

وبعد أن قال سعيد حوى : « والبيت المسلم الكامل هو البيت الملتزم بمبادىء الإخوان المسلمين » (فى آفاق التعاليم ص/ ٣٣) جعل نقطة الإنطلاق فى الإسلام قائمة على ما وضعه حسن البنا من نظريات وتجارب فى العمل الإسلامي . فقال : «إننا نملك بفضل الله البداية الصحيحة وهى نقطة الانطلاق من اجتهاد إنسان لايشك عارفوه أنه من أولياء الله عز وجل وهو الأستاذ حسن البنا رحمه الله وعلينا أن ننطلق بدفعة التجديد فى هذه الأمة مهما كلفنا ذلك » (تربيتنا الروحية ص/ ١٤٥) وقال: « ونعتقد أنه لا جماعة كاملة للمسلمين إلا بفكر الأستاذ البنا وإلا بنظرياته وتوجيهاته» أهـ

وأخيرا : فقد أقسم الإخوان فى عهد البيعة أن من تمسك بدعوتهم فقد تمسك بالإسلام ، ومن جاهد فى سبيلها فقد جاهد فى سبيل الإسلام .وفي عهد البيعة يقول المبايع : «أعاهد الله العلي العظيم على التمسك بدعوة الإخوان المسلمين ، والجهاد في سبيلها ، والقيام بشرائط عضويتها ، والثقة التامة بقيادتها، والسمع والطاعة فى المنشط والمكره ، وأقسم بالله العظيم على ذلك ، وأبايع عليه ، والله على

ما أقول وكيل » (أحداث صنعت التاريخ /٣ /٢٤٨)

ولا يخفى على اللبيب أن حسن البنا أخذ فى تفسير الأسماء والصفات فكر المفوضة ، وهو أضل أنواع الفكر على الإطلاق ..

أما فى السياسة والمنهج فهو امتداد لمدرسة الأفغانى ، كما شهد هو بنفسه على ذلك .. وكل ما وضعه من نظريات فهو مستمد من تلك المدرسة .. ومن المعلوم أن نظريات الأفغانى كانت نظريات خارجية ، قائمة على إحداث الفتن والقلاقل والنزاعات .. ولا علاقة لها بما كان عليه الرسول وأصحابة .. ولا يجب أن تنسب تلك النظريات إلى العمل الإسلامي ، وإنما تنسب إلى أصحابها الذين أصلوا لها وزخرفوها للعامة ، فهى خلاصة تجاربهم .. والإسلام ليس نظريات ولا أفكار ولا تجارب . الإسلام وحى يقيني ثابت .

التمام والكمال ..

لم يعلم فى تاريخ الإسلام أن قال عالم من العلماء المشهود له بالدين والدراية عن نفسه وعن منهجه مثل ما قال حسن البنا فى فهمه وفى جماعته ، فيكون من حاز علمه حاز الفهم الصحيح ، ومن تركه ترك الإسلام المنزل .. فهذا الإمام الشافعى (رحمه الله) يقول : « رأيى صواب يحتمل الخطأ ورأى غيرى خطأ يحتمل الصواب» . وروي أن الإمام مالكا (رحمه الله) لما أراده الرشيد على الذهاب معه إلى العراق وأن يحمل الناس على الموطأ كما حمل عثمان الناس على مصحف واحد . فقال مالك : « أما حمل الناس على الموطأ فلا سبيل إليه ؛ لأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم افترقوا بعد موته في الأمصار فحدثوا . فعند أهل كل مصر علم» (انظر فيض القدير ١ / ٢١١) .

وكان الإمام الشافعى يقول إن موطأ مالك من أصح الكتب بعد القرآن .. ومع ذلك لم يفرضه الإمام مالك على الناس. فكيف مع قصور دعوة الإخوان

وتشبعها بمذاهب الفرق الضالة تفرض على المسلمين .؟ إن الدعوة التى تنسب إلى شخص حري بها أن تـوجه بقول الإمام مالك : « كل يؤخذ من قوله ويرد إلا صاحب هذا القبر.. وأشار إلى قبر النبي ﷺ » ولو كان الإخوان يرون حسن البنا أحسن الناس فهما وأرجح الناس عقلا ، فلسنا ملزمين بقوله ولا بفهمه ولا بمنهجه ، ولا ملزم لنا إلا الكتاب والسنة وفهم أهل الحديث .. قال شيخ الإسلام فى (مجموع الفتاوى ٣ / ٣٤٥) : « فأهل الحق والسنة لا يكون متبوعهم إلا رسول الله ﷺ الذى لا ينطق عن الهوى إن هو إلا وحى يوحى ، فهذا الذى يجب تصديقه فى كل ما أخبر و طاعته فى كل ما أمر ، وليست هذه المنزلة لغيره من الأئمة ، بل كل الناس يؤخذ من قوله ويترك إلا رسول الله . فمن جعل شخصا من الأشخاص غير رسول الله من أحبه ووافقه كان من أهل السنة والجماعة ، ومن خالفه كان من أهل البدعة والفرقة ـ كما يوجد ذلك فى الطوائف من أتباع أئمة الكلام فى الدين وغير ذلك كان من أهل البدع والضلال والتفرق . » أهـ

ثانيا : مظاهر الكذب فى دعوة الإخوان ...

الكذب المقصود ...

هذه عدة مواقف تبين كيف كان الإخوان يتكلمون عن خصومهم بما لا حقيقة له . وكيف كانوا يكذبون من أجل الاستحواذ على عقول الناس ..! وسأبين لك حقيقة تلك التهمة بالأدلة الثابتة من كتب الإخوان ، ومن شهادة بعضهم على بعض، لتعلم موقف الإخوان من مبدأ " ميكافيلي " الغاية تبرر الوسيلة ... وقبل أن أسرد تلك الحقائق أحب أن أوضح أن الكذب لم يخرج من جماعة الإخوان خروجا عفويا طارئا ، بل كان كذبا مقصودا متعمدا . فقد كان فى جماعة الإخوان جهاز خاص ، لترويج الأكاذيب ، ونشر الإشاعات .. ولا يزال هذا الجهاز موجودا فيهم إلى الآن . وكون بعض الناس يعرف ذلك والبعض الآخر لا يعرفه لا ينفى وجود تلك الأسر المتخصصة فى نشر الإشاعات الكاذبة ، فذلك شأن التنظيمات السرية ، حيث إنها تشبه السلاسل العنقودية ، لا يعرف بعضها شيئا عن الآخر . وقد أكد أحمد رائف حقيقة تفنن الإخوان فى نشر الإشاعات ، بقوله : « وكان لا بد من عمل إعلامى مضاد لإعلام الحكومة ، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية ، بعضها عن غير قصد ، والآخر وفق خطة مرسومة ، ولم يعترض الإخوان على شائعة أن حسن الهضيبي هو مرشح الملك حتى إن جهات الأمن تصورت هذا فى فترة من الفترات» (صفحات من تاريخ الإخوان.ص/ ٢٤٥).

كما أكد محمود عبد الحليم أن الإخوان كانوا يوزعون المنشورات المثيرة ، التى من شأنها بلبلة المجتمع .. فقال : « كما أننا كنا نطبع منشورات بكلام غير ذى هدف معين ، غير أنه كلام يلفت النظر يثير الاستغراب ، وكان إخوان النظام يوزعونها على المنازل والمكاتب والمتاجر والمدارس والملاهى ، بطريقة لا يحس بها أحد مع تخصيص شارع لكل واحد منهم ..

ثم يصبح فى اليوم التالى كل فى عمله فإذا سمعنا من زملائنا فى المصالح

الحكومية وفى غيرها من أماكن التجمع استغرابهم لما جاء فى منشور وصل إليهم يقول كذا وكذا علمنا أن التدريب قد نجح» (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٩٠).

هذا جزء من تلابيس الإخوان ، وهذا هو تاريخهم المليء بالخرافات . وتلك هى الحقائق التى تبين أن الإخوان لا يصلحون لنقل خبر، ولا يعتمد عليهم فى التأصيل له ، لأنهم مضطربون فى النقل ، متضاربون فى النظر ..

وهذه هى الأدلة الثابتة الدالة على انتشار الكذب فى حركة الإخوان ، من كتبهم، كما دونوها بأنفسهم :

١- الهيئة التأسيسية تتفق على الكذب ..

نشر جمع من الخارجين على الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان على رأسهم محمد الغزالى وأحمد عبد العزيز جلال وصالح عشماوى بيانا فى جريدة " المصرى " ، جاء فيه أن المرشد العام حسن الهضيبي استقال من منصبه ؛ فترتب على ذلك أن اجتمع أعضاء الهيئة التأسيسية لجماعة الإخوان ، وقرروا فصل هؤلاء الأعضاء ، بتهمة اختلاق الكذب ، وجاء فى قرار الفصل: « إنهم اعتصموا فى دار المركز العام، وظاهروا الشباب المعتصمين وجرءوهم على ذلك ، وبذلك خرجوا على القانون ، أنهم ادعوا كذبا أن المرشد العام أعلن استقالته على الملأ ، أنهم أصدروا قرارات لا يخولهم إياها قانون الإخوان.الخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٤٨).

وقال محمود عبد الحليم : « وبتحقيق النقطة الأولى ثبت أن الأستاذ المرشد العام لم يستقل فالمكتب وهو الجهة المختصة نفى ذلك والمدعى عليهم لم يقدموا دليلا ماديا ولا معنويا على ادعائهم) (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٧١) .

إلا أنه بعد عام من هذا التاريخ تراجع الأساتذة الكبار أعضاء الهيئة التأسيسية، الذين أقسموا بأغلظ الأيمان أن المرشد لم يستقل ، واعترفوا أنه استقال فعلا .

يحكى ذلك صالح عشماوى فى مجلة (الدعوة الإخوانية عدد ١٥١ الصادرة فى ٢٩ ربيع الآخر ١٧١هـ الموافق ٥ يناير ١٩٥٤م ص/ ١٤ . دورية رقم ٢٧٠٨ . ٢٧٠٩ دار الكتاب والوثائق المصرية) :«... ويشاء الله ، بعد مرور عام أو أكثر أن

تظهر الحقيقة ، فقد أصدر المركز العام للإخوان المسلمين نشرة من وضع الأستاذ عابدين السكرتير العام وبموافقة الأستاذ الهضيبي المرشد العام يشرح فيها الأحداث الأخيرة من وجهة نظره تبريرا لموقفه من قرار الفصل المزعوم للإخوان الثلاثة . وقد جاء فى هذه النشرة اعتراف صريح باستقالة الأستاذ حسن الهضيبي فى الصيف الماضى .. وجاء ذكر هذه الاستقالة فى معرض اتهام للأستاذ صالح عشماوى بأنه أذاع سرها ونقلها إلى جريدة المصري .. وهذا هو أول اعتراف رسمى من المسئولين فى الإخوان ، وعلى رأسهم المرشد العام باستقالة الأستاذ الهضيبي ! ولا ندرى كيف يواجه الأستاذ عابدين وعطية ومختار عبد العليم الإخوان والصحفيين الذين سمعوا منهم بأغلظ الأيمان فى الصيف الماضى بأن المرشد لم يستقل ..»أهـ .

وقد أكد الأستاذ الدكتور خالد عودة نجل المستشار عبد القادر عودة ، بعد ما يقرب من خمسين عاما من تلك الحادثة أن استقالة المرشد ثابتة ، وأنه لايزال يحتفظ بها إلى الآن بتوقيعه ، فقال : « المسؤول عن الإخوان المسلمين كاملا في هذا الوقت هو كان عبد القادر عوده ، لأن الناس يمكن لا تعرف حاجة غريبة أنه فضيلة المرشد الأستاذ محمد حسن الهضيبي قدم استقالته بالفعل يوم ٢١ أكتوبر وموقعة وموجودة هي عندي الأصل موجود ، واحتفظت به طوال هذه السنين » (الجزيرة نت ١ / ١ / ٢٠٠٧م) .

٢- مكروسذاجة ...

أراد الشيخ محمود أحد معتقلي سجن الطور عام ١٩٤٩م أن يتقدم لخطبة ابنة شيخ مسجد السجن ، فاعترض الإخوان على تلك الخطبة ، بحجة أن المعتقل لا يحق له أن يعدد الزوجات ، ولا يحق له أن يتزوج ، وهو فى السجن واتفقوا على إفساد الخطبة .. فانظر كيف استحل حواريو حسن البنا ذلك . يحكى ذلك محمود عساف فى كتابه (مع الإمام الشهيد ص/ ١٠٠) قائلا :

« جلسنا نتداول الأمر : أنا ، محمد البنا ، شقيق الإمام ، وعبد الباسط البنا الشقيق الثانى للإمام.... وكان معنا الأستاذ أنور الجندى ..قال عبد الباسط البنا : « عندى فكرة لإفساد هذا الزواج ... فلنجلس إلى الطاولة المجاورة لتلك التى اعتاد شيخ المسجد أن يجلس إليها. وسأحكى لكم حِكاية فأظهروا الاندهاش فقط ... ما لبث شيخ المسجد أن حضر ، وجلس إلى طاولته ، وطلب فنجانا من القهوة ... وإذا بعبد الباسط يقول بصوت مسموع للجالسين إلى جوارنا : « حاولنا أن نمنعه ، ولكن جهودنا ذهبت هباء ، فقد كان ممسكا بأذن إبراهيم بأسنانه لا يريد فكاكا ، وفى نهاية الأمر ضربته على رأسه فتركها وهى تنزف دما ...» قال الشيخ (إمام المسجد) ما هذا ؟ أهى حادثة فى المعتقل ؟

أجاب عبد الباسط : إنه شخص عندنا مريض يأكل الغضاريف الآدمية كالأذن والأنف" ... قال الشيخ : " أعوذ بالله ..."

قال عبد الباسط : لعلك تعرفه فهو مطلق لحيته وحالق شاربه ويضع عباءة سوداء. قال الشيخ : أهو محمود ؟ قال عبد الباسط : نعم . فقال الشيخ : ولكنه يزورني ويتحدث إلى ولم ألاحظ عليه شيئا ..

قال عبد الباسط : ألم تلاحظ أنه يميل نحوك كأنه يهمس إليك ؟

قال : " نعم " قال : فاحترس لأنه فى تلك اللحظات التى يتظاهر فيها بالهمس فى أذنك يراوده فيها شيطانه أن يقضمها . وهكذا فشلت الزيجة بغير

عناء) أهـ

وقد و قعت تلك الحادثة فى يناير ١٩٤٩م ، كما ذكر محمود عساف والرجل المتقدم إلى خطبة ابنة إمام مسجد السجن كان شيخا من شيوخ أنصار السنة .. وتلك هى طريق الإخوان مع خصومهم .. التلفيق والكذب على مذهب ميكافيلى " الغاية تبرر الوسيلة ".. والمنفذ أعلى سلطة فى المركز العام ..

٣- تلابيس د/ يوسف القرضاوى ...

أ- الخصومة بين الإخوان ..

زعم القرضاوى أن الخصومة التى نشأت بين الهضيبي وبين الشيخ محمد الغزالى وإخوانه كانت بسبب عبد الناصر، وقال فى كتابه (الغزالى كما عرفته ص/ ٣٩) : « وظلت هذه العلاقة حسنة حتى ظهرت على المسرح السياسي ثورة ٢٣ يوليو ، وعجزت عن احتواء الإخوان الذين وقفوا إلى جوارها ، وشدوا أزرها ، وحموا ظهرها ، فلجأت إلى أسلوب أخبث وأمكر ، وهو : محاولة الإيقاع بين قادة الجماعة ، حتى يسوء ظن بعضهم ببعض ، واستطاع جمال عبد الناصر أن يستغل بعض المواقف للاصطياد فى الماء العكر . وهكذا استطاع أن يوقع بين قيادة التنظيم وقيادة الجماعة ، حتى أدى ذلك إلى احتلال مجموعة من الشباب المتحمس المركز العام ، والتمرد على القيادات المبايعة ، كما استطاع أن يوغر صدور جماعة من القدامى حتى وقفوا مع هذا الشباب الثائر ضد قيادته » أهـ

قلت : وهذا كله افتراء مجاف للحقيقة .. ويتضح ذلك من عدة أوجه :

١- أن الأستاذ الهضيبي حين عرض عليه رئاسة مكتب الإرشاد قبل الثورة شكى تصرفات هوائية كان يعرفها عن بعض القادة فى ذلك الوقت ، وذلك قبل أن يتقلد عبد الناصر سلطانا على مصر ، وقال :

« إنه لا يستطيع أن يتسلم قيادة دعوة أقرب معاونيه متفرقو القلوب والأهواء . قال محمود عبد الحليم : " وضرب لذلك أمثلة لا داعى لذكرها الآن " » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٤٧٠) .

٢- أن اختيار الهضيبي مرشدا عاما للإخوان فى زمن الملك تم بعد موت حسن البنا بثلاث سنين .. وعندما عرض اسم الهضيبي لرئاسة مكتب الإرشاد سبب ذلك شرخا كبيرا بين أعضاء الهيئة التأسيسية ، قال صالح عشماوى : « إنما الحقيقة أن هذا القرار - قرار الفصل - كان عرضا لمرض أصاب الدعوة منذ مجيء الأستاذ حسن الهضيبي مرشدا عاما للجماعة».(مجلة الدعوة . عدد . ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م) .

٣- أثبت الشيخ الغزالى أن الخصومة التى وقعت بين مشاهير الإخوان وبين المرشد العام كانت قبل الثورة ، وكان الخلاف على طريقة الحكم المقترح فى مصر ، فقال : « إن أول ما نشب الخلاف بيننا وبين الأستاذ الهضيبي كان على أسلوب الحكم فى مصر ، هل تكفل الحريات العامة ، ويصان الدستور القائم ، وتنقذ البلاد من استبداد فرد أو أفراد ؟ أم نتجاهل هذا الموضوع كله ، ونطوى حكم الإسلام فيه ، ونشغل جماعة الإخوان بشئون أخرى ؟ كان الرجل شديد الحرص على مرضاة رجال القصر ، قليل الاكتراث بحقوق الأفراد والطوائف ، وقد ألفت كتابى " الإسلام والاستبداد السياسي " استنكارا لهذه السياسة القاصرة ، ودفاعا عن تعاليم الإسلام الصحيحة .. ولعل الأستاذ الهضيبي ومن معه عرفوا الآن الحق الذى خاصمناهم عليه ، وكرهونا من أجله » (من معالم الحق . ص / ٢٠٦-٢١٠) .

٤- تسبب قيام الهضيبي بتوسيع اتصالاته مع السعديين شرخا كبيرا فى نفوس كثير من الإخوان ، نقل ذلك صالح عشماوى فى (مجلة النذير.عدد. ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م دار الكتب والوثائق المصرية) قائلا : « وفى اجتماع الهيئة التأسيسية أثيرت المسألة وثار الإخوان لهذه الزيارة ، وطلبوا من الأستاذ المرشد ألا يزور أحدا من السعديين مرة أخرى ولكنه ثار عليهم وقال : سأزور السعديين وسأتصل بإبراهيم عبد الهادى أيضا متحديا بذلك شعور الإخوان وعواطفهم » أهـ

٥- كان الملك فاروق متهما مع السعديين بقتل حسن البنا ، ومع ذلك سارع الأستاذ الهضيبي إلى سجل التشريفات الملكية ، ليهادن الملك - على حد قول الغزالى

- مما أوقع الشقاق داخل الجماعة ، قال الغزالي : « وفوجئنا بالدخلاء على الجماعة يغيرون سيرها ومناهجها . ونظرت فإذا أناس لم يعذبوا فى ذات الله يوما ، ينادون طالبين بالأمان !! نعم ؛ إن الرجال الذين لم يدخلوا سجنا ، ولم يشقوا فى معتقل كانوا أول من رفع راية التسليم ، وقرر أن ينحنى مقبلا اليد التى قتلت حسن البنا .. كان هؤلاء الجبناء فى حياة حسن البنا يقبلون يده ظهرا وبطنا ، فلما ولى هرعوا إلى القصر الملكى ، يقيدون أسماءهم فى سجل التشريفات ، ويهادنون أعضاء الحزب السعدى ، وينظرون إلينا شذرا إذا سألناهم معاتبين أو جادلناهم محاسبين .. ثم قال : ومن حقك أن تتساءل : ما الذى عرض جماعة كبيرة كالإخوان المسلمين لهذا الاضطراب الفادح ؟ ما الذى جعل زمامها يقع فى يد هذه القيادة الواهنة ؟ » (من معالم الحق . ط . الرابعة : ١٩٨٤ م.دار الصحوة. ص/ ٢٢٢) وبين كذلك (ص/ ٢٢٢ ، ٢٣٣) أن المعركة بين الإخوان وبين الهضيبي كانت قبل أن تقوم الثورة ، قائلا : « كان السيد حسن الهضيبي رجلا ملكى النزعة والوجهة .. فلما خان الملك فاروق الشعب المصرى المكافح لإخراج الإنجليز ، وأسقط الوزارات التى أعلنت عليهم الحرب ، وجاء بالسيد حافظ عفيفي باشا على أنقاض الجهاد المطعون فى ظهره .. ذهب السيد الهضيبي إلى القصر الملكى مهنتا ، وصدرت الأوامر إلى الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء! وغلبنى السخط على هذا العمل الشاذ ..

ومن ثم نشرت بجريدة المصرى فى ٣١ / ١٢ / ١٩٥١م كلمة تحت عنوان لن تبلغ الأمة أهدافها إلا إذا نظمت جبهتها الداخلية .. ماذا فى ذلكم البيان يغضب السيد الهضيبي؟ لقد ثار وضاق وجاءنى فى بيتى الأستاذ عبد العزيز كامل ، والأستاذ خميس حميدة ، وهما من أعضاء مكتب الإرشاد ليخبرانى بأن هذا المسلك الفردى منته بى إلى الانسلاخ عن الجماعة»أهـ..

هذا هو ما كتبه الغزالى فى تلك الطبعة والطبعات التى قبلها ، إلا أنه حذف منها كل ما يتعلق بتلك الحقبة فى الطبعات التالية ، وتكلم عن بعض المثالب على وجه العموم ، دون الإشارة إلى الإخوان أو إلى الهضيبي .. وقد أكد هذا الحذف الشيخ القرضاوى فى جريدة (آفاق عربية . ٩ ديسمبر ٢٠٠٤م) قائلا : « بعد أن كتب

الغزالي ما كتب من مقالات - في فترة الغضب بعد فصله من الجماعة- رأي أن يطوي بعضها فلا ينشره في كتاب . ونشر بعضها ثم حذفه ، بعد أن هدأت نفسه ، واستجابت لنصح بعض إخوانه. وأبقى بعض الأشياء -علي ما فيها من آثار الحدة والغضب- للتاريخ » أهـ. ومما يؤسف له أن يقوم الغزالى بحذف كل ما يتعلق بالإخوان ، من هذا الكتاب ، بينما يبقى كتبه ممتلئة بالانتقاص من علماء السلف وأئمة الحديث (رضى الله عنهم) ولا يكلف نفسه جهدا فى حذف أى شىء منها.

٦- أن الخصومة بين الإخوان لو كانت بسبب عبد الناصر . فلماذا انضم القرضاوى لصف المشايخ الخارجين على المرشد العام ووقع فى فخ عبد الناصر؟ فقد قال : « وأنى كنت - أنا وأخى العسال والدمرداش وآخرون - أقرب إلى صف المشايخ لاعتبارات ذكرتها هناك » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) .

٧- لم يكن الخارجون على الهضيبي قلة قليلة لا وزن لها فى الجماعة ، كما يرميهم البعض ، بل كانوا كثرة مشهود لها بالكفاءة . فقد جمع البهى الخولى توقيعات الهيئة التأسيسية لخلع المرشد ، حين اختفى وغاب عن الساحة .. حيث رأى أنه السبب الرئيس لما آلت إليه الأمور فى الجماعة ..

تلك هى الحقيقة كما رواها كتاب الإخوان أنفسهم، مخالفين ما قاله القرضاوى، مكذبين شهادته السابقة فى إلصاق التهم بالآخرين بغير وجه حق.. فالخلاف أعمق .. ولكن الإخوان لا يعدلون إذا تكلموا عن خصومهم..

ب- كذبة الوظائف..

ومن أجل التزلف إلى الأمراء والسلاطين لحصد الوظائف والمراكز ، خاصة فى دول الخليج والمملكة السعودية زعم القرضاوي أن الإخوان كانوا محرومين من الوظائف فى زمن عبد الناصر ، قائلا فى جريدة (آفاق عربية ١٤ . أكتوبر ١٤٢٥هـ) إنه : « الرجل الذى منعنا من حقنا فى وظائف الدولة ونحن أولى الناس بها بمقتضى مؤهلاتنا وتقدمنا فى ترتيب الناجحين » أهـ .

غير أنه كذب نفسه فى هذا الأمر فى كتابه (ابن القرية والكتاب ٢ / ٢٤٨)

قائلا : « عقدت مسابقة لتعيين وعاظ بالأزهر وأئمة وخطباء بالأوقاف وقدمت فيها أنا وعدد من الإخوان .. وبعد نجاحنا كان للشيخ الباقورى ـ وزير الأوقاف ـ موقف رجولة وإنسانية لا أنساه ، وهو أنه عارض رجال الأمن ، وقال سأعينهم على مسئوليتى فى أعمال غير الخطابة والتدريس . وفعلا كانت وظيفتنا الرسمية : الإمامة والخطابة ، ووظيفتنا الفعلية التى انتدبنا لها- نحن العشرة - العمل بقسم النظارة والأوقاف .! » أهـ

٦- تلابيس زينب الغزالى ...

لا شك أن التعذيب إذا تعرضت له امرأة فإنه يختلف تماما عما إذا تعرض له رجل ، فإن الإثارة ستكون أكبر ، والمظلمة ستكون أعظم ، والعواطف ستكون أقرب .. ومن أشهر الكتب التى نقلت حوادث التعذيب فى تاريخ الإخوان كتاب زينب الغزالى " أيام من حياتى" فقد ذكرت فيه أمورا مرعبة ، لا أظن امرأة تتعرض لمثل ما تعرضت له زينب الغزالى بتلك الصورة التى ذكرتها ، خاصة أن نساء أخريات كن معها فى نفس القضية ولم يذكرن ما ذكرت .. فقد شهدت زينب الغزالى فى كتابها (أيام من حياتى . ص/ ١٠٧) أنها لقيت حميدة قطب فعرفتها ، بينما لم تعرفها حميدة إلا بعد أن دققت النظر إليها ، فقالت : « رأيت حميدة قطب أمامي.!! عرفتها، وهى لم تعرفني .. وسأل شمس بدران الابنة الفاضلة حميدة قطب .. هل هذه زينب الغزالى فدققت حميدة النظر وأجابت : نعم هى . »أهـ .

وهذا يدل على أن حميدة قطب لم يظهر عليها آثار التعذيب ، كى ينتزع منها اعتراف فى تلك القضية .

وفيما ذكرت زينب الغزالى من التعذيب الذى تعرضت له فى زمن المحاكمة والعرض على النيابة والقضاء مبالغات غير مقبوله .. منها :

كيف كانت الكلاب تخمش فى وجهها .؟

قالت: « فالكلاب ناشبة أنيابها فى جسدى .. مرت ساعات وأخرجت من الحجرة .. كنت أتصور أن ثيابي البيضاء مغموسة في الدماء، كذلك كنت أحس

وأتصور أن الكلاب قد فعلت . لكن يا لدهشتي، الثياب كأن لم يكن بها شيء، كأن نابا واحدا لم ينشب في جسدي» (أيام من حياتي ص٥٦/)

ولكنها تحت عنوان " زنزانة الماء " (ص/ ١٠٧) تراجعت عن إثبات تلك الكرامة ، وذكرت أن حميدة قطب عندما رأتها لم تعرفها ، وبررت ذلك بسبب نهش الكلاب لجسدها.فقالت : « ومرة أخرى دخلت مكتب شمس بدران ، وكانت المفاجأة !! إذ رأيت حميدة قطب أمامي..!! عرفتها ، وهى لم تعرفني ، فالسياط والكلاب والإجهاد والجوع والعطش والتمزق في جسدي .. كل هذا قد غير ملامحي وغير صورتي !!» أهـ وذكرت بعد ذلك أن الكلاب كانت تخمش فى وجهها ، فقالت ص/ ١٦٣ : « تسلق الكلبان ظهري في ركوعي وسجودي ، وأخذا يخمشان رأسي ، ووجهي »أهـ ...

ولا أدرى كيف كانت الكلاب تخمش فى وجهها ، وبأى شيء كانت تخمش ؟ والخمش لغة هو: القطع واللطم والخدش والضرب ..

كيف كانت تنظر من النافذة العالية ؟

قالت زينب إنها دخلت الزنزانة رقم ٣ ، وكان بأعلاها نافذة مطلة على فناء السجن، زعمت أنها رأت تعذيب الإخوان من خلالها ، فقالت :

« كان بأعلى الزنزانة نافذة تطل على فناء السجن ، جاءوا بصليب من الخشب على ارتفاع النافذة ، ثم جاءوا بشباب من المؤمنين يصلبونهم الواحد تلو الآخر على هذا الصليب ، ويأخذون في جلد المصلوب بالسياط»أهـ .. قلت : لو كانت نافذة الزنزانة مطلة على فناء السجن كما زعمت فهذا لا ييسر لها رؤية شيء فى الفناء ، لارتفاعها الكبير ، وهى لا تقدر على الصعود على الحائط ، خاصة أن قدمها كانت مكسورة فى هذا الوقت ، كما ذكرت فى كتابها ..

كيف صبرت ستة أيام ....؟

وذكرت (ص/ ٦١) أنها : « أمضيت على هذه الحال ستة أيام على التوالى من مساء الجمعة ٢٠ أغسطس إلى الخميس ٢٦ أغسطس لا يفتح باب الزنزانة ، فلا

أكل ولا شرب ولا دورة مياه ولا صلة بالخارج»

ثم بالغت فى التهويل قائلة : « وفى صبيحة اليوم السابع فتح باب الزنزانة ودخل الشيطان الأسود وبيده ربع رغيف ملوث بقذارة من فضلات الإنسان وقطعة من الجبن الأصفر »أهـ

كيف مكثت عشرة أيام فى زنزانة الماء النتن ...

زعمت أنها دخلت زنزانة ممتلئة بالماء النتن ..(!) ولبثت فيها عشرة أيام تدخل وتخرج وتبيت .. مع استحالة النوم ، لأنها لو نامت لغرقت فى الماء ، كما ذكرت تحت عنوان " زنزانة الماء " ، قائلة : « وجلست فصارت المياه إلى أسفل ذقني».

وسردت رحلتها إلى أن قالت : « وفى صباح اليوم التاسع ، أخرجوني من الماء في وقت مبكر .. وعدت إلى الماء وسوط صفوت لا يكل ولا يضعف .. بعد العصر في اليوم العاشر، فتحت زنزا نة الماء ، وأخرجني صفوت من الزنزانة»أهـ
تلك هى مبالغات زينب الغزالى .. الله أعلم بها . غير أن ظاهر الأمر يدل على وجود نوع من التفنن فى الإثارة .. وتلك هى عادة الإخوان إذا تحدثوا عن غيرهم ، ولأجل ذلك فكلامهم موضع نظر ، لأنهم خصوم غير عدول ، يعيشون فى الوهم ، ويقولون كلاما لا يقبله عقل عاقل . قال القرضاوى « ولا يكون الخصم شاهدا ولا حكما »(الإخوان سبعون عاما.ص/ ٣) .

٧- إعدام سيد قطب وهو ميت ..

لا يخفى أن الإخوان أشبعوا العالم الإسلامي كلاما حول الأديب سيد قطب ، ورسموا حول أفكاره ستارا من القداسة ، حالت زمنا كبيرا دون التعرض لها ، ولو كانت مخالفة لصميم الإسلام . ومن حاول تصحيح تلك الأفكار تعرض لهجمة شرسة أقلها أن يتهم بالحقد والعمالة ، وإلا الجهل عن فهم مدلولات سيد قطب وأفكاره .. ومن جملة ما قالوا إنه أعدم شنقا فى زمن عبد الناصر بسبب أفكاره ومواقفه الجهادية الداعية إلى الحكم بكتاب الله تعالى ، ولم يكن بسبب التنظيمات

السرية التى أنشأها ، كما أورد القرضاوى فى مذكراته .. والحقيقة بخلاف ذلك كما سيتبين .. وقد ظهر مؤخرا بعد أربعين عاما من موته مفاجأة خطيرة ، ذكرها المستشار على جريشة وهى : أن الأستاذ سيد قطب لم يعدم شنقا ، وإنما مات وهو يصلى ، ولم يكن لأحد دخل فى موته .. وقد شهد بذلك فى مقال له بعنوان " سيد قطب. عملاق في زمن الأقزام "(إخوان أون لاين .نت ٧ / ١١ / ٢٠٠٦م) وفيه قال :

« وعلمنا- أخي سيد- أنك طلبت قبل التنفيذ أن تصلي ركعتين ، ودعوت في السجود أن يقبضك الله قبل أن يصلوا إليك ، واستجاب لك ربك ، فقبضت وأنت ساجد ، لكنهم أصروا أن يعلقوك على حبل المشنقة !! ليعطوا التمام إلى(رئيسهم) أنهم نفذوا فيك حكم الإعدام »أهـ

ومع ما فى تلك الرواية من تبرئة عبد الناصر من قتل سيد قطب إلا أنهم أشاعوا خلاف ذلك ، لتبقى صورة القداسة فى سيد قطب لا تشوبها شائبة ، فرجل مات قتيلا فى سبيل فكرته أفضل من رجل مات وهو يصلى .

٨- صياحات محمد مهدى عاكف ..

محمد عاكف إذا التقى بالصحافة اضطرب فى عرض الماضى .. فساعة يقول: « رغم ما تعرضنا له من تعذيب علي يد عبد الناصر إلا أننا لا نشغل أنفسنا بالانتقام؛ حتى لا ننشغل عن تبليغ رسالتنا » (إخوان أون لاين ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م).
إلا أنه بعد أشهر قليلة نفى ما استقر عليه وقال : « إن الإخوان تعرضوا لتعذيب شديد داخل السجون والمعتقلات في جميع العصور، لذلك نطالب منظمات حقوق الإنسان وقوي المجتمع المدني ، بأن يعملوا علي تقديم المسئولين عن التعذيب للمحاكمة » (المصري اليوم٨ / ٤ / ٢٠٠٦م) ...

ثم عاد مرة أخرى إلى قوله الأول فقال : « نحن لو تتبعنا الأذي الذي أصابنا ومحاولات الانتقام ممن تسبب في ذلك ، فلن يتبقي عندنا وقت كي نقول : " لا إله إلا الله محمد رسول الله " لكن هذه ليست سياستنا ونحتسب عند الله عزوجل كل ما

أصابنا!» (جريدة الأسبوع ٢٣ أكتوبر ٢٠٠٦م) .

والأستاذ عاكف لايذكر مصائب الإخوان التى دخلوا بسببها السجون والمعتقلات .. إنما يتاجر فقط بقضايا التعذيب ، كما يتاجر اليهود بالهولوكوست .كشأن سائر الإخوان.

قال التلمساني فى كتابه" قال الناس ولم أقل : « إن ما أصاب الإخوان المسلمين من التعذيب البشع والتنكيل المريع والتقتيل الذريع لم يصب بمثله أحد فى مصر بل وعلى طول حقب التاريخ »أهـ

والحقيقة أن الإخوان حين يتكلمون عن أنفسهم وما تعرضوا له فإنهم يؤكدون مالهم بكل قوة . غير أنهم إذا تكلموا عن الإسلام والمسلمين فإنهم يتصاغرون ويتنازلون ويتسامحون ، كأنهم أوصياء عليه وعليهم ..

فلا يمكن نسيان ما فعله عبد الناصر بهم .. ولكن يمكن نسيان ما فعله الصليبيون بالمسلمين ، هكذا تكلم عبد المنعم أبو الفتوح فى كلمة ألقاها فى جامعة" أوسلو " فقال : « فتاريخ الحملات الإسلامية على أوروبا وما تركه من مشاعر سلبية لا سيما حصار فيينا قد دفن مع الماضي، ونحن أيضا نعتبر أن الحملات الصليبية على العالم الإسلامي ، وكذالك الحملات الاستعمارية ، وما تركته من أثرٍ مشابه قد دفنت أيضا مع الماضي» (إخوان أون لاين. ٢٥ / ٥ / ٢٠٠٧م)

لقد زعم الأستاذ عاكف هو وغيره من المتحدثين باسم الإخوان أن عبد الناصر سجن من الإخوان عام ١٩٦٥م ما يقرب من ثلاثين ألف فى ليلة واحد . فقال : « ويكفى أن نشير إلى أن سجون مصر امتلأت عن آخرها بما يقرب من ثلاثين ألفا من الإخوان المسلمين فى ليلة واحدة فى ستينيات القرن الماضى » (نافذة مصر ٢٣-٨-٢٠٠٧م)

وهذا من الأكاذيب الواسعة التى تنبيء عن عظم تأثر الإخوان بالأحلام والكوابيس .. فقد أنشأوا فى السجون وكالة أطلقوا عليها اسم " وكالة أبشروا " للأحلام والخرافات .. فالثلاثة آلاف صارت ثلاثين ألفا ، لتعظم المصيبة وتزداد البلية

.. وتدغدغ المشاعر .. والعامة ضعاف العلم والدين والحقوقيون الفاشلون ، كما شهد عليهم محمد الغزالى وسيد قطب صاروا علماء وأئمة عند محمد عاكف .

والحقيقة أن الذى دخل السجن عام ١٩٦٥م كانوا ثلاثة آلاف إخوانى فقط ، وذلك بشهاد عباس السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص/ ٦٧٠) حيث قال :

« وهكذا أنهت نيابة أمن الدولة العليا التحقيق فى قضية الإخوان رقم ١٢/ ١٩٦٥م مع أكثر من ألف شخص من حوالى ثلاثة آلاف من الإخوان المعتقلين فى زنازين السجن الحربي » أهـ ..

أما الذين قبض عليهم عام ١٩٥٤م فقد كانوا ثمانمائة إخوانى فقط ، ولم يكونوا ثمانمائة ألف .

قال السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص/ ٥٧٨) : « فقد بلغ عدد المحكوم عليهم بأحكام مختلفة حوالى (٨٠٠) ثمانمائة من رجال الإخوان أودعوا جميع السجون » أهـ

فأين مصداقية عاكف فيما يقول ..؟

تغافل متعمد ...

تغافل محمد عاكف أن يذكر ما مر به من أحوال ومقامات تدل بالضرورة أن السجون فى ذلك الوقت لم تكن تعذيبا مستمرا بالليل والنهار كى يتاجر بها .. فقد كان هو نفسه قائدا لفريق الكرة ، وكان ممثلا مسرحيا فى السجن . وكان إخوانه يقيمون معارض للوحات الفنية الزيتية فى السجون . فقد وضعهم عبد الناصر فى السجن الحربي ، ويسر لهم معسكرا دعويا ، يتدارسون فيه أمور الدين والحياة ، ويتقابلون ويتناظرون ، ويتناصحون ، ويؤلفون .. كما كانوا فى سجون الملك قبل الثورة كذلك ..قال محمد عاكف : « إنه اعتقل عام ٤٨ في سجن جبل الطور والذي كان بمثابة معسكر تربوي استفاد منه الكثير » (الإخوان أون لا ين ٢٣ / ٨ / ٢٠٠٦م) وفى السجن الحربي ألف الأستاذ عبد القادر عوده (رحمه الله) كتابه " التشريع الجنائى" فى السجن عام ١٩٥٤م ..

كما ألف الأستاذ سيد قطب (رحمه الله) كتابه فى ظلال القرآن من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م فى السجن ، واقتبس منه المعالم عام ١٩٦٢م .. وقد كان الإخوان يعدون التيسير الذى حدث لهم السجون من جملة أخطاء عبد الناصر ، كما أشار إلى ذلك أحمد رائف بقوله : « وقد أخطأ عبد الناصر مرتين . الأولى : عندما اعتقل وعذب ونكل..والثانية : عندما تركهم يعيشون سويا فى معسكر يفكرون ويناقشون » (الصفحات . ص/ ١٢٩)

ترفيه فى السجون ..

هذه بعض حقائق الترفيه التى اعترف بها الإخوان فى سجون شمس بدران.

١ـ تكوين التشكيلات الطبقية :

قال محمود عبد الحليم : « وقد رأينا أن نستغل هذه الفترة بما فيها من حرية التنقل داخل السجن فى عمل نافع فقسم الإخوان أنفسهم إلى جماعات ، تضم كل جماعة المشتغلين بمهنة واحدة : فهذه جماعة الأطباء وهذه جماعة الصيادلة وهذه جماعة التجار وهذه جماعة العاملين فى صناعة الطباعة وهذه جماعة العاملين فى الزراعة وهكذا .. وعلى كل جماعة أن تنظم لنفسها اجتماعات دورية تناقش فيها شئون مهنتها من الوجهة العلمية والعملية » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤٨٩)

٢ـ الأنشطة الرياضية ...

وفى سجن قنا : « سمحت إدارة السجن للإخوان بمباشرة أنواع الرياضة البدنية ، فتحددت مواعيد بعد العصر لمباريات كرة القدم بين فريقين من الإخوان ، وكذا كرة السلة ، وكذا الكرة الطائرة ، أما طابور الجري فيقوم به كل أخ على انفراد .. وكان الأخوان الأستاذ محمد مهدى عاكف خريج كلية التربية الرياضية والأخ عباس عبد السميع كابتن فريق السكة الحديد لفريق كرة القدم كانا يباشران الإشراف على التدريب والمسابقات الرياضية ...» (فى قافلة الإخوان السيسي . ص/ ٧٨٧) .

٣ـ الأنشطة الفنية والمسرحية ..

قال محمود عبد الحليم : « أقام الإخوان الفنانون مرسما فى إحدى حجرات الدور الذى يسكن فيه الإخوان .. وباشروا هوايتهم الفنية فى رسم المناظر والمشاهد الفنية على لوح من الخشب أو القماش وبمساحات مختلفة وكانوا يعرضونها للبيع وتكون الحصيلة لصالح خدمات الإخوان ، كما كانوا يقدمون بعض اللوحات كهدايا لبعض الزوار من قيادات السجون» (في قافلة الإخوان ص/ ٧٨٧) ..

وقال محمد عاكف : « ونحن فى السجن كنا ندير أمورنا بالشورى والانتخاب، فى اختيار الأعمال التى نستهدفها من تربية ومناشط فنية ، فقد مثلت أنا ومجموعة من الإخوان فى عام ١٩٥٤م عدة مسلسلات ومسرحيات قالت قيادات السجن إنها تصلح لتكون أعمالا تلفزيونية كبيرة » (الأسرة العربية عدد. ٢٥٤٧، ٢٠ فبراير ٢٠٠٦م) .

٩- كذبة التلمساني فى حق الملك فاروق ...

زعم التلمسانى أن الملك فاروق زار حسن البنا فى المستشفى الذى مات فيه وبصق فى وجه وهو نائم .! فدعا عليه أن يمزق الله ملكه ، فقال :« وقبل أن يلفظ النفس الأخير جاء فاروق إلى القصر العينى شامتا ومتشفيا وبصق على الإمام ، ففتح عينيه ، وقال لفاروق : مزق الله ملكك . وكانت أبواب السماء مفتحة فاستجاب الله الدعاء ، وتمزق ملك فاروق إلى الأبد»(ذكريات لا مذكرات . ص/ ١٠٥) .. وقد كذب فريد عبد الخالق تلك الأكذوبة التلمسانية ، قائلا : « والله أنا شخصيا استبعد هذا مع احترامي للقائل » . فعلق أحمد منصور قائلا : « لأنه مش ممكن فاروق يكون من الغباء بحيث أنه هو يجيء ويحدث هذا السيناريو .. » (الجزيرة .. ١٤ / ١ / ٢٠٠٤م) .

ومما يؤكد كذب تلك الرواية التى اخترعها التلمسانى فى حق الملك فاروق أن الملك أقسم بالله العظيم أنه لم يأمر بقتل حسن البنا ، وذلك أثناء زيارة المستشار الهضيبي له . ولم يرد عليه ، ولم يقل له : بل بصقت فى وجه الإمام وهو يموت ..

ولو كان عنده خبر بتلك الرواية لأخبر بها فيما بعد ، ولكنه لم يخبر بها الملك ، ولم يخبر بها مجلة الدعوة الإخوانية ، التى نقلت الحوار الذى دار بينه وبين الملك فى زمن الثورة وبعد موت حسن البنا بأربع سنين .. وبعد خروج الملك من مصر .. وفيه قالت الصحيفة نقلا عن الهضيبي قوله : « وعاد الملك يقول : إن الإخوان قد فهموا خطأ أننى أنا الذى أمرت بحلهم واعتقالهم وباغتيال الشيخ حسن البنا ، وهذا والله العظيم خطأ ولم أفعل من هذا شيئا ، والذى فعل ذلك هم السعديون .. والهضيبي لا يرد » (مجلة الدعوة. عدد,٨٢ ، ٩ / ٩ / ١٩٥٢م .دار الكتب والوثائق » وانظر (وعرفت الإخوان . ص/ ٦٨) ...

وقد أكد الأستاذ أحمد رائف أن الملك فاروق سمع عن مقتل حسن البنا كما سمع غيره من الناس ، ولم يكن له علاقة به ، وقال : « الملك فاروق لم يكن له أية علاقة لا من قريب ولا من بعيد بمقتل حسن البنا ، وعلمه بالحادث كعلم سائر الناس وكريم ثابت يقول في مذكراته اللي نشرت أخيرا قال هو لا علاقة له بهذا الموضوع، وسمعه كما يسمعه بقية الناس»(الجزيرة نت ٥ / ٢ / ٢٠٠٦ م) .

٨ - كذبة التلمساني فى حق الملك عبد العزيز آل سعود ..

أراد التلمساني زرع الكراهية فى نفوس المسلمين قبالة علماء السعودية وملوكها، فزعم أن ملكا من ملوك السعودية حذر الملك فاروق من حسن البنا ، وقال له إن هذا الرجل خطر على عرشك ، وكان هذا التحذير سببا فى مقتله ، ذكر ذلك تعقيبا على مصادرة هذا الملك ميكرفونا كان يتكلم فيه حسن البنا فى الحج بغير إذن من الهيئات العلمية ، فقال : « ولم يكتف هذا الملك بذلك ، بل إنه لما زار مصر حذر الملك فاروق من حسن البنا ، وأكد له أن هذا الفتى خطر على عرشه ، وأثمر هذا التحذير نتيجته المشئومة فاغتال فاروق حسن البنا » (أستاذ الجيل حسن البنا. ص/ ٣٩ دار الأنصار) .

والملك المقصود بذلك هو الملك عبد العزيز بن عبد الرحمن آل سعود (رحمه الله) وقد وضح التلمساني ذلك فى كتابه " قال الناس ولم أقل فى حكم عبد الناصر"

« وقد علم العالم كله أن المرحوم الملك عبد العزيز بن سعود عندما لمس قوة الإخوان المسلمين وسريان دعوتهم فى قلوب المسلمين قاطبة عندما أحس بهذا الخطر الزاحف على الملكية المتسلطة المستغلة حذر الملك فاروق من خطورة دعوة حسن البنا ، وانتهى هذا التحذير بعد ذلك باغتيال الإمام الشهيد حسن البنا ، وإقامة الملك فاروق للأفراح فى قصوره ، عندما انتهى إليه نبأ الاغتيال » أهـ .

وقد أفسد الدكتور محمود عساف مفاهيم الأستاذ عمر فى حق الملك عبد العزيز، وأكد أن الملكة العربية السعودية : « استضافت كثيرا من الإخوان ورعتهم ، والفضل فى ذلك يرجع إلى ما كان بين الملك عبد العزيز آل سعود والإمام حسن البنا من روابط وثيقة »(مع الإمام الشهيد . ص/ ٥٩) ..

هذا هو الظاهر .. إذ لو كان الملك عبد العزيز (رحمه الله) يحذر منهم أو يلقي لهم بالا لما فتح لهم الملك فيصل بابا للضيافة فى المملكة ، حتى يلج الجمل فى سم الخياط ..إلا أنه مما يقال فى هذا الموضع أن الملك عبد العزيز رفض طلبا من حسن البنا بفتح مقر للإخوان المسلمين فى المملكة ، وقال له : " كلنا إخوان " .

٩- تطوير الأزهر بين الباقورى والتلمسانى ...

قال التلمسانى فى كتابه (قال الناس ولم أقل فى حكم عبد الناصر) :

« إن أكبر إساءة وجهها جمال عبد الناصر إلى الدين الإسلامى هى الجريمة الكبرى التى صرف بها الأزهر عن مهمته الكبرى فى تدريس العلوم الدينية وإتقانها..إنها الجريمة التى سماها عبد الناصر تطوير الأزهر. وما هى فى الحقيقة إلا الرغبة الجامحة فى القضاء لا على الأزهر أصلا بل القضاء على الدين الإسلامى» أهـ

والحقيقة أن الذى خطط لتطوير الأزهر وأضاف الكليات الثقافية إليه هو الشيخ الباقورى أحد أقطاب الإخوان ، وليس عبد الناصر ..

وقد أكد ذلك محمود عساف بقوله : « واشتغل الباقورى بالوزارة . وأعاد تنظيم الأزهر وأدخل به الكليات التى تخرج العاملين لصالح المجتمع من مهندسين

وأطباء ورجال أعمال ورجال قانون وعلم تطبيقى فضلا عن كلية للبنات فيها ذات التخصصات فلا ينبغى أن يقتصر الأزهر وهو أقدم جامعة فى العالم لازالت حية على علوم الدين فحسب»أهـ

١٠- الصباغ يشكك فى كتابات التلمسانى

أكد محمود الصباغ أن بعض قادة الإخوان تكلم فى أحاديثه الصحفية بغير علم ولا إحاطة بأعمال التنظيم الخاص ، مما اضطره إلى أن يكتب كتابه (حقيقة التنظيم الخاص) ليرد على ذلك ، وكان مما قاله : « تعرض عدد من قادة الإخوان المسلمين حاليا للكتابة عن هذا النظام فى الجرائد السيارة والمجلات الأسبوعية ، بل وفى كتبهم المؤلفة بما لم يحيطوا بعلمه ، إلا أنهم باعترافهم ، وكما قلت من قبل لم يكونوا فى يوم من الأيام فى هذا النظام ، فأنى لهم بالحقيقة»(حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٥٧) .

وأشار إلى الشخص المقصود فى كلامه ، قائلا :

« ولقد كنت أتمنى أن يعفينى الله من هذا الحساب العلنى الشاق ، لو مد الله فى عمر فقيدنا الكريم الأستاذ عمر التلمسانى ، فتلقى خطابى الذى أرسلته إليه عن طريق جريدة الشرق الأوسط باعتبارها أولى الجرائد الكبرى التى نشرت مذكرات فضيلته ومست هذا الموضوع » (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٥٧) .

وقد أكد التلمسانى أنه سيعتمد على ذاكرته فى سرد تاريخ الإخوان ، واعتذر بأنه قد يقول أشياء غير مطابقة للواقع ، كما قال لمندوب جريدة " الشرق الأوسط الدولية "،كما كتب فى مقدمة كتابه (ذكريات لا مذكرات) : « أننى لا أستطيع كتابة مذكرات صحيحة مطابقة للواقع ، لأن مرجعى سلب من بين يدى ، ولكنى إذا كتبت فسأكتب ذكرياتى ، أى ما يعلق بذهنى ، مما مر بى فى حياتى ، ومن المقطوع به أن الذاكرة ليست العماد الراسخ فى سرد الأحداث ، لأنها عرضة للخطأ حينا وللنسيان أحيانا »أهـ .. ولا شك أن هذا التصرف يشكك العامة والخاصة فى تاريخ الإخوان ، الذى نالوا به تلك الهالة فى العالم الإسلامى .

١١- الأستاذ الدكتور محمد مرسي " عضو مكتب الإرشاد " يكذب عبد المنعم أبو الفتوح ، ويتهم آراءه بالشذوذ ، ويرد على العريان ويتهم آراءه بالخداع ..

منذ ما يقرب من أربع سنين أو يزيد صرح د/ عبد المنعم أبو الفتوح فى جريدة العربي أنه لا مانع لدى الجماعة من ترشيح الزنديق أو المسيحى لرئاسة الدولة ، وقال : " لا مانع من ترشيح الزنديق والمسيحى لرئاسة الجمهورية . وهذا رأى الجماعة بأسرها "(العربى : ٥ أكتوبر / ٢٠٠٣م) (آفاق عربية . ١٧ فبراير ٢٠٠٥م) وعندما سئل عن موقع حديثه من الجماعة قال : « وأود تأكيد أن كل ما يصدر عنى من آراء وتصريحات إنما هو رأى المدرسة التى تربيت فيها ـ مدرسة الإخوان المسلمين ـ وهو رأى جل الجماعة ومكتب إرشادها » (آفاق عربية. ١٥ ديسمبر ٢٠٠٥م)..

وقد وافقه على ذلك المرشد العام محمد عاكف قائلا : « وأنا منذ أن انتخبت مرشدا عاما سمحت لجميع قادة الإخوان - بلا استثناء - بالحديث للصحف .. وبالمناسبة هذا ما يفعله الجميع بمن فيهم الدكتور عبد المنعم أبوالفتوح . » (الشرق الأوسط . ٣٠ يونيو ٢٠٠٥).

وظل عبد المنعم أبو الفتوح يردد هذا الكلام فى جميع الصالونات والمنتديات الأدبية لمدة أربع سنوات ، ولم يعترض عليه أحد . غير أن الرياح جاءت بما لا تشتهى السفن ، لتكشف حقيقة التلاعب فى دعوة الإخوان ، ويظهر برنامج الحزب الجديد رفض الجماعة ترشيح المسيحى لولاية الدولة .. فيهب عبد المنعم أبو الفتوح ليؤكد أن الجماعة عن بكرة أبيها تؤمن بجواز ذلك ، وأن مكتب الإرشاد يؤمن بذلك ، قائلا : « رفض الترشيح ليس في محله ، ويتناقض كليا وجزئيا مع مضمون البرنامج من الدعوة للتوافق الوطني، وحق المواطنة واحترام الآخر ...كما أنه يخالف كذلك ما تضمنته مبادرة الإصلاح التي أعلنت عنها جماعة الإخوان المسلمين قبل عامين .. وعدم الترشيح يعد مصادرة علي حق حرية الرأي ، وبالتالي يبقى مصادرة لآراء الشعب وأنا لست الشعب .

* هل هذا رأي الدكتور أبو الفتوح أم رأي الجماعة ؟

ـ أنا جزء من الجماعة .

* ماذا تعنى بذلك ؟

ـ أعني أنه رأي الجماعة ، بدليل أننا استطلعنا رأي الدكتور يوسف القرضاوي خلال فترة تواجده بالقاهرة – كما أشرت من قبل – وكنا مجموعة من مكتب الإرشاد وعلى رأسنا فضيلة المرشد مهدى عاكف ، وحين سألنا الدكتور أحمد العسال ، كنا مجموعة أيضا من مكتب الإرشاد، وأفاد كلا العالمين الجليلين بأنه لا مانع من ذلك في حالة أن يترك باب الترشيح مفتوحا للجميع» (إيمان عبد المنعم . إسلام أون لاين ٩ أكتوبر ٢٠٠٧م) .

هذا هو كلامه مع إسلام أون لاين . .

ولكن الدكتور/ محمد موسى المسئول الأول عن برنامج حزب الإخوان كذبه فيما قال ، وأكد أن هذا رأى شاذ – وإن كان قائله القرضاوى أو العسال – وأنه ليس رأى الجماعة ، كما يدعى القائل بذلك ، قائلا : « إن كافة قيادات الجماعة قد أجمعت على رفض ترشيح المرأة وغير المسلم للرئاسة ، وذلك بناء على أدلة شرعية راجحة لدى الجماعة، نافيًا بشدة وجود اتجاه داخل الجماعة لمراجعة رأيها في هذا الشأن ، مؤكدا أن ما بني على أدلة شرعية إسلامية لا يمكن تغييره نزولا على اعتراض أو اجتهاد بشري ، لأن الجماعة هنا تمثل الإسلام » .

وأضاف معلقا على تصريحات لقيادات " الإخوان" قالوا فيها :إن مكتب الإرشاد توصل إلى جواز تولي المرأة وغير المسلم للرئاسة.

– إن "هذا الكلام خاطئ"، متهما قائليه بالشذوذ عن إجماع قيادات "الإخوان"، وإن عليهم أن يأتوا بالأدلة الشرعية التي تؤيد ما يقولون» (المصريون . ٢٤ – ١٠ – ٢٠٠٧) .

وفى موقع الإخوان نافذة مصر فى ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٧م قال الدكتور مرسي:

« نحن نرفض بشكل لارجعة فيه تولى المرأة وغير المسلم لمنصب رئيس الدولة، مشيرا إلى أن من يقول غير ذلك من أعضاء جماعة الإخوان المسلمين فهو لايعبر عن رأى الجماعة نهائيا وإنما يعبر فقط عن رأيه الفردى» أهـ

ويزيد على ذلك فيرد على الأستاذ العريان الذى دعا إلى إخفاء وجهة نظر الإخوان فيما يخص تلك المسائل الحساسة ، قائلا : « كان من الأفضل الصمت في هذا الشأن ، مشيرا إلى + أن الصمت وإن فسره البعض كأنه حالة من الغموض أفضل من أن تقدم طرحا لا يجاري رغبات المجتمع ونخبه السياسية .. » (الشرق الأوسط ١٦ أكتوبر ٢٠٠٧م) .

فبين الدكتور مرسي أن هذا الطريق الذى يدعو إليه الدكتور العريان نوع من الخداع .. ولاينبغى لمن يعرض الثوابت أن يكون مخادعا ، فقال : « أما أن يطالبنا البعض بان نترك هذا البند دون أن ننص عليه فنحن نقول له : إننا نعرض رؤيتنا على الأمة وليس لدينا أى استعداد لخداعها ولكننا سنعرض مانراه مناسبا من وجهة نظرنا بما يتفق مع ثوابت الدين الإسلامى » (نافذة مصر . ٢٧ / ١٠ / ٢٠٠٧م) .

لقد أكد عبد المنعم أبو الفتوح أن هذا الرأى الذى انتهت إليه القيادات : «يخالف كذلك ما تضمنته مبادرة الإصلاح التي أعلنت عنها جماعة الإخوان المسلمين قبل عامين » .أهـ .

ولعله لا يعرف أن لجماعة الإخوان فى كل زمن منهجا ومقالا .. وأنها على استعداد لاستبدال الملابس وخلع جميع المبادىء ..

ترى فى النهاية أبو الفتوح هنا . مخدوع ، أم مخذول ..؟

أم أن الجماعة تتقى شره ، حتى لا تتكرر مصيبة " حزب الوسط "...؟

لقد سكت المرشد العام ، ولم ينصر عبد المنعم أبو الفتوح ، الذى أكد أنه يتكلم باسم الجماعة ، وبما يتفق عليه مكتب الإرشاد..!

لا شك أن هناك حربا داخلية فى تلك الجماعة ، ومن أجل ذلك صرح عبد

المنعم أبو الفتوح فى لقائه مع " إسلام أون لاين " : « أن الجماعة تحتاج إلى الإصلاح الداخلي والتغيير، ليحل الشباب محل الشيوخ داخل مجلس الشورى ومكتب الإرشاد» (إسلام أون لاين ٩ أكتوبر ٢٠٠٧م) ..

فهل هذه طعنة سم فى ظهر الذين خذلوه أم أنه أراد شيئا آخر .! ربما تكون تلك الكلمة هى السبب فى إخراجه من مكتب الإرشاد فى الانتخابات التى أجريت فى ٢٠١٠م ..!

لعل رأى عصام العريان فى السكوت والغموض كان أقرب فى الحفاظ على تلك الجماعة من الوضوح والصراحة .

ولكن الدكتور محمد مرسي أبى أن يخدع نفسه ، فأعلن بكل قوة ما يخالف غرغرة أبى الفتوح وخداع العريان ..

١٢- د / توفيق الواعى وتشنيعاته .

توفيق الواعى منظر إخوانى مصرى مقيم بالكويت ، وقد برز دوره فى تجميع الفكر المعاصر لجماعة الإخوان ، والدفاع عنه بكل شاردة وواردة ، فكتاباته فى المقام الأول لخدمة جماعة الإخوان ورموزها قبل أن تكون لخدمة الإسلام .. وللأستاذ توفيق الواعى كتاب باسم (الإخوان كبرى الحركات . ط . دار المنار ٢٠٠١م) وفى هذا الكتاب رفع جماعة الإخوان إلى أعلى مقامات الكمال ، وادخر لمخالفى الإخوان جميع أنواع السب والطعن واللمز .. فهم جهلة ومرضى ومأجورون . لم يعتمد الأسلوب العلمى البرهانى بقدر ما اعتمد الاستخفاف والاحتقار ، انظر إلى ما قاله فى كتابه السابق ذكره (ص . ٥) : « قد تفاجأ بإنسان لم يقرأ بابا واحدا من العلم ولا درس صفحة واحدة من مسائله قد تعمم وتحذلق وأطال لحيته وقصر ثوبه وأبرز مسواكا فى صدر جلبابه وآخر فى فمه ، كأنه يقول لك انتبه : فأنا حارس السنة وداعية الشريعة ، ومصدر العلم الإسلامى كله فى جيبي والتعاليم والفتاوى فى رأسي وآراء السلف والخلف طوع أمرى أنا صيدلية العلم ونطاسي الملة ومدينة الفقه ومجمع الفتيا وباب الحلال والحرام ، ومفتاح القبول وطريق الوصول . كل أمر لا يصدر عنى فهو

رد ، وكل حكم لا يخرج من مشكاتى فهو مدخول ، وكل عمل غير ممهور برضائى فهو باطل وكل فتوى لا تخرج من لسانى فهى مزورة».أهـ

وقد اجتهد د/ توفيق الواعى طاعنا فى دعوة السلف أهل الحديث ، مستعينا بمقتطفات من كتاب لرجل يدعى / عبد الرازق الشايجي ، كأنها متون موثقة ، أو وحي منزل ، سماها أصولا ، ولا علاقة لها بالأصول ، وجعلها حقائق وهى أوهام وأكاذيب ، فقام الدكتور توفيق يعلق عليها بما لا علاقة ، وينظر فيها بغير نظر..

❊ فزعم أن دعاة السلف يكفرون مخالفيهم ، ويلزمون الناس بتكفيرهم ، وقال إنهم يعتقدون أن : « كل من وقع فى الكفر فهو كافر وكل من وقع فى البدعة فهو مبتدع » (ص٣٥١/) ... وهذا وهم مفترى على دعاة السلف ، ولا تكفير لأحد إلا بعد انتفاء الموانع الشرعية والعقلية وإقامة الحجة الرسالية .. قال شيخ الإسلام فى كتابه (الرد على البكرى.ص / ٣٧٦) : «ولكن لغلبة الجهل وقلة العلم بآثار الرسالة فى كثير من المتأخرين لم يمكن تكفيرهم حتى يتبين لهم ما جاء به الرسول مما يخالفه»أهـ

❊ وزعم د/ توفيق أن دعاة السلف ينكرون العمل الجماعى بقوله :« فقالوا عنه أم الفتن » (ص/ ٣٦٨) ... وهذا أيضا ما كان لدعاة السلف أن ينكروه ، فقد حث الله عباده المؤمنين على التعاون على البر والتقوى فقال(تعالى ذكره): ﴿وتعاونوا على البر والتقوى ولا تعاونوا على الإثم والعدوان﴾ [المائدة: ٢] إنما ينكر دعاة السلف الحزبية المقيتة والتعصب المهين للفرق والأشياخ على حساب الحق والدين ، كما ينكرون العمل السرى البارد فى بلاد تؤمن بالإسلام وتقيم شعائره ..

❊ وزعم د/ توفيق الواعى أن دعاة السلف يحرمون النظر فى شئون الأمة والإطلاع على واقعها وآلامها فقال : « النظر فى أحوال الأمة ومعرفة أعدائها وفكرهم محرم شرعا كالنظر فى التوراة المحرفة » (ص / ٣٩٤)..

وهذا وهم صريح ..

ويكفي لبطلان ما قال حقيقة الواقع المشهود ، فكتابات أئمة السلف وفتاواهم

تنتقل إلى جميع أنحاء العالم ، حسب قواعد الشرع والدين ، بينما لا يهتم الإخوان إلا بمن ينتسب إليهم ببيعة أو بولاء ، فيغدقون عليه بالأموال والمناصب . أما الآخرون فلا ولاء لهم و لا محبة ..

وانظر كيف أفتى القرضاوى بجواز اشتراك الجنود المسلمين فى الجيش الأمريكى فى قتال المسلمين فى أفغانستان ، حتى لا يتهموا فى ولائهم للمجتمع الأمريكى.(الأهرام العربى . عدد ,٢٣٩ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠١)

* وزعم د/ توفيق الواعي أن دعاة السلف يحرمون نصح الحكام ، فقال : ومن أصولهم (وجوب السكوت عن انحراف الحكام) (ص/ ٤٧٢) وقال ص/ ٤٧٤: « ومن أصولهم الفاسدة إطلاق لفظ الخارجي على من أنكر منكر الإمام باللسان ». أهـ... قلت : سبحان الله .وماذا يقول الإخوان فيمن ينكر منكر المرشد العام أو يعترض عليه جهرة ! إنهم يعدونه عدوا أو عميلا.

والحقيقة أن الأئمة لا يمنعون نصح الحكام .. وغير الحكام، لقول النبى ﷺ : « الدين النصيحة . ثلاثا . قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم »(رواه مسلم.كتاب الإيمان. ٥٥) ولكن الأئمة يقولون : ينكر المنكر على الإطلاق دون تحديدلشخص بعينه ، ويختص الأئمة والعلماء بنصح الحكام ، ولا يكون نصح الحكام بالتشنيع عليهم على المنابر وفى الصحف ، كما يفعل الإخوان وغيرهم ، وإنما يكون النصح سرا فيما بين الناصح وبين الحاكم ، وخلاف ذلك نوع من أنواع الخروج . وتوفيق الواعي يتعجب من ذلك ، ويقول ليس فى ذلك خروج ! ويصف هذا الأصل بالفساد . والحقيقة عند الأئمة الربانيين بخلاف ما قال . فقد قيل لأسامة :« ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله! لقد كلمته فيما بيني وبينه . ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه» (متفق عليه ، مسلم كتاب الزهد ٢٩٨٩ ,)

وقال ابن النحاس فى (تنبيه الغافلين . ص/ ٦٤) : « ويختار الكلام مع السلطان فى الخلوة على الكلام معه على رءوس الأشهاد ، بل يود لو كلمه سرا

ونصحه خفية من غير ثالث » أهـ .

ولا ينبغى أن يتعجب الدكتور توفيق الواعى من تلك القواعد فهى قواعد أئمة الإسلام . والإخوان المسلمون يعرفون ذلك ، ولكنهم لا يطبقونها مع الحكام ، إنما يطبقونها مع المرشد العام فقط .. فقد اختلف الدكتور سيد المليجي مع المرشد العام، فنصحه على الملأ ، بعدما ضج من عدم اعتنائه بشكاواه ، فذكره المرشد العام بتلك القاعدة .. قائلا : « إذا كان لدي المليجي استفسار أو تساؤل فلماذا لم يأت إلينا ، ويجلس معنا ويناقشنا ... أما الكلام في الجرائد فهذا أسلوب معيب ولا أقره ، فهو خارج عن المألوف في الجماعة » (الكرامة ١ / ٥ / ٢٠٠٧م . محمدعبد الحفيظ)

* وزعم توفيق أن دعاة السلف يبطلون الجهاد فى سبيل الله ، ويقولون : « لا قتال إلا بوجود إمام عام خليفة » (ص / ٤٠٤).. قلت : والجهاد قسمان : جهاد الطلب. وجهاد الدفع ..أما جهاد الطلب فينكره الغزالى والقرضاوى ، أما جهاد الدفع ، فهو فرض واجب ، خاصة إذا داهم العدو أرضا للمسلمين .. أما الجهاد الذى فيه خروج من مجتمع لمجتمع آخر فإنه لا يكون إلا بإذن الإمام ، سواء كان رئيسا أو ملكا أوخليفة ، ولو كان فاجرا ،، لأن فيه سفر ا، والسفر لايكون إلا بأمير مطاع .. وذلك لأنه قد تخرج طائفة بقصد الجهاد ، وهى فى الحقيقة تريد الخروج على الإمام . ومن هنا منع الأئمة الجهاد بغير إذن الإمام .

قال الإمام أبو جعفر الطحاوي فى (الطحاوية . ص/ ٣٢٢) : « والحج والجهاد ماضيان مع أولى الأمر من المسلمين ، برهم وفاجرهم ، إلى قيام الساعة ، لا يبطلهما شيء ولا ينقضهما شيء » أهـ

* **وقال د/ توفيق الواعى : « إن دعاة السلف يرون تقديم حرب الدعاة إلى الله** [illegible] **حرب اليهود والنصارى»** (ص/ ٤٣٥). كما يرون : « **اعتبار الدعاة أخطر على الإسلام من اليهود** والنصارى واللادينيين » (ص/ ٤٣٤) ... **قلت : هذا كلام مقلوب واعتداء آسن .**

فهل يصدق أحد أن مسلما يقول : إن حرب الدعاة إلى الله مقدم على

حرب الكفار . هذا كلام باطل لا يقول به عاقل .. بل الصحيح الذى اتفق عليه الأئمة أن مواجهة أهل البدع مقدم على مواجهة الكفار الأصليين .. وأهل البدع ليسوا علماء باتفاق أهل السنة .. أما الذى قال " إن العدو الداخلى قد يكون أنكى من العدو الخارجى" فهو الداعية الإخوانى محمد الغزالى ، وذلك فى كتابه (السنة النبوية . ص/ ١٩٣) .

وهناك شبهات كثيرة طرحها توفيق الواعى فى كتابه (كبرى الحركات) ، لعل المطلع على كتابى هذا يجد فى ثناياه الرد الوافى عليها بإذن الله تعالى .. وقد كان من الواجب على الدكتور توفيق أن ينقل النصوص المنتقدة نقلا كاملا ، ثم يذكر حجته فيما قال ، ثم يسرد الأدلة والبراهين ، بعيدا عن العواطف والتلابيس . ثم يترك للقارىء النظر والاختيار . أما ما قام به الدكتور فهو مخالف لأسلوب البحث العلمي، لم يرد منه التحقيق ، وإنما أراد نصرة جماعة الإخوان فى المقام الأول ..

ثالثا : مظاهر التلون والتقية

التقية ومفاسدها ..

التقية : خلق ردىء يشبه النفاق ، وهى ركن ركين فى دين الشيعة الروافض .. فقد حكى الشيعة زورا فى كتبهم أن جعفر الصادق (رضى الله عنه) قال : « التقية دينى ودين آبائي » (المنتقى . ٨٦) والتقية مفاسدها كثيرة . ففيها يحدث المرء بما لايعتقد ؛ ويظهر خلاف ما يبطن ، فرارا من المسئولية والعقاب وطلبا للمكاسب .. وبها يضيع مفهوم الولاء والبراء ، وتذوب الفوارق بين الثقافات ، وبها يعظم الجبن ، ويسقط الأمر والنهى ، ويختلط الحق بالباطل . فمن من العامة يستطيع التمييز بين ما يقال دينا وما يقال تقية ؟ وقد أمرنا الله تعالى أن نقول الحق أينما كنا ، لا نخاف فيه لومة لائم .

الإخوان والتقية ..

قال الشيخ صالح بن عبد العزيز (حفظه الله) : « أما جماعة الإخوان المسلمين فإن من أبرز مظاهر الدعوة عندهم التكتم والخفاء والتلون والتقرب إلى من يظنون أنه سينفعهم ، وعدم إظهار حقيقة أمرهم ، يعني أنهم باطنية بنوع من أنواعها » (فتاوى العلماء في الجماعات . تسجيلات منهاج السنة بالرياض) ..

وقد سلك الإخوان مسلك التقية فى دعوتهم ؛ من أجل احتواء الناس واستيعابهم .. وباستقراء أحوالهم يتبين حقيقة ذلك .. فقد كان حسن البنا مسالما للملك مبايعا له ، وهو فى حقيقة الأمر يعد العدة للانقلاب عليه .. وفى زمن الاشتراكية سايروا الثورة وقالوا الإسلام هو الاشتراكية .. وطالب سيد قطب ضباط الثورة بتطبيق ما يسمى بالديكتاتورية العادلة، فى نفس الوقت طالب أغلب الإخوان بعودة ضباط الجيش إلى الثكنات .. وعندما ألغى الرئيس عبد الناصر الأحزاب وأصدر قانونا بحلها عام ١٩٥٣م كان الإخوان أول من هلل لذلك وفرح به ..

وعلى العكس من ذلك فى زمن الديمقراطية رفع الإخوان راية التعددية الحزبية

والديمقراطية ودافعوا عنها ..

فلا يفتأ محمد عاكف وحبيب والعريان عن الحديث عن الديمقراطية والحرية والأحزاب ، التى كان يحذر منها شيخهم . وهم الآن أكثر الناس تحالفا مع الشيوعيين فى الانتخابات البرلمانية .. وقد ظهر مؤخرا أنهم أكثر الناس سعيا فى كسب ودهم .. لتحقيق أغراضهم من الوصول إلى سدة الحكم .. فهم يتلونون بالزمن الذى يعيشون فيه ..وقد كانوا يتقلبون فى الأحزاب تقية ، ليصلوا إلى أغراضهم .. فقد التحق كثير منهم بحزب مصر الفتاة فى زمن الملك فاروق ، والتحق كثير منهم بالاتحاد الاشتراكى فى زمن عبد الناصر ، كذلك التحق كثير منهم بالحزب الوطنى فى زمن الرئيس السادات .. وحين وقعت الحوادث الإرهابية فى مصر نظر أكثرهم إليها بأسلوب المنفعة العائدة ، قبل أن يذكروا حكم الله فيها ، وكل فريق يتكلم بما ينتهى إلى الحيرة فى شأنهم والشك فى فكرهم . وقد أشار إلى ذلك أبو العلا ماضى فى حديثه لجريدة (العربى . ٢٨ ديسمبر ٢٠٠٣ م) بقوله : « إذا تكلمت عن الإخوان فلم يكن دورهم ضد الإرهاب بنفس الدرجة التى كان بعض منا يتمناه ، ففى داخلهم كان هناك من يرى ضرورة رفض العنف بكل أشكاله، والبعض كان يسكت عنه كما لو أنه يذكره بسلوكيات قديمة ، واعتقد البعض أن الإرهاب يمكن أن يخدم أهدافهم مع الوقت ، فالحقيقة أن الإدانة لم تكن كاملة » أهـ

فقضية توزيع الأدوار بين النفى والإثبات وعدم وضوح المنهج سلوك باطنى تفننت فيه جماعة الإخوان .. فقد حذر صلاح الصاوي من : « التورط في إدانة الفصائل الإسلامية مهما تورطت فيه من أعمال تبدو منافية للاعتدال والقصد ...»(الثوابت والمتغيرات . ص / ٢٢٦٤). ثم انتقل إلى توزيع الأدوار ، فقال : «مصلحة العمل الإسلامي قد تقتضي أن يقوم فريق من رجاله ببعض الأعمال الجهادية ويُظهر عليها النكير آخرون » (الثوابت والمتغيرات. ص/ ٢٦٥) .

غير أن المتفق عليه بعد توزيع الأدوار عزو جميع المصائب إلى فساد الحكم والحكام والبطالة المنتشرة فى المجتمع .. وهذا يكون كما قال الصاوي : « بتنسيق

مسبق وتوزيع متبادل للأدوار»(الثوابت والمتغيرات ص/ ٢٦٤) .

هذا هو دأب الإخوان فى كثير من القضايا .. فقد ذهب عصام العريان إلى مفهوم غريب فى قضية المواطنة وترشيح الزنديق لرئاسة الجمهورية انتهى فيه إلى أن السكوت والغموض فى تلك القضايا أولى من التصريح والبيان .. قائلا : « كان من الأفضل الصمت في هذا الشأن ، مشيرا إلى أن الصمت وإن فسره البعض كأنه حالة من الغموض أفضل من أن تقدم طرحا لا يجاري رغبات المجتمع ونخبه السياسية » (الشرق الأوسط ١٦ أكتوبر ٢٠٠٧م . عبده زينه) .

وهذا يدل على أن التلون ملكة وغريزة تربت عليها شرائح الإخوان من زمن حسن البنا إلى زمن محمد عاكف ..

ولم يقف حد التلون على المستويات المحلية .. فكذلك على المستوى الدولى .. فإخوان العراق مع الأمريكان فى مجلس الحكم الانتقالي ... وإخوان مصر لا يعيبون ذلك ولا ينصرونه ... والتنظيم الدولى مع صدام ضد الكويت ، وإخوان الكويت ضد صدام .. وإخوان حماس فى فلسطين متحالفون مع النظام فى سوريا مع كون النظام السوري يوقع عقوبة الإعدام على من ينتمي للإخوان .. فهو تنظيم واحد - زعموا - ولكنه بأيدلوجيات مختلفة ، وهذا هو الذى جعله متناقض الوسائل والغايات .. ولا مانع عنده من التآخى مع الأعداء ، ولو كان هذا التآخي ضد مصلحة الإخوة والمنهج ..

وأهل مكة أدرى بالشعب ..ولا تقل أستاذية العالم ولا وحدة الفكر والمنهج ... فالقضية متعلقة بالوسائل والأيدلوجيات الفكرية والتكتيكات السياسية ..

وقد أكد حقيقة هذا التلون العلامة مقبل الوادعى ، فقال فى (تحفة المجيب. ص/ ٢٠٣) : « فهم يأتون السّني بالوجه السني إذا احتاجوا إليه ، والبعثي بالوجه البعثي إذا احتاجوا إليه ، والشيوعي بالوجه الشيوعي .. والشيء بالشيء يذكر فعند أن كنا فى الجامعة الإسلامية يصرخون ويقولون الشيوعية احتلت البلاد وأنتم تبقون تدرسون هاهنا .. فهم يستغلون الفرص ويستثيرون الناس ، ولما جاءت الشيوعية

انسدحوا لها ، وأهلا وسهلا بالأخ على سالم البيض ، وقال الأخ على سالم البيض كذا .. وأنكروا على لماذا أقول : إن على سالم البيض كافر : فهو عندهم فى أول الأمر شيوعي ، ثم بعد ذلك مسلم ، وفى وقت الحرب كافر .. فهم ليس لهم مبدأ ...» أهـ

التقية فى منهج حسن البنا ..

كان للأستاذ حسن البنا ممارسات ضليعة فى التقية والمناورة ، خاصة مع الملك فاروق ، فهو ينفى أن تكون الثورة طريقا من طرق التغيير ويرفع إلى الملك أسمى آيات الولاء بينما هو فى الحقيقة يخطط بسرية بالغة للانقلاب والثورة ، وأكد الصباغ أن حسن البنا كان يعمل بالخداع والتقية فى البيان الذى أصدره عقب تفجير محكمة الاستئناف ، " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين "

وبين أن المرشد لم يقصد التبروء من هؤلاء الشباب فى الحقيقة ، إنما كان فقط يريد خداع الدولة ، فقال : « وهو أمر جائز شرعا فى الحرب ويعد من خدعه ، كما أوضحنا عند ذكر سرايا رسول الله (لا غتيال أعداء المسلمين ، ولكن الأخ عبد المجيد أحمد حسن لم ينتبه إلى ذلك ، وتأثر بالبيان تأثرا قاده إلى الاعتراف على إخوانه » (حقيقة التنظيم الخاص.ص/ ٤٥٢)

تدبير المكائد .. حسن البنا والكشكول الجديد .!

هذه صورة من صور التلون والتقية .. قائمة على مبدأ افعل ما يتفق مع إرادتنا ، فإن ظهرت كان لنا السبق ، وإن فشلت ووقعت فى الحرج : « فليسوا إخوانا وليسوا مسلمين» . وقد وقعت تلك الواقعة بين عامي ١٩٤٦- ١٩٤٧م .. على أثر هجمة شرسة تعرض لها حسن البنا وجماعته على صفحات وجرائد الوفديين .. رموا فيها حسن البنا بالشيخ الماجن .. وقالوا له كما حكى محسن محمد . ص / ١٩٤ من كتابه " من قتل حسن البنا " : « أنت تزاول نوعا من السياسة هو أرخص وأقذر الأنواع .. هو أقبح سياسي لعب على مسرح السياسة فى الجيل الحاضر .. إن العفن والقاذورات والألفاظ النابية بل والجرائم المنكـرة مصدرها وكـر الإخـوان .. أما من الذى أيقـظ الفتنة فهو أنت أيها المرشد المضلل . إلى زعيم عصابة الإخوان . الـخ » أهـ

كيف فكر حسن البنا فى الرد . ؟

قال عساف : « فكر الإمام حسن البنا فيما ينبغي فعله لمواجهة شتائم جرائد الوفد والرد على سفالتهم .. وكانت الفكرة جديدة لم تخطر على بال أحد وكلفنى بتنفيذها . تلك الفكرة هى إصدار مجلة مستقلة تنبري فى الرد على جرائد الوفد بذات الأسلوب . ! فاستدعانى الإمام إلى مكتبه وشرح لى الفكرة موضحا أنه لا سبيل للرد على سباب الوفد إلا بمثله ! بأسلوب رادع بشرط ألا يمس تاريخ وأدب الإخوان ، وعلى ذلك ينبغى أن تنأى جريدة الإخوان اليومية عن هذا الأسلوب ، فهى جريدة للتاريخ ، وسيكتب عنها المؤرخون فيما بعد ، ولا يجدر بها أن تنزل عن هذا المستوى الرفيع الذى احتلته فى نفوس الناس .. ثم قال : جمعنى الإمام مع الأخ الأستاذ أمين إسماعيل وجلسنا سويا نتناول هذا الأمر واخترنا هيئة التحرير من كبار الكتاب الساخرين فى هذا الوقت . وذكر أسماءهم» « مع الإمام الشهيد. مكتبة عين شمس)

قلت : ونسى حسن البنا ما ألزم به نفسه فى " رسالة دعوتنا " فى كيفية التعامل مع المتحامل الذى :

« أساء فينا ظنه وأحاطت بنا شكوكه ، فهو لا يرانا إلا بالمنظار الأسود القاتم . وهذا سنظل نحبه و نرجوا فيئه إلينا و اقتناعه بدعوتنا ، و إنما شعارنا معه ما أرشدنا إليه المصطفى (من قبل : (اللهم اغفر لقومي فإنهم لا يعلمون »)أهـ

واستبدل بهذا المبدأ الإسفاف والابتذال .. كما خطط لتلميذه محمود عساف .. وأصدر حسن البنا مجلة الكشكول الجديد .. وأدى محررو الإخوان وأصدقاؤهم الساخرون دورهم المنوط بهم ، كما أمروا به .. حتى انكشف أنهم تابعون للإخوان .. وذلك بعد أن نشرت الجريدة صورة لرجل يقبل امرأة .. فوصلت إليهم رسائل كثيرة : كيف تنحدرون إلى هذا الأسلوب المخالف لنهج الإخوان فى الرد على دعاة الحزبية .. وهو بيان عظمة الإسلام وعدم الرد على المسيء بالتجريح والسب ، كما علمهم شيخهم من قبل فى التعامل مع الشيوعيين.. عجب العامة كيف يقابل الإخوان الإساءة بالإساءة والمثل بالمثل . وعندهم حق فى ذلك. فهم لايعرفون الخطط السرية التى يتبعها شيخهم ، فى التعامل مع المخالفين . .

قال عساف : « وحمل إلينا البريد كثيرا من رسائل أصدقائنا من الإخوان المسلمين يعيبون علينا الخروج عن بعض الحدود التى رسمها الإخوان لأنفسهم فى محاربة الحزبية كما علمنا أن رسائل كثيرة بهذا المعنى أرسلت إلى المركز العام للإخوان المسلمين) (مع الإمام . ص/ ١٩٠)

وبعد أن التصقت بالجماعة تلك التهم الشنيعة . هل سيتحمل المرشد العام حسن البنا نتيجة فكره وخططه .؟ ويقول أنا الذى دبرت تلك المكيدة ، وخالفت القواعد التى وضعتها لكم . أم أنه سيتبرأ من المخالفين له فى الظاهر ، ويقول " ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين " . .

الجواب : تصنع المدبرون الاستقالة وقدموها إلى المرشد ، ليتحملوا بمفردهم سوء أعمالهم ، حتى لا تشوه صورة الجماعة ، ولا تشوه صورة المرشد العام .

وقالوا إن منهجنا يخالف منهج الإخوان .. وذلك بعد صدور أربعة أعداد من المجلة . جاء فيها :

« فقد انتوينا إصدار مجلة الكشكول الجديد بروح قد لاتتفق مع أسلوب الدعوة فى محاربة الحزبية ، وحتى نتحمل تبعة عملنا وحدنا أمام الله وأمام أنفسنا وأمام الرأى العام رأينا أن نرفع إلى فضيلتكم استقالتنا من الهيئة وتبعاتها وما يترتب على عضويتها ، راجين التفضل بقبولها مشكورين »(مع الإمام الشهيد. ص/ ١٨٩ ثم بينوا فى مجلتهم فيما بعد أنهم اختلفوا مع الإخوان فى الأسلوب مع اتفاقهم معهم فى مواجهة الحزبية ، قائلين : « فالإخوان يرون أن أفضل الوسائل لقتل الحزبية تقوية الأخلاق وبناء شعب جديد على الفضيلة والإسلام ، ولا يريدون أن يشتبكوا مع هذه الأحزاب فى حرب ينتصر فيها الحق الواضح وينهزم فيها الباطل الفاشل ، ولا يحبون أن ينزلوا فى ميدان التشهير بمخازى هذه الأحزاب ومساوئها حتى تحذرها الأمة.. ونحن نرى أن هذه الطريقة طويلة وأن موجة الفساد عاتية ، وأنه لابد أن ينضم إلى هذا الأسلوب الإنشائى البناء الهدم والتحطيم والفضح والكشف للرأى العام عن مثالب هذه الأحزاب ودجلها وتهويلها ... ولما ضقنا ذرعا بصبر الإخوان وطول أناتهم لم نجد بدا من أن نصدر هذه المجلة اللاحزبية بهذا الأسلوب الذى يراه القراء ، والذى نعتقد أنه يرضى كل من ضاق ذرعا بمفاسد الأحزاب . الخ ...» المصدر السابق . ص/ ١٩١ .

فنسبوا لأنفسهم الفكرة ، ولم يزجوا باسم المرشد العام فى المسألة .. فالمرشد برىء ، والإخوان أنصع من البياض ..لايمكن أن يخطئوا ، ولا أن ينزلقوا فى مهاوى التلون والخداع .. فقبل المرشد العام الاستقالة .. وقال لهم : « فقد تلقيت استقالتكما من الإخوان المسلمين ، وقرأت ما كتبتماه عن ذلك فى مجلة الكشكول فى عددها ، وعرضتها على الهيئة التأسيسية للإخوان فى اجتماعها الماضى ، فوافقت عليها شاكرة لكما جهودكما الصادقة فى خدمة الدعوة الكريمة سابقا ، وحسن استعدادكما لخدمتها لاحقا .. وقال لهم : « إنى وإن وافقتكما موافقة تامة فى وجوب محاربة الحزبية والاستعمار ومقاومة المبادىء الهدامة الفاسدة كائنة ما كانت ، فإنى لازلت

أخالفكما فى الأسلـوب على الصـورة التى رأيتها فـى الكشكول الجديد » (مع الإمام الشهيد. ص/ ١٩١-١٩٢) .

تبرأ منهم وزعم أنه يخالفهم فى الأسلوب .. وهو الذى دبر لهم الخطة ، ووجههم إلى مواجهة السباب بالسباب ، والسفالة بالسفالة ..قال عساف : «فكر الإمام حسن البنا فيما ينبغي فعله لمواجهة شتائم جرائد الوفد والرد على سفالتهم .. وكانت الفكرة جديدة لم تخطر على بال أحد وكلفنى بتنفيذها . . تلك الفكرة هى إصدار مجلة مستقلة تنبري فى الرد على جرائد الوفد بذات الأسلوب ...! » حتى إنه لم يرتض لجريدة الإخوان الرسمية أن تنزل إلى هذا المستوي الوضيع فى المواجهة ، كما بدا واضحا فى قوله : « لا سبيل للرد على سباب الوفد إلا بمثله ! بأسلوب رادع بشرط ألا يمس تاريخ وأدب الإخوان » (مع الإمام الشهيد. ص ١٨٤- ١٩٤)

فهو الذى اختار محرري مجلة الكشكول الجديد ، من الكتاب الساخرين .. للقيام بتلك المهمة التى تتناسب مع الفكرة التى وضعهـا فى مقابلة سباب الوفديين لـه .. ولا يزال الإخوان كذلك إلى الآن على نفس النهج . ما يتحرجون منه لا يكتبونه فى صحفهم الخاصة ، إنما يكتبونه فى صحف العامة ، حتى إذا انكشف أمرهم كذبوا الصحفى و الصحيفة ، أو اتهموه بعدم فهم كلام المرشد .

ولا مانع من التضحية ببعض الأفراد من الإخوان لمصلحة الجماعة ..

ولا شك أن هذا النوع من التفكير يفسر حقيقة علاقة حسن البنا بجميع الجرائم التى ارتكبها الإخوان فى زمن حسن البنا والأزمان التى تلته ..

وأوجه النظر إلى أنه على الرغم من هذا التوسع الذى ذكره محمود عساف فى تناول حسن البنا لتلك القضية و إيمانه بأنه لا يمكن إيقاف هجمة الوفد إلا بنفس الأسلوب الذى يقومون به ... إلا أن محمود عبد الحليم المؤرخ الإخوانى الكبير لم يشر إلى شىء من ذلك فى كتبه ، وإنما قال بأسلوب كله براءة وصفاء :

« ولم يقابل الإخوان هذا الهجوم الغادر بمثله ، بل تذرعوا بالصبر ، وواصلوا مسيرتهم فى هدوء ، وكان الأستاذ المرشد يتمثل بقول الشاعر :

من كان يخلق ما يقول فحيلتي فيه قليلـة ..(!)

(أحداث صنعـت التاريخ ١ / ٥٣١) .

وهذا يدل على أن حسن البنا كان يخفى عن أقرب الناس إليه كثيرا من خططه السرية التى تخالف ظاهر دعوته ... فهو فى الخفاء يعد العدة مع محمود عساف مدير مخابراته لمقابلة الإسفاف بالإسفاف ، وفى العلن مع عضو الهيئة التأسيسية محمود عبد الحليم والإخوان يواجه الإسفاف بالصبر والعفة .

التقية فى الأحكام ..

أيضا ومما يؤكد سلوك التقية فى منهج حسن البنا أنه كان يصف الملك فاروق بالوطنى الأول الحريص على الإسلام فى الوقت الذى كانت فيه مشاعر الإخوان ضد الملك بالسباب . بما يدل على أن ما كان يسره لأبتاعه عن الملك خلاف ما يظهره . ففى أحد رسائله قال للملك : « يا مولاى لقد برهنتم جلالتكم فى كل موقف على اعتزازكم بتعاليم الإسلام وحرصكم على أن تسود الروح الإسلامى النبيل مظاهر حياة شعبكم المخلص وكنتم فى ذلك خير قدوة » النذير.العدد الثانى٦ ربيع الثانى ١٣٥٧هـ) .

وفى رسالة أكتوبر ١٩٤٦م قال له : « إن جلالتكم وأنتم الوطنى الأول خير من تتحقق على يديه الآمال ، وتنصلح بسامى حكمته وجميل إرشاده وتوجيهه الأحوال » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤١٩) .

غير أن حقيقة الأمر داخل المجتمع الإخوانى كانت على خلاف ذلك . والذى يؤكد حقيقة مشاعر الإخوان قبالة الملك فاروق - الذى بايعوه على السمع والطاعة ما قالوه عنه بعد الثورة .. فقد وصفوه بالطفل ، الغر الفاسق ، اللص ، الطاغية.. خلافا لما وصفه حسن البنا أنه المسلم الحريص على الدين ، الوطنى الأول الحريص على شعبه .

فقد قال عنه الهضيبي الذى كان يسارع إلى سجل التشريفات الملكية مؤيدا ومحييا: « لقد كنت أشعر وأنا أصافح ذلك الرجل ثم وأنا أجلس معه أننى أمام طفل

صغير ، لا أشعر نحوه بأى رهبة ولا حتى باحترام» (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٥١٥) ووصفه الغزالى بالغر ، فى كتابه (الإسلام المفترى عليه . ص/ ١٤) قائلا : « فقد طرد مليكها الغر (فاروق) شر طردة ، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية ، التى طالما ارتكبها هذا الفاسق وأعوانه »أهـ

وجعله فى موضع آخر من أكبر الأصنام : « إن الحملات التى شنناها على الأصنام قد انتهت بتحطيم أكبر الأصنام قدرا »(الإسلام المفترى عليه.ص/ ١٤) ورماه سيد قطب بالسطو ، قائلا : « لم تكن أسرة ملكية بقدر ما كانت عصابة للسطو المنظم وغير المنظم ، عصابة شريرة باغية ، لا تعرف عدلا ولا رحمة ولا خلقا ولا ضميرا » (مجلة الدعوة عدد ٨٣ . ١٦ ذو الحجة ١٣٧١هـ).

ولقبه عبد الله السمان بالطاغوت الأكبر قائلا : « فمصر التى ظلت قرابة ثلاثة قرون من الزمن من عهد المماليك الطغاة إلى نهاية عهد حفيدهم الطاغية فاروق راكدة لا تتحرك » (مجلة الدعوة.عدد ٨٢ . ٣١ أغسطس ١٩٥٢م) ...

هؤلاء جميعا كانوا يحيونه فى المظاهرات والهتافات بإذن حسن البنا على هذا النحو . " يعيش الملك .. يحيا الملك " .

قال أحمد رائف : « وكانوا ينظمون المظاهرات تهتف بحياة الملك أثناء ذهابه إلى البرلمان ، وحتى يطمئن الأمن ويسمح للمظاهرة ، ويفسح لها الطريق وتقترب من موكب فاروق أكثر، هنا ترتفع الهتافات الإسلامية الإخوانية » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ١٣٠)

وقد ثبت استقبال حسن البنا للملك فاروق .. وذلك عقب انتهاء معسكر الإخوان فى الدخيلة بالإسكندرية . وفيه أمر حسن البنا أتباعه أن يلبسوا زي الجوالة لمقابلة الملك أمام مسجد السيد جابر . قال محمود عبد الحليم :

«وقد وضح هذا وضوحا تاما حين ذهبنا إلى المسجد واصطففنا أمامه ، وكنا أكثر من مائة جوال يتقدمنا الأستاذ المرشد بملابس الجوالة وحضر الركب الملكي يتقدمه الملك وبجانبه أحمد ماهر .. فحييناه " هاتفين له وللإسلام " ، فأخذ على ماهر

بيد الأستاذ المرشد وقدمه للملك فسلم عليه الأستاذ مصافحا باحترام » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ١٦٣) .

وبهذه الأحداث المتلونة والمفاهيم المقلوبة تأثر قطاع عريض من الشباب والدعاة والقادة الإخوانيين فى زمن حسن البنا بهذا التلون وهذا التذبذب .. فتتغير آراؤهم وأفكارهم فى لحظات ، دون دراية وفهم ، نتيجة للهزيمة النفسية التى يعيشون فيها ... والواقع الذى هو أكبر من طاقتهم الفكرية والعقلية ..

قال الغزالى فى كتابه (من معالم الحق . ص/ ٢١٦) : « وشهدت أخا فاضلا كان ينتقد تصرفات المرشد الحالى انتقادا مرا ، ويصفه فى مجالسه التى يشهدها بما لم يصفه به محمد الغزالى أو صالح عشماوى ..فإذا هو فى اجتماع الهيئة يدافع عن هذا المرشد نفسه دفاع الأبطال ويحاول فى – عصبية – أن ينفى عنه كل شبهة ويدرأ عنه كل نقيصة .. فسألت فى دهشة أتغير المرشد أم تغير الأخ ..؟

فقيل لى بل الأخ تغير...

كان غاضبا من قبل لأنهم افتاتوا على منصبه فى الدعوة ووضعوا فيه أحد المقربين ثم بدلت الحال غير الحال وأصبح المصفى المقرب مغضوبا عليه .. فرأى صاحبنا القديم أن الفرصة سنحت وأنه وشيك أن يسترد مكانته إن هو انحنى واستدار إلى العيوب والأخطاء بعين الرضا لا بعين الإنصاف .. » أهـ

فهل كان هذا التلون بعلم حسن البنا .؟ وهل تأثر الإخوان بطبيعة تكوينه وهزيمته الداخلية ، التى أثبتها سيد قطب . ؟ أم أنهم تأثروا بأسلوب إدارته للحوار مع أصحاب المذاهب المتعددة وتقربه إليهم ، كل حسب مذهبه .. من الشيعى الرافضى إلى النصراني إلى اليهودي ..؟

والجواب : نعم كان حسن البنا يظهر للواقع خلاف ما يبطن ، وكان يتعامل بالتقية التى تعلمها من نواب صفوى الشيعى والكاشانى وتقى الدين القمى .. فقد كان يمدح الملك فى رسائله الشخصية غير أنه كان فى حقيقة الأمر يسبه ويصفه بالطاغية ، وذلك فيما بينه وبين أتباعه .

قال فتحى العسال فى كتابه (الإخوان بين عهدين . ص / ١٠٦ . ١٠٧) نقلا عن حسن البنا أنه قال فى الملك فاروق وأعوانه : « إننا لا نثق بهؤلاء الطغاة .. الذين يستمدون سلطانهم من الطاغية الأكبر .. وكان يسميهم العبارقة أى عبيد فاروق .. قال العسال : « كان يعلم أن المجد وأن العز وأن الحرية لن تنال بمغرم يتصدق عليه به طاغية مجرم مفتون - يريد بذلك الملك فاروق - ثم رماه بالكفر وجعله من أهل النار قائلا : لا يسعنا أن نقول لمثل هؤلاء ونوجه إلى كل آثم منهم ﴿تمتع بكفرك قليلا إنك من أصحاب النار ﴾ [الزمر . ٨) ...» أهـ

التقية ملكة ومنهج ...

كان هذا المنهج ملكة يتعامل بها الإخوان مع مخالفيهم.. وتلك هى الحقائق:

١- الهضيبي وحل الجماعة ...

كان عبد الناصر على علم بأن مرشد الإخوان حسن الهضيبي يستخدم المناورة فى التعامل مع ضباط الثورة ، وهذا هو الذى أبعد المسافة بينهما. والشاهد على ذلك أن عبد الناصر قال فى اجتماعه مع وفد الإخوان :« إننى سبق أن تحدثت مع المرشد العام وقلت له إن الواجب يقتضى من الإخوان أن يحلوا تشكيلاتهم التى فى الجيش ويحلوا الجهاز السري حيث لا مبرر لوجودهما الآن بعد أن قامت الثورة ، فكان رد المرشد : إننا ليس لنا تشكيلات فى الجيش ونحن بصدد حل الجهاز السري ، فقلت له : يافضيلة المرشد أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان فى الجيش لا زالت موجودة ولكنه أصر على الإنكار»(أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٤٠٥).

فهل كان المرشد حقا يعمل على حل التنظيم السري بعد الثورة ، باعتبار أن الغاية التى أنشأت من أجله قد انتهت - الاحتلال - أم أنه كان يعمل على امتداده وإعادة هيكلته ، لتنفيذ استراتيجية الإخوان المعروفة وإطالة أمد النزاع . ؟

والجواب على ذلك : قرر المرشد العام عزل عبد الرحمن السندى من رئاسة التنظيم الخاص بحجة أن الدعوة لاحاجة بها إلى السرية . قال محمود عبد الحليم : « وكان الهضيبي قد عزله بعد أن أعلن أن لا سرية فى الدعوة »(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤٤) بينما الحقيقة خلاف ذلك ، فقد قرر المرشد توكيل حلمى عبد المجيد للقيام بمهام رئيس التنظيم السري .. قال أحمد رائف :

« قرر المرشد العام عزل عبد الرحمن السندى عن رئاسة التنظيم .. وصار حلمى عبد المجيد رئيسا للنظام الخاص بدلا من السندى ، وكان عليه مسئولية إبلاغ قيادة النظام بهذا التكليف الجديد.وكان حلمى عبد المجيد مناورا فجمع مجلس قيادة

النظام وتلطف فى إبلاغهم التكليف الجديد » (الصفحات .ص/ ٢٤٨)

وهذا هو الذى أفقد ثقة عبد الرحمن السندى ورفاقه فى مقام المرشد ، ولذلك انقلبوا عليه .. وكانت تلك المناورات من أهم الأسباب التى أدت إلى حل جماعة الإخوان ، كما جاء فى قرار الحل الذى أصدره مجلس قيادة الثورة ، الذى نقله السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص/ ٣٧٦) وفيه :

« بعد أن تعين الأستاذ الهضيبي مرشدا للإخوان لم يأمن إلى أفراد الجهاز السري الذى كان موجودا فى وقت الإمام الشهيد حسن البنا برئاسة السيد عبد الرحمن السندى فعمل على إبعاده معلنا أنه لا يوافق على التنظيمات السرية ، لأنه لا سرية فى الدين ، ولكنه فى نفس الوقت بدأ إعداد تنظيمات سرية جديدة تدين بالولاء والطاعة له » أهـ

٢- الهضيبي والصحافة ..

وإمعانا فى إظهار عدم الاتفاق مع الثورة ، وهروبا من تحمل المسئولية فى حالة الفشل صرح حسن الهضيبي لمندوب جريدة " المصرى " تصريحا قال فيه :

« ليس هناك صلات سابقة بين الإخوان والجيش . وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش فى حركته الأخيرة أمر غير صحيح » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٣٩) بينما الحقيقة أن للإخوان اتصالات بضباط الثورة بلغت إلى الحد الذى نسب فيه الهضيبي الثورة إلى الإخوان – وهى ليست كذلك – حتى إنه قال لحلمى عبد المجيد رئيس التنظيم الخاص الذى عينه بدلا من عبد الرحمن السندى : «بلغ عبد الرءوف (وأبو المكارم) عبد الحى أن هذه الحركة حركتنا ، ونريد لها النجاح، وعليهما ألا يدخرا وسعا فى ذلك »(الصفحات . ص/ ٢٥١)

٣- التقية عند مصطفى مشهور...

كان الأستاذ مصطفى مشهور عضوا فى التنظيم الخاص ، وقد قبض عليه فى قضية السيارة الجيب ، التى كانت تحتوى على أسرار التنظيم فى زمن الملك . وعندما تولى مسئولية الجماعة قام بمسايرة الواقع السياسي :

وقال لا مانع من التعددية الحزبية ، وطالب بحزب سياسي للإخوان ، وإن ترتب على ذلك وجود حزب نصراني(الإخوان سبعون عاما.ص/ ٢٦٠) .. غير أنه صرح بعد ذلك أن هذا الأمر مجرد تكتيك سياسي تسلكه الجماعة ، وليس استراتيجية عامة لها .. وصرح أن كل ما يدعو إليه الإخوان من النواحى السياسية فى فترة العمل الدعوى التى ليس لهم فيها سلطان ما هى إلا مناورات تفرضها الظروف ، أما الدولة فالأمر فيها بخلاف ذلك .. وقد وضح ذلك فى الندوة التى دعا إليها " مركز الدراسات الحضارية فى القاهرة " وقد نقل عنه فهمي هويدي في كتابه " الإسلام والديمقراطية . ط . مركز الأهرام . ١٩٩٣، ص ٨٤" قوله : « يحتاج الأمر إلى تفرقة بين مرحلة الدعوة ، حيث هناك أوضاع مفروضة على الإسلاميين ولا خيار للإسلاميين فيها . وبين نموذج الدولة التي يتصورها الإسلاميون .. وأنا لا أرى محلا في الواقع الإسلامي لفتح الأبواب أمام المخالفين للإسلام للدعوة لمبادئهم ، سواء كان هؤلاء من العلمانيين أو الشيوعيين ، وهذا من قبيل الوقاية التي ينبغي التماسها لتأمين المجتمع والدفاع عن قيمه الإسلامية وعافيته الإيمانية» أهـ

قلت : هذا سلوك باطنى . ومن الواجب أن يبين حكم الإسلام الذى زعم هو وجماعته أنهم متخصصون فى العيش من أجله والموت فى سبيله ، لا أن يتلاعب بالواقع ، مهما كان هذا الواقع ، فضلا عن المبادىء والأفكار. فالناس لا يلزمهم تاريخ الجماعة ولا فكرها ولا تجاربها ولا وجودها .. الناس يلزمهم كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وإجماع الأمة .

٤- التذبذب فى فكر محمد عاكف ....

لم يكن من الممكن أن يظهر الإخوان أنفسهم على الساحة السياسةإلا بعهد أمان .. فلم يكن لهم قوة فى الدين تحملهم بعد هذا الزمن الطويل الذى عاشوا فيه تحت الأرض أن يظهروا أنفسهم من تلقاء أنفسهم . فهم دون ذلك .

فقد كانوا يختفون تحت اسم " التيار الإسلامى " وكان الرجل منهم يخاف أن ينسب نفسه إلى الإخوان . فكيف بهم يظهرون بهذه الكيفية فى الانتخابات

البرلمانية عام ٢٠٠٥م .؟ لابد أن شيئا قد حدث .!

وباستقراء الأحداث يتبين أن تصريحات الآنسة كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية فى "واشنطن بوست" ٢٦ مارس ٢٠٠٥ أفادت الإخوان كثيرا فى هذا الأمر ، فقد أعلنت رايس أنها : « لا نعير اهتماما لمخاوف من انتصار الإسلاميين المتشددين وحلولهم مكان الأنظمة القمعية" ؛ لأن جذور التطرف تنشط في "غياب القنوات البديلة للنشاط السياسي » (إسلام أون لاين . نت . ٢٥ / ٣ / ٢٠٠٥م)

لعل هذا هو السبب الذى من أجله تأسد الإخوان .. وخرجوا فى انتخابات ٢٠٠٥م باسمهم القديم ، وقالوا " نحن الإخوان المسلمين ". وعلقوا الرايات السوداء فى جميع أنحاء مصر وعبروا عن أنفسهم بخطوط بيضاء ..

وبدأ الأستاذ عاكف يرفع درجة المواجهة ، وبدأ يستخدم ألفاظا سوقية ، فى أحاديثة الصحفية ، لاتليق بالدعاة إلى الله تعالى . ومن ذلك ما قاله تعقيبا على قول أحد الصحفيين الليبراليين " أنا لايحكمنى إلا مصري " فاعترض المرشد - الذى لايقبل أن يخرج منصب المرشد العام للإخوان من مصر إلى غيرها من الدول - قائلا له : « طظ في مصر وأبو مصر واللي في مصر »أهـ وتلك هى رواية الصحفى . أما الذى اعترف به الأستاذ المرشد . فقد قال كما فى موقع (إخوان أون لاين . ١٦ / ٤ / ٢٠٠٦م :« قلت له : " طظ فيك ، وفى مصر"» أهـ .

غير أنه حين قلبت أمريكا الترس ، وقالت على لسان روبرت زوليك نائب وزيرة الخارجية الأمريكية : « إن الولايات المتحدة تحترم الحظر القانوني الذي تفرضه الحكومة المصرية على الأنشطة السياسية لجماعة الإخوان المسلمين المعارضة، وتعتقد أنه منطقي » (إسلام أون لاين.نت/ ١٥-٧-٢٠٠٥) .

تغيرت الأمور وبردت التصريحات واستخدموا لغة النعامة ، وقالوا نحن نحترم منصب الرئيس ، ونريد أن نجلس معه ، نحن وطنيون ، لا نرضى بفرض الإصلاح من الخارج . . الخ ... فهم عند الكثرة العددية والضغوط الدولية يحملون الدولة كافة المصائب والمفاسد، ويخرجون بالمظاهرات ، ويضعون المجتمع على حافة

التفكك والانهيار . وفى وقت الضعف يبايعون ويتزلفون .. ويقولون يجب أن نتعاون مع الحكومة فى هذا التوقيت ، بدلا من تفتيت الجهود ، كما قال محمد عاكف فى ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م فى حوار أجرته معه جريدة " الزمان اللندنية " : « إن من يسعى إلى السلطات في مصر هذه الأيام جاهل ؛ لأن السلطات في حاجة إلى من يعينها على ما هي فيه الآن ، وقال:" إن هذا التوقيت يتطلب التعاون مع النظام الحاكم لإنقاذ الشعب مما لحق به ومما يعانيه هذه الأيام، بدلا من تفتيت الجهود» . وقال : «الإخوان لا يسعون للسلطة، بل يمدون أيديهم للنظام الحاكم للحوار، مشيرا إلى أنه " ليس هناك عاقل ينشغل هذه الأيام بالسعي للسلطة وسط تردي الأوضاع الداخلية مع تصاعد التحديات الخارجية. وقال : " إن هذه التحديات والأوضاع الراهنة تفرض على الجميع ضرورة تكاتف كافة الجهود لتخطي هذه التحديات . . وعن دور الإخوان في السياسة المصرية في الفترة القادمة شدد فضيلته على أن الإخوان سوف يعملون على ترسيخ الاستقرار ومد جسور الحوار، والتصالح مع السلطة للعمل على نهضة مصر»(إخوان أون لاين ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م.

هذا فى وقت الضعف ... غير أنه حين تحقق للجماعة بعض المقاعد فى مجلس الشعب قلب وجه المجن ، وأظهر القوة الحقيقية للجماعة ، وتطاول على الدولة والمجتمع . وقال فى حوار مع محمد عبد القدوس فى جريدة (الدستور١٥ ,يونيو ٢٠٠٥م) أقوالا لا تتناسب مع أخلاق الإخوان ، التى تعتز بها الجماعة ، منها قوله : « العقول التى تحكم مصر عقول عفنة !! لا ترى إلا تحت قدميها ، ولا تبحث إلا عن مصلحتها، وهم يكذبون على الناس ، ويستخفون بعقولهم» أهـ

وقال فى حق الأحزاب التى أتاحت له الظهور السياسي وفتحت له الطريق : «على الجميع أن يحمد ربنا لأننا لم نظهر القوة الحقيقية للجماعة فى هذه الانتخابات . فالقوة السياسية للجماعة تمكنها من المنافسة على غالبية مقاعد مجلس الشعب ، لكننا لم نخض الانتخابات بكل قوتنا الانتخابية ، وإنما بعدد متواضع لنعطى الفرصة للآخرين » (جريدة الغد فى ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٥م) ..

وعندما عاد لهدوئه وثاب إلى رشده دعا إلى المصالحة الوطنية ، ليحافظ على المكاسب التى أنفق من أجلها الملايين ، قائلا : « فإننا ندعو الجميع - بما فيهم أهل السلطة - إلى مصالحة وطنية تجمع القلوب والعقول والجهود وتصب فى وعاء مصلحة الأمة » (إخوان أون لاين - ١١ / ١٢ / ٢٠٠٥)

فكل موقف له صورة خاصة ، وكل مكان له حديثه المناسب .. فالصحف القومية والدولية لها تصريحات ، والصحف الإخوانية لها تصريحات . والدولة لها خطاب ، والأحزاب لهم خطاب ، والمجتمع أيضا له خطاب . بل والمجتمع الدولى له كذلك خطاب آخر .. وكل زمن له خطاب . ولكل حادث حديث ! فالأستاذ عاكف فى " آفاق عربية" رجل ثورى لن يهدأ له بال حتى يسقط النظام ، : « وقد أعلن الإخوان من قبل أنه إذا لم تتوافر إرادة الإصلاح عند النظام فلن يكون هناك إصلاح ، وأمام الإخوان وقت طويل للعمل على إسقاط هذا النظام الفاسد» (آفاق عربية ٢٢ ديسمبر ٢٠٠٥)

وما الكيفية التى سيسقط بها النظام ؟

أجاب كما نقل عنه الأستاذ صبحى مجاهد : « لوح المرشد العام للإخوان المسلمين محمد مهدي عاكف أن جماعته لن تتوانى عن إعلان إضراب عام أو عصيان مدني في مصر ما دام "سيحقق العدل والإنصاف والحرية للشعب"، ولكنه قال :"لم نصل بعد إلى هذا"» (إسلام أون لاين.نت/ ٨-٥-٢٠٠٥)...

أما عاكف فى الشرق الأوسط الصادرة فى ١١ ديسمبر ٢٠٠٥ فهو رجل مسالم ليس مشغولا بإسقاط النظام .قال : « أنا مشغول بكيفية النهوض بمصر، ومن يريد أن ينهض بمصر يتعاون مع الجميع ، وليس فى ذهنى إسقاط فلان أو علان ، فى ذهننا مصلحة مصر فقط، وحينما نتحاور مع أي حزب أو جبهة ونصل إلى شيء فيه المصلحة نحن معه» أهـ .

غير أنه بعد عدة أشهر نسى ما ره فى الشرق الأوسط من اتخاذ طريق الإصلاح وترك النزاع ، وعاد يتقمص صورة الزعيم المتهور مرة أخرى ، فقال فى

لقائه مع الأستاذ ماهر حسن فى جريدة العربي الناصري ردا على سؤال :

وهل تعتقد أنه في ظل نظام .. كالذي نعيش تحت وطأته أنكم قادرون على زعزعته ، أو على الأقل كسب أرض في ظله ..الخ ؟ فقال : « بالصبر والجلد والثبات نزحزح اللي خلفوه كمان . الخ » أهـ..

ومحمد عاكف فى حديثه مع وكالة " الأسوشيتد برس " يطمئن العالم الغربي ، ويقول نحن مع معاهدة السلام الموقعة بين مصر وإسرائيل ولن نغيرها . ولن نحارب إسرائيل كما نقل موقع الإخوان. نافذة مصر: « وسعى عاكف لتبديد المخاوف الغربية من الصعود اللافت لجماعته في هذه الانتخابات بالتأكيد على أن الإخوان لن يسعون ! لتغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل. وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها» أهـ .

غير أن عاكف مع جريدة " الموقف العربي المصرية فى ١٧ / ٦ / ٢٠٠٦م" أنكر معاهد السلام مع إسرائيل ، ورفض وفاء الإخوان بها فى حالة وصولهم إلى الحكم ، كما نقل عنه موقع " إخوان لاين. ١٨ / ٦ / ٢٠٠٦م " : « وأضاف عاكف أن الإخوان يحترمون الاتفاقيات والمعاهدات التي توقع ، غير أنهم لا يعترفون بهذه الاتفاقية ، كما أنهم لا يحترمونها » أهـ

وقد تأثر آخر موقف لعاكف من معاهدة السلام بالمفهوم الديمقراطي ، وذلك بعد طول ممارسة فى عالم السياسة . إذ علق الموافقة على معاهدة السلام على رأى الشعب . أما أقوال العلماء والأئمة الذين وافقوا على تلك المعاهدة فلا يعبأ بها.. وقد ذهب إلى ذلك ، قائلا : « نحن كإخوان نحترم كل الاتفاقيات الدولية التي تمت مع كل الدول الأجنبية، لكن معاهدة كامب ديفيد تحديدا وما تبعها من علاقات سياسية واقتصادية سنقوم بمراجعتها وعرضها علي الشعب في استفتاء ، فإذا رفضها الشعب ألغيت ، ذلك لأن المعاهدة وقع عليها نظام ديكتاتوري لم يأخذ رأي الشعب فيها ...» (الكرامة ٢٠٠٧/ ٥/ ١م)

٥- مناورات القرضاوى مع الصحافة ...

بعض الإخوان ينكرون دور الرئيس السادات فى فتح أبواب الدعوة لهم فى بداية السبعينات ، بعد أن أخرجهم من السجون والمعتقلات .. وقليل منهم من يثبت ذلك .. والشيخ القرضاوى ينكر هذا الدور إذا تكلم فى كتبه ومذكراته ، ويتهم من يثبته بالتهافت ، أما إذا تكلم فى وسط الصحافيين والمفكرين فإنه يثبت دور السادات ويقدره . أما إنكاره له .. فقد قال فى جريدة (آفاق عربية. ١٦ شعبان ١٤٢٥) : « وهكذا ولدت الصحوة ولادة طبيعية .. ومن هنا لا أجد معنى للذين يزعمون إنها نشأت بفعل فاعل ، وصنع صانع ، وإن الذى صنعها هو الرئيس السادات ، الذى أرخى العنان للإسلاميين ليضرب بهم الشيوعيين ..

وقد رددنا على هذا الكلام المتهافت فى كتابنا(الإسلام والعلمانية وجها لوجه) وبينا ما فيه من وهن وخلل ، وأنه عار من كل حجة ، وأن صحوة الشعوبلا يصنعها غير الشعوب ، ولو كان السادات صانعها لأمكنه أن يلغيها عندما رأى خطرها عليه» أهـ ...

أما ما ورد ضد ذلك .. فقد قال فى لقائه مع مجموعة من الصحافيين فى جريدة (الأهرام ١ أكتوبر ٢٠٠٤م) :

« وكنت أقول دائما وبصراحة إن الصحوة الإسلامية المعاصرة بدأت فى مصر وانتقلت منها إلى بلاد عربية وإسلامية شتى ، فقد بدأت أول ما بدأت حينما جاء الرئيس السادات (رحمه الله) وأخرج الناس من المعتقلات وأغلقها وترك للناس الحرية ونادى بسيادة القانون وأصبحت هذه الصحوة بعد انطلاقها فى مصر تملأ الآفاق فى المشرق والمغرب» أهـ .

وتلك المواقف توضح مدى تذبذب القرضاوى ، وضعفه أمام التاريخ ، خاصة إذا تعلق الأمر بالحكام المخاصمين لحركة الإخوان . وتؤكد عدم الأمانة العلمية فى المسائل الدينية ، تلك التهمة التى اتهمه بها الدكتورصالح بن عبد الله الفوزان فى كتابه (الإعلام بنقد كتاب الحلال والحرام ص/ ٣٣) تعليقا على نقل

القرضاوى لكلام القاضى ابن العربى فى كتابه " الحلال والحرام " الذى زاد فيه ونقص ، فى فتوى ذبائح أهل الكتاب مبينا : « أن المؤلف تصرف ـ هداه الله ـ فيما نقله من كلام ابن العربى فزاد فيه ونقص وغير بعض كلماته ـ وهذا عمل يتنافى مع الأمانة العلمية والخشية الإلهية » أهـ

أما قوله : « لو كان السادات صانعها لأمكنه أن يلغيها . الخ »

فهذا يقال فى الخلق .. يعنى لو كان خالقا بنفسه لأفناها بنفسه ، أما المخلوق فهو قاصر عن إدراك شئون نفسه .. فكيف يدرك أمور الخلق .؟ وليس بمجرد الأسباب يدرك المرء ما يشاء .

أما قوله " صحوة الشعوب لايصنعها غير الشعوب " فهو محل نظر .

وهو قول ناتج من كون الإخوان لايعترفون بدور الحكام فى قيادة الأمم وإيقاظ الهمم .. والأمر كله لله تعالى .. هو الذى صنع ، وهو الذى دبر ..

فهل تحديد القرضاوى لبداية الدعوة فى مصر كان فى زمن السادات حقا أم أنه بدأ بعد هزيمة ١٩٦٧م فى زمن عبد الناصر.؟

نرجع إلى القرضاوى لنرى كيف تختلط عليه الأمور !

قال القرضاوى : « وهذا ما حدث بعد ٦٧ فقد حدثت يقظة دينية عامة ، وأحس الجميع بفقرهم إلى الله ، وتنادى الناس بضرورة التوبة إليه والوقوف على بابه جل وعلا ، وتجلى أثر ذلك فى المساجد وفى البيوت وفى الجامعات وفى الجيش وفى غيرها.. الخ » (آفاق عربية . ١٦ شعبان ١٤٢٥هـ) .

فالدعوة فى زمن عبد الناصر انتشرت بين جميع فئات المجتمع ، حتى طالت الجيش والسلطة ..

فهل سيثبت القرضاوي على ما قاله .. أم ستتغير به الأمور . هل السادات هو الذى فتح الباب للصحوة .. أم أنه لا علاقة له بها.؟

هل نكبة يونيو ١٩٦٧م أحدثت يقظة عامة فقط .. أم أنها فتحت باب الحرية

للحركات الإسلامية فى الدعوة إلى الله .. ؟

هذه هى تقلبات القرضاوي . ولذا أقول لا بد من مراجعة هذا التاريخ مرة أخرى ، والتثبت مما قاله الإخوان عن تلك الحقبة وما أشاعوه ، وعدم التسليم لهم فى دعاواهم .. خاصة أنهم أقاموا دعوتهم على هذا التاريخ ، وزكوا أنفسهم ونالوا به المكانة والوظائف فى دول الخليج ..

الجماعة الأم ..

يتباهى الإخوان دائما ويزعمون أنهم الجماعة الأم ، وأنهم الأساس فى النهضة الدينية .. وقد أشاعوا ذلك فى المملكة السعودية ليتحقق لهم السبق فى كل ما يخص الإسلام .. وهذا كذب صريح مخالف لحقيقة الواقع ، ذلك لأن أول جماعة دعوية أنشأت فى مصر كانت جماعة أنصار السنة المحمدية التى هى امتداد لدعوة السلف أهل الحديث (رضى الله عنهم) . وقد أنشأها الشيخ محمد حامد الفقى (رحمه الله) عام ١٩٢٦م ، ثم نشأت بعدها الجمعية الشرعية عام ١٩٢٧ ، ثم أنشأت حركة الإخوان فى أواخر عام ١٩٢٨م ..

فليست جماعة الإخوان هى الجماعة الأم ، غير أنه يصح أن تكون كذلك باعتبار تولد جميع المنظمات التكفيرية والانقلابية منها ، فقد كانت كتب أدبائهم ومفكريهم المصدر الأول لهذا الفكر فى العالم الإسلامي .. أما أنهم كانوا سببا رئيسيا فى نشر الدعوة فى الجامعات المصرية فى فترة السبعينات ، فهذا أيضا غير صحيح ، ويوضح ذلك القرضاوى نفسه ، فيقول فى مجلة (آفاق عربية . عدد ٦٧٧) : « إن هذه الجماعات الإسلامية التى ظهرت فى الجامعات لم تكن فى أول أمرها مرتبطة بأى جماعة ، ولم تنشئها أى جماعة لا الإخوان ولا غيرهم ، لقد كانت نشأة عفوية تلقائية ، من صنع الأحداث ، وبترتيب قدري إلهي . وسرعان ما أصبح لهذه الجماعات صوت مسموع ، ولواء مرفوع » أهـ .

٦- مناورات أبو الفتوح ..

يعتبر عبد المنعم أبو الفتوح " عضو مكتب الإرشاد سابقا " الوجه الليبرالي المعاصر لحركة الإخوان المسلمين . ومناوراته لها مجالات متنوعة. فهى لا تقف عند حد التلاعب السياسي ، وإنما تمتد إلى التلاعب الفكرى فى ساحة الحوار المفتوح مع الأدباء والمفكرين. ففى لقائه مع قناة " الجزيرة الفضائية " أكد أن الإخوان لايسعون إلى إسقاط الأنظمة ، وإنما يسعون إلى إصلاحها ، قائلا : « نحن لا نسعى لإسقاط الأنظمة ، لكن نسعى لإصلاحها ولتغييرها » (الجزيرة نت ١٤ / ٢ / ٢٠٠٥ م) غير أنه فى لقائه مع جريدة (الكرامة . الثلاثاء ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٥م) يتمنى العصيان المدنى ، والوصول إلى الحكم ، فيقول : « نحن نشارك الآن فى العصيان السياسي ، وقاطعنا الاستفتاء. والعصيان المدنى أمل نتمنى أن نصل إليه بوعى شعبي ونضج سياسي ، يستلزم أولا بذل جهد ومظاهرات شعبية واسعة » أهـ.

* أما بشأن التلاعب الفكرى ..فابتداء أقول : منذ ما يقرب من خمسين عاما كتب الأزهر تقريرا حول رواية " أولاد حارتنا " التى ألفها الروائى نجيب محفوظ ، وأصدر توصية للرئيس عبد الناصر بمصادرتها . وقد استجاب لها بالفعل .. وقد ذكر الغزالى ذلك فى مناقب عبد الناصر ، فقال : « لقد ألف الأديب الكبير نجيب محفوظ روايته " أولاد حارتنا" ، وكان ذلك من خمس وثلاثين سنة ، والرواية فيها إزراء على الإلهية والنبوات ومواريث الوحى كلها ، وقد طلب الأزهر مصادرتها ، واستجاب جمال عبد الناصر للطلب»(الحق المر.عدد١٤ , - ص/ ٢٢)

وقد استجاب نجيب محفوظ لذلك .. وأصر على عدم نشرها فى مصر إلا بعد موافقة الأزهر ، غير أنها كانت تنشر بإذنه فى بلاد أخرى. فماذا يفعل الإخوان الآن وهم يعدون أنفسهم للحكم .. والتكتيك فى مثل هذه الظروف قائم على مسايرة الواقع ، وتجنب الصدام مع أقطاب المجتمع ، اكتفاء بالصدام مع الدولة .. ولا بد من طمأنة أصحاب الفكر والفن والثقافة – ولو تصادم ذلك مع الإسلام أو على الأقل مع مواقف إخوانية سابقة – لأجل أن تكف ألسنتهم عن نقد الإخوان أو

التعرض لتاريخهم القديم ..

فمن يقوم بهذا الدور؟

دائما ما يزعم عبد المنعم أبو الفتوح أن أقواله تعبر عن الشريحة العظمى لجماعة الإخوان ، كما تقدم .. وبناء على ذلك سعى إلى المنتديات والصالونات ، ومعه حقيبة التنازلات والرخص التى يقدمها الإخوان لكافة الخصوم من أجل الوصول السياسي .. وعند زيارته للروائى نجيب محفوظ قام يضرب بلسانه كل معارض لفكره ولفكر الإخوان .. ابتداء من علماء التوحيد في المملكة السعودية وعلماء الأزهر فى مصر ، وانتهاء بالأديب الأستاذ سيد قطب ، كما طال لسانه أيضا الدكتور/ جابر قميحة ، وهو أحد الأدباء المشاهير فى دعوة الإخوان .. فصار يطعن في أدبياته ويحتقر شعره .. وفتح المجال لنشر الأعمال الفكرية باختلاف صورها ، حتى ولو كانت تدعو إلى الكفر والإلحاد ، وذلك بحجة حرية الإبداع والفن والثقافة .. فلا حق لأحد أن يصادر فكرا مهما كان هذا الفكر .. وليترك لهذا الفكر التغلغل فى الأمة ، وليسمعه الناس باختلاف ألوانهم وثقافاتهم ، وليصد عن سبيل الله من يصد ، ومن أراد أن يرد فليرد .. قال أبو الفتوح فى تلك الزيارة : « لم يكن لدينا أي موقف ضد الإبداع حتى لو سار في طريق الزندقة والإلحاد؛ لأن الفكر لا يقاوم إلا بفكر . ونحن ضد صدور قرارات إدارية من أي جهة بما فيها الأزهر بمصادرة قصص وروايات أو أي إبداع فني ، وعلى من لا يعجبه أي إبداع فني من أي جهة أن يكتب ضده أو يؤلف ضده أو يعمل فيلما ضده»(إسلام أون لاين ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٥م)

وعلى الرغم من أن الروائى الأديب نجيب محفوظ رفض نشر روايته " أولاد حارتنا " إلا بعد موافقة الأزهر ، لأنه يعلم أنها الهيئة المنوط بها النظر فى مثل هذه الأمور ، حتى ولو رفع الأمر للقضاء ، فإن القضاء بدوره لن يحكم فى شىء إلا بعد النظر فى رأى الأزهر ، إلا أن عبد المنعم أبو الفتوح داهن نجيب محفوظ ، ودعا إلى نشر تلك الرواية ، دون انتظار لرأى الأزهر ، مع ما فيها من إشارات تتنزل بالضرورة على الأنبياء والرسل .. وما فيها من طعن فى الربوبية والإلهية والتاريخ النبوى ، ورفع

للحضارة الغربية على التاريخ الإسلامي .. كما شهد بذلك مشايخ الأزهر فيما نقله عنهم الشيخ الغزالى .

سأل الروائى يوسف القعيد عبد المنعم أبو الفتوح ، قائلا : هل توافق على نشر رواية " أولاد حارتنا "؟!

قال أبو الفتوح : « بالتأكيد يجب أن ننشر، بل أرفض موقف الأستاذ نجيب محفوظ الذي يصر على موافقة الأزهر قبل النشر، أنا أرى أنه ليس هناك داع للحصول على هذه الموافقة ، بل يجب أن ننتقدها .

وأوضح أبو الفتوح أنه قرأ أولاد حارتنا منذ فترة طويلة ، وأضاف : التحدي الحقيقي لنا جميعا هو الفقر وليس الإبداع !»(إسلام أون لاين ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٥م) (العربى . ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥م).

وإمعانا فى إرضاء الأدباء بكل سبيل قام أبو الفتوح بحملة تشنيع بالغة على كتابات د/ جابر قميحة وشعره ، الذى تنشره آفاق عربية . حتى جعل كتاباته لم تكن إلا نتيجة لعزوف المثقفين الحقيقيين عن الكتابة فى تلك الجرائد.

قال يوسف القعيد : إن هناك جريدتين تنتميان إلى جماعة الإخوان هما " آفاق عربية" و" الأسرة العربية " وصفحات الفن والثقافة منهما ليس لهما علاقة بالفن والأدب.. قال أبو الفتوح : « أنا ضد ما يكتبه جابر قميحة من شعر وكتاباته ليس لها علاقة بالفن أو الثقافة ، ولكن وصلت هذه الصفحات إلى ما هي عليه بسبب عزوف بعض المثقفين عن الكتابة والنشر في هذه الجرائد » (إسلام أون لاين ٢١ / ١٢ / ٢٠٠٥م) (العربى . ٢٥ ديسمبر ٢٠٠٥م)

الوجه الآخر..

هذا هو ما قاله عبد المنعم أبو الفتوح فى وسط المفكرين والأدباء .. أدى دوره المنوط به ، وطمأن المفكرين ، كما طمأنهم من قبل سيد قطب فى كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية.ص/ ٨٤) ، وقال إن التحدي الحقيقى لجماعة الإخوان هو فى الفقر وليس فى الفكر والإبداع . ولكنه عندما خرج عن النطاق العملى الذى

أداه في محيط الأدباء والمفكرين انقلب على نفسه وعلى دوره السابق .. فبعد أن كان يقول يجب نشر رواية " أولاد حارتنا " ، قال إنه لا يطالب بنشرها ، وذلك في جريدة الخميس ٥ / ١ / ٢٠٠٦م : « أما عن موضوع أولاد حارتنا فأنا أختلف مع الرواية ، وأكدت ذلك لمحفوظ أثناء زيارته ، إلا أنه ليس معنى ذلك أني أطالب بنشرها»أهـ ...

وأجاب على اعتراض سابق للإخوان على نشر تلك الرواية بأنه متعلق بنشرها وطبعها على نفقة دافعي الضرائب ، كما أصل في اعتراض جمال حشمت على رواية " أعشاب البحر " . وليس على مضمون الرواية من الناحية الدينية ..

وبعد أن أسقط د/ جابر قميحة وضيع شعره ، وجعل ظهوره في الجرائد الإخوانية لم يكن إلا بسبب غياب القنوات البديلة . زعم أنه يكن له كل احترام وتقدير ، قائلا :« أما بخصوص جابر قميحة فأنا أختلف معه في بعض كلماته الشعرية التي يستخدمها إلا أن ذلك لا ينفي أنه محل تقدير واحترام »(جريدة الخميس ٥ / ١ / ٢٠٠٦م) ..

أبو الفتوح والغزالي..

فقال بشأن رواية " أولاد حارتنا " : انشر ولا تنتظر رأي الأزهر ! وفي موضع آخر قال : لست مع نشرها.! وفي شأن الدكتور جابر قميحة قال إنه ضد كتاباته ! وفي موضع آخر قال إنه ضد بعض كتاباته ، وإنه يكن له كل احترام. فأيهما نصدق " أبو الفتوح " الذي هنأ نجيب محفوظ بعيد ميلاده في فرح توب وأعطاه قلما فاخرا هدية ، وقال له : « كم نحن فرحون أن يدك عادت للكتابة مرة أخرى بعد أن أراد الظلاميون أن يسكتوا هذه اليد وهذا الصوت»أهـ أم " أبو الفتوح " الذي في جريدة الخميس !

أما بشأن رأي محمد الغزالي في رواية " أولاد حارتنا " فقد فوجيء عبد المنعم أبو الفتوح من قبل الأستاذ ماهر حسن " الصحفي بجريدة العربي " بوجهة نظر الغزالي في الرواية . كما فوجيء بالتوصية التي رفعها للأزهر بشأنها ، والتي تنص على رفضها جملة وتفصيلا . حينئذ لم يعلق المذكور على ما قاله الغزالي ، وانصرف إلى المعارضين له ، واتهمهم بانتهاج الفكر التكفيري . قال الأستاذ ماهر حسن : «

الكثير من أفكارك الدينية تدين بها للشيخ الغزالي الذي وصفته بالمعتدل والمستنير ، ولكن الشيخ الغزالي هو الذي رفع توصية بمصادرة " أولاد حارتنا " لنجيب محفوظ ، ثم وجدناك تذهب لمجلس نجيب محفوظ تهنئه بعيد ميلاده ، ثم لوحقت بعد ذلك بتصريحات إخوانية مفادها أن عبدالمنعم أبوالفتوح لا يمثلنا ..

قال أبو الفتوح – التصريح لم يكن إخوانيا ، ولكني لوحقت بتصريحات من عناصر تكفيرية فيما يشبه الزوبعة ، وحينما زرت نجيب محفوظ كنت أعبر تعبيرا كاملاً عن توجه الإخوان ، وكون هذا لم يعجب أصحاب الفكر الديني المتشدد ، فهذا أمر آخر » (جريدة العربي في ١٥ إبريل ٢٠٠٧م) ..

هذا المذكور لا يريد الحق ولا مرضاة الله تعالى ، إنما يريد فقط أن يتجنب هجمة الأدباء والمفكرين ، التي لاتقوى أمامها بيوت الإخوان العنكبوتية .. لتقف الجماعة على قدميها ، وتعبر الأزمات والمحن دون عوائق ..

أما رأي الغزالي المناهض لفكره فلا نظر ولا تعليق . ولتصب اللعنات فقط على مخالفيه في التوجه السياسي المعاصر..

وقد استشعر بعض المفكرين المعاصرين هذا التلون في لغة عبد المنعم أبو الفتوح، حتى شككوا في حقيقة دعوة الإخوان ، وماذا يمكن أن يفعلوا إذا وصلوا إلى الحكم ، بينما هم يقدمون التنازلات تلو التنازلات في المرحلة الدعوية التي تمثل مرحلة المبادىء والثوابت. .

قال الصحفيان عبده زينة وعبد الحفيظ سعد :

« ولم يلق كلام أبو الفتوح قبولا لدى الدكتور يحيى الجمل " أستاذ القانون الدستوري " ، الذي اعتبر أن ما قدمه أبو الفتوح لا يعدو كونه تكتيكا استراتيجيا جديدا من جانب الجماعة. وقال إنه تبقى هناك شكوك حول ما يمكن أن يقوم به الإخوان في حال وصولهم إلى السلطة ».(الشرق الأوسط .العدد ٩٦٧٥)

ولله در محمد عبد الجليل القدسي حين حذر منهم قائلا :

واحذر من الإخوان حقا إنهم ... حزب تعدى شرعة الرحمن

أخذوا التلون والنفاق شعارهم ... ورضوا بتقليد لذى الطغيان .

رابعا : عداوة العلماء والأئمة ..

تعرض أنبياء الله (صلوات الله عليهم) لكثير من التهم الباطلة .. فالنبي محمد ﷺ قال عنه أعداؤه ساحر كذاب ، وقالوا مجنون .. فمحاربة أهل الباطل لأهل الحق عادة مستمرة ، ومكرهم دائم بالليل والنهار .. ومن الواجب على الدعاة إلى الله تعالى أن يقولوا الحق ، لا يشغلهم حكم أهل البدع . اكتفاء بحكم الله تعالى ، فهو أعلى وأجل .. ويحرم عليهم كتمان الحق .. ولو أنهم كتموه رجاء السلامة واتقاء التهم ، واجتمع مع ذلك غلبة أهل البدع ، لم يمكن للعامة أن يفرقوا بين الضلال والهدى .. قال أحدهم للإمام أحمد : « إنه يثقل على أن أقول فلان كذا وفلان كذا " فقال : إذا سكت أنت وسكت أنا فمتى يعرف الجاهل الصحيح من السقيم ! » (الكفاية فى علم الرواية للبغدادي.ص/ ٤٦) وقال الإمام ابن القيم : « ومعلوم أنه إذا ازدوج التكلم بالباطل والسكوت عن بيان الحق تولد بينهما جهل الحق وإضلال الخلق »(الصواعق المرسلة.ص/ ٥٢).

وبداية القول في تلك القضية أن عامة الإخوان يربون شبابهم وأطفالهم فى أول الأمر على الحذر من المجتمع عامة ، وذلك بالعزلة الشعورية التى ورثوها من أشياخهم ، وكذلك بالحس الأمنى ، الذى هو أحد ضرورات الدعوات السرية ، حتى إذا وثقوا منهم أطلقوهم على الناس ، ليصطادوا منهم من يتلاءم مع منهجهم وسلوكهم .. متفاخرين بأن من ينتمى إليهم هم فقط علية القوم وأرفعهم فى الدرجات .. ليوهموا العامة أنهم على الحق ..

وغالبا مايشكك دعاة الإخوان فى نوايا الناصحين والمنتقدين لهم ، فيتهموهم بالعمالة والسقوط والتذبذب ، ظانين فى أنفسهم الوصاية على الدين ، وأن غيرهم متطفل عليه .. فإذا انتقدت جماعة الإخوان فى أى منتدى وفى أى صحيفة فاعلم أن التهمة المجهزة لك هى العمالة أو حب الظهور .

وهذا الاتهام غالبا ما ينتج من أصحاب الدعوات العاجزة التى لا تقوى على

بيان الحق ، فتعمد إلى رمى الناس بالباطل لأجل أن تحافظ على بقائها .. فهم يعلمون أن دعوتهم ليست مؤسسة على قواعد عقائدية علمية ، بقدر ما هى مؤسسة على العواطف ، وقبل أن ينفرط العقد وتذهب الجماعة فى السراب بسبب ما يوجه إليها من نقد تقوم بإدراك هذا الانهيار المتوقع بتوجيه أقصى التهم للآخرين ، حتى ينتهوا .. كأنهم يقولون لأتباعهم ليس عندنا خلل ، الخلل فيمن ينتقدنا .. والجهل وعدم الفهم فيمن يتعرض إلينا .. نحن الدعوة التى تحارب ، ولا يحارب إلا أهل الحق .. وهكذا رفعوا منظورهم البشرى القاصر إلى موقع القداسة .. لا ينتقد ولا يعترض عليه ، كأنه وحى ثابت ، لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه ..

ونحن بالضرورة نبين أن أمر الإسلام ليس خاصا بهم ، والولاء للإسلام ليس مقصورا عليهم ، ونبين كذلك أن كلامنا ليس لصالح أعداء الله ، ولا لصالح أهل البدع ، إنما هو لصالح الإسلام ولحساب الأمة ، نبتغي بذلك الله تعالى والدار الآخرة..

سر العداوة ..

يظن جمع من شيوخ الإخوان أن الإسلام كان نائما فى وسط القرن الرابع عشر الهجري ولم يصح إلا على أيديهم . قال حسن البنا فى الرسائل : « والفرق بيننا وبين قومنا بعد اتفاقنا في الإيمان بهذا المبدأ أنه عندهم إيمان مخدر نائم في نفوسهم لا يريدون أن ينزلوا علي حكمه ، ولا أن يعملون بمقتضاه ، علي حين أنه إيمان ملتهب مشتعل قوي يقظ في نفوس الإخوان المسلمين » أهـ

أما أهل الحديث فإنهم يرون الأمة ممتدة موصولة غير مقطوعة ، لا تزال فيها طائفة قائمة بالحق ، لم تغفل ولم تنم ، حتى تحتاج إلى صحوة الإخوان ، تلك الطائفة قائمة على الحق ، تعلم الناس التوحيد والسنة ، وتغربل مفاهيم الإخوان غربلة دقيقة . . وهذا مما يضيق على الإخوان سبلهم .. فهم يريدون شباب الأمة أبواقا تنعق خلفهم . وأهل الحديث يأبون ذلك .. هذا هو الذى أسخط الإخوان عليهم ، وجعلهم أخطر أعدائهم. وتلك من أكبر علامات أهل البدع .. بغضهم لأهل الحديث

والسنة .. والوقيعة فيهم ..

قال أبو حاتم الرازي: « علامة أهل البدع الوقيعة في أهل الأثر » (شرح أصول اعتقاد أهل السنة . ١ / ٣٩) قال أحمد بن سنان : « ليس في الدنيا مبتدع إلا يبغض أصحاب الحديث » (تذكرة الحفاظ . ٢ / ٥٢١) .

وتلك علامة من علامات إفلاسهم وضعف حججهم .. وأمثال هؤلاء فى سخط الله تعالى حتى يتوبوا ، قال رسول الله ﷺ : « من خاصم في باطل وهو يعلمه لم يزل في سخط الله حتى ينزع ، ومن قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال ، حتى يخرج مما قال وليس بخارج » رواه أبو داود ، صحيح الجامع برقم ٦١٩٦) ومعنى ردغة الخبال : عصارة أهل النار.

قال الشيخ عبد اللطيف حسن : « من عادة أهل البدع إذا أفلسوا من الحجّة، وضاقت عليهم السبل تروحوا إلى عيب أهل السنة وذمّهم ، ومدح أنفسهم » (مجموعة الرسائل . ٣ / ١١١) .

وقد ظهر عداء الإخوان لأهل الحديث ودعاة التوحيد فى العصر الحديث ظهورا جليا فى أفغانستان ، وذلك حين قام إمام دعوة التوحيد الشيخ جميل الرحمن (رحمه الله وأنزله منازل الشهداء) بالدعوة إلى التوحيد الخالص فى ولاية " كنر " ودرس كتب أئمة التوحيد، التى ترفع ذكر الله وحده وتبطل الشرك ؛ فاجتمعت عليه فصائل الضلال ممن سموا أنفسهم بالمجاهدين ، بما فيهم فصائل الإخوان ، فقتلوه حقدا على دعوة التوحيد وعلى أهلها ، والله من ورائهم محيط ، فلم تجتمع لهم كلمة ، ولم يبق لهم دولة ، وصاروا كأمس الذاهب .

قال المحدث مقبل الوادعي في (تحفة المجيب . ص/ ٢٠٣) :

« وقد قال قائلهم : لو أن ولينا من الأمر شيئا لبدأنا بكم يا أهل السنّة قبل الشيوعية .. وشاهد على ذلك ما حصل لأهل كنر فى أفغانستان الشيخ جميل الرحمن ومن كان معه (رحمه الله) ، وأبادوا الدعوة وأفنوها فى كنر وذبحوا رجالها» أهـ

وصدق الإمام ابن تيمية إذ يقول : « وقد اتفق أهل العلم بالأحوال أن أعظم السيوف التى سلت على أهل القبلة ممن ينتسب إليها ، وأعظم الفساد الذى جرى على المسلمين ممن ينتسب إلى أهل القبلة ، إنما هو من الطوائف المنتسبة إليهم ، فهم أشد ضررا على الدين وأهله» (الفتاوى . ٢٨ / ٤٧٩) .

تلك حقيقة تعامل الإخوان مع الجماعات المخالفة لهم ، خاصة مع أهل الحديث أنصار السنة .. إذا كانوا فى بداية نشأتهم استخدموا معهم الأسلوب القمعى، حتى لا تقوم لهم قائمة . وإذا كانوا قلة ولهم جهد فى الدعوة إلى الله تصيدوا المتميزين منهم بأساليب خسيسة ، ليزكوا بهم جماعتهم .. وإذا كانوا قوة ظاهرة استخدموا معهم أسلوب التقية ، وقالوا نحن إخوة على طريق واحد ، تجمعنا القاعدة الذهبية : " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه " .. وهم من الصنف الذى يظهر المودة والمحبة والسلام والتحية ، تظاهرا أمام من يسعون فى كسب ودهم فقط .. وهم فى حقيقة الأمر يضيقون الخناق وينشرون الأكاذيب والشائعات .. قال محمد بن سيف العجمى : « يشن الإخوان المسلمون المبايعون فى كل بلد إسلامى تقريبا حربا لا هوادة فيها على جميع الجماعات الإسلامية ، التى لا تنطوى تحت جماعتهم » (الوقفات . ص/ ٧٦) .

وإن ربك لبالمرصاد . والله من ورائهم محيط ..

تطاولات الإخوان على الأئمة والمشايخ ..

١- تطاول الإخوان على مشايخ الأزهر ...

لم يترك الإخوان أحدا خالفهم إلا وتطاولوا عليه . ولم يقف حد التطاول عند طائفة بعينها فقد طال السلف والخلف على السواء ... فقد سبق لحسن البنا أن سفه حقيقة الخلاف الدائر بين أئمة السلف وبين المعطلة فى باب الأسماء والصفات ، واتهمهم بالتطرف والغلو .. بقوله : « ولو بحثت الأمر لعلمت أن مسافة الخلف بين الطريقين لا تحتمل شيئاً من هذا لو ترك أهل كل منهما التطرف والغلو » (ص٧٤/ رسالة العقائد).

ولا يخفى أن الغاية التى ينتهى إليها هذا التوجه أن تبقى جماعة الإخوان المصدر الوحيد للمجتمع ، والقبلة الأولى للأمة . ولم يكن الأزهر بمشايخه بعيدا عن هذا اللمز . قال محمود عساف : قلت للإمام مرة : شتان ما بين هؤلاء . يقصد (محمد الغزالى ، زكريا الزوكة ، عبد المعز عبد الستار ، الشيخ سيد سابق) وبين باقى رجال الدين الأزهريين . فقال : « إن هؤلاء رجال دعوة ، أما أولئك فهم ليسوا رجال دين ، بل رجال علم الدين !! » (مع الإمام الشهيد ص/ ١٢٨) .

وقد اتهم سيد قطب علماء الدين باختلاف ألوانهم أزهريين وغير أزهريين بالتسكع فى الحياة والاتجار بالدين ، قائلا : « فليطمئن المخلصون من المفكرين ورجال الفنون ومن إليهم أن حكم الإسلام لن يسلمهم إلى المشانق والسجون ولن يكبت أفكارهم ويحطم أقلامهم وينبذهم من حمايته ورعايته . ولا يأخذوا الصيحات التافهة التى يصيحها اليوم رجال الدين المحترفون فى وجه بعض الكتب وبعض الأفكار حجة !! فإنما هذه الصيحات تجارة راحة اليوم وحرفة كاسبة ، لأنهم يعيشون فى عهد الإقطاع الذى يقيمهم حراسا لمظالمه وجرائمه ، ولكى يبرروا وجودهم فى أعين الجماهير يطلقون هذه الصيحات الفارغة بين الحين والحين ، فأما حين يكون الحكم للإسلام ، فلن يبقى لهؤلاء عمل ، فسيكونون مجندين لعمل منتج نافع هم وبقية

المتعطلين المتسكعين من كبار الملاك ورجال الأموال ومن الموظفين والمستخدمين فى الدواوين . الخ » (معركة الإسلام والرأسمالية.ص٨٤/)

وقال فى نفس كتابه (ص/ ٦٣) : « فهؤلاء ـ رجال الدين ـ أبعد خلق الله عن أن يمثلوا فكرته ويرسموا صورته لا بثقافاتهم ولا بسلوكهم ، ولا حتى بزيهم وهيئتهم. » أهـ ...

فهل كان علماء الهدى وأئمة الدين متسكعين ، يتاجرون بالدين ، عملاء للإقطاع ، حراسا للمظالم .. ؟

ولم يكن سيد قطب بمفرده فى هذا الميدان .. فقد شهد محمود عبد الحليم أن الأزهر نشر صورة باهتة عن الإسلام ، فقال : « أما الأزهر .. فإنه كان أداة طيعة فى يد المستعمر عن طريق الحكام .. نشر فى الناس صورة باهتة مشوهة للإسلام»(أحداث صنعت التاريخ٦٠/ ١ ,)

وصنفهم محمود عساف فى مصاف المضللين . وذلك فى كتابه " مع الإمام الشهيد .ص/ ١٦٤" قائلا : « وبدأت حرب إعلامية تهاجم الإخوان ومبادئهم ، اشترك فيها بعض علماء الأزهر الذين ضللتهم وسائل الإعلام » أهـ.

وذكر أحمد رائف أن علماء الأزهر كانوا يـصفقون للظلمة والمستبدين ، فقال : « حتى علماء الدين ومشايخ الأزهر كانوا يصفقون ويباركون المستبد وهو يعلق المشانق ويسلخ الجلود» (الصفحات . ص/ ٣٢) .

واتهمهم الغزالى بقصر النظر ، فقال : « يؤسفنى أن أقول : إن رسالة الأزهر مشلولة فى هذا الجو المكفهر، وإن علماءه يتحركون فى أماكنهم ، ومن ثلاثين سنة تقريبا والدراسة فى الأزهر تذوى ، والمستوى العام يهبط ، وقادته خواتم فى أصابع الرؤساء» (مستقبل الإسلام ص/ ٥٤) .

وقد بدافى هذا الأيام أن لاوزن لمشايخ الأزهر المعاصرين فى الجماعة على العموم ، حتى المنتسبين منهم إلي جماعة الإخوان .!

قال عبد المنعم أبو الفتوح : « مكتب الإرشاد لا يوجد به سوى عالم أزهرى واحد من ضمن ١٦ عضوا ، أما الباقى فأطباء ومهندسون وأساتذة جامعات» (آفاق عربية . ٢٢ سبتمبر ٢٠٠٥م) .

ولا يخفى أن هناك حساسية وحذر من تولى أحد مشايخ الأزهر أى دور تنظيمي فى جماعة الإخوان ، ويرجع ذلك إلى أن مشايخ الأزهر كانوا من أوائل الخارجين على حسن الهضيبي عام ١٩٥٤م ، حيث لم يقبلوا الانضواء تحت مضمار الطاعة العمياء ، التى أراد الهضيبي أن يسيرهم بها فى صراعه مع عبد الناصر .كما خرج جمع كبير من مشايخ الأزهر على دعوة الإخوان فى التسعينيات من القرن الماضي.

٢- تطاول الإخوان على أهل الحديث

عندما تطاول سيد قطب على بعض صحابة رسول الله ﷺ رد عليه الأديب الشيخ محمود شاكر فى عدة مقالات بعناوين مختلفة منها : حكم بلا بينة .. السنة المفترين .. لاتسبوا أصحابي " وذلك فى مجلة المسلمون -العدد الثالث ، سنة ١٣٧١هـ. فلم يعتذر سيد قطب عن مقالاته وطعونه فى أكابر الصحابة ، ولم يتب إلى الله تعالى منها ، وإنما تطاول على الشيخ شاكر بالاستهزاء والسخرية ، فقال : « وما كان لي بعد هذا ؛ وأنا مالك زمام أعصابي ، مطمئن إلى الحق الذي أحاوله ، أن ألقي بالا إلى صخب مفتعل ، وتشنج مصطنع ، وما كان لي إلا أن أدعو الله لصديقنا - شاكر - بالشفاء والعافية والراحة مما يعاني ، والله لطيف بعباده الأشقياء ! » (مجلة الرسالة . ٩٧٧ ٢٤مارس ١٩٥٢م) .

تطاولات الغزالى ...

لم يترك محمد الغزالى أحدا من أهل الحديث إلا وتطاول عليه ، حتى صارت كتبه مادة للمستشرقين إذا أرادوا الطعن فى السنة وأهلها . وقد ظهر هذا جليا فى كتابه " السنة النبوية بين أهل الفقه وأهل الحديث" فهو لا يعبأ بالبخارى ومسلم ولا بسفيان الثورى ويحيى بن سعيد القطان " .. وانظر كيف بلغ الغاية فى سب العلماء الذين لولاهم ما عرفنا عن الإسلام ولا عن نبى الإسلام شيئا.. فقد وصف نافعا بأنه" متورط " فى المصائب ، فقال ص/ ١٢٧ : « ورواية نافع عن ابن عمر هذه ليست أول خطأ يتورط فيه » أهـ وفى ص/ ١٢٩ : وصفه بأنه " راو تائه "أهـ واتهمه بالجهل ، فقال ص/ ٢٠٠ : « ولا أدرى لحساب من ينشر بعض الجاهلين أن سيد الدعاة يأخذ الناس على غرة من غير دعوة ولا بلاغ » أهـ وجعل فهم أئمة السلف الذين أجازوا الإغارة على الكفار الذين بلغتهم الدعوة بغير إنذار بالإغارة ، وضربوا المثل لذلك بأن النبى ﷺ أغار على بنى المصطلق وهم غافلون . فهم الأراذل ، قائلا : « لقد رددت الفهم القذر الذى استقر فى ذهن بعض الناس لما قرأ هذا الحديث . إننا نحمى السنة من أفهام الأراذل» (هموم داعية ص/ ١٢٧) والذين قالوا بهذا الفهم هم : الإمام نافع مولى ابن عمر والحسن البصرى والثورى والليث وأبو ثور وابن المنذر والجمهور .كما حكى ذلك الإمام النووى فى شرح مسلم

وصنف رواة حديث قطع الصلاة بالمرأة والكلب والحمار ، من أمثال أنس وأبى هريرة وابن عباس فى عداد القاصرين ، فقال ص ١٥٥/ : « إن القاصرين من أهل الحديث يقعون على الأثر لا يعرفون حقيقته ولا أبعاده ، ثم يشغبون على الدين كله دون وعى ، خذ مثلا ما يقطع الصلاة فقد تشبثوا بحديث يقول : إن الصلاة تقطعها المرأة والحمار والكلب الأسود . وجمهرة الفقهاء رفضت هذا الحديث» أهـ

وأوصى الدعاة الذين يذهبون إلي كوريا بعدم القول بتحريم لحوم الكلاب ، متغافلا الحكم الثابت بنجاسة ريقها ، فقال : « وأوصى الدعاة الذين يذهبون إلى

كوريا ألا يفتوا بتحريم لحم الكلاب ، فالقوم يأكلونها ، وليس لدينا نص يفيد الحرمة ، ولا نريد أن نضع عوائق أمام كلمة التوحيد! وأصول الإسلام» (مستقبل الإسلام . ص / ٤١)..

ورمى جمهور الأئمة الذين أثبتوا عقائد المسلمين بالاختلاق ، فقال : « وما توجد فى مصادرنا الثقافية عقيدة عبرت إلى الأخلاف عن طريق آحاد ، ومن زعم ذلك فهو مختلق » (دستور الوحدة .ص/ ٦٩)

ووصف المثبتين لحديث فقء موسى (عليه السلام) عين ملك الموت بخفة العقل، فقال :«هذا الدفاع كله خفيف الوزن ، وهو دفاع تافه لا يساغ.! ومن وصم منكر الحديث بالإلحاد فهو يستطيل فى أعراض المسلمين»(السنة النبوية.ص/ ٣٦)

ووصف البخارى وغيره من رواة أحاديث الصفات بأنهم ليسوا مسلمين حقا.! فقال ص/ ١٢٧ : «بعض المرضى بالتجسيم هو الذى يشيع هذه المرويات ، إن المسلم الحق ليستحى أن ينسب إلى رسوله هذه الأخبار» أهـ

ولمز اختيار الصحابة (رضى الله عنهم) لأبى بكر (رضى الله عنه) بأنه بنى على شورى ساذجة ، فقال : « ومن السفه استبقاء الشورى فى طورها الساذج أيام سقيفة بنى ساعدة ، واستبقاء العطاء يدا تدفع ويدا تأخذ » أهـ

وكان يرى أئمة السلف المعاصرين من أصحاب الفقه البدوى ، ذكر ذلك فى كتابه (السنة النبوية . ص/ ٩١) بقوله : « إن لكم فقها بدويا ضيق النطاق » أهـ

واستخف بالإمام الشنقيطى (رحمه الله) ـ مدرس الحرم النبوي وإمام التفسير والعربية والفقه والأصول ، فقال :

« والشيخ الشنقيطي – غفر الله له – حين يخالف أو يوافق ما يقدم ولا يؤخر ، وذكرت قول الشاعر:يقولون هذا عندنا غير جائز ومن أنتم حتى يكون لكم عند» (هموم داعية ص/ ١١٨) .

ورمى الشيخ ابن باز (رحمه الله) بالبعد عن المفهوم العلمى فى فهم الدين ،

فقال : « وعندما تناقلت الصحف أن الشيخ ابن باز أخرج شيطانا بوذيا من أحد الأعراب ، وأن هذا الشيطان أسلم . كنت أرقب فى وجوه القراء ، وأشعر فى نفوسهم بمدى المسافة بين العلم والدين » (السنة النبوية)

وكذب فى نفس كتابه ما نقله صاحب آكام المرجان القاضى بدر الدين الشبلى عن الإمام أحمد وابن تيمية فى تلك القضية ، وقال : « وما يرويه صاحب آكام المرجان فى أحكام الجان أكثره خرافات وخيالات ، وإن ذكره ابن حنبل وابن تيمية وغيرهما»أهـ ..

وقد كان من الواجب على الأستاذ الغزالى أن يرمى حسن البنا بتلك التهمة .. كما رمى بها العلامة ابن باز .. وكذب فيها الإمام أحمد وابن تيمية . فقد ثبت أن حسن البنا عالج امرأة صرعى من الشيطان ...وتبدأ تلك الواقعة .. على أثر قصة حكاها حسن البنا .. وفيها أن الإمام أحمد عالج امرأة من الصرع .. ولم يكن حسن البنا على علم بتلك المسألة حتى كاد يتشكك فيها ، حتى قال له أحد إخوان السويس :

« إن زوجتى امرأة صالحة مطيعة ولى منها أبناء صغار ، وقد اعتراها منذ عام مرض ينتابها بين الحين والحين ؛ نفقد فيه رشدها وتتحول إلى وحش كاسر إذا استطاعت الوصول إلى أى منا حاولت قتله وتحطم كل شيء أمامها. وقد عرضتها على الأطباء هنا وفى القاهرة حتى يئسوا منها ، وقد انتابها المرض اليوم .. ولما كنت أعلم بقدومك اليوم أدخلتها غرفة أغلقتها عليها وجئت أنتظرك لأعرض عليك مصيبتى لعلك تعيننى فيها ..

يقول الأستاذ : قلت له هيا بنا إلى البيت واستأذنت الإخوان ودخلنا البيت ودخلنا الحجرة المغلقة فرأيت امرأة بها ، فقلت له : ادخل وغطها تماما بملاءة بحيث لا يبين منها شيء ، ففعل ثم دخلت الحجرة ووقفت بجانب السرير وأغمضت عيني وأخذت أقرأ القرآن ، وظللت أقرأ حتى سمعت صوتا منبعثا من جسم المرأة ، ولكنه صوت رجل يقول : كيف تكون يا بنا إماما للناس وتنظر إلى عورات النساء ففتحت

عيني فرأيت جزءا من ساقى المرأة قد انكشف نتيجة ما يتنابها من حركات عنيفة فأمرت زوجها فغطاها ، ثم واصلت قراءة القرآن حتى سمعنا صوت الرجل المنبعث من جسم المرأة يقول فى نغمة استعطاف : إنك إمام المسلمين وتريد أن تحرقنى وأنا مسلم .. قال الأستاذ : إن كنت مسلما آذيت مسلمة .. قال : وماذا تريد منى ؟ قلت : دع هذه المرأة واخرج .. قال : أمهلنى ..فواصلت القراءة .. فقال بعد قليل : استحلفك بالله إلا أمسكت عن القراءة حتى لا أحترق وسأخرج .. قلت : إن كنت خارجا فاخرج من إصبع قدمها ، فأراد أن يساوم فواصلت القراءة فصرخ مستغيثا وخرج من إصبع قدمها ، فقامت المرأة كـأنما حلت من عقال ، وكأن لم تكن أصيبت من قبل » (أحداث صنعت التاريخ . / ١ ٢٠٩)

لقد استخدم محمد الغزالى كل أنواع السباب ضد خصومه من أهل الحديث ، وكان ينبغى عليه أن يدعو إلى الله تعالى بالدليل والبرهان ، وأن يتخذالخلق الحسن سبيلا فى التعامل مع الأئمة . ولكنه أبى إلا أن يكون على غير السبيل ، فطعن فى العلماء وطعن فى السنة ، وانظر ماذا قال فى ثياب أمهات المؤمنين : «ما أكثر القمامات الفكرية بين شبابنا ! لقيت جامعيا متدينا يقول : إن فلانا جمع نحو سبعين دليلا على أن النقاب من الإسلام » (مستقبل الإسلام خارج أرضه. ص/ ٧٥) ..

ولم يجد الغزالى رجلا من الإخوان ينصحه أو يرد طعنه أو يرد سبابه ، ولكنه وجد من يمنعه عن سب الإخوان . حتى حذف غالب ما يتعلق بهم من كتابه " من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى . دار الصحوة . ١٩٨٤م "

ويرجع ذلك إلى أنهم متفقون على الاستهزاء بالنقاب والسخرية من أهل السنة ، فقد قال عبد المنعم أبو الفتوح :

« فهل يعقل أن نوافق طالبان على أن تلبس النساء خيام بالقوة » (العربى . ٢٠٠٣/٩/٢٨م)

وقد سبق لعمر التلمسانى أن شبه النقاب بلباس العفاريت .فقال فى حديثه لأمينة السعيد :

« الإسلام لم يأمر السيدة بأن تضع الحجاب الذى تتحدث عنه السيدة أمينة السعيد .. لم يقل الإسلام افعلى كذا أو أخرجى عينك مثل العفاريت .لماذا ؟ لأن هذا أضراره أكثر من فوائده . لأنه ثبت أخيرا وقد حدث فى الأتوبيسات أن سيدات يرتدين هذه الملابس وهن فى الحقيقة نشالات ، الإسلام لا يقر هذا الوضع ، الإسلام يرى أن هذا الجزء من الوجه مباح ظهوره » (المصور عدد ٢٩٨٩- ٢٧ربيع الأول ١٤٠٢هـ) .

وهذا لا يمكن أن يكون كلام عالم بالدين ، علم أن النقاب لباس نساء النبى ﷺ ونساء صحابته الكرام (رضى الله عنهم) ..

وقد سفه محمد عاكف مؤخرا من موقف بعض الأحزاب فى نصر الحجاب فى مصر ، وقال فى اتصال هاتفى مع قناة دريم كما نقله موقع (نافذة مصر نت) : «مصر تعاني من مشاكل وأزمات أكبر وأخطر ألف مرة من الحجاب مثل الاستبداد والفقر. ونفى المرشد أن يكون لنواب كتلةّ الإخوان دور في تصعيد الموقف داخل مجلس الشعب » أهـ

الفصل الخامس

الفكر التكفيري فى دعوة الإخوان

الهضيبي أول من أطلق صيحات التكفير...

سيد قطب والفكر التكفيري

القرضاوي يرد على منكري التكفير في فكر سيد قطب...

تضارب وتعارض .. القرضاوي يكفر خصوم الإخوان ويدعو لبابا الفاتيكان بالرحمة والمثوبة

الفكر التكفيرى فى دعوة الإخوان ...

تعد جميع الحركات التكفيرية المعاصرة امتدادا وفيا لفكر الخوارج ، الذين خرجوا على الخليفة الراشد على بن أبى طالب (رضى الله عنه) ..

وقد نشأ فكر التكفير فى أروقة الكتابات الإخوانية قبل أن ينشأ فى أروقة السجون المصرية ، غير أن تحويل هذا الفكر إلى تنظيم محصور محدد المعالم ، يقوم بتنفيذ مخططاته بعيدا عن الارتباط بالمرشد العام أدى إلى فضح الحقيقة التى طالما سعى الإخوان فى إخفائها حقبة من الزمان حتى يصلوا إلى الحكم .. عندئذ تنفجر جميع القضايا ! فقد تكلم حسن البنا فى غياب الإمام وغياب الدولة ، وجعل الخارجين عليه من جملة الخوارج ، وتكلم سيد قطب فى جاهلية الأمة وعدم وجود المجتمع المسلم ، ودعا إلى العزلة الشعورية والانقلاب على المجتمعات الإسلامية ، وكفر حسن الهضيبي ضباط الثورة فى أول عهدها ، ووافق على نشر كتاب " معالم على الطريق " ، الذى حوى أصول الفكر التكفيري ، ونشر مكتب الإرشاد فى زمن الهضيبي المنشورات الداعية إلى تكفير ضباط الثورة ، وقال الغزالى بعدم وجود دولة الإسلام ، وقالت زينب الغزالى بجاهلية الأمة الإسلامية وكفر القرضاوى منتقدي حركة الإخوان .. من رحم هذا الاتجاه الرسمى والفكري خرج منهج التكفير ، ومن هذا الفكر تكون تنظيم " جماعة المسلمين " أو ما أطلق عليه جماعة " التكفير والهجرة ".. وقد نشأت جماعة التكفير والهجرة تنظيميا فى أورقة السجن الحربى على يد على إسماعيل شقيق " عبد الفتاح إسماعيل " وأسس فكرها على مبادئ وأصول المعتزلة والخوارج ، ثم سرعان ما عاد على إسماعيل إلى رشده وتاب ، وترك هذا الفكر .. فحمل المسئولية من بعده مصطفى شكرى أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م الذى أسسه سيد قطب وعبد الفتاح إسماعيل ومحمد يوسف حواش وزينب الغزالى .. وتعد انحرافات التنظيم الخاص للإخوان وأفكار سيد قطب هى الأساس الذى بنيت عليه أفكار جماعة التكفير برئاسة مصطفى شكري .

قال د/ محمود عساف : « ولقد أدت انحرافات النظام هذه إلى انحرافات فكرية عند شباب الإخوان جعلتهم ينسلخون عن الجماعة .وأسموا أنفسهم أسماء رنانة لا تنطبق على المسميات ، مثل .. تنظيم التكفير والهجرة (الذى يكفر المجتمع). وتنظيم الناجون من النار.وقال : لقد أخذ هؤلاء أفكارهم عن الشهيد سيد قطب»(مع الإمام الشهيد ص/ ١٥٩) .. وقد نصب شكرى نفسه إماما للمسلمين ، وأخذ البيعة من أتباعه بعد أن رسم لهم الحجج التى تدعو إلى الفكر التكفيري ، الذي لم يكن له فيه إمام متبع .. فلم يعبأ بإجماع الأمة ولا بعلماء الملة ، ولا بقول أحد من الصحابة ، وقال " هؤلاء رجال ونحن رجال ". وقد كان فكره وفكر جماعته فكرا قائما على مفاهيم خاطئة ونصوص مبتورة كفرت المجتمعات الإسلامية وكفرت علماء الأمة وحكام المسلمين والعامة ، الذين اتبعوهم فى الوظائف ، وكفر كذلك من لم يكفرهم، واستحل أموالهم وأعراضهم ودماءهم ، ورفع ولاية الأب عن ولده وابنته، وجعل الولاية لأمير الجماعة ، فقد كان أمير الجماعة يزوج البنات بموجب عقد البيعة، باعتباره صاحب السلطان الأوحد ، ولا عبرة عنده بولاية الأب على ابنته ، لأنه كافر ، " ولا ولاية لكافر على مسلم " ومن خرج عليهم أو خالفهم فهو كافر وجعل مساجد المسلمين كمعابد الوثنيين مساجد ضرار ، لا يجوز فيها الصلاة ، ودعا إلى هجران المجتمع واعتزاله. وهذا هو الذى دعا إليه سيد قطب فى الظلال عند تفسير قوله تعالى : ﴿واجعلوا بيوتكم قبلة﴾ وعبد الله تعالى بالخوف، وهجر نصوص الرجاء والرحمة ، وجعل الناس جميعا فى دركات النار ، واختص لنفسه وجماعته بدرجات الجنة .. وقد دارت قضايا جماعة التكفير فى أول نشأتها حول مسائل الإيمان والكفر ، ودار الإسلام ودار الحرب ، والمرحلة المكية والمرحلة المدنية ، كما تكلمت زينب الغزالى فى " أيام من حياتى " وكما شهدت بذلك نصوص متعددة فى كتب سيد قطب .. وتكلموا فى العذر بالجهل ومسائل الحاكمية . والحد الأدنى من الإسلام .. وجعلوا ديار المسلمين ديار كفر .

ولم يعبأوا كالمعتزلة بالشعائر ولا بالصلاة ولا بالمآذن ولا بحفظة القرآن ولا بعلماء السنة ، ولا بغلبة المسلمين ولا بظهورهم ..

قال الإمام أبو بكر الإسماعيلي في (اعتقاد أهل السنة. ص/ ٥١) : « ويرون ـ يعنى أهل السنة - أن الدار دار إسلام لا دار كفر ، كما رأته المعتزلة ، ما دام النداء بالصلاة والإقامة بها ظاهرين، وأهلها ممكنين » أهـ .

وقد كانت كتب شكرى مصطفى " الحجيات " و " الخلافة " و " التوسمات " .. المصدر الأول لهذه الأفكار ... وقد اكتشف هذا التنظيم جليا بعد مقتل الشيخ / محمد حسين الذهبى (رحمه الله) عام ١٩٧٧م .

ولا يخفى على اللبيب ما هى أثار فكر التكفير المدمرة فى المجتمعات الإسلامية ، فهو السبب الأول فى صبغ الشباب بعدة أمور منها :

١- استباحة الدماء والأموال والأعراض والكذب والتقية وسوء الظن فى جميع المخالفين على السواء .. وتفسير الأحداث بنظرية المؤامرة دون المراجعة ونقد الذات ، ورمى المخالفين بالعمالة ،ورفض الاجتهاد السياسي القائم على تقييم المصالح والمفاسد والموازنية بين تقديم خير الخيرين ودفع أكبر الشرين ..

٢- إنشاء المنظمات السرية وانتشار فكر العزلة الشعورية ورفض المشاركة فى العمل الإصلاحي والتبروء من المجتمع وإعلان العداوة له ..

٣- عدم الاعتراف بالعهود والمواثيق التى بين الدول الإسلامية وغيرها من الدول.

٤- بناء العقيدة على الولاء للجماعة ، وعبادة الله بالخوف دون الرجاء ، وتقديم الاعتقاد على الاحتجاج والاستدلال ..

٥- اتباع المتشابه من النصوص وترك المحكم والبحث فى دقائق العلم بغير أدواته.

٦- توريث فكر الانتقام ، وتقديم القتال على الدعوة ، ووضع جميع المخالفات الشرعية فى سلة الشرك والكفر ، وتنزيل الآيات الخاصة بالكافرين على المسلمين ، وعدم العذر بالجهل ، وحب العلو والسيادة ...

ثبوت فكر التكفير في جماعة الإخوان ..

تلك هى حقيقة ما يسمى بتنظيم التكفير والهجرة ، الذى نشأ من رحم الإخوان ومن أفكارهم . فالإخوان متورطون فى تلك الجريمة .. ولم يكن عندهم جهد علمى معتبر فى إبطالها والرد عليها إن لم يكن الفكر الذي يدينون به يؤججها ، وقد كانت وجهة نظر الظرفاء منهم قائمة على تأجيل القضايا المتعثرة حتى يتحرر العالم الإسلامى من الاستعمار. وكثير منهم يعلل ظهور فكر التكفير فى جماعتهم وفى العالم الإسلامي بسبب ما تـعرضوا له من التعذيب فى سجون شمس بدران فى زمن عبد الناصر ، وذلك بعد القبض عليهم فى تنظيم ١٩٦٥م ، الذى أسسه سيد قطب ..وقد نفى بعض المعاصرين أن يكون فكر التكفير المنتشر فى العالم الإسلامي خارجا من عباءة الإخوان ، قال عصام العريان : « ليس صحيحا أن الجماعات المتشددة خرجت من عباءة الإخوان ، لأن منهج الإخوان معتدل وسطى مرن ، والمتشددون حين وجدوا أن هذا المنهج لا يتسع لهم هم أنفسهم ابتعدوا عن الإخوان » (محيط نت . ٥ إبريل ٢٠٠٦م) .

فهل هذه الادعاءات صحيحة .. ويكون فكر التكفير فكرا طارئا على الجماعة؟ أم أن فكر التكفير كان فكرا " استراتيجيا" ثابتا فى منهج الجماعة ، ولكنهم كانوا ولا يزالون يعمدون إلى التقية ، فلا يظهرونه إلا بين الرفقاء والأصحاب ، أو فى فلتات اللسان ، أو فى الكتب والمؤلفات ؟

وللإجابة على ذلك أقول : إن فكر التكفير فكر ثابت فى جماعة الإخوان ، له قواعده وأصوله العقائدية ، وله واقعه ، وله مشاعره الخاصة به ، من بداية نشأة الجماعة إلى الآن .. حتى إن الواحد منهم كان يكفر صاحبه إذا اختلف مع الجماعة أو مع المرشد ، وذلك قبل أن تظهر أحداث التعذيب التى وقعت إبان القبض على تنظيم ١٩٦٥م ، وهذه مقدمات شاهدة على ذلك ، منها :

أن حسن البنا أخرج بعض أتباعه من دائرة الإسلام بسبب اشتراكهم فى محاولة نسف محكمة الاستئناف ، وقال : " هؤلاء ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين".

وقد شهد محمود الصباغ أن هذا البيان كان خداعا للدولة ، غير أن المرشد كان مؤمنا بالعملية التى استهدفت محكمة الاستئناف ، فقال : « وهو أمر جائز شرعا فى الحرب ويعد من خدعه » (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٤٥٢) .

ويعد قوله : " وهو أمر جائز شرعا فى الحرب ويعد من خدعه " حكما صريحا على الدار.بأنها كانت دار حرب ودار كفر وليست دار إسلام . . وقد كان الصباغ يعبر عن شعور قطاع كبير من جماعة الإخوان .. وقد تجلى هذا الفكر المكنون فى هذا القطاع بكل وضوح عقيب إصدار النقراشى باشا " رئيس وزراء مصر " قرار بحل جماعة الإخوان ومصادرة ممتلكاتها ، حينئذ سارع قادة التنظيم السري بتكفير الدولة ووضع أهلها فى مصاف الكافرين المحاربين لملة الإسلام . قال الصباغ : «وقف رجال النظام الخاص للحكومة بالمرصاد عندما ثبت لهم بما لا يدع للشك أن الحكومة أصبحت بفعلها هذا من المحاربين للإسلام ، وأنه حق على كل مسلم مقاومتها بقوة السلاح كفرض عين فرضه الله على المسلمين كافة تجاه المحاربين من الكفار وأعوانهم لا يحتاج أداؤه إلى أمر من قيادة ، لأنه صادر من لدن حكيم خبير!» (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ١٠٩) ..

وفى موضع آخر صرح محمود الصباغ أن الأخ منهم كان يعتقد وهو راسخ الإيمان أن : « كل ما كان منه من مقاومة لهؤلاء الحكام هو الحق وفى سبيل الحق ، فقد رأى بعينه إجرامهم الذى يعجز عن الوصف والبيان ، واطمأن إلى أن صورهم اللامعة أمام الناس لا تخفي وراءها إلا قلوبا متحجرة كفرت بربها وآمنت بالطاغوت وجندت نفسها له فى ذل مفرط تعبده من دون الله رب العالمين » (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٤٨) .

وقد تقدم أن العلامة محمود شاكر كان ينكر عليهم هذا التطاول فى التكفير واستباحة الدماء ، قائلا : «.. هكذا تحكمون على الناس بالكفر .؟ تحكمون .. من أنتم ؟» (مذكرات عبد العزيز كامل . ص / ٦٧)..

وكان حسن البنا لا يري وجود دولة الإسلام ، وشاهد ذلك بيعة زينب

الغزالى وفيها قالت : « اللهم إني أبايعك على العمل لقيام دولة الإسلام.. فقال : وأنا قبلت البيعة » (أيام من حياتى . ص/ ٢٩) .

ولا يخفى ما وراء ذلك من أحكام تتعلق بحكم الدار . هل هى دار إسلام أم دار كفر .؟ وقد كان هذا السؤال محورا رئيسا فى مكونات جماعات التكفير فيما بعد .

الهضيبي أول من أطلق صيحات التكفير ...

قبل انتهاء عام ١٩٥٤م ، وقبل ظهور علة التعذيب بعشر سنين هرب الهضيبي من موقع الأحداث بالقاهرة إلى الإسكندرية ، إبان اختلافه مع ضباط الثورة ، وأصدر أول البيانات التى نادت بتكفير حركة الجيش ، قال محمود عبد الحليم : «وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمنشور صادر عن المرشد العام يوزع على هؤلاء الإخوان ، يحرضهم فيه على رجال الثورة ويرميهم بالكفر » (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٤١٨) وقال : « وَقد وجدت أن الإخوان فى المركز العام يغذون إخوان الأقاليم بسيل من المنشورات منها خطابات موجهة إليهم من المرشد العام من مخبئه . ولا حظت وشهد أن المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتهاب فى أعصاب الإخوان ضد الحكومة حتى إن بعض هذه المنشورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء » (أحداث صنعت التاريخ٣ / ٣٧٣) .

وقد خالف عبد الحليم الهضيبي فى تكفير ضباط الثورة ، وقال دفاعا عنهم : «إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة ، ومثل هؤلاء لا ينبغى أن نرميهم بالكفر» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٨٦) .

وشهد أن عبد الناصر تعهد أن يحكم بالقرآن ، قائلا : « حتى إن عبد القادر عودة كان يتصل بجمال ويسأله عن هذه القضية الخطيرة . وجمال ينكر ما قالة المرشد العام ويقول : إنني قلت : « إننا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك ، ولا بد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن ، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك» (المصدرالسابق . ٣ / ١٦٥) ..

وهذا هو نفس ما شهد به فريد عبد الخالق أن : عبد الناصر . أكد تمسكه بالإسلام أساسا للتغيير المنشود ، إلا أنه قال : « إن من المصلحة عدم المجاهرة بذلك فى بادئ الأمر ، ولكن تؤخذ الأمور تدريجيا ، حتى لا يحارب أعداء الإسلام الحركة فى أول عهدها» (الإخوان فى ميزان الحق.ص/ ٨٣)

والإخوان يؤمنون بمبدأ التدريج فى تطبيق الشريعة ، بل والتمهل وعدم التسرع فى تطبيقها ، كما ذهب عبد الناصر . فقد قال التلمسانى للدكتور / رفعت المحجوب فى مجلس الشعب عندما دعى إلى جلسة استماع تطبيق الشريعة الإسلامية :« على مهل .. تدريجيا » وقال : « وكان المحجوب يستشهد برأى هذا»(الدعوة.عدد ١١٢ ١٩٨٦م) .

ولكنهم لم يقبلوا ذلك من عبد الناصر فى أول الثورة ، لأنه أصبح خارجا عليهم ، ومن خرج عليهم لا يقبل منه شيء ، ويخلى سبيله . كما أنه كان عضوا عاديا فى تنظيم الإخوان ، ثم صارا رئيسا عليهم وعلى مرشدهم ، مع كونه لم يترق فى درجات العضوية من أخ عامل إلى أخ مجاهد إلى نقيب أو نائب إلى مرشد ، فقد صار رئيسا دون أن يمر بتلك المراحل .. ولا شك أن هذا الأمر سبب شعورا عاما بالقهر داخل جماعة الإخوان دفعهم إلى رفض دولة الثورة .

وبالإضافة إلى ما تقدم فقد كان فكر التكفير ملكة وسجية يتعامل بها جمهور الإخوان وعامتهم مع الخارجين على الجماعة . فمن ينضم إليهم يصير أخا له حقوق الإخوة ، ومن يخالفهم فمصيره إلى النار .

فالتكفير عند الإخوان يدور غالبا فى باب الولاء .. وقد عانى من هذا النوع من التكفير جمع من الإخوان منهم الشيخ الغزالى ، والشيخ سيد سابق ، وذلك إبان اختلافهم مع المرشد العام / حسن الهضيبي ، قال القرضاوى : « كنا فى معتقل العامرية وكنت أتحدث مع أحد وعاظ الإخوان المعروفين وجاء ذكر الأخ الشيخ الغزالى فقال لى : الغزالى لم يعد أخا لنا ، لا هو ولا إخوانه المفصولون من الجماعة » (سيرة ومسيرة . ٢ / ٧٧)

وقد اشتكى محمد الغزالى من ذلك قائلا : «كنت أسير مع زميلى الأستاذ سيد سابق قريبا من شعبة المنيل ، فمر بنا اثنان من أولئك الشباب المفتونين ، أبيا إلا إسماعنا رأيهم فينا ، وهو أننا من أهل جهنم » وقال :« فمن المضحك المبكى أن يخطب الجمعة فى مسجد الروضة عقب فصلنا من المركز العام من يؤكد أن الولاء للقيادة يكفر السيئات ، وأن الخروج عن الجماعة يمحق الفضائل ، وأن الذين نابذوا الجماعة عادوا إلى الجاهلية الأولى لأنهم خلعوا البيعة. . » ..

ولما وجه النصح للهضيبي عامله معاملة الكفار . قال الغزالى : « فلما استغربناه وتأبينا عليه ، ورأينا أنفسنا نبصر الحقائق القريبة والرجل لا يحسها ، ونعامله مخطئا ومصيبا غير مقرين هذه الهالة التى أضفاها الأغرار عليه ، مقتنا الرجل أشد المقت ، مقتنا كما يمقت الكفار والفساق » (من معالم الحق ص/ ٢٠٦) ..

ولم يكن الغزالى بمفرده فى ذلك فقد تعرض القرضاوي لمثل ما تعرض له من التكفير ، فقال : « ومن الذكريات المؤلمة التى لا أنساها : أن الإخوان كانت لهم نشرة سرية .. وقد أذاعت هذه النشرة نبأ قالت فيه : « إن القرضاوى والعسال قد مرقا من الدعوة وانضما إلى ركب الخونة وعلى الإخوان أن يحذروا منهما ، وقد استجاب الإخوان لذلك ..وهذا أمر شائع فى الإخوان» (سيرة ومسيرة ٢ / ٧٧)

وقد كان القرضاوى مرصدا للتشنيع من قبل أقطاب الجماعة عندما عزى فى وفاة عبد الناصر ، قال فى (الجزء الثالث من ابن القرية والكتاب) :

« ونقل خبر تعزيتي في عبد الناصر إلى الإخوة في الكويت وغيرها مجردة عن دواعيها وملابساتها ، فإذا بي أواجه حملة شعواء من الإخوان علي ، أني عزيت في الطاغية الذي عذب الإخوان ، وعطل دعوتهم وعوق مسيرتهم وفعل بهم الأفاعيل ، وكان بعض الإخوة السطحيين المساكين يتقربون إلى الله تعالى بالتشنيع علي ، والنيل من عرضي»أهـ ...

وكذلك تعرض الدكتور عبد العزيز كامل لهذا الاتهام ...حين قبل منصب رئيس شئون الأزهر فى زمن عبد الناصر .قال القرضاوي : « ولم يرض ذلك منه

جمهور الإخوان ، واعتبروه قد خان الدعوة ، التى نشأ فيها ، وسار فى ركب أعدائها ، وأنه قد أحبط عمله ، وضيع تاريخه ، وختم حياته خاتمة سوء » (سيرة ومسيرة ٢ / ١٩٦) ..

قال القرضاوي تعليقا على ذلك : وأقول بأسف : « لقد كان رجال المباحث أصدق فى الحكم علينا من إخواننا الذين عرفناهم وعرفونا وعايشونا وعايشناهم . وهذا ما يعاب على كثير من الإخوان : أنهم إذا أحبوا شخصا رفعوه إلى السماء السابعة ، وإذا كرهوه هبطوا به إلى الأرض السفلى» (سيرة ومسيرة ٢ / ٧٨)...

وعندما تعرض الغزلى للتكفير والتخويين من قبل الإخوان طعن فى شريحة كبرى منهم واتهمهم بالعمالة للماسونية العالمية . فقال : « ولقد سمعنا كلاما كثيرا عن انتساب عدد من الماسون بينهم الأستاذ حسن الهضيبي نفسه لجماعة الإخوان.. ولكن لا أعرف بالضبط كيف استطاعت هذه الهيئات الكافرة بالإسلام أن تخترق جماعة كبيرة على النحو الذي فعلته » (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامى.ص / ٢٢٥، ٢٢٦)

فكل من ينتقد الإخوان أو ينصحهم أو يخالفهم أو يخرج على جماعتهم فالتهمة المجهزة له هى العمالة والخيانة . . وفى الوقت المعاصر بين الأستاذ / مختار نوح المحامى فى مذكرة رفعها للمرشد العام حقيقة السلوك التكفيري الذى يتخذه قادة الجماعة تجاه المعترضين على بعض القرارات ، فقال مخاطبا المرشد : « ونرفق بك وبإخواننا حين نقول إننا أضعنا في سنواتنا الأخيرة إخوانا لنا ساروا على دربنا، وحين اختلفنا معهم قطعنا جلودهم تقطيعا ومزقنا سيرهم تمزيقا، وأهلنا عليهم من نقمتنا وغضبنا ، حتى أصبحت هذه النقمة حديث العامة والخاصة ... فالمهندس أبو العلا ماضي ، الذي كان بالأمس نجما باسقا بازغا في سماء الدعوة أصبح اليوم ، كما يقال لنا في أسرنا وكتائبنا، مفارقا للجماعة ، وإذا مات على ما هو فيه سيكون قد مات ميتة جاهلية »(الشرق الأوسط ١٩ يونيو ٢٠٠٥) .

وأخيرا فربما يظن بعضهم أن جماعة الإخوان بسبب مالها من صراعات مع

الحكومات أنها خصم صادق يمثل الإسلام . . وهذا غير صحيح .. فالإخوان كانوا مطية للحكومات ، يلعبون بهم كيفما شاءوا ، وهم على كل حال لا يجرؤون على تجاوز خط معين ، فهم يخضعون لنظام ، ومن وزنهم بأكبر من ذلك فقد أبعد النجعة وأطال المسافة .. والإخوان الذين يتهمون من ينتقدهم بالعمالة والخيانة لهم خبرة كبيرة فى التعاملات الأمنية ، التى يكفرون بها مخالفيهم . وقد أكد ذلك التلمسانى فى تعامله مع وزير الداخلية (نبوى إسماعيل) (أيام مع السادات . ط. ١٩٨٤م دار الاعتصام) وفى صعيد مصر فى أوائل الثمانينات ،كان الإخوان عيونا على الجماعات المخالفة لهم ، قال المأمون الهضيبي : « لا بد أن نتعامل مع الواقع الموجود والقائم ، خاصة أن وجود الجماعة يمثل مصلحة للحكومة ، لأنها تلجأ إلينا كثيرا لضبط التيار الدينى المتطرف » (الشرق الأوسط . ١١ / ٥ / ١٩٨٧م)

وقد شهد محمود عبد الحليم على جمع من الإخوان بالعمالة لضباط الثورة :

« ولكن الجديد فى الأمر أننى اكتشفت أن القوم بكل الوسائل التى أتيحت لهم من خزائن الدولة ، وولاء بعض إخوان لهم ، ووسائل التسمع الحديثة استطاعوا أن يعرفوا أسرارنا مما يتصل بهذه القوة » (أحداث صنعت التاريخ٣ / ٣٩)

وكان القرضاوى من كتبة التقارير فى زمن عبد الناصر ، (انظر سيرة ومسيرة . ٢ / ٤٧٠ ، تحت عنوان « مع المقدم أحمد راسخ » وأخير فهذا د/ سيد عبد الستار المليجى يتهم أحد الإخوان بالعمالة قائلا : « وأحد إخواننا هؤلاء غفر الله له جمع معلومات مكثفة عن الإخوان في مصر وقدمها هدية سهلة لمباحث أمن الدولة فيما عرف باسم قضية سلسبيل سابقا »(إسلام أون لاين ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٧م) .

وقد بدأ تعامل الإخوان مع القلم السياسي حين علم حسن البنا أن بعض ضباط القلم السياسي يتجسس على الإخوان فى المركز العام فى زمن الملك فاروق ؛ فأمره أن يتصل بالدكتور محمود عساف ، ليعرف منه الأخبار الصحيحة ، وليكتب له التقارير الثابتة (انظر مع الإمام الشهيد . ص/ ٣١)..

سيد قطب والفكر التكفيري.

من الملاحظ أن الفكر الإخوانى العام فى زمن سيد قطب كان يدعم الاتجاه القائل بأن الإسلام لا يزال فى المرحلة المكية . وقد ظهر هذا كله قبل قضايا التعذيب التى ظهرت عام ١٩٦٥م . حيث أكدت الدراسات الإخوانية كما قالت زينب الغزالى فى كتابها (أيام من حياتى ص/ ٤٥) : « وكانت الدراسات كلها تؤكد أن أمة الإسلام ليست قائمة ، وإن كانت الدولة ترفع الشعارات بأنها تقيم شريعة الله ».أهـ

ومن أجل ذلك كان سيد قطب يدعو إلى الانقلاب على جميع الحكومات فى جميع الأقطار الإسلامية ، فلم يخصص مصر دون غيرها باعتبار تعرضهم للتعذيب فيها . فقال فى كتابه (فى ظلال القرآن ٣ / ١٤٥١) : « وهذه المهمة .. مهمة إحداث إنقلاب إسلامى عام غير منحصر فى قطر دون قطر ». أهـ

وقد شهد فريد عبد الخالق بضلوع سيد قطب فى نشر فكر التكفير ، بقوله : « ألمعنا فيما سبق إلى أن نشأة فكر التكفير بدأت بين شباب بعض الإخوان فى سجن القناطر فى أواخر الخمسينات وأوائل الستينات ، وأنهم تأثروا بفكر سيد قطب وكتاباته ، وأخذوا منها أن المجتمع فى جاهلية » (فى ميزان الحق . ص/ ١١٥)

وقال القرضاوى فى كتابه (أولويات الحركة ص/ ١١٠) : « فى هذه المرحلة ظهرت كتب سيد قطب ، التي تمثل المرحلة الأخيرة من تفكيره ، والتي تنضح بتكفير المجتمع .. يتجلى ذلك أوضح ما يكون في تفسير " في ظلال القرآن " في طبعته الثانية ، وفي (معالم في الطريق) ومعظمه مقتبس من الظلال ، وفي (الإسلام ومشكلات الحضارة) وغيرها . كما ظهرت كتب المدعو له بالرحمة والمغفرة الشيخ سعيد حوى ، وهى تتبنى نفس الفكر ، وتسير فى هذا الخط ذاته » أهـ ...

ولم يكن القرضاوى منفردا بالإنكار على ما كتبه سيد قطب فى كتابه " معالم على الطريق " وغيره ، فقد سبقه إلى ذلك الشيخ / محمد عبد اللطيف السبكى

حين كلفه شيخ الأزهر بالرد عليه عام ١٩٦٥م ، وجاء الرد فى مجلة (الثقافة الإسلامية.عدد . ٨ . ٢٣شعبان سنة ١٣٨٥ هـ ٢٤ نوفمبر ١٩٦٥م) فى مقال بعنوان " كتاب معالم فى الطريق وهو دستور الإخوان المفسدين " قال :

« لأول نظرة في الكتاب يدرك القارئ أن موضوعه دعوة إلى الإسلام ، ولكن أسلوبه أسلوب استفزازي ، يفاجأ القارئ بما يهيج مشاعره الدينية وخاصة إذا كان من الشباب أو البسطاء ، الذين يندفعون في غير روية إلى دعوة الداعي باسم الدين ، ويتقبلون ما يوحى إليهم من أحداث ويحسبون أنها دعوة الحق الخالصة لوجه الله ، وأن الأخذ بها سبيل إلى الجنة » .... ثم انتهت الوثيقة فى الحكم على المؤلف بـ :

١- أنه إنسان مسرف في التشاؤم ، ينظر إلى الدنيا بمنظار أسود ، ويصورها كما يراها هو ، أو أسوأ مما يراها .

٢- أنه استباح باسم الدين أن يستفز البسطاء إلى ما يأباه التدين من مطاردة الحكام ، مهما يكن في ذلك من إراقة الدماء ، والفتك بالأبرياء ، وتخريب العمران، وترويع المجتمع ، وتصدع الأمن ،وإلهاب الفتن ،في صور من الإفساد لا يعلم مداها غير الله ،وذلك هو معنى الثورة الحاكمية التي رددها في كلامه) ..أهـ

عاكف وجريشة يطعنان فى القرضاوي ...

لم يقبل محمد عاكف مرشد الإخوان كلام الدكتور القرضاوى فى شأن سيد قطب .. ولم يقبل كذلك وثيقة الأزهر التى حملته مسئولية نشر المنهج التكفيرى ، واتهم من يقول بهذا القول بعدم الفقه وقلة العلم ، قائلا : « الشهيد سيد قطب- رحمه الله- كان أديبا وعالما فزا ، وأفكاره لم تكفر مسلما، وقال : إن سيد قطب كان مفسرا رائعا وصاحب أدبيات مبدعة ،إذا قرأها من يمتلك فقها إسلاميا يزداد إيمانا وقوة ، وإذا قرأها من لا فقه له ولا علم يمكن أن يأولها تأويلا خطأ ؛ حيث قد يُخيل إليه أن كتابات الشهيد تكفر الناس» (إخوان أون لاين نت- ١٧ / ٨ / ٢٠٠٤ م) وقال المستشار / على جريشة المحامى الإخوانى فى مقال له بعنوان " عملاق في زمن الأقزام" : «.. " إنه جهل بأسلوب الشهيد " .. إنه أسلوب أدبي رفيع ، لعله عز على

أولئك القارئين .. ففسروه على غير ما يقصد صاحبه. وإنه خلط بين (الأحكام الفقهية) و(الخواطر الأدبية) التي يسطرها أديب له قدره الكبير » (إخوان أون لاين . نت . ٧ / ١١ / ٢٠٠٦) وقال : « التحقيق العلمي يثبت أن الأستاذ سيد قطب ليس مسئولا ؛ لأن ما قاله من عبارات لا يؤخذ بها معنى التكفير، لكن القارئ العادي أوالمغفل (ويدخل في ذلك رجال أمن الدولة طبعا) ، قد يفهم أن الأستاذ سيد قطب مسئول ، وذلك بسبب عباراته الأدبية التي استخدمها » (إخوان أون لاين – ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٥) ...

والحقيقة أن قضية سيد قطب فى التكفير لم تكن محصورة فى لفظ أدبي . وإلا فلماذا نهى عن تعليم الناس مسائل الفقه ، وقال فى (الظلال ٢٠١٢/٤) : « إن العمل في الحقل الفكري للفقه الإسلامي عمل مريح لأنه لا خطر فيه ، ولكنه ليس عملاً للإسلام ، ولا هو من منهج هذا الدين ولا من طبيعته . وخير للذين ينشدون الراحة والسلامة أن يشتغلوا بالأدب وبالفن أو بالتجارة »أهـ

ولماذا أوصى بدعوة المسلمين إلى اعتناق العقيدة الإسلامية أولا ! وقال فى (الظلال . ٢ / ١٠١١) :« كذلك يجب أن يكون مفهوما لأصحاب الدعوة الإسلامية ، أنهم حين يدعون الناس لإعادة إنشاء هذا الدين ، يجب أن يدعوهم أولا إلى اعتناق العقيدة- حتى ولو كانوا يدعون أنفسهم مسلمين ! وتشهد لهم شهادات الميلاد بأنهم مسلمون » أهـ وقال : « إن هذا المجتمع الذى نعيش فيه ليس هو المجتمع المسلم ، ومن ثم لن يطبق فيه النظام الإسلامي» (الظلال. ٤ / ٢٠٠٩)

وكفر البشرية كلها .. حتى الذين يرفعون الآذان على المآذن ، وزعم أنهم " لا يتبعون دين الله أصلا " ، بقوله : « لقد استدار الزمان كهيئته يوم جاء هذا الدين للبشرية ، وانتكست البشرية بجملتها إلى الجاهلية .. شيعها جميعا لا تتبع دين الله أصلا . وعاد هذا القرآن يواجه البشرية كما واجهها أول مرة ، يستهدف منها نفس ما استهدفه في المرة الأولى من إدخالها في الإسلام ابتداء من ناحية العقيدة والتصور . ثم إدخالها في دين الله بعد ذلك من ناحية النظام والواقع»(الظلال. ٢ / ١٢٥٦) وقال

: « إن المسلمين الآن لا يجاهدون ، ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون !» (الظلال . ٣ / ١٦٣٤)

وأكد في كتابه العدالة الاجتماعية أن الحياة الإسلامية توقفت إلى الحد الذى يجب أن تستأنف من جديد .! قائلا : « نحن ندعو إلى استئناف الحياة حياة إسلامية فى مجتمع إسلامي تحكمه العقيدة الإسلامية . ونحن نعلم أن الحياة الإسلامية على هذا النحو قد توقفت . منذ فترة طويلة . فى جميع أنحاء الأرض .. وإن وجود الإسلام ذاته من ثم توقف » أهـ

هذا هو ما قاله .. ثم بعد ذلك يقولون إن التكفير لم ينشأ من فكر سيد قطب .. فمن أين إذن نشأ ..؟ وأى تكفير أظهر من القول بأن الإسلام قد توقف والحياة الإسلامية توقفت .؟

ألم يتضح من فكر سيد قطب تعليق الكفر على مجرد مخالفة الأحكام العملية ولو مرة واحدة بصرف النظر عن الجحود وغيره . فقال:

« والإسلام منهج للحياة كلها من اتبعه كله فهو مؤمن وفي دين الله ، ومن اتبع غيره – ولو في حكم واحد– فقد رفض الإيمان واعتدى على ألوهية الله وخرج من دين الله مهما أعلن أنه يحترم العقيدة وأنه مسلم » الظلال . ص/ ٩٧٢)

ألا يجرى قوله هذا مع معتقد المعتزلة الذين يرون الإيمان جزءا واحد ، إذا نقص منه شيء ضاع كله .

وقد قال به فى الظلال / ٢ ٧٩٨ عند تفسير قوله تعالى : ﴿إن الذين يكفرون بالله ورسله﴾ [النساء:١٥٠]: « إن الإيمان وحدة لا تتجزأ »أهـ

ألم يتجرأ سيد قطب عندما حصر علة ترك الحكم فى رفض إلهية الله تعالى فقط ، ولم يقل بالتفصيل كما قال أئمة السلف ، وقال :

« يدخل في إطار المجتمع الجاهلي تلك المجتمعات التي تزعم لنفسها أنها مسلمة.. لا لأنها تعتقد بألوهية أحد غير الله ، ولا لأنها تقدم الشعائر التعبدية لغير

الله ، ولكنها تدخل في هذا الإطار لأنها لا تدين بالعبودية لله وحده في نظام حياتها»(الظلال.ص/ ١٠١) ...

وقال فى تفسير قول الله تعالى : ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ بهذا الحسم الصارم الجازم وبهذا التعميم الذي تحمله من الشرطية وجملة الجواب بحيث يخرج من حدود الملابسة والزمان والمكان وينطلق حكما عاما على كل من لم يحكم بما أنزل الله في أي جيل ومن أي قبيل ، والعلة هي التي أسلفنا هي أن الذي لا يحكم بما أنزل الله إنما يرفض ألوهية الله» (الظلال ٢ / ٨٩٨) .

ألم يطعن سيد قطب فى تفسير ابن عباس وغيره من أئمة السلف الذين أجمعوا على أن الكفر الوارد فى هذه الآية ليس هو الكفر المخرج من الملة ، إنما هو " كفر دون كفر " ، وجعل تفسيرهم بذلك من قبيل تحريف الكلم عن مواضعه ..

فقال : « إن المماحكة في هذا الحكم الصارم الجازم العام الشامل لا تعني إلا محاولة التهرب من مواجهة الحقيقة ، والتأويل والتأول في مثل هذا الحكم لا يعني إلا محاولة تحريف الكلم عن مواضعه وليس لهذه المماحكة من قيمة ولا أثر في صرف حكم الله عمن ينطبق عليهم بالنص الصريح الواضح الأكيد»أهـ .

سيد قطب والأحكام الشرعية :

إن سيد قطب الذى أطلق هذه الأحكام كان يرى أن من حق الجماعة المسلمة أن تشرع من القوانين الوضعية ما ترى فيها مصلحة عائدة عليها .. حتى انتهى به الأمر إلى القول بأن تشريعات الحياة الإسلامية كانت ناقصة من الناحية الاجتماعية ، فقال فى (العدالة الاجتماعية . ص/ ٢٦١) : « فكل ما أتمه البشرية من تشريعات ونظم اجتماعية ولا تخالف أصوله أصول الإسلام، ولا تصطدم بفكرته عن الحياة والناس، يجب أن لا نحجم عن الانتفاع به عند وضع تشريعاتنا، ما دام يحقق مصلحة شرعية للمجتمع ، أو يدفع مضرة متوقعة»أهـ وأكد ذلك فى كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية . ص/ ٤٤) بقوله : « في يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعا، وتعيد توزيعها على أساس جديد، ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس

التي يعترف بها الإسلام » أهـ

واستدرك على الشريعة عند تفسير قوله تعالى : ﴿وفى الرقاب﴾ وبين أن نظام الرق فى الشريعة الإسلامية نظام مؤقت ، يعمل به حتى تنضج البشرية . فقال فى كتابه (ظلال القرآن. ١٦٦٩): « ذلك حين كان الرق نظاما عالميا ، تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم . ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق»أهـ

وهذا تسفيه صريح للشرع واتهام واضح له بالقصور .. فمن هو إذن الذي يستحق مسمي التكفير على مقتضى القاعدة التى وضعها : « أن من أطاع بشرا فى شريعة من عند نفسه ولو فى جزئية صغيرة فإنما هو مشرك إن كان في الأصل مسلما ثم فعلها فإنما خرج بها من الإسلام إلى الشرك أيضاً . . مهما بقي بعد ذلك يقول : أشهد أن لا إله إلا الله بلسانه . بينما هو يتلقى من غير الله ، ويطيع غير الله » (فى ظلال القرآن . ٣ / ١٣٥) .

ولم يكن سيد قطب بمفرده فى هذا المضمار .

فقد أباح القرضاوي الاقتراض الربوى بشرط أن تكون الفائدة أقل من الثلث . وحدد نسبة ١٥٪ مقياسا وسطا للزيادة . فالربا المحرم عنده هو الربا الفاحش . وذلك فى برنامج " الشريعة والحياة " بتاريخ ٦ / ١٢ / ١٩٩٨م تحت عنوان " الشركات المساهمة " فقال : « فأكثر العلماء يمنعون ، وهناك فريق من العلماء أو الفقهاء من أباح بشروط ، وأنا ود/ عبدالستار ، ود / علي القره داغي من هؤلاء ، وأهم هذه الشروط : ألا يكون التعامل بالربا كثيرا ، والكثرة والقلة هذه عملية نسبية » أهـ

وفى أحد لقاءاته التلفزيونية علق على قول الرسول ﷺ: « لن يفلح قومٌ ولوا أمرهم امرأة » (رواه البخارى . " بقوله : « هذا مقيد بزمن الرسول الذى كان فيه الحكم استبداديا أما الآن فلا ». وقد شاركه فى ذلك الأستاذ الغزالى ، فقال : « ولو أن الأمر فى فارس شورى وكانت المرأة الحاكمة تشبه جولد مائير اليهودية التى

حكمت إسرائيل ، واستبقت دفة الشؤون العسكرية فى أيدى قادتها لكان هناك تعليق آخر على الأوضاع القائمة » (السنة النبوية .ص/ ٥٧) .

وهذا القول رد لسنة النبى ﷺ ، وتسويغ لمن أراد أن يرد حكم الرسول ﷺ على العموم أن يتعلل بنفس العلة التى أوردها القرضاوي والغزالى .. أن الزمن غير الزمن والناس غير الناس .. أما أن الزمن الماضي كان زمنا استبداديا فهذا زعم مردود .. فالزمن الماضى هو زمن الرسول ﷺ الصحابة والتابعين . فهل كان زمنهم زمنا استبداديا . ؟

هذه بعض أقوال الإخوان التى تسوغ للباطل وتبنى للخراب .. ومع ذلك لم يكفرهم أحد بتلك الأقوال ... لأنهم لم يقصدوا معنى الكفر فيما قالوا .

وهذا الحكم ليس خاصا بهم دون غيرهم .. فإن قال قائل كانت لهم مقاصد حسنة وما هى إلا تأويلات وأخطاء .. فالأخرون كذلك قد يكون لهم تأويلات ، وقد يقعون فى أخطاء وشبهات .

بطلان التكفير المطلق:

فقول سيد قطب فى التكفير المطلق قول باطل .. وليس له فيما قال سلف .. وقد كان من الواجب على سيد قطب أن يرضى بتفسير السلف لهذه الآية ﴿ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ كما رضى بإجماعهم على تنزيلها .. روى الخطيب البغدادى فى (تاريخ بغداد . ١٠ / ١٨٦) عن الحسن بن خضر قال سمعت بن أبي داود يقول : « أدخل رجل من الخوارج على المأمون فقال ما حملك على خلافنا ..؟

قال : آية في كتاب الله تعالى .. قال : وما هي ..؟

قال : قوله ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون ﴾ فقال له المأمون : ألك علم بأنها منزلة ..؟

قال : نعم ... قال : وما دليلك .. ؟

قال : إجماع الأمة ..

قال : فكما رضيت بإجماعهم في التنزيل فارض بإجماعهم في التأويل ..

قال : صدقت السلام عليك يا أمير المؤمنين » أهـ

وحقيقة الأمر أن فى هذه الآية تفصيل ..

فهناك كفر عملى وهناك كفر اعتقادي .. فليس كل من ترك الحكم بما أنزل الله تعالى يكون كافرا كفرا مخرجا من الملة ، بل إن ذلك متعلق بكون الحاكم جاحدا لهذا الحكم أم غير جاحد . فإذا كان جاحدا أو مستكبرا فهو كافر كفرا مخرجا من الملة ، وإذا كان غير جاحد فكفره كفر عملى ، وهذا هو الذى يطلق عليه الأئمة : كفر دون كفر ، وشرك دون شرك .. وعلى هذا القول عامة المفسرين ...

قال الإمام الطبري في (جامع البيان . ٦ / ١٦٦) : « وأولى هذه الأقوال عندي بالصواب : قول من قال : نزلت هذه الآيات في كفار أهل الكتاب ، لأن ما قبلها وما بعدها من الآيات ففيهم نزلت ، وهم المعنيون بها ، وهذه الآيات سياق الخبر عنهم ، فكونها خبراً عنهم أولى ، فإن قال قائل : فإن الله تعالى قد عمّ بالخبر بذلك عن جميع من لم يحكم بما أنزل الله ، فكيف جعلته خاصا ؟! قيل : إن الله تعالى عمّ بالخبر بذلك عن قوم كانوا بحكم الله الذي حكم به في كتابه جاحدين ، فأخبر عنهم أنهم بتركهم الحكم على سبيل ما تركوه كافرون ، وكذلك القول في كلّ من لم يحكم بما أنزل الله جاحداً به ، هو بالله كافر ؛ كما قال ابن عباس ". » أهـ

وقال الإمام القرطبي في تفسيره (الجامع لأحكام القرآن ٦ / ١٩٠) :

قال ابن عباس - رضي الله عنهما - ومجاهد رحمه الله :

فأما المسلم فلا يكفر وإن ارتكب كبيرة. وقيل : فيه إضمار؛ أي ومن لم يحكم بما أنزل الله ردا للقرآن ، وجحدا لقول الرسول (فهو كافر ؛ قال ابن عباس ومجاهد ، فالآية عامة على هذا ... » أهـ

وقال الإمام ابن كثير : « وعن ابن عباس قال :

« ليس بالكفر الذي يذهبون إليه» (رواه الحاكم في مستدركه من حديث سفيان بن عيينة وقال صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه) (التفسير العظيم ٢ / ٥٨) .

وقال إسماعيل بن سعد في (سؤالات ابن هاني . ٢ / ١٩٢): « سألت أحمد : ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قلت : فما هذا الكفر؟ قال : كفر لا يخرج من الملة » أهـ

وقال الإمام المروزي: «كفر دون كفر ، وظلم دون ظلم وفسق دون فسق ... وقد صدق عطاء ؛ قد يسمى الكافر ظالماً ، ويسمى العاصي من المسلمين ظالماً ، فظلم ينقل عن ملة الإسلام وظلم لا ينقل » (تعظيم قدر الصلاة . ٢ / ٥٢٣)

وقال ابن عبد البر في (التمهيد . ٥ / ٧٤) : « وأجمع العلماء على أن الجور في الحكم من الكبائر لمن تعمد ذلك عالما به، رويت في ذلك آثار شديدة عن السلف ، وقال الله عز وجل:﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ نزلت في أهل الكتاب ، قال حذيفة وابن عباس : وهي عامة فينا ؛ قالوا ليس بكفر ينقل عن الملة إذا فعل ذلك رجل من أهل هذه الأمة حتى يكفر بالله وملائكته وكتبه ورسله واليوم الآخر ، روي هذا المعنى عن جماعة من العلماء بتأويل القرآن منهم ابن عباس وطاووس وعطاء » أهـ .

وقال الإمام ابن تيمية : « وإذا كان من قول السلف أن الانسان يكون فيه إيمان ونفاق فكذلك فى قولهم أنه يكون فيه إيمان وكفر ليس هو الكفر الذى ينقل عن الملة كما قال ابن عباس وأصحابه فى قوله تعالى :

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللَّهُ فَأُولَـٰئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ قالوا كفروا كفرا لا ينقل عن الملة ، وقد اتبعهم على ذلك أحمد بن حنبل وغيره من أئمة السنة » (مجموع الفتاوى . ٧ / ٣١٢)

وقال ابن القيم فى كتابه (الصلاة وحكم تاركها. ص / ٧٢ / ٧٥) : « أما الحكم بغير ما أنزل الله وترك الصلاة فهو من الكفر العملي قطعا »وقال : « إن الله

سبحانه سمى الحاكم بغير ما أنزل الله كافرا ويسمى جاحد ما أنزل الله على رسوله كافرا ، وليس الكافران على حد سواء »أهـ

وقال على التفصيل فى (مدارج السالكين. ١ / ٣٣٦) : « الحكم بغير ما أنزل الله يتناول الكفرين الأصغر والأكبر بحسب حال الحاكم فإنه إن اعتقد وجوب الحكم بما أنزل الله في هذه الواقعة وعدل عنه عصيانا مع اعترافه بأنه مستحق للعقوبة فهذا كفر أصغر وإن اعتقد أنه غير واجب وأنه مخير فيه مع تيقنه أنه حكم الله تعالى فهذا كفر أكبر وإن جهله وأخطأه : فهذا مخطىء له حكم المخطئين » اهـ

وقال الإمام الشنقيطي فى (أضواء البيان ٢ / ١٠٤) أيضا بالتفصيل :« وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ الله معارضةً للرسل وإبطالاً لأحكام الله فظلمه وفسقه وكفره كلها كفر مخرج عن الملة ، ﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَآ أَنزَلَ الله﴾ معتقداً أنه مرتكب حراماً فاعل قبيحاً فكفره وظلمه وفسقه غير مخرج عن الملة » أهـ

وقال الشيخ العلامة محمد بن إبراهيم فى الفتاوى (١ / ٨٠) أيضا على التفصيل الذى يقول به أئمة السلف : « من حكم بها أو حاكم إليها معتقدا صحة ذلك وجوازه فهو كافر الكفر الناقل عن الملة وإن فعل ذلك بدون اعتقاد ذلك وجوازه فهو كافر الكفر العملى الذى لاينقل عن الملة » أهـ

وعلى هذا التفصيل أئمة السلف المعاصرين .. حيث فرقوا بين الكفر العملى والكفر الاعتقادي ... والاستحلال الفعلى والاستحلال الاعتقادي .. كما فرقوا بين من هو مقر بالحكم ملتزم به ، ومن هو غير مقر ولا ملتزم ..

وفى معرض ذلك لم يفرقوا بين مخالفة الحكم مرة واحدة ، وبين مخالفة الحكم أكثر من مرة ... فكثير الذنوب وقليلها لايتعدي حكم الكبيرة ...

وذنب يقول صاحبه " هذا هو دين الله " أعظم وأشد من ذنب ينسبه المرء إلى نفسه وهواه ، ويقر فيه بالخطأ والضلال ..

قال العلامة محمد بن ناصر الدين الألباني فى تفسير قوله تعالى ..

﴿وَمَن لَّمْ يَحْكُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ فَأُوْلَـئِكَ هُمُ الْكَافِرُونَ﴾ لا بد من الدقة في فهم الآية فإنها قد تعني الكفر العملي ، وهو الخروج بالأعمال عن بعض أحكام الإسلام. ويساعدنا في هذا الفهم حبر الأمة وترجمان القرآن عبد الله بن عباس (رضي الله عنهما) الذي أجمع المسلمون جميعاً ـ إلا من كان من الفرق الضالة ـ على أنه إمام فريد في التفسير فكأنه طرق سمعه ـ يومئذ ـ ما نسمعه اليوم تماما من أن هناك أناساً يفهمون هذه الأية فهما سطحيا ، من غير تفصيل ، فقال رضي الله عنه : " ليس الكفر الذي تذهبون إليه "، و: " أنه ليس كفرا ينقل عن الملة"، و:"هو كفر دون كفر"، ولعله يعني: بذلك الخوارج الذين خرجوا على أمير المؤمنين (علي رضي الله عنه) ثم كان من عواقب ذلك أنهم سفكوا دماء المؤمنين، وفعلوا فيهم ما لم يفعلوا بالمشركين ، فقال : ليس الأمر كما قالوا ! أو كما ظنوا ! إنما هو : كفر دون كفر "» (التحذير من فتنة التكفير.ص/ ٥٦) .

وقال الشيخ مقبل بن هادي الوادعي (رحمه الله) : « أما مسألة التوصل إلى التكفير والحاكم لا يزال يصلي ويعترف بشعائر الإسلام فينبغي للمسلم أن يبتعد عن هذا ، وقوله سبحانه وتعالى : ﴿ ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون﴾ يقول ابن عباس : هو كفر دون كفر ، أو يحمل على ما إذا كان مستحلا ..» (إجابة السائل على أهم المسائل . ص / ٢٨٥ » .

والذى انتهى إليه هؤلاء الأئمة وغيرهم فى ذلك هو الحق الثابت .يعرف ذلك من تفطن إلى أطراف الأدلة الواردة فى مادة " الكفر " التى تعلق بها الخوارج فى قول الله تعالى : « ومن لم يحكم بما أنزل الله فأولئك هم الكافرون » وحصروا معناها فى الكفر المخرج من الملة ، وتجاوزوا عما يماثلها من أقوال النبى ﷺ ، كقوله: « لا ترجعوا بعدى كفارا يضرب بعضكم رقاب بعض » وقوله ﷺ : « سباب المسلم فسوق وقتاله كفر » وقوله ﷺ : « لا ترغبوا عن آبائكم فمن رغب عن أبيه فهو كفر » إلى آخر الأحاديث التى تلزم بتأويل تلك الكلمة إلى معنى يبعد عن معنى الكفر المخرج من الملة ، إلى الكفر العملى ..

أثر صحيح.

وقد كذب بعض الجهلة أثر ابن عباس الذى قال فيه فى قضية الحكم بأنها " كفر دون كفر " وزعموا أنه ضعيف .. وقد صحح هذا الأثر كثير من أهل العلم وأقروا به .. منهم الحاكم فى المستدرك ووافقه الذهبي والإمام القرطبي فى الجامع لأحكام القرآن وابن عبد البر فى التمهيد وابن تيمية وابن القيم وغيرهم ... كما صححه العلامة الألباني في الصحيحة . ٦ / ١٠٩ .

وقد رد العلامة العثيمين على من قال بضعف هذا الأثر ، قائلا : « لكن لما كان هذا الأثر لا يرضي هؤلاء المفتونين بالتكفير صاروا يقولون : هذا الأثر غير مقبول ! ولا يصح عن ابن عباس ! فيقال لهم : كيف لا يصح وقد تلقاه من هو أكبر منكم وأفضل وأعلم بالحديث .! وتقولون : لا نقبل ... فيكفينا أن علماء جهابذة كشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن القيم ـ وغيرهما ـ كلهم تلقوه بالقبول ويتكلمون به، وينقلونه ، فالأثر صحيح»(التحذير من فتنة التكفير . ص/ ٦٨) .

الشاهد : أن تفسير السلف لهذه الآية لم يقيد الحكم على طائفة دون أخرى ولا واقعة دون غيرها .. حتى ولو كان للحاكم أكثر من واقعة خالف فيها الحكم فهى كما لو كان له أكثر من ذنب .. فلا يكفر الحاكم إلا إذا استحل الحكم بغير ما أنزل الله تعالى أو رضى به ، أو أبى واستكبر ، وقال هذا هو دين الله ، كما بين الإمام ابن العربي : « وهذا يختلف إن حكم بما عنده على أنه من عند الله فهو تبديل له يوجب الكفر وإن حكم به هوى ومعصية فهو ذنب تدركه المغفرة على أصل أهل السنة في الغفران للمذنبين » (أحكام القرآن ... ٢ / ٦٢٤) .

وهذا ما انتهى إليه العلامة الشيخ عبد العزيز بن باز (رحمه الله) وأكد عليه فى شريط " الدمعة البازية " أن وضع القوانين المخالفة للشرع لايكون كفرا أكبر بمجرد الوضع إلا أن يكون عن رضا واستحلال ، أو أن واضعها نسبها إلى الشريعة ، وقال هذا هو دين الله ، فقال هى كفر : « أكبر ، إذا نسبها إلى الشريعة ، أما إذا ما نسبها إلى الشريعة ، بس مجرد قانون وضعه ، لا ، مثل الذي يجلد الناس بغير الحكم

الشرعي ، يجلد الناس لهواه أو يقتلهم لهواه ، قد يقتل بعض الناس لهواه وغلبه» . .

وقال تعقيبا على رسالة العلامة الشيخ محمد بن إبراهيم (رحمه الله) فى مسألة تحكيم القوانين : « أنا عندي فيها توقف ، أنه ما يكفي هذا حتى يعرف أنه استحله ، أما مجرد أنه حكم بغير ما أنزل الله أو أمر بذلك ما يكفر بذلك مثل الذي أمر بالحكم على فلان أو قتل فلان ما يكفر بذلك حتى يستحله ، الحجاج بن يوسف ما يكفر بذلك ، ولو قتل ما قتل حتى يستحل ، لأن لهم شبهة ، وعبد الملك بن مروان ، ومعاوية وغيرهم ، مايكفرون بهذا لعدم الاستحلال ، وقتل النفوس أعظم من الزنا وأعظم من الحكم بالرشوة » أهـ .

وليس فيما قاله الإمام العلامة ابن باز إرجاء ، كما يرجف بعضهم ،فالقاصى والدانى يعلم أن العلامة ابن باز (رحمه الله) وأئمة أهل السنة قاطبة يقولون إن " الإيمان يزيد وينقص "، ويقولون : " إن العمل شعبة منه " كما أنهم يرتبون على ترك العمل استحقاق العقوبة فى الآخرة ، بخلاف المرجئة ، الذين يقولون إن العقوبات مجازية ، وإن العمل ليس جزءا من الإيمان ،حتى إنهم يسوون بين أفجر الفجار وأتقى الأتقياء .. وليس فيه كذلك تسويغ للحكم بغير ما أنزل الله تعالى على رسوله محمد ﷺ ، كما يظن البعض ، فالأئمة بلاشك متفقون على وجوب الحكم بما أنزل الله ووجوب دعوة الحكام إلى ذلك ، وأن ترك الحكم بما أنزل الله جريمة فى حق الدين .. وإنما هو بيان لحقيقة الفارق بين الكفر الاعتقادي والكفر العملى .. وتحذير من عواقب التكفير بالضرورة من استباحة الدماء ، وإشاعة الفوضى فى العالم الإسلامي ، كما فعلت التنظيمات الإرهابية التى خرجت من عباءة الإخوان .

أما ما نقله العماد ابن كثير (رحمه الله) فى كفر ملوك التتار فذلك لأنهم لما كتبوا الياسق جمعوا فيه قواعد الملل الشركية الكافرة ، واستباحوا عبادة غير الله تعالى ... وقالوا هذا هو دين الله . . فقول ابن كثير فيهم بالكفر محمول على اعتبار أنهم كفار فى الأصل ، إضافة إلى ذلك أنهم بدلوا دين الله كله وقالوا فيما وضعوا أنه هذا هو الدين الذي يرضاه الله .

أما فى الدول الإسلامية فالمملكة العربية السعودية تحكم بالشريعة ، وهناك نصوص فى الدساتير تلزم الحكومات المتعاقبة بجعل الشريعة الإسلامية المصدر الرئيسي للتشريع ،كما فى مصر وغيرها من الدول الإسلامية .. وهذا معناه أن الحاكم والمجتمع ملتزم بالشريعة مقر بها وأنها فوق كل شيء .. وهذا يدفع الحكم المتعلق بعدم الالتزام .. وهذا لم يكن فى زمن جنكيزخان ، الذى جمع فى الياسق جميع العبادات الشركية وألزم الناس بها .. مما اقتضى القول بتكفيره وتكفير واضعه .. فالفارق بين واضح بين من بدل الدين كله فى عقائده وشرائعه وأركانه كجنكيز خان وأتباعه وبين من أوقف العمل ببعض الحدود ، كما فى بعض البلدان . وفارق كبير بين المؤمن بالله واليوم الآخر والملائكة والنبيين ، المقيم للصلاة المقر بشرع الله وعظمته وبين اليهود والنصاري والمنافقين ومن شابههم ممن يرى أن شرع الله دون شرع البشر أو أنه مساو لشرع البشر أو أن شرع البشر أعظم من شرع الله .. فهذا هو الجاحد الذى لا يؤمن بالله ولا باليوم الآخر ..

وعلى ذلك فإذا كان ترك الحكم من جهة العمل ذنب كبقية الذنوب والمعاصي .. ففعل الذنب قل أو كثر كترك الحكم قل أو كثر هو معصية وكبيرة ... إلا إذا كان عن جحود واستخفاف . فلو أن الحاكم جحد حكما واحدا فقد أنكر معلوما من الدين بالضرورة ، ومن أنكر معلوما من الدين بالضرورة كفر .

سيد قطب يتبرأ من معاوية ويكفر أبا سفيان وبنى أمية ...

وبعيدا عن القول بجاهلية الأمة وكون هذا القول يسقط أو لا يسقط على مراده فى التكفير ، فإن تناول سيد قطب لشخصيات من الصحابة بالبراءة منهم والتكفير ، والقول بردة بنى أمية ليعد دليلا كافيا على إثبات حقيقة السلوك التكفيري فى منهج سيد قطب . فقد قال سيد في كتاب (العدالة الإجتماعية في الإسلام ،ط . دار الكتاب العربي . ص/ ٧٤) فى بنى أمية :

« فأمية بصفة عامة لم يعمر الإيمان قلوبهم ، وما كان الإسلام لها إلا رداء تخلعه وتلبسه حسب المصالح والملابسات » ..

وقال : « فلئن كان إيمان عثمان وورعه ورقته كانت تقف حاجزا أمام أمية ؛ لقد انهار هذا الحاجز ، وانساح ذلك السد ، وارتدت أمية طليقة حرة إلى وراثاتها في الجاهلية والإسلام ، وجاء معاوية تعاونه العصبة التي على شاكلته ، وعلى رأسها عمرو بن العاص ، قوم تجمعهم المطامع والمآرب ، وتدفعهم المطامح والرغائب ، ولا يمسكهم خلق ولا دين ولا ضمير» ..

وقال فى معاوية (رضى الله عنه) : « فمعاوية هو ابن أبي سفيان وابن هند بنت عتبة ، وهو وريث أحد قومه جميعا ، وأشبه شيء بهم في بعد روحه عن حقيقة الإسلام ؛ فلا يأخذ أحد الإسلام بمعاوية أو بني أمية ؛ فهو منه ومنهم بريء..» ..

وقال فى أبى سفيان (رضى الله عنه) : « أبو سفيان هو ذلك الرجل الذي لقي الإسلام منه والمسلمون ما حفلت به صفحات التاريخ ، والذي لم يسلم إلا وقد تقررت غلبة الإسلام ؛ فهو إسلام الشفة واللسان ، لا إيمان القلب والوجدان ، وما نفذ الإسلام إلى قلب ذلك الرجل » أهـ

فقضية التكفير واضحة فى منهج سيد قطب ..

ولكن الإخوان لا يمكن أن يمسوا مقاما رفعوا صاحبه إلى مقام القداسة المنزه عن الباطل . والإخوان على العموم لا ينصحونَ ولا يسمعون ، إنما يفرون من النصيحة فرار الفريسة من النبال ، والحمر من الأسود ، خاصة إذا تعلقت بكبرائهم ، وتزداد البلية مع غربة النصوص والبراهين عن مسامعهم ، وتزداد أكثر إذا كانوا لايستطيعون التفريق بين المتغايرات والجمع بين المتماثلات .. وهم على كل حال يعادون ويوالون على أساس غير شرعي .. يقول شيخ الإسلام فى (الفتاوى ٢٠ / ١٦٣) : «ولهذا تجد قوما كثيرين يحبون قوما ويبغضون قوما لأجل أهواء لا يعرفون معناها ولا دليلها ، بل يوالون على إطلاقها ، أو يعادون من غير أن تكون منقولة نقلا صحيحا عن النبى ﷺ وسلف الأمة ، ومن غير أن يكونوا هم يعقلون معناها ولا يعرفون لازمها ومقتضاها » أهـ..

فالقضية ليست فى لفظ أدبي .. ولا فى شبهات متعلقة بالعلماء .. القضية أن

جماعة الإخوان عن بكرة أبيها كانت غارقة فى مفاهيم سيد قطب ، المتعلقة بتضليل وتكفير وتغييب المجتمعات الإسلامية . وليتذكر الأستاذ محمد عاكف ما كان يعتقده، عندما كان عضوا فى التنظيم السري .. الذى كان أعضاؤه جميعا يعتقدون كفر الحكام ، وكانوا يقولون كما تبين إن لهم قلوبا : « متحجرة كفرت بربها وآمنت بالطاغوت .الخ »(حقيقة التنظيم .ص/ ٤٨) .

وقد كان هذا هو الأساس الأول فى قتل النقراشي باشا ...

ولينظر عاكف ماذا كان يقول فتحى يكن لطلاب الإخوان وأسرهم فى السبعينيات من القرن الماضي : فى كتابه (كيف ندعو إلى الإسلام" ط . الرسالة.ص/ ١١٢): « واليوم يشهد العالم أجمع ردة عن الإيمان بالله وكفرا جماعيا وعالميا لم يعرف لهما مثيل من قبل » اهـ ..

اعتراضات وردود ..

القرضاوي يرد على منكرى التكفير فى فكر سيد قطب ...

بعدما أن قال القرضاوى ما قال فى منهج سيد قطب التكفيري أخذت أقلام أخرى تدافع عن سيد قطب بغير دراية ، فأخبرهم أن هذه هى الحقيقة ، وأنه يأخذ سيد قطب بما كتبه ولم يدع عليه شيئا. فقال : « ومما قاله بعضهم: إن الناس قرءوا (الظلال) ولم يفهموا ما فهمته من فكرة (التكفير).

وهذا الكلام غير صحيح، فقد أثار جدلا طويلا داخل الإخوان في السجون، ومن آثاره بحث قضية: هل نحن جماعة المسلمين؟ أم نحن جماعة من المسلمين؟ حتى أن مكتب الإرشاد أرسل إلى سيد الأخ عبد الرءوف أبو الوفا يسأله عن هذه المسألة، ومن ذلك سؤال الأستاذ عمر التلمساني له وسؤال الحاجة زينب الغزالي له .

وقد رأينا تجمعات في أقطار مختلفة يسمون (القطبيين)، يتبنون فكرة التكفير، وقد رأيت من آثار ذلك: من سألوني عن الصلاة في البيوت، وترك المساجد باعتبارها معابد الجاهلية، وهو مما فهموه من الظلال في تفسير قوله تعالى (واجعلوا بيوتكم قبلة)، وقد رددت عليهم في الجزء الأول من كتابي (فتاوى معاصرة)

وقال : « والقضية التي نتحدث عنها - قضية تكفير مسلمي اليوم - ليست قضية فقهية بعيدة عن اختصاص سيد كما يتصور أو يصور بعض الإخوة المتحمسين، بل هي قضية فكرية محورية أساسية، أو قل هي: قضية أصولية اعتقادية ، هي ألصق بعلم العقائد والكلام منها بعلم الفقه والفروع ؛

ولأنها قضية فكرية محورية مركزية عند سيد، رأيناه يلح عليها، ويكررها ويؤكدها بأساليبه البيانية الرائقة والرائعة حتى تتضح كالشمس في رابعة النهار. ..

وقال : « ومما آلمني كثيرا دخول بعض الإخوة في هذا الميدان، وبضاعتهم مزجاة من العلم الشرعي، وحتى من المنطق العقلي، وظنوا أن الحماس ورص الكلام يغني شيئا في القضايا العلمية الكبيرة . المثبِت مقدم على النافي، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ، والذي يحكم على العالِم هو قوله لا فعله. لقد جاءوا بمن يمكن أن يسموا (شهود النفي) في القضية، ليقولوا: إنهم لقوا سيدا رحمه الله ولم يجدوه يكفر المسلمين، أو سألوه: هل تكفر المسلمين؟ فنفى ذلك، وقال من قال : يجب أن نضم أفعال سيد إلى أقواله حتى نكون منصفين معه . ونسي هؤلاء ما قرره علماؤنا من (قواعد علمية) تحكم الأمور وتضبطها ، من هذه القواعد : أن المثبِت مقدم على النافي، وأن من حفظ حجة على من لم يحفظ . فإذا جاء عشرة ثقات وقالوا: لم نسمع فلانا يشتم فلانا، وجاء رجل ثقة، وقال: إنه سمعه يشتمه، وكان من أهل العدالة والضبط، أخذ بقول هذا الواحد؛ لأنه علم ما لم يعلموا، فهم حدثوا بما يعلمون وهو حدث بما يعلم، وحفظ ما لم يحفظوا، ومن حفظ حجة على من لم يحفظ .

وما ذكره الإخوة من تعارض فعل سيد مع أقواله : قد غفلوا عن أصل مهم، وهو: أن الذي يحكم على العالِم ويعبر عن رأيه هو قوله لا فعله؛ لأنه فعل امرئ غير معصوم، فلا غرابة أن يناقض فعله قوله، وسلوكه عمله، ما دام لا عصمة له، وقد قال بعض الأئمة :

اعمل بقولي ولا تركن إلى عملي ينفعك علمي ولا يضرك تقصيري .

وأريد أن أؤكد للمعلقين جميعا أني لم أدعِ على الرجل دعوى من كيسي بل من كيسه هو، وما آخذته إلا بكلامه البين الجلي المفهوم، فإن كان رجع عن مضمون هذا الكلام الجلي في أواخر حياته - رحمه الله - فليُقَل هذا ولا حرج ، إنه تراجع عن هذا الفكر ولم يعد يلتزمه أو يؤمن به.

وحبذا أن يقول ذلك أولى الناس به؛ شقيقه الكاتب الكبير الأستاذ محمد قطب حفظه الله، فليت صديقنا العزيز يفعلها فيريح ويستريح، فيعلق على الأقوال التي نقلتها من الظلال ومن غيره وأمثالها بسطر واحد يضع الأمور في نصابها»

وقال : «كما لاحظت أن الإخوة الذين عقبوا علي كلهم -إلا واحدا- أغفلوا شيئا مهما، هو محور القضية، وهو ما نقلته عن سيد رحمه الله من كتبه. فقد تناسوا هذا تماما، وظلوا يركضون بعيدا: يبحثون عمن لقي سيدا، من سأله فأجابه. ومن سمع منه كذا وكذا، وأنا لا دخل لي بهذا كله . أنا أحكم على فكر الرجل من خلال نصوصه المكتوبة. والنص المكتوب هو أدل شيء على فكر الإنسان. بخلاف ما يقوله شفهيا، مما قد لا ينقل بنصه تماما، وما قد ينقل حسب فهم السامع، وما ينقل بعيدا عن سياقه وملابساته . . كنت أود من الإخوة المعقبين -ما داموا يحترمون المنطق العلمي، والبحث الموضوعي- أن يقفوا عند النصوص التي نقلتها - وهي ليست كل ما قاله الشهيد رحمه الله- ويبينوا لنا المراد منها نصا نصًا. لينظر القارئ في تفسيرهم لها؛ أهو مقبول أم مرفوض؟ طبيعي أم متكلف؟ ولكنهم -للأسف- لم يجشموا أنفسهم مشقة هذا الجهد.. وعندي رأي في تفسير الموقف العلمي لسيد، وهو ما شهده الناس منه، وسمعوه منه، في الفترة التي خرج فيها من ضيق السجن على باحة المجتمع، فقد واجه الجمهور الأعظم من الناس ـ التي شهدت نصوصه بأنه لم يدخل في الإسلام بعد، ولم يفهم (لا إله إلا الله) بمدلولها الحقيقي الذي حدده - فوجد هذا الجمهور يستقبله في كل مكان بالفرحة والترحاب، ويتعاطف معه، من كان منهم من الإخوان ومن لم يكن، ووجدهم في المساجد مقبلين على الله، تالين لكتاب الله، أو مستمعين له، متأثرين به، فلم يكن من السهل عليه أن يحكم على هؤلاء الناس بالكفر. حقيقة الناس في الواقع الذي يراه أوضح وأكبر مما سطره في الكتب .

فلهذا سمعوا منه ما سمعوا، ورأوا منه ما رأوه، وأجابهم حين سئل بما أجاب. مما قد يعتبر تراجعا عما قرره في كتبه. ولكن ما في الكتب من نصوص، ناصعة البيان، ظاهرة الدلالة، يبقى كما هو، لا نملك أن نغيره، أو نسقط منه حرفا، أو نزيف دلالته. فالحقيقة لا تقبل هذا، والشهيد سيد قطب نفسه لا يرضى هذا التزييف» (إسلام أون لاين . سبتمبر ٢٠٠٤م) .

تضارب وتعارض ..

على الرغم من إنكار القرضاوى ما ورد فى كتب سيد قطب من التكفير إلا أنه وقع فيما حذر منه ، وقال بما أنكره .. فقد أخرج القرضاوى من انتقد الإخوان من مشايخ الأزهر وغيرهم من ملة الإسلام ، إبان ظهور تنظيم ١٩٦٥م ، فقال :

« كم غلى صدري ، وتقطع كبدي ، وأنا أقرأ لبعض هؤلاء الذين يلبسون لبوس علماء الدين ، وحملة القرآن ، وما لهم من الدين إلا اسمه ، ولا من القرآن إلا رسمه ، ولا من العلم إلا قشوره ، فليسوا من الراسخين في العلم ، ولكن من الذين في قلوبهم زيغ»(مذكرات القرضاوى . الجزء الثالث . محنة ١٩٦٥م)

وهذا هو نفس المصير الذى لقيه الأستاذ / على عبده عشماوى " عضو تنظيم ١٩٦٥م " ، عندما اعترف على إخوانه فى التنظيم ؛ فأطلق عليه لفظ الخائن ، وألقاه فى سلة المشركين ، وذلك فى مذكراته التى نشرت فى (آفاق عربية . ١ يوليو ٢٠٠٤م) فقال : « ولكن أجهزة عبد الناصر، أعلنت أنها اكتشفت تنظيمًا سريا خطيرا جدا ، يقوده سيد قطب ومعه مجموعة من الإخوان .. منهم شخص اشتروه بالإغراء والتأثير بالوعد والوعيد، والعفو عنه من حبل المشنقة -وهو علي عبده عشماوي. وهذا الطريق من وقع فيه فقد وقع في حفرة لا ينجو منها إلا إلى حفرة أشد منها عمقا . لأن الذي يبيع نفسه للطاغوت قد خسرها بالمرة . وهذا لون من الشرك بالله ، الذي ينحط به الإنسان إلى أسفل الدركات : ﴿ومن يشرك بالله فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوي به الريح في مكان سحيق﴾ (الحج : ٣١).».أهـ ...

تلك هى أدبيات جماعة الإخوان فى الحكم على المخالفين .. إما كفار وإما خونة .. أما الكفار الظاهرين الأصليين فلهم النعيم المقيم والدرجات العلى من الجنة .. فقد نعى الأستاذ / القرضاوى بابا النصارى الكاثوليك ودعا له بالرحمة والمثوبة فى الآخرة ، وذلك فى لقائه مع " خديجة بن قنة " على قناة (الجزيرة برنامج الشريعة . ٣ / ٤ / ٢٠٠٥م) : « وقال ربما يعنى بعض المسلمين يقول إنه لم يعتذر عن الحروب الصليبية وما جرى فيها من مآسى للمسلمين كما اعتذر لليهود ، وبعضهم يأخذ عليه بعض الأشياء ، ولكن مواقف الرجل العامة وإخلاصه فى نشر دينه ونشاطه حتى رغم شيخوخته وكبر سنه ، فقد طاف العالم كله وزار بلاد ومنها بلاد المسلمين نفسها فكان مخلصا لدينه وناشطا من أعظم النشطاء فى نشر دعوته والإيمان برسالته. ثم قال : « لا نستطيع إلا أن ندعو الله تعالى أن يرحمه ويثيبه بقدر ما ما قدم للإنسانية وما خلف من عمل صالح » (وانظر موقع القرضاوى) ..

ولا شك أن هذا كذب صريح على الأمة ، وقول بغير علم ، ورد للإسلام والشريعة والاعتقاد ، وتكذيب للرسول والصحابة والأئمة ، سيحاسبه عليه أحكم الحاكمين يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم .. قال تعالى فى كتابه الكريم : ﴿وَقَالَ الْمَسِيحُ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ اعْبُدُواْ اللّهَ رَبِّي وَرَبَّكُمْ إِنَّهُ مَن يُشْرِكْ بِاللّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللّهُ عَلَيهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنصَارٍ﴾.

الفصل السادس

- الفكر الانقلابي فى دعوة الإخوان
- بيعة حسن البنا للملك فاروق ..
- حسن البنا يطلب البيعة لنفسه..
- تأصيلات فكر الخروج فى دعوة الإخوان
- الخطة الإخوانية فى الانقلاب والثورة
- أشهر الاغتيالات السياسية فى دعوة الإخوان
- حرمة القتل السياسي فى الإسلام
- القرضاوى بين مصر والعراق فى زمن الاحتلال
- الإيمان قيد الفتك

الفصل السادس
الفكر الانقلابي في دعوة الإخوان
حقيقة الفكر الانقلابي ..

اجتهد قادة الإخوان ومفكروهم كثيرا في إنكار الفكر الثوري واتخاذ العنف سبيلا للتغيير .. قال التلمساني : « الإخوان ما فكروا يوما في القوة كسلاح لتغيير أو إنقلاب أو ثورة » (ذكريات لا مذكرات . ص/ ١٨٧) .

وقال ص/ ١٩١ : « والعجيب في أفهام الكثيرين تصورهم أن دعوتنا تدعو إلى قلب نظام الأوضاع القائمة ، ونحن بهذه الصورة متآمرون ، وليس لهذا ظل من الحقيقة » أهـ وقال محمد عاكف : « لسنا أهل ثورة ، ونحن ندعو للحق والسلام ، والثورة ليست من مفرداتنا » (الشرق الأوسط . ١٢ مايو ٢٠٠٥ م)

وقد كان حسن البنا يؤكد لأتباعه ، أنه لا يؤمن بالثورة ، ولا يعمل لها ، فقال :« وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها ولا يعتمدون عليها ولا يؤمنون بنفعها ونتائجها» (الرسائل ص/ ١٩٠) فهل كانت دعوة الإخوان لا تؤمن بالثورة سبيلا للتغيير ، أم أنها كانت دعوة خارجية تؤمن بذلك . ؟

منطق الدولة داخل الدولة ...

الإخوان منذ أن نشأت دعوتهم .. تنظيمات سرية ، مظاهرات مثيرة للفتن . خروج دائم على الأمراء والعلماء والحكام ، باختلاف ألوانهم وأشكالهم .. فتن الإخوان لاتنتهي ولا تنقطع ، كلما يخرجون من فتنة يدخلون في أختها .. فقد ذاقوا فتن الملكية ، ولا زالوا إلى الآن مع فتن مع الثورة والجمهورية .. لم يجنوا من المصائب إلا المحن ، ومن الزهور إلا الشوك .. ويرجع ذلك كله إلى تلك البيعات التي يعطونها لمرشديهم على الدوام ، والتي تخول لهم الخروج الدائم على الدولة والمجتمع .. قد يقول قائل : هذه نظرة سئية لا أساس لها.

أقول : لا تعجل فالإخوان يؤمنون بالتقية ، ولا يمكن أن تعرف حقيقة

توجهاتهم من أقوالهم .! ثانيا : الإخوان أعطوا بيعة لمرشدهم ، ولا يمكن أن يتركوا بيعة مرشدهم لبيعة غيره .

ثالثا : أن أكبر مفكريهم مدح قتلة الخليفة الراشد عثمان (رضى الله عنه) ، وجعل الخروج عليه فورة من روح الإسلام ، فماذا يكون القول في غيره ، فقال : «وأخيرا ثارت الثائرة على عثمان . تلك الثورة في عمومها كانت ثورة من روح الإسلام » (سيد قطب.العدالة الاجتماعية .ص/ ١٥٩)

بيعة حسن البنا للملك فاروق ..

بايع حسن البنا الملك فاروق ملك مصر ، كما بايع الملك فؤاد ، كلا على السمع والطاعة . وقال في بيعة الملك فؤاد : « إلى سدة صاحب الجلالة الملكية حامى حمى الدين ونصير الإسلام والمسلمين مليك مصر المفدى .. يتقدم أعضاء مجلس الشورى العام للإخوان المسلمين المجتمعون في مدينة الإسماعيلية بتاريخ ٢٢ صفر ١٣٥٢ والممثلون لخمسة عشر فرعا من فروع جمعية الإخوان المسلمين برفع أصدق آيات الولاء والإخلاص للعرش المفدى ولجلالة المليك وسمو ولى عهده المحبوب» (مذكرات الدعوة والداعية . ص/ ١٥٦ دار الشهاب) وفي بيعة الملك فاروق .. رفع حسن البنا باسمه وباسم جماعة الإخوان أسمى آيات الولاء والبيعة للعرش المفدى ، قائلا كما في مجلة (النذير.العدد الثاني٦, ربيع الثاني ١٣٥٧هـ .دار الكتب والوثائق): « إلى مقام صاحب الجلالة الملك فاروق الأول : أحمد إليكم الله الذى لا إله إلا هو وأصلي وأسلم على سيدنا محمد وعلى آله وصحبه ، وأرفع إلى السدة العلية ولاء أعضاء جماعة الإخوان المسلمين في القطر المصرى كله بل ، وفي العالم الإسلامى أجمع وإخلاصهم لعرشكم المفدى ، وتحيتهم لذاتكم المحبوبة » أهـ

وقال : « يا مولاى لقد برهنتم جلالتكم في كل موقف على اعتزازكم بتعاليم الإسلام وحرصكم على أن تسود الروح الإسلامى النبيل مظاهر حياة شعبكم المخلص وكنتم في ذلك خير قدوة » أهـ

كما أشاد بوطنيته في رسالته إليه في أكتوبر ١٩٤٦م قائلا : « إن جلالتكم

وأنتم الوطنى الأول خير من تتحقق على يديه الآمال ، وتنصلح بسامى حكمته وجميل إرشاده وتوجيهه الأحوال » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤١٩) ...

ولو لم يكن لإثبات تلك البيعة إلا أن يصف حسن البنا ملك مصر بأنه ملك مسلم ، لكان ذلك كافيا للالتزام ببيعته ، التزاما ببيعة غيره .. فالحكم يئول للحاكم باتفاق أهل الحل والعقد من العلماء والأمراء ، ولا يشترط إجماع الكل . قال الإمام المازري (رحمه الله) : « يكفى فى بيعة الإمام أن يقع من أهل الحل والعقد ولا يجب الاستيعاب ، ولا يلزم أن يحضر عنده ويضع يده فى يده ، بل يكفى التزام طاعته والانقياد له بأن لا يخالفه ولا يشق العصا عليه» (فتح البارى . ٧ / ٤٩٤) وقد كان حسن البنا دائم الشهادة للملك فاروق بأنه ملك مسلم .. وقال : « وإن لنا فى جلالة الملك المسلم أيده الله أملا محققا وفى الشعب المصرى الذى صقلته الحوادث ونبهته التجارب»(مذكرات الدعوة .ص/ ١٩١)

حسن البنا يطلب البيعة لنفسه ..

على الرغم من ارتباط حسن البنا ببيعة خاصة مع الملك فاروق إلا أنه كان يفرض على أتباعه بيعة سرية لنفسه . وقد أثبت ذلك فى كتابه (مذكرات الدعوة . ص/ ٩٦) فى أول اجتماع له مع هيئة المؤسسين للجماعة .. فقال : « وكانت بيعة .. وكان قسما أن نحيا إخوانا نعمل للإسلام».أهـ

قال محمود الصباغ : « كانت البيعة تتم فى منزل بحى الصليبية حيث يدعى العضو المرشح للبيعة ومعه المسئول عن تكوينه ، والأخ عبد الرحمن السندي المسئول عن تكوين الجيش الإسلامي داخل الجماعة ، وبعد استراحة فى حجرة الاستقبال يدخل ثلاثتهم إلى حجرة البيعة فيجدونها مطفأة الأنوار ، ويجلسون على بساط فى مواجهة أخ فى الإسلام مغطى جسده تماما من قمة رأسه إلى أخمص قدمه برداء أبيض ، يخرج من جانبيه يداه ممتدتان على منضدة منخفضة " طبلية " عليها مصحف ومسدس » (التنظيم الخاص . ص/ ١٣٢)

ويحكي محمد حامد أبو النصر " المرشد الرابع " طريقة بيعته لحسن البنا.

وفيها دعا إلى حمل السلاح ، قائلا : قلت له : إن المعاني التي ذكرتها فضيلتك كثيرا ما تجري على ألسنة الخطباء ، والوعاظ والعلماء .. لكن ليس هذا هو السبيل للرجوع بالمسلمين إلى عهدهم ، وأمجادهم السالفة ، قال إذن ماذا ترى . ؟ وكنت في ذاك الوقت متوشحا مسدسي الذي لا يفارقني في مثل استقبال ذلكم الزائر الكريم الذي أحببته قبل أن أراه ، فقلت له : إن الوسيلة الوحيدة للرجوع بالأمة إلى أمجادها السالفة هي هذا . وأشرت إلى مسدسي فانبسطت أساريره كأنما لقي بغيته ، وعثر على مطلبه ، وقال لي : ثم ماذا ..؟ تكلم ..فعشت في هذه الكلمات برهة قطعها فضيلته باستخراج المصحف الشريف من حقيبته ، قائلاً: هل تعطي العهد على هذين مشيرا إلى المصحف والمسدس . ؟ فقلت : نعم بدافع قوي أحس به ، ولا أستطيع أن أصفه ، اللهم إلا الفيض الإلهي الغامر، والسعادة الأبدية التي أرادها الله لي في سابق علمه .! وبعد أن تمت البيعة بهذه الصورة ، قال فضيلته مهنئنا : مبارك إنها الأولى في صعيدكم » (إخوان أون لاين نت - ١ / ١ / ٢٠٠٣)

وهذا كله كلام باطل يدل على جهل أصحابه ، وبيعة ساقطة لا قيمة ولا كرامة .. ولا طاعة إلا للإمام المبايع المتمكن بالسلطان ، أما غيره فلا طاعة له ولا بيعة له ، قال شيخ الإسلام : « النبي (أمر بطاعة الأئمة الموجودين المعلومين الذين لهم سلطان يقدرون به على سياسة الناس لا بطاعة معدوم و لا مجهول و لا من ليس له سلطان و لا قدرة على شيء أصلاً » (المنهاج . ١ / ١١٥) وقال : « ما أمر الله به ورسوله ﷺ من طاعة ولاة الأمور ومناصحتهم واجب على الإنسان ، و إن لم يعاهدهم عليه و إن لم يحلف لهم الأيمان المؤكدة » أهـ

بيعة دولة ..

كانت بيعة حسن البنا بيعة دولة .وشاهد ذلك أنه لم يكن يرى للمسلمين إماما فى زمنه . كما أنه لا يعترف بالولاية الصغري فى غيبة الخلافة ، ولا يعترف بالدول المتعددة .. ويمكن القول بأن نفى إسلامية الدولة يعد من الأمور المتفق عليها فى دعوة الإخوان . فقد قال به حسن البنا ، وقال به سيد قطب ، وصرح به عباس

السيسي لأحد رفقائه بقوله : « إن هذا الألم العبقري الذى ورثه لنا هؤلاء الطغاة لن يضيعه إلا إقامة دولة الإسلام ، ووقتها فقط سنقول لهم قول الرسول الكريم : « اذهبوا فأنتم الطلقاء » (آفاق عربية . ٢٨ أكتوبر ٢٠٠٤م) وقال به الغزالى فى كتابه (هموم داعية ص/ ١١) ردا على سؤال سائل فى نزاع عقائدى : « كانت هذه الخصومات ـ ودولة الإسلام ممدودة السلطة ـ خفيفة الضرر ، وإنكم اليوم تجددونها ودولة الإسلام ضعيفة ، بل لا دولة له »أهـ

والواقع الإخوانى من زمن حسن البنا إلى الآن يعبر عن ذلك . فالأمة ميتة ، والمجتمع جاهلى . ويضاف إلى ذلك أن حسن البنا لم يكن يعترف بجواز تعدد الدول ، طالما ليس هناك خلافة عامة وسلطان أعظم ... كشأن عامة الإخوان كتابا ومفكرين .. ولا شك أن عدم الاعتراف بالدول الإسلامية ورفض الولاية الصغرى ، وإضمار الخروج على حكامها ينم عن ضعف بالغ فى العلم الشرعي وجهل بالسياسة والتاريخ .. فقد كان على بن أبي طالب إماما على عامة المسلمين فى وقت كان الناس فى بلاد الشام يطيعون معاوية ويأتمرون بأمره .. وكان الناس يأتمرون بأمر عبد الملك بن مروان فى الشام ، ويأتمر آخرون بأمر عبد الله بن الزبير فى مكة وغيرها من البلاد . فقد كان للمسلمين أكثر من ولى أمر يأتمرون بأمره فى كل قطر ، ولا يلزمون أحدا باتباع أحد فى القطر الآخر .. ومن قال بشق العصا على السلطان المتمكن أو أنكر تلك الدول فقد ولج فى سبل الجهالة والضلالة ..

فالولاية ثابتة فى الخلافة العامة و فى الإمامة الصغري .. وإن كان مقام الخلافة أعظم ، لكنه انقرض وانتهى إلى أن يعود فى آخر الزمان .. ومع ذلك لم يقل أحد من العلماء إن الأحكام والفرائض والشرائع لا تسري إلا فى وجود الخلافة العامة . قال الإمام الشوكاني رحمه الله فى (السيل الجرار . ٤ / ٤٨١-٥١٢) :

« ولا يصح إمامان " .. "وأما بعد انتشار الإسلام ، واتساع رقعته ، وتباعد أطرافه ؛ فمعلوم أنه قد صار في كل قطر أو أقطار الولاية إلى إمام أو سلطان ، وفي القطر الآخر كذلك ، ولا ينعقد لبعضهم أمر ولا نهي في قطر الآخر وأقطاره التي

رجعت إلى ولايته . فلا بأس بتعدد الأئمة والسلاطين، ويجب الطاعة لكل واحد منهم بعد البيعة له على أهل القطر الذي ينفذ فيه أوامره ونواهيه، وكذلك صاحب القطر الآخر. فإذا قام من ينازعه في القطر الذي قد ثبتت فيه ولايته، وبايعه أهله ، كان الحكم فيه أن يقتل إذا لم يتب . »أهـ

وقال الإمام محمد بن عبد الوهاب : « الأئمة مجمعون من كل مذهب على أن من تغلب على بلد له حكم الإمام في جميع الأشياء و لولا هذا ما استقامت الدنيا لأن الناس من زمن طويل قبل الإمام أحمد إلى يومنا هذا ما اجتمعوا على إمام واحد و لا يعرفون أحداً من العلماء ذكر أن شيئاً من الأحكام لا يصح إلا بالإمام الأعظم » (الدرر السنية . ٧ / ٢٣٩) .

وقد وضح حقيقة ذلك العلامة العثيمين قائلا : « والإمام هو ولي الأمر الأعلى في الدولة، ولا يشترط أن يكون إماما عاما للمسلمين؛ لأن الإمامة العامة انقرضت من أزمنة متطاولة، والنبي ﷺ قال : « اسمعوا وأطيعوا ولو تأمر عليكم عبد حبشي » " الشرح الممتع .(٨/ ١٢) .

المنهج الانقلابي فى فكر حسن البنا ..

الانقلابات غاية تربت عليها شرائح الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن .. والاغتيالات السياسية أمر ثابت فى دعوتهم ، سواء من الناحية التكتيكية أو الاستراتيجية ، سواء من الجهة الفكرية أو من الجهة العملية .. وما اعتذار بعضهم عن العمليات الإرهابية التى وقعت منهم إلا من باب مخالفة الخطة الموضوعة ، لا من باب مخالفة المعتقد والمنهج .. وللتأكيد على ذلك فلننظر كيف أعد حسن البنا أتباعه إعدادا فكريا ودعويا وعمليا للثورة والانقلاب على دولة الملك - وليس الإنجليز كما قالوا - فقد قال : « سننتقل من خير دعوة العامة إلى خير دعوة الخاصة ومن دعوة الكلام وحده إلى دعوة الكلام المصحوب بالنضال والأعمال..وستتوجه بدعوتنا إلى المسئولين من قادة البلد وزعمائه .. فإن أجابوا الدعوة وسلكوا الغاية آزرناهم ، وإن لجئوا إلى المواربة والروغان وتستروا بالأعذار الواهية والحجج المردودة فنحن حرب على كل زعيم أو رئيس حزب أو هيئة لا تعمل على نصرة الإسلام ولا تسير فى الطريق لاستعادة حكم الإسلام »(مذكرات الدعوة الدعية . ص/ ١٨٩) وفى سلسلة الرسائل بين متى يلجأ إلى القوة ، قائلا : « إن الإخوان المسلمين سيستخدمون القوة العملية حيث لا يجدى غيرها» (الرسائل.ص/ ١٨٩) وعندما سقط فى الانتخابات البرلمانية التى أجريت عام ١٩٤٥م فى وزارة أحمد باشا ماهر . فى دائرة الإسماعيلية .. اتهم الحكومة بالتزوير واجتمع الإخوان فى تظاهرة كبرى أعلنوا فيها التحدى ، حتى طالبهم حسن البنابسذاجة بالغة التأنى وعدم التسرع ، انتظارا لوقت الفصل ، قائلا : « إننى أحسب أن مراجلكم تغلي بالثورة وعلى شفا الانفجار، ولكن في هذا الموقف لابد من صمام الأمان فاكظموا غيظكم وادخروا دماءكم ليوم الفصل ، وهو آت لا ريب فيه ، ويومئذ يفرح المؤمنون بنصر الله » (حسن البنا مواقف في الدعوة والتربية للسيسي) .

وقال فى رسالة التعاليم تحت ركن " العمل " : « ومن حقها (أى الحكومات

الإسلامية) - متى أدت واجبها - : الولاء والطاعة ، والمساعدة بالنفس والأموال . فإذا قصرت : فالنصح والإرشاد ، ثم الخلع والإبعاد » أهـ

حقا فقد كان حسن البنا يتعامل بمنطق الدولة داخل الدولة ، وكان يريد الناس جميعا تحت إمرته ، حتى لايبقى للملك إمارة يتولى شأنها ولا وزارة تطيع أوامره .. فقد نصب نفسه قاضيا وحاكما بغير إذن من الملك فى مقتل القاضى الخازندار . وهذا عمل دولة . وأخرج الإخوان إلى حرب اليهود فى فلسطين بغير إذن الملك فى أول الأمر .وأرسل مصطفى مؤمن موفدا من قبله إلى أمريكا عام ١٩٤٨م ، ليتكلم نيابة عن الشعب فى حضرة النقراشى باشا دون إذنه فى مجلس الأمن ، كما التقى مع فليب ايرلاند سكرتير السفارة الأمريكية والتقى كذلك مع رجل من رجالات السفارة البريطانية بغير إذن من دولة الملك . وهذه كلها أعمال سيادة لا حق له فيه وكان ينزل على معارضيه أحكام الخوارج ، وهذا عمل الخلفاء والرؤساء ، وليس عمل رئيس جمعية . وسعى إلى اختراق الجيش عن طريق تنظيم الضباط الأحرار ، بتدبير من الصاغ محمود لبيب .. وفى هذا كله كان يضمر الانقلاب والثورة . ولكنه سينذر أولا ، ثم يقدم على الخطوات التى أعدها بكل عزة ، وسيخوض الحرب، وسيرضى بالنتائج مهما كانت . وقد كان واثقا تمام الثقة من الوصول إلى الحكم ، سواء عن طريق الثورة ، أو عن طريق الانتخابات البرلمانية ، حتى إنه سئل ذات مرة من أحد صحفى مجلة " آخر ساعة " هل تضمن النجاح .؟ فقال : «أستطيع في انتخابات حرة أن أحصل على أغلبية ساحقة، هذا لو أنني أردت ذلك ، ولكنني في الواقع لا أريده ، فمكاننا في صفوف الشعب أكثر منه في صفوف الحكام، ولهذا لن نتقدم إلا في عدد صغير من الدوائر»(حسن البنا مواقف فى الدعوة والتربية) .

وهذا هو نفس المضمون الذى كان يردده محمد عاكف ، قال : «على الجميع أن يحمد ربنا لأننا لم نظهر القوة الحقيقية للجماعة فى هذه الانتخابات . فالقوة السياسية للجماعة تمكنها من المنافسة على غالبية مقاعد مجلس الشعب ، لكننا لم نخض الانتخابات بكل قوتنا الانتخابية ، وإنما بعدد متواضع لنعطى الفرصة للآخرين

» (جريدة الغد. ٣٠ نوفمبر ٢٠٠٥م) وانظر قوله : « لو تم ترشيح أي إخواني من الشباب سيكتسح أي مرشح أمامه » (الشرق الأوسط . ١٢ مايو ٢٠٠٥)

وإن لم يكن الأمر كذلك فالحكم يسعى إليهم .. فقد قال حسن البنا للملك عبد العزيز آل سعود (رحمه الله) ، حين لقيه فى موسم الحج ردا على سؤال : هل تسعون فى نشاطكم هذا للحكم وتريدونه؟ فرد قائلا : « بل الحكم هو الذى يسعى إلينا » (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ١٣٠)

تأصيلات فكر الخروج فى دعوة الإخوان ...

لم ندع على الإخوان شيئا مما ذكر ، فهذا هو الذى تنضح به كتبهم ، وهذا ما يقولونه فى مقام التنظير . ففى تبرير الاغتيالات السياسية التى استحلوا بها الدماء المعصومة .. يقصون على شبابهم ما ورد فى قتل كعب بن الأشرف وسلام بن الحقيق ، كما ذكر محمود الصباغ فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص) .

وفى الخروج على الحكام يذكرون ما نسب إلى بعض الصحابة زورا أنهم قالوا لعمر : « لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناك بسيوفنا » وقال عمر : « الحمد لله الذى جعل فى رعية عمر من يقومه بحد سيفه» كما نقل سيد قطب فى (العدالة الاجتماعية ص/ ١٤١) وكانوا يحتجون بخروج سعيد بن جبير على الحجاج بن يوسف الثقفى ، كما فى فتنة ابن الأشعث ، و بخروج عبد الله بن الزبير على عبد الملك بن مروان فى أمر الخلافة.(!)

فأمانى الإخوان تثبت الخروج بجميع أقسامه ، سواء كان خروج قتال ، أو خروج تشنيع وتظاهر وعصيان ..

والحقيقة : أن الخروج بالقتال على الحكام لا يكون عن طريقهم ، فالإخوان لا يمكن أن يغامروا بأنفسهم ، فيقينهم فى النصر دون ذلك ، فقد خرج الإخوان فى مظاهرة عابدين بحوالى ثلاثمائة ألف متظاهر ـ كما زعموا - فى أول عهد الثورة ، منهم ومن غيرهم من العامة ... وقد نظر إليهم عبد الناصر من شرفة قصر عابدين

ضاحكا ، ليقينه أنهم أسراء فى خاتم المرشد العام ، أو فى خاتم وكيل الجماعة ، لو أمرهم بالانصراف لانصرفوا ، دون حول منهم أو قوة . .

إنما يكون الخروج بالقتال عن طريق غيرهم ، وهم وراء ذلك بالتهييج والإثارة ، وعن طريقهم فقط يتم أسلوب الاغتيالات السرية ، كما صرح القرضاوى ، وكما هو ثابت فى تاريخهم ؛ لأنه أسهل فى الإنكار من غيره .. ويضاف إلى ذلك أن الإخوان لم يخرجوا على الدولة بسبب مخالفة الشريعة والدين ، إنما خرجوا عندما تعرض بعض قادتهم للقتل بسبب الأعمال التى قام بها التنظيم الخاص ..

وقد كان هذا النوع من الخروج دليلا على الجهل الديني والغباء السياسي ، فإنه لا يقيم دولة ولا يحيى أمة ، ومن هنا فشل الإخوان فى زمن الثورة ، حين ظنوا أن القضية مجرد رص جنود ، وقضاء على الخصوم والقضية أكبر من ذلك .

١ - فتنة ابن الأشعث ...

خرج ابن الأشعث على الحجاج الثقفي فى زمن عبد الملك بن مروان ، وتلك هى الذريعة التى يحتج بها الإخوان فى الخروج على أولياء الأمور . ولا شك أن ثمرتها ونتيجتها تدل على فشلها ، وتدفع إلى عدم جواز الاحتجاج بها ، وهى مخالفة لاعتقاد أهل السنة الراسخ بعدم جواز الخروج على الحكام ..

ففيها كما هو ثابت أن ابن الأشعث خرج على الحجاج بن يوسف الثقفي لنزاع وقع بينهما ، ثم انضم إليه سعيد بن جبير وغيره ، واستمر النزاع حتى انتهى إلى الخروج على الخليفة عبد الملك بن مروان ، وصار بينهما مقتلة عظيمة ، قتل فيها خلق كثير ، بما فيهم سعيد بن جبير (رحمهم الله جميعا) .

وبعد انتهاء تلك الفتنة اعتذر الأئمة عن مشاركتهم فى هذا القتال ، كما نقل ابن كثير فى البداية والنهاية ٩ / ١١٥ ، ولما قاتل أهل البصرة أهل الشام خالفهم الحسن البصري ونهاهم عن ذلك . قال ابن كثير : « وكان الحسن البصري في هذه الأيام يحرض الناس على الكف وترك الدخول في الفتنة وينهاهم أشد النهي »

(البداية ٩ /٢٢٠).

٢- أمر عبد الله بن الزبير (رضى الله عنه)

بويع لعبد الله بن الزبير بالخلافة فى جميع الأقطار الإسلامية ، فى نفس الوقت الذى بويع فيه لعبد الملك بن مروان فى بلاد الشام . ولم يكن عبد الله مناجزا لعبد الملك بن مروان أو خارجا عليه ، وقد كان الأئمة يرون الحجاج ومن معه خارجين على ابن الزبير .كما حكى الإمام النووى (رحمه الله) فى شرح مسلم ١٦ / ٩٩ .. قال الإمام ابن كثير : « لما مات يزيد بن معاوية وابنه معاوية بن يزيد من بعده قريبا استفحل أمر عبد الله بن الزبير جدا وبويع له بالخلافة فى جميع البلاد الإسلامية ، وبايع له الضحاك بن قيس بدمشق وأعمالها ، ولكن عارضه مروان بن الحكم فى ذلك وأخذ الشام ومصر من نواب ابن الزبير ، ثم جر السرايا إلى العراق ومات ، وتولى بعده عبد الملك بن مروان فقتل مصعب بن الزبير بالعراق وأخذها ، ثم بعث إلى الحجاج فحاصر ابن الزبير بمكة قريبا من سبعة أشهر ، حتى ظفر به فى يوم الثلاثاء سابع عشر جمادى الأولى سنة ثلاث وسبعين» (البداية والنهاية ٨ / ٣٣٩).

وعندما اشتد الصراع بين عبد الله بن الزبير و الحجاج نهى أئمة السلف ابن الزبير عن النزاع الطويل على الحكم ، وطالبوه بالتنازل حقنا للدماء، مع علمهم أنه كان على الحق ، ولكن القوة كانت مع الحجاج وليست معه .. فقد وقف عبد الله بن عمر (رضى الله عنه) على ابن الزبير وهو مصلوب بعد موته قائلا له :

« السلام عليك أبا خُبَيْب السلام - ثلاثا - أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا . أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا.أما والله لقد كنت أنهاك عن هذا » (رواه مسلم . باب ذكر كذاب قريش ومبيرها . ٢٥٤٥) قال النووى : قوله :« لقد كنت أنهاك عن هذا » أي عن المنازعة الطويلة » (شرح مسلم / ١٦ ٩٩)

وقد سئل الإمام العلامة الألبانى (رحمه الله) عن خروج سعيد ابن جبير فى فتنة ابن الأشعث ، وخروج عائشة رضى الله عنها والزبير وطلحة فى طلب دم عثمان بعد بيعة على رضى الله عنهم ودون إذنه ..

فأجاب قائلا : « الخروج لا يجوز . وهذه الأدلة هى على من يحتج بها وليست لصالحه إطلاقا . هناك حكمة تروى عن عيسى عليه السلام ـ ولا يهمنا صحتها بقدر ما يهمنا صحة معناها ـ أنه وعظ الحواريين يوما ، وأخبرهم بأن هناك نبيا يكون خاتم الأنبياء ، وأنه سيكون بين يديه أنبياء كذبة ، فقالوا له : كيف نميز الصادق من الكاذب؟ فأجاب بالحكمة المشار إليها ، وهى قوله : (من ثمارهم تعرفونهم) . فهذا الخروج وذلك الخروج - ومنه خروج عائشة رضى الله عنها ـ نحن نحكم على الخروج من الثمرة ، فهل الثمرة كانت مرة أم حلوة ؟ لا شك أن التاريخ الإسلامى الذى حدثنا بهذا الخروج وبذلك : ينبيء بأنه كان شرا ، فقد سفكت دماء المسلمين، وذهبت هدرا بدون فائدة ، وبخاصة مايتعلق بخروج السيدة عائشة رضى الله عنها ، فالسيدة عائشة قد ندمت على خروجها ، وهى تبكى بكاء مرا ، حتى يبتل خمارها ، وتتمنى أن لا تكون قد خرجت ذلك الخروج ..

إن الاحتجاج بهذا الخروج .

: أولا : هذا حجة عليهم ؛ لأنه لم يكن منه فائدة .

ثانيا : لماذا نتمسك بخروج سعيد بن جبير ولا نتمسك بعدم خروج كبار الصحابة (رضى الله عنهم) الذين كانوا فى عصره كابن عمر وغيره ، ثم تتابع علماء السلف كلهم بعدم الخروج على الحاكم فإذا هناك خروجان :

خروج فكرى ، وهو الأخطر.. خروج عملى وهو ثمرة للأول . فلا يجوز مثل هذا الخروج . والأدلة التى ذكرتها آنفا فهى - طبعا - عليهم وليست لهم » (فتاوى الأئمة فى النوازل للقحطانى. ص/ ١١٧).

تنظيمات حسن البنا ..

كانت خطة حسن البنا خطة ثورية انقلابية ، ولكنها كانت سرية . فقد كان لحسن البنا تنظيم سري خاص يخضع لأوامره مباشرة ، كما كان له تنظيمان آخران : أحدهما : فى الشرطة بقيادة الأستاذ صلاح شادى ، وكان يطلق عليه " تنظيم الوحدات " ولكنه لم يظهر بدور مميز كما ظهر غيره ، إلا فى قتل النقراشى باشا . والثانى " فى الجيش ، تحت قيادة الصاغ / محمود لبيب ، وكان باسم تنظيم الضباط الأحرار ، تمويها على البوليس السياسي. وكذلك أنشأ فرق الجوالة ، التى مارست أنواعا مختلفة من التدريبات .. وقد نفذت آثار التدريبات الإخوانية لفرق الجوالة ، تنفيذا جادا ، كما تبادر إلى ذهن عباس السيسي عندما كتب بعض العبارات على حائط ، فتصادف أن رآه جندى من رجال المباحث فقبض على رقبته بكل قوة ، فما كان منه إلا أن ضربه تحت عنقه ، ليرديه على الأرض ، كما ذكر فى كتابه (فى قافلة الإخوان .ص/ ١٠٩) قائلا : « وساقنى المخبر إلى اتجاه قسم المنشية ـ فى هذه اللحظات فكرت فى أن أستخدم معه أسلوب الضربة المعجزة التى تعلمناها فى التدريب على المصارعة اليابانية ـ وفعلا تشجعت وضربته ضربة شديدة تحت عنقه فوقع على الأرض كالطود وأسرعت للهرب .. الخ .

ولم يفلح عباس فى الهرب لأن المخبر الآخر نادى عليه : حرامى حرامى .. فقبض عليه ، وضربه ضربا شديدا » أهـ .

ومن أجل بلوغ تلك الغاية أنشأ حسن البنا نظام استخبارات خاص به ، يقوم بالتجسس على الوزراء واللواءات ، ومعرفة أخبار الممثلات . ليكون على بينة من مواطن الضعف والقوة فى المجتمع .

ولم تكن الدولة فى ذلك الوقت تهتم بالأمن السياسي بالقدر الذى كان يهتم به الإخوان ، وقد أكد ذلك أحمد رائف فى كتابه (الصفحات .ص/ ٢١٦) .

وكان النظام الخاص يجمع الأخبار عن جميع خصوم الإخوان وأصدقائهم على السواء ، ليضعها أمام المرشد العام . قال محمود عساف : « كنا نجمع معلومات عن جميع الزعماء والمشاهير من رجال السياسة والفكر والأدب والفن ، سواء كانوا أعداء للإخوان أو أنصارهم . وهذه المعلومات كانت ترد لى لأحتفظ بها فى أرشيف ، وأعود إليها كلما طلب أحد هؤلاء مقابلة الأستاذ الإمام أو اجتمع به لأية مناسبة من المناسبات ، وأذكر الإمام بالمعلومات حتى تكون فى خلفيته وهو يتحدث مع ذلك الشخص» (الإمام الشهيد ص/ ١٥٢) .

وهذا أمر باق بينهم إلى الآن ، يتجسسون على خصومهم ويجمعون أخبارهم .. حتى إنهم يتجسسون على بعضهم بعضا ، وينقلون أخبار بعضهم إلى القيادة العليا على هيئة نميمة ، بحجة الحفاظ على الحركة من الاختراق ، فكلهم مرشدون لصالح مرشد واحد .

وبالإضافة إلى ذلك فقد أنشأ حسن البنا جهازا متخصصا فى إطلاق الإشاعات والأكاذيب ، لمعرفة اتجاهات المجتمع ووزن مقوماته ، لأجل تحديد زمن الوثوب على الحكم . قال أحمد رائف : « وكان لا بد من عمل إعلامى مضاد لإعلام الحكومة، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية ، بعضها عن غير قصد ، والآخر وفق خطة مرسومة» (الصفحات.ص/ ٢٤٥) .

وقد تقدم كذلك أنهم كانوا يوزعون المنشورات الكاذبة ، ليجذبوا الانتباه إليهم ، قال محمود عبد الحليم : « كنا نطبع منشورات بكلام غير ذى هدف معين غير أنه كلام يلفت النظر ويثير الاستغراب »(أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٩٠) .

الإخوان والفكر الثورى ..

التزم الإخوان نفس الخط الذى رسمه حسن البنا فى الانقلاب بجميع صوره وأشكاله ، فقد كان يخطط بسرية بالغة للثورة والانقلاب على دولة الملك ، وقد شهد أحمد رائف أن حسن البنا أسر بذلك لعزيز المصرى والصاغ محمود لبيب ، وأوكل لهما الإعداد لذلك .. وقال فى لقائه مع قناة " الجزيرة " :

« ومشروع الانقلاب مشروع إخوانى أولا وأخيرا ، كان فى رأس حسن البنا) (الجزيرة نت ٥ / ٢ / ٢٠٠٦ م) و أكد التلمساني عظم اهتمام حسن البنا بتدبير ثورة ضد الملك فاروق – خلافا لما قال آنفا – وقال: « إن حسن البنا بصوفيته هو صانع انقلاب ١٩٥٢م ، وإن كانوا يتهموننا اليوم بأننا أعداء هذا الإنقلاب » (ذكريات لا مذكرات) وقد كانت مشاعر عامة الإخوان جاهزة للانقلاب ، كما بين أحمد رائف فى (الصفحات . ص/ ٢٤٣):« ولكن ماذا يفعل حيال جمهور قوى غاضب مسلح ، قد هيأ نفسه للنصر والحكم »أهـ وقال الضابط / عبد المنعم عبد الرؤوف لحسين حمودة: « إن مصر حالتها لا تسر أحدا. وأن إنقاذ شعب مصر من الاحتلال البريطاني والحكم الملكي الفاسد لن يتأتى إلا بثورة مسلحة، يتولاها ويدبر أمرها المخلصون من الشباب في الجيش والشعب.قال حسين حمودة : فوافقته على ذلك الرأي» (الإخوان منيا أون لاين. نت).

ولا عجب من نسبة الفكر الثورى الانقلابي لدعوة الإخوان . سواء من جهة حسن البنا المؤسس الأول أو من جهة غيره . فقد دعا سيد قطب إلى الانقلاب على الملك فاروق قبل أن تشتعل الثورة قائلا : « الآن ينبغي أن تتولى الجماهير الكادحة المحرومة المغبونة قضيتها بيدها. إن أحدا لن يقدم لهذه الجماهير عونا إلا أنفسها ؛ فعليها أن تعنى بأمرها، ولا تتطلع إلى معونة أخرى » (معركة الإسلام والرأسمالية . ص / ١١٣) .

وقد كان هذا منهجا عاما فى فكر سيد قطب ، كما وضح فى كتابه " فى ظلال القرآن ٣ / ١٤٥١ " ، قائلا : « إلا أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامى عن الشروع فى مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعى وراء تغيير نظم الحكم في بلادهم التى يسكنونها . »أهـ

ولا يزال هذا الفكر قائما إلى الآن .. ولكن بطريقة معاصرة تشبه فقاقيع الصابون تبلورت لديهم بسبب الاشتغال بالمفاهيم السياسية المعاصرة .. فمحمد عاكف الذى قال آنفا " لسنا أهل ثورة " لا يزال يمنى نفسه بتهييج العامة ، قائلا : « إن الإخوان المسلمين يرون أن العصيان المدني قد يحقق الكثير لدفع الحكومة المصرية للتحرك، مشددا على ضرورة التنسيق مع القوى السياسية الأخرى قبل اتخاذ مثل هذه الخطوة » (إخوان أون لاين نت ٦ / ٧ / ١٤٢٧ هـ) وعلى نفس الدرب حفز العريان الإخوان : « أن يكونوا القوة الأساسية التي تنادي بالإصلاح السياسي والدستوري عبر آليات كثيرة – وما هي هذه الآليات . ؟ كأن تصل بالناس عبر عمل سياسي دؤوب إلى حالة العصيان المدني »(إسلام أون لاين – ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢م) وقال : « إن أكبر دعم يمكن أن تقدمه الشعوب العربية للشعب الفلسطيني ولحماس ، هو أن تساهم في تغيير الأنظمة الحاكمة في الدول العربية » (المصري اليوم) والعصيان المدنى ليس تغييرا دستوريا ولا سياسيا ، إنما هو نوع من أنواع الانقلاب، ولكنهم يسمون الأشياء بغير أسمائها الحقيقية، كما تسمى الخمر بالمشروبات الروحية، كي يهربوا من المسئولية والملام ، وليظهروا بالصورة العصرية المقبولة فى العالم ، وهى :

الانقلاب عن طريق الهياج السياسي والعصيان المدني ؛ بدلا من الانقلاب عن طريق المدرعات .الذى أصبح عورة يتبرأ منها الإخوان الآن ، أما فى الزمن الماضى فقد كان جهادا فى سبيل الله .. تلك هى حقيقة الثورة التى ينكرها .

وهذا الطريق هو أصل دعوة الخوارج ، كما بين أئمة الإسلام ، قال العلامة

العثيمين : « نحن نعلم علم اليقين بمقتضى طبيعة الحال أنه لا يمكن خروج بالسيف إلا وقد سبقه خروج باللسان والقول » (فتاوى العلماء.ص ٩٦) .

الخطة الإخوانية فى الانقلاب والثورة ..

زعم كثير من مفكري الإخوان أن التنظيم الخاص كان موجها فقط ضد الإنجليز . ولم يكن موجها ضد دولة الملك ..والحقيقة أنه كان معدا للثورة على دولة الملك ، وكل ما تقدم من إعدادات كان من أجل ذلك .

أما دور التنظيم ضد الإنجليز فلم يقم إلا بسبعة عشر عملية قتالية ، وذلك منذ إنشاء الجماعة فى أواخر عام ١٩٢٨م حتى عام ١٩٥١م . كما بين الصباغ فى كتابه (التنظيم الخاص) .. وهذا أحمد رائف يكذب قول من حصر عمل التنظيم الخاص للإخوان فى مواجهة الإنجليز ، قائلا : « يخطيء من يظن أنه كان نظاما جهاديا فقط يستهدف طرد الإنجليز والقضاء على تلاميذهم وأعوانهم فقط ، بل كانوا ـ كما قلنا ـ هم النواة لدولة جديدة تتدرب على الإدارة والحكم ، وهى أيضا تتناول كافة المشكلات بالعلاج ووضع الحلول . وقد عملوا فى هذا المجال دون سابقة من خبرة أو تجربة » (الصفحات . ص/ ٢١٥) وهذا هو ما أكده عبد الحليم بقوله : « ترى تنظيمات الإخوان أن تحرير مصر من الحكم القائم بها هو مجرد وسيلة لتمكين الحكم الإسلامى من القيام بها» (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥٦٥) .

وقد أكد ذلك سعى عبد الرحمن السندى الدءوب فى قلب نظام الحكم ، قال أحمد رائف : « رجل عاش .. مختفيا عن أعين الشرطة والرقباء ، ويعمل على إسقاط النظام» (الصفحات . ص/ ٢٣٠)

وأكد القرضاوى أن أمر استخدام القوة كطريق للانقلاب فى ذهن حسن البنا كان مبنيا على استغلال القوات المسلحة إذا آمنت بالفكرة الإسلامية – على حد تعبيره – فقال : « هذه القوة التى أشار إليها الإمام ليست هى الاغتيال السياسى ، ولا قتل المدنيين ، ولا تدمير المنشآت ، فهذه لا يصارح بها ، بل تتم فى تكتم وسرية (!) ولعل المقصود هنا : أن تقوم القوات المسلحة بذلك ، حين يقتنع رجالها بالفكرة

الإسلامية ، كما حدث أخيرا فى السودان، حيث قامت ثورة الإنقاذ التى لم يرق فيها قطرة دم واحدة ، ولعل البنا كان يريد أن يقوم بما قام به عبد الناصر من بعد» (الإخوان ٧٠ عاما . ص/ ١٢١) ..

والحقيقة أن حسن البنا كان يسير بنظام البدائل المتنوعة للوصول إلى الحكم ... إما بالجيش ، وإما بالتنظيمات الإخوانية ، وإما بالشعب . فقد كان ينظر إلى شتى الطرق فى الوصول إلى الحكم ، وإن كان قد بين لأتباعه بكل وضوح كيفية الوصول إلى هدفه فى غزو المخالفين لدعوته ، وذلك فى رسالة المؤتمر الخامس تحت عنوان " متى تكون خطواتنا تنفيذية " بقوله : « وفى الوقت الذي يكون فيه منكم ـ معشر الإخوان المسلمين ـ ثلاثمائة كتيبة قد جهزت كل منها نفسيا روحيا بالإيمان والعقيدة ، وفكرياً بالعلم والثقافة ، وجسميا بالتدريب والرياضة ، في هذا الوقت طالبوني بأن أخوض بكم لجج البحار ، وأقتحم بكم عنان السماء . وأغزو بكم كل عنيد جبار ، فإني فاعل إن شاء الله ، وصدق رسول الله القائل:(ولن يغلب اثنا عشر ألفا من قلة » أهـ ..

ولا شك أنه ليس منوطا به القيام بهذا العمل باعتباره كان فردا من أفراد الشعب لا سلطان له ولا قوامة ..

قال العلامة العثيمين : « لا يجوز غزو الجيش إلا بإذن الإمام مهما كان الأمر ، لأن المخاطب بالغزو والجهاد هم ولاة الأمور ، وليس أفراد الناس ، فأفراد الناس تبع لأهل الحل والعقد» (الشرح الممتع ٨ / ٢٥) .

ومع ما قاله حسن البنا . فقد بلغ الإخوان الملايين ، كما زعم ، ومع ذلك لم يتحقق له فى هذا العدد تلك الصفات التى يغزو بها الجبابرة ويفتح بها العالم.

ولم يكن فكر البدائل الانقلابية فكرا خاصة بحسن البنا ، بل هو فكر عام فى حركة الإخوان ، وهو قائم على استخدام الغير ، والاختباء وراء الأستار ، للنظر فيما تتمخض عنه الأحداث .. قال محمود عبد الحليم : كان للمرشد العام – الهضيبي – نظرية مقنعة ملخصها : « أن الشعوب إذا ابتليت بحاكم ظالم تبذل جهدها فى

مقاومة ظلمه بجميع وسائل المقاومة ، حتى إذا فشلت كل جهودها لم يبق أمامها من ملجأ تلجأ إليه وملاذ أخير تستغيث به إلا الجيش. فالجيش هو الملجأ الأخير لإنقاذ الشعب » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٠٣).

فالاستعانة بالجيش فكرة إخوانية قديمة للانقلاب والتغيير ..في وقت الضعف خدم ، وعندما يتحقق المراد يقولون للجيش " عودوا إلى الثكنات يا أعداء الإنسانية ".نحن العقل وأنتم العضلات .

فإذا يأسوا من الجيش لعبوا بورقة الشعب ، وتآمروا على الجيش ، كأن الشعب قطيع من الغنم ، يسوقونه كما يشاءون . والحمد لله : فالشعب المصري ليس من الغباء الذى يجعله كورقة فى مهب الريح ، يلعب بها الإخوان كما يشاء .

جرائم التنظيم السري ...

لا أكون جانيا إذا قلت إن جماعة الإخوان هى النكسة التى ابتليت بها مصر والأمة الإسلامية ، بل والدعوة الإسلامية خاصة ، منذ نشأتهم إلى الآن .. فقد سبقنى إلى ذلك العلامة مقبل الوادعى (رحمه الله) ، حيث قال : « دعوة الإخوان المسلمين نكبة على الدعوات » (تحفة المجيب . ص/ ٢٠٣) وكذلك سمو الأمير نايف بن عبد العزيز (حفظه الله) حيث قال فى لقائه مع جريدة (السياسة الكويتية فى ٢٥ نوفمبر ٢٠٠٢م) :

« مشكلاتنا كلها جاءت من الإخوان المسلمين. لقد تحملنا الكثير منهم ولسنا وحدنا الذين تحملنا منهم الكثير. إنهم سبب المشاكل في عالمنا العربي وربما في عالمنا الاسلامي، حزب الإخوان المسلمين دمر العالم العربي..» أهـ .

فكم أثاروا من الفتن وكم تسببوا فى إرهاب الناس فى المساجد . وفى كل مرة يهربون من تحمل تبعات أخطائهم ، ويحملون غيرهم ما حل بالأمة من مصائب ، هم الذين غرسوها بأيديهم ، وسقوا تربتها بجهلهم .. فدائما ما ينكر قادة الإخوان تفنن جماعتهم فى ارتكاب الجرائم والاغتيالات السياسية ، خاصة فى الأربعينات من القرن الماضي .. فقد تبرأ محمد عاكف من تحمل تبعات جميع الجماعات المتطرفة ،

التى نشأت من عباءتهم . وأنكر بغير خجل أن يكون الإخوان وراء أحداث العنف فى يوم من الأيام . وقال فى (آفاق عربية ١٠ فبراير ٢٠٠٥م) : « لا يقول هذا إلا جاهل متعمد أن يسيء إلى الإخوان . الإخوان صحيفتهم بيضاء ، وتاريخهم بريء من كل هذه الأعمال » أهـ .

وزعم نائب المرشد السابق محمد حبيب أن حوادث العنف التى ارتكبها التنظيم الخاص فى الزمن الماضي كانت حوادث فردية ، قائلا : « إن حادثى مقتل النقراشي رئيس وزراء مصر والذى قتل على يد عناصر تابعة للنظام الخاص فى جماعة الإخوان المسلمين والقاضى الخازندار وقعتا فى الأربعينات من القرن الماضى قبل ثورة يوليو ٥٢ والذين يستدل بهما البعض على أعمال عنف ارتكبها الإخوان بأنهما كانا عملا فرديا مؤكدا أن الإخوان المسلمين ومرشدهم الأول حسن البنا قد استنكروا هاتين الحادثتين فى حينها» (آفاق عربية . عدد . ٦٨٨)

وهذا كله لا أساس له من الصحة ...

وقد استشعر كثير من العاملين فى الوسط الدعوى هذا الإصرار الغريب على الخطأ وعدم الاعتراف به من قبل قادة الإخوان ..

بخلاف ما وقع من قادة الجماعة الإسلامية فى مصر ، فإنهم لم يجدوا غضاضة من الاعتراف بأخطائهم ، حتى عادوا إلى الحق ، واعتذروا لخصومهم ، إرضاء لله تعالى .. ومنعا لسبل العنف أن تستشري بالباطـل فى الأجيال الآتية ، قالوا :

« إنهم لا يعتذرون فقط للمصريين عن هذه الجرائم ، إنما يسعون أيضا لتعويض الضحايا ودفع "ديات" لعائلات من قتلوهم من الشرطة أو المدنيين »(المصور ٢١-٧-٢٠٠٢) .

فهل وفق محمد عاكف – عضو التنظيم السري القديم – فى تجهيل مخالفيه القائلين بأن الإرهاب المعاصر خرج من عباءة الإخوان ، أم لا .؟ وهل كان الدكتور/ حبيب دقيقا في تبرئة جموع الإخوان من تلك الحوادث أم لا . ؟

والجواب :

الحقيقة دائما بخلاف ما يقولون ، وهذه هى الأدلة التى تثبت تفنن الجهاز السري الخاص للإخوان فى الاغتيالات السياسية وارتكاب جرائم قتل فى القرن الماضي ، ومعها ما يؤكد استقبال جموع الإخوان لتلك الجرائم بالفرح والسرور. وأن القضية ليست قضية احتلال ، كما يهرف بعضهم لمن لا يعلم حقيقتهم ..

أما محمد عاكف فقد كان عضوا فى التنظيم الخاص . والتنظيم الخاص كان تنظيما انقلابيا يهدف إلى قلب نظام الحكم بالقوة ، وصحيفته لم تكن بيضاء كما زعم ، إنما هى صحيفة ملوثة بالدماء والإرهاب . فقد كان من جملة الأعمال التى قام بها هذا التنظيم عندما كان محمد عاكف عضوا فيه هى قتل المهندس / سيد فايز عبد المطلب ، على أثر اختلاف وقع بينه وبين أعضاء التنظيم ، حيث أرسلت إليه قنبلة فى علبة حلويات بمناسبة يوم المولد ، فانفجرت فيه وأودت بحياته ، كما أكد عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٢٩) كما أن أفرادا من التنظيم الخاص كانوا يتتبعون بمخالفي الجماعة بالتهديد والتخويف ، كما تتبعوا محمد الغزالى عندما انتقد فى كتابه " من معالم الحق " جماعة الإخوان ومرشدها .

قال القرضاوى : « ومما هيج الشيخ أكثر واستثار غضبه أن بعض المتحمسين من الإخوان تحداه وهدده بالقتل إن تكلم أو كتب » (آفاق عربية. ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) كما تلقت الهيئة التأسيسية للإخوان تهديدا بالسطو المسلح من قبل شباب التنظيم الخاص ، وذكر أن « بعض هؤلاء الشباب قد أعد خطة مسلحة لمهاجمة أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان فى حالة صدور قرارات لا تؤيد الجماعات المعارضة للمرشد العام الأستاذ الهضيبي» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٥٠٣) .

وقد كان جل اجتماعات التنظيم الخاص لعنا وسبا فى المرشد العام حسن الهضيبي ، قال عساف : « دعيت إلى هذا الاجتماع وسمعت فيه من الأعضاء المستقيلين سبابا فى المرشد العام .. الأمر الذى يتنافى مع أبسط قواعد الأدب وأخذوا يشرحون مواقفهم » (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٥٩) .

فأى براءة يسعى إليها عاكف ؟ وأى صفحة بيضاء فى هذا التنظيم الذى كان ينتمى إليه؟ فقد شهد الغزالى أن صفحات هذا التنظيم كانت شرا على الأمة وعلى الجماعة ، وذلك فى كتابه – قبل التعديل – (من معالم الحق . ص/ ٢٢٦ . ط . الرابعة : ١٩٨٤ م.دار الصحوة) قائلا : « وقد كان هؤلاء الشباب الأخفياء شرا ووبيلا على الجماعة وتحولوا إلى أداة تخريب وإرهاب فى يد من لا فقه لهم فى الإسلام ولا تعويل على إدراكهم للصالح العام»أهـ ...

فمرشد الإخوان/ محمد عاكف .. لو ترك غيره ليقول هذا الكلام لكان أهون ، أما أن يتجرأ ويخالف حقيقة ما كان عليه ، فهذا شيء عظيم .. وهو بين أمرين : إما أن يتراجع عن اتهام مخالفيه بالجهل ، وإما أن يمضى حكمه السابق على بعض قادة الإخوان، الذين اعترفوا بجنايات هذا التنظيم . وإلا فهو غارق إلى الآن فى مفهوم التنظيم الخاص الذى أسسه حسن البنا. قال أبو العلا ماضي : « النظام الخاص موجود برجاله المسيطرين على مفاتيح القرار وعلى التشكيل وعلى صياغة العقلية الجديدة ، لدرجة أنه بدأت الآن تتولد مجموعات من أجيال لاحقة تفكر بنفس الطريقة وده كان أهم شيء يستطيع أن يفعلوه» (العربي . ٣٠ مايو ٢٠٠٤م)...

أيضا : ومهما بذل الدكتور محمد حبيب من جهد فلن يستطيع تبرئة جموع الإخوان من التهم الموجهة إليهم .. ففرحهم بالاغتيالات السياسية أمر ثابت بالوثائق .. فقد حاول الإخوان تبرئة أنفسهم منها فما أفلحوا ، لكثرة الشواهد ، وتوافق الفكرة التى نشئوا عليها مع الجرائم التى ارتكبوها . فقد أنكر حسن البنا اشتراك الإخوان فى قتل القاضى الخازندار ، ثم أثبته فيما بعد ، وحقق مع منفذه .. وقام آخرون من الإخوان يدفعون تلك التهم عن الجماعة قائلين : إن الذى قام بتلك الأحداث قلة من الجماعة ، وفعل القلة لا ينسب إلى الكثرة .. غير أن موافقة الإخوان على الفكر الانقلابي يؤكد تلبسهم بالأعمال الإرهابية التى نسبت إليهم .. وما نشر من إنكار على لسان بعضهم ، إنما ذلك لأجل أن الفعل كان مخالفا للخطة العامة للجماعة ، ولكنه غير مخالف للفكرة . التى أكد حسن البنا أنه سيقدم عليها يوما ما . أو هو من باب توزيع الأدوار كما تقدم ... فالقرضاوى الذى زعم أن الأحداث الإرهابية

الماضية كانت معبرة عن فعل القلة تناقض مع نفسه ، ونقل فى مذكراته ما يدل على استقبال عامة الإخوان لتلك الحوادث بالسرور، حتى جعل قاتل النقراشى باشا إماما من الأئمة ، وجعل النقراشى كلبا من الكلاب . وما ذلك إلا لأن القتل يعبر عن فكرتهم ، ويحقق غاياتهم .. فالجو السياسي فى هذا الزمان كان يستحل قتل المخالفين لهم كما زعم . قال القرضاوى: « وقابل عامة الإخوان اغتيال النقراشى بفرحة مشوبة بالحذر ، فقد رد عبد المجيد حسن لهم كرامتهم ، وأثبت أن لحمهم مسموم لا يؤكل ، وأن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذ جزاءه ! وكان الجو السياسي العام فى مصر يسيغ ذلك »(سيرة ومسيرة . ١ / ٣٣٥-٣٣٧) .

وأنشد معظما قاتل النقراشى قائلا فى نفس كتابه ١ / ٣٣٧ :

عبد المجيد تحية وسلام ... أبشر فإنك للشباب إمام

سممت كلبا جاء كلب بعده ... ولكل كلب عندنا سمام

ونسي القرضاوى أن دين الإسلام لا يبيح ذلك ويأباه .. ذلك إذا كانت مرجعيته مرجعية دينية إسلامية ..! وليس اختلاف الزمن مبررا للقتل المحرم بأى صورة من الصور كما زعم .

أشهر الاغتيالات السياسية فى دعوة الإخوان

١- قتل أحمد ماهر باشا عام ١٩٤٥م ..

كان عمل التنظيم الخاص فى زمن الملك فاروق يدور حول رصد الشخصيات السياسية ، للتخلص منها بالقتل غدرا ، دون إقامة حجة أو بلاغ أو استتابة ، فبمجرد الاختلاف فى بعض المسائل السياسية يتهم السياسي بالعمالة والخيانة ، ومن ثم يجب قتله والتخلص منه ، وهذا هو الذى شهد به تاريخهم وسجل فى كتبهم **وقد كان مقتل أحمد ماهر باشا " رئيس الوزراء " أول جريمة اغتيال** سياسي فكر الإخوان فى تنفيذها . وكان ذلك عام ١٩٤٥م .. ولكنهم أفلتوا من عاقبتها .! وأحمد ماهر باشا كما قال محمود عساف : « هو الذى أسقط الأستاذ الإمام فى انتخابات البرلمان عن دائرة الإسماعيلية » (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٥١) .

وقد كان أحمد ماهر موضع اعتراض من قبل الإخوان بسبب تفكيره فى التحالف مع قوات الحلفاء والإنجليز ضد قوات المحور (ألمانيا وإيطاليا) وقد قرر الإخوان قتله بمجرد التفكير فى عقد هذا التحالف .. بالتهمة المعهودة وهى الاتهام بالعمالة!.

وقد كان لأحمد ماهر باشا وجهة نظر بعيدة فى هذا التحالف ، قائمة على الاستفادة من الهدنة والصلح ، الذي سيتحقق بين الطرفين المتقاتلين بعد انتهاء الحرب ..وقد كانت منظمة الأمم المتحدة مشروعا مقترحا من انجلترا وأمريكا فى ذلك الوقت .. وقد وعد أولئك من يقف بجوارهم فى تلك الحرب بالاستقلال عن طريق تلك المنظمة . ومن أجل ذلك وقف أحمد ماهر باشا بجوار انجلترا . وعلى كل حال ففكره السياسي أخطأ فيه أم أصاب اجتهاد منه .. ولا يخفى أن مجلس النواب على العموم فى هذا الزمان كان خلف أحمد ماهر ، عندما اختارالوقوف بجوار إنجلترا ضد ألمانيا وإيطاليا . ولا ينبغى أن يقتل إنسان بسبب اجتهاده .. ولا أن يقتل على العموم دون

قضاء ومحاكمة واستتابة.. فهذا معناه تحكم الفوضى فى إدارة المجتمع.

والإخوان يتمنون لتلك الفوضى أن تستمر فى المجتمع ، لأنها الوسط الملائم لنشر دعوتهم .. فقد كانت الحرب تمثل الساحة المفتوحة فى دعوة الإخوان ـ ولا زلت أقول إن الإخوان لا يقدرون على العيش فى زمن مستقر ، لأنهم نشأوا فى زمن الاحتلال والحروب العالمية والمعارك الحزبية الداخلية .. يريدون هذا الواقع ، لأنه يذكرهم بالمظاهرات والقلاقل والاغتيالات ، التى هى ركن ركين من أركان دعوتهم - وقد كان حسن البنا يبرر تلك النظرة .. بزعم أن الحكام والدول المتحاربة إذا انتهت من حربها ستتوجه بعد ذلك لحرب الإخوان .. وقد أشار إلى ذلك محمود عبد الحليم قائلا : « كما أنه ـ حسن البنا ـ يري أن انشغال المستعمر بالحرب ومن ورائه الحكومة المصرية فرصة للعمل دون عائق ، وعلى الإخوان أن يكثفوا من جهودهم حتى ينجزوا أكبر قدر من العمل فى أصغر قدر من الزمن قبل أن تنتهى الحرب فجأة فيتفرغ هؤلاء للكيد للدعوة . الخ ..

وقال : « أنه فى سبيل إنجاز هذا العمل الكبير يجب على الإخوان ـ فى خلال فترة الحرب - أن يغضوا الطرف عن الشئون السياسية فيتجنبوا اتخاذ مواقف سياسية محددة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، مكتفين بالتعرض لما سوى ذلك من الشئون التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، وإذا دهمهم أمر سياسي معين فعليهم أن يتفادوه وأن يطوعوه لخدمة هدفهم الكبير » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٤٤) .

تلك هى مفاهيم الإخوان ، وهذا هو طريقهم ..

وتلك هى الخطة التى وضعها حسن البنا للعمل فى فترة الحرب العالمية الثانية من عام ١٩٣٩م حتى عام ١٩٤٤م ...

أما بشأن مقتل أحمد ماهر باشا ..

فقد أخبر الشيخ سيد سابق (رحمه الله) الأستاذ خالد محمد خالد الأديب المعروف بأن الذى قتل أحمد ماهر باشا شاب من شباب التنظيم السري الخاص للإخوان . غير أن الصحف نشرت أن القاتل هو محمود العيسوى المحامى ، وهو من

شباب الحزب الوطنى ، وخرج الإخوان من المأزق.. وقد بين الأستاذ / خالد محمد خالد فى جريدة الوفد بتاريخ ١٥ / ١٠ / ١٩٩٢م أن : « التنظيم السري كان بارعا فى التنكر ، فهو بعد تدريب أعضائه على كل أفانين الإرهاب ، يأمر بعضهم بأن يلتحق ببعض الأحزاب والجماعات ، حتى إذا اختير لعمل من أعمال الاغتيال أو الإرهاب ، لم يبد أمام القانون ولا الرأى العام من أعضاء الإخوان .. من هذا النوع كان محمود العيسوى » (مع الإمام الشهيد ص/ ١٥٢) .

والعجب فى الأمر أن محمود عساف لم يخبرنا عن رأى حسن البنا فيما كان يفكر فيه التنظيم الخاص باعتباره المرشد الأعلى.وتلك عادة الإخوان. واحد ينفذ ، وآخر يسكت ، وثالث ينكر . والمقصود : إظهار شوكة مؤثرة من قريب أو من بعيد فى القرارات السياسية . مع الظفر بالهروب من تحمل التبعات .. وقد أكد الأستاذ عساف أن التنظيم الخاص حقا كان يفكر فى قتل أحمد ماهر باشا ووضع الخطة لذلك ولكنه لم يقتله .. لأن أحمد عبد الفتاح الذى كلف بهذا الأمر رفض التنفيذ . . غير أنه ليس بعيدا على رئيس التنظيم أن يأتى بغيره ، لينفذ دون أن يخبر الآخرين ، على العادة فى أمر التنظيمات السرية . والإخوان يزعمون أن السندى كان يعمل ، دون انتظار لإذن من أحد .

يقول محمود عساف : « دعا عبد الرحمن السندى إلى اجتماع ـ وكنت حاضرا فيه ـ وقال إنه ينبغى أن نفكر فى خطة لقتل أحمد ماهر قبل أن يعلن الحرب على المحور ! وقال إنه وضع خطة أولية تقوم على تكليف أحد الإخوان بالمهمة ، فيزود بمسدس وينطلق إلى مزلقان العباسية (مكان نفق العباسية الحالى) وينتظر هناك مرور سيارة أحمد ماهر ، حيث أن السيارات تبطىء كثيرا من سرعتها عند المزلقان ثم يطلق الرصاص عليه ، ويكون هناك شخص آخر منتظرا بموتوسيكل يحمله معه ويهربان .. ثم قال عساف : تلك هى الخطة البدائية التى أثارت الاستياء من جميع الحاضرين»(الإمام الشهيد.ص/ ١٥٣) ..

وقد كلف أحمد عبد الفتاح طه بالقيام بالعملية ، ثم اعتذر فى اليوم الثانى

وانفض الاجتماع الإخوانى على عدم الاتفاق ، هكذا قال عساف . ثم قتل أحمد ماهر فى اليوم التالي .. قال عساف : « وفى اليوم التالى طالعت صحف الصباح وإذا بخبر الاغتيال يحتل عناوين الصفحة الأولى ، فظننت أن أحمد عبد الفتاح أعاد التفكير فى الموضوع ووجد أنه من الكثير عليه أن يجبن وهو الشخص الشجاع كما أعرفه ـ ثم قرر تنفيذ العملية بمفرده وبخطة من عنده وليكن ما يكون » (المصدر السابق . ص/ ١٥٤) . ولم يخبر عساف عن خفايا التحقيقات الإخوانية فى هذا الأمر .. هل كان ثمة تحقيقات أم لا . خاصة أن السندي كان مصرا على قتله . أم أن الخبر طوى عليه .. ويشكر على ذلك محمود العيسوي ، الذى لم يزج باسم الإخوان فى تلك الجريمة كما فعل صاحبه عبد المجيد حسن فى مقتل النقراشي ..

وفى عام ٢٠٠٩م.. اعترف الأستاذ خليفة عطوة " أحد أعضاء التنظيم السري لجماعة الإخوان " بالاشتراك فى قتل أحمد ماهر باشا مع محمود العيسوى الذى تحمل القضية بمفرده .. قائلا كما نقل عنه الأستاذ حسين البربري :

« إن أول ظهور للتنظيم السري للإخوان كان عام ١٩٤٤، حيث بدأنا تكوين مجموعة الخلايا العنقودية المسلحة وكل خلية مكونة من زعيم وأربع أفراد، وكل خلية لا تعرف الأخرى ، وبدأنا بالعمل المسلح باغتيال أحمد ماهر باشا عن طريق محمود العيسوي » (المصريون نت ٧/ ٢/ ٢٠٠٩م).

لا حظ قوله " وكل خلية لا تعرف الأخرى" ليتبين لديك أن إنكار طائفة للجريمة لا يعنى براءة الجماعة منها .. وذلك أنهم يتظاهرون بعدم الاشتراك والتراجع فى الظاهر ويوكلون طائفة أخرى بالعمل الذى رفضته الطائفة الأولى .

ولا أدرى كيف يقتل مسئول سياسي لمجرد أنه فكر فقط فى الأمر ، فقد قال عساف إن الإخوان فكروا فى قتله قبل أن يعقد هذا التحالف .. لم يبق فقط إلا أن أحمد ماهر كان عميلا ماسونيا إنجليزيا . والجهاز الخاص كان معدا فقط لمواجهة الإنجليز والماسون . هذا هو الذى ينتهى إليه الإخوان إذا بطلت حيلهم . ولا أدرى لماذا خصوا الماسون فى الأحزاب بالقتل ، ولم يقتلوا الماسون من الإخوان الذين

اخترقوا جماعتهم ، وصاروا فيما بعد فى مواقع قيادية بارزة فى بشهادة الغزالى وسيد قطب . وقد كانوا معروفين لهم بالاسم ..

٢- مقتل القاضى أحمد الخازندار...

أراد حسن البنا أن يبرىء الإخوان من تهمة قتل القاضى أحمد الخازندار ، فقال ردا على مذكرة عبد الرحمن بك عمار : « وعرضت بعد ذلك إلى حوادث الخازندار بك ، وكل ذنب الإخوان فيه أن أحد المتهمين شاع أنه سكرتير للمرشد العام مع أن هذه الصلة لم تثبت فى التحقيق» (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٥٦) ولكنه لم يستطع الفرار من الضغوط التى أثبتت تورط الجماعة فى تلك الجريمة ؛ فأقام محاكمة صورية لعبد الرحمن السندى قاتل القاضى الخازندار ، ليثبت أن تنظيمات الإخوان ضالعة فى القتل والإرهاب ..

وقد قتل المستشار أحمد الخازندار عام ١٩٤٨ م قبل مقتل النقراشى باشا ، بسبب إصداره أحكاما رآها الإخوان قاسية على بعض المنتمين إليهم ... وقد باشر التنظيم الخاص للإخوان عملية القتل ، بتدبير من رئيس التنظيم وبمشاركة محمود سعيد زينهم وحسن عبد الحافظ . وذلك فى ضاحية المعادي ، وقبض على القاتلين فى الحال .. وعندما حقق حسن البنا فى مقتل القاضى الخازندار لم يقل لعبد الرحمن السندى : إن التنظيم موجه للإنجليز ، وإنما قال له : " لقد قتلت بغير إذن ومثل هذا العمل لا بد فيه من الإذن الصريح" . فنصب نفسه قاضيا وحاكما .. وفى ثنايا التحقيق ظهر جليا عظم الخلل فى فتاواه وأقضياته .. يقول الدكتور عساف فى كتابه (مع الإمام الشهيد. ص/ ١٤٧ ، ١٤٨) : « دخل الأستاذ وهو متجهم وجلس غاضبا ، ثم سأل عبد الرحمن السندى قائلا : أليست عندك تعليمات بألا تفعل شيئا إلا بإذن صريح منى ؟ قال : بلى .. قال : كيف تسنى لك أن تفعل هذه الفعلة بغير إذن وبغير عرض على مجلس إدارة النظام ؟ فقال عبد الرحمن : لقد طلبت الإذن وصرحتم فضيلتكم بذلك . . قال الإمام : كيف ؟ هل أصرح لكم وأنا لا أدرى ؟ قال عبد الرحمن : لقد كتبت إلى فضيلتكم أقول : مارأيكم دام فضلكم فى حاكم ظالم

يحكم بغير ما أنزل الله ويوقع الأذى بالمسلمين ويمالىء الكفار والمشركين والمجرمين ؟ فقلتم فضيلتكم : ﴿ إنما جزاء الذين يحاربون الله ورسوله ويسعون فى الأرض فسادا أن يقتلوا أو يصلبوا أو تقطع أيديهم وأرجلهم من خلاف أو ينفوا من الأرض..﴾ فاعتبرت هذا إذنا.!!ـ

قال الإمام : إن طلبك الإذن كان تلاعبا بالألفاظ فلم يكن إلا مسألة عامة تطلب فيها فتوى عامة ، أما موضوع الخازندار فهو موضوع محدد ، لا بد من الإذن الصريح فيه ..ثم قال : إن كان قتلك للخازندار قد تم بحسن نية فإن علينا الدية . ولكن الحكومة دفعت تعويضا كبيرا لأسرة الخازندار فأسقطت الدية عن الإخوان» (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٢٦٤) .

وفى موضع آخر قال حسن البنا للسندى : « لماذا قتلت الخازندار ؟ قال السندى: أنت الذى أمرت بهذا.فرد قائلا : أنا يا عبد الرحمن ـ قال : نعم أنت . قلت : لو كان ربنا ريحنا من العالم دى » (صفحات من تاريخ الإخوان ص/ ٤٦٦) فخرج حسن البنا بحكمه الخاص ، أن القتل كان خطأ ، لأن القاتل ظن أن حسن البنا كان يريد قتل الخازندار فقتله .ثم تخلص من الدية بكون الحكومة دفعتها لورثة الخازندار. فحمل مهام الدولة والقضاء ..!

٣-مقتل الإمام يحي بن حميد ..

كيف خطط حسن البنا للثورة على إمام اليمن ..؟

لم تفتر عقلية حسن البنا عن التفكير فى الانقلاب على الدول الإسلامية فى زمن من الأزمان ، فقد كان مشغولا بذلك إلى درجة كبيرة .. خلاف ما زعم أنه لا يؤمن بذلك ... ومن جملة ما كان يفكر فيه الثورة والانقلاب على الإمام يحي بن حميد إمام اليمن وإقامة حكم إخوانى ، معتمدا على استغلال فراغ دستورى .. يتحقق فى حالة موت الإمام . حينئذ يقوم الإخوان اليمنيون الأحرار بتنفيذ الخطة الإخوانية التى رسمها لهم حسن البنا فى القاهرة .. وذلك فى مارس ١٩٤٨م .. وقد كان بين حسن البنا وبين الإمام يحى وولده أحمد رسائل مودة وعلاقة متبادلة ، كان

مقصوده منها فتح الباب لصحف الإخوان ومقالاتهم ودعوتهم كى تنتشر فى بلاد اليمن . وكان الإمام يحى يقدر حسن البنا ، قال محمود عساف : « وتقديرا له أهداه عمامة يمنية ، كان الإمام الشهيد يرتديها كثيرا » (الإمام الشهيد . ص/ ٨٥)

ومع ذلك لم تمنع تلك الرسائل ولا هذا التقدير حسن البنا من التفكير فى الانقلاب على الإمام يحي وقتله على فراش المرض ..

فقد أعد مشروعا انقلابيا على الإمام يحي بن حميد الدين ، وذلك بمنع انتقال السلطة لأولاده من بعده ، ونقلها لأناس يرى فيهم حسن البنا المكانة العليا لإقامة الدعوة الإخوانية فى اليمن ..

وقد أطلق حسن البنا على الإخوان اليمنيين اسم اليمنيين الأحرار ، وهو نفس الاسم الذى اختاره فى مصر للضباط الأحرار فى أوائل الأربعينات .. وبذلك يتضح أن حسن البنا كان أول من أهل ضباط الثورة فكريا لحرب اليمن عام ١٩٦١م .. وذلك قبل أن يقوى الذراع الاشتراكى للثورة . .

وقد كان حسن البنا يجتمع فى دار الإخوان مع بعض طلبة العلم اليمنيين ، الذين كانوا يدرسون فى الأزهر وفى دار العلوم فى القاهرة .. يدفعهم إلى الثورة التى زعم فى رسائله أنه لا يؤمن بها ! ويؤكد لهم أن اليمن مهيأة لحكم الإخوان أكثر من أى بلد آخر .. قال محمود عبد الحليم : « ولكنى أستطيع أن أقرر أن فكرة إعداد الشعب اليمني للثورة قد نبتت فى المركز العام » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤٤٧) واجتمع حسن البنا فى موسم الحج مع مندوب عبد الله الوزير ، الذى تولى زعامة الثورة فى اليمن عام ١٩٤٨م .. واتفق معه على الخطوط العريضة ، لتدبير الانقلاب فى اليمن .. الذى تبينت صورته فيما بعد .. وقد قام محمد محمود الزبيرى أحد الشباب الذى كان يدرس فى كلية دار العلوم بالقاهرة .. والذى كان يجتمع مع حسن البنا فى دار الإخوان . بالتهييج والإعداد لتلك الثورة ، ومن أجل ذلك أنشأ أول حزب للمعارضة فى اليمن ، ذلك الحزب الذى كان يلقى دعما كبيرا من حسن البنا . وقد أكد ذلك موقع الإخوان : « وفى عدن بدأت مرحلة جديدة فى الكفاح والنضال ،

حيث أسس الزبيري مع رفيق كفاحه أحمد محمد نعمان حزب الأحرار سنة ١٩٤٤م ، الذى تحول اسمه إلى " الجمعية اليمانية الكبرى" عام ١٩٤٦م ، وأصدر صحيفة "صوت اليمن"، وفوضت الجمعية الإمام حسن البنا فى أن يتحدث عنها فى كل شأن من الشئون »(إخوان أون لاين ١٦ / ٦ / ٢٠٠٥م) .

فوافق حسن البنا على أن يكون ناطقا رسميا باسم المعارضة اليمنية ، وأرسل موافقته بذلك إلى إبراهيم بن الإمام يحي .

أما دور مصطفى إبراهيم الشهير بالفضيل الورتلانى الجزائرى .. فقد أرسله حسن البنا موفدا من قبله لإعداد تقرير عن حقيقة ما يدور فى اليمن . قال القرضاوى : « وكان في بيروت الأستاذ الفضيل الورتلاني أحد مشاهير علماء الجزائر الذين نفتهم فرنسا من الجزائر، لخطورتهم ونشاطهم، وقد بقي في القاهرة مدة من الزمن ، وكان على صلة وثيقة مع الأستاذ البنا، وقد كلفه الأستاذ البنا بملف (اليمن) والاتصال بأحرارها ورجال الإصلاح فيها، وكان له دور معروف غير منكور في انقلاب اليمن على الإمام يحيى حميد الدين »(سيرة ومسيرة ٢ / ٤٦٤) .

فرحل الورتلانى إلى اليمن ودرس القضية كاملة ، وقام بالتنظير والتنظيم والتكوين ... ثم عاد إلى القاهرة واضعا ملف اليمن كاملا أمام حسن البنا ؛ فأوكله بالاتفاق مع رفاقه اليمنيين على القيام بثورة ضد الإمام يحي وأولاده من بعده ، أسماها ثورة الدستور ، التى وضع ميثاقها بنفسه ، وكان بمقتضاها الالتقاء مع وجهاء وشخصيات مميزة فى اليمن ، أوكل إليها أمر الثورة بعد نجاحها ... فعلم بذلك أحمد بن الإمام يحي ... فأعلن بخطة مدبرة موت أبيه . الذى لم يكن أجله قد حان بعد .. وقبل أن يتحقق الإخوان اليمنيون الأحرار من الخبر أعلنوا فى صحفهم بسذاجتهم البالغة التى يحسدون عليها خطة الأحرار الدستوريين فى الوصول إلى الحكم ، ونشروا الميثاق المقدس الذى أعده حسن البنا ، وذكروا أسماء الوجهاء المرشحين للإمامة والوزارة .. فبان الأمر واتضح دور الإخوان كاملا ..

غير أن الرياح جاءت بما لاتشتهى السفن ، وانقلب ظهر المجن ، وتبين أن

الإمام يحى بن حميد لم يمت. عند ذلك بدا للإخوان أن يقتلوا الإمام يحي ويستعجلوا الأمر .. فقتلوه على فراش مرضه بخسة متناهية - كما قتلوا المهندس سيد فايز " عضو التنظيم الخاص " بعلبة حلويات مفخخة أهدوها له فى يوم احتفالهم بالمولد النبوي ، وأقاموا حكومة الدستوريين بقيادة عبد الله الوزير . وكما جاء فى موقع (الإخوان أون لاين ١٦ / ٦ / ٢٠٠٥ م) : « واستمر الكفاح حتى قيام ثورة ١٩٤٨م ، حيث قتل الإمام يحيى حميد الدين ، ونصب عبدالله الوزير إماما جديدا لحكم دستوري شرعي ، وكان للإخوان المسلمين والفضيل الورتلاني- ممثل الإمام البنا في اليمن- الدور الرئيسي في هذه الثورة » أهـ .

وعندما قامت الثورة فى اليمن أيدها الإخوان فى مصر ، حتى إن حسن البنا أرسل وفداً برئاسة سكرتيره الخاص عبد الحكيم عابدين ، لتهنئة الإخوان اليمنيين بنجاح الثورة .. وقام الوفد الإخوانى فى نفس الوقت بتعزية أبناء الإمام يحى .. وهم الذين قتلوه .! قال الأستاذ مصطفى الشكعة " أحد كوادر الإخوان فى زمن حسن البنا " فى كتابه (مغامرات مصري فى مجاهل اليمن) : « ثم اندلعت ثورة اليمن التي قامت باغتيال الإمام يحيى حميد الدين ، وأرسلت الثورة اليمنية تدعو الأستاذ البنا لكي يزور اليمن ، وكنت إذ ذاك أعمل فى اليمن ، وكان القائمون على الثورة تربطهم رابطة المكان للإخوان ؛ حيث كانوا يجتمعون أثناء إقامتهم فى القاهرة في مقرهم ، فلما وجه الثوار الدعوة إلى الأستاذ لم يستجب لها، بل أرسل أحد كبار الإخوان ممثلا له فى طائرة »(إخوان أون لاين ٢٤ / ١١ / ١٤٢٦ هـ) .

ولم تدم ثورة الدستوريين الإخوانيين التى قامت فى ٢٨ مارس ١٩٤٨م أكثر من ستة وعشرين يوما .. حيث استطاع أحمد بن الإمام يحيى أن يجمع أئمة القبائل حوله، لينتقم من قاتلى أبيه ، ويعتلى عرش اليمن مرة أخرى .. وتحقق له ما أراد، وقاتلت معه قبائل اليمن بكل شراسة ..وقبض على من قاموا بالثورة ، وفر الإخوان هاربين مخذولين كعادتهم ، إلى جنوب اليمن وإلى كثير من البلاد .. ومات من مات ، وسجن من سجن ..وغادر الزبيري والورتلانى اليمن .. وكان هذا هو الشتات الأول الذى كتبه الله على الإخوان قبل شتات ١٩٥٤م وشتات ١٩٦٥م ..

وبإزاء ذلك وجهت جريدة " الإخوان المسلمون " .. الصادرة فى الجمعة أول جمادى الأولى سنة ١٣٦٧الموافق ١٢ مارس سنة ١٩٤٨هـ) نداء إلى الحكومة المصرية بالعمل على إنقاذ الإخوان من قبضة قبائل اليمن الشرسة ، قائلة : « وعلى هذا فإن المصريين الذين فى صنعاء الآن من المدرسين والموظفين وغيرهم وزوجاتهم وأطفالهم ـ وعددهم ليس قليلا ـ فى خطر شديد يتزايد بين دقيقة وأخرى .. ونحن نوجه هذه الكلمة إلى المسئولين فى الحكومة المصرية رجاء العمل بكل سرعة على إنقاذ هؤلاء المصريين بإرسال طائرات حربية لإحضارهم أو بأى وسيلة أخرى » أهـ

قال القرضاوى : « وقد فشل الانقلاب الذي قام به ابن الوزير، وسيف الإسلام إبراهيم بن الإمام يحيى ، بعد أن نجح أول الأمر، ولكنه لم يستقر، وقد فر الأستاذ الورتلاني من اليمن ، وحاول أن يجد بلدا يؤويه ، فلم يجـد » (سيرة ومسيرة .. ٢ / ٤٦٤).

وهكذا الإخوان ومع كل محاولاتهم المخالفة لمنهج الرسل ودعوة الأنبياء لم يرد الله تعالى لهم دولة ولم يرفع لهم راية ، خذلهم وخيب سعيهم ، فلم يجنوا من التهور إلا الإفلاس ، ومن الأماني إلا الوهم .. وهم فى ذلك كله لا يذكرون خطأ ولا خللا ، إنما يعزون تلك الخيبة المستمرة إلى مجرد الابتلاء وإلى خطط الدول المعادية للإسلام .. ليفروا بذلك من العتاب والملام .. ونسوا غدرهم بالإمام يحى وقتلهم له وهو على فراش الموت مع سابق العلاقات الحسنة ، التى كانت بينه وبين شيخهم ، ونسوا كذلك الدعوة التى فتحها لهم فى بلاد اليمن ..

ولم يتحقق لحسن البنا ما أراد ، ولكنه جنى استعداء الحكام والدول ، وفرق المسلمين شيعا وأحزابا. وأرهق الشعب المصرى زمنا طويلا .

فقد كانت آمال حسن البنا أكبر من قدراته ـ لم يزن الأمور بميزان الشرع ، ولا حتى بميزان المصالح والمفاسد ، كما يفعل علماء الحديث والفقه والتوحيد ، أخذته ثورة الشباب حتى أوقع جماعته فى الفشل الذريع ..

حـل الجماعة :

لقد كانت ثورة حسن البنا الفاشلة فى بلاد اليمن مقدمة من أكبر المقدمات التى أدت إلى حل جماعة الإخوان عام ١٩٤٨م فى زمن النقراشي باشا، وذلك لأن حسن البنا كان يعلن دائما أنه لا يبغى ثورة ولا يؤمن بها ، وها هو يثبت تلونه فى العمل السياسي ، بسعيه فى تدبير انقلاب فى قطر آخر ، بما يعنى أن القطر الذى يعيش فيه سيأتى فى المرتبة التالية ، وذلك بعد تحقيق النجاح فى الأقطار المجاورة.. قال محمود عبد الحليم : « كان لهذه الثورة آثار على المستوى المصرى وأخرى على المستوى العربي وثالثة على المستوى العالمي .. أما على المستوى المصري فإنها ألقت فى روع القائمين على الحكم فى مصر أن هذه الثورة نذير لهم بين يدي عذاب شديد ! فليقللوا بثقلهم أولا لإحباطها ثم ليعدوا العدة فى القضاء على مدبرها وهم الإخوان المسلمون الذين بلغوا أشدهم حتى إنهم يقيمون الدول ويسقطونها.الخ» (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤٥٣) .

٤- مقتل النقراشى باشا رئيس وزراء مصر ..

دائما ما يرجع الإخوان قرار حل جماعتهم إلى تآمر الدول الكبرى عليهم .. وهم فى الحقيقة يتناسون جناياتهم وعصيانهم الدائم للحكام الذين بايعوهم مرات عديدة ، ورفعوا إليهم أسمى آيات الولاء ، كما بينا من قبل ..

لقد تناسى الإخوان أنهم كونوا مراكز قوى تبغض وجودهم ، وترفض سلوكهم السري والسياسي والديني فى المجتمع المصري .

تناسى الإخوان أنهم سعوا فى تفجير محكمة الاستئناف ، وتناسوا أنهم قتلوا الإمام يحي بن حميد ، وتناسوا قضية السيارة الجيب ، التى كانت تحوى أسرار التنظيم الخاص .

وتناسوا مقتل القاضى الخازندار ، والتنظيمات السرية المتعددة ، التى أنشأها حسن البنا ، بقصد قلب نظام الحكم ، وتناسوا مظاهر التحدى المتعددة فى المظاهرات

المتنوعة .. كما تناسوا تعاملاتهم مع المؤسسات الدولية ، دون احترام لمكانة الدولة .. ومثال ذلك ندبهم مصطفى مؤمن إلى الولايات المتحدة الأمريكية ، ليتكلم فى قاعة مجلس الأمن ، فى حضور النقراشى باشا عن قضية مصر ، بغير إذن منه . وقد أشار إلى ذلك محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ / ١ ٤٣٧) بقوله : « فإن الأستاذ مصطفى مؤمن ما كاد يرى النقراشى باشا يحتل مكانه المعتاد ليلقي بيانه ، حتى خرج من مكان المتفرجين إلى مكان الأعضاء والسكرتيرين فحدثت ضجة بين الأعضاء فطلب الرئيس منه أن يلتزم النظام ثم دعا الحراس لإخراجه من قاعة المجلس . وقد علمت أن الأستاذ مؤمن كان يريد أن يخطب فى أعضاء المجلس باسم الشعب المصري وجاء فى الكلمة التى استطاع إلقاءها : أتقدم إليكم باسم شعوب الشرق الأوسط وبالنيابة عن الإخوان المسلمين نحن نطالب أن تعامل قضيتنا بالعدالة التى أصبحت جديرة بها ، فإذا لم يحدث ذلك فإن ألوفا من الناس سيبذلون حياتهم رخيصة فى الكفاح من أجل حرية بلادهم .. ثم قـام يلـوح بأوراق معـه : « ونحن نطلب الحرية » .. » أهـ

ومن الأمثلة الأخري التى تدل على عدم تقدير حسن البنا واحترامه لدولة الملك أنه التقى مع فيلب أيرلاند " سكرتير السفارة الأمريكية بالقاهرة " سرا ، وذلك للتفاهم معه فى بعض الأمور الخاصة بالدعوة ..

وحكى فريد عبد الخالق أن لقاء مثل هذا اللقاء السري ولنفس الهدف تم فى المركز العام للإخوان بين ممثل الحكومة البريطانية وبين الشيخ حسن البنا ..

ومن أخطر الأمثلة التى تدل على أن حسن البنا كان يتعامل مع دولة الملك بمنطق الدولة داخل الدولة ما كان من مخاطبته لسفير سوريا فى القاهرة مخاطبة مباشرة ، حيث عرض عليه إرسال عشرة آلاف جندى كمتطوعين للقتال فى سوريا .. جاء فى الخطاب : « حضرة صاحب السعادة : وزير سوريا المفوض بالقاهرة .. السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ـ وبعد : فإن "الإخوان المسلمون" في المملكة المصرية يشاركون الحكومة السورية المجاهدة والشعب السوري الباسل الشعور ضد

الاستعمار والعدوان والظلم في هذه الآونة الدقيقة من تاريخ العروبة وهم ينتهزون هذه الفرصة فيعلنون أن عشرة آلاف شاب من شباب الإخوان يرجون قبولهم كمتطوعين في الجيش السوري » (مواقف فى الدعوة والتربية للسيسي) ..

وهذه الأعمال تدل بالضروة على عدم احترام الإخوان لمقام الدولة وسلطانها ، وأنها لا تمثل بالنسبة لهم شيئا .. مع مبايعتهم لملكها ومصالحتهم لرئيس وزرائها .. ولا شك فى مخالفة هذا الفكر الهمجى لمنهج السلف وأهل الحديث(رضى الله عنهم).

محاولات وجرائم سابقة ..

كان للإخوان محاولة اغتيال سابقة للنقراشي باشا ، ولكنهم وضعوها تحت بند محاولة إرهاب وتخويف .. وتلك هى طريقة الإخوان فى العمل السياسي ..قال محمود الصباغ : « عمد النظام الخاص إلى إرهاب الحزبين اللذين منحا صدقى باشا الأغلبية البرلمانية للسير قدما فى تضييع حقوق مصر دون أن تقع خسائر فى الأرواح ، وذلك بإلقاء قنابل حارقة على سيارات كل من هيكل باشا رئيس حزب الأحرار الدستوريين والنقراشي باشا رئيس حزب السعديين فى وقت واحد ...» (التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٧٨) .

وقال : « وقد قمت شخصيا بمراقبة خط سير سيارة النقراشي باشا لوضع القنبلة عليها وأنا جالس على موتوسكل خلف قائده الأخ على عمران من إخوان السيدة عائشة ، وقد أجهدتنا المراقبة دون أن نعثر لهذه السيارة على أثر بينما قام الأخ أحمد البساطي من ناحية أخرى بإلقاء قنبلة على سيارة هيكل باشا ويخرج من ركابها ، وكانت القنبلة حارقة صوتية ، لا يؤذى انفجارها أحدا ممن حولها ، ولكنها لم تنفجر فاضطر الأخ محمد مالك أن يلقى بالقنبلة شديدة الانفجار التى يحملها لتغطية الانسحاب إذا لزم الأمر جهة السيارة بعد أن اطمأن إلى ابتعاد الركاب عنها ، وكان توقيته دقيقا ، فأحدثت القنبلة انفجارها الشديد وخسائرها الكبيرة للسيارة دون أن يصاب أحد من الركاب الذى وصلوا إلى مدخل المنزل آمنين .. ولقد تعمدنا إذاعة سر هذه العملية وبيان أن المقصود منها كان رئيسي الحزبين لإرهابهما ، بسبب موقفهما المتخاذل فى المطالبة بحقوق مصر دون أن نوضح أى إشارة تشير إلى الجهة التى نفذت العملية ..! ليعلم النقراشي باشا أنه كان مقصودا أيضا ، وأنه لم يحل دون إلقاء قنبلة على سيارته إلا عدم ظهورها فى تلك الليلة ...» (التنظيم الخاص . ص/ ٢٨٠) ... وعليك أخى القارى أن تعلم أن القنبلة كانت صوتية ، وقد أحدث هذا الصوت تلفا كبيرا فى السيارة المصنوعة من الحديد الصلب .! قال ابن سيرين سمعت أبا هريرة

يقول قال أبو القاسم ﷺ :« من أشار إلى أخيه بحديدة فإن الملائكة تلعنه حتى وإن كان أخاه لأبيه وأمه » (رواه مسلم) .

ولا تنس أن تسأل عن رأى حسن البنا فى تلك العمليات .. فحسن البنا رجل برىء لا علاقة له بالإرهاب من قريب أو بعيد ..ومن أجل ذلك لم يشر التنظيم فى بيانه إلى أن الإخوان هم الذين دبروا تلك العملية .. يكفى فقط أن يوقن النقراشي باشا وكل من حوله أن يد الإخوان تستطيع أن تطولهم فى أى وقت ، إما بالقنابل الصوتية أو الحارقة أو المتفجرة القاتلة ..

أما فى ظاهر الأمر فالإخوان أبرياء ، ولا يمكن أن يقدموا على أعمال إرهابية من شأنها أن تثير التوتر والخوف فى المجتمع .. ولك أن تتصور أخى المسلم ما ترسخ فى نفس النقراشي باشا وغيره من السياسيين من بغض وكراهية لجماعة الإخوان بسبب تلك العمليات .

هذا كله هو الذى دفع النقراشي باشا إلى إصدار قراره بحل جماعة الإخوان ، وتصادف ذلك مع خروجهم للقتال فى فلسطين عام ١٩٤٨م ، بغير إذن فى أول الأمر، وعدم رضوخهم لقرار الهدنة فى فلسطين بعد أن وافقت عليه الدول العربية جمعاء .. وقد تصادف ذلك مع تدبير الإخوان لانقلاب اليمن عام ١٩٤٨ م ، وقتل الإمام يحي وهو على فراش المرض .. حقا فقد كان هذا العام هو خاتمة المطاف لجماعة الإخوان المسلمين . وإبان قرار الحل الذى أصدره النقراشي فكر الإخوان فى قتله والتخلص منه . وقد كون المهندس سيد فايز عبد المطلب " مسئول التنظيم الخاص عن مدينة القاهرة " - الذى قتله الإخوان فيما بعد بعلبة حلويات متفجرة فى ليلة احتفالهم بالمولد النبوي - مجموعة كاملة تحت قيادته ، للقيام بتلك المهمة .. قال محمود الصباغ : « وقد نظر سيد فايز فى قرار حل الإخوان وفى الظروف التى تحيط بهذا القرار سواء فى الميدان أو فى داخل مصر فشعر أنه محكوم بحكومة تحارب الإسلام والمسلمين وقرر الدخول معها فى حرب عصابات فوق أرض مصر » (التنظيم الخاص ودوره ص/ ٤٥٠)

وقال محمود عساف فى كتابه (مع الإمام الشهيد ص/ ١٦٥) : « فقامت مجموعة أحمد فؤاد - (وكان ضابطا بالشرطة ضمن تنظيم الوحدات الذى كان يشرف عليه الصاغ صلاح شادى) وكان يضم مالك يوسف وشفيق أنس وعاطف عطية حلمى وعبد المجيد أحمد حسن ومحمود كامل - برسم خطة قتل النقراشى باشا .

ونجح عبد المجيد أحمد حسن فى مهمته بعد أن تنكر فى زي ضابط بوليس ، وقتل النقراشى رميا بالرصاص ، وهو على وشك دخول المصعد متجها إلى مكتبه فى وزارة الداخلية » أهـ .

قال أحمد رائف : « تقرر قتل النقراشى ! فرسمت الخطة بعناية .. وأجريت عدة تجارب لكشف الثغرات.. واختير الموعد المناسب جدا. وتم التنفيذ بكفاءة عالية » (الصفحات.ص/ ٥١٢).

مبررات التنظيم :

ومن هنا قام الجهاز السري يبرر مقتل النقراشى باشا ، على طريقة ابن لادن وأيمن الظواهرى . قال الصباغ : « إن الإسلام سن أسلوب الأغتيالات فى مواجهة الخصوم .. الخ وذكر فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص ص/ ٤٢٩) ثلاثة حجج يوضح فيها مشروعية اغتيال الخصوم السياسيين :

الحجة الأولى : سرية محمد بن مسلمة لقتل كعب بن الأشرف .

الحجة الثانية : سرية عبد الله بن أنيس الجهنى لقتل سفيان بن خالد الهذلى.

الحجة الثالثة : سرية عبد الله بن عتيك لقتل أبى رافع عبد الله أو سلام بن أبى الحقيق اليهودى» أهـ

تلك هى الحجج التى استحل بها التنظيم الخاص قتل النقراشى باشا .

قال الصباغ : « لا يمكن أن يعتبر أن قتل النقراشى باشا من حوادث الاغتيالات السياسية فهو عمل فدائى صرف قام به أبطال الإخوان المسلمين ، لما

ظهرت خيانة النقراشى صارخة فى فلسطين .. وحل جماعتهم واعتقل قادتهم وصادر ممتلكاتهم وحرم أن تقوم دعوة فى مصر تدعو إلى هذه المبادىء الفاضلة إلى الأبد .. فكانت خيانته صارخة لا تستتر وراء أى عذر أو مبرر ، مما يوجب قتل هذا الخائن شرعا ، ويكون قتله فرض عين على كل مسلم ومسلمة» (التنظيم الخاص ص/ ٣١٢).

وفى هذا البيان كما هو واضح رمى الصباغ النقراشى باشا بالخيانة وحكم عليه بالقتل .. بسبب إقراره الهدنة مع اليهود ..

وهذا الحكم لا يصح أن ينسحب على النقراشي باشا بمفرده ، باعتبار أنه فعل ما اتفقت عليه الدول العربية . فلقد توقف ما يقرب من ٥٩ ألف مقاتل عن القتال فى مقابل ستمائه من الإخوان كانوا يأبون قبول قرار الهدنة ، وهم لا ناقة ولا جمل . وهم بالضرورة لن يستمروا فى القتال بمفردهم.قال عساف: « وأعلنت الهدنة الرسمية ، وقبلها العرب جميعا ، إلا الإخوان المسلمين الذين لم يعترفوا بها ، لذلك قامت حكومة النقراشى باعتقال المجاهدين داخل معسكرات فى فلسطين يشرف عليها الجيش المصرى»(الإمام الشهيد.ص/ ١٦٣) .

ولكن الإخوان خصوا النقراشي باشا بالقتل باعتبار أنه أدبهم وحل جماعتهم ، بسبب عدم خضوعهم للدولة ، وعدم إذعانهم لسلطانها .. بالإضافة إلى إثارتهم للفتن . أما الذى قاله الصباغ فى تبرير مقتل النقراشى باشا فهو مردود بكون الإخوان ليسوا ولاة أمور ، وليس لهم سلطان على أحد ، وليسوا قضاة كما قال عنهم الهضيبي فى الكتاب الذى نسب إليه " دعاة لا قضاة " فليس من حقهم عقاب أحد ولا الحكم على أحد .. وقول الصباغ مردود كذلك بكون الذين أشار النبى ﷺ بقتلهم كانوا كفارا محاربين فى الأصل ، أما الذين قتلهم التنظيم السري فلم يكونوا كفارا ، وقد قتلهم بغير إذن من ولى الأمر ، وقتلهم بغير حجة واستتابة على مظالمهم من علماء الشريعة وقضاة الملة . وحرمان هؤلاء من ذلك ظلم لهم وهدر لحقوقهم .. فكيف بعد ذلك إذا اختلفت آراء الإخوان فى الحكم على النقراشى باشا ؟ ماذا إذن

يقول الإخوان فى تلك الدماء التى أهدروها.؟ فهذا الذى جعله الصباغ مثلا للخيانة والغدر والعمالة ، واستقبل الإخوان قتله بالفرح والسرور ، وجعله القرضاوى فى كتابه (ابن القرية والكتاب ١ / ٣٣٥) كلبا من الكلاب .. جعله حسن البنا مثالا للوطنية ، وتأسف لفقده تأسفا شديدا ، وقال : « أسفت البلاد لوفاته وخسرت بفقده علما من أعلام نهضتها ، وقائدا من قادة حركتها ، ومثلا طيبا للنزاهة والوطنية والعفة من أفضل أبنائها ، ولسنا أقل من غيرنا أسفا من أجله وتقديرا لجهاده وخلقه» (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٦٣) وخلافا للقرضاوى الذى جعل عبد المجيد قاتل النقراشى باشا إماما من الأئمة ، ، فإن حسن البنا جعل قاتل النقراشي شقيا مفتونا، ليس من الإخوان وليس من المسلمين ، حتى قال للواء / صالح حرب باشا ، كما نقل عنه محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٧٥) : «أرأيت هذا المفتون ماذا كان ينوى أن يفعل ؟ والله ما هذا الشقى مسلما ولا من الإخوان .. ولما خوطب الشيخ من الجهات الرسمية فى هذا الحادث تبرأ من هذا الشاب واستنكر بكل شدة فعلته وأظهر استعداده لأن ينشر بيانا آخر يذيع فيه أن هذا المفتون وأمثاله ليسوا مسلمين» أهـ .

فكيف تلام الدولة بعد ذلك إذا أخذت عامة الإخوان بتلك الجريمة الشنيعة ، وحلت جماعتهم ومزقت تنظيماتهم ، وصادرت أسلحتهم ، حفظا للأمن وصيانة للمجتمع والأمة . فحسن البنا لم يعد له سيطرة على جماعته ولا على تنظيمه الخاص ..الذى هيئه لاستخدام القوة وقت اللزوم فى جميع رسائله ومذكراته .. حتى إذا قام بأفعاله تبرأ منها .. ولا يخفى أن حسن البنا أسس التنظيم الخاص لحماية الدعوة ، وها هى الدعوة قد حلها النقراشى ، وهذا بدوره مبرر كاف لقتل النقراشي .. فالمنطقى إذن أن تحل الجماعة ويعاقب دعاة الإرهاب وإلا وقع فى المجتمع ما لا تحمد عقباه .. وقضية استخدام القوة لحماية الدعوة أمر متقرر فى فكر الإخوان منذ زمن حسن البنا حيث أنشأ التنظيم الخاص لحماية الدعوة ، وتكون كما قال محمود عبد الحليم : « ذات شوكة لا يسهل اتهامها ، ومن هنا نبتت فكرة " النظام الخاص " للدفاع عن الدعوة » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٨٨) .

مرورا بسيد قطب ، الذى أنشأ تنظيم ٦٥م، وأباح له استخدام القوة لحماية الدعوة ، كما أكد ذلك فى كتابه " لماذا أعدمونى " بقوله :

« وفي الوقت نفسه، ومع المضي في برنامج تربوي كهذا، لابد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج ... وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدربة تدريبا فدائيا بعد تمام تربيتها الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق .
فإن هذه المجموعات لا تتدخل في الأحداث الجارية، ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القوة المتعدية بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها...» أهـ ...

حتى الاسكتش الرياضى وألعاب الكنغو فو التى تمت فى جامعة الأزهر كانت لهذا الهدف .. يقول د/ محمد حبيب نائب المرشد السابق : « كان اسكتشا رياضيا يعني تم عمله بصورة ساذجة نظرا للأعمال الوحشية التي عومل بها الطلاب في جامعة عين شمس فأراد شباب جامعة الأزهر أن يعطي إحساسا وانطباعا أنهم قادرون على التعامل مع البلطجية » (الجزيرة نت . ١٥ / ٨ / ٢٠٠٧م) .

وعلى ذلك خطط حسن البنا إذا تعرضت دعوته لخطر ، فلا بد من المواجهة لحماية الدعوة . وعلى ذلك فلا أدرى لماذا جعل حسن البنا الشاب الذى نفذ خطته فى المواجهة شقيا مفتونا ، وهو الذى أعده لبلوغ تلك الغاية إعداد فكريا ومنهجيا صريحا .

محاولات واغتيالات إخوانية أخرى ..

هناك محاولات وجرائم للتنظيم الإخوانى الخاص فى القتل والإرهاب تشبه إلى حد كبير محاولات تنظيم القاعدة وغيره من التنظيمات الانقلابية المعاصرة ..منها:

إلقاء القنابل فى جميع أقسام القاهرة ...

ذكر محمود الصباغ الجرائم التى ارتكبها النظام الخاص ضد المصريين ، وهى : « تفجير قنابل فى جميع أقسام القاهرة فى يوم ٣ / ١٢ / ١٩٤٦ بعد العاشرة مساء، وقد روعى أن تكون القنابل صوتية بقصد التظاهر المسلح فقط دون أن يترتب على إنفجارها خسائر فى الأرواح ، وقد بلغت دقة العملية أ نها تمت بعد العاشرة مساء ، فى جميع أقسام البوليس ، ومنها بوليس الموسكي والجمالية والأزبكية ومصر القديمة ونقطة بوليس السلخانة ، ولم يضبط الفاعل فى أى من هذه الحوادث .. ثم توالى إلقاء القنابل على أقسام بوليس عابدين والخليفة ومركز إمبابة . » (التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٧٨)

إلقاء القنابل على البوليس فى مظاهرة المدرسة الخديوية ...

قال محمود الصباغ : « وقد كان إلقاء القنابل فى المظاهرات أمرا عاديا ، كما حدث فى مظاهرة طلبة المدرسة الخديوية حيث ألقى الأخوان سيد بدر ولطفى فتح الله قنابل ، لم يكونا يقصدان أحدا من البوليس بعينه ولكنهما كان يقصدان تخفيف حملة البوليس على المتظاهرين ، وقد حوكم هذين الأخوين على عمليهما وأدينا بعقوبة الحبس عشر سنوات .. »(التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٧٥)

محاولة قتل إبراهيم عبد الهادى باشا " رئيس وزراء مصر " ..

كانت محاولة قتل إبراهيم عبد الهادى باشا " رئيس الوزراء بعد مقتل النقراشى باشا ومقتل حسن البنا " من أخطر المحاولات التى قام بها التنظيم الخاص للإخوان .. وقد طرح لقتله فى أول الأمر فكرة السيارات المفخخة .

قال الصباغ : « وكان التفكير المبدئى أن يصدم مصطفى كمال عبد المجيد سيارة إبراهيم عبد الهادى بسيارة مجهزة بعبوات ناسفة تندفع من الطريق الجانبى لتصطدم فجأة بسيارة إبراهيم عبد الهادى وتنفجر السيارتان بمن فيهما . ولكن الأخ مصطفى عبد المجيد خشى أن يعد منتحرا بهذه العملية فيدخل النار وفضل أن يشترك فى معركة مسلحة تهاجم الموكب » (التنظيم الخاص . ص/ ٤٥٥)

وقال السيسي : « وحين مات حسن البنا أصبح إبراهيم عبد الهادى هدفا للاغتيال بطبيعة رد الفعل ، ولكن إبراهيم عبد الهادى قد أخذ درسا لا ينسى من حادث اغتيال سلفه النقراشى ، فكانت الحراسة المشددة . لكن شباب الإخوان ظلوا يبحثون عن ظرف ملائم لاغتياله . حتى استطاعوا أن يستأجروا شقة تتحكم فى طريق موكب إبراهيم عبد الهادى تمهيدا لإطلاق الرصاص على موكبه . وشاء الله أن يمر الموكب المنتظر ويلاحقه الرصاص من كل مكان ، ولكن سرعان ما تبين للإخوان أن هذا الموكب ليس هو موكب رئيس الحكومة ، ولكنه موكب الأستاذ حامد جودة رئيس مجلس النواب»(قافلة الإخوان .ص/ ٢٢٩)

أوكار الإخوان الإرهابية ....

وعلى طريقة تنظيم الجهاد المعاصر فى قتل رجال الدولة . فقد كان هناك محاولات إخوانية، لاصطياد رجال الحكومة وقتلهم ..

يقول عباس السيسي : « وعلى هذا فقد انتشر الإخوان يستأجرون الشقق فى الأماكن الإستراتيجية التى يستطيعون منها اصطياد رجال الحكومة، وكل مجموعة من هؤلاء معها سلاحها ومئونتها وعدتها. وفى فجر الرابع من إبرايل ١٩٤٩ علم رجال المباحث أن بعض الإخوة يجتمعون فى مسكن ما بحى شبرا وأنهم يستعدون لعمليات انتقامية ضد الحكومة .. وبمجرد أن طرق رجال البوليس هذه الشقة فاجأهم الأخ أحمد خليل شرف الدين الطالب بكلية الهندسة جامعة الإسكندرية بإطلاق الرصاص عليهم من مدفع رشاش سريع الطلقات وتبعه زميله جمال الدين عطية بإطلاق الرصاص من مسدسه أيضا فاضطر البوليس إلى التراجع... الخ » (فى قافلة الإخوان . ص/ ٢٢٩)

قتل المهندس سيد فايز..

اعترض المهندس سيد فايز عبد المطلب - المدبر الأول لجريمة اغتيال النقراشى باشا (!) - على بعض تصرفات الجهاز السري ، فكان عاقبته القتل بقنبلة تفجرت فى وجهه ، يوم احتفال الإخوان بمولد الرسول ﷺ .

يقول محمود عساف : « التقيت بالأخ المهندس السيد فايز بشارع العباسية أمام مكتبة المطيعى وجدته غاضبا على النظام الخاص وأفكاره تكاد تتطابق مع أفكارى .. فى اليوم التالى ـ وكان ليلة مولد النبى ﷺ- ذهب شخص ما بصندوق من حلوى المولد ، وطرق باب السيد فايز فى شارع عشرة بالعباسية ، وسلم صندوق الحلوى إلى شقيقته قائلا إنه لا يجب أن يفتحه إلا السيد. بالفعل حضر السيد فايز وتسلم الصندوق وبدأ يفتحه.. وإذا بالصندوق ينفجر ويودى بحياته» (مع الإمام الشهيد . ص / ١٥٧، ١٥٨) .

وقد علق محمود عبد الحليم على تلك الجريمة ، قائلا : « تلك جريمة رهيبة لا شك عندى أنها من فعل النظام الخاص ، لمجرد أن السيد فايز يعارض وجوده .. سألت الشيخ سيد سابق عن هذه الواقعة فقال إن رئيس النظام هو الذى خططها ونفذها أحد معاونيه . بناء على فتوى نسبت للشيخ سيد سابق وهو بريء منها ، وقال لى إنه يعرف الشخص الذى قام بتلك الفعلة النكراء» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٢٢٩)

هذه بعض جرائم الإخوان .. ليست حوادث فردية ، بل هى فكر تنظيم متهور، لم يفقه حقيقة المنهج الربانى فى الدعوة إلى الله تعالى ، والصبر على المحن، كما كان عليه الرسل والأنبياء (صلوات الله وسلامه عليهم) ، حتى استحل باسم الدين قتل الأبرياء وترويع الآمنين . وصار على درب الخوارج المجرمين .

حرمة القتل السياسي فى الإسلام ...
القرضاوى بين مصر والعراق ...

لم أجد تناقضا فى الأحكام والنظرات والكيل بمكيالين كما وجدت فى دعوة الإخوان ومنظريهم ، وهذا بالضرورة يسلب مصداقيتهم ويسقط هيبتهم ، ويبين أن الحكم عندهم متأثر بمدى ارتباطه باتجاهاتهم وتعلقه بخططهم ،لا بقواعد الدين والملة .. وتتضح الأمور جليا عندما نقارن بين زمنين .. زمن كان فيه الوضع السياسي يبيح قتل السياسيين المخالفين - على حد زعم القرضاوي - وزمن لايبيح القتل .. زمن يبيح قتل المدنيين والأبرياء وزمن لايبيح .. مع كون القضية من وجهة نظرهم متعلقة بالجهاد .. فقتل المدنيين الأجانب فى زمن الملك فاروق من الجهاد الأكبر ، لا شيء فيه ، ولا عتاب عليه ، أما قتل المدنيين والأبرياء الأجانب فى العراق الآن فهو إرهاب وظلم .. وقتل الساسة فى زمن الملك فاروق بتهمة العمالة واجب مقدس ، وقتلهم الآن ينم عن عدم فقه بالإسلام. إلا إذا كان من قبل حماس فى فلسطين .! فلها الحق أن تقتل مائة وعشرين نفسا من منظمة " فتح " فى غداة واحدة بتهمة العمالة ، بلا تحقيق ولا قضاء ! وكذلك قتلوا دعاة مسجد ابن تيمية في غزة .

فقد استقبل القرضاوى مقتل النقراشى باشا بالفرح والسرور، دون مراعاة لحرمة دم ولا استقرار مجتمع .. وزعم أن الحكم على عملية قتل النقراشى باشا لابد أن يكون مرتبطا بالزمان المصاحب للقتل ، فقال فى كتابه (ابن القرية والكتاب ص/ ٣٣٥): « وكان الجو السياسي العام فى مصر يسيغ ذلك - أن من اعتدى عليهم لا بد أن يأخذ جزاءه! - فلا بد كى نكون منصفين أن نحكم على الأمور فى إطارها الزمنى ولا نحكم عليها بمنطق زمننا »أهـ

أما بشأن العراق فله رأى مخالف لذلك فقد قال :

« إن مثل هذه الجماعات التي تقوم بعمليات الخطف والقتل نصبوا أنفسهم على سلطة الإفتاء والقضاء والتنفيذ وإن مثل هذه الجماعات قد ضلت الطريق ،

ومثلهم مثل الخوارج قديما ، والآفة في سوء فهمهم للإسلام »(القرضاوى . نت . ٩ يوليو ٢٠٠٥م) .. فالقرضاوى الذى أباح قتل الساسة والأبرياء والمدنيين فى الزمن الماضي صار الآن يتبرأ من قتلهم .. ويجعلهم كمثل الخوارج ، والعلة فى سوء فهمهم الإسلام ... والحقيقة أن الإخوان إذا قتلوا فهم مجاهدون ، ولا يسألون عن الأدلة ، ولا يلزم وجود القضاء .. والأمر مستساغ .. أما إذا قتل غيرهم فهم خوارج ضلال ، ولا بد من أدلة وقضاء .. ومن المعلوم أنه لا يجوز أن يقتل مسلم - سياسيا كان أو غير سياسي - ويتهم بالردة والخيانة ، بغير قضاء ولا استتابة .. ولا يجوز قتل الأجراء ولا المعاهدين ولا المأمنين. والقاتل قاتل على كل حال ، سواء كان من الإخوان أم من غيرهم . المهم أنه خالف القواعد الشرعية . ولأجل ذلك فإذا قطع القرضاوى بأن هؤلاء الذين يقتلون الأبرياء والمدنيين فى العراق من الخوارج فقد لزمه تنزيل هذا الحكم على التنظيم الخاص للإخوان ، الذى ارتكب نفس الجرائم فى زمن الملك فاروق .. وإذا أصدر القرضاوى بيانا عقب ما وقع فى الحادى عشر من سبتمبر بمركز التجارة العالمى بأمريكا ، جعل فيه قتلة الأبرياء والمدنيين مستحقين للعقوبة الشرعية كما قال فى (إسلام أون لاين نت . ١٢ / ٩ / ٢٠٠١) فمن الواجب أن ينزل هذا الحكم على الإخوان ، الذين قتلوا الأبرياء فى مصر فى زمن الملك فاروق - ولا يعترض على حل تنظيماتهم وتشريد جماعتهم ، ولا يعترض كذلك على القصاص منهم - وذلك حين ألقوا القنابل المتفجرة فى جميع أقسام القاهرة ، إرهابا واعتراضا على أغلبية برلمانية تحققت لصدقى باشا من حزبي السعديين والأحرار الدستوريين ، وكذلك حين فجروا محلات شيكوريل والشركة الشرقية للإعلانات وشركة أراضى الدلتا و« نسف بعض المساكن فى حارة اليهود بالقاهرة عن طريق إخوان الوحدات » (التنظيم الخاص ودوره . ص / ٢٨٧) .

وكذلك حين سعى شفيق أنس فى تفجير محكمة الاستئناف ، لنسف أدلة الإثبات الخاصة بالتنظيم السري ، التى عثر عليها فى السيارة الجيب .. حيث وضع شنطة بها قنبلة زمنية فى غرفة المحضرين ، وتركها وانصرف .. وقد كان من المتوقع إذا انفجرت تلك القنبلة أن تودى بحياة مئات المدنيين ، لولا أن أراد الله تعالى خلاف ذلك ، حيث انتبه إليها أحد الموظفين فأخذها وجرى وراء صاحبها ، حتى أمره أن يلقيها ، فألقاها ، فانفجرت فى الشارع ، بعيدا عن الموظفين .. وقد أكد محمود عبد الحليم أن شفيق أنس أراد نسف المحكمة كاملة ، ولم يرد الأدلة والأحراز فقط .. قائلا : « وقد وقعت هذه المحاولة فى ١٢ / ١ / ١٩٤٩م والمتهم فيها هو شفيق إبراهيم أنس سنة ٢٢ سنة يعمل موظفا فى أرشيف وزارة الزراعة . وقد أراد أن ينسف المحكمة ، انتقاما لما كان يجري بين جدرانها من تزييف وتلفيق وإكراه وتعذيب لإخوانه»(أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٢١٩) .

لا أظن القرضاوى عنده من الشجاعة أن يحكم على هؤلاء الإرهابيين المنتسبين إلى التنظيم الخاص بأنهم من أحفاد الخوارج .. وذلك لأن منطق الإخوان قائم على مفاهيم عنصرية بغيضة .. فالقاتل إذا كان من الإخوان فإنه ينال نوط الشجاعة والشرف ، ويصير إماما يقتدى به ، ويرفع إلى مقام الشهداء الأبرار فى جنات الخلد، والجو السياسي يبيح له تخطى القضاء وقتل الخصوم ..

وإذا كان من غير الإخوان فإنه يخرج من ملة الإسلام ، ويكون مصيره جهنم وبئس المصير ، ولا يعتذر له بالجو السياسي ولا بغير السياسي ..

والحقيقة الغائبة أن الإخوان صاروا يتبرأون مما كانوا يبيحونه من قبل ، ويحاربون ما كانوا يدعون إليه من قبل ، دون دراية وعلم . ليس تراجعا .. فلو كان الأمر تراجعا لحكموا على حوادث الزمن الماضى كما يحكمون على حوادث هذا الزمان ، كتلك التى وقعت من تنظيم القاعدة .

ولكن الحقيقة أنهم يريدون تبيض صورتهم وإظهار أنفسهم فى صف الوسطية والاعتدال ، لينالوا أكبر قدر من المكانة فى صفوف العامة والمفكرين والأدباء والصحفيين فى المجتمعات الإسلامية ، ولتطمئن لهم الدول الغربية حال وصولهم إلى الحكم ..

الإيمان قيد الفتك ..

لم يكن علماء الإسلام يبيحون القتل السياسي وأن يؤخذ المسلم الآمن على غرة، فقد كان يعدون ذلك من أكبر الجرائم ، التى تخرج صاحبها عن الإيمان بالكلية ، خلافا لما زعم القرضاوي أن القتل السياسي كان مباحا فى زمن الملك . ومن العلماء الذين تصدوا بشدة لهذا الغدر الإخوانى بالساسة المسلمين العلامة الشيخ أحمد محمد شاكر (رحمه الله) فكتب مقالا بعنوان " الإيمـــانُ قَيْـــدُ الفَتْـــك " فانظر ماذا قال فيه وقس على ذلك أفعال المجرمين من بعدهم ماذا فعلوا فى العالم الإسلامي باسم الإسلام والجهاد . قال فيه : روع العالم الإسلامي والعالم العربي ،بل كثير من الأقطار باغتيال الرجل،الرجل بمعنى الكلمة ، النقراشي الشهيد غفر الله له، وألحقه بالصديقين والشهداء والصالحين.

وقد سبقت ذلك أحداث ، قدم بعضها للقضاء وقال فيها كلمته .. وما أنا الآن بصدد نقد الأحكام ، ولكني كنت أقرأ كما يقرأ غيري الكلام في الجرائم السياسية وأتساءل : أنحن في بلد فيه مسلمون ..؟

وقد رأيت أن واجبا علي أن أبين هذا الأمر من الوجهة الإسلامية الصحيحة؛حتى لا يكون هناك عذر لمعتذر ، ولعل الله يهدي بعض هؤلاء الخوارج المجرمين ؛فيرجعوا إلى دينهم قبل أن لا يكون سبيل إلى الرجوع .

وما ندري من بعد النقراشي في قائمة هؤلاء الناس..

إن الله سبحانه توعد أشد الوعيد على قتل النفس الحرام في غير آية من كتابه ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُّتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَابًا عَظِيمًا ﴾ وهذا من بديهيات الإسلام التي يعرفها الجاهل قبل العالم، وإنما هذا في القتل العمد الذي يكون بين الناس في الحوادث والسرقات وغيرها (القاتل يقتل وهو يعلم أنه يرتكب وزراً كبيرا..

أما القتل السياسي الذي قرأنا جدالاً طويلاً حوله فذلك شأنه أعظم، وذلك شيء آخر ..

القاتل السياسي يقتل مطمئن النفس، راضي القلب يعتقد أنه يفعل خيراً فإنه يعتقد بما بث فيه من مغالطات أنه يفعل عملاً حلالاً جائزا، إن لم يعتقد أنه يقوم بواجب إسلامي قصر فيه غيره ، فهذا مرتد خارج عن الإسلام يجب أن يعامل معاملة المرتدين، وأن تطبق عليه أحكامهم في الشرائع، وفي القانون، هم الخوارج كالخوارج القدماء الذين كانوا يقتلون أصحاب رسول الله - صلى الله عليه وسلم - ويدعون من اعترف على نفسه بالكفر وكان ظاهرهم كظاهر هؤلاء الخوارج بل خيرا منه وقد وصفهم رسول الله بالوحي قبل أن يراهم فقال لأصحابه : « يحقر أحدكم صلاته مع صلاتهم وصيامه مع صيامهم يقرؤون القرآن لا يجاوز تراقيهم يمرقون من الإسلام كما يمرق السهم من الرمية » حديث أبي سعيد الخدري في صحيح مسلم ج١ ص ٢٩٢، ٢٩٣ وقال أيضاً : « سيخرج في آخر الزمان قوم أحداث الأسنان، سفهاء الأحلام، يقولون من قول خير البرية يقرؤون القرآن لا يجاوز حناجرهم. يمرقون من الدين كما يمرق السهم من الرمية، فإذا لقيتموهم فاقتلوهم فإن في قتلهم أجرا لمن قتلهم عند الله يوم القيامة»(حديث علي بن أبي طالب.مسلم ج١ ص ٢٩٣)

والأحاديث في هذا المعنى كثيرة متواترة وبديهيات الإسلام تقطع بأن من استحل الدم الحرام فقد خلع ربقة الإسلام من عنقه، فهذا حكم القتل السياسي ، هو أشد من القتل العمد الذي يكون بين الناس، والقاتل قد يعفو الله عنه بفضله، وقد يجعل القصاص منه كفارة لذنبه بفضله ورحمته ،

وأما القاتل السياسي فهو مصر على ما فعل إلى آخر لحظة من حياته يفخر به ، ويظن أنه فعل الأبطال، وهناك حديث آخر نص في القتل السياسيلا يحتمل تأويلا، فقد كان بين الزبير بن العوام وبين علي بن أبي طالب ما كان من الخصومة السياسية التي انتهت بوقعة الجمل فجاء رجل إلى الزبير بن العوام فقال أقتل لك عليا .. ؟

قال : لا . وكيف تقتله ومعه الجنود ؟

قال ألحق به فأفتك به. قال :

لا. إن رسول الله ﷺ قال : (إن الإيمان قيد الفتك لايفتك مؤمن» حديث الزبير بن العوام رقم ١٤٢٩ من مسند الإمام أحمد بن حنبل بتحقيقنا) .

أي : أن الإيمان يُقيد المؤمن عن أن يتردى في هوة الردة، فإن فعل لم يكن مؤمناً..

أما النقراشي فقد أكرمه الله بالشهادة ، له فضل الشهداء عند الله وكرامتهم ،وقد مات ميتة كان يتمناها كثير من أصحاب رسول الله ﷺ ، تمناها عمر بن الخطاب حتى نالها فكان له عند الله المقام العظيم والدرجات العلى ..

وإنما الإثم والخزي والعار على هؤلاء الخوارج القتلة مستحلي الدماء،وعلى من يدافع عنهم ، ويريد أن تتردى بلادنا في الهوة التي تردت فيها أوربة بإباحة القتل السياسي،أو تخفيف عقوبته ؛فإنهم لا يعلمون ما يفعلون،ولا أريد أن أتهمهم بأنهم يعرفون ويريدون »(جريدة الأساس ٢ / ١ / ١٩٤٩مـ) .

الفصل السابع

الإفلاس الجهادي فى حركة الإخوان

الجهاد عند الإخوان

الجهاد الأول : التفجيرات الجسدية

..الجهاد الثاني: المقاطعة الاقتصادية ..

موقف الإخوان من الاحتلال الإنجليزي لمصر

الهضيبي ينكر اشتراك الإخوان فى معارك القنال

جهاد الإخوان فى حرب فلسطين ٤٨ هـ

عصام العريان وإسرائيل .. بين الاعتراف والمناورة..

فتنة تنظيم الجهاد فى مصر

فتنة تنظيم القاعدة

الإفلاس الجهادى فى حركة الإخوان

يرى الإخوان أنفسهم الجماعة الإسلامية المجاهدة فى ميادين القتال ، أما غيرهم فهم أصحاب فقه ودروشة ، لا يأخذون الإسلام بشموله ولا يفقهون الواقع ، إن لم يتهموهم بالعمالة ، والانشغال بفقه الحيض والنفاس .. فالجهاد كان معطلا فى أمة محمد ﷺ ولم يظهر إلا فى حركة الإخوان .. والأمة كانت ميتة ولم تبعث إلا بجماعة الإخوان .! وقد انتهى التلمسانى مرشد الإخوان الثالث إلى القول بأن حركة حسن البنا بلغت مبلغا عظيما من الجهاد والنضال لم تبلغه دعوة شيخ الإسلام ابن تيمية ، فقال : « ولئن كان الإمام المجاهد ابن تيمية وتلامذته قد أدوا إلى الفقه الإسلامى وتوضيح مناهج السلف ما يعد غرة فى جبين الفقه الإسلامى ، ولئن كانوا قد سجنوا أو عذبوا فى سبيل التمسك برأيهم الصحيح ، ولئن كانوا قد جاهدوا فى سبيل الله بالسيف والمزراق فعلا ، ولئن كانت لهم مدرستهم التى لا تنكر ، ولئن كنا نحن الإخوان المسلمين نعتبرهم أساتذة لنا ، إلا أننى أقرر وأنا كامل الإيمان والصدق أن مدرسة حسن البنا كانت أعمق أثرا وأبعد فاعلية فى نفوس شباب المسلمين ، ذلك لأن مدرسة الإمام ابن تيمية أخرجت فقهاء وعلماء حقا ، ولكن مدرسة البنا أخرجت مجاهدين فى ميادين القتال ومثلا فى مواقف النضال» (بعض ما علمنى الإخوان ص/ ٧ . ط . ٢ . ١٩٨٢ . دار نشر الثقافة)

والأمر بخلاف ما قال التلمسانى فقد كان لشيخ الإسلام (رحمه الله) مكانة كبرى فى العلم والدين والجهاد ، لا أظن أبدا أنها تقاس بجوار مكانة حسن البنا ، بل القياس بينهما انتقاص من مكانة شيخ الإسلام ، وما هذا إلا كالمثل السائر :

ألم تر أن السيف ينقص قدره .. إذا قيل إن السيف أمضى من العصا .

فمناقبه آية من آيات الله تعالى فى خلقه ، ومما ذكر فى مناقبه الجهادية أن التتار حين أغاروا على بلاد المسلمين ، ذهب إلى الأمراء المصريين ، و حثهم على الجهاد فى سبيل الله .. وكان من جملة أقواله : « لو قدر أنكم لستم حكام الشام ولا

ملوكه واستنصركم أهله وجب عليكم النصر فكيف وأنتم حكامه وسلاطينه وهم رعايتكم وأنتم مسؤلون عنهم ».. « وقوى جأشهم وضمن لهم النصر هذه الكرة ، فخرجوا إلى الشام ، فلما تواصلت العساكر إلى الشام فرح الناس فرحا شديدا ، بعد أن كانوا قد يئسوا من أنفسهم وأهليهم وأموالهم » (البداية والنهاية . ١٤ / ٤٢٢) قال الإمام ابن القيم : « ثم أخبر الناس والأمراء سنة اثنتين وسبعمائة لما تحرك التتار وقصدوا الشام أن الدائرة والهزيمة عليهم ، وأن الظفر والنصر للمسلمين ، وأقسم على ذلك أكثر من سبعين يمينا . فيقال له : قل إن شاء الله .فيقول:"إن شاء الله تحقيقا لا تعليقا "» (مدارج السالكين . ٢ / ٤٨٩) .

وكان (رحمه الله) يتأول مثل قوله تعالى : ﴿ذلك ومن عاقب بمثل ما عوقب به ثم بغى عليه لينصرنه الله ﴾ [الحج: ٦٠] فانتصر المسلمون على عدوهم كما أخبر، وصدق فيه قول النبى ﷺ : « إن من عباد الله من لو أقسم على الله لأبره» (متفق عليه . رواه البخارى فى الصلح ٢٥٥٦ عن أنس).

هذا هو شيخ الإسلام ...كان قويا فى دينه وفى عقيدته (أحسبه كذلك والله حسيبه)، وكان يقول : « لن يخاف الرجل من غير الله إلا لمرض فى قلبه . فإن رجلا شكى إلى أحمد بن حنبل خوفه من بعض الولاة فقال : لو صححت لم تخف أحدا أى خوفك من أجل زوال الصحة من قلبك ...الخ حتى قال عنه القازان ملك التتار حين لقيه : « فإنى لم أر مثله ، ولا أوقع من حديثه فى قلبى ، ولا رأيتنى أعظم انقيادا لأحد منه»(غاية الأمانى للألوسى رحمه الله تعالى ٢ / ١٧٠) .

وكانت له فراسة بالغة وكرامات حاضرة .« ولما طلب إلى الديار المصرية وأريد قتله ، بعد ما أنضجت له القدور وقلبت له الأمور ، اجتمع أصحابه لوداعه ، وقالوا: قد تواترت الكتب بأن القوم عاملون على قتلك . فقال :

والله لا يصلون إلى ذلك أبدا ، قالوا : أفتحبس ؟

قال : نعم ، ويطول حبسي ، ثم أخرج وأتكلم بالسنة على رؤوس الناس . سمعته يقول ذلك .. ولما تولى عدوه الملقب بالجاشنكير الملك أخبروه بذلك ، وقالوا :

الآن بلغ مراده منك فسجد لله شكرا وأطال ، فقيل له : ماسبب هذه السجدة ؟ فقال : هذا بداية ذله ومفارقة عزه من الآن وقرب زوال أمره فقيل له : متى هذا ؟ فقال : لا تربط خيول الجند على القرط حتى تغلب دولته . فوقع الأمر مثل ما أخبر به سمعت ذلك منه ...» (مدارج السالكين . ٢ / ٤٨٩) .

والجاشنكير هو ركن الدين بيبرس ، وقد كان مماليا لشيخه نصر المنبجي الذى كان يدين بملة ابن عربى الصوفى الملحد ، كما ذكر ذلك ابن كثير فى(البداية والنهاية ١٤ / ٤٩) وقد كان شيخ الإسلام مخاصما له محاربا لمعتقداته الفاسدة منتصرا للإسلام وأهله ، لم يدمج الحق بالباطل ، ولم يسع لحشد الناس حوله بدعوة التقريب ، ليحقق لنفسه سلطانا على حساب دين الله .

ومع كثرة خصومه وأعدائه إلا أنه كان مشهودا له بالمكانة والعلم والفراسة والسياسة ، فهو صاحب التصانيف المشهورة والمؤلفات المأثورة ، حفظ القرآن والسنن، حتى قالوا الحديث الذى لايعرفه ليس بحديث .. كان جامعة تولد منها كليات متعددة . وحين وافته المنية لم يتخلف أحد عن جنازته إلا ثلاثة نفر كانوا من أشد أعدائه . وذهب عامة الناس من الأمراء والعلماء والجند والرعية إلى القلعة التى كان مسجونا بها ، والتفوا حولها ينتظرون خروج جنازته .

مظاهر ضعف الإخوان المسلمين ...

لم يشترك حسن البنا فى معركة قتالية ، ولم يحمل سيفا ، كما حمل شيخ الإسلام ، ولم تشتهر له جنازة ، ولم يعرف له قسم على الله تعالى ، كما عرف لشيخ الإسلام ..ولم يربى علماء وفقهاء كما ربى شيخ الإسلام . فقد كان الضعف فى دعوته ظاهرا بينا .. انظر ماذا قال لعبد الرحمن السندى عند التحقيق معه فى مقتل القاضى الخازندار ، قال : « لماذا قتلت الخازندار ؟ قال السندى : أنت الذى أمرت بهذا . فرد قائلا : أنا يا عبد الرحمن ـ قال : نعم أنت . قلت : لو كان ربنا ريحنا من العالم دى » أهـ وقد نقل القرضاوى فى كتابه (ابن القرية والكتاب ١ / ٣١٢) حال حسن البنا حين دخل عليه فريد عبد الخالق بعد مقتل القاضي الخازندار : « فوجده أشد ما يكون غضبا وحنقا ، حتى إنه كان يشد شعره من شدة الغضب ، وقال له : أرأيت ما فعل إخوانك يا فريد»أهـ

أما بالنسبة للعلم فقد شهد حسن البنا على نفسه بأنه ليس بعالم ، وأنه مجرد مدرس مدنى ، يحفظ بعض الآيات والأحاديث .

وقد تقدم اتهام سيد قطب حسن البنا وأقرانه بالسذاجة والهزيمة النفسية أمام ضغط الواقع الغربي . فكيف بعد ذلك تكون مدرسة حسن البنا الانهزامية فوق مدرسة شيخ الإسلام ابن تيمية . ذاك الإمام الذى وقف أمام القازان ملك التتار ، فرأى فيه كل هيبة وجلال ؛ فطلب منه الدعاء ؛ فدعا له شيخ الإسلام ، قائلا : «اللهم إن كنت تعلم أنه إنما قاتل لتكون كلمة الله هى العليا وجاهد فى سبيلك فإن تؤيده وتنصره ، وإن كان للملك والدنيا والتكاثر فإن تفعل به وتصنع ، فكان يدعو عليه وغازان يؤمن على دعائه . قال القاضى أبو العباس :« ونحن نجمع ثيابنا خوفا أن يقتل فيطرطس بدمه ، ثم لما خرجنا قلنا له كدت تهلكنا معك »(غاية الأمانى للألوسي٢ / ١٧٧)

وعلى الرغم من تفنن الإخوان فى الاغتيالات السياسية بكل دقة ، والغدر بخصومهم بغير حجة ولا استتابة ولا قضاء ، كما تبين فى مقتل النقراشى باشا " رئيس وزراء مصر " ، الذى قتل بتدبير متقن ، إلا أن هؤلاء تركوا شيخهم خائفا وحيدا يتعرض للموت ، ولا يجد أحدا يلتف حوله أو يحرسه ، ولا يدرى ماذا يفعل ، ولا كيف يتصرف . ؟ قال أحمد رائف: « وكان وحيدا حائرا إلا من بعض الأصدقاء الذين يزورهم بين الحين والآخر على تخوف من إحراجهم لرقابة البوليس الصارمة له » (الصفحات . ص/ ٢٢٧) .

وحين قتل (رحمه الله) ودخل المستشفى ومات فيها لم يلتف أحد حول جنازته ، ولم يخرج فى تشييع جنازته إلا بناته ووالده ، ولم يحضر عزاءه إلا مكرم عبيد باشا ، وما ذلك إلا لعظم جبنهم وخوفهم من دولة الملك ، انظر (فى قافلة الإخوان ص/ ٢٢٨) ، أحداث صنعت التاريخ ٢ / ١٤٨ ، ابن القرية والكتاب ١ / ٣٤٦ ، (مع الإمام الشهيد . ١٣٣)

أين كان الإخوان .. ؟

كى يبرر الإخوان هذا الفرار المخزي من تشييع جنازة شيخهم زعموا أنهم كانوا جميعا فى السجون والمعتقلات .. وما صدقوا فى زعمهم .. والحقيقة أن الذى كان فى السجن فى هذا الزمان قبل مقتل حسن البنا مباشرة هم أعضاء مكتب الإرشاد فقط ، أما بقية الإخوان والتنظيم الخاص فقد كانوا مطلقى السراح مختفين عن الأنظار. ويؤكد ذلك شهادة حسن البنا ، كما أوردها محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٨٠) : « كل مجلس الإرشاد معتقل ، ومفيش داعى لهذا الاعتقال ».أهـ .

الجهاد عند الإخوان ..

يرفع الإخوان دائما هذا الشعار .. (الجهاد سبيلنا والموت فى سبيل الله أسمى أمانينا) ويزعمون أن ما من بلد تعرض للاحتلال إلا كان الإخوان فى صدارة المجاهدين . يقول محمد عاكف : « لذلك بنقول " الجهاد سبيلنا " و" الموت في سبيل الله أسمى أمانينا " لماذا قاتل الإخوان فى فلسطين ، ولماذا قاتل الإخوان فى العراق ، ولماذا قام الإخوان بواجبهم الذي لا ينسى في الجزائر، وفى كل البلاد التي كانت محتلة» (إخوان أون لاين نت . ٢٢ / ٤ / ٢٠٠٦م) .

فما حقيقة ذلك ..؟

والجواب : بالنظر فى تاريخ الإخوان يتبين أن أغلب جهادهم فى الإسلام جهاد خاص بإحداث الفتن .. ولن تهدأ البلاد ولن تستقر حتى يكون للإخوان فيها رأى . وانظر إلى مواقع الفتن تجد الإخوان وراءها .. وإذا أردت أن تستجمع أطراف الجهاد عند الإخوان فلن تجد جهادا ، وإنما حالهم كما يقول القائل : « أسمع ضجيجا وصوتا ، ولا أرى طحنا ولا عجنا » هذا هو جهادهم الذي تفننوا فيه ..فقد كانوا يقومون بالمظاهرات الصاخبة . إظهارا للقوة ، وهزا لمكانة الحكومة ، التى يطلبون منها الدفاع عن فلسطين ..

فما جهاد الإخوان ..؟

الجهاد الأول : التفجيرات الجسدية ..

نتيجة لفشل الإخوان فى الوصول إلى صورة الجهاد الحقيقية فى الإسلام ، ولرغبتهم فى تحقيق نوع من الظهور فى ميدان الجهاد ، بأى صورة من الصور، وليثبتوا لأتباعهم أنهم لا يزالون مؤثرين على الساحة ، وأن وجودهم هو الأقوى .. اخترع الإخوان فكرة التفجيرات الجسدية لتحقيق غايتهم فى الجهاد . فهى بدعة إخوانية نشأت فى الخمسينيات من القرن الماضى ..

وقد طرحت فكرة استخدام الحزام الناسف بين الإخوان أثناء الصراع بين عبد الناصر والإخوان قبل حادث المنشية ١٩٥٤م .

قال سعد حجاج : الحزام الناسف كانت فكرة تستخدم عند الهجوم على الجماعة ، فلا بد من رد من جانبنا ، وكنت أنا المرشح لحمل هذا الحزام واحتضان عبد الناصر والموت معه»(الصفحات ص/ ٥٠٩) كما طرحت فكرة السيارات المفخخة أيضا فى زمن الملك فاروق من قبل الإخوان لقتل إبراهيم عبد الهادى باشا ، ومن معه من الأبرياء .. قال محمود الصباغ : « وكان التفكير المبدئى أن يصدم مصطفى كمال عبد المجيد سيارة إبراهيم عبد الهادى بسيارة مجهزة بعبوات ناسفة تندفع من الطريق الجانبى لتصطدم فجأة بسيارة إبراهيم عبد الهادى وتنفجر السيارتان بـمن فيهـما .. » (التنظيم الخاص . ص/ ٤٥٥) ...

وقد اقتبس هؤلاء فكرة الهجمات الانتحارية من الهجمات التى كان يقوم بها الجيش الياباني ضد الأسطول الأمريكى البحري ، حتى أغرق فى المحيط الهادى ، وذلك فى ديسمبر ١٩٤١م ، وترتب على ذلك أن أسقطت أمريكا قنبلتين ذريتين ، إحداهما على هيروشيما والأخرى على نجازاكى ، وقتل فى الأولى مائة وأربعون ألفا من البشر ، وفى الثانية سبعون ألفا .

وقد قاس هؤلاء تلك الفكرة على ما ثبت فى التاريخ الإسلامى من أمر البراء بن مالك فى معركة اليمامة ، حين ارتقى سور حديقة الموت ، ثم انخرط فى جيش مسيلمة بسيفه ، وعرض نفسه للقتل وقاتلهم ، وكذلك ما رواه يزيد بن أبى حبيب عن أسلم أبى عمران فى شأن الرجل الذى حمل على العدو حتى دخل فيهم فى معركة القسطنطينية ، وما ذكر كذلك من شأن فتى أصحاب الأخدود ، حين بين للملك كيف السبيل إلى قتله.

وهذه المقاييس باختلاف ألوانها لا تتطابق مع تفجير الرجل نفسه بنفسه ، خاصة إذا كان هذا الفعل لا يترتب عليه إسلام أحد من الكفار - كما أسلم أهل قرية غلام الأخدود - أو إذا ترتب عليه مضرة شديدة بالمسلمين دون عدوهم ، فيقتل

المنتحر رجلا أو أكثر ، ليقتل اليهود من المسلمين أضعاف أضعاف ما قتل منهم .. والواجب على المقاتل فى ميدان القتال أن يحتاط لنفسه وأن يأخذ بأسباب النجاة مع كونه يسعى فى إيقاع المضرة بعدوه ، وإن قتل فله أجر الشهيد. أما المنتحر فإنه لا يأخذ الحيطة ، وإنما يقتل نفسه بنفسه حتما ..

وقد كان القرضاوى وغيره وراء تلك الدعوة .. دعوة التفجير الجسدى .. وملصقات الإخوان بالدعوة إلى التفجير الجسدى فى مصر قد ملئت الجدران والصحف ، وكتب عليها : « قم وانفجر » وقادة حماس يدفعون أطفال فلسطين إلى تلك العمليات ، لإثارة اليهود على المسلمين ، حيث يقتل المنتحر رجلا أو رجلين أو أكثر ، بينما ينتقم اليهود جراء ذلك من سكان الضفة والقطاع بشراسة بالغة ، فيقتلون المئات ويهدمون المنشأت .. وقد تتم العملية الانتحارية ولا يقتل إلا المنتحر .. فلا مصلحة دينية فى هذا الأمر .. وهم لا ينظرون إليها ابتداء ، إنما يقصدون الظهور السياسي ..

أما علماء السنة فقد أفتوا جميعا بأن تلك العمليات التى أحدثها هؤلاء عمليات انتحارية ، وليست استشهادية ، لما فيها من قتل للنفس ، ولما فيها من إثارة للفتنة على المسلمين ، ولما يترتب عليها من قتل وتشريد للمستضعفين ، ولأنها تتم بغير إذن إمام الجهاد ، ولا يحدث بسببها هداية ولا إيمان لأحد من الأعداء . حتى إنهم خشوا أن تكون تلك العمليات قائمة على نية فاسدة ، مدفعها اليأس من الحياة، وعدم الإخلاص لله تعالى ..

ومن هؤلاء الأئمة الذين أفتوا بعدم جواز تلك العمليات الشيخ الألبانى ، والشيخ عبد العزيز بن باز ، والشيخ العثيمين رحمهم الله ، والشيخ عبد العزيز آل الشيخ حفظه الله ، والشيخ صالح الفوزان حفظه الله ، وكثير من أهل العلم .. وهذه فتوى العلامة محمد بن صالح العثيمين (رحمه الله) فى (شرح رياض الصالحين. ١ / ١٠٧، ١٠٨) فى النهى عن تلك العمليات والتحذير منها .. قال فى شرح حديث الراهب والساحر والغلام والملك : « أن الإنسان يجوز أن يغرر بنفسه فى مصلحة

عامة ويهلك به نفسه ، وهو أن يأخذ سهما من كنانته .. الخ قال شيخ الإسلام : « لأن هذا فى سبيل الله ، آمنت أمة وهو لم يفتقد شيئا ، لأنه مات وسيموت عاجلا أم آجلا...».

ثم قال : فأما ما يفعله بعض الناس من الانتحار بحيث يحمل آلات متفجرة ويتقدم بها إلى الكفار ثم يفجرها إذا كان بينهم فإن هذا من قتل النفس والعياذ بالله .. "ومن قتل نفسه فهو خالد مخلد فى نار جهنم أبد الآبدين " كما جاء فى الحديث عن النبى عليه الصلاة والسلام » أهـ .

ولم يعرف فى الإسلام أن يقتل الإنسان نفسه بنفسه ، بحجة أنه يجاهد فى سبيل الله ، فى معركة لا تحقق غاية الجهاد الحقيقية ، ولا يتبعها منفعة عائدة على المسلمين، بقدر ما يتبعها مصائب ومحن. ولذلك صارت فى فلسطين كأمس الذاهب، ولكن بعد التحارب والمحن . أما بالعلم فالإخوان لا يتراجعون بالعلم .

الجهاد الثاني : المقاطعة الاقتصادية ..

الطريق إلى فلسطين . المقاطعة سبيلك إلى النصر. قم وانفجر . لا تشرب المياه الغازية .. الملصقات التى حملت مفاهيم عقائدية منحرفة ، رفعت الأجساد والأشلاء إلى السماء، وحددت النزلاء فى الجنة ، وعينت شهداء الآخرة ، و : « الله أعلم بمن يكلم فى سبيله » (البخارى فى الجهاد والسير باب لا يقال فلان شهيد. ٢٦٣٥، ٢٦٤٩ ، والنسائى فى الجهاد فى السير٣١٢٧) ..

هذا هو جهاد الإخوان الذى تفننوا فيه .. وقد أفتى القرضاوى بحرمة شراء البضائع الأمريكية واليهودية ، فقال : « فكل مسلم اشترى من البضائع الأمريكية والإسرائيلية ما يجد بديلا له من دول أخرى فقد ارتكب حراما ، واقترف إثما مبينا وباء بالوزر عند الله ، والخزى عند الناس » (إسلام أون لاين. ٢١ / ٣ / ٢٠٠٤م) ولا ينقطع العجب من فتوى هذا الرجل المطالب بمقاطعة البضائع الأمريكية واليهودية وزعمه أن عدم المقاطعة يعتبر بابا من أبواب التعاون على الإثم والعدوان ، بينما هو يبيح للجندى الأمريكى المسلم الاشتراك فى الحرب الأمريكية على أفغانستان لقتل

فقراء المسلمين .. وقد برر ذلك بزعم الحفاظ على مكاسب الجندى المسلم فى المجتمع الأمريكى .. فقتل المسلمين فى أفغانستان مباح .. أما شرب المياه الغازية فهى حرام .! والحقيقة أن المقاطعة التى يدعو إليها القرضاوى إنما هى تحويل لقضية دينية إسلامية إلى قضية اقتصادية لا خصومة فيها ولا نزاع ..فهل ثبت أن النبى ﷺ كان يستخدم سلاح المقاطعة ضد يهود بنى قينقاع وبنى النضير ، فضلا عن الرومان ، الذين كانوا يتربصون بالإسلام الدوائر ؟ لقد مات النبى ﷺ ودرعه مرهونة عند يهودى مقابل أرز اشتراه منه ، مع ثبوت نقضهم السابق للعهود والمواثيق وحربهم الدءوب للإسلام والمسلمين .. و كان أنباط الشام يدخلون المدينة يبيعون الطعام ، والصحابة يبتاعون منهم ، وقد كان قيصر الرومان يعد العدة لقتال الرسول ﷺ والأنباط هم فلاحو العجم .. قال كعب بن مالك : « فبينا أنا أمشي في سوق المدينة إذا نبطي من نبط أهل الشام ممن قدم بالطعام يبيعه بالمدينة يقول من يدل على كعب بن مالك قال فطفق الناس يشيرون له إلي حتى جاءني فدفع إلي كتابا من ملك غسان»(متفق عليه.رواه مسلم . ٢٧٦٩) .

وفى رواية عبد الله بن أبي أوفى الأسلمي أنهم كانوا يتبايعون معهم فى الغزو .. قال : « غزونا مع رسول الله ﷺ الشام فكان يأتينا أنباط من أنباط الشام فنسلفهم في البر والزيت سعرا معلوما وأجلا معلوما فقيل له ممن له ذلك ؟ قال ما كنا نسألهم»(رواه أبو دواود ٣٤٦٦وقال الشيخ الألباني . صحيح لغيره) .

وقد أفتت اللجنة الدائمة: بجواز البيع والشراء ما لم يكن ولى الأمر قد نهى عن ذلك ، وقالت : « يجوز شراء البضائع المباحة أيا كان مصدرها ، ما لم يأمر ولي الأمر بمقاطعة شيء منها ، لمصلحة الإسلام والمسلمين ، لأن الأصل في البيع والشراء الحل ، كما قال تعالى : « وأحل الله البيع » والنبي ﷺ اشترى من اليهود. » (رقم ٢١٧٧٦ بتاريخ ٢٥ / ١٢ / ١٤٢١هـ) .

مواقف الإخوان الجهادية ..

١- موقف الإخوان من الاحتلال الإنجليزي لمصر ...

كان حسن البنا يصول ويجول فى الشعب الإخوانية فى زمن الملك فاروق ، وكان يخطب فى أتباعه ويلهب حماسهم ، فى غالب القضايا التى يعرضها عليهم ، وكانوا يصيحون خلف نداءاته ويقفون مع سكتاته .. ولم يشعر حسن البنا أن تلك الهتافات لن تقدم فى الأمر شيئا إلا فى آخر حياته ، وذلك عندما وقعت الفتن عام ١٩٤٨م ، بعد عودته من رحلة الحج ..

أما بشأن الاحتلال فقد طالب حسن البنا فى ١٩٤٥م ، ١٩٤٦م فى مؤتمرين من مؤتمراته ، بقطع المفاوضات مع الإنجليز وبإبطال معاهدة ١٩٣٦م ، وإخراج القوات الإنجليزية من مصر ، بلا قيد ولا شرط ...

وبين أن المفاوضات مع الإنجليز غير مجدية ، ولا بد من الجهاد ، وإن لم تفعل الحكومة ذلك فهى حكومة عميلة يسقط طاعتها ، كما جاء فى كتاب (التربية السياسية عند الإخوان المسلمين ص/ ١٥٢-١٥٥) فقال : « الحكومة التى لا تحقق تلك المطالب من قطع المفاوضات وإعداد الأمة للجهاد وغيرها هى أداة استعمارية تسقط طاعتها عن المحكومين »أهـ

غير أنه عام ١٩٤٧م سلك طريقا آخر . ألا وهو نفس الطريق الذى سلكه الساسة ، الذين اتهمهم من قبل بالعمالة والخضوع للاستعمار إذا فعلوا ذلك.. وقد اتضح ذلك جليا حين تقلد النقراشى باشا رئاسة الوزراء فى زمن الملك فاروق .. وقد كان بينه وبين الإخوان عداوة شديدة ، فقد كانوا يرونه متخاذلا مع الإنجليز . فانظر ما البديل الذى عرضه حسن البنا على النقراشى باشا فى حالة عدم قبول الإنجليز لتلك المطالب : هل هو تشمير الساق للمواجهة والجهاد الذى طالب به عامى ١٩٤٥م ، ١٩٤٦ .؟ أم هو نفس الوجهة السياسية التى اختارها النقراشى باشا عام ١٩٤٧ م ؟

يوضح ذلك الخطاب الذى وجهه الإخوان إلى النقراشى باشا فى أوائل عام ١٩٤٧م .. يقول الأستاذ / فريد عبد الخالق : « وجاءت وزارة النقراشى الثانية ، وفى مجيئه تحد لمشاعر الشعب ، ومشاعر الإخوان خاصة ، لمواقفه من الحركات الشعبية ، حين أرادت أن تعلن عن احتجاجها على موقف الحكومة المتخاذل مع الإنجليز ، فإن الإخوان ـ انقاذا لقضية البلاد وتلافيا لضياع الوقت الثمين ـ تناسوا تاريخ الرجل وسابق فشله وسوء تصرفه وتقدموا إليه بخطة كاملة ونصيحة مخلصة ، فقد بعثوا إليه فى٥ يناير ١٩٤٧م بخطاب يطالبون فيه : بقطع المفاوضات ومطالبة الإنجليز بجلاء قواتهم عن أرض الوادى ، فإن لم يستجيبوا فعليه أن يتقدم بقضية الوطن إلى مجلس الأمن ، وإلى محكمة العدل الدولية ، وإلى كل مجمع دولى نأنس فيه ميلا إلى الإنصاف » (الإخوان فى ميزان الحق . ص/ ٤١) (أحداث صنعت التاريخ . ١ / ٤٣١).

هذا هو آخر ما تمخضت به جعبة الإخوان .. رفع قضية مصر إلى الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية ..

وظهر أنهم فى بعض المواقف يريدون أن يحملوا غيرهم مالم يقدروا هم على تحمله ، وإذا اتبع الساسة طريق السياسة ، نظرا للظروف التى تعيشها الأمة وغلبة موازين القوى فى صالح الدول المعادية للإسلام ، قالوا هذا خيانة ، وإذا طلب منهم الرأى لم يكن عندهم خيار غير الخيار الذى اختاره الساسة ..

لقد اتهم حسن البنا الحكومة المصرية من قبل أنها إن لم تقم بالجهاد لمواجهة الإنجليز فإنها حكومة عميلة تسقط طاعتها .. وقد تبدل هذا المفهوم فى الطرح الإخوانى المعاصر ، خاصة فى العراق إذا رفض إخوان العراق الاشتراك فى مقاومة الاحتلال واستبدلوا بذلك مجلس الحكم الانتقالى تحت رعاية بول بريمر ، وصار لهم أعضاء فيه هما محسن عبد الحميد والأستاذ صلاح الدين بهاء ..

وقد سلك الإخوان نفس مسلك حسن البنا الأول فى التصريحات العلنية فقالوا إن مساعدة الأمريكان فى حربهم ضد العراق خيانة عظمى للأمة ، ولكن حين استقر الأمر للأمريكان تكاتف الإخوان مع الشيعة فى الاستسلام وعدم المقاومة ..وعندما اعترض الناس على الموقف المخزى لإخوان العراق ... كما جاء فى جريدة

(أفاق عربية . ٢٠ شعبان ١٤٢٤هـ) على لسان الأستاذ محمد جمعة : « وقد بدأ للعيان المأزق التى تعيشه الجماعة عندما قرر الحزب الإسلامى العراقى (الواجهة السياسية للإخوان) بقيادة الأستاذ محسن عبد الحميد . المشاركة فى مجلس الحكم الانتقالى المعين من قبل الاحتلال ... وقال : « فإن مشاركة الإخوان فى هذا المجلس سيجعلهم عمليا ضمن المسئولين تاريخيا عن هذا النهب المنظم لمقدرات الشعب العراقى » أهـ .

ولم يقف طريق الإخوان فى العراق عند هذا الحد .. فقد وافقوا على دستور وضع فى ظل الاحتلال ينتهى إلى تقسيم العراق ، وينمى النزعة العرقية ، ويقطع عروبة العراق ، ويهدر اعتقادها السنى ، ويمنع الاحتكام إلى الشريعة الإسلامية. وقد أعلنت : « "هيئة علماء المسلمين" المرجعية السنية للعراقيين رفضها الكامل للدستور وحثت العراقيين على الانتباه إلى المؤامرات التي تهدف إلى النيل من وحدة العراق » (محيط أون لاين ١٤ / ١٠ / ٢٠٠٥م) وقال الأستاذ صالح المطلك الناطق الرسمي باسم مجلس الحوار الوطني السني : « إن الدستور سهم في قلب العراق وهو معد لتمزيق وحدة العراق وكل من يؤمن بحرية بلده عليه أن يذهب ويقول لا للدستور الذي يذبح العراق» أهـ .

وقد ترتب على هذا الموقف المخزى استقالة جمع من أعضاء الحزب الإخوانى فى العراق من الحزب ، وكانت العلة : « أن الأعضاء المستقيلين يرفضون بشكل قاطع موقف الحزب الذي انشق عن الصف الوطني للقوى المناهضة للاحتلال ، ودعا بقية أعضاء الحزب إلى الاستقالة كذلك...» (محيط أون لاين ١٤ / ١٠ / ٢٠٠٥م)

لم يقبل الإخوان فى مصر توجيه هذا الاتهام لإخوان العراق ، وقالوا أهل مكة أعلم بشعابها .. ولو اتخذ أي سياسي فى العالم العربى والإسلامي هذا الموقف لكان الاتهام الأول له هو العمالة والخيانة .. فقال محمد عاكف : « نحن حينما نتكلم عن قواعد عامة ومبادئ ؛ نقول إن الأصل هو مقاومة المحتل : « نحن لا نشك في

إخلاص ودين إخواننا ، وأنهم يتخذون الموقف الذي يرونه مناسبا بناء على فقه ودراسة وأصول ، ولهذا نقول لك " أهل مكة أدرى بشعابها " ورب الدار أعلم بما فيه »(الإسلام اليوم . ١٧ / ٠٢ / ٢٠٠٤ م) .

هؤلاء هم الإخوان ، وتلك هى شعاراتهم الجهادية .. للإنشاد والتظاهر على الحكومات الإسلامية . فقد كانوا يتهمون الحكومات المصرية بالخيانة والعمالة بسبب تعاملها مع الإنجليز فى زمن الملك فاروق .. فقتلوا رئيس الوزراء أحمد ماهر باشا ثم من بعده النقراشى باشا ليثبتوا لأنفسهم الوطنية .

وها هم الآن فى العراق يضربون أروع الأمثلة فى التعامل مع الاستعمار إلى أن تقسم العراق وتطمس هويتها العربية والإسلامية .. بغير عتاب ولا ملام ..

الهضيبي ينكر اشتراك الإخوان فى معارك القنال ..

دائما ما يتغنى مرشد الإخوان الحالى محمد عاكف فى بعض اللقاءات الصحفية بالمواقف البطولية له فى القناة قبالة الاستعمار الإنجليزي عندما كان طالبا فى الجامعة .. فهل هذا الزعم صحيح ..؟

والجواب على ذلك أقول : إن المرشد الثانى للإخوان الأستاذ الهضيبي أكد نفس مواقف الإخوان السابقة قبالة الاحتلال الإنجليزى .. ونفى بالكلية ما قاله محمد عاكف .. وذلك عندما قامت حكومة الوفد بإلغاء معاهده ١٩٣٦ في شهر أكتوبر سنه ١٩٥١ ، ذهب الأستاذ الهضيبي إلى القصر الملكى مهنئا ، وداعيا الإخوان أن يلتزموا الهدوء . ! وفى لقائه مع جريدة المصري بتاريخ ٢١ / ١٠ / ١٩٥١م نفى الأستاذ الهضيبي تماما أن يكون للإخوان دور فى معارك القنال ، التى تمت فى بورسعيد والإسماعيلية ، وبين أنه يسير وراء الحكومة فيما تتخذه من قرارات ، ولا يمكن أن يقدم على عمل طائش ..

قال مندوب صحيفة المصري كما نقل محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٤٩٧) حوار المرشد معه : « وسألناه عن حملة الصحف الإنجليزية على الإخوان وتحميلها إياهم مسئولية الحوادث التى وقعت بالقنال ... فقال

المرشد العام : نحن لا نهتم بما تنشره الصحف الإنجليزية لأنه بعيد عن الحق . وقد عمل الإنجليز دائما على محاربة الإخوان .. وعلى أى حال فإن موقف الإخوان من الحالة الحاضرة مبين فى القرارات التى صدرت عن المركز العام ، والتى تتلخص فى أننا نؤيد الحكومة فيا أصدرته من مراسيم ... ونحن ننتظر الخطوات التى ستتخذها فى سيل تحقيق الغاية المرجوة .. وما زلنا ننتظر .. أما ما وقع فى الإسماعيلية وبورسعيد فلم يصدر أصلا من الإخوان ، وحسبك أنك لا تجد فى المعركة جريحا واحدا أو حتى ذا ثوب مقطوع من الإخوان .. والإخوان المسلمون تعودوا النظام ، ولا يمكن أن يصدر عنهم حركة طيش أو تسرع » أهـ

فرد عليه الأستاذ خالد محمد خالد بمقال فى جريدة " روزا اليوسف "، بعنوان " أبشر بطول السلامة ياخواجه جورج " .. وكذلك رد عليه محمد الغزالى ، فقال فى كتابه (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامي . ص/ ٢٢٢ ، ٢٣٣) : « كان السيد حسن الهضيبي رجلا ملكى النزعة والوجهة .. فلما خان الملك فاروق الشعب المصرى المكافح لإخراج الإنجليز ، وأسقط الوزارات التى أعلنت عليهم الحرب ، وجاء بالسيد حافظ عفيفي باشا على أنقاض الجهاد المطعون فى ظهره .. ذهب السيد الهضيبي إلى القصر الملكى مهنئا ، وصدرت الأوامر إلى الإخوان كلهم أن يلتزموا الهدوء ! وغلبنى السخط على هذا العمل الشاذ » أهـ

الشاهد : أن صياحات الإخوان فى أمر الجهاد فى هذا الزمان كانت أكبر من حجمهم .. وعلى الرغم من أعدادهم الهائلة وشعبهم المتناثرة ومظاهراتهم الصاخبة فإنهم لم يقوموا قبالة جنود الاحتلال الإنجليزى بأكثر من سبعة عشر عملية قتالية ، منذ نشأة دعوتهم عام ١٩٢٨م - ١٩٢٩م حتى خروج الإنجليز عام ١٩٥٤م ، كما بين محمود الصباغ فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص ص٢٨٩/ -٣١١) - مع استثناءالمعارك التى شكك فيها الهضيبي آنفا - وهى كالآتى : « حادث القطار الإنجليزي ، مهاجمة دورية مصفحة جنوبي القنطرة ، قذف مئات من السيارات الإنجليزية ، نسف مخازن الذخيرة بأبى سلطان ، تدمير أنابيب المياة وقطع أسلاك التليفون فى القنطرة .. نسف قطار إنجليزى فى القنطرة ، ضرب سيارة مصفحة بمعسكر القرين ، نسف خط سكة حديد أمام قرية الحماد ، تبادل إطلاق النار مع القوة التى جاءت لإصلاحه ، إحراق مخازن البترول فى السويس ، مهاجمة مطار الديفرسوار ، مهاجمة مطار كسفريت ، محاولة اغتيال البريجيدير اكسهام الإنجليزي ، نسف جسر على ترعة الإسماعيلية ، كمين لبعض الدوريات البريطانية ، ضرب قافلة جنود قرب كوبرى الرسوة ، نسف القطار الحربي بالكاب»أهـ ..

هذا فقط الذى قام به الإخوان وقدموه للشعب المصري قبالة الإنجليز .. وهذا هو الذى يتغنون به ويتفاخرون ..

٢ - جهاد الإخوان فى حرب فلسطين ٤٨ هـ

لا تزل تلك الطائفة تسجل فى جبين التاريخ فشلا ذريعا فى فهم السياسة والواقع والدين .. فى الجهاد الذى زعموا لأنفسهم اختصاصا به متخبطون ... وفى السياسة التى قالوا إنها أصل من أصول دينهم مفلسون ... وفى الواقع الذى قالوا إنهم أعلم الناس به جاهلون .

ماذا فعل الإخوان فى حرب ١٩٤٨م .؟

ستمائة متطوع إخوانى فى حرب فلسطين ..

بلغ عدد القوات العربية التى اشتركت فى حرب فلسطين عام ١٩٤٨م ٥٩٥٠٠ مقاتل .. أما عدد أفراد الإخوان الذين اشتركوا فى تلك الحرب . فحسب مصادر الإخوان : وبعد خطبة للأستاذ / أحمد حسين رئيس حزب " مصر الفتاة " وجه فيها الملام لجماعة الإخوان ، وأكد فيها أن الإخوان لم يفعلوا شيئا لفلسطين ، كما فعل حزبه الذى أخرج أحد رجاله للقتال فى فلسطين .. اجتمع حسن البنا برجال التنظيم الخاص ، وبين لهم أن دوره فى الدعوة قد تم ، ولم يبق إلا الجهاد.. فخرجت أول دفعة من أعضاء التنظيم الإخوانى الخاص مكونة من مائة فرد ، محملة فى أتوبيسين من متطوعى الدقهلية وبعض متطوعى القاهرة (انظر حقيقة التنظيم الخاص. ص/ ٣٣٠) وكان خروج تلك الدفعة دون إذن من الحكومة المصرية فى ذلك الوقت . . ثم سافر الفوج الثانى .. ولعله الفوج الذى أنشىء بعد موافقه الحكومة، وكان

يتدرب فى الهايكستب ، وقد خرج بقيادة القائد أحمد عبد العزيز ، وكان قوامه ستمائة متطوع ، كان فيهم ما يقرب من مائتي فرد أو يزيد قليلا من الإخوان . ٢٥٠ تقريبا (انظر الإخوان المسلمون في حرب فلسطين لكامل الشريف . مكتبة المنار . الأردن ، ط / ١٩٨٤ . ص ٤٥، ٧٨).

ثم سافر الفوج الثالث .. متجهنا إلى مدينة قطنا بسوريا ، ومنها إلى فلسطين مكونا من ثلاث فصائل ، والفصيلة تتكون من ٢٤ متطوعا (محمود الصباغ . حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٣٤٦) فيكون المجموع ٧٢ فردا ...

ثم سافر الفوج الرابع.. وقد رحلت الكتيبة الأولى منه مكونة من أربع سرايا ، كل سرية من فصيلتين ، وكل فصيلة من ٢٤ متطوعا (المصدر السابق . ص/ ٣٤٨)

فيصير المجموع ١٩٢ متطوعا .. ولم يتكلم الصباغ عن غير ذلك .. فيصير المجموع الكلى ٦١٤ فردا تقريبا .

وقد بلغ عدد قتلى الإخوان فى حرب فلسطين ٤٣ فردا والجرحى ٦ أفراد .. وهؤلاء جميعا الستمائة فرد الذين خرجوا إلى فلسطين بالنسبة لعددهم البالغ مليون إخوانى فى مصر ونصف مليون فى الشرق ، وبالنسبة لقناعاتهم بعدم ولاية الدولة عليهم ، وعدم اعترافهم بإسلاميتها .. يعتبرون قلة قليلة جدا .. ولو زعم الإخوان أن الهدنة بين الجانبين العربي والإسرائيلي حالت دون إرسال أفراد آخرين من الإخوان كما وعد حسن البنا ، فالرد على ذلك أن الإخوان لم يعترفوا بالهدنة ..ولو قالوا كانت الموانع ستحول دون خروجهم ، فيدفع ذلك : تسلل المجموعة الأولى من الإخوان إلى سيناء وذهابها إلى فلسطين خفية ..بغير إذن الحكومة ، و بغير تجهيز ولا إعداد ، ولا راية إلا راية الحماس والأمانى ، وكانت بعض الجيوش العربية تحت قيادة جلوب باشا القائد الإنجليزي ، وقد قيل إن بعض هذه الجيوش دخلت الحرب بأسلحة فاسدة .. وقد كان للإشاعات التى أطلقها اليهود فى تلك الحرب دور كبير فى تشتيت جهود الجيوش العربية وتفريقها .. يقول القرضاوى : « للأسف دخلت الجيوش العربية وبعضها كان يقوده إنجليزى وبعضها يحارب بأسلحة فاسدة فكان ما كان....»

(المصورالمصرية . عدد ٤٠ ١٣ ص / ٦٩) ..

وقد أوقفت الدول العربية الحرب لأسباب متنوعة ، وأعلنت الهدنة ، وقبلتها مصر والدول العربية .. وقد أراد النقراشى باشا بقبول الهدنة تخليص بعض كتائب الجيش المصري من حصار اليهود فى سيناء ، غير أن الإخوان لم يعترفوا بها .. قال محمود عساف : « وأعلنت الهدنة الرسمية ، وقبلها العرب جميعا ، إلا الإخوان المسلمين الذين لم يعترفوا بها ، لذلك قامت حكومة النقراشى باعتقال المجاهدين داخل معسكرات فى فلسطين يشرف عليها الجيش المصرى» (مع الإمام الشهيد . ص/ ١٦٣)

وهذا الاعتقال يؤكد بالضرورة أن الإخوان كانوا قلة فى حرب فلسطين - كما تبين من حصر الصباغ - ولو كانوا بعشرات الألاف ، كما يهرف بعضهم لما تمكن الجيش المصري من القبض عليهم ، بل ولا استطاعوا بمفردهم قتال اليهود إذا شاءوا . وبسبب هذا التخبط الإخوانى فى الإعداد والخروج على ولى الأمر ، وعدم الاعتداد بقراراته لم يكن لمثل هذا الجيش أن ينتصر ، أو يحقق الهدف الذى خرج من أجله .. وقد انتهى عباس السيسي أن النقراشي باشا والبرلمان يتحملان مسئولية الهزيمة فى فلسطين ، فقال : « ولقد كثرت المقالة عمن يتحمل المسؤولية فى دخول حرب فلسطين دون استعداد سابق ، وعندنا أن المسئول الأول عن دخولها هو وزارة النقراشى والبرلمان القائم حينئذ» (فى قافلة الإخوان . ص/ ١٦٩) .. ولو علم السيسى ما أكده توفيق الواعى أن الإخوان دخلوا الحرب فى فلسطين رغم أنف الأنظمة لتراجع عن اتهام وزارة النقراشي والبرلمان ، فقد قال : « إن المجاهدين الإسلاميين دخلوا الحرب فى فلسطين رغم أنف الأنظمة وعلى خلاف رأيهم » (كبرى الحركات . ص/ ٢٣٣) .

إن المثير للعجب أن تكون مصر محتلة من الإنجليز ، بل الدول الإسلامية كانت كذلك ، كما قال محمود عبد الحليم : « العالم الإسلامى بجميع أجزائه ، هل ترون فيه بلدا واحدا حرا طليقا أم أنه جميعا مستعبد رازح تحت أثقال

الاستعمار؟»(أحداث صنعت التاريخ . ١ / ١٥٦) .

ومع ذلك لم يكلف الإخوان أنفسهم بشن تلك المعركة أولا ضد جنود الاحتلال الإنجليزى فى مصر .. خاصة إذا كانت لهم القوة المؤثرة ، كما يدعون ، وأن الشعب المصري عن بكرة أبيه كان معهم ، وأن شعبهم كانت منتشرة فى جميع أرجاء الدنيا .. فإذا فرغوا منها انطلقوا إلى فلسطين .. غير أنهم سلكوا سبيل التؤدة والتراخى مع الإنجليز فى مصر ، واعتبروا المواجهة نوعا من الطيش والسفه – بسبب قوة مدافع الرشاشات الإنجليزية فى القنال ، كما تبين من كلام الهضيبي السابق– فى مقابل التسرع والعجلة فى مواجهة مائة وخمسين ألف يهودى مجهزين للقتال فى فلسطين ، بغير إعداد ولا عتاد . .

كان من الضرورى تنزيل هذا المفهوم عند مواجهة اليهود فى فلسطين ، حتى يتسنى إعداد جيش قوى منظم ، تحت إمارة واحدة وراية واحدة ، كما هو المعتاد فى حروب المسلمين مع أعدائهم .. ولكن تهور الإخوان وحماسهم الفاشل وتهييجهم البلاد والعباد دعاهم إلى التخلى عن قواعد أهل السنة فى الإعداد والمواجهة .. ومن أجل ذلك فشلوا مع من فشل فى فلسطين ..

حسن البنا واليهود ..

أرسل حسن البنا خطابا إلى حاخام اليهود المصريين يستنجد به ، لتحرير فلسطين من اليهود .. ! قال فيه : « لا نرى بدا من أن نصارح سيادتكم وأبناء الطائفة الإسرائيلية من مواطنينا الأعزاء بأن خير حماية وأفضل وقاية أن تتقدموا سيادتكم ومعكم وجهاء الطائفة فتعلنوا على رؤوس الأشهاد مشاركتكم لمواطنيكم من أبناء الأمة المصرية ماديا وأدبيا فى كفاحهم القومى الذى اتخذوه – مسلمين ومسيحيين – لإنقاذ فلسطين .الخ ».(حسن البنا) . (فى قافلة الإخوان . ص/ ١٤٧) هذا هو خطابه الذى سيد فيه حاخام اليهود ، وجعله ومن معه مواطنين أعزاء لهم التقدير والاحترام .. وهو يعلم أن الله ضرب عليهم الذل والمسكنة إلى يوم القيامة ، قال تعالى : ﴿وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ الذِّلَّةُ وَالْمَسْكَنَةُ وَبَآؤُواْ بِغَضَبٍ مِّنَ اللَّه﴾ [البقرة :٦١) .. ثم هو يستجديهم لقتال إخوانهم فى فلسطين . وإن جاز لهم قتال بعضهم بعضا أو مشاركتهم غيرهم فى قتال عدو مشترك ، ولكن هذا بعيد إذا كان القتال على حساب أرض الميعاد ..

وفى عمق تلك الأزمة ألقى حسن البنا بيانا أمام لجنة من الأمريكان اليهود – جاءت إلى مصر لتحقيق مآرب اليهود ، ولنسف الكتاب البريطانى الأبيض ، الذى وضع حدا لهجرة اليهود إلى فلسطين فى ذلك الوقت ـ زعم فيه أن عداوة المسلمين لليهود ليست عداوة دينية ، ثم حصر خطاب القرآن الكريم فيما يخص اليهود فى نقدهم من الوجهة الاقتصادية والقانونية ، كأنهم خالصون فى التوحيد ، لم يسبوا الله ولم يكذبوا رسله . ثم اتخذ المجلس للضحك بخلاف ما ينبغى فيه من الجد والفصل .. ثم رحب بأن يحشر مع اليهود يوم القيامة فى أرض المحشر(أعاذنا الله وإياكم من ذلك) ، فقال : « والناحية التى سأتحدث عنها نقطة بسيطة من الوجهة الدينية ؛ لأن هذه النقطة قد لاتكون مفهومة فى العالم الغربى ، ولهذا فإنى أحب أن أوضحها باختصار ؛ فأقرر أن خصومتنا لليهود ليست دينية ! لأن القرآن الكريم حض

على مصافاتهم ومصادقتهم .. وحينما أراد القرآن أن يتناول مسألة اليهود تناولها من الوجهة الاقتصادية والقانونية ، فقال تعالى وهو أصدق القائلين :﴿فبظلم من الذين هادوا حرمنا عليهم طيبات أحلت لهم وبصدهم عن سبيل الله كثيرا وأخذهم الربا وقد نهوا عنه وأكلهم أموال الناس بالباطل﴾ [النساء :١٦٠-١٦١) . ثم قال : «ولي كلمة أخيرة من الوجهة الدينية فإن اليهود يقولون عن أرض فلسطين إنها أرض الميعاد .. ونحن لا مانع لدينا من أن يكونوا في يوم القيامة معنا » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٤٥٥-٤٥٦).

ولا شك أن ما انتهى إليه حسن البنا تدليس فاضح ومخالفة عظيمة للقرآن الكريم ، الذي بين أنهم أشد الناس عداوة للمؤمنين ، لكونهم سبوا الله ، وكذبوا رسله ، وطعنوا في دينه ، وقتلوا أنبياءه . قال تعالى : ﴿لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ﴾ [المائدة . ٨٢) وهذه عداوة ثابتة ، سواء كانوا محاربين أو معاهدين أو مأمنين مسالمين لهم حقوق وذمة .. فهذا شيء والعداوة شيء آخر .. وقد بين الله تعالى عداوة المسلمين لليهود قبل أن يحتلوا أرض فلسطين، وما ذلك إلا لأن العداوة متعلقة بالدين ، وأن الخصومة الرئيسة في الله تعالى قبل أن تكون في الأرض ، تلك هي الخصومة الحقيقية ، قال تعالى : ﴿هَذَانِ خَصْمَانِ اخْتَصَمُوا فِي رَبِّهِمْ﴾ [الحج . ١٩) . أما حيث رغب حسن البنا أن يحشر مع اليهود .. أعاذنا الله من ذلك .. فالمرء يحشر مع من أحب .. وقد ثبت في الصحيح عن ابن مسعود(رضي الله عنه) قال جاء رجل إلى رسول الله ﷺ فقال : يا رسول الله كيف ترى في رجل أحب قوما ولم يلحق بهم فقال رسول الله ﷺ : «المرء مع من أحب»(متفق عليه.البخاري.باب علامة حب الله عز وجل ٢٠ / ٣٥٢) . يعني يكون معهم في أرض المحشر بعد البعث ، وإن اختلفت منزلة كل واحد عن الآخر ، قال تعالى : ﴿وَمَن يُطِعِ اللّهَ وَالرَّسُولَ فَأُوْلَئِكَ مَعَ الَّذِينَ أَنْعَمَ اللّهُ عَلَيْهِم مِّنَ النَّبِيِّينَ وَالصِّدِّيقِينَ وَالشُّهَدَاء وَالصَّالِحِينَ وَحَسُنَ أُولَئِكَ رَفِيقًا﴾ [النساء :٦٩) .

صورة رائعة جليلة من صور الولاء والبراء في الله تعالى ...
خطاب الملك عبد العزيز آل سعود
إلى الرئيس الأمريكي تورمان ...

لو اطلع العادل المنصف على خطاب الملك عبد العزيز آل سعود(رحمه الله) ردا على رسالة الرئيس الأمريكي تورمان لعلم الفارق الشديد بين دعوة حسن البنا الانهزامية أمام الواقع ، كما وصفها سيد قطب وبين دعوة التوحيد التي أقامها الإمام المجدد محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) بالتعاون مع الإمام محمد بن سعود (رحمه الله) فقد طلب الرئيس الأمريكي تورمان في ١٠ فبراير سنة ١٩٤٨م من الملك عبد العزيز استخدام سلطته من خلال الجامعة العربية لرفع العناء عن اليهود في فلسطين ، وذلك حفاظا على العلاقات الاقتصادية بين البلدين ، فبين له الملك عبد العزيز الثوابت الدينية والخصومة القرآنية بين المسلمين وبين اليهود .. قائلا : « إلى حضرة صاحب الفخامة الرئيس ترومان رئيس الولايات المتحدة الأمريكية : تلقيت رسالتكم المؤرخة ١٠ فبراير الجاري ، وأحطت بها علما، و إني مع شكري لفخامتكم على ما وجهتم إليّ فيها من عبارات المودة والمجاملة ، لا يسعني إلا أن أصارحكم والصراحة من آدابنا المرعية بأنه ما كانت تتلى عليّ الرسالة

حتى عجبت أشد العجب من أن يبلغ بكم الحرص على إحقاق باطل اليهود إلى حد أن تسيئوا الظن بملك عربي مثلي ، لا تجهلون إخلاصه للعروبة والإسلام ، فتطلبوا منه أن يناصر باطل الصهيونيين على حق قومه ...

إلى أن قال : فليت شعري ماذا كان يكون وقع هذا الطلب في نفوسكم ..

يا فخامة الرئيس إنني ما بلغت المكانة المرموقة التي تذكرونها لي عند العرب إلا لما يعرفون من تمسكي الشديد بحقوق العروبة والإسلا م ، فكيف تطلبون مني ما لا يمكن أن يصدر عن أي عربي مسئول؟

وليست الحرب القائمة في فلسطين حربا أهلية كما ذكرتم ، ولكنها حرب بين العرب أصحابها الشرعيين وغزاة الصهيونيين الطارئين عليها من الآفاق على كره من أهلها، وبمساعدة الدول التي تدعي حب السلام العالمي ، وهي تتلاعب به ..

وما قرار التقسيم الذي كان لحكومتكم الوزر الأكبر في دفع الدول الى تأييده إلا قرار جائر رفضه دول العرب وشعوبهم من البداية ورفضه معظم الدول التي آثرت أن تؤيد الحق، فليس العرب مسئولين عن النتائج الوخيمة التي قد أنذروا بها الهيئة من قبل .

ثم قال : أما ما ذكرتم من المصالح الاقتصادية التي تربط بلدينا فاعلموا أنها أهون في نظرنا من أن نبيع بها شبرا من أرض فلسطين العربية لمجرمي اليهود .. ويشهد الله أنني قادر على أن اعتبر آبار البترول كأن لم تكن ، فهي نعمة ادخرها الله للعرب حتى أظهرها لهم في الزمن الأخير ، فلا والله تكون نقمة عليهم أبدا .. ولقد صرحت للعالم مرارا أني مستعد أن أسير أنا وأولادي جميعا لنقاتل في سبيل فلسطين حتى نمنع قيام دولة اليهود فيها أو نموت .

فكيف يعقل بعد هذا أن يكون المكسب المادي من البترول أعز من نفسي ونفوس أولادي .. إن القرآن الذي نؤمن به وعليه نحيا وعليه نموت قد لعن اليهود كما لعنتهم التوراة والإنجيل، وهو يوجب علينا أن نمنع اعتداءهم على هذه الأرض المقدسة بأرواحنا وأموالنا ، لا يقبل منا في ذلك صرفا ولا عدلا ، وإذا كانت العقيدة الدينية عند المسيحيين الأمريكيين وغيرهم قد بلغت من الرقة والضعف بحيث تسوغ لهم تمكين اليهود من تدنيس الأرض المقدسة فإن قلوبنا ما تزال عامرة بالإيمان الذي يحول بيننا وبين ذلك ... لقد كان في ممالأتكم السافرة لأعدائنا الصهيونيين وموقف حكومتكم العدائي نحو العرب ما يكفي ليحملنا على قطع الصلات الودية بين بلدينا وفسخ عقود الشركات الأمريكية وإلغاء الامتيازات التي خولناها ، ولولا أننا آثرنا ألا نعلم باتخاذ مثل هذا الإجراء لعل حكومة الولايات المتحدة تراجع نفسها وتصحح موقفها من قضية فلسطين ، فتعدل عن تأييد الباطل الواضح إلى تأييد الحق الواضح

دون ضعف منا أو تهديد بقطع مصالحها الاقتصادية في بلادنا، لأننا معشر العرب نؤثر أن ينتصر الحق بالحق لا كما يفعل أعداؤنا الصهيونيون الذين يحملون الحكومات والهيئات العالمية على تأييد باطلهم بالرشوة وبالضعف الاقتصادي وبالحرمان من أصواتهم في الانتخابات وهلم جرا..

بيد أننا متى أيقنا أن كرامة الحق ستهدر فلن نتردد في صيانتها بالوسيلة التي لا نؤثر غيرها عليها، ولا سيما إذا قررت ذلك جامعة الدول العربية التي نتقيد بقراراتها في كل ما يحفظ كيان العرب ويصون حقوقهم .. يسرني أن أطمئنكم بأن الضيوف الأمريكيين النازلين في بلادنا لن يمسهم أي سوء ما داموا في أرضنا ، وقصارى ما يصيبهم إذا جدَّ الجد أن نقصر أمد غربتهم إلى بلادهم فنرحلهم إليها سالمين موفوري الكرامة مصوني الحقوق . وفي الختام نذكّركم يا صاحب الفخامة بأن البضاعة التي قامت عليها صلاتنا من البضائع التي يكثر طلابها ويقل عارضوها في أسواق العالم . وتفضلوا فخامتكم بقبول تحياتي وتمنياتي الطيبة .

عبدالعزيز آل سعود (ملك المملكة العربية السعودية)

القصر الملكي الرياض ١٠ربيع الآخر سنة ١٣٦٧هـ

جريدة الجزيرة السعودية . الجمعة ١٢ ربيع الثاني ١٤٢١هـ.عدد . ١٠١٥١

حماس وفلسطين ..

تعيش حركة حماس الإخوانية معضلة كبرى فى فلسطين لا تدري ماذا تفعل ولا كيف تفعل وماذا تريد ..تقاوم المحتل أم لا تقاوم ..؟ تختار المقاومة والسياسة فى آن واحد.. أم تختار أحدهما وتترك الآخر .؟ عندما دخلوا عالم السياسة قالوا: " المقاومة مع السلطة خيار استراتيجي ".. وبذلك صرح خالد مشعل فى نقابة الصحفيين بالقاهرة فى ٨ / ٢ / ٢٠٠٦ ، قائلا : « حماس لم تبرح مربع المقاومة فالمقاومة خياره الاستراتيجي .. حماس لم تتحول ولم تتبدل ، بل إضافة جديد إلى برنامجها . وسبق أن عجزت إسرائيل عن كسر إرادة حماس في ميدان المقاومة ، وكذلك ستعجز عن كسر إرادة حماس في ميدان السياسة والسلطة ، حماس ستجمع بين السياسة والسلطة والمقاومة » أهـ

فهل تستطيع حركة حماس حقا أن تجمع بين المقاومة و السياسة ..؟

وأى مقاومة تريد .. ؟ وفى أى سياسة نجحت ..؟

فقد تركت حركة حماس ميدان المقاومة الذى كان منحصرا فى إطلاق بعض الصورايخ ، التى لا تسمن ولا تغنى من جوع على بعض المستوطنات اليهودية .. وإطلاق النار فى الهواء عند تشييع الجنازات .. ودفع بعض الأطفال إلى القيام بعمليات انتحارية معروف نتائجها فى ظل الاحتياطات الإسرائيلية ، ومعروف ما تجنيه من الدمار عليهم فى الضفة والقطاع .. وتبنت نهجا سياسيا عن طريق الانتخابات البرلمانية ، بغية الوصول إلى سدة الحكم وامتلاك أطراف المعادلة السياسية .. وعندما وصلت حركة حماس إلى بغيتها من السياسة رفضت فى أول الأمر مبدأ التعامل مع إسرائيل . كما رفضت جميع الاتفاقات الدولية التى وقعتها منظمة التحرير من قبل مع اليهود .. ورفضت مبادرة السلام العربية ..فلا مفاوضات ولا علاقات دولية .

كأنهم سيخترعون شيئا جديدا ليس فى الحسبان فى التعامل مع إسرائيل ...

وانتهى الأمر بحماس إلى الاستئثار بالسلطة والاحتكاك بالنتائج المؤلمة التى كان أولها دخول الشعب الفلسطيني الذى يعيش غالب أفراده على المعونات الدولية والعربية فى حصار مرير ، ورفضت غالب دول العالم التعامل مع حماس .. وبدلا من أن تكون المعركة مع إسرائيل انتقلت إلى معركة داخلية بين فتح وحماس .. ومع العهود الموثقة والقسم على المصحف والصلاة فى الكعبة والاتفاق على حرمة الدماء الفلسطينية وقعت حماس فى الخطأ المرتقب ، وتعجلت بحسابات قاصرة ، وقامت لتقتص لنفسها من طائفة من الطوائف العاملة فى المجال الأمنى التابعة لرئيس السلطة الفلسطينية .. وذلك فى معركة شرسة ، قتلوا فيها ما يقرب من مائة وثلاثين نفسا ، فى أيام معدودة ، بغير قانون ولا محاكمة ، اتهموهم بالعمالة والخيانة والتعاون مع المشروع الصهيو أمريكى ، والعمل على إيذاء الحركة وكوادرها .. ولأول مرة فى تاريخ الصراع تنفصل غزة عن الضفة فى الحكم والإدارة .. وهذا هو نفس ما كان يحذر منه العلامة مقبل بن هادى الوادعى : « أما حركة (حماس) فلن تكون نصرا للإسلام ، فيها الشيعي والإخواني الحزبي ، أما جماعة حماس فهي جماعة حزبية ، لا تأمر بمعروف ولا تنهى عن منكر، وتنكر على أهل السنة .. ولو حصل لهم نصر لفعلوا كما فعل في أفغانستان يوجه بعضهم إلى بعض المدفع والرشاش ، لأنهم ليسوا على قلب واحد» . انظر تحفة المجيب..

وقد اعترف خالد مشعل فى رسالته للمرشد العام محمد عاكف أن ما ارتكبته حماس من مجازر فى فلسطين أمر مؤلم حقا ، فقال : « إن ما قامت به حماس في قطاع غزة كان مؤلما لحماس ، كما كان مؤلما للشعب الفلسطيني كله إلا أنه كان نتيجة حتمية لما قامت به بعض الأطراف من ممارسات جارت على القانون والشرعية في غزة بعد فوز حماس بالانتخابات » (إخوان أون لاين . ١ / ٧ / ٢٠٠٧)

وعلى خلاف ما كان من خالد مشعل من إظهار التوجع على ما حدث فقطاع عريض من حماس أظهر الابتهاج والسرور، وقال " إن فتح غزة كفتح مكة " وأن هؤلاء عملاء وخونة . وهذا هو الذى حدث من قبل فى مقتل النقرشى باشا.. طائفة

تجعل النقراشي كلبا من الكلاب .. وطائفة أخرى تجعله وطنيا مخلصا .. والسؤال الذى يطرح نفسه بالضرورة .. إذا كانت تلك المجازر التى وقعت فى فلسطين جرحا مؤلما حقا ومخالفا للشرع والدين ، فلماذا أصدر خالد مشعل الأمر بوقوعها .. ولماذا لم يتبرأ منها على الملأ .. دون أن يخص ذلك برسالة للمرشد العام ..؟ لقد نسى رئيس المكتب السياسي لحركة حماس – القابع بين سوريا وإيران – أن يقدر وزن الخسائر التى ستتعرض لها حركته بعيد هذا الانقلاب ..فقد أخرج هذا الفعل حركة حماس من دائرة العمل السياسي ، وأدخلهم سجنا كبيرا ، لا يستطيعون الخروج منه ، وجعل فلسطين قطعتين ، وشوهت صورة الحركة الإخوانية ..وظهرت فى صف مصاصى الدماء ، الذين يتعاملون بلغة الاستئصال ، ويلعبون بالديمقراطية من أجل الوصول إلى الحكم .! يقولون قبل السلطة " نتعاون فيما اتفقنا عليه ويعذر بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه ".. ويقولون بعد السلطة" ويفرم بعضنا بعضا فيما اختلفنا فيه! "ولو أنهم صبروا واحتسبوا عند الله ما يلقاه بعضهم من الأذى لكان خيرا لهم من هذا التسرع وتلك الهمجية .. ولو أنهم قدموا هؤلاء المخالفين للمحاكمة لكان أعظم وأجدر من قتلهم فى البيوت والشوارع ، بغير استتابة ولا ضوابط ولا حقوق .. لقد أوصلتهم تلك المعركة إلى طريق مسدود من الصعب أن تلتئم فيه الجراح ..

وعندما وصلوا إلى هذا الحد ...

فلننظر ماذا فعل أصحاب " المقاومة هى الحل " الذين دأبوا على اتهام كل من يتعامل مع العدو الإسرائيلى سياسيا بالخيانة والعمالة ؟

الجواب : بدأوا يطرحون التنازلات تلو التنازلات .. فقد وافقوا على ما أبرمته منظمة التحرير من اتفاقات دولية سابقة ومن جملتها اتفاقية " أوسلو " التى كانوا يتهمون موقعيها من قبل بالخيانة ، بحجة أنها لم تفد القضية بشىء .. ووافقوا على قرارات مجلس الأمن ٢٤٢ و ٣٣٨ ، كما وافقوا على مبادرة السلام العربية .. وقبلوا أن يتركوا المقاومة ، وقد كانت خيارا استراتيجيا ، وعرضوا هدنة طويلة مع اليهود ، لأجل أن ينعم العالم الإسلامى فى زمن حماس والإخوان فقط بنوع من الاستقرار والهدوء .. كما قبلوا أن يتركوا المنظومة السياسية لمنظمة التحرير لتقوم بها

كاملة ، اكتفاء بالأمور المدنية المتعلقة بالاقتصاد والتجارة والصحة والجمارك والضرائب .. الخ وفهموا مؤخرا أن إسرائيل لن تقبل التعاون معهم فى الأجندة السياسية .. وقد أكد الأستاذ إسماعيل هنية " رئيس الوزراء الفلسطيني المقال " في حديث لصحيفة " لوفيغارو الفرنسية " : «عن تأييده إقامة دولة فلسطينية في غزة والضفة الغربية عاصمتها القدس ، موضحا أن منظمة التحرير الفلسطينية ستظل مكلفة بالمفاوضات بهذا الشأن .. وقال : إننا نتعهد باحترام كافة الاتفاقيات الماضية الموقعة من قبل السلطة الفلسطينية " ، معربا عن الأمل في التوصل " إلى هدنة متبادلة وشاملة ومتزامنة مع إسرائيل» (العربية نت . ١٥ يونيو٢٠٠٧م) وقال محمود الزهار : « إن حماس قادرة على وقف الهجمات الصاروخية المتكررة من قطاع غزة »(نافذة مصر نت . ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٧م).

وكان آخر تلك العروض عرض خالد مشعل على إسرائيل هدنة لمدة خمسين سنة بالتمام والكمال .. وعاد منطق الهضيبي السابق إلى الوجود مرة أخرى ، الذى رد عليه الأستاذ خالد محمد خالد بقوله : " أبشر بطول سلامة يا خواجة جورج " .

هذا هو حال الإخوان إذا كان الأمر يتعلق ببقائهم فى الحكم .!

ينتفخون خارج السلطة ، ويقولون: " لا "... الصلح كفر وخيانة عظمى ... وفى عهد السلطة . يقولون : " نعم .. " هذا هو الإسلام وتلك هى سنة الرسول ﷺ ..

فقل لى بالله ما الذى أغرق هؤلاء فى تلك المتناقضات ..؟

لم يدركوا حسابات المصالح والمفاسد ، وضيعوا جهدهم ، وشغلوا العالم الإسلامي بفرقعات سياسية ، وعمليات قتالية خيالية ، لا فائدة فيها ولا جدوى منها .. وها هم الآن تركوا مفهوم الأرض مقابل السلام ، الذى عرضته الدول العربية وتبنته المملكة العربية السعودية فى مبادرة السلام العربية . وتركوا المقاومة ، وقالوا الهدنة مقابل الاستقرار والطعام والماء والشراب والكهرباء .. وبعد أن كانت مطالب فلسطين مطالب دولة صارت مطالب طائفة تريد لنفسها البقاء من أجل الطعام

والشراب .

وكان آخر ما وصلت إليه حركة حماس فى آخر ٢٠٠٨م أن رفضت تمديد الهدنة مع اليهود ، وخرجت عن نطاق المعادلة السياسية ، فشنت إسرائيل حربا على القطاع حصد ما يقرب من سبعة آلاف قتيل وجريح (نسأل الله أن يجعلهم فى عداد الشهداء) وقد حدثنا إخوة فضلاء أن جنود حركة حماس كانوا يضربون الصواريخ تجاه المستوطنين الإسرائيليين فى الأرض المحتلة من جوار البيوت فى غزة ، ثم يفرون ويختبئون فى الخنادق .. وكانت الأقمار الصناعية ترصد المواضع التى تنطلق منها الصواريخ وتقوم بضربها مما أدى إلى تدمير ما يقرب من خمسة وعشرين آلف بيت فى القطاع .. وبعدما أن كانت حماس تطلب المقاومة صارت تستجدى وقف العدوان .. وبعدما أن وقف العدوان ادعت أنها انتصرت فى الحرب واحتفلت بذلك .. غير أن المنتصر الحقيقى هو الشعب الفلسطينى الذى تعرض لتلك الحرب رغما عنه ، وهو صابر محتسب .

أما حماس فقد خضعت رغما عنها لاتفاقية هدنة مع العدو الإسرائيلي لمدة عام ونصف . كما خضع حزب نصر اللبنانى من قبل ، وجاءت قوات اليونوفيل الدولية، لتريح إسرائيل عمقا بقدر أربعين كيلوا متر داخل الحدود اللبنانية ..

عصام العريان وإسرائيل ...
بين الاعتراف والمناورة

يعد د/ عصام العريان من جملة المتحدثين الرسميين الذين أجاز لهم المرشد التحدث باسم الجماعة فى الصحف والمنتديات .. وقد صرح المذكور فى لقائه مع جريدة الحياة اللندنية فى ١٣ / ١٠ / ٢٠٠٧م أن الإخوان في حال وصولهم إلى الحكم : « سيعترفون بإسرائيل ويحترمون المعاهدات ، لكن اتفاقية كامب ديفيد ستطرأ عليها تغيرات وفقا لما يناسبنا ، ولا يعني هذا أننا نعلن الحرب ، ولكن سنقوم بمراجعة الاتفاقات والمعاهدات بما يتواءم مع المصلحة المصرية»أهـ

وهذا هو نفس ما قاله محمد عاكف لوكالة اسيشتدوبرس عقب انتخابات ٢٠٠٥م إلا أنه أنكر الاعتراف بإسرائيل : « الإخوان لن يسعوا ! لتغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل. وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها»أ.هـ.

فهل حدث تغير فى موقف الإخوان بالنسبة لإسرائيل .. أم ماذا فى الأمر .. ؟ هل الطريق لحكم مصر يبدأ بإرضاء إسرائيل . ؟

والجواب : من المعلوم أن الإخوان إذا أصدروا تصريحا فى الصباح فإنهم يؤولونه فى المساء ، ويعتذرون عنه فى منتصف الليل ، ويكذبونه فى الفجر . يلحظ ذلك المهتمون بالشأن الإخوانى ، قال الأستاذ ثروت الخرباوى :

« الإخوان منذ سنوات يصدرون التصريح ثم يصدرون معه مانفستو التكذيب أو التبرير » أهـ

وعلى أثر تصريح العريان بالاعتراف بإسرائيل تعالت صيحات الاستنكار على هذا الانحدار الإخوانى . ماذا فى جعبة الإخوان . هل سيعتذرون أم سينكرون ،

أم سيكون لهم منظور أخر ..؟ خرج عصام العريان وكذب الخبر الذى أراد أن تطلع عليه الدول الغربية فقط ، فإذا هو ينكشف فى الدول العربية .. فقال فى إسلام أون لاين : « ترى الجماعة أن وجود إسرائيل باطل ، وأن ما بُني على باطل فهو باطل ، ولا يمكن الاعتراف بها » أهـ

هذا هو موقف الجماعة .. فما موقف الحزب الإخوانى ... ؟

ق العريان فى تصريح له مع إسلام أون لاين بين تعامل الحزب الإخوانى مع إسرائيل وبين تعامل الجماعة معها . فبين أن الحزب الإخوانى إذا وصل إلى الحكم فإنه سيتعامل مع إسرائيل بواقعية ، أما الجماعة فلها موقف آخر ..

ولن نجتهد كثيرا فى تفسير مفهوم الواقعية مع إسرائيل فى كلام العريان . فقد بين الأستاذ عاكف بأنهم : « لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها». وله تصريح ضد ذلك إذا لزم الأمر ، قال فيه : « الإخوان مع المقاومة في كل مكان ، ومع عودة كل الحقوق السليبة لكل الأمة العربية والإسلامية» أهـ وأكد العريان ما قاله المرشد، وذلك فى تصريح لإسلام أون لاين ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٧م قال فيه : « حزب الإخوان سيتعامل مع إسرائيل عبر واقعية سياسية ، تتسق مع الواقع القائم ، الذي يرى أن إسرائيل دولة قائمة ، ولها وجود على أرض الواقع وبالتالي سيتعامل مع الواقع السياسي الذي تفرضه هذه الظروف ..الخ

وأكد قصده من الواقعية بأنها تتمثل فى فتح باب التعامل مع إسرائيل دون الاعتراف بها كدولة ، بقوله : « الحزب السياسي دائما يكون وضعه مختلفا ، ويتعامل مع المعطيات القائمة بواقعية ، بل إنه عادة ما يختلف موقف الحزب نفسه وهو في المعارضة أو خارج السلطة عن موقفه وهو في السلطة، باعتبار أن السياسة هي فن التعامل مع الواقع ؛ لذلك فلا يوجد هناك تباين ، كما أننا نجد اليوم حكومات عربية لا تعترف بإسرائيل ، ومع ذلك تسمح لها بفتح مكاتب تجارية على أراضيها ، وترتبط معها بعلاقات ومصالح تجارية » أهـ ... ويضاف إلى تلك الواقعية احترام الحزب الإخوانى لكافة الاتفاقات الموقعة بين مصر وإسرائيل عام ١٩٧٩م ، فقال : « لن تتغير

الصيغة الحالية في الصورة النهائية لبرنامج حزب الإخوان فيما يتعلق بمعاهدات كامب ديفيد ، حيث يحترم الحزب في حال وصوله إلى الحكم في أي وقت الاتفاقيات الدولية بما فيها كامب ديفيد ، مثل كافة الاتفاقيات الدولية الأخرى التي وقعتها مصر مع الأطراف الدولية ؛ لأنه ليس من المعقول أن يتراجع كل حزب يصل إلى السلطة عن الاتفاقيات التي وقعتها الحكومات السابقة » (إسلام أون لاين . ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٧م)

هذا هو ماقاله العريان ..

ولا شك أن سقوطا ذريعا فى المفهوم الفكرى لتلك الجماعة وقصورا فى فهم الواقع سيتضح لكلِ بصير إن دل فإنما يدل على أن الإخوان مغيبون عن الواقع ، الذى طالما زعموا تميزهم فيه عن بقية الطوائف الإسلامية .. فالأستاذ العريان يقول إن الحزب الإخوانى سيتعامل بواقعية مع إسرائيل .. وأن السياسة تقتضي ذلك .. وهذا معناه أن المفهوم الفكرى لجماعة الإخوان لم يحسب حسابا لتلك الواقعية عندما عرض على شباب الجماعة والمجتمع باختلاف طوائفه ، وذلك منذ نشأة الجماعة إلى الآن ، وهذا بالضرورة خطأ فى التصور الإخوانى ..

كذلك فإن الإخوان لم يحسبوا حسابا لتلك الواقعية عند تخوينهم واعتراضهم على الدول العربية والإسلامية التى أبرمت اتفاقية سلام مع إسرائيل .. مع كونهم يعلمون أن تلك الدول لها من المبررات المعتبرة التى تدفعها إلى التنازل عن بعض الحقوق المشروعة ولو لفترة من الزمن ..من باب السياسة ..

هذا هو ما تمخضت عنه جعبة الحزب الإخوانى ، الذي يتهم الحكومات العربية والإسلامية بالخيانة فى التعامل مع إسرائيل .. وهو مع ذلك سيسلك نفس النهج الذى تتعامل به مع إسرائيل ، عند الوصول إلى الحكم .. وعلى حد قوله بواقعية .. على غرار واقعية قطر التى فتحت مكاتب تجارية لإسرائيل على أراضيها بالرغم من عدم اعترافها بها .. فهذا مثل يحتذى به عند عصام العريان .. وعلى إسرائيل ألا تخف من صعود الإخوان إلى الحكم .. فصدور الإخوان واسعة قبل اليهود إلى أقصى درجة ،

والقلوب متفتحة والمودة موجودة ..ودع القطيعة التى أنفق من أجلها الإخوان ملايين الدولارات ، واهجر الفتاوى التى جرم بها القرضاوي من يشتري البضائع الأمريكية والإسرائيلية ، فالمعاهدات التى وقعها الرئيس السادات مع اليهود واتهم بسببها من قبل الإخوان بالخيانة العظمى ستحترم وسيحافظ عليها .. وسيتم فتح أبواب التعامل التجارى .. وليس من شأن كل حزب إذا وصل إلى الحكم أن ينقض الاتفاقيات التى وقعتها الحكومات السابقة .. فهذا نوع من الجنون ..

كان من الواجب على العريان أن ينصح حكومة حماس بذلك .. خاصة عند إنكارها الاتفاقيات الموقعة من قبل - أوسلو - بين منظمة فتح وبين اليهود .! وقالوا نحن غير ملتزمين بذلك ، وقعدوا على ذلك القواعد. ومن المعلوم أنهم دخلوا الانتخابات على أساسها . . !

الاعتراف بإسرائيل ..

أما الفقرة الأخيرة التى أكد فيها العريان عدم اعتراف الجماعة بإسرائيل .. فأعتقد أن موقف الإخوان فى ذلك ليس موقفا استراتيجيا عقائديا ، كما هو متوقع ، وكما هو مشاع بين أوساط السذج ، وإنما هو موقف تكتيكي متقارب تماما مع موقف الأستاذ عبد الحميد الغزالى ، الذى قال فيه : « مسألة الاعتراف سابقة لأوانها بالمرة » .. فقد قال العريان ردا على سؤال : حول ما إذا كانت الجماعة مستعدة للاعتراف بإسرائيل في حال إذا تم إبرام تسوية نهائية إسرائيلية فلسطينية .. « في حال إقامة دولة فلسطينية وإعادتها للقدس وعودة اللاجئين وتفكيك المستوطنات وهذه مطالب القوى الفلسطينية بما فيها حركتا حماس والجهاد، فسيكون لكل حادث حديث ؛ لأن ذلك غير ممكن أن يحدث على أرض الواقع في الوقت الراهن ، وإلى أن يتم ذلك لن يكون هناك اعتراف من الجماعة بوجود إسرائيل » (إسلام أون لاين ١٦ / ١٠ / ٢٠٠٧م)..

وهذا التصريح بالضرورة يؤكد مصداقية الجريدة التى نقلت عن عصام العريان خبر اعترافه بإسرائيل حال وصول الإخوان إلى الحكم - معاذ الله - كما

أكد التصريح أن العريان يتلاعب بعقول الناس ويستخف بهم ، وذلك لأنه يؤمن فى الحقيقة بفكرة الاعتراف. والمؤمن بذلك لا يجد غضاضة فى مخاطبة الغرب بما يحب أن يسمعه ، لينال عنده القبول ، دون أن يربط ذلك بعوائد معينةأو مرحلة معينة ..

٣- الإخوان وأفغانستان

يردد الإخوان دائما على ألسنتهم للعامة فى كل لقاء هذا القول (من لم يهتم بأمر المسلمين فليس منهم) (حديث ضعيف جدا ، السلسلة الضعيفة للألبانى ١ / ٣١٠ ، ٣١٢) ولو تبصرت حقيقة الأمر لعدلت هذه الجملة إلى « من لم يهتم بأمر الإخوان المسلمين فليس منهم » ، يعرف ذلك من له أدنى اهتمام بحقيقة الصراعات المعاصرة ، ومواضع الإخوان منها .. فإذا وقعت أحداث مؤلمة فى الأمة تظاهروا ورفعوا يافطات الجهاد وأنشدوا شعارات البراءة من الحكومات العربية والإسلامية ، التى لا تمكنهم مما يريدون .. وإذا حان وقت الجهاد ، وكان لهم فى الأمور مآرب كانوا أكثر الناس خذلانا للإسلام والمسلمين- فتضارب الإخوان بين النظرية والتطبيق واضح لكل ذى عين بصيرة . !

فالإخوان الذين كانوا يلوحون بجهاد الشيوعية فى أفغانستان صاروا يتحالفون مع الشيوعيين ضد الحكومات الإسلامية ، وإرضاء لهم قالوا بجواز إنشاء أحزاب شيوعية، والتفافا حول فكر المواطنة قالوا لامانع من وصولهم إلى الحكم .. وهذا عبد المنعم أبو الفتوح ينفى أن يكون للإخوان دخل فى انحسار التيار الشيوعى فى فترة السبعينات : « تيار اليسار شهد انحسارا ملفتا بشكل عام ليس فى مصر فقط وإنما فى كل الدنيا، ظاهرة أطالب الإخوة اليساريين بدراستها ، لأننا لم نكن أداة ولا طرفا فيها » (العربي١٥ إبريل ٢٠٠٧م).

أما عن حقيقة جهاد الإخوان فى أفغانستان يوم أن غزاها الروس فلم يكن لهم فيها دور غير بعض الدعايات والمشاركات ببعض الملابس والأدوية ، أما المشاركة الفعلية فقد بين الأستاذ المرشد / محمد حامد أبو النصر فى حديثه للصحف حقيقة ذلك . كما نقله الشيخ محمد بن سيف العجمي مسجلا فى كتابه (وقفات مع كتاب للدعاة فقط. ص/ ١٠٢-١٠٩) بقوله :

« نشترك بالأدوية ، نشترك بالفلوس حسب ما يرغبوا منا وإذا أرادوا أن

يستوضحونا أمر نشترك بالرأى ، ولكن لا نقحم أنفسنا على المجاهدين . لكن ما أستطيع أن أحارب هنا حكومتى تمنعنى لو أمكن أن أحضر أقاتل معهم فى سبيل استقلالهم »أهـ

والحقيقة أن الحكومة فى زمن الرئيس السادات (رحمه الله) فتحت الأبواب للقتال فى أفغانستان ، واستقبلت من أسموا أنفسهم بالمجاهدين الأفغانيين ، وجمعت لهم التبرعات فى جميع أنحاء مصر..كما فتحت المملكة السعودية أبوابها فى زمن الملك فهدبن عبد العزيز (رحمه الله) لاستقبال اللاجئين وأقامت المعسكرات لإيوائهم ، وأرسلت أموالا وفيرة لهم ، وضحى كثير من شبابها من أجل الجهاد فى سبيل الله ، ويسرت السبل لكل ذلك ، على مرأى ومسمع من العالم كله .. حتى صار كثير من هؤلاء الشباب وبالا على الأمة الإسلامية وعلى مصر والمملكة خاصة فيما بعد . .

وقد نشأت الدعوة فى أفغانستان فى ولاية " كنر" برعاية الشيخ جميل الرحمن رئيس جماعة التوحيد والسنة ، التى تأسست عام ١٩٦٥م . وقد كان الشيخ (رحمه الله) مصرا على تنقية الدعوة وتصفيتها من شوائب الشرك والبدعة والتفويض والتعصب المذهبى والصوفية الخرافية وعبادة القبور الشائعة فى أفغانستان .. غير أن هذا لم يرق لجماعات الدعوة الحركية ، التى كانت ترى التقريب مع جميع الطوائف المنحرفة ، طالما أنهم يتفقون معهم فى الوجهة السياسية ، فقتلوه ومن معه .. قال الشيخ مقبل الوادعي: « وشاهد على ذلك ما حصل لأهل كنر فى أفغانستان الشيخ جميل الرحمن ومن كان معه (رحمه الله) ، وأبادوا الدعوة وأفنوها فى كنر وذبحوا رجالها » (تحفة المجيب ص/ ٢٠٣) ..

ودارت الأيام على تلك الفرق المنحرفة فى تحالفات ميتة .. مع مجددى تارة حيث ضلالات غلاة الصوفية ووحدة الوجود ، ثم ربانى ويونس خالص .. حيث فساد الفكر الاعتقادى والمنهجى والحركى .. إلى حكم طالبان وتسلط ابن لادن ، الذى شابه التهور والإفلاس ، وانتهى به المقام إلى أن جر دولا عاتية فى الكفر

والضلال ، لتحارب دولة فقيرة لا حول لها ولا قوة ..

ويعود دور الإخوان ليبرز على الساحة الأفغانية مرة أخرى بالاتفاق مع التحالف الشمالي الشيعي المدعم من إيران ضد أهل السنة فى أفغانستان .. والذى يعرفه كل بصير فى ذلك الوقت أن أمريكا استمرت فى قصف أفغانستان زمنا طويلا ، بشتى أنواع القنابل الفتاكة ، ولم ينزل جندى مشاة أمريكى واحد على الأرض ، ليجنى ثمار تلك الحرب ، حتى طالب دونالد رامسفيلد " وزيرالدفاع الأمريكى " فى ٢١ /١٠ / ٢٠٠١م قوات التحالف الشمالى المعارض (الذي تم تدريبه فى إيران على أيدى قادة أمريكان) تحت مسمى حزب الوحدة الشيعي بزعامة كريم خليلي .. والذى شارك فيه الإخوان المسلمون تحت مسمى الاتحاد الإسلامي بزعامة عبدرب الرسول سياف - طالبهم "رامسفيلد " باجتياح مناطق طالبان التى قصفتها الطائرات الأمريكية (إسلام أون لاين . نت . مطيع الله تائب فى ١٤-١٠-٢٠٠١)

وقد أراد الإخوان من تلك الحرب أن ينالوا نصيبا من الكعكة السياسية ، غير أن الله تعالى خيب ظنهم ، وطار منهم كل شيء ، على أعتاب مؤتمر " بون " فى ألمانيا الاتحادية . وعاد الإخوان كالعادة بلا ناقة ولا جمل ..

فتوى القرضاوى المهينة ..

ويزداد الكرب على أفغانستان بعد كرب الإخوان وكرب ابن لادن بكرب يوسف القرضاوى الذى أفتى الجنود المسلمين فى الجيش الأمريكى المقاتل فى أفغانستان بالاشتراك فى القتال ، حفاظا على ولائهم للمجتمع الأمريكي.

قال القرضاوى فى حديثه لمجلة (الأهرام العربى عدد ٢٣٩ ٢٠ أكتوبر ٢٠٠١): « الذي يتجه إليه النظر الفقهي هو أن هذا المسلم إذا أمكنه أن يتخلف عن هذه الحرب بطلب إجازة أو إعفاء من هذه الحرب لأن ضميره لا يوافق عليها فالواجب عليه أن يفعل ذلك ، حتى لا يتورط فى مواجهة المسلم بغير حق ، وكذلك إذا استطاع أن يطلب العمل فى الصفوف الخلفية لخدمة الجيش لا فى مباشرة القتال فهذا أخف ، إذا ما لم يترتب على موقفه هذا ضرر بالغ له أو لجماعته الإسلامية، التى

هو جزء منها كأن يصنف هو وإخوانه فى مربع الذين يعيشون فى الوطن وولاؤهم لغيره ... وقد يكون هذا التصنيف خطرا على الأقلية الإسلامية ومصيرها ووجودها الدينى والدعوى ، وقد يؤدى هذا الموقف بالجهود الدعوية والتربوية الهائلة التى بذلت لعشرات السنين من أجل تقوية الوجود الإسلامى وتثبيته واعتبار المسلمين جزءا لا يتجزأ من مجتمعهم ، يجب أن يندمجوا فيه حضاريا ، ولا يذوبوا فيه دينيا ، فلا يجوز أن يتصرفوا تصرفا يجعلهم مشبوهين أو مشكوكا فيهم ، بحيث يعتبرهم المجتمع العام طابورا خامسا ..

وحول سؤال : هل يمكن لهم أن يتخلفوا عن الحرب ؟

الجواب : « لا ينبغى للأفراد أن يريحوا ضمائرهم بالتخلف عن الحرب إذا كان هذا سيضر بالمجموعة الإسلامية كلها ، فإن القاعدة الشرعية أن الضرر الأدنى يتحمل لدفع الضرر الأعلى وأن الضرر الخاص يتحمل لدفع الضرر العام ، وحق الجماعة مقدم على حق الأفراد ...» أهـ

هذا هو فقه القرضاوى .. وهو كما ترى خور بالغ فى مفهوم الولاء والبراء ، وخيانة للأمة المسلمة الفقيرة .. لا تقلق ضميرك أيها الجندى الأمريكى المسلم بترك الحرب فمعك صك دائم بالتعاون مع دولتك للقضاء على المسلمين .. وإذا اجتمع ضرران ارتكب أخفهما .. والضرر الأخف هو قتل المسلمين فى مقابل إبقاء الجندى الأمريكى فى عمله .. حتى لا يفقد وظيفته ولا يتعرض ولاؤه للتشكيك .. أما دماء المسلمين فلا قيمة لها ولا كرامة إلا ببيعة المرشد العام للإخوان ..

فكن فى الصف الأول لصب حمم النار على إخوانك المسلمين فى أفغانستان حفاظا على الجماعة الإسلامية الإخوانية فى أمريكا ..

هذا هو الفقه الإخوانى ، الذى يحرم المياه الغازية على المسلمين ، ويبيح المشاركة فى إسالة دمائهم ، لحساب عدم التشكيك فى ولاء الجنود المسلمين للكفار ، وهو كما ترى فقه ساذج ، ليس فيه ذرة ولاء للإسلام ولا للمسلمين .. لا أظن أحدا من هؤلاء الجنود الذين استفتوه فى تلك الفتوى قد استراحت ضمائرهم من صب

حمم النار على هذا الشعب الفقير المسلم ، وقتل مئات الألوف من النساء والأطفال والشباب والشيوخ ... إن مما ذكر فى تلك الحرب أن القادة الأمريكان كانوا يحقنون الطيارين الأمريكيين فى الحرب على أفغانستان بعقارات مخدرة تنزع منهم كل رحمة ، وتجعلهم أكثر شراسة فى القتل والتدمير .. فكيف إذا كان ذلك تحت غطاء فتوى فقيه الإخوان المعاصر ؟ حفظ الله الملاكم الأمريكى المسلم " محمد على " وشفاه من كل داء .. الذى رفض المشاركة فى قتل الفتناميين الأبرياء .. وقدم السجن على المشاركة فى ذلك ، وضرب أروع الأمثلة فى التمسك بالمبادىء والقيم ولو أدى ذلك إلى سجنه واعتقاله ..وقد كان رجلا من عامة المسلمين ، ولكن فطرته الإسلامية أبت أن توقعه فى الإجرام والظلم والبغي .. أما يوسف القرضاوي فقد اتخد الإسلام وأصوله غطاء لقتل المسلمين فى أفغانستان بيد الأمريكان البغاة ..! هذا هو موقع الإخوان المسلمين فى كل موضع فيه جهاد فى سبيل الله أعداء لأهل السنة ، ورفقاء للاحتلال ، ومداهنون للساسة والحكام .. ولا أدرى كيف برجل كمحمد عاكف مرشد الإخوان يقول على وطنه وأهله وعشيرته " طظ فى مصر وإللى فى مصر وأبو مصر " ويكون فى نصرتها وفى الدفاع عنها ...

فتنة تنظيم الجهاد فى مصر...

تعد فتنة تنظيم الجهاد من أكبر الفتن التى تعرضت لها مصر فى هذا العصر .. وقد اعترف أعضاء تنظيم الجهاد أنهم تسببوا فى إفساد الدين والدنيا وأرهقوا البلاد والعباد ، وقد أقروا بذلك فى بيان التراجع عن أعمال العنف الذى وزعه قادة الجماعة على وسائل الإعلام فى أوائل ٢٠٠٧م ، وجاء فيه : « إنه مما لاشك فيه أن حالة الصراع التي مرت بها مصر في التسعينيات قد أضرت كثيرا بالبلاد على المستوي السياسي والاقتصادي والاجتماعي والثقافي وحقوق الإنسان » (المصري اليوم .؟؟ مايو ؟؟؟ وقد قامت وجهة تنظيم الجهاد فى مصر على أصول فكر الخوارج الداعية إلى تكفير الحاكم ، واستحلال دمه ودم كل من يلتف حوله ويعاونه من كل الأجهزة ، خاصة الوزراء والشرطة والأمن العام والجيش .. تلك التى كانوا يطلقون عليها اسم " الطائفة الممتنعة ". وقد كان هذا العمل محض اختصاص التنظيم السري للإخوان فى زمن الملك فاروق ، كما ظهر فى قضية الأوكار التى قتلوا فيها أبرياء ومدنيين .. يقول عباس السيسي: « وعلى هذا فقد انتشر الإخوان يستأجرون الشقق فى الأماكن الإستراتيجية التى يستطيعون منها اصطياد رجال الحكومة ، وكل مجموعة من هؤلاء معها سلاحها ومؤونتها وعدتها» (فى قافلة الإخوان . ص/ ٢٢٩) ...

وقد أصل سيد قطب لهذا الفكر فى كتابه (فى ظلال القرآن.ص/ ٢٠٢٠) عند تفسير قوله تعالى : ﴿كذلك كدنا ليوسف ما كان ليأخذ أخاه فى دين الملك إلا أن يشاء الله﴾ فقال : « فمن كان فى نظام الله وشرعه فهو فى دين الله ومن كان فى نظام الملك وشرعه فهو فى دين الملك ولا جدال فى ذلك شرعا» أهـ

فحمل كل من يعمل فى نظام الملك دين الملك ، وكفر الجميع دون تفصيل فى الأمر ، هل هذا عن اعتقاد ورضى واستحلال ، أم عن خطأ وإكراه وهوى ، هل هذا التعيين فى الحكم جاء بعد إقامة الحجة الرسالية أم بدونها ؟

وقد كان الفكر التكفيرى هو الدافع الأول إلى الانقلاب والثورة على

المجتمعات الإسلامية ، قال سيد قطب فى (الظلال٣ / ١٤٥١) : « لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامى عن الشروع فى مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعى وراء تغيير نظم الحكم فى بلادهم التى يسكنونها».أهـ

وقد ساهم كتاب " معالم على الطريق " الذى ألفه سيد قطب فى وضع أسس الانقلاب على المجتمعات الإسلامية . وقد أكد ذلك أيمن الظواهرى ، وذلك فى جريدة (الشرق الأوسط . ٤ ديسمبر ٢٠٠١م) وبين أن سيد قطب هو الذي وضع الدستور في كتابه الديناميت"معالم في الطريق "، وأن فكر سيد هو (وحده) مصدر الإحياء الأصولي .. وأن فكر سيد كان شرارة البدء في إشعال الثورة ضد أعداء الإسلام في الداخل والخارج » أهـ

غير أن الفارق بين نظرية سيد قطب فى الفكر الانقلابى وبين نظرية الإخوان أن سيد قطب لا يبيح استخدام الغير للركوب ، لأنه لا يشترك معه فى الهدف ، وذلك باعتبار أنه يدعو إلى العزلة ، ويطالب بالانقلاب على من أسماهم خارج نطاق الجماعة المسلمة ، فكيف يتحالف معهم فى الوصول إلى الحكم ، وهم ميدان دعوته! أما بقية الإخوان فإنهم يبيحون الركوب على الجيش وجميع فئات الشعب باختلاف ألوانه من أجل الخروج ، ولو بغير المنهج الإسلامي ، ولو بالتحالف مع العلمانيين والشيوعيين والأقباط النصاري والشيعة الروافض ..

وقد نشأ فكر تنظيم الجهاد فى مصر بسبب الانشقاقات التى وقعت فى صفوف الإخوان والتنظيم الخاص فى أوائل الخمسينات ، وبعد القبض على تنظيم ١٩٦٥م .. فهناك علاقة وثيقة بين الإخوان وتنظيم الجهاد ..

تلك هى الحقيقة التى كشفها د/ محمود عساف فى كتابه (مع الإمام الشهيد ص/ ١٥٩) ولا يزال الإخوان إلى الآن فى كتبهم وفى أدبياتهم يمدحون أفرادا كان لهم دور كبير فى قتل رؤساء ومسئولين ؛ بما يدل على عمق علاقتهم بهم ، ورضاهم عن توجهاتهم الانقلابية الإرهابية ، ومثال ذلك ما صرح به محمود الصباغ فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص ودوره . ص/ ٢٩) .

وقد قدم لهذا الكتاب الأستاذ / مصطفى مشهور سنة ١٩٨٩م . وفيه مدح الصباغ قتلة الرئيس السادات ، وقال عنه : « فبلغ قمة الاستبداد والتأله ! علي شعب منحه حبه وضحي معه بدمه عزيزا مهراقا علي أرض المعركة ، وهو ظلم لا يرضي عنه خالق السموات والأرض ، الذى أبدع كل شيء صنعا ، فسلط عليه شبابا من شباب مصر وأظلهم بظلة فباغتوه فى وضح النهار وفى أوج زينته وعزه يستعرض قواته المسلحة ولا يرى فيهم إلا عبيدا ، له ينحنون ، وبقوته وعظمته يشهدون ، وإذا بهم سادة يقذفونه بالنار ويدفعون عن أنفسهم وصمة الذل والعار والشنار..وعادت لمصر عزتها ، وانتصر الله للمؤمنين فى المعركة الرابعة نصرا عزيزا » أهـ

فقد كان هناك علاقة وثيقة بين تنظيم الجهاد وبين جماعة الإخوان . إما علاقة فكرية وإما علاقة استراتيجية ، وإن لم يكونوا تنظيما فى حركة الإخوان . ولعل من أهم الأسباب التى أدت إلى انتشار الفكر الانتقامى فى مصر خاصة فى تنظيم الجهاد ما أشاعه الإخوان بين الشباب من قصص وحكايات عن التعذيب الذى تعرض له بعضهم فى سجون شمس بدران بعد القبض على تنظيم ١٩٦٥م .. وكذلك كان للتفسير المتعلق بآيات الحاكمية .. ذلك التفسير القطبي المخالف لمنهج السلف ، والذى كان يرى جاهلية المجتمعات الإسلامية . أثر بالغ فى دفعهم إلى الخروج واستباحة الدماء والأموال .

نشأة تنظيم الجهاد الجديد ....

فى أجواء الستينات نشأ تنظيم طلائع الفتح الذى انتهت قيادته فى أواسط السبعينات عند الدكتور أيمن الظواهرى ، وقد اتفق هذا التنظيم مع تنظيم آخر تحت قيادة عصام القمري على القيام بأعمال إرهابية طالت كثيرا من الأبرياء فى صعيد مصر وقد انتهت تلك الأعمال بقتل الرئيس السادات عام ١٩٨١م ..

وفى عام ١٩٧٨م .. قام عبد السلام فرج بدور كبير فى صياغة فكر تنظيم الجهاد المسلح .. وذلك بإعداد الكتاب الذى دار حول المفاهيم الجهادية .. التى تأثر بها فيما بعد طارق الزمر ثم عبود الزمر .. وذلك عام ١٩٨٠م . وقد تبنى الدكتور/ عمر عبد الرحمن قضايا تنظيم الجهاد المعاصر بالتوجيه والفتوى ، فدعا إلى الثورة والانقلاب . وقد استحل هذا التنظيم الدماء المسلمة المعصومة ، ونقض عهود المجتمع مع أهل الذمة والمأمنيين .. وقتل بعض السياح الأجانب ، الذين دخلوا مصر بعهد أمان .. وعلى الصعيد السياسي قاموا بمحاولة اغتيال لمسئوليين سياسيين ، كما قتلوا جنودا وضباطا كثر فى مديرية أمن أسيوط فى جنوب مصر .. ولم يكن في هذا التنظيم من العلم الشرعى ما يؤهله للأمر والنهى ، وهذا هو الذى دفعهم إلى القتل والانتقام ، دون تقدير لحرمة دماء المسلمين ، ودون تقدير لمخالفة الأئمة لهم ، ودون النظر فى المصالح والمفاسد . مبررين ذلك بكفر الحاكم ، وعدم الالتزام بعهده الذى عاهد به .. وهم فى ذلك آثمون ، لأن الحكم بالعين على أحد بالكفر ليس لهم ، ولا يكون إلا بعد إقامة الحجة الرسالية وانتفاء الموانع الشرعية ورفع الشبهات العارضة .. كما أن هناك حدا يحول دون مواجهة الحكام بالقتال والخروج ، وهو كونهم يؤدون الصلاة المفروضة . ولكنهم لم يعبأوا بهذا العمل ، ولم يقدروا له قدره ، حيث نهى النبى ﷺ عن قتالهم بسببه ، بقوله : « لا ما أقاموا فيكم الصلاة» (رواه مسلم . ٣ / ١٤٨١ . كتاب الإمارة) .

ولقوله ﷺ : « لا ما صلوا » (رواه مسلم (٣/ ١٤٨١) .

كما أنهم لم يعبأوا بالمآذن التى يرفع عليها الآذان. وهذا هو الحد الأدنى الذى يرفع السيف عن رقاب المسلمين ، كما ثبت عن أنس بن مالك قال : « كان رسول الله ﷺ يغير إذا طلع الفجر ، وكان يستمع الآذان ، فإن سمع أذانا ، أمسك ؛ وإلا أغار » (رواه مسلم (١ / ٢٨٨) كتاب الصلاة)

قال الإمام النووي : « وفي الحديث دليل على أن الآذان يمنع الإغارة على أهل ذلك الموضع ، فإنه دليل إسلامهم » (شرح مسلم . (٤ / ٨٤)

فلا تكفير لأحد إلا بعد إقامة الحجة .. ولا يستطيع أن يقوم بهذا الدور آحاد الناس ، حيث إنه محض اختصاص العلماء والأئمة .. وهؤلاء الشباب ليسوا علماء ولا أئمة . ومع ذلك قتلوا الأبرياء بغير حجة ولا برهان .. وإذا قلت لهم : هل أقمتم الحجة على مخالفيكم حتى تستحلوا دماءهم؟ قالوا : قد أقامها غيرنا .. وهم لا يعترفون بمنهاج غيرهم فكيف يعترفون بحجتهم.. !

تنظيم الجماعة الإسلامية يتراجع ...

من الضروري أن أبين فى هذا الموطن تراجع قادة الجماعة الإسلامية فى مصر عن اتخاذ العنف وسفك الدماء سبيلا إلى التغيير والإصلاح .. فقد اعتذروا عن أخطائهم وقالوا أقوالا طيبة يحمدون عليها .. وقد بدأ هذا التراجع أثناء نظر القضية رقم (٢٣٥) الخاصة بمحاكمة قادة الجماعة ، وفيها ألقى أحد القادة بيانا دعا فيه أعضاء الجماعة إلى وقف العنف ضد الحكومة ، ثم بعد ذلك توالت الكتب التى أطلق عليها "سلسلة تصحيح المفاهيم" وهذه الكتب هي : « مبادرة وقف العنف ، حرمة الغلو في الدين وتكفير المسلمين ، تسليط الأضواء على ما وقع في الجهاد من أخطاء النصح والتبيين في تصحيح مفاهيم المحتسبين...» وأقاموا الحجج والبراهين على المطالبين بالعنف والاغتيال ، كما نظروا فى باب المصالح والمفاسد ، وعلموا أن الجهاد وسيلة وليس غاية ، وأن الجهاد إذا كان لا يحقق الغاية المرجوة منه فهو غير مقبول..

كما أكدوا حرمة قتل المسلم بغير وجه حق ، واعترفوا أنهم دون القدرة على تحمل مسئولية الفتوى والنظر فى دقائق الجهاد . وأكدوا أن الناس لا يؤخذون بالظن والتخمين . الخ وقد اعترف تنظيم الجماعة الإسلامية بكل وضوح بخطئه البالغ فى الفتاوى التى أصدرها بقتل الرئيس السادات .. وهذه شهادة الأستاذ / كرم زهدى (أحد أعضاء لجنة فتوى تنظيم الجهاد الذى أفتى بقتل الرئيس السادات) للصحافى الأستاذ أنيس الدغيدي فى كتابه (اعترافات . ص/ ٤٥٠) :« أنا أدين عملية اغتيال الرئيس الراحل محمد أنور السادات والتى وقعت عام ١٩٨١م بأيدى عناصر الجماعة بقيادة الملازم أول خالد الإسلامبولى ، وأنا أبدى وافر أسفى الشديد لهذه العملية ، ولو عاد الزمان بى وبالجماعة لما أجزتها أو أفتيت بها ، ولعملت على منعها . وبصراحة شديدة أنا أعتبر الرئيس السادات مات شهيد الفتنة ، وكذلك كل من سقط من أعضاء الجماعة أو أفراد الشرطة فى المواجهات بينهما وبين أجهزة الأمن » أهـ

وجدير بالذكر أن الدكتور / عمر عبد الرحمن " زعيم تنظيم الجهاد السابق " قد تراجع أيضا عن مبادئه الداعية إلى الانقلاب والثورة ، ووافق على مبادرة وقف العنف (هدانا الله وإياهم لما يحبه ويرضاه) وقد أكد ذلك الأستاذ / حمدى عبد الرحمن ، قائلا : « جاءنا رد الشيخ عمر عبدالرحمن بتأييد موقفنا ، وقد أعطي رأي الشيخ زخما وقوة لمبادرتنا ، وأعقبها البيان التاريخي الذي صدر عن الاخوة في الخارج ليلة عيد الأضحي المبارك في مارس٩٩ , وأعلنوا فيه تأييدهم للمبادرة»(الأهرام المصرية ١٦ / ٢ / ٢٠٠٢م) .

وقال فى قضية الخروج علي الحاكم . : بعد التحول الفكري والمبادرة أصبح ذلك ممنوعا شرعا. لماذا؟! ـ لعدة أمور، منها :

١ ـ أن الدولة إسلامية ، والعلماء أجمعوا علي عدم جواز الخروج علي الحاكم لما يترتب علي هذا من مفاسد كبري وضعف ، وضياع للأموال وانتهاك للحرمات .

٢ ـ التجارب التاريخية أكدت أن الخروج علي الحكام يؤدي إلي نتائج سيئة علي المسلمين، وضياع هيبتهم، ويساعد علي طمع العدو فيهم، والتاريخ يؤيد عدم الخروج علي الحكام.

٣ ـ نحن أعطينا عهدا بعدم الخروج علي الحكومة بالسلاح ، وهذا العهد لا يجوز نقضه لأي من أفراد الجماعة حاليا ولا في المستقبل ، لقول رسولنا الكريم ﷺ : «المسلمون يسعي بذمتهم أدناهم ، فمن غفر ذمة المسلمين فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين ، لا يقبل الله منه صرفا ولا عدلا» (الأهرام المصرية ١٦ / ٢ / ٢٠٠٢م) .

تراجع تنظيم الجهاد ..

وفى عام ٢٠٠٧م أعلن تنظيم الجهاد بقيادة سيد إمام عبد العزيز وعبود الزمر مراجعاته الفقهية متضامنا مع الجماعة الإسلامية فى نبذ العنف .

قال الأستاذ أحمد الخطيب : « أعلن عبود وطارق الزمر القياديان البارزان في تنظيم الجهاد، من سجنهما، تأييدهما للمراجعات الفقهية لتنظيم الجهاد التي يقودها الدكتور سيد إمام عبدالعزيز مفتي ومؤسس التنظيم الذي تعتبره جميع الحركات الجهادية القتالية وعلي رأسها تنظيم القاعدة صاحب دستور القتال في كتابه الشهير +العمدة في إعداد العدة؛.(؟؟ مايو ؟؟؟ المصري اليوم ...)

غير أنهم تأخروا فى إعلان مراجعاتهم السياسية من ١٩٩٧م إلى ٢٠٠٧م لأنهم كانوا يريدون الاندماج فى العملية السياسة ..

والعجيب فى الأمر أنهم ظهروا متوافقين فى مضمون العمل السياسي القائم على استيعاب الأيدلوجيات والأفكار المختلفة ، مع جماعة الإخوان المسلمين .. ويعد هذا نوعا من الانقلاب الأيدلوجى السريع فى فكر تنظيم الجهاد .. وقد عبر عن هذا التوافق الأستاذ / طارق الزمر حيث أيد نهج الإخوان فى العمل السياسي المعاصر .. كما نقل عنه الأستاذ / عبد الفتاح عبد المنعم فى (العربي . ١٩ فبراير ٢٠٠٦م) قائلا : « طارق الزمر فجر مفاجأته الخامسة من خلال تأييده لنهج الإخوان فى العمل السياسي مشيرا إلى أن رسالته تؤسس العمل الحزبي والنيابي . » أهـ .

وقد شاركه فى ذلك عبود الزمر حيث دعا : « جماعة الإخوان بالتصدى داخل مجلس الشعب للقوانين المقيدة للحريات وسيئة السمعة، وأن يكون هدف الجماعة داخل البرلمان رفع القيود المفروضة على العمل السياسى والحزبى، مشيرا فى طلبه للإخوان على ضرورة احتوائهم للأقليات والطوائف بكل آرائها وتعليقاتها» (العربي . ١٨ ديسمبر ٢٠٠٥م) .

وهذا يدل على أنهم متأثرون بالفكر الإخوانى القديم وأنه لا يزال مسيطرا على الأذهان ، غير أن الطريقة تغيرت .. استبدلوا الضغط السياسي بالفكر الدموى .. على نفس الدرب السابق ، بغير علم ولا سلف ، ولكن بطريقة إخوانية متخبطة ، لها فى كل زمن سبيل ، لا تدري فيه ما تريد .. والواجب عليهم أن ينسوا هذا الأمر ، وأن يعودوا إلى ثكناتهم يعبدون الله على بصيرة ، ويتوبوا إلى الله من جرائمهم التى اقترفوها ، ويتعلموا التوحيد والسنة على أيدى العلماء الربانيين ، بعيدا عن اللعب بالسياسة على طريقة الإخوان . لا أن يتراجعوا سياسة أو مقابل صفقة ، بل يتراجعوا توبة إلى الله تعالى.

أما الإخوان فقد خاضوا غمار السياسة وفشلوا ..وتركوا دعوتهم الأولى . فلا ينبغى لأعضاء تنظيم الجهاد أن يجربوا الفشل لسنوات أخرى ..

فالعقلية التى تربت على مفهوم التنظيمات السرية والاغتيالات ولم تعتمد على علم شرعي ولا قياس دينى . كيف تخوض العمل السياسى . ومن هو معلمها .؟ ليس أمامهم إلا الإخوان ليتعلموا منهم .. والإخوان بشهادة أساطين السياسة والواقع وتجارب الأمم لا يفقهون شيئا .. فليحذر قادة تنظيم الجهاد من المضى خلف هؤلاء الخائبين والتشبه بهم ..

أصول الدوافع وراء الإصلاح ...

اتفق أهل العلم والدين والسياسة على أن ما يؤثر فى الجبهة الداخلية يؤدى بالضرورة إلى تدخل الدول الكبرى فى مقدرات الدول الإسلامية ، لتصير دولا مستعمرة بعد أن كانت دولا حرة ، ودولا مهزومة بعد أن كانت دولة منتصرة . ولا يزال التاريخ يعيد نفسه . فقد ترجمت كتب الفلاسفة ، واستغنى كثير من الناس عن سنة الحبيب ﷺ ؛ فكان هذا هو السبيل لتغلب التتار على المسلمين .قال قاضى القضاة تقى الدين بن دقيق العيد : « إنما استولت التتار على بلاد المشرق لظهور الفلسفة فيهم وضعف الشريعة» (م ف . ٢ / ٢٤٥) فلا بد من وضع الأمور فى نصابها والعودة إلى ما كان عليه النبى ﷺ وأصحابه ، ووجب على الدول الإسلامية أن تتدخل فى حل قضاياها بما يحقق المصلحة الشرعية العليا للأمة بإخلاص وصدق ، وذلك بتوضيح الحقائق جلية ، وبسط رداء العفو والسماحة فى سلم العلم والمناظرة ، وتقديم براهين أهل السنة عن طريق أهلها ، كى يعود هذا الشباب إلى سلم العمل الإصلاحى .

وقد استجاب الشباب لتلك الدعوة . التى قامت بها الداخلية المصرية على مدى سنين عدة .. وقد بين اللواء حبيب العادلى فى حواره مع مصطفى بكرى ، فى جريدة (الأسبوع . ٨ مارس ٢٠٠٤م) أن ما حدث من تغير فى فكر الجماعة الإسلامية يشبه المعجزة ، فقال : « هذا الحوار حقق نتائج هامة ومبهرة وأصبحت تجربة هذا الحوار نموذجا يحتذى به . لقد نجحنا فى تعديل أفكار هذه العناصر إلى الكتاب وصحيح السنة .. وكل ما سجلوه فى رؤيتهم الجديدة تم عرضه على مشيخة الأزهر لتبيان مدى مصداقية ما يقررونه دينيا ، لأنه سيعرض على الرأى العام وعلى العناصر المنتمية لتلك الجماعة لتعدل من أفكارها . وماذا كان رأى الأزهر؟

لقد درست الأوراق المقدمة ووافق عليها الأزهر وقال إنها مبنية على أسانيد شرعية فعلا . ثم قال : إن هذه المهمة فى تقديرى تشبه المعجزة فى وقت يموج فيه العالم بأفعال وجرائم إرهابية »أهـ

فتنة تنظيم القاعدة ..

لم تبتل الأمة فى تاريخها كما ابتليت بفكر حدثاء الأسنان المنتسبين إلى تنظيم القاعدة ، الذين يصطنعون الفتن أينما حلوا و رحلوا .. ويعد هذا التنظيم امتدادا محوريا فى أدائه للتنظيم السري الخاص الذى أسسه حسن البنا فى بداية الأربعينات من القرن الماضى ..ومن الناحية الفكرية فهو متأثر بالمنهج الانقلابي الذى أسسه سيد قطب فى كتبه (المعالم ، والظلال ، والعدالة الاجتماعية).. وقد خرج هذا التنظيم على علماء المسلمين ، واحتقر جهدهم وزيف علمهم ، ولم يتأثر بهم .. بل إنه كفر الحكومات العربية والإسلامية جميعا بلا استثناء ، ولم يبق على وجه الأرض حكومة مسلمة إلا حكومة الملا عمر ، ولا دارا مسلمة إلا أفغانستان .. ومع ذلك لم يستطع أمراء هذا التنظيم أن يبقوا أفغانستان بآرائهم وأفكارهم ، ولكنهم دمروا بنيانها وشتتوا أهلها وضيعوا أميرها .. فسرعان ما تفجرت الأحداث وهاجت الأمم ، واختبأ ابن لادن فى الكهوف والمغارات ، ليصدر البيانات التى تحمل فى طياتها ما يجعله مسئولا عن العالم الإسلامى ، فيقيم أميرا هنا وأميرا هناك .. ثم فى خضم الأحداث المتلاحقة والفتن المتعاقبة يعرض على تلك الأمم التى هيجها هدنة طويلة الأمد ، كأنه خليفة مختار من الأئمة ، يحدد أوقات الحرب وأوقات السلم ، ويعرف مصلحة الأمة .. الخ فجعل لنفسه سلطانا ، وهو فى الحقيقة غائب غيبة كبرى ، الله أعلم متى تنتهى .. والغائب لا أمر له ولا سلطان .. كإمام الشيعة المعدوم الذى قال فيه أئمة السنة :

وكل إمام لا يرى جهرة لايساوى عندنا خردلة .

لقد هيج هذا التنظيم المتهور العالم الأصفر على الإسلام والمسلمين ، وقرن الإسلام بالتطرف ، واستباح الحرمات وقتل الأبرياء ، وأثار الفتن ، وأشغل المسلمين بدفع التهم والشبهات ، بدلا من اشتغالهم بالدعوة إلى الله تعالى ..

وحصن ابن لادن نفسه فى مغارات أفغانستان ، وخرج من مواقع القتال

بنفسه وماله ، ليسلم من القتل والقتال ، وترك الصف الأول ، بما فيه من الفقراء الذين يتضوون من شدة الجوع ، تحت لهيب القنابل والمتفجرات . ليقتل شعبا أعزل ، ولتوزع الفتاوى الفارغة على العامة الذين لا يعرفون أمره ، وليعادى العلماء الأكابر، وليكفر حكام المسلمين ، ليرى الناس فيه الشجاعة النادرة .

فمن الذى أعطاه ولاية على المسلمين .؟

وأين هو من علماء الإسلام الأكابر.؟

أين هو من الفتوى والقضاء والجرح والتعديل والاستنباط والاجتهاد .؟ لقد حصر الله تعالى مسئولية الفتوى فى أهل العلم والذكر . قال تعالى : ﴿ وَإِذَا جَاءَهُمْ أَمْرٌ مِّنَ الْأَمْنِ أَوِ الْخَوْفِ أَذَاعُوا بِهِ وَلَوْ رَدُّوهُ إِلَى الرَّسُولِ وَإِلَى أُولِي الْأَمْرِ مِنْهُمْ لَعَلِمَهُ الَّذِينَ يَسْتَنبِطُونَهُ مِنْهُمْ ﴾ (النساء : ٨٣) .

فهل هذا الرجل موصوف بأوصاف أهل والعلم والاجتهاد حتى يرجع الناس إليه فى النوازل .؟ هل هذا الرجل ولى من أولياء المسلمين ، ليلتف الناس حوله .؟

فالجهاد لا يكون إلا بولى الأمر أو بإذنه . قال تعالى :﴿ إنما المؤمنون الذين آمنوا بالله ورسوله وإذا كانوا معه على أمر جامع لم يذهبوا حتى يستأذنوه ﴾(النور . ٦٢) وقال النبى ﷺ : « الإمام جنّةٌ يُقَاتَلُ مِن ورائه ويتقى بِهِ » (رواه البخارى . كتاب الجهاد ٢٩٩٤).

قال ابن أبى العز الحنفى : « الحج والجهاد فرضان يتعلقان بالسفر فلا بد من سائس يسوس فيهما ، ويقاوم فيها العدو ، وهذا المعنى كما يحصل بالإمام البر يحصل بالإمام الفاجر» (شرح الطحاوية . ص/ ٣٢٣).

لم يكن ابن لادن وليا من أولياء المسلمين ولم تجتمع عليه كلمة العلماء ..فكيف ينصب نفسه بغير ولاية ويرفعها بغير إذن ..

معالم تنظيم القاعدة ...

أولا : إثارة الفتن ...

اقتفى تنظيم القاعدة أثر الخوارج والمعتزلة ، فى إيجاب إزالة المنكر ، ولو أدى ذلك إلى خراب الدين والدنيا . لا يفكرون فى العواقب ، ولا ينظرون فى المحن. نصبوا أنفسهم قضاة ، فضللوا قوما وكفروا آخرين ، ثم قاموا بقتالهم ، وقالوا من قتل من المسلمين بغير حق بعث على نيته .. واحتجوا بمسألة التترس لقتل المسلمين ، كأنهم أصحاب ولاية وسلطان .. وهم فى حقيقة الأمر يريدون النجاة بأنفسهم ، ولو كان ثمن ذلك قتل المسلمين جميعا .. وأخطر مافى الأمر أنهم يأتون المسلمين من حيث لا يشعرون . بزعم أنهم يدافعون عن الإسلام وينصرون الأمة ، وأن غيرهم جند الباطل وعسكر الشيطان .. وهم فى حقيقة الأمر أشد الناس تدميرا للإسلام وإهدارا لكرامته وتضييعا لأوطانه وإذلالا لأهله .. انظر إلى صورة المسلمين من بعدهم ، لترى أى جناية على الدين جنوها ، وأى مصيبة فى الأمة أحدثوها.ويكفى سعى الدول الكبرى الدءوب فى تغيير مناهج المسلمين دليلا على ذلك .. لم يفلح هذا التنظيم الخارجي بمنهاجه الانقلابي فى رفع كلمة الإسلام ولا فى بيان التوحيد والسنة، إنما عطل الدعوة وشوه صورتها ، وأظهر المتدينين فى صورة القتلة ، الذين لا يراعون حرمة مسلم ولا ذمة كتابى ولا عهد مستأمن . ولقد قام هذا التنظيم بنقل عملياته الإرهابية إلى مستوى عالمى ، ليواجه دولا عظمى في الضلال والفساد معها البطش والقوة .. وأصبح كل شر يقع فى العالم ينسب إلى الإسلام ، وأصبح الظواهرى وابن لادن لعبة تلك الدول المعادية للإسلام فى توجيه شعوبها حيث شاءت، تتزور عليهما البيانات والصور ، لتعزز الاتجاهات والأفكار إلى مايتوافق مع مصالحها ، بينما لا تجد من ينكر أو يثبت نسبة تلك البيانات إليهما بسبب اختفائهما عن الأعين ..

فأين الدين فى قتل معاهد أو مظلوم أو بريء ؟ وأى مصلحة فى قتل بعض

المشركين ليقتل المئات من المسلمين فى لحظات ؟ وأى مصلحة فى ضرب مدمرة بحرية فتهان أمة بأكملها..؟ وأى مصلحة فى ضرب برج ، فيتشتت العرب والمسلمون ، وتهدد الأقليات المسلمة فى بلادها لسنوات طويلة ؟

لقد انتشر الدين الإسلامى انتشارا واسعا فى دول أوربا وأمريكا ، حتى أقلق مضاجع اليهود ، ودفعهم إلى تهييج دول العالم على الإسلام والمسلمين ، بقصد تقويض تلك الدعوة وهدمها ، وعدم التمكين لها ، وقد كان فكر ابن لادن وأيمن الظواهرى هو الأداة والحجة فى ذلك .. لعل تكفير هؤلاء للمجتمعات الإسلامية أوقعهم فى الاستهانة بما يحدث للأمة الإسلامية من مصائب جراء أفعالهم غير المسئولة ونظراتهم غير الثاقبة.. ولعل جهلهم بمفهوم الولاء والبراء وتخبطهم فيه أوقعهم أيضا فى تلك المصائب . فالتصالح والتعاهد إذا وقع بين المسلمين وبين الكفار فهذا عندهم ينقض مفهوم الولاء والبراء ، والاشتراك فى قتال عدو مشترك ينقض عندهم مفهوم الولاء والبراء .. ولا شك أن هذا كله لا علاقة له بالمحبة القلبية .. ونحن نعتقد أن الولاية بالمحبة القلبية غير جائزة وصاحبها خارج من الملة . أما الولاية بسبب الخوف بلا محبة ولا تأييد ولا نصرة فهى ضعف فى الدين.. ويستثنى من ذلك التقية بالألفاظ دون الأفعال ، لجلب منفعة أو لدفع مضرة ، لقوله تعالى : ﴿لاَ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاءَ مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلاَّ أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ﴾ [آل عمران. ٢٨) أما المعاهدات والبيع والشراء والزيارة وتقديم الهدايا للكتابيين .. فهذا أمر جائز وثابت فى الشريعة .. وليس من باب الولاء في شيء . وقد شرع الله تعالى البر والإحسان بأهل الكتاب .. قال تعالى : ﴿ لا ينهاكم الله عن الذين لم يقاتلوكم فى الدين ولم يخرجوكم من دياركم أن تبروهم وتقسطوا إليهم إن الله يحب المقسطين ﴾ [الممتحنة : ٨) وقال تعالى :﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها وتوكل على الله﴾ [الأنفال :٦١)

قال الحافظ في (الفتح ٥ / ٢٧٦) : « ثم البر والصلة والإحسان لا يستلزم التحابب والتوادد المنهي عنه في قوله تعالى : ﴿لا تجد قوما يؤمنون بالله واليوم الآخر

يوادون من حاد الله ورسوله﴾ فإنها عامة في حق من قاتل ومن لم يقاتل».أهـ

لو كان لهؤلاء بصيرة بالسنن الربانية والتاريخ الإسلامي وأصول المواجهات فى السنة النبوية ما أوصلوا المسلمين إلى تلك المهانة ، وما واجهوا دولا عظمى فى الضلال والكفر ، تملك جميع أدوات الفتك والتدمير ، حتى حملوا أنفسهم ما لا طاقة لهم به ، يريدون أن يقاتلوا العالم كله ، وقد قال تعالى : ﴿لا يكلف الله نفسا إلا وسعها﴾ البقرة . ٢٨٦) وقال النبى ﷺ : « دعوا الحبشة ما ودعوكم و اتركوا الترك ما تركوكم» ـ (رواه النسائى فى الجهاد). ٣١٢٥ وأبو داود فى الملاحم. ٣ ٧٤٨ .حسن ـ انظر صحيح الجامع وقد تحالف النبى ﷺ مع قبائل اليهود ليأمن شرهم وليسلم من كيدهم ، ومن أجل تيسير سبل الدعوة وتأمين الناس لمعرفة الحق صالح النبى ﷺ كفار قريش لعشر سنين ، فى الحديبية ، بشروط معلومة ، رأى فيها كثير من لصحابة إجحافا لدينهم .. غير أن حكمة الله لايدركها كثير من الناس ، وقد ثبتت آثارها فيما بعد ، و دخل الناس أضعافا مضاعفة فى دين الله تعالى ، بسبب تلك المعاهدة وهذا الصلح .وقد سماه الله فتحا مبينا . ولما أمن النبى ﷺ قريشا تفرغ لليهود فأجلى يهود فدك وفرض الجزية على يهود خيبر وجردهم من السلاح .. تلك هى سيرة النبى ﷺ وسياسته فى حال الضعف وفى حال القوة ... وعلى ذلك يجب على القائد أن يجنب أمته المحن ، وأن ينظر فى المصلحة البعيدة ويقدمها على غيرها من المصالح المؤقتة قليلة المنفعة .. والقتال على كل حال لا يكون لأجل سفك الدماء ولا لسلب الأموال ، ولا يكون بغير إمارة ، ولا يكون غدرا بغير مواجهة ، ولا يكون بقتل الشيوخ والأطفال والنساء والذميين والمأمنيين .. ولايكون إلا لرفع كلمة الله تعالى .

ولا بد أن يراعى حال الأمة فى مواجهة أعدائها .. كيف هى وكيف تكون .؟ وقد تبين للقاصى والدانى أن الأمة الآن فى حالة ضعف بالغ ، ولا قدرة لها على الجهاد . ولا يجوز أن تدفع إلى الهلكة .. ولا ينبغى أن تحمل الأمة مالا طاقة لها به. قال العثيمين (رحمه الله) : « يجب على المسلمين الجهاد حتى تكون كلمة الله هي العليا، ويكون الدين كله لله ، لكن الآن ليس بأيدي المسلمين ما يستطيعون به جهاد الكفار حتى ولا جهاد مدافعة في الواقع » (لقاءات الباب المفتوح . صفر .

١٤١٤هـ) وقال العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله) : « هذا العصر : عصر الرفق والصبر والحكمة ، وليس عصر الشدّة. الناس أكثرهم في جهل ، في غفلة وإيثار للدنيا ، فلا بدّ من الصبر ، ولا بدّ من الرفق حتى تصل الدعوة ، وحتى يبلغ الناس ، وحتى يعلموا »(مجموع فتاوى ٨ / ٣٧٦)..

فلا بد من قياس مدى القدرة والمنفعة العائدة عند التفكير فى القتال .. سواء كان قتال طلب أو قتال دفع .. ولا شك فى وجوب القتال تحت إمرة ولى الأمر ، طالما هناك قوة ، أما إذا تغلب الكفار وبطلت الحيل واستحال قتالهم بالعدد والعتاد كأن زاد الكفار فى العدد عن مثلي عدد المسلمين مع عدم قدرة المسلمين على القتال جازت المسالمة والمعاهدة أو الفرار.. ووجبت الهجرة إذا كان المرء عاجزا عن إقامة دينه ، أما إذا كان قادرا على إقامة دينه فالهجرة حينئذ مستحبة .. انظر ماذا يكون من أمر الله تعالى لنبيه عيسى (عليه السلام) فى آخر الزمان بالفرار إلى الجبال ، حيث لا قدرة له على قتال عدوه . روى مسلم عن النواس بن سمعان قال قال رسول الله ﷺ : «يوحى الله إلى عيسى بن مريم أنى قد أخرجت عبادا لى لا يدان لك بقتالهم فحرز عبادى إلى الطور » .

وهذا عام فى جميع أنواع القتال . إذا كانت مفسدته أكبر من منفعته لم يجز . قال شيخ الإسلام : « ومعلوم أن ذلك مشروط بالقدرة والإمكان ، فقد تكون المصلحة المشروعة أحيانا هى التألف بالمال والمسالمة والمعاهدة ، كما فعله النبى ﷺ غير مرة . والإمام اذا اعتقد وجود القدرة ولم تكن حاصلة كان الترك فى نفس الأمر أصلح » (مجموع الفتاوى ٤ / ٤٤٢) .

ثانيا - استباحة الأنفس المسلمة

تفنن تنظيم القاعدة فى جميع وسائل القتل والإرهاب .. قتلوا بلا استثناء ، وقالوا لاملام على قتل المسلمين إذا كان يعيش بينهم قوم من الكافرين ، لأنهم يبعثون على نياتهم .. الخ وليس فيما انتهوا إليه دعوة ولا جهاد ولا علم ولا مصلحة .. هم فى الحقيقة قطاع طرق ، مفسدون فى الأرض ، يحاربون المؤمنين .. بل إنهم يحاربون الله تعالى ورسوله محمد ﷺ .. فكيف بهم إذا لقوا الله تعالى بتلك الأعمال الإجرامية التى ظنوها جهادا فى سبيل الله تعالى ، وهى منكرات ومظالم ، شوهوا بها صورة الدين ، وطعنوا بها فى عهود المؤمنين وذمتهم .. فليس معهم من الدين ما يبرر القتل .. فقد حذر الله تعالى من قتل المؤمن واستباحة دمة ..قال تعالى : ﴿وَمَن يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُّتَعَمِّداً فَجَزَآؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِداً فِيهَا وَغَضِبَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَلَعَنَهُ وَأَعَدَّ لَهُ عَذَاباً عَظِيماً﴾ [النساء. ٩٣) وبين النبى ﷺ حرمة الدماءبقوله : «إن دماءكم وأموالكم وأعراضكم عليكم حرام » (متفق عليه) وبقوله ﷺ : « من حمل علينا السلاح فليس منا » (متفق عليه . رواه البخاري . ٦٤٨٠) وبقوله ﷺ: «أبغض الناس إلى الله ثلاثة : ملحد في الحرم ، و مبتغ في الإسلام سنة الجاهلية ، ومطلب دم امرئ بغير حق ليهريق دمه » (رواه البخاري عن ابن عباس . ٦٤٨٨). وبقوله ﷺ : « ومن خرج على أمتي يضرب برها وفاجرها ، ولا يتحاش من مؤمنها ولا يفي لذي عهد عهده ، فليس مني ولست منه » (رواه مسلم.كتاب الإمارة . ١٨٤٨) وهؤلاء خالفوا فى ذلك كله .

ثالثا - استباحة عهود المعاهدين وأمان المستأمنين ..

لم يعبأ هؤلاء المتسرعون فى الفتن بعهود أولياء أمور المسلمين مع أهل الذمة المعاهدين ولا مع الأبرياء المأمنيين ، فقاموا يفسدون فى الأرض ويقتلون ما لا يجوز قتله.وقد ثبت في السنة النبوية النهى عن قتل المعاهدين .قال النبى ﷺ : « من قتل نفسا معاهدا لم يُرح رائحة الجنة ، وإن ريحها ليوجد من مسيرة أربعين عاما» (رواه البخارى .كتاب الديات ٦٥١٦، باب إثم من قتل ذميا بغير جرم ،ورواه أيضا فى باب الجزية .باب إثم من قتل معاهدا بغير جرم) قال الحافظ ابن حجر فى (الفتح. ١٢ / ٢٥٩): «كذا ترجم بالذمي وأورد الخبر في المعاهد وترجم في الجزية (من قتل معاهدا) كما هو ظاهر الخبر ، والمراد به من له عهد مع المسلمين ، سواء كان بعقد جزية أو هدنة من سلطان أو أمان من مسلم »أهـ

كما لا يجوز قتل السفراء ، ولو كانوا من بلاد محاربة ، لما رواه أحمد والطبرانى عن نعيم بن مسعود الأشجعي أنه قال سمعت رسول الله ﷺ يقول لرسولي مسيلمة : « لولا أن الرسول لا يقتل لضربت أعناقكما» (انظر صحيح الألبانى ٥٣٢٠) وإذا كان هؤلاء الشباب قد دخلوا بلاد الكتابيين بعهد أمان - وثيقة سفر- فلا يجوز لهم أن يفسدوا فى أرض العدو غدرا .. ولا يجوز لهم الخيانة ولا نقض العهود .. وعلى هذا جرى عمل السلف الصالح (رضى الله عنهم) ومن أخل بذلك عوتب ومنع .. روى الترمذي وأبو داود عن سليم بن عامر قال : « كان بين معاوية والروم عهد ، وكان يسير نحو بلادهم ليقرب ، حتى إذا انقضى العهد غزاهم ، فجاءه رجل على فرس أو برذون وهو يقول : الله أكبر، الله أكبر، وفاء لا غدر ، فنظروا فإذا هو عمرو بن عنبسة ، فأرسل إليه معاوية فسأل فقال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « من كان بينه وبين قوم عهد فلا يشد عقدة ولا يحلها حتى ينقضي أمدها أو ينبذ إليهم على سواء » فرجع معاوية بالناس. (صحيح أبى داود . ٢٧٥٩).

قال الإمام الشافعي (رحمه الله) : « إذا دخل قوم من المسلمين بلاد الحرب بأمان فالعدو منهم آمنون إلى أن يفارقوهم ، أو يبلغوا مدة أمانهم ، وليس لهم ظلمهم، ولا خيانتهم » (الأم ٤ / ٣٥٥)

وقال الإمام ابن قدامة (رحمه الله) : « و إن دخل المسلم دار الحرب رسولا أو تاجرا وقد جرت العادة بدخول تجارنا إليهم صار في أمانهم و صاروا في أمان منه ، لأن الأمان إذا انعقد من أحد الطرفين انعقد من الآخر ، فلا تحل خيانتهم في أموالهم ولا معاملتهم بالربا » (الكافى فى فقه الإمام أحمد ٤ / ١٦١) .

وإذا كان هؤلاء الشباب قد فعلوا تلك المظالم فى بلاد الكفار ، وارتكبوا تلك الجرائم ، وقتلوا الأبرياء ، باعتراف ابن لادن وتسميته لأسمائهم فهذا غدر ، والغدر لا يجوز فى الإسلام . فلا يحل أخذ أموال الكفار ولا سفك دمائهم بالأمن غدرا، فهذا حرام بالاتفاق ، فقد أمر الله تعالى بالوفاء بالعهد . قال تعالى :

﴿وأوفوا بالعهد إن العهد كان مسئولا﴾ [الإسراء . ٣٤].

وقد حذر النبى ﷺ من الغدر ، فعن أنس بن مالك رضى الله عنه :عن النبي ﷺ قال: « لكل غادر لواء يوم القيامة ، قال أحدهما: ينصب ، وقال الآخر: يرى يوم القيامة ، يعرف به »(متفق عليه.البخارى الجزية . ٣٠١٥) .

ولو أن أهل دار الحرب سلبوا أموال المسلمين المقيمين عندهم أو قتلوهم فلا يجوز للمسلمين أن يفعلوا مثل ذلك بالكفار الذين يعيشون بينهم ، طالما أمنوهم ، لأن هذا غدر ، ولا يجوز مقابلة الغدر بالغدر .. روى البخارى فى التاريخ والنسائى عن عمرو بن الحمق .. قال النبى ﷺ : « من أمن رجلا على دمه فقتله فأنا بريء من القاتل ، وإن كان المقتول كافرا » (رواه أحمد وابن ماجه ، صحيح الجامع للألبانى برقم / ٦١٠٣) .

وإذا كان هؤلاء لا يعبثون بعهود أولياء الأمور ، فكيف يهدرون عهود عامة المسلمين ، الذين أمنوا هؤلاء الذميين واستقدموهم إلى بلاد المسلمين ؟

وقد ثبت فى الصحيح أن إجارة المؤمن للكتابي إجارة محترمة ، لا يجوز

الاعتداء عليها ، فعن أم هانىء قالت : يارسول الله ، زعم ابن أمي أنه قاتل رجلا قد أجرته ، فلان بن هبيرة ، فقال رسول الله ﷺ :«قد أجرنا من أجرت يا أم هانئ»(متفق عليه. البخاري.الجزية. ٣٠٠٠) . .

قال ابن عبد البر : « ولا خلاف علمته بين العلماء في أن من أمن حربيا بأي كلام لهم به الأمان فقد تم له الأمان ، وأكثرهم يجعلون الإشارة بالأمان إذا كانت مفهومة بمنزلة الكلام ، وأمان الرفيع والوضيع جائز عند جماعة العلماء، وأمان العبد والمرأة عند الجمهور جائز» (الاستذكار. ٥ / ٣٦) ..

وقد قام هؤلاء الشباب بقتل كثير من السياح الأجانب والعاملين المستأمنين فى البلاد الإسلامية ، التى دخلوها بعهد أمان من أهلها .. وهذه جريمة غدر محرمة ، سيحاسبهم الله تعالى عليها يوم القيامة .. فمثل هؤلاء الأبرياء الذين لا يشتركون فى حرب ولا قتال ، ولا علم لهم بحجة ولا برهان ، لا يجوز قتلهم ..انظر كيف عاتب الله تعالى موسى (عليه السلام) حين قتل نفسا كافرة بغير نفس ، حتى اشتد به الغم والكرب ؛ وتاب إلى الله تعالى ، حتى غفر له ، ونجاه من الغم . قال تعالى : ﴿وقتلت نفسا فنجيناك من الغم ﴾ [طه. ٤٠) .

وانظر كيف أنكر النبى ﷺ قتل امرأة فى الغزو ، بكونها لم تشارك فى القتال ... يعنى لو أنها شاركت لقتلت ، فكيف تقتل بدون مواجهة ، وبدون مشاركة ، وبدون قتال ؟ ثم نهى عن قتل النساء والأجراء والذرية .. ويدخل فى ذلك كل ما لا حظ له فى القتال ولا فى المشاركة فيه .. روى ابن ماجه فى كتاب الجهاد عن حنظلة الكاتب قال : غزونا مع رسول الله فمررنا على امرأة مقتولة قد اجتمع عليها الناس فأفرجوا له فقال : « ما كانت هذه تقاتل فيمن يقاتل » ثم قال لرجل : «انطلق إلى خالد بن الوليد فقل له إن رسول الله يأمرك يقـول لا تقتلن ذريـة ولا عسيفا » (صحيح الجامع ٢٨٤٢)

والعسيف هو الأجير الذي لايشارك فى الحرب .

عن زيد بن أبي وهبٌ قال : كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه :

« لا تغلوا ولا تغدروا ولا تمثلوا ولا تقتلوا وليدا واتقوا الله في الفلاحين الذين لا ينصبون لكم الحرب» (سنن سعيد بن منصور.ما جاء فى قتل النساء ٢ / ٢٣٩) .

وقد أوجب الله تعالى الدية فى قتل المعاهد إذا كان القتل خطأ فكيف إذا كان القتل عمدا . ؟ قال تعالى : ﴿وَإِن كَانَ مِن قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِّيثَاقٌ فَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَى أَهْلِهِ وَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ شَهْرَيْنِ مُتَتَابِعَيْنِ تَوْبَةً مِّنَ اللَّهِ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيماً حَكِيماً﴾ [النساء : ٩٢).

مكافحة تنظيم القاعدة ..

كان الاعتداء على حرمات المملكة السعودية ومقدساتها الإسلامية من أكبر الجرائم التى وقع فيها تنظيم القاعدة ، وقد استغلت الدول المعادية للإسلام تلك الجرائم فى تشويه صورة الإسلام ، وانتهى بها الأمر إلى مطالبة الدول العربية بتغيير مناهجها الدينية وثقافتها الاجتماعية .. وقد صرح الأمير نايف تصريحا واضحا أكد فيه أن المملكة لا يمكن أن تفرط فى ثوابتها الدينية . غير أنه دعا إلى دراسة جذور الإرهاب ، ومعرفة العلاقات الخفية للمؤسسات التى تعمل على زعزعة الاستقرار فى العالم الإسلامي وتشويه صورة الإسلام ، قائلا : « إن هذه الدعوة الربانية الخالدة هي التي تمثل روح الإسلام الحقيقي دين الحكمة والموعظة الحسنة ولا تمثله الشعارات الزائفة التي يطلقها الخارجون على الإسلام والمسلمين من كهوف الظلام ليتلقفها أعداء الإسلام ويصنعوا منها صورة مشوهة أبعد ما تكون عن الإسلام.إن نبي الإسلام ﷺ هو نبي الرحمة ، والإسلام هو دين الرحمة ولا يمكن أن تجتمع الرحمة والإرهاب في عقل واحد أو قلب واحد أو بيت واحد» أهـ .

ودعا هؤلاء الشباب إلى التوبة إلى الله تعالى وترك منابذة المجتمع والاعتداء على حرماته ، وحذر تحذيرا شديدا من الانغلاق حول المفاهيم الحزبية التى تضل الناس وتصرفهم عن العقيدة الصحيحة وتدفعهم إلى الشقاء وتحرمهم من السعادة ، فقال : « إن سلامة الإنسان وسعادته في الدنيا والآخرة مرهونة بسلامة فكره ومعتقده ذلك أن الشخص الذي تزعزعت عقيدته وانحرف فكره سوف يكون عرضة للتيارات

الفكرية الضالة التي تقوده إلى الهلاك والضياع وتعرض حياته وحياة مجتمعه لمخاطر عديدة » أهـ .

فكم هي الجرائم التي تعرضت لها المملكة من تنظيم القاعدة ؟

فقل لي بالله كيف استهدف هؤلاء المجرمون مكة والمشاعر و المدينة النبوية ؟ ألم يقرأوا قول الله تعالى : ﴿ وَالْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِي جَعَلْنَاهُ لِلنَّاسِ سَوَاءً الْعَاكِفُ فِيهِ وَالْبَادِ وَمَنْ يُرِدْ فِيهِ بِإِلْحَادٍ بِظُلْمٍ نُذِقْهُ مِنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ﴾ [الحج . ٢٥] ألم يسمعوا قول النبي ﷺ : «الْمَدِينَةُ حَرَمٌ ، مِنْ كَذَا إِلَى كَذَا ، لاَ يُقْطَعُ شجرها ، ولا يحدث فيها حدث ، من أحدث حدثا فعليه لعنة الله والملائكة والناس أجمعين» (رواه البخاري) أتهديد الأبرياء والاعتداء على الحرمات ومنازعة الشريعة والخروج على الأمراء من دين الله .؟ من أجل ذلك حذر علماء الأمة من خطر تلك الطائفة على الإسلام والمسلمين وأمروهم بالتوبة إلى الله تعالى . وإلا فقد وجب التنبه على خطرهم حتى يزول . وقد شهد الأئمة أن تنظيم القاعدة تنظيم خارجي ، داع إلى الفتنة ، مستبيح للدماء المعصومة ، ناقض للعهود الموثقة ، مشوه لصورة الإسلام والمسلمين . قال العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله) : « ونصيحتي للمسعري والفقيه وابن لادن ومن يسلك سبيلهم أن يدعو هذا الطريق الوخيم ، وأن يتقوا الله ويحذروا نقمته وغضبه ، وأن يعودوا إلى رشدهم ، وأن يتوبوا إلى الله مما سلف منهم ، والله سبحانه وعد عباده التائبين بقبول توبتهم والإحسان إليهم .(فتاوى ابن باز . ٩ / ١٠٠)

وقال المحدث مقبل الوادعي (رحمه الله) : « إني أبرأ إلى الله من ابن لادن فهو شؤوم وبلاء على الأمة وأعماله شر» (الرأي العام الكويتية . ١٩ / ١٢ / ١٩٩٨) وقال : « وقد اتصل بي بعض الأخوة من بريطانيا يشكون التضييق عليهم ، ويسألون عما إذا كان يجوز لهم إعلان البراءة من أسامة بن لادن ؟ فقلنا لهم : تبرأنا منه ومن أعماله منذ زمن بعيد، والواقع يشهد أن المسلمين في دول الغرب مضيق عليهم بسبب الحركات التي تغذيها حركة الإخوان المفلسين أو غيرهم. والله المستعان».. وقال : « وقد جاءنا منهم أخوة يعرضون مساعدتهم لنا وإعانتهم حتى يدعو إلى الله ، وبعد ذلك فوجئنا بهم يرسلون مالا ويطلبون منا توزيعه على رؤساء القبائل لشراء مدافع ورشاشات ، ولكني رفضت عرضهم وطلبت منهم ألا يأتوا إلى منزلي ثانية وأوضحت لهم أن عملنا هو دعوى فقط ولن نسمح لطلبتنا بغير

ذلك» أهـ .

الدكتور سيد فضل الله المصري

" منظر تنظيم الجهاد السابق" يتهم أيمن الظواهرى بعدة اتهامات منها :

١ - العمالة . قال الدكتور فضل الله : « قال لي الظواهرى : «إنه ملتزم أمام السودانيين بتنفيذ عشر عمليات فى مصر، وإنه تسلم منهم مائة ألف دولار لهذا الغرض» (المصري اليوم)

٢ ـ الإسراف فى سفك الدماء . قال : « إن عدد المسلمين الذين تسببت القاعدة فى قتلهم وتشريدهم فى بضع سنين فى كينيا وأفغانستان والعراق والسعودية والجزائر وباكستان وغيرها يفوق بكثير عدد من قتلتهم إسرائيل أو شردتهم فى فلسطين وما حولها فى ستين سنة » (المصري اليوم .

٣ ـ حصر التعامل فى خيار واحد ..

قال الدكتور فضل الله : « الظواهرى بحصره الخيارات المشروعة للمسلمين مع أعدائهم فى خيار واحد وهو استعمال القوة لا غير، هو كالطبيب الجاهل الذى لا يعرف من العلاجات إلا دواء واحدا يصفه لجميع المرضى دون مراعاة لاختلاف أحوالهم» (المصدر السابق).

٤ ـ خرب بيته بيده ..

قال الدكتور فضل الله : «عاش الظواهرى ثلاثين سنة يدعو لقتال العدو القريب +الحكومة المصرية؛ إلى أن اكتشف عام ؟؟/م أن الأهم هو قتال العدو البعيد، وذلك بعدما أفلس عمليا فى مصر وأفلس ماليًا، فالتحق بابن لادن فى +الجبهة الإسلامية العالمية لجهاد الصليبيين واليهود؛ فى فبراير ؟؟؟م، مع العلم بأن أمريكا لم تصطدم بجماعة الجهاد +جماعة الظواهري؛ قبل هذا التاريخ وإنما بعده، ومع ذلك فقد وضع هذه النظرية المناقضة للشرع مسارعة فى هوى ابن لادن، فتسبب بها فى دمار جماعته إذ أخذت أمريكا تتخطف أصحابه ومنهم أخوه من أقطار الأرض » (المصرى اليوم . أحمد الخطيب ؟؟؟

الفصل الثامن

(الإخوان ودولة الثورة) النشأة والتاريخ

الأحداث والنتائج فتنة ١٩٥٤م ، تنظيم ١٩٦٥م .الفتن المتابعة حتى ٢٠٠٩م

كشف الحقائق .. وعدل الإسلام

شخصية الهضيبي ..معاملة الوصى أو تهييج البلاد ..

حسن الهضيبي فى عيون الإخوان ..

المواجهات المشتعلة من ١٩٥٢م ، ١٩٥٤ م ..

خاتمة أحداث ١٩٥٤م .. حادث المنشية ..

المواجهة الثانية ..

أسرار القبض على ثلاثة آلاف إخواني .! عام ١٩٦٥م .

نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة ..

لماذا دخل سيد قطب السجن عام ١٩٥٤م ..؟ ..

هل حوكم سيد قطب من أجل إعلان الحاكمية ..؟ .

فتنة السبعينيات ..

١ – التشنيع على الملأ..

ماذا كان يقصد الرئيس السادات بكلمة : « لا دين فى السياسة»؟.

طرق التعامل مع الحكام ...

٢ – معاهدة السلام ..

الإمام الشيخ جاد الحق علي جاد الحق ومعاهدة السلام

العلامة عبد العزيز بن باز ومعاهدة السلام ..

تناقضات الإخوان العملية ..

الفتن المعاصرة فى مصر..

٢ـ حقيقة اللقاءات السرية بالغرب ..

محاولات قديمة واتصالات مريبة بين قنصل فرنسا و«بلنت» الإنجليزى

الإخوان ودولة الثورة

فتن الإخوان من (١٩٥٢م إلى عام ١٩٥٤م)

كشف الحقائق .. وعدل الإسلام ..

لما كان التوجيه والإرشاد يستلزم علما وفقها لتنهض الجماعة وتتماسك ، وهذا أمر ليس متحققا فيهم على الوجه الصحيح مال الإخوان إلى استمالة العواطف ، واستخدام أسلوب البكاء على ماحدث فى سجون شمس بدران ، سبيلا إلى كسب تعاطف الناس ، وتدعيم وجود الجماعة ، والسيطرة على أتباعها.. فلا بد أن يشعر الجميع أنهم أبرياء مضطهدون .. ويخدع بهم العامة والخاصة فيتبعوهم بلا دراية ، خاصة أن تجاربا على مستوى المسئولية لم تبين حقيقة أمرهم ، فظهروا بثوب من لاتشوبه شائبة .. هذا أمر واضح ، فقد شغلوا الناس بقضاياهم شغلا فاق الحدود ، فأكثر ما عرضوه فى السبعينات والثمانينات فى المكتبات يعبر عن تاريخهم وصراعاتهم .ليخرج القارىء فى النهاية متأثرا برؤية متعلقة بالانتقام من خصوم الإخوان ، أكثر من تعلقه بعقيدة الإسلام ..وهذا هو السر الأول فى نشأة تنظيم الجهاد .. ولم أجد لذلك مثلا فى تاريخ الإسلام ، أن تعدل السيرة الذاتية لفئة ما عقيدة المسلم ودينه .. فكم قتل من أئمة فى الإسلام ، ومع ذلك لم يقم الدين بالنواح عليهم ، وإنما أقيم الدين على أصوله وثوابته .. أما هذا الذي فعله الإخوان من استمالة العواطف بسبب ما تعرضوا له فهو يشبه ما فعله اليهود بذكرهم جرائم بختنصر وأفران هتلر فسنبين الحقائق بالعدل ومن كتب القوم التى سطروها بأيديهم .. ولن ندافع عن ظلم أو ننصر ظالما .. فكيف نلقى الله تعالى حاملين أوزار غيرنا .. ونحن موقوفون بين يدى الله تعالى ، مسئولون عن أعمالنا ، قال تعالى : ﴿فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرا يره ﴾ [الزلزلة ٧-٨] .

إنما نريد فقط كشف تلك الفتنة العمياء التى أحدثها الإخوان فى الأمة ، ونحذر الشباب أن ينقادوا خلفهم ، بسبب تلك المشاعر ، منبهين أن الإخوان لا يسلم

لهم فيما يقولون ، لأنهم لو اتفقوا على تشويه صورة أحد ما بلغ مبلغهم أحد ومهما كان من أمر خصوم الإخوان باختلاف صورهم فهذا لا يمنعنا أن نظهر حقيقة ما قاله الإخوان فى حق خصومهم ، لنعرف ممن كانت البداية .. وقد أمر الله تعالى بالعدل والإنصاف مع كل البشر ، قال تعالى : ﴿ولا يجرمنكم شنأن قوم على ألا تعدلوا اعدلوا هو أقرب للتقوى﴾ [المائدة. ٨) وقال تعالى : ﴿وإذا قلتم فاعدلوا ولو كان ذا قربى وبعهد الله أوفوا ذلكم وصاكم به لعلكم تذكرون ﴾ [الأنعام: ١٥٢) .

قال شيخ الإسلام : « ومعلوم أنا إذا تكلمنا فيمن هو دون الصحابة ، مثل الملوك المختلفين على الملك ، والعلماء والمشايخ المختلفين في العلم والدين ، وجب أن يكون الكلام بعلم وعدل لا بجهل وظلم ؛ فإن العدل واجب لكل أحد على كل أحد في كل حال ، والظلم محرم مطلقا، لا يباح قط بحال » (منهاج السنة النبوية : ٥ / ١٢٦) .

ومن شدة حب السلف للعدل أن حكموا به فى كل شيء ، ولو على أنفسهم ، فأعطوا كل ذى حق حقه ..حتى إن الرجل منهم كان يسأل عن أبيه فيقول : " أبى ضعيف " .. وآخر يسأل عن ابنه فيقول : " ابني ضعيف . هذا هو الدين ".. وما أكثر ما قيل عنه فى كتب الجرح والتعديل " كذاب ".. صيانة للدين والملة .. فقد كانوا يحكمون بالعدل فيما بينهم وبين خصومهم ، حتى ولو كانوا لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر .. انظر إلى ابن كثير (رحمه الله) وهو يلوم خوارزم شاه فى تصرفه مع رسول جنكيزخان ملك التتار ، حين طالبه بمعاقبة نائبه الذى أمر بقتل التجار المأمنين ، الذين هم عمارة المدن ، وسلب أموالهم ..

قال العماد ابن كثير : « فلما سمع خوارزم شاه ذلك من رسول جنكيزخان لم يكن له جواب سوى أنه أمر بضرب عنقه فأساء التدبير ، وقد كان خرف وكبرت سنه ، وقد ورد الحديث : « اتركوا الترك ما تركوكم » فلما بلغ ذلك جنكيزخان تجهز لقتاله وأخذ بلاده فكان بقدر الله تعالى ما كان من الأمور التي لم يسمع بأغرب منها ولا أبشع» (البداية والنهاية . ١١٩/ ١٣) .

هذا هو العدل المطلق فى الإسلام ... فبالعدل يفتح الله العقول ، ويشرح الصدور .. فربما رجل أنصفته صار لك صديقا حميما ووليا كريما .. فمقصدنا من العدل وغايتنا فيه بعد إرضاء الله تعالى فتح أبواب الهدى والخير لطائفة من الناس صدهم عن الخير ماوجدوا فى دعوة الإخوان من الخلل والوهن والكذب ، والبعد عن سنة النبى ﷺ وأصحابه (رضى الله عنهم) ..

شخصية الهضيبي ...

من الضروري جدا دراسة شخصية المرشد الثاني لجماعة الإخوان حسن الهضيبي فهى سبب نكبة الإخوان فى زمن فاروق ، وفى زمن عبد الناصر .. ولم يكن لى السبق فى القول بذلك فقد سبق إليه الأستاذ البهى الخولى عندما كان يجمع توقيعات أعضاء"مكتب الإرشاد " لخلع المرشد، و يحمله مسئولية ما وصل إليه الإخوان من نكبات عام ١٩٥٤م ، قائلا :« إن المسئول عن الوصول إلى هذا الحد هو المرشد. وإذا كنا نريد إنقاذ الإخوان مما ينتظرهم فعلينا أن ننحى المرشد العام لننهج نهجا جديدا»(أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٤٠٠)

وقد اتفق الإخوان على ذلك بعد هروب الهضيبي ، واختفائه عن الأنظار ، حيث قام البهى الخولى : « فجمع التوقيعات لخلع المرشد لما آلت إليه الأمور، وتفاقمت بسببه الأحداث فقال : وتقدم بعض الإخوان بمقترحات كان أهمها وأخطرها اقتراح الأستاذ البهى الخولى بإعلان الإخوان خلع الأستاذ الهضيبي من منصب المرشد العام ، وقد استغرقت مناقشة هذا الاقتراح أكثر الوقت . وكان الأستاذ البهى الخولى جادا أشد الجد فى عرض اقتراحه هذا ، وجمع توقيعات أكبر عدد من إخوان الهيئة التأسيسية بالموافقة عليه. وكانت وجهة نظره تتلخص فى : « أنه يرى أن الأحداث تتفاقم يوما بعد يوم ، وقد بلغت حدا لم يعد فى طاقة الإخوان تحمله ، وأن كيان الدعوة أضحى فى خطر لاسيما بعد اختفاء المرشد العام ـ الذى يعده الأستاذ البهى هروبا من المسئولية ، ودليلا على أن الأحداث قد وصلت فى تفاقمها إلى الحد الذى لا يستطيع هو شخصيا (يقصد المرشد) الثبات أمامها» (أحداث صنعت

التاريخ. ٣/ ٤٠٠).

فلم يكن للأستاذ الهضيبي أى خبرة فى التعامل مع الجماعات والمنظمات والهيئات فكيف بالتعامل مع مجلس قيادة الثورة .! قال المستشار المأمون حسن الهضيبي : « ليس له خبرة بإدارة مثل هذا العمل ، فهو قاض تعود على دراسة القضايا ثم الحكم فيها، بل حتى لم يشارك في إدارة ناد مثلاً...»(المجتمع الكويتية ٥ / ٤ / ٢٠٠٣م) .

ولم تكن شخصية الهضيبي مناسبة لتلك الأحداث ، ويرجع ذلك لكونها تربت على فكر التنظيمات السرية ، والبيعات المستقلة ، والعمل بمنطق الدولة داخل الدولة ، والاعتلال بمنصب المرشد ، الذى لا يحق لأحد مهما كان أمره أن يفعل شيئا إلا بعد إذنه .

التأفف من مقابلة الملك فاروق .!

كان الأئمة يحرصون على عدم الوقوف على أبواب السلاطين مخافة الفتنة ، إلا إذا اقتضت النصيحة والمصلحة .إلا أن الهضيبي كان يتأفف من مقابلة الملك فاروق ، لا من باب خشية الفتنة ، ولكن من باب أنه أكبر من ذلك ..

فى ٢١ / ١١ / ١٩٥١م طلب الملك فاروق ملك مصر مقابلة الأستاذ الهضيبي وأرسل إليه مندوبه الخاص " كريم ثابت " ليعرض عليه الأمر :

« فأخبره أنه لا يستطيع أن يوافق على ذلك إلا بعد عرض الأمر على مكتب الإرشاد ووافق مكتب الإرشاد » (وعرفت الإخوان . ص/ ٦٧) وحين وافق الهضيبي على لقاء الملك فاروق طلب منه كريم ثابت أن يأتى لابسا بدلة "ردنجوت" فقال له : « ليس عندى ، فقال كريم ثابت : سأبعث إليك بواحدة .. قال الأستاذ : فلما رجعت إلى المنزل وجدت بدلتين من الردنجوت قد بعثوا بهما لأختار أنسبهما لجسمى .. فلما كان يوم المقابلة قررت ألا ألبس الردنجوت .. وحين جاء الميعاد حضر كريم ليصحبنى إلى القصر .. فوجدنى ببدلتى العادية .. فسألنى ألم تصلك البدلتان الردنجوت . ؟ فقلت : قد وصلتا ، وسلمتهما له ، وقلت له : إننى قررت ألا أقابل

الملك إلا بملابسى العادية هذه .. وإن لم يكن مسموحا به فأرجوا إلغاء المقابلة ، لأننى لم أطلبها حتى تشترطوا على شروطا».(أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥١٣)

ترى ما المانع من المقابلة ..؟ يقول التلمسانى : « وكان من المتوقع أن يطلب الأستاذ الهضيبى مقابلة فاروق للمشاركة فى إنقاذ الوطن مما كان ينحدر إليه فى جميع نواحيه ، ولكنه رفض خشية أن يقال عنه إنه يسعى لمقابلة ، ولأنه كان يرى أن وضعه كمرشد للإخوان المسلمين فوق ذلك بمراحل واسعة ، وهو أحرص ما يكون على هذه الكرامة التى متعه الله بها فى مراحل حياته » (ذكريات لا مذكرات . ص/ ١٠٨)

فالهضيبي أكبر من المقابلة بمراحل .!

ولكن أين ذهبت تلك المراحل عندما سعى إلى عبد الناصر ؟

قال محمود عبد الحليم : « ولقد سعى الهضيبي للقاء عبد الناصر يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢ فى منزل صالح أبو رقيق ، ليقول له هذه الكلمات ، ويطمئنه أن الإخوان جميعا من ورائه» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٥٩)

وأين ذهبت تلك المراحل عندما زار السعديين فى أسيوط ، وأعلن استعداده لزيارة إبراهيم باشا عبد الهادى " رئيس وزراء مصر " متحديا إخوانه فى الجماعة ، كما نقل صالح عشماوى فى (مجلة النذير . عدد . ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م) قائلا « وفى اجتماع الهيئة التأسيسية أثيرت المسألة وثار الإخوان لهذه الزيارة ، وطلبوا من الأستاذ المرشد ألا يزور أحدا من السعديين مرة أخرى ولكنه ثار عليهم وقال : سأزور السعديين وسأتصل بابراهيم عبد الهادى أيضا متحديا بذلك شعور الإخوان وعواطفهم ». أهـ .. فأى شيءطمع فيه الهضيبي حين فكر فى زيارة إبراهيم عبد الهادى بينما كان متأففا من زيارة الملك فاروق ، وهو يعرض عليه ما يتمناه من العمل للإسلام .؟

لم يكن الهضيبي مقتفيا آثار حسن البنا، فقدكان حريصا أشد الحرص على لقاء الملك فاروق ، وذلك عقب صدور قرار حل الجماعة ..

قال محمود عساف : « وعندما قررت حكومة النقراشي حل الإخوان

المسلمين .كان الإمام حسن البنا حريصا على مقابلة الملك فاروق بأى وسيلة ولو فى السر » (مع الإمام الشهيد ص/ ١٥) وهم يهرولون الآن فى طلب مقابلة الرؤساء (انظر نافذة مصر نت . ١٨ / ٤ / ١٤٢٧هـ) .

لقاء الهضيبي مع الملك فاروق ...

تم لقاء المستشار الهضيبي مع الملك فاروق ملك مصر بعد موت حسن البنا بعامين تقريبا ، وفى هذا اللقاء عرض الملك فاروق على الهضيبي رغبته فى العمل للإسلام ونسيان الماضى ، وأكد له أن الإنجليز راحلون ، ولكن القضية فى الشيوعية لأنها ضد الدين ، كما فى (مجلة الدعوة. عدد٨٢- ١٩ ذى الحجة ١٣٧١ هـ الموافق ٩ / ٩ / ١٩٥٢م) قال الملك : « إن الإنجليز خارجون من البلد حتما، ولكن الخوف من الشيوعية وهى لا تتفق مع الدين» . وبين له أنه مسلم يحب الإسلام ويحب له الخير .قال محمود جامع فى كتابه (وعرفت الإخوان . ص/ ٦٨) : «وحضر الملك إلى مكتب السكرتارية وسلم عليه الهضيبي معتدل القامة شامخا..وأخذه الملك من يده مصطحبا إياه إلى غرفة مكتبه..ووجه إليه الحديث قائلا : لا أدرى لماذا يسىء الإخوان المسلمون الظن بى ؟ فلم يرد عليه الهضيبي ؛ وعاد يقول : إننى مسلم وأحب الإسلام وأتمنى له الخير ، وقد أمرت بإنشاء مساجد كذا وكذا فلماذا يكرهنى الإخوان .؟ ولم يرد عليه الهضيبي أيضا. الخ » أهـ وأقسم بالله العظيم أنه لم يأمر بقتل حسن البنا .فقال : وعاد الملك يقول : إن الإخوان قد فهموا خطأ أننى أنا الذى أمرت بحلهم واعتقالهم وباغتيال الشيخ حسن البنا ، وهذا والله العظيم خطأ ولم أفعل من هذا شيئا ، والذى فعل ذلك هم السعديون ، النقراشى وإبراهيم عبد الهادى ، وفى اللحظة التى تمكنت فيها أقلت إبراهيم عبد الهادى ، وأمرت الوزارة التى عينتها بالإفراج عن الإخوان . والهضيبي لا يرد . واستمر الملك فى استعراض تاريخه وما عمله من خير ، ونسب كل عمل سيء لغيره . وبين لحظة وأخرى يقول : لماذا يكرهنى الإخوان إذن؟والهضيبي لا يرد.. الخ وفى نفس العدد من مجلة الدعوة ، وانظر محمود جامع فى كتابه " وعرفت الإخوان " قال الملك : «ما رأيك يا حسن بك فى كل ما قلته ، وفى أننى على استعداد أن أعمل للإسلام ؟ فرد عليه الهضيبي قائلا :

سأعرض ذلك على الإخوان .. الخ » ..

وما لم يذكره محمود جامع . مما جاء فى مجلة الدعوة : أن الملك كلف وسيطا بينه وبين حسن الهضيبي ، كى ينقل إليه ما يريد أن يبلغه للملك ، بشأن العروض السابقة ، ولكنه لم يسترح لهذا الوسيط ، فتجاهله ولم يكلفه بأى شىء .. وأغلق باب النصيحة والموعظة ..

الهضيبى بعد المقابلة .

لم يستقبل الهضيبي كلام الملك بالفرح والسرور ، كما يستقبله أى داع إلى الخير ولم يرد ولم يتكلم ، وإنما أرجأ الجواب على عرض الملك حتى يعرف رأى مكتب الإرشاد ، فالمكتب أعلى سلطة وأكبر مكانة . وهذا غير صحيح فقد تجاوز عن أمر هيئة المكتب فى زياراته للسعديين .! والحقيقة أن الهضيبي لم يقبل من الملك شيئا ، لأنه كان يراه ضعيفا ، لا يستحق أن يقف بجواره .. وكان ينتظر أو يجهز لإسقاطه..

وعلى الرغم من أن الملك فاروق قابل مرشد الإخوان مقابلة كريمة ، كما ذكر فى نفس المصدر من مجلة الدعوة ، وكما حكى التلمسانى بقوله :« وفى هذه المقابلة كان محل احترام الملك وتقديره فعبر عنها بأنها مقابلة كريمة وهو صادق فى قوله ولم يقل: إنها مقابلة بناءة أو خلاقه أو حلت الكثير من المشاكل ، ولكن ما دام الملك قد قدره واحترمه فهى مقابلة كريمة » (ذكريات لا مذكرات . ص/ ١٠٨).

وعلى الرغم من أنه اصطحبه من يده ، وأجلسه إلى جواره ، وابتدأه بالسلام ، كما نقلت مجلة الدعوة الإخوانية ، كما تقدم : « وأخذه الملك من يده مصطحبا إياه إلى غرفة مكتبه» أهـ . إلا أن الهضيبي عامله بكل صلف ، فوضع ساقا على ساق، وتركه يتكلم ويسأل ، ولا يرد ، وحكى بعد المقابلة أنه كان فى مقابلة طفل صغير .. قال محمود عبد الحليم : وقال لى الأستاذ - الهضيبي- : « ووالله يا فلان لقد كنت أشعر وأنا أصافح ذلك الرجل ثم وأنا أجلس معه أننى أمام طفل صغير ، لا أشعر نحوه بأى رهبة ولا حتى باحترام » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥١٥) ..

هذا هو شعور الهضيبي .. فماذا كان جوابه ؟

والجواب يحكيه محمود جامع قائلا : « وبعد المقابلة بيوم واحد حضر إلى المركز العام للإخوان المسلمين كريم ثابت باشا ومعه صورة فاخرة للملك فاروق فى إطار فاخر (مهداه إلى صاحب العزة حسن إسماعيل الهضيبي بك المرشد العام للإخوان المسلمين) وموقعة بتوقيع الملك فاروق وقدمها كريم ثابت إلى المرشد العام طالبا تعليقها فى مكتبه ، وبعد خروجه رفض الهضيبي تعليقها فى أى غرفة فى المركز العام ولا فى منزله ، وكانت ملقاة فى غرفة الحمام فى منزله ، وقال الهضيبي (هذا هو مكانها)» (وعرفت الإخوان . ص/ ٦٨) .

فالهضيبي أمام الملك لا يرد ولا يتكلم ، وأمام الأنظار والصحف يقول " مقابلة كريمة لملك كريم " وبعيدا عن الأنظار يقول عن صورة الملك : "هذا هو مكانها فى الحمام " ثم بعد ذلك يقول : إنه "طفل صغير" فأين ذهب سجل التشريفات الملكية .. ؟

الجزاء من جنس العمل ...

لم يقتنص الهضيبي الفرصة التى أقر فيها الملك برغبته فى العمل للإسلام ، وأنه يحب الدين وأهله ، وتعامل معه بكل غرور ، حتى أورثه الله زمنا عض فيه على أنامله ، وعوقب بما تعالى به ، فلم ينل حظا مما هيأ له ، فقد كان ينتظر زوال مملكة فاروق ، ليركب على دولة عبد الناصر، فابتلى بعبد الناصر وأذعن له ، فلم يضع ساقا على ساق كما وضعها أمام الملك ، وإنما ضرب كفا على كف ، ولم يجد معه حيلة ولا سبيلا ، حتى قال له كما فى رسالته لحسن عشماوى : « قل لعبد الناصر نحن مستعدون أن نسلمه مفتاح المركز العام (أى ننهى وجودنا كجماعة ولا تراق نقطة دم واحدة من أى مصرى» (آفاق عربية.عدد ٦٤٨) وحسب رواية محمود عبد الحليم قال المرشد : « ياجمال عندما تشعر بضيق من الإخوان أبلغنى وأنا أسلمك مفتاح المركز العام ، ونقفلها حتى لا تقع فتنة»(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤١) .

وانتهى الأمر بهروب الهضيبي من إدارة المركز العام للإخوان ، وترك الميدان خاليا ، وترك أصحابه يتخبطون ، لا يدرون ماذا يفعلون ، وليس فى يد أحدهم قرار-

وهكذا الإخوان إذا فقدوا مرشدهم - واختفى المرشد فى الإسكندرية ، ولم يعد يملك من أمر نفسه شيئا ، ولا من أمر الدعوة كذلك ، وصار يصدر تصريحات نارية ، دعا فيها إلى الانقلاب على الثورة وتكفير الضباط ، الذين اعتبر حركتهم فى أول الأمر حركة إصلاحية ..فأى شيء كان يريد بهذا الإعراض؟ لقد سكت الهضيبي أمام الملك ، ولم يرد على أطروحاته ، ولم يقل له نريد شرع الله وسنة رسوله ﷺ ، وإنما قال سنعرض الأمر على المكتب ، وضيع الفرص المتاحة له فى العمل للإسلام ، لأنه لم يقبل قسم الملك فى عدم المشاركة فى مقتل حسن البنا ، وأن الذى قتل حسن البنا هم السعديون . تلك هى ملامح الدعوة الإخوانية : ظلمات بعضها فوق بعض .. تضييع للفرص .. عدم الموازنة بين المصالح والمفاسد .. عدم الدراية بمكانة الملوك والأمراء .. مقابلة الملك تحط من كرامة المرشد .. لا يقبل لقاء الملك المتعلق فى عنقه بيعة له إلا بعد موافقة مكتب الإرشاد . لا يقبل لبس البدلة الردنجوت ، لأنه لا يقبل الشروط . لا ينزل ساقا عن الأخرى علوا وكبراً.فهل كان هذا داعيا إلى الله تعالى أم كان داعيا إلى الإخوان.؟ لقد وضع الهضيبي مقتل حسن البنا فى كفة والإسلام فى الكفة الأخرى ، فاختار حسن البنا وضيع الفرصة المتاحة للإسلام . !

معاملة الوصى أو تهييج البلاد ..

كما لم يستطع الهضيبي التعامل مع الملك فاروق بمنهج الرعيل الأول ، وكان فتنة له ، كذلك لم يستطع التعامل مع ضباط الثورة بمنهج أئمة السلف .. وإنما كان يتعامل بمنطق القاضي ، الذى يشغله التجهيز لحيثيات الحكم ، قبل أن يشغله أى شيء آخر ، من أمور الدعوة والتعليم والتمييز بين المصالح والمفاسد ، فإنه لم يكن يتقن ذلك ، وكان يتعامل بمنطق الوصى على القصر والمحجور عليهم ..

وقد كان هذا من جملة الأسباب التى أدت إلى إنشاء بذور العداوة بين ضباط الثورة وحركة الإخوان .. ولم يكن للأستاذ الهضيبي كقاض متميز فى القانون الوضعى مكانة علمية متميزة فى علوم الشريعة الإسلامية ، ولم يكن له حجة مع ضباط الثورة فى المفاهيم السياسية ، حتى يكون مقنعا لهم ، ولم يكن له قوة فى

التأثير ، ولا علم بالحديث ، ولا فصاحة فى البيان ، وهى أمور لازمة فى تلك المواقف ، وإنما كان يسكت ، كما سكت أمام الملك ، وإذا تكلم تكلم فى حيز الأنفة، وعدم الإقبال على المدعو . قال القرضاوى : « كانت شخصية الهضيبي شخصية القاضى يستمع كثيرا ويتكلم قليلا ، فإذا تكلم كان حكما صارما يجب على الآخرين الإذعان له ، وينفذ بكل دقة ، ولم تكن لديه مؤهلات الخطابة والمحاضرة والتصنيف » (آفاق عربية ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ).

فهو متأثر بالمدلول اللفظى لكلمة المرشد. تلك الكلمة التى تؤكد مفهوم الوصاية على الغير . وصورتها فى إيران هى نفس صورتها عند رئيس وزراء فلسطين المقال حيث يرأسه خالد مشعل رئيس المكتب السياسي لحركة حماس .. كما هى كذلك صورتها عند الإخوان المسلمين ذراع الشيعة فى مصر .. فالدولة فى إيران لها مرشد روحى ، ولها رئيس تنفيذى ، والمرشد وصى على الرئيس ووصى على الأمة ، وكذلك عند الإخوان ..فقد سئل محمد عاكف من قبل الأستاذ عبد زينه مراسل " الشرق الأوسط " عن موقف الإخوان من الترشيح للانتخابات الرئاسية ، فقال : «لن أرشح نفسي لأنني في موقع لا يجوز فيه أن أترشح لرئاسة الجمهورية ، ولكن هناك من الإخوان من يستطيعون أن يقودوا هذه الأمة إلى الحرية والخير والعدل.

- هل تقصد أن منصب المرشد العام أفضل من منصب رئيس الجمهورية؟ - ليس أفضل، ولكن مسؤوليته أكبر من مسؤوليات رئيس الجمهورية ، فأنا أعين على صلاح هذا البلد . كما أن تنظيم الإخوان عالمي ودولي ، وأنا خادم للدين الإسلامي والأمة ، ولا شأن لي بالرئاسة » (الشرق الأوسط ١٢ مايو ٢٠٠٥) .

وفى رسائل الهضيبي لضباط الثورة ما يبرهن على إيمانه بمفهوم الوصاية على الحكام ، فقد ذكر محمود جامع نقلا عن الأستاذ حسين الشافعى أن الهضيبي قال له بعد انتقادات وجهها لرجال الثورة : « ولا بد أن يكون الأمر شورى ، وأن يعرض على الإخوان أى قرار أو قانون جديد قبل إصداره كسابق الاتفاق ، وقال له بلغ جمال ذلك ، وقال له أيضا : (أنتم مش نافعين) (وعرفت الإخوان . ص/ ١٠٣)

وذكر محمود عبد الحليم أن الهضيبي هرب رسالة من سجنه ، ذكر فيها أنه : « من أوجب الواجبات على الإخوان المسلمين أن يذكروكم بأنه لا يمكن أن يبت فى شئون البلاد فى غيبتهم »(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤٧) . .

ومن أعجب ما قرأت فى أمر الوصاية أن الإخوان عابوا على الشيخ الباقورى قبول منصب وزير الأوقاف ، واتهموه بالنفاق وحب الدنيا ، بسبب أنه كان متعلقا ببيعة إخوانية ؛ وهذا يجعله بالضرورة لا يتصرف ولا يستجيب لداع ، ولو كان رئيس الدولة ، إلا بعد استئذان المرشد. بل ولا حق لرئيس الدولة أيضا أن يباشر مهامه إلا بعد استئذان المرشد . يقول التلمسانى : « إن عبد الناصر أختار الباقورى وزيرا للأوقاف دون أن يخطر المرشد ودون أن يستأذن الباقورى مرشده ، رغم ما كانت فى عنقه من بيعة » (ذكريات لا مذكرات) .

ومع ذلك يزعم الإخوان أن المرشد لم يجعل نفسه وصيا على الدولة . وللعلم فقد كان اختيار الشيخ الباقورى وزيرا للأوقاف فى رئاسة محمد نجيب الذى بايعه الإخوان جميعا فى مظاهرة عابدين .. وقد أظهر الهضيبى رغبته فى الوصاية على الثورة عند اختلافه مع الضباط فى العدد الذى يتحدد به الملكية.حيث كان عبد الناصر يرى أن تحدد الملكية بمائتى فدان ، بينما كان يرى الهضيبى أن تحدد بخمسمائة فدان . فقال : « إنه لكى تؤيد هيئة الإخوان الثورة أن يعرض عليه أى تصرف للثورة قبل إقراره ، فرد عليه البكباشى جمال عبد الناصر : إن هذه الثورة قامت بدون وصاية أحد عليها ، وهى لن تقبل بحال أن توضع تحت وصاية أحد ، وإن كان هذا لا يمنع القائمين على الثورة من التشاور فى السياسة العامة مع كل المخلصين من أهل الرأى دون التقيد بهيئة من الهيئات. ولم يلق هذا الحديث قبولا فى نفس المرشد» (فى قافلة الإخوان . ص/ ٣٧١) .

ولقد كان لتجاهل الهضيبي لمخالفيه واستعلائه عليهم ، وضعفه البالغ فى التودد إليهم ، وسكوته فى مجالسهم ، كان ذلك حائلا دون تحقق الخير للبلاد والعباد ، وهذا هو الذى بينه عبد الناصر لأعضاء الهيئة التأسيسية ، قائلا : « كنت حريصا منذ

قيام الثورة على أن أتشاور مع المرشد العام فى الشئون الهامة للدولة ، ولكننى لا حظت أن المرشد العام لا يهتم بلقائى وزملائى معه ، بل ينظر إلينا نظرات لا تشعرنا بالتقدير ، حتى إننى عقب كل اجتماع لنا معه كنت أشكو هذا الشعور إلى صلاح سالم ، الذى كان يرافقنى فى أكثر هذه الاجتماعات ، التى كانت تتم عادة فى بيت المرشد ، شعرت بمهانة وعدم مبالاة بى لم أتعودها فى حياتى ، إلى حد أننى قررت أن أقطع اتصالاتي بهذا الرجل .. وقلت لصلاح : إن الاجتماع القادم تذهب إليه وحدك ، لأننى لم أعد أطيق هذه المعاملة. ولكن صلاح رجانى أن أحضر معه الاجتماع القادم على أن تكون هذه آخر مرة إذا حدث فيها ما يحدث عادة فلن أرغمك بعد ذلك .. قال جمال : وذهبنا أنا وصلاح إلى منزل المرشد العام ، وجلسنا فى حجرة الصالون حتى دخل علينا وألقى علينا السلام وجلس دون أن يتكلم ، وطال صمتنا.. وصمت الرجل الذى كنا ننتظر أن يبتدرنا بالكلام ، كما هو معتاد باعتباره صاحب البيت ونحن ضيوفه ، إلا أن الرجل اعتصم بالصمت حتى تصبب العرق من وجوهنا خجلا ، لأننا شعرنا كأنما نحن دخلاء اقتحمنا على الرجل بيته دون رغبته ، مع أننا كنا على موعد »(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤٠٤) .

لغة الخطاب عند الهضيبي .

فى لقائه مع الملك فاروق جلس الهضيبي أمام الملك واضعا ساقا على ساق ، ولم يتراجع عندما انتبه إلى ذلك .. قال : « إننى سهوت عن نفسي وتنبهت فوجدت نفسي فى وضع عجيب !! وجدتنى جالسا على الفوتيل واضعا إحدى رجلى على الأخرى !! ففكرت فى الرجوع إلى الجلسة المناسبة ، ولكنى قررت ألا أغير هذا الوضع وظللت كذلك حتى انتهاء المقابلة ...» (مجلة الدعوة . عدد٨٢- ٩ / ٩ / ١٩٥٢م) (وعرفت الإخوان . ص/ ٦٨) وفى لقائه مع الأستاذ حسين الشافعى " نائب رئيس الجمهورية " أرجأه فى غرفة الانتظار - فى بيته ساعتين كاملتين - دون أن يقابله ، ثم حضر وسلم عليه وجلس كذلك "واضعا ساقا على ساق " - كما وضعها من قبل أمام الملك - والكلام للأستاذ محمود جامع ، فى نفس كتابه (وعرفت الإخوان . ص/ ١٠٣) وفيه كذلك أن السيد حسين الشافعى قال للهضيبي

« لو كان حسن البنا على قيد الحياة ماعاملنى هذه المعاملة»أهـ

هل أنزل الهضيبي ساقه فيما بعد أم بقي على حاله ؟

والجواب يحكيه محمد عبد الحليم حامد فى كتابه (مائة موقف من حياة المرشدين . ص/ ٧٨،٧٩) قائلا : « كان من عادة الأستاذ الهضيبي أن يجلس في الزنزانة واضعا رجلا على الأخرى . وفي أحد الأيام دخل عليه صلاح الدسوقي الشنشاوي أركان حرب وزارة الداخلية (وكان يومئذ عبد الناصر وزيرا للداخلية) ومحافظ القاهرة فيما بعد.. فبقي الأستاذ الهضيبي كما هو .. ولم يقم ، ولم يغير جلسته (فاشتاط الششتاوي غضبا) ثم قال : أيعجبك ما أنت فيه يا هضيبي؟ فأجاب المرشد: نعم ..يعجبني ما أنا فيه. قال الششتاوي : هل يعجبك وضع هؤلاء ؟ وأشار إلى الإخوان .. لقد جئت بهم إلى السجن.. وجررت عليهم البلاء والتشريد ، وتسببت في ألم أهليهم وأسرهم.. فقال المرشد : هل اشتكى أحد منهم لك ؟ عندما يشتكي أحد منهم لك تعال وأخبرني .. اذهب إلى أي أحد منهم واسأله (هو بيلعن مين ؟) فعلق المؤلف قائلا : فبهت الششتاوي وأفحم» أهـ

التلمساني يضع الساق على الساق ...

لم يكن الهضيبي بمفرده الذى كان يضع ساقا على ساق ، بل إن المرشد الثانى عمر التلمسانى كان كذلك أيضا ، وذلك فى أول لقاء تم بعد الثورة بين الضباط والإخوان فى منزل الهضيبي ، قال : « جلست كعادتى على مقربة من الباب . وجاء عبد الناصر وقدم لى تحية . فقبلتها ، وكنت أضع رجلا على رجل .. وكان مقتضى اللياقة والأدب أن أقف أو أن أنزل ساقى عن وضعها ، والرجل يقف أمامى .. وفى ثوان دارت معركة فى خاطري . إن ظللت جالسا فقد خالفت قواعد البروتوكول، وإن وقفت فقد يظن بى البعض أنى أقف لرئيس الوزراء نفاقا لا لياقة . فآثرت أن أكون مخالفا لقواعد اللياقة على أن يظن بى أنى منافق وبقيت على حالتى، وما أظن عبد الناصر قد نسى ذلك» (بعض ما علمنى الإخـوان . ص/ ٥٧ . مطبعة دار الثقافة) .

قلت : لقد كانت معركة نفسية خائبة ، زرعت بذور العداوة والبغضاء فى الساسة بغير حكمة ولا بصيرة ..

بصيرة أئمة السلف ..

لم يكن للإخوان بصيرة فى الدعوة إلى الإسلام ، ولم يكن لهم نظر فى المصالح والمفاسد . انظر إلى فقه أئمة السلف فى التعامل فى مثل هذه المواقف ، وقارن بينه وبين فقه هؤلاء ، لتعلم وزن قادة الإخوان فى التعامل مع الساسة .

وشتان ما بين الثرى والثريا ..

قال الحافظ ابن حجر العسقلانى فى الإصابة فى ترجمة عبد الله بن حذافة :
ومن مناقب عبد الله بن حذافة ما أخرجه البيهقي من طريق ضرار بن عمرو عن أبي رافع قال : « وجه عمر جيشا إلى الروم وفيهم عبدا لله بن حذافة فأسروه ، فقال له ملك الروم تنصر أشركك في ملكي فأبى ؛ فأمر به فصلب وأمر برميه بالسهام فلم يجزع ، فأنزل وأمر بقدر فصب فيها الماء وأغلى عليه وأمر بإلقاء أسير فيها ، فإذا عظامه تلوح فأمر بإلقائه إن لم يتنصر ، فلما ذهبوا به بكى ، قال : ردوه .. فقال: لم بكيت ؟ قال : تمنيت أن لي مائة نفس تلقى هكذا في الله . فعجب .. فقال : قبل رأسي وأنا أخلي عنك . فقال : وعن جميع أسارى المسلمين . قال : نعم .. فقبل رأسه فخلى بينهم ، فقدم بهم على عمر فقام عمر فقبل رأسه...»

قال ابن حجر : « وأخرج ابن عساكر لهذه القصة شاهدا من حديث ابن عباس موصولا وآخر من فوائد هشام بن عثمان من مرسل الزهري» أهـ

وقد كان الإمام ابن تيمية على بصيرة كبرى فى سياسية الملوك والأمراء .. كان ينظر فى مصالح المسلمين ولا يوردهم المهالك .. فقد خرج إلى مقابلة الغازان ملك التتار ، ليمنعه من مساعدة ملك الكرج على المسلمين فى دمشق ، ليحفظ دماء المسلمين ، وأعراضهم ، لا ليعين عليهم بجهالة ، كما فعل الهضيبي مع الإخوان المسلمين .. قال العلامة محمود شكرى الألوسى (رحمه الله) :

« وأخذ الشيخ فى الكلام معه فى عكس رأيه من تسليط المخذول ملك الكرج على المسلمين ، وأخبره بحرمة دم المسلمين ، وذكره ووعظه فأجابه إلى ذلك طائعا وحقنت بسببه دماء المسلمين وزراريهم وصين حريمهم.. » (غاية الأمانى ٢ / ١٧٠- ١٧٧).

حسن الهضيبي فى عيون الإخوان ...

تلك المعاملة التى تعامل بها الهضيبي مع مخالفيه كانت حجر عثرة أمام الدعوة إلى الله تعالى ، وقد أدرك مخازيها كثير من الإخوان..من هؤلاء "الأستاذ أحمد عبد العزيز جلال ، الشيخ محمد الغزالى ، الأستاذ صالح عشماوى ، الشيخ سيد سابق . من الهيئة التأسيسية ..

اتفقوا جميعا على احتلال المركز العام لجماعة الإخوان ، وأعدوا خطة لاقتحام منزل المرشد العام ، ودفعه إلى الاستقالة ، ونشروا بذلك بيانات فى الصحف ، وكانت معركة حامية الوطيس ، ترتب عليها فصل الثلاثة الأول من الهيئة التأسيسية .. وفى حيثيات قرار الفصل اتهموهم بالكذب ، وقالوا عنهم : « إنهم اعتصموا فى دار المركز العام ، وظاهروا الشباب المعتصمين وجرءوهم على ذلك ، وبذلك خرجوا على القانون ، أنهم ادعوا كذبا أن المرشد العام أعلن استقالته على الملأ .. الخ » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٢٤٨) .

وقد أرجع صالح عشماوى قرار الفصل إلى مرض أصاب الدعوة الإخوانية بسبب الهضيبي ، فقال : « يخطىء من يظن أن الأحداث الأخيرة فى محيط الإخوان كانت نتيجة لقرار المكتب القاضى بفصل أربعة من خيرة الإخوان ، من غير توجيه اتهام إليهم أو تحقيق معهم ، وبدون إبداء أسباب ، إنما الحقيقة أن هذا القرار كان عرضا لمرض أصاب الدعوة منذ مجيء الأستاذ حسن الهضيبي مرشدا عاما للجماعة، وتبدو أعراض هذا المرض تارة فى تصرفات المرشد العام وأخرى فى قدرات مكتب الإرشاد ومرة ثالثة فى الهيئة التأسيسية ». (مجلة الدعوة . عدد . ١٥١ . ٥ يناير ١٩٥٤م) .

٢ ـ ومن الذين اعترضوا على وجود الهضيبي واتفقوا على خلعه من رئاسة مكتب الإرشاد أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية . وقد اتفقوا على ذلك بعد هروب الهضيبي ، واختفائه عن الأنظار ، حيث قام البهى الخولى : « فجمع التوقيعات لخلع المرشد لما آلت إليه الأمور، وتفاقمت بسببه الأحداث » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤٠٠) .

٣ – وكان أفراد النظام الخاص يرون المرشد العام عقبة أمام التعامل مع الثورة ولا بد من خلعه من هذا المنصب ، نقل ذلك عنهم محمود عبد الحليم (٣/٢٢٥) قائلا : « وحجتهم فى ذلك أن الأستاذ الهضيبي رجل دخيل على الدعوة ، وهو عقبة فى سبيل التفاهم مع الثورة ، وأن التفاهم مع الثورة أمر ضرورى لتحقيق مبادىء الدعوة ، وأن الثورة مستعدة للتفاهم مع الإخوان ، ولكن الهضيبي هو الذى يرفض»أهـ وذكر كذلك أن بعض هؤلاء الشباب أعد خطة مسلحة لمهاجمة أعضاء الهيئة التأسيسية فى حالة صدور قرارات لا تؤيد الجماعات المعارضة للمرشد العام (انظرالمصدر السابق. ٣ / ٥٠٣)

كما أعدوا خطة خلع المرشد ، وقد تم فصلهم بتهمة العمالة والخروج على النظام ، وهم " أحمد عادل كمال ، محمود الصباغ ، أحمد زكى ، عبد الرحمن السندي "وقد لقى محمد الغزالى نفس الاتهام ..

٤ – ومما هو جدير بالذكر أن القرضاوى كان من جملة الخارجين على المرشد، قال : « وأنى كنت ـ أنا وأخى العسال والدمرداش وآخرون – أقرب إلى صف المشايخ لاعتبارات ذكرتها هناك » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ)

وقد وصف القرضاوى المرشد فى نفس العدد من آفاق عربية بأوصاف متعددة ، تتوافق مع هذا الاعتبار ، الذى يحول دون تعاون ضباط الثورة معه، ذكر منها ما يأتى:

١ – « كانت شخصية الهضيبي شخصية القاضى يستمع كثيرا ويتكلم قليلا ، فإذا تكلم كان حكما صارما على الآخرين الإذعان له وينفذ بكل دقة ولم تكن لديه

مؤهلات الخطابة والمحاضرة والتصنيف ..»

٢– (وكان أقرب الناس إلى حسن الهضيبي من كانوا فى مثل طبقته من العلية غالبا ، وإن لم يبعد الآخرين أو يطردهم ، ولكن كما قيل فإن شبيه الشىء ينجذب إليه ، وإن الطيور على أشكالها تقع . وربما كون بعضهم لنفسه فكرة غير صحيحة عن المرشد الثانى ، وأنه رجل متكبر أو متعال أو غيره»

٣– « وأنه كان يعامل عبد الناصر ورجال الثورة بعزة واستعلاء ، معاملة الند للند والسيد للسيد ، اعتزازا منه بأنه يمثل دعوة الإسلام ، ولعل هذه هى النقطة الأخيرة التى جعلت بعض الإخوان يقولون : « إن موقف الأستاذ الهضيبي من رجال الثورة عامة ، ومن عبد الناصر خاصة هو الذى ولد هذه الفجوة بين الطرفين التى انتهت إلى خصومة وانتهت إلى صراع طويل ... ولكنه نفر منهم ونفروا منه ، وأغلظ عليهم وأغلظوا له ، وساء ظنه بهم ، فساءتِ ظنونهم بالجماعة...» ثم قال ويرجع ذلك لكونه صاحب شخصية أرستقراطية ، كما صورها القرضاوي بقوله : «وكان حسن الهضيبي بحكم منصبه ودرجته الإدارية والمالية ورتبة البكوية التى يحملها رجلا أرستقراطيا كما يقولون »أهـ .

انقسام الإخوان ..

وبعد الخلاف مع عبد الناصر انقسمت الهيئة التأسيسية لمكتب الإرشاد فى الحكم على عبد الناصر فى زمن الهضيبي ثلاثة أقسام ، كما جاء فى كتاب (أحداث صنعت التاريخ٣ / ١٦٥) :

١– طائفة تربطهم بجمال وزملائه صداقة شخصية من قبل قيام الثورة . وهؤلاء رأوا أن صداقتهم الشخصية تلزمهم أن يكونوا فى صف جمال وأن يدافعوا عنه دفاعا منبعثا من هذه الصداقة .

٢– وطائفة استبعدوا حدوث مثل هذا وحملوا الحديث على محمل المبالغة ، وطلبوا أن يمنحوا فرصة للتحقق من ذلك (وكان على رأسهم عبد القادر عودة وكيل الإخوان).

٣- وطائفة صدمتهم هذه الصورة ولكنهم تذكروا أن قلب العبد بين إصبعين من أصابع الرحمن ، وأن للسلطة فتنتها .. حتى إن عبد القادر عودة كان يتصل بجمال ويسأله عن هذه القضية الخطيرة .. وجمال ينكر ما قاله المرشد العام ويقول : إنني قلت : « إننا سنحكم بالقرآن ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك ، ولا بد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن ، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك . الخ حتى أصبحت جلسات الهيئة التأسيسية صراعا بين تيارين تيار يذهب لجمال ويواجهه بما قاله المرشد ، فينكر جمال ويقول هذا كذب ، وأنا سأحكم بالقرآن ، ولكن حين يأتي الظرف المناسب .. فيعود عبد القادر عودة مدافعا عن جمال عبد الناصر ومطالبا بتأييده تأييدا مطلقا.. وتيار يحذر من مغبة التأييد المطلق وهم طائفة المرشد»أهـ ...

وقد أكد هذا الاختلاف أحمد رائف قائلا : « كان المرشد العام للإخوان المسلمين حسن الهضيبي فى واد ، وكل الإخوان المسلمين فى واد آخر بالنسبة لنظرتهم إلى جمال عبد الناصر والثورة...» (الصفحات .ص/ ٢٥٣) .

فلو كان الإخوان ديمقراطيين كما يقولون لنزلوا على حكم الأغلبية منهم ، فكل الإخوان كانوا مع عبد الناصر ، ولكن ديكتاتورية الهضيبي حملته على استمرار النزاع مع الثورة ، واعتبار كل من يخالفه عدوا أو عميلا .! يعامل معاملة الكفار والفساق ، كما عامل محمد الغزالى وسيد سابق ..

ولكن ما شعور الهضيبي عندما تبين له أن الإخوان لا يريدونه . ؟

الجواب : عبر عن ذلك أمام محكمة الثورة حين سئل عن سبب اختفائه ، فقال : « أنا كنت رحت علشان قيل إن الإخوان عاوزين يتفقوا مع الحكومة ، وإن أنا اللى واقف عقبة فى سبيل الاتفاق ، فسافرت وقعدت شهرين ونصف ، وعدت فوجدت الحالة متوترة أكثر ، وقيل لى إن الحكومة عاوزة تغتالنى .

الأمر الثانى : إنى وجدت الإخوان غير متفقين فأنا إكمالا لخطتى أننى أبعد عنهم اعتزلت» (فى قافلة الإخوان . ص/ ٥٢٤).

وقد اعترف الإخوان أن الأسلوب الذى تعامل به الهضيبي مع الرئيس عبد الناصر لم يكن هو الأسلوب المناسب فى التعامل مع زعيم دولة له تلك القوة ، وقالوا لو كان حسن البنا فى موقف الهضيبي لكان له أمر آخر. قال القرضاوى فى (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) نقلا عن هؤلاء : « ويقولون لو كان حسن البنا فى موقف حسن الهضيبي لكان له موقف آخر ، ولا استطاع برفقه وتلطفه ولين طبعه أن يجذبهم إلى ساحته ، وأن يأخذهم بالتى هى أحسن » أهـ

وقد أكد جماعة من قادة الإخوان بعد حادث المنشية ١٩٥٤ - وهم يتعاتبون على مصيرهم ويتلاومون على أخطائهم ، بعد أن دخلوا السجون والمعتقلات - أن عبد الناصر كان ينوى الحكم بالشريعة ، ذكر ذلك السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان . ص/ ٥٧٨) قائلا : « فمن قائل لو أننا صبرنا على الحكومة ولم نستعجل مخاصمتها ؟ ومن يقول : إن الحكومة كان فى نيتها الحكم بالشريعة ، ولكنها كانت ترى أن هذه خطوة يجب أن تكون متأخرة حتى تستقر الأوضاع ، وأن الإعلان عن الحكم بالشريعة يغلق علينا أبواب دول فى الشرق والغرب»أهـ

وذكر محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٨٦) فى مذكرة التصالح التى عرضها على عبد الناصر كثيرا من الفضائل التى قدمتها الثورة للإخوان ، وفيها : « إظهار التأسف على ما حدث من نزاع بين طائفتين من المسلمين أخذ فى إشعاله شياطين الإنس والجن .الخ ثم سرد الأعمال الطيبة التى قام بها ضباط الثورة من الإفراج عن الإخوان ، والتحقيق فى مقتل حسن البنا ، وعزمهم على إقامة السد العالى ، وقال إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة ، ومثل هؤلاء لا ينبغى أن نرميهم بالكفر. » أهـ

وحكى فريد عبد الخالق فى لقاء " شاهد على العصر " أنه لما علم بوفاة عبد الناصر وهو فى السجن حزن عليه وانسابت دموعه على خديه.. كما وصفه قائلا : « إنه حقا كان رجلا شريفا طاهر الذمة » (محمود جامع آفاق عربية عدد ٦٦٠) .

كما حكى القرضاوى فى مذكراته التى تنشرها (آفاق عربية ١٤ رمضان

١٤٢٥هـ) : « أن عبد الناصر لم يجلس فى حياته على مائدة يشرب فيها الخمر ، ولم تكن له علاقات نسائية محرمة ...» أهـ.

ويضاف إلى ذلك مناقب أخرى فى مجال العمل الإسلامي منها : أنه أنشأ منظمة المؤتمر الإسلامى ، كما أنشأ مدينة البعوث الإسلامية ، كما أنشأ فى زمنه ١١ ألف مسجد ، كما أنشأ المجلس الأعلى للشئون الإسلامية ، الذى أصدر فتوى تقول بحرمة الفوائد البنكية بأنواعها الثلاثة (أ، ب، ج) ، وذلك فى أوائل الستينات. كما أنشأ إذاعة القرآن الكريم ، ورفض طلبا من روسيا بإنشاء حزب شيوعى فى مصر ، بالرغم مما قام به الروس من أعمال مدنية فى مصر ، كبناء السد العالى وغيره .. كما قام بحل حزب البعث الشيوعى فى سوريا قبل إبرام الوحدة معها ، ورفض نشر رواية " أولاد حارتنا " لنجيب محفوظ مستجيبا لقرار مشيخة الأزهر فى ذلك.. كما أصدر القرار الشهير بحل جميع محافل الطائفة البهائية ووقف أنشطتها وجاء فى القرار رقم ٢٦٣ لسنة ١٩٦٠م : مادة ١ : « تحل جميع المحافل البهائية ومراكزها الموجودة بإقليمى الجمهورية ويوقف نشاطها ويحظر على الأفراد والمؤسسات والهيئات القيام بأى نشاط مما كانت تباشره هذه المحافل وهذه المراكز » (نشر بالجريدة الرسمية ١٩ يوليو ١٩٦٠ العدد ١٦١) ...

لم يرقب الإخوان الأمر على بصيرة فى التعامل مع عبد الناصر . فهم يرفضون كافة العروض ، ويصرون على الانقلاب ..

قضية خطيرة

وعبد الناصر يصل إليه ما يدور بينهم .

قضية خطيرة نتجت من تصرفات حمقاء أدارها الإخوان ، بغير علم من الدين، ولا فهم للسياسة مع واحد من أخطر الشخصيات فى التاريخ المعاصر . لم يتجاوز الثالثة والثلاثين من عمره ، لو صاحبه عالم من علماء التوحيد والسنة بالدليل والبرهان ، لا سيما الزهاد منهم ، الذين يرغبون فيما عند الله على ما عند الناس ، الذين يؤثرون مصالح الوطن على المصالح الخاصة ، فأعطاه حقه من السلطان لأعطاه عبد الناصر حقه من العلم والدعوة ، ولكان لعبد الناصر شأن آخر لو أراد الله له ذلك .. ولكن لله فى خلقه شئون .. فقد كان السلف ينهون عن النزاع الطويل على الحكم ، ويحثون على اقتفاء سبل النصيحة والإصلاح .. ولكن الإخوان آثروا النزاع ، وهو مطلع على خططهم ومؤامراتهم ، التى تنقل إليه منهم . . فماذا تنتظر أن يفعل بهم وهو يعلم أنهم يجهزون له النعوش .؟ لا بد أن ينظر الإخوان فى أنفسهم ، ليعلموا كيف ينفرون القريب ويبغضون البعيد ، ويرفعون درجة المواجهة بغير علم ولا سلطان ، ولا يعملون لمصلحة الإسلام إلا بأفهام قاصرة ، تغير القلوب والنفوس وتثير الفتن .. والقلوب أولا وآخرا بين إصبعين من أصبعين من أصابع الرحمن يقلبها كيف يشاء ، وكل إنسان مسئول عن عمله .. ولكن لابد من الاعتراف بحقيقة الأسباب وأثرها فى النتائج ..

المواجهات المشتعلة من ١٩٥٢م / ١٩٥٤م

كانت الأحداث الآتي ذكرها أسبابا مؤثرة فى إشعال المواجهة بين الإخوان وضباط الثورة ، حتى تم مطاردة الإخوان فى القطر المصري ، والقبض على ثمانمائة رجل منهم ، والزج بهم فى السجون والمعتقلات ، وذلك عام ١٩٥٤م . والأحداث هى :

١- رفض الإخوان الإعلان عن تأييد الثورة فى أول مهدها ..

٢- رفض الدخول فى هيئة التحرير .

٣- رفض الاشتراك فى وزارة محمد نجيب ..

٤- فصل الشيخ أحمد حسن الباقوري عقب اشتراكه فى الوزارة ..

٥- المطالبة بعودة ضباط الجيش إلى الثكنات ، حل مجلس قيادة الثورة

٦- إعانة محمد نجيب ونقض بيعة عبد الناصر فى مظاهرة مارس ١٩٥٤م

٧- عودة التنظيم السري الخاص لمباشرة أعماله ..

٨- رفض الاتفاقية التى تمت بين كبراء الإخوان وبين عبد الناصر ..

٩- رفض اتفاقية الجلاء ...

وقد كان لرفض الإخوان اتفاقية الجلاء . التى عقدها عبد الناصر مع الإنجليز وتهديدهم له بالقتل ، وقولهم : " إن الاتفاقية لن تمر " مع كثرة المنشورات السرية التى كان يصدرها الإخوان متهمين عبد الناصر بالاستيلاء على أموال التنظيم السيري ، والدعوة إلى الخروج على حركة الجيش ، وتكفير ضباط الثورة .. الأثر الأكبر فى توسيع هوة الخلاف بين ضباط الثورة والإخوان ..

تنظيم الضباط الأحرار نشأة وثورة ..

نرجع إلى العلاقة بين تنظيم الضباط الأحرار و جماعة الإخوان .. كيف كانت وكيف انتهى أمرها .. وحسب مصادر الإخوان فقد أنشىء تنظيم الضباط داخل الجيش المصرى الملكى فى أوائل الأربعينات ، واستمر هذا التنظيم باسم مستعار ، تمويها على البوليس السياسي .. وقد كان المسئول عن هذا التنظيم : الصاغ محمود لبيب والشيخ حسن البنا ، وذلك حفاظا على السرية . قال أحمد رائف : « وكانت فكرة الصاغ محمود لبيب أن يطلق اسم الضباط الأحرار على تنظيم الإخوان المسلمين فى الجيش ، وهذا من باب التمويه وخداع البوليس السياسي ، وكان من يعرف سر هذا التنظيم تفصيلا الصاغ محمود لبيب والشيخ حسن البنا ، نظرا لخطورة الأمر ، والحيطة فى عدم إفشاء أسراره» (صفحات من تاريخ الإخوان .ص/ ٢٩٥) .

وكان الهدف من هذا التنظيم هو الانقلاب على الملك ، كما أكد أحمد رائف فى لقائه مع " قناة الجزيرة الفضائية " ، قائلا : « ومشروع الانقلاب مشروع إخوانى أولا وأخيرا ، كان في رأس حسن البنا ، وتكلم فيه مع عزيز المصري باشا ووافقه عليه ، وكذلك مع محمود لبيب ووافقه عليه ، وترك لهم مهمة الإعداد والترتيب » (الجزيرة نت . ٥/ ٢/ ٢٠٠٦ م)

وقد بايع عبد الناصر حركة الإخوان : « وكان معه من الذين قدر لهم أن يشتهروا بعد حسين كمال الدين حسين ، حسين الشافعى ، عبد اللطيف بغدادى ، حسن إبراهيم ، خالد محى الدين ، حسين حمودة »(الصفحات .ص / ٢١٠) وحسب رواية عبد الحليم كانت المبايعة عام ١٩٤١م ، ذكر ذلك عن معروف الحضري بقوله : « بايعنا الأستاذ الإمام حسن البنا على المصحف والمسدس باعتبارنا عسكريين فى عام ١٩٤١ ، وكان معنا فى المبايعة جمال عبد الناصر» (أحداث صنعت التاريخ٣ / ٤٨٤) .

واستمر الصاغ محمود لبيب - وكيل جماعة الإخوان - فى قيادة التنظيم ، حتى إذا أدركه مرض الموت ، أعطى جميع أوراق التنظيم لعبد الناصر ، ثقة فيه ، دون

غيره من الإخوان ، وكان ذلك بعد وفاة حسن البنا ١٩ / ٢ / ١٩٤٩م ..

قال أحمد رائف فى كتابه السابق . ص/ ٢٢٠ : « كان الصاغ محمود لبيب هو الذى يعرف شخصيا كل عضو فى تنظيم الإخوان من ضباط الجيش ، ثم سلم هذه القائمة لجمال عبد الناصر عندما اشتد به المرض ، وسلمه أيضا الأموال الخاصة بهذا التنظيم»أهـ

إعادة تشكيل تنظيم الضباط الأحرار...

وفى عام ١٩٥٠م قام عبد الناصر بإعادة تشكيل تنظيم الضباط الأحرار مرة أخرى ، وجمع فيه كل وطنى ، بصرف النظر عن اتجاهه الفكرى ، ثم قام بتنحية ضباط الإخوان من التنظيم ، بحجة الدواعى الأمنية ، وليفسح الطريق أمام الضباط الوطنيين.. ووافق الإخوان على ذلك .. قال أحمد رائف : « واتفق على أن يكون مجال عبد الناصر ومن معه من ضباط جدد إلى التنظيم من كافة الاتجاهات ، والذى يجدون فيه تدينا وصلاحا يرسلونه إلى الإخوان ، ويبقى معه أصحاب النزعة الوطنية الذين لا يتقيدون بقواعد الدين. وكان هذا لسلامة الضباط ، وعدم تجريم الإخوان فى اتصالهم بالجيش ، أو هكذا استطاع أن يقنعهم ، وكانت هذه النقطة هى بداية انطلاق عبد الناصر فى التحرر من التبعية للتنظيم الإخوانى ، مع الاحتفاظ بتأييده ودعمه لكل خططه »(الصفحات . ص/ ٢١٩)

ثم جعل عبد الناصر بينه وبين المرشد العام مجموعة اتصال عن طريق بعض الإخوان ، ولكنها كانت غير تامة .

قال الأستاذ أحمد رائف : « تم فصل تنظيم "ضباط الأحرار"- الذى أنشأه الإخوان - عن الإخوان عام ١٩٥٠ . وتولى عبد الناصر قيادة التنظيم .. وتشكلت لجنة للاتصال بالضباط الأحرار مكونة من منير دلة وصالح أبو رقيق وصلاح شادى وعبد القادر حلمى وحسن عشماوى » (الصفحات . ص/ ٢٤٧) وقد زعم معروف الحضرى أن عبد الناصر طلب منه الانضمام لتنظيم الضباط الأحرار ، ولكنه اعتذر ، فقال : « ثم علمنا أن عبد الناصر أنشأ تنظيما آخر خاصا به لا يتقيد بمقاييس الإخوان ، وحاول استغلال صداقته لى فى جذبى إلى تنظيمه فرفضت ، وحاول إغرائي بكل وسائل الإغراء ولكنه فشل .. وأبديت اعتذاري له بأننى لا أستطيع أن أتخلى عن تنظيمي ولا أستطيع أن أعمل فى تنظيمين معا » (أحداث صنعت التاريخ ٣/ ٤٨٤) .

وهذا القول حسب روايات أحمد رائف غير صحيح ، باعتبار أن عبد الناصر أخرج ضباط الإخوان من التنظيم ، فكيف يطلب من الحضري بعد ذلك الانضمام إلى التنظيم وهو من الإخوان . ؟

غير أن شهادة معروف الحضري تبين أن تنظيم الضباط الأحرار تنظيم مستقل النشأة ، ولا علاقة للإخوان به ، خاصة بعد حرب ١٩٤٨ م ، وبعد حل جماعتهم على يد النقراشي باشا عام ١٩٤٩م ، وبعد موت حسن البنا عام ١٩٤٩م ، وبعد عزل ضباط الإخوان من التنظيم ١٩٥٠م .. وهذا ما يؤكده ضباط الثورة .

ثم قام عبد الناصر بالتجهيز للثورة بمفرده ، ولم يكن أحد من الإخوان يعرف ذلك ، ولم يكن المرشد العام على اطلاع كامل بما يدور فى حركة الإخوان ، ولا بما يدور فى تنظيم الضباط الأحرار ، ولا بما يدور فى مجموعة الاتصال التى كانت بين عبد الناصر وبين الإخوان.. وكان عبد الناصر يقوم بعمله بسرية بالغة حتى إن بعض الضباط الوطنيين لم يكن على اطلاع بتفصيلات الثورة .. وبالضرورة لم يكن ضباط الإخوان يعرفون شيئا عن طبيعة عمل التنظيم ..

قال أحمد رائف : « وبطبيعة الحال كانت الأمور تسير دون علم ضباط الإخوان الأصليين بما يدور ، مثل عبد المنعم عبد الرءوف وأبو المكارم عبد الحى وغيرهم ، الذين فصلوا عن تنظيم الضباط الأحرار ، ليعطوا الفرصة لإلحاق العناصر الوطنية غير الإسلامية للدخول فى التنظيم»(الصفحات.ص/ ٢٥٠) واتفق الضباط الوطنيون على القيام بالثورة ، ولم يكن عبد الناصر يريد اشتراك أحد من ضباط الإخوان فيها .. وفى لقاء غير متوقع قام صلاح نصر – وهو من الضباط الوطنيين – بتبليغ عبد المنعم عبد الرءوف " وهو من ضباط الإخوان السابقين فى تنظيم الضباط الأحرار ، الذين لم يدخلوا لجنة الاتصال " باقتراب موعد الثورة ، و" أن الاستعدادات قد تمت" (المصدر السابق ص/ ٢٥٠) .

ولم يكن صلاح نصر على علم بأن الضابط / عبد المنعم عبد الرءوف خارج التنظيم .. ولم يكن عبد المنعم على علم بتلك الاستعدادات .. فتوجه عبد الرءوف

إلى عبد الناصر للاستفسار عن ذلك ، فتدارك عبد الناصر الأمر ، وقام بتحميله مسئولية قيادة كتيبة " قصر التين " ، حتى لا يفقد تأييد الإخوان كجبهة شعبية . . قال أحمد رائف : « كان عبد الناصر حريصا كل الحرص على استخدام الإخوان وعدم الانفصال عنهم فهو على يقين أنهم القوة الشعبية الكبيرة» (الصفحات . ص٢٣٠/) فأخبر عبد المنعم عبد الرءوف حلمى عبد المجيد " رئيس التنظيم الخاص الجديد للإخوان " بأمر الثورة ، وتوجه الأخير بدوره إلى المرشد فى الإسكندرية ، ليستفسر عن رأيه فى الثورة والانقلاب ، فقال الهضيبي : « بلغ عبد الرءوف (وأبو المكارم) عبد الحى أن هذه الحركة حركتنا ، ونريد لها النجاح ، وعليهما ألا يدخرا وسعا فى ذلك» (الصفحات . ص/ ٢٥١) فأثبت الهضيبي صلته بالحركة بقوله : " الحركة حركتنا " مع أن علاقته بها كانت منقطعة فى غالب أمرها .. قال أحمد رائف : « وانعدام الوحدة والتجانس فى صفوف الإخوان جعل شخصية مثل حسن الهضيبي وهو على رأس الجماعة لا يعرف بتفصيل ما يدور بين جماعة الاتصال هذه وتنظيم الضباط الأحرار ، ولا يعرف موعد الانقلاب إلا قبل وقوعه بأيام ، حيث طلبت منه الموافقة عليه ، وضغط عليه فى قبولها ، بحجة ضيق الوقت ، رغم تردده الشديد لنقص المعلومات لديه وارتيابه فى إمكانية النجاح » (الصفحات . ص/ ٢٣١) .

ولم يكن للمرشد العام ولا غير المرشد أى اتفاق مع ضباط الثورة . قال أحمد رائف فى نفس كتابه (ص/ ٢٣١) : « ولم يكن بينهما أى اتفاق واضح ، غير ثرثرة هنا وهناك ، أغلبها من رياض الصالحين ..! » أهـ

وهذا هو الذى واجه به عبد الناصر قادة الإخوان بعد الثورة بخمسة أيام ، فلم يرد عليه أحد بكلمة ، وسكت المرشد ، قال أحمد رائف :

« التقى المرشد العام بجمال عبد الناصر فى بيت "صالح أبو رقيق " يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢ وقال له : أنا لم أتفق على شىء مع هؤلاء يا فضيلة المرشد وها هم أمامك . ولم يعلق أحد من الجالسين وكان منهم صلاح شادى وحسن عشماوى وسكت المرشد بقية الجلسة التى استمرت ساعتين » (الصفحات . ص/ ٢٣٣)

وقد أكد المرشد العام كلام عبد الناصر ، قائلا له : « اسمع ياجمال .. ما حصلش اتفاق..وسنعتبركم حركة إصلاحية» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧)

بل إن المرشد كان قد صرح تصريحا واضحا لجريدة " المصرى " قبل ذلك قال فيه : « ليس هناك صلات سابقة بين الإخوان والجيش .. وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش فى حركته الأخيرة أمر غير صحيح» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٣٩) .

والإخوان يعتبرون هذه الجملة من عبد الناصر " أنا لم أتفق على شيء مع هؤلاء " نقضا للعهد ، وتراجعا عن الحكم بالقرآن .

ولم يكن هذا مقصد عبد الناصر - لأنه بين لهم أنه سيحكم بالقرآن بالتمهيد لذلك ، كما نقل لهم عبد القادر عودة " وكيل الإخوان " ، بعد الثورة - وإنما كان المقصد منها هو ما أرسل من أجله عبد الناصر وفد الإخوان للمرشد فى الإسكندرية لاستطلاع رأيه فى الحكم بعد الثورة ومدى رغبة الإخوان فيه . فطلب المرشد تعيين على ماهر باشا حاكما على البلاد ، ولم يقل له بيننا وبينكم اتفاق على أن تعودوا إلى الثكنات .قال الهضيبي : « واقترحت أن يتولى الحكم على ماهر باشا ، على أساس أنه غير حزبى ، وكان رئيسا للوزارة وقت وفاة الملك فؤاد، واستطاع أن يقود البلاد وتطمئن له جميع الجهات»(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٣٦) .

ثم تفتق ذهن الأستاذ الهضيبي متأخرا ، وقال لإخوانه بعد ذلك :" العصر ليس عصر الإخوان " .

قال أحمد رائف : « وجد الإخوان أنفسهم فى حرب لم يفهموها ولم يدركوا أبعادها ، وتناولوها تناولا ساذجا ، حتى بدت الصورة لبعضهم ولبعض أصحاب النظرة الجزئية أن الأمر لا يعدو صراعا على السلطة فى بلد صغير اسمه مصر» (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ٢٣٧)

وقامت الثورة وتأخر بيان الإخوان فى تأييدها ، لأنها ليست ثورتهم فى الحقيقة، وهم لا يدرون ماذا يفعل الإنجليز بهم .. ولم يكن للإخوان فى هذه الثورة

إلا ما كان من قيادة عبد المنعم عبد الرءوف الكتيبة التى حاصرت قصر التين، وبعض الإخوان الذين وقفوا على طريق السويس ، وبعض المظاهرات التى قامت لتأييد الثورة، وبعض المنشآت التى أمروا بحراستها .. أما تكتيكاتها وأسلحتها وكتائبها فكلها تابعة لتنظيم الضباط الأحرار .. ومن أكبر الأدلة على ذلك أن الضابط عبد المنعم عبد الرءوف طلب من عبد الرحمن السندى إعداد ألف رجل من التنظيم الخاص الإخوانى بملابس الجيش ، ليقوم بالقضاء على مجلس قيادة الثورة فى أول عهدها ، لتكون الثورة إخوانية ، فلم يوافقه على ذلك ، وهذا يدل على أن الكتيبة التى كان يقودها عبد المنعم لم تكن كتيبة إخوانية . قال أحمد رائف : « وقد حكى لى المرحوم عبد المنعم عبد الرءوف .. أنه اقترح على عبد الرحمن السندى أن يمده بألف من الإخوان يرتدون ملابس الجيش ، ويقوم بالقبض على مجلس الثورة ، ولم يكن يعرفه أحد فى هذا الوقت ، ويكون الحكم إخوانيا. ولم يستطع عبد المنعم عبد الرءوف أن يحقق شيئا من هذا » (الصفحات . ص/ ٢٣٢) .

ولو فعل عبد المنعم ما فكر فيه لدخل فى عدة مواجهات ، لن يكون هو أحد المستفيدين منها : مواجهة مع الحرس الحديدي للملك ، ومواجهة مع ضباط الثورة، ومواجهة مع الإنجليز .. مواجهة مع الأحزاب .

رفض الإعلان عن تأييد الثورة ..

لم يكن عنصر المواجهة الخاص بصيانة المبادىء وتحمل تبعاتها أمرا يعرفه الإخوان فى ذلك الوقت ، فهم يريدون مغنما لا يؤثر على وجودهم كجماعة ، ولذلك فهم يختبئون خلف الأسوار دائما ، انتظارا لما تتمخض عنه المواجهة بين ضباط الثورة وبين حرس الملك (فالمرشد العام فى العصافرة بالإسكندرية ، بعيدا عن مواقع الأحداث) .. فإذا نجحت المواجهة ظهروا ، وقالوا نحن وراء كل ذلك ، وإذا خسرت قالوا نحن براء من ذلك ، وهؤلاء :« ليسوا إخوانا وليسوا مسلمين» . فهل من الممكن أن يساوم الإخوان بتاريخهم فى قضية لا يعلمون نتائجها ..؟

فقد رفض الهضيبي الإعلان عن تأييد الثورة فى الصحف فى أول مهدها ، حتى يتأكد من تنازل الملك عن العرش ، ويطمئن على زوال ملكه ، ومن ثم زوال الخطر الذى قد يعترض حركة الإخوان إذا فشلت الثورة ، ويظهرها بمظهر الخائن للبيعة .. قال محمود عبد الحليم : « إن المرشد طلب من وفد الإخوان إبلاغ جمال موافقته وتأييده وحمايته للثورة ، كما طلب إبلاغه أنه ليس من المصلحة أن تظهر للثورة علاقة بالإخوان ، حتى لا يتدخل الإنجليز لمقاومتها» (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٣٦) .

وقد كان هذا الرد من أوجه العتاب الذى لقيه المرشد والإخوان من ضباط الثورة، كما ظهر فى البيان الذى أصدره ضباط الثورة ، بمناسبة حل جماعة الإخوان وجاء في البيان كما نقله صاحب (قافلة الإخوان . ص/ ٣٧١) :

« فى صباح يوم الثورة استدعى الأستاذ حسن العشماوى لسان حال المرشد العام إلى مقر القيادة العامة فى كبرى القبة ، وأبلغ إليه أن يطلب من المرشد العام إصدار بيان لتأييد الثورة ، ولكن المرشد بقى فى مصيفه فى الإسكندرية لائذا بالصمت ، فلم يحضر إلى القاهرة إلا بعد عزل الملك ، ثم أصدر بيانا مقتضبا»أهـ

فلم يتم إعلان البيان المطلوب بتأييد الثورة جهرا من قبل المرشد . مخافة أن

ينقض الإنجليز على الثورة ، ويتحمل الإخوان التهمة من غير قبل بها ، وليتحمل ضباط الثورة المواجهة والخسارة بمفردهم ، ولتبقى صورة الإخوان ناصعة البياض لم يشبها شائبة .. وإمعانا فى إظهار عدم الاتفاق مع الثورة ، وهروبا من المسئولية فى حالة الفشل صرح الهضيبي لمندوب جريدة " المصرى " تصريحا قال فيه كما تقدم : « وما يقال عن اتفاق مشترك بيننا وبين الجيش فى حركته الأخيرة أمر غير صحيح » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٣٩) .

وقد كان عذر الهضيبي فى هذا التصريح أنه يريد نجاح الثورة ، وألا ينقض عليها الإنجليز . فالذى قام بالثورة ضباط لا علاقة لهم بالإسلام ، وهذا يطمئن الإنجليز .. ويزعم الإخوان أن هذا كان من حرص المرشد على الثورة .. وهذا عذر غير مقبول لمن يريد أن يقيم الخلافة ، أو يحكم الأمة من مشارقها إلى مغاربها ، أو يكون وصيا على الثورة ، بينما هو مختبىء وراء الأستار .. وعذر غير مقبول لمن كان يحث الملك على طرد الإنجليز ، وهو يعلم أن لا قدرة للجيش ولا للملك على ذلك .. ولكنهم يريدون إغراق الملك والبلد بغير حساب ، وعند المواجهة يفرون اتقاء بطش الإنجليز .. والحقيقة التى لا مراء فيها أن الهضيبي رفض الجهر بتأييد الثورة فى أول الأمر ، لأنه لم يكن متأكدا من نجاحها ، وهذا بالضرورة يخيفه من تحمل تبعاتها.. تلك هى العلة الحقيقية التى جعلته يتردد فى قبولها ، كما بين أحمد رائف: « طلبت منه الموافقة عليها ، وضغط عليه فى قبولها ، بحجة ضيق الوقت ، رغم تردده الشديد لنقص المعلومات لديه ، وارتيابه فى إمكانية النجاح » (صفحات من تاريخ الإخوان .ص/ ٢٣١) .

بيانات التأييد بعد رحيل الملك ...

بعد أن استتب الأمر لضباط الثورة وخرج الملك من البلاد قام الإخوان يصدرون بيانات التحيات ، وذلك فى٢ أغسطس/ ١٩٥٢م ، قال الهضيبي :« الآن وقد وفق الله جيش مصر العظيم لهذه الحركة المباركة ، وفتح بجهاده المظفر أبواب الأمل فى بعث هذه الأمة وإحياء مجدها التليد وأزال عقبة كانت تصد عن سبيل الله والحق وتعوق المصلحين.الخ» (أحداث صنعت التاريخ ٣ . / ١٤١) .

هذا هو بيان الهضيبي ، وفيه أيد الثورة مع مخالفته لها فى الباطن ، واعتراضه على أفرادها فى الحقيقة ... وفيه جعل ملك مصر صادا عن سبيل الله ، ناقضا بذلك مسارعاته إلى سجل التشريفات الملكية ، ليؤكد ولاءه له ، وناسيا عرض الملك عليه التعاون من أجل الإسلام ، وناقضا تحايا الإخوان السابقة للملك " يعيش الملك . يحيا الملك " ولم يكن الهضيبي بمفرده الذى بارك ضباط الثورة ، بل فعل جميع الإخوان ذلك .. ووصفوا ضباط الثورة على العموم بالبواسل ، وذكروا أنهم أيد أمينة .. قال محمد عبد الله السمان : « وفجأة وثب الجيش الباسل وثبته المباركة بعد أن مزق اليأس آمال الأحرار ، ولم يبق لديهم ذرة واحدة من الأمل تداعب نفوسهم ، وهدفت أول ما هدفت إلى تخليص مصر من طاغوتها الأكبر وتسليم الحكم إلى أيد أمينة نظيفة» (مجلة الدعوة . عدد ٨٢ الصادر فى ٣١ أغسطس ١٩٥٢م) وأيد صالح العشماوى وزراء الثورة ، وهنأهم على الوزارة ، فقال : « لقد فرحنا بهذه الوزارة وهؤلاء الوزراء (يقصد أول وزارة للثورة) لا لأننا نعرفهم ، ونريد أن نتغنى بمحامدهم ، وننشر صورهم على الناس ، ونصفق لهم ، ولكننا فرحنا لأنهم وزراء ثورة أحدثوا وسيحدثون انقلابا فى أفكار الناس وتقديراتهم». (مجلة الدعوة الصادرة فى ١٦ / ٩ / ١٩٥٢م . عدد ٨٣).

وجعل الغزالى ما فعله ضباط الثورة بالملك آية من آيات الله تعالى وقال: «واليوم تصدر هذه الطبعة وفى الشرق دوي هائل للعمل الضخم الذى حققته عناية

الله فى مصر. فقد طرد مليكها الغر (فاروق) شر طردة ، وهتكت الأستار عن الفضائح المخزية ، التى طالما ارتكبها هذا الفاسق وأعوانه . وتمت هذه الآية على يد الجيش ، الذى حسبه الطغاة سندا لهم وأبى الله إلا أن يكون هلاكا عليهم : ﴿قد مكر الذين من قبلهم فأتى الله بنيانهم من القواعد فخر عليهم السقف من فوقهم وأتاهم العذاب من حيث لا يشعرون﴾ (الإسلام المفترى عليه . ص/ ١٤) .

ويبايع الإخوان عبد الناصر فى عدة مواضع بعد الثورة ..

أ- قال محمود عبد الحليم : « ولقد سعى الهضيبي للقاء عبد الناصر يوم ٢٨ يوليو ١٩٥٢ فى منزل صالح أبو رقيق ليقول له هذه الكلمات ويطمئنه أن الإخوان جميعا من ورائه) (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٥٩) .

ب - وكذلك أكد فريد عبد الخالق لعبد الناصر بيعة الشعب بأكمله له ، قائلا: « إحنا بنصارحك الديمقراطية لا بديل لها ، وأنت يجب أن تكون ثقتك فى أن الشعب سيتمسك بك ، ولن يرضى عنك بديلا ، أما أن تشكك فى ذلك فهذا أمر غريب فعلا .. لماذا تشكك ؟» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١).

ت - وكذلك بايع حسن عشماوى عبد الناصر . بقوله : « الإخوان معك وهم يؤيدونك »- ولكن عبد الناصر لم يكن يثق فيهم ، كما أنهم لم يكونوا يثقون فيه- فرد قائلا :«هذا غير مضمون»(الصفحات.ص/ ٢٥٦) ...

وبعد هذا البيان قام الإخوان ينسبون الثورة لأنفسهم ويفرضون عليها الوصاية .. وقد قامت بجهد الذين واجهوا المخاطر بمفردهم ـ مخاطر البوليس السياسي بجبروته وسطوته ، ومخاطر الحرس الحديدى للملك ، ومخاطر الإنجليز- وأرادوا هم الركوب عليها وجنى ثمارها - ولو أنها فشلت لقالوا نحن أبرياء منها ومن أهلها .. وتصريحات المرشد لجريدة المصري وثائق دالة ومؤكدة لذلك .. ومن اشترك من الإخوان في تلك الثورة فليتحمل المسئولية بمفرده والجماعة منه بريئة ـ ولا أظن للإخوان مع عظم تشكيلاتهم ودقة تنظيماتهم وكثرة عددهم - كما يزعمون - القدرة على القيام بثورة ضد الملك مع ضعف دولته ، ولكن عبد الناصر فتح لهم الطريق ،

وسهل عليهم الأمر ، ولأجل ذلك استرخصوه للركوب بالمظاهرات والقتل ، والاتفاق مع محمد نجيب ضده ، على الرغم من زعمهم أن محمد نجيب كان على اتصال بالإنجليز ، ليقوى جبهته ضد جبهة عبد الناصر .. ومع ذلك لم يقدروا عليه ، فالوجه السياسي كان أكبر من حجمهم ، وقد اعترفوا بذلك ، ولكن بعد فوات الأوان .. قال أحمد رائف : « إنهم كانوا فى مرحلة لا يعرفون من معهم ومن عليهم ، وخططهم غير واضحة ، وخبرتهم السياسية ضعيفة » (الصفحات . ص/ ٢٣٣) .

ولو كان للإخوان علم بالواقع والسياسة ماتركوا تنظيم الضباط الأحرار الذى زعموا أنهم أول من أنشأه ينسحب من تحت أيديهم ، ليخرجوا منه ، بخفى حنين ، لا ناقة ولا جمل ، اكتفاء بمجموعة من المتصلين به ، ممن لا دراية لهم .غير أنهم فى الحقيقة كانوا قلة فى تنظيم الضباط الأحرار ، ولذلك أخرجهم عبد الناصر منه بدون تعب وعناء .

٢- رفض هيئة التحرير..

فى ديسمبر ١٩٥٢طلب عبد الناصر من الإخوان أن يندمجوا فى هيئة التحرير ، وأن يكونوا مسئولين عنها ، كما قال محمود جامع فى كتابه (وعرفت الإخوان ص/ ٩٢) .. ولم يكن أمر العداوة قد نشب فيما لا مخرج منه بين عبد الناصر وبين الإخوان ، فقد كان هذا العرض بعد الثورة بأشهر قليلة ..

ومما يؤكد انتفاء العداوة بينهما أن عبد الناصر حل جميع الأحزاب السياسية إلا جماعة الإخوان ، وبارك الإخوان القضاء على جميع الأحزاب التى يتحالفون مع أمثالها الآن ، وزار عبد الناصر قبر حسن البنا ، وخطب عليه خطبة حماسية ، وحكم على قتلة حسن البنا بالأشغال الشاقة ، بعد أن كانوا مطلقى السراح ، وأفرج عن جميع المسجونين من الإخوان فى جميع قضايا التفجيرات والأوكار فى زمن الملك .. من هذا المنطلق عرض عبد الناصر على كبار الإخوان تولى مسئولية هيئة التحرير .. يقول محمود جامع : « وفى ديسمبر ١٩٥٢ أرسل عبد الناصر فى طلب صلاح شادى وطلب منه الجلوس مع إبراهيم الطحاوى للتشاور فى أمر هام ، وكان

الأمر الهام بعد جلوس صلاح مع الطحاوى هو أن الثورة فكرت فى إنشاء تنظيم سياسي شعبى واحد بعد حل جميع الأحزاب ، تذوب فيه كل القوى الوطنية والتى تتمسك بالقيم الإسلامية ، دون الإعلان عن شعاراتها ، وتذوب فيه أيضا جماعة الإخوان المسلمين..واختاروا له اسم هيئة التحرير ويكون رئيسه من الإخوان وليكن صلاح شادى » (وعرفت الإخوان . ص/ ٩٢) .

وقد رفض الإخوان هيئة التحرير بحجة أن عملهم مقصورعلى التربية الإسلامية، كما عبر عن ذلك فريد عبد الخالق لعبد الناصر بقوله : « أما بالنسبة لدخولنا هيئة التحرير فليس هناك تعارض من أن تقود أنت التنظيم السياسي عن طريق هيئة التحرير، ونبقى نحن دعاة للتربية الإسلامية.. أما رأيك أن تندمج الجماعة مع هيئة التحرير . فهذا شبه بالضبط بمن يضع زيتا وماء ويحاول أن يمزجهما ببعض . مش ممكن أبدا يمتزجان »(أحداث التاريخ . ٣ / ٤٠) وهذا هو نفس ما احتج به صلاح شادى للطحاوى قائلا له : « هيئة التحرير حزب سياسي ونحن جماعة دينية » أهـ وفى موضع آخر قالوا له نريد الديمقراطية . قال عبد الناصر : « أنا أقول لكم ادخلوا هيئة التحرير ، وتولوا أنتم أمرها ، وتصبح هى مسرح نشاطكم ، وأنتم بترفضوا ، عايزين أيه أمال . فرد عليه فريد عبد الخالق قائلا : اسمع ياجمال :

« إحنا بنصارحك .. الديمقراطية لا بديل عنها » ثم ختم حديثه بما لا يذكر بالله ولا باليوم الآخر قائلا له : « الذى سيحكم لك أو عليك هو التاريخ» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٤١) .

فلم يعترضوا على فكر هيئة التحرير فى أول الأمر ، ولم يقولوا إنها هيئة شيوعية أو ماركسية ، كما قالوا فيما بعد .. ولو كانت كما زعموا فلماذا قالوا لعبد الناصر : " قد أنت هيئة التحرير " .!

والحقيقة أن هيئة التحرير لم تتبلور اتجهاتها الفكرية منذ إنشائها عام ١٩٥٢م – ١٩٥٣م حتى عام ١٩٥٧م . قال الأستاذ عبد الله إمام فى كتابه " دراسة فى فكر عبد الناصر ص/ ٥١٩ .مطبعة دار الشعب). وفيه قال عبد الناصر : « لو كنت قعدت

معاكم بوم ٢٣ يوليو ما كنتش أعرف الكلام ده ، لأنى ما كنتش مشيت فى تجربة العشر سنين اللى أنا اتوجدت فيها فى العشر سنين اللى فاتت » أهـ ..

فقد أتاح عبد الناصر للإخوان فرصة العمل المنظم التابع للدولة ، مع التمسك بالقيم الإسلامية كما قالوا فى كتبهم .. ولكنهم رفضوا ، لأنهم أعطوا بيعة للمرشد ، ولا يمكن أن يتركوا بيعة المرشد لبيعة غيره .. وبالإضافة إلى أن اسم " الإخوان " صنم تفوق درجة التمسك به حقيقة المنهج نفسه ! فقد بين فريد عبد الخالق الوجهة الإخوانية الأخرى فى رفض الاندماج مع هيئة التحرير . وهى النضال من أجل الديمقراطية والتاريخ . وليس لكونها هيئة ماركسية .

والسؤال : ألم تكن الديمقراطية موجودة فى زمن الملك فاروق ؟

بلى : كانت موجودة ، فقد كانت الحكومات تصعد وتنزل بالمخططات الحزبية والانتخابات البرلمانية ، وقد شهد كثير من المؤرخين السياسيين أن الانتخابات البرلمانية التى تمت عام ١٩٤٩م- ١٩٥٠م تمثل على حد قولهم نموذجا راقيا للنزاهة والحياد من قبل الحكومة على وجه لم يتحقق من قبل وقد شارك الإخوان فى تلك الانتخابات بكل قوة ، ومع زعمهم أنهم كانوا أكثر تنظيما وأرسخ جذورا وأكثر عددا، إلا أنهم رسبوا جميعا ولم ينجح منهم أحد ، كما شهد بذلك كثير من السياسيين يقول الأستاذ محمد عبد المنعم فى (آفاق عربية ١٧ ذى الحجة ١٤٢٥هـ): « نحن الذين كنا محور العالم العربى والإسلامى فى الأربعينات والخمسينات من القرن الماضى .. كانت مصر نموذجا للحرية الشاملة التامة ، تلك التى تتوارى إزاءها الآن أعرق النظم الآخذة بالحرية والديمقراطية» أهـ

فإذا كانت الديمقراطية غايتهم ، كما يقولون ... وإذا كانت بهذا التقدم وهذا الرقى فلماذا انقلبوا عليها ؟..

كان من الواجب أن يتضمن كلام فريد عبد الخالق نوعا من المصداقية ، حينما طالب عبد الناصر بالديمقراطية والحرية ، بينما هو يعيش فى وسط جماعة استبدادية لا تعرف إلا الطاعة العمياء ..

والحقيقة أن الأستاذ فريد كان يريد للإخوان دورا أكبر من هيئة التحرير فى الحكم .. فالديمقراطية التى سألها .. ليست هى العمل الدعوى .. إنه يريد السلطة .. فلم يكن رفض الإخوان دخول هيئة التحرير مبنيا على كونهم مختصين بالتربية الإسلامية فهذا خلاف ما يعتقدون ، فهم الآن يتحالفون مع كافة الأحزاب باختلاف أشكالها وصورها ، ويتخذون مستشارين من النصارى ، وقد تحالفوا ابتداء مع الثورة، وهى لا تحمل فكرهم ، وجعلوا أنفسهم تحت الخدمة..

إنما كان رفض هيئة التحرير قائما على خلفية نفسية أنهم إذا رأوا فى أنفسهم قوة فإنهم لا يقبلون الخضوع والنزول لسلطان أولياء الأمور ، بأى حال من الأحوال ، حتى لو كانوا الصحابة الكرام .. وقد كان تعليق حسن عشماوى " أحد أعضاء الهيئة التأسيسية للإخوان" على هيئة التحرير يدل على عمق تفنن الإخوان فى صناعة أعدائهم ، وعظم تفريطهم فى كسب ضباط الجيش إلى صفهم فى أول الثورة ، حتى صارت دولتهم أعدى دول العالم للإخوان .قال حسن عشماوى لعبد الناصر : « أنت تجمع حثالة الناس فى هذه الهيئة ، ولن يأتى فيها غير بقايا الأحزاب ، ومن لا رأى لهم ، أم تراك تريد شراء البعض ليهتفوا لك ؟ ورد عليه عبد الناصر قائلا : أيوه.. أنا أشتريهم ليهتفوا لى أحسن ما يشتريهم غيرى ليهتفوا ضدى » (الصفحات . ص/ ٢٥٦).

لماذا فكر عبد الناصر فى هيئة التحرير؟

كما تشير كتب الإخوان يتضح أن فكرة هيئة التحرير لم تكن خدعة لهم .. وإنما كانت خدعة للدول الكبري لعلم عبد الناصر أن تلك الدول لن تقبل بوجود الإخوان فى الصورة السياسية للدولة . ومن أجل ذلك قال عبد الناصر لضباط الثورة كما ذكر الإخوان فى كتبهم : « نستطيع خداع الدول الكبري لو قبل الإخوان تجميد نشاطهم ، والاندراج فيما يمكن أن نسميه بهيئة التحرير ، ويكفى أن ننزع اللافتات من فوق شعب الإخوان ، ونضع مكانها لا فتة عليها اسم هيئة التحرير» (الصفحات . ص/ ٢٣٤) هذا مع الاحتفاظ بالمفهوم الإسلامي أساسا للتغيير المنشود.. كما أشار

فريد عبد الخالق بقوله : إنه : أي « عبد الناصر أكد تمسكه بالإسلام أساسا للتغيير المنشود ، وأن هدفه الإسلام إلا أنه قال إن من المصلحة عدم المجاهرة بذلك في بادىء الأمر ، ولكن تؤخذ الأمور تدريجيا ، حتى لا يحارب أعداء الإسلام الحركة في أول عهدها»(الإخوان في ميزان الحق. ص/ ٨٢) .. وهذا النهج يوضح أن عبد الناصر أراد الإخوان الجانب الشعبي المهتم بالناحية الدينية والأخلاقية في الثورة .. وهذا هو ما أكد عليه ضباط الثورة ، كما ذكر محمود جامع بقولهم :« الثورة فكرت في إنشاء تنظيم سياسي شعبي واحد بعد حل جميع الأحزاب تذوب فيه كل القوى الوطنية والتي تتمسك بالقيم الإسلامية دون الإعلان عن شعاراتها » (وعرفت الإخوان . ص/ ٩٢) لكن الإخوان كانوا يريدون رأس الضباط أو عودتهم إلى الثكنات صاغرين ، و لم يفهموا القضية من الوجهة السياسية..

مقارنة بين فكر عبد الناصر والهضيبي ..

لو قارنا بين موقف الهضيبي في عدم الجهر بتأييد الثورة في أول عهدها وبين موقف عبد الناصر من إنشاء هيئة التحرير ، لوجدنا التفكير واحدا. فالهضيبي أخفى اشتراك الإخوان في الثورة ، بعدم الجهر بتأييدها ، ليخفي التوجه الإخواني للثورة عن الإنجليز كما زعم . وعبد الناصر أخفى وجود الإخوان في هيئة التحرير خداعا للدول الكبرى .. فالهضيبي - على حد زعمهم - أراد خداع الإنجليز ، حتى لا يفسدوا الثورة ، وعبد الناصر أراد خداع الدول الكبرى ، حتى يدفع مؤامراتهم ويفسد خططهم ضد الثورة .

فهذا أخفى الإخوان أثناء الثورة ، وهذا أخفى الإخوان بعد الثورة . ولكن كل شيء يقبل إذا قاله الإخوان والمرشد العام ، ولا يقبل إذا قاله غيرهم .

٣- رفض الاشتراك في وزارة نجيب وفصل الباقوري ..

عرض عبد الناصر على الإخوان الاشتراك في وزارة محمد نجيب فأبوا ، وقد ذكر ذلك الإخوان ، قالوا : « إن عبد الناصر اتصل بالهضيبي تليفونيا وطلب منه ترشيح مجموعة من الإخوان ليكونوا وزراء في الوزارة الجديدة ، وطلب منه الهضيبي

مهلة لكي يعرض الأمر على مكتب الإرشاد ، وأخبره الهضيبي بعد ذلك بأن الإخوان رفضوا الاشتراك في الوزارة ، ورشح له بعض المدنيين المعروفين بالسمعة الطيبة والاستقامة » (وعرفت الإخوان.ص/ ٩١) .

وأكد هذا الرفض محمود عبد الحليم نقلا عن صلاح شادي ، قائلا :

« وذهبنا إلى المرشد واجتمع مكتب الإرشاد واتخذوا قرارا بعدم المشاركة في الوزارة بعد مناقشات طويلة .. فقد رأى البعض أن اشتراكنا في الوزارة سيجعلنا مبصرين بكل الخطوات التي تقوم بها الحكومة ، ولكن المرشد كان له رأي آخر وهو أنه لو حدثت أخطاء من الحكومة فإنها ستلقى على الإخوان ، فضلا عن أن رسالة الإخوان كما كان يراها المكتب في تلك الآونة هي عدم الزج بأنفسهم في الحكم » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٣٨)

وقد مثل هذا الرفض بالنسبة لضباط الثورة خروجا على الثورة .. ومما أثار نفوس ضباط الثورة تجاه الإخوان ودفع إلى النظر إليهم كخصم مناوىء أنهم قاموا بفصل الشيخ الباقوري ، إبان اختياره وزيرا للأوقاف. وكان الإخوان يقصدون من هذا الرفض المفاصلة بينهم وبين ضباط الثورة ، كما أشار السيسي، قائلا : « إلا أن قرار الفصل قد وضع حدا فاصلا وكشف عن مفاصلة صريحة وواضحة بين رجال الجيش وجماعة الإخوان المسلمين »(قافلة الإخوان ص/ ٣٠٢) وقد اعترض الباقوري على هذا الفصل . قال عساف : « أصيب الباقوري على أثر ذلك بمرارة شديدة وأبدى استنكاره الشديد لقرار المكتب ، ذلك لأنه لا يجوز أن يفصل أحد من الإخوان مادام الإخوان رجال دعوة ، وليسوا حزبا أو تشكيلا اجتماعيا أو سياسيا» (الإمام الشهيد . ص/ ٢٦٥)

وقد كان فصل مكتب الإرشاد للباقوري أحد المبررات التي استند إليها ضباط الثورة لحل جماعة الإخوان ، كما جاء في قرار الحل ، وفيه : « استدعى البكباشي جمال عبد الناصر الأستاذ حسن العشماوي ، وعاتبه على هذا التصرف الذي يظهر الإخوان بمظهر الممتنع عن تأييد وزارة الرئيس محمد نجيب ، وهدد بنشر جميع

التفاصيل التى لازمت تشكيل الوزارة» (فى قافلة الإخوان . ٣٧٢) ..

كما كان تآمرهم مع الإرهابي الشيعى نواب صفوى " زعيم جمعية فدائيان إسلام الإيرانية " فى تدبير المظاهرات والاجتماعات المناوئة للدولة أحد الأسباب التى أدت إلى حل جماعة الإخوان .

قال القرضاوي : « أذكر أننا استقبلنا السيد نواب صفوي رئيس جمعية فدائيان إسلام فى المركز العام واستقبلناه فى جامعة القاهرة فى احتفال ضخم كبير ، وكان من الأسباب التى أدت إلى حل الإخوان المسلمين وحدث بينهم وبين رجال الثورة فيما بعد » (الجزيرة الفضائية . ٣ / ١٠ / ٢٠٠٤م)

كما كانت عودة التنظيم السري لجماعة الإخوان إلى ممارسة نشاطه مرة أخرى من جملة الأسباب التى أدت إلى حل الجماعة كما سيتبين ..

الإخوان يرفضون وزارة كاملة ...

كان خاتمة المطاف أن عرض عبد الناصر على الإخوان تشكيل وزارة إخوانية كاملة : وزراء ورئيس وزراء.. من جهته أوفد جمال عبد الناصر صلاح سالم – وكان الإخوان يعتبرونه من المقربين إليهم ، ومن أصحاب القلوب الطيبة – إلى قادة الإخوان ، ليبحث معهم جوانب الود والوئام ، وفوضه تفويضا كاملا فيما يطرحه عليهم من أطروحات سياسية .. يقول محمود عبد الحليم : « أخبرنى الأستاذ عبد الحكيم عابدين (السكرتير العام للإخوان) أن الصاغ صلاح سالم اتصل به تليفونيا وسأله عما إذا كان ممكنا أن يجتمع معه الليلة فى بيته .. فرحب به ـ وقابلنى الأستاذ عبد الحكيم فى صبيحة تلك الليلة وحدثنى بما دار فى اجتماعهما فقال : إن صلاح سالم أخبره بأنه موفد من قبل جمال ، ومفوض تفويضا كاملا فيما سيعرضه من أمور ، وأنه يرجو أن يرى من عبد الحكيم تجاوبا وروحا متعاونة ، حتى ترجع روح الوئام بين الإخوان والثورة .. فرد عليه الأستاذ عبد الحكيم مطمئنا من هذه الناحية ، وأكد له أن الإخوان يتمنون ذلك ..

فقال صلاح : إن جمالا ـ تدليلا على حسن نيته وأنه لا يكن للإخوان إلا كل

خير ـ فإنه يعرض عليهم أن يؤلفوا حكومة كاملة من الإخوان ، ورئيسها من الإخوان وجميع وزرائها من الإخوان ..

قال لى عبد الحكيم : فتبسمت تبسما أثار دهشة صلاح الذى سألنى لم قابلت كلامه بهذا الابتسام الذى يوحى بالسخرية ؟ فقال له : ياصلاح ... هذا عرض ماكر، نحن نرفضه كل الرفض ..

فأثار هذا الرد صلاحا ـ كأنه رحمه الله ـ لم يكن يعرف الهدف الحقيقى لجمال من هذا العرض ، فقد كان طيب القلب ، ومن القلائل فى مجلس الثورة الذين كانوا يتمنون أن يسود الود والوئام والتعاون علاقة الثورة بالإخوان.. وقال : إذن ماذا تريدون من تنازلات لكم من جمال أكثر من هذا ؟ ستكون الحكومة إخوانية صرفة .

فقال له : هون عليك يا أخى صلاح ..أنت رجل طيب لا نشك فى حسن نيتك ، ولكن العرض الذى حملته إلينا عرض خطير يخفى فى طياته الدمار الكامل والهلاك للإخوان المسلمين مادام هناك مجلس قيادة الثورة...» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٢٠١) .

فلم يقبل الإخوان عرض صلاح سالم ، ورأوا فيه الدمار الكامل .. واعتبروه مناورة ، طالما أن مجلس قيادة الثورة باق .. ولا بد من عودة الجيش إلى الثكنات صاغرا أو مشكورا .. وإلا فلن تهدأ البلاد ولن تستريح .. حتى لو حكم عبد الناصر بالشريعة . نعم : حتى لو حكم بالشريعة ! فلا بد من تغيير الدستور ، حتى يعود الضباط إلى الثكنات ، وإلا فلن يهدأ الإخوان .

قال محمود عبد الحليم : « إذا فرضنا أن جمال عبد الناصر وافق الإخوان وأصدر أمرا بالحكم بالشريعة الإسلامية ، فهل كان الإخوان يكتفون بذلك دون مطالبته بالحكم الدستورى ؟ والإجابة على ذلك هى أن الإخوان كانوا سيطالبونه أيضا بالحكم الدستورى»(أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٢٥) .

وهذا الاختيار لا علاقة له بالقرآن كدستور للحياة .. فلو طبقت الشريعة فلا حاجة بها إلى الدستور .. وإذا كان الدستور يوضع لتحديد نظام المجتمع وقواعده

الأساسية المتفق عليها . فقد أنزل الله تعالى فى كتابه وفى سنة نبيه ﷺ أصول النظم الكافية لإقامة حياة عادلة آمنة .. وما يشترطه الإخوان لا يصح أن يكون موضع نزاع .. لا من الجهة الشرعية ، بل ولا من الجهة السياسية المتداولة .. فبعض دول العالم ليس فيها دستور ... فبريطانيا ليس فيها دستور ، ودول أخرى فى العالم .. ولكل دولة مرجعية عرفية عامة ثابتة .. فلا يشترط لقيام الدولة وجود الدستور .. ولو وجد الدستور فالدستور ليس سيفا ولا قرآنا ، فمن الممكن أن يتبدل أو يتغير بإجماع حكومات العالم : المسلمة وغير مسلمة .. والعجب فى الأمر أن الإخوان الآن يطالبون بتغير الدستور المصرى ، كى يتوافق مع مطالبهم فى الوصول إلى سدة الحكم، ويؤيدون فى العراق دستورا علمانيا يهدر الشريعة ويفتت وحدة العراق ويضيع عروبتها ، ويسلمها لقمة سائغة لإيران ، وذلك عن طريق الحزب الإسلامى الإخوانى ، الذى يرأسه إثنان من قيادى الإخوان . كما نرى من أعجب العجب أن الإخوان يقسمون بالله تعالى على حفظ القانون والدستور عندما يدخلون المجالس النيابية . وهم فى نفس الوقت يعدون العدة للخروج عليه وتغييره .. كما يزداد الأمر عجبا أن يرفع الإخوان شعار " القرآن دستورنا " ومع ذلك يصرون على النزاع فى إنشاء دستور آخر..كان يجب على الإخوان أن يسلكوا سبل النصح ، وأن يرضوا بمكانهم وقدراتهم ، وأن يتعاونوا بكل صدق ولكن الإخوان كانوا ضعفاء فى الاتفاق والمحاورة ، فعادوا خصومهم بغير حجة ، وتكلموا فى الدين بغير علم .. فالإخوان يعرفون عبد الناصر من عام ١٩٤١م . وهم لا يتركون المنتسب إليهم بالليل ولا بالنهار ، ويخضعونه لاختبارات دقيقة . فكيف مع ذلك عجزوا عن معرفة مناوراته وخبث أفكاره كما أشاعوا عنه .؟ والحقيقة أن الإخوان كانوا يريدون عبد الناصر مطية لتحقيق أغراضهم ، فاستخفوا به اعتمادا على تنظيماتهم السرية . ولكن شاء الله تعالى أن تأتى الرياح بما لا تشتهى السفن ، وليتشتتوا فى البلاد جراء جهلهم بالدين وإفلاسهم فى السياسة...

٤- المطالبة بعودة الجيش إلى الثكنات ..

يقول محمود عبد الحليم : « من الطبيعى حين يقوم جيش بانقلاب أو ثورة أن يقوم بتصدر جهاز الحكم فيه فئة من أفراده ، حتى إذا استقرت الأمور وشعر الجيش بتأييد شامل من الشعب كان على الجيش أن يرجع إلى ثكناته ويسلم قيادة الأمور إلى الشعب ممثلا فى أفراد منه يرى فيهم الشعب الكفاءة والأمانة يصعدهم إلى مناصب الحكم بمحض إرادته المتحررة من كل خوف وبالطرق الديمقراطية السليمة » (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٠٣) .

هذا هو العرض الفكري للإخوان فى ممارسة الحكم ، وقد بدا فيه بكل وضوح عمق الجهل بأصول الاستخلاف والتمكين فى الإسلام ..

فالأستاذ محمود يقول : " من الطبيعى .. أى طبيعى هذا ؟ ومن أى مصدر استقاه ..؟ ليس هناك شيء يجبر الذين ملكوا القوة ودانت لهم البلاد على العودة إلى الثكنات العسكرية . وذلك أن الولاية فى الإسلام ولايتان : ولاية بالاختيار من أهل الحل والعقد وولاية بالغلبة .. فمن غلب الناس بقوته وأصبح حاكما وجبت طاعته وحرم الخروج عليه ، كذلك من اختاره الناس ورضوا به ، هذا هو معتقد أهل السنة . لم يكن للإخوان أدنى علم به .

قال ابن قدامة : « ولو خرج رجل على الإمام فقهره وغلب الناس بسيفه حتى أقروا له وأذعنوا بطاعته صار إماما يحرم قتاله والخروج عليه » (المغنى . ٩ / ٥)

وقال الإمام الأشعري : « وأجمعوا على السمع والطاعة لأئمة المسلمين ، وعلى أن كل من ولى شيئا من أمورهم عن رضى أو غلبة وامتدت طاعته من بر وفاجر ، لايلزم الخروج عليه بالسيف جار أو عدل» (رسالة لأهل الثغر ص/ ٢٩٦)

وأساس الحكم فى الإسلام قائم على العلم والعدل فى النزاعات ، والقوة فى تنفيذ الأحكام ، والأمانة فى أداء الحقوق ..

والغاية من الحكم التوحيد والسنة وتحقيق المصلحة للمجتمع .. ويجب على الناس طاعة الإمام على كل حال ..سواء كان هذا المجتمع مجتمع خلافة . أو مجتمع مملكة أو دولة .. وقد ثبت الحكم لضباط الثورة بالقوة .. ونالوا تأييد الشعب ، وثبتت لهم البيعة ، حتى من الإخوان أنفسهم ، وأصبحوا أولياء أمور وأصحاب كلمة ، وأمثال هؤلاء لا يحق لأحد أن يخرج عليهم إلا بالضوابط الشرعية .. وليس هناك وجهة شرعية تدعوهم إلى العودة إلى الثكنات . بل الثابت خلاف ذلك ، لما رواه مسلم فى الإمارة ١٨٥٢ عن عرفجة قال سمعت رسول الله ﷺ يقول: « من أتاكم وأمركم جميع على رجل واحد يريد أن يشق عصاكم أو يفرق جماعتكم فاقتلوه» ، وعن أبى سعيد الخدري قال قال رسول الله ﷺ: « ثم إذا بويع لخليفتين فاقتلوا الآخر منهما» (رواه مسلم فى الإمارة . ١٨٥٣) ..

أما الإخوان فهم ابتداء وقبل أى مخالفة ، وبدون نقض للبيعة من قبل الشعب يريدون من ضباط الثورة العودة إلى الثكنات العسكرية ، ويريدون حل مجلس قيادة الثورة ، ليتسلموا الدولة غنيمة باردة بالنظام الديمقراطى.. فالنظام الديمقراطي أهون من مواجهة الإنجليز ، وأهون من الإعلان عن تأييد الثورة .. فالتشكيلات الإخوانية والتنظيمات السرية جاهزة ، والأموال والشباب المتهور على أهبة الاستعداد. ولو كانت تلك الثورة ثورة إخوانية لخاف الإخوان على أنفسهم من الديمقراطية ، ولو طولبوا بها لقالوا الديمقراطية كفر مبين ، وحياد عن الصراط المستقيم .. ولو وضعوا تحت الضغوط لقالوا نحن فى الطريق إليها ، ولن نحيد عنها بديلا ، ولكن دعونا حتى تهدأ الأمور ، ويثبت الحكم ، وتستقر الدولة . فالعالم كله يحيط بنا ، أتريدون أن يقول العالم إننا متفرقون مختلفون ، يقتل بعضنا بعضا . كيف تقبلون هذا ؟

يا فرحة الأعداء بنا ؟

فماذا يكون الأمر إذا رفض الضباط العودة إلى الثكنات . ؟

يقول الهضيبي : « أما إذا اختاروا الاستمرار فى كراسى الحكم فعليهم فى هذه

الحالة أن يستقيلوا من الجيش ويقطعوا صلتهم به ويصيروا مدنيين ، وفى هذه الحالة يرجع الجيش حارسا لحدود البلاد لا حارسا لهم فى مناصب الحكم» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٠٥)

ليست القضية فى الديمقراطية ، فالإخوان لم يعرفوا الحرية ولم يزاولوها .. القضية فى ذهن الإخوان تدور حول نزع سلطات الحاكم وتعرية وجوده ، ليبقى لهم الأمر . كما دل على ذلك آخر برنامج سياسي للإخوان طالب فيه محمد عاكف بـ: « تحديد سلطات رئيس الجمهورية مما يجعله رمزا لكل المصريين فلا يترأس أى حزب سياسي ، ويكون بعيدا كل البعد عن المسئولية التنفيذية للحكم » (آفاق عربية . عدد ٦٤٨).

قلت : فإذا كان الأمر كما كان يرى الهضيبي أن لا حق للعسكريين فى التدخل فى شئون المجتمع المدنى وسياسة أموره ، فلماذا طالبهم بالخروج من الثكنات ، والتدخل فى تغييره ، وهم لا عمل لهم إلا فى حراسة حدود البلاد؟ لعل الخروج فقط لا يكون إلا لتمكين الإخوان ، أما خلاف ذلك فلا .!

الغاية من مظاهرة ٢٨ فبراير ١٩٥٤م ...

لم يكن للإخوان فى زمن الملك قدرة على مواجهة دولة الملك بأكثر من الهتافات والشعارات اللطيفة : " يعيش الملك يحيا الملك " مع أن قلوبهم كانت تنفر منه ، فهو طاغوت ، غر ، فاسق ، لص ، كما قال أدباؤهم ، ولكن لما جاءت الثورة تجرأوا وتأسدوا .. وهذا هو المتوقع عندما يتقلد الأمر أناس تعرفهم ويعرفونك .. فقد كان الإخوان يهيئون أنفسهم للحكم ، ولكنهم لا يعرفون مفتاح الطريق إليه ، فسبقهم الضباط إليه وحرموهم منه .. فبدأوا بالتطاول بالمظاهرات المسلحة ..

قال سعد حجاج: « كانت الخطة أن نقوم بمظاهرة مسلحة يحميها بعض المسلحين ، للتعبير عن وجهة نظر الإخوان فى الحكم الاستبدادي الذى بدأ ، ثم يذهب كل واحد إلى بيته ونكون بهذا قد أعلنا وجهة نظرنا للعالم كله فى الثورة» (صفحات من تاريخ الإخوان.ص/ ٥١٠).

وبعد أن أصدر عبد الناصر قرارا بحل جماعة الإخوان المسلمين فى ١٤ يناير ١٩٥٤م أصبح مقصودا بالانقلاب ، فدبر الإخوان مظاهرة عابدين لبيان موقفهم منه. قال جابر رزق : « كان الطاغية قد أصدر قرارا بحل جماعة الإخوان قبل هذا اليوم بشهرين "يناير ١٩٥٤وقبض على عدة مئات من الإخوان في مقدمتهم الإمام الممتحن المرشد حسن الهضيبي، وعشرات من قيادات الإخوان »(إخوان أون لاين . ٦ / ١٢ / ٢٠٠٤م) .

فخرج الإخوان فى تلك المظاهراة ينقضون بيعة عبد الناصر، ويطالبون بعودة الجيش إلى الثكنات ، ويسألون عن محمد نجيب .. وكانت هتافاتهم كما قال د/ قميحة : « إلى الثكنات إلى الثكنات رجال الجيش "،" انتصر الشعب فجاء نجيب"،"الحرية الحرية يا أعداء الإنسانية" » (آفاق عربية.عدد ٦٤٨) .

فهل كانت عودة الجيش إلى الثكنات من جملة التعهدات التى اتفق عليها ضباط الثورة مع الإخوان . ؟

والجواب : لم يحدث بين ضباط الثورة وبين الإخوان اتفاق على تسليم الحكم إليهم ولا لغيرهم .. خاصة أنهم لم يزاولوا الحكم من قبل ، بالإضافة إلى أن عبد الناصر كان مستقلا بتنظيم الضباط الأحرار عنهم . وقد تقدم قول عبد الناصر للهضيبي :

« أنا لم أتفق على شيء مع هؤلاء يافضيلة المرشد وها هم أمامك . ولم يعلق أحد من الجالسين». وقد صدق الهضيبي قول عبد الناصر بقوله :

« اسمع ياجمال .. ما حصلش اتفاق . وسنعتبركم حركة إصلاحية» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧) .

وقال أحمد رائف فى نفس كتابه (ص/ ٢٣١) : « ولم يكن بينهما أىّ اتفاق واضح ، غير ثرثرة هنا وهناك ، أغلبها من رياض الصالحين.!» أهـ

أيضا : خرج الإخوان فى مظاهرة مارس يطالبون بعودة اللواء محمد نجيب للحكم . قال محمود عبد الحليم :« أقال ـ عبد الناصر ـ محمد نجيب من مناصبه فى

٢٥ فبراير .. وإذا به فى أول مارس يواجه مظاهرة ضخمة ، ففى ذلك اليوم توجه جمع غفير من طلبة الجامعة إلى ميدان الجمهورية معهم ألوف من الأهالي يهتفون مطالبين برجوع محمد نجيب ، ولم يبرحوا مكانهم إلا بعد أن أطل عليهم محمد نجيب من شرفة قصر عابدين وبجانبه جمال عبد الناصر يضحك .. وخطب محمد نجيب خطبة طمأنهم فيها على الحكم النيابي» (أحداث صنعت التاريخ / ٣٠٣٣) .

وقد وقع فى تلك المظاهرة عدة أمور :

أولا :نقض الإخوان بيعتهم لعبد الناصر ..

ثانيا : بيعة محمد نجيب وهو من الضباط العسكريين ، بينما هم يطالبون الضباط بالعودة إلى الثكنات.

ثالثا : أن الإخوان بايعوا نجيب وهم يعلمون بوجود علاقة بين وبين الإنجليز! قال أحمد رائف : « فى هذا الوقت كان محمد نجيب يتقرب من الإنجليز ويستعين بهم فى صراعه مع عبد الناصر» (الصفحات . ص/ ٢٣٩) .

الثالث : أن الإخوان دخلوا فى صراع بين الضباط ومحمد نجيب ، لا علاقة لهم به ، ووقفوا فى صف محمد نجيب مع اتهام له بعدم إدراك المفاهيم السياسية. قال أحمد رائف : « وكان محمد نجيب ممن لا يفهمون معادلات السياسة فى مصر هو الآخر » (الصفحات.ص/ ٢٤٣)

استعداء ضباط الثورة ..

لم يرض الإخوان بقوة الضباط ، فقامت المظاهرات ، وأعلنوا التحدي ، ليركبوا على الدولة عن طريق محمد نجيب . وخرجت المظاهرة عام ١٩٥٤م ، وقتل اثنان من متظاهري الإخوان ، وبدأت الهتافات تنادى " لا جمال ولا صلاح " وأخرى تنادى " دم الشهداء . بدم جمال " ملوحة بمناديل ملوثة بالدماء فى سيارة عبد القادر عودة المسئول عن الإخوان فى هذا الوقت . قال جابر رزق :

« سيطر الإخوان على الساحة بهتافاتهم ، فجأة شقت صفوف أعظم مظاهرة

شهدتها مصر طوال تاريخها عربة جيب مكشوفة يجلس إلى جوار السائق القاضي الشهيد عبد القادرعودة ، يرتدي حلة بنية اللون وطربوشه الأحمر على رأسه ، حوله ثلاثة أو أربعة من الشباب يلوحون بمناديل ملونة بالدماء يهتفون : " دم الشهداء بدم جمال " . كان الرئيس محمد نجيب يقف في شرفة القصر الجمهوري ومعه آخرون الرئيس نجيب يخطب في المتظاهرين يعدهم بالحكم النيابي ، وبعد أن ينتهي من خطابه يطلب من الجميع أن ينصرفوا . لكن لا أحد يتحرك . الهتافات مستمرة "دم الشهداء بدم جمال "» (ذكريات عن القاضي الشهيد إخوان أون لاين - ٦ / ١٢ / ٢٠٠٤) .. وكانت تلك الهتافات أول تهديد علني بقتل عبد الناصر .. والإخوان الآن ينكرون تلويح متظاهرى عبد القادر عودة بالمناديل الملطخة بالدماء .! وفى تلك المظاهرة قام أحد فتوات الإخوان بإطلاق الأعيرة النارية فى الهواء ، متحديا ومثيرا لضباط الثورة .. قال محمود عبد الحليم : « كان ميدان الجمهورية وهو من أوسع ميادين القاهرة بحرا متلاطما من أمواج البشر- كانت هذه المظاهرة بقيادة الإخوان المسلمين .. وقد أشارت الصحف إلى بعض شخصيات إخوانية كانت بارزة فيها ، ومن هذه الشخصيات إبراهيم كروم ، وكان من أشهر فتوات القاهرة ، وقد هداه الله وصار من أتقى الإخوان ، وكان ممتطيا جوادا ، ويتقدم المتظاهرين ، ويطلق أعيرة نارية فى الهواء »(أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٠٤) ..

فاستعرت العداوة بينهما ، وعرف عبد الناصر أن الإخوان يضمرون له السوء ، بعد أن تعاهدوا على نصرته وبيعته . !

وعلى الرغم أن الأستاذ / عبد القادر عودة وقف فى شرفة قصر عابدين يقول : « إن الإخوان المسلمين يؤيدون محمد نجيب ، ويقفون فى صف الحرية والديمقراطية »أهـ إلا أنهم لم يستجيبوا له حين أمرهم بالانصراف . وذلك لأنهم فى الحقيقة لا يؤمنون بقيادته ، وإنما كانوا يريدونه فقط مطية لهم فى الركوب على الثورة ، ولا إشكال حينئذ أن يكون متهما بالعمالة للإنجليز كما زعموا ، ولا أنه لا يفهم المعادلات السياسية ، ولا أنه كان قائدا عسكريا ، طالما أن الدفة ستكون فى يد الإخوان .. يقول د/ جابر قميحة فى (أفاق عربية.عدد ٦٤٨) : « وكان نجيب قد حاول صرف

المتظاهرين فلم يستجب أحد . فرفع الأستاذ عودة يده مشيرا بها قائلا : الآن انصرفوا دون هتاف " ثم يعلق قميحة قائلا :« سبحان الله إنهم جنود ملتزمون وهذا سر نجاح هذه الجماعة المباركة .دقائق تعد على أصابع اليد الواحدة وكأن الأرض قد ابتلعت هذه الكتل البشرية "...» أهـ

قلت : سبحان الله . لا يستجيبون للرجل الذى أيدوه وبايعوه فى شرفة القصر . فهل كان هؤلاء جنودا ملتزمين .؟ أليس فى عدم الاستجابة لمحمد نجيب تعرية له أمام ضباط الثورة ؟ هؤلاء الذين تعاطفت معهم أيها الرئيس لم يستجيبوا لك !

فأى شيء إذن كانوا ينتظرون من عبد الناصر ، وهم يطالبون بدمه ، ويتظاهرون بالخروج عليه ، وهو صاحب القوة ، والعقل المفكر للثورة ..؟

لقد تحقق أثر هذا الخروج فى تلك المظاهرة المسلحة بالحكم على عبد القادر عودة بالإعدام ..ثم توالت الفتن ، ولم يستفد الإخوان من وزن ولا ثقل..ولم يفقه عاقبة تصرف عبد القادر عودة فى تلك المظاهرة إلا شاب اسمه حسن عبد الغفور ، كما ذكر د/ جابر قميحة إذ وجده يبكى . فقال له علام تبكى .؟ قال : « أبكى على الأستاذ عبد القادر عودة : لقد حكم على نفسه بالإعدام » (آفاق عربية .عدد ٦٤٨) .

فماذا ينتظر من مجلس قيادة الثورة بعد أن رأى رئيس مجلس قيادة الثورة يدعو الناس للانصراف فلا ينصرفون ، ثم يدعوهم رجل من عامة الشعب فينصرفوا فى دقيقة واحدة .؟ إذن هو الذى جمعهم ، وهو الذى أثارهم ، وهو الخارج عليهم وهو الذى أشار بمناديل الدماء فى عربته .. وهو الذى يتوعد بالانتقام ..

شخصية مجهولة ..

كان الإخوان يتعاملون مع شخصية مجهولة ، لم يتيسر لهم معرفتها ، إلا ما كان من قول محمود عبد الحليم إذ وصفها بالذاكرة الفولاذية والقدرات التكتيكية .. لقد فوجئوا بطاقاته الهائلة ، واستحواذه على الضباط الأحرار ، وسيطرته البالغة عليهم وعلى مقاليد البلاد .. ماعرف الإخوان حقيقة عبد الناصر إلا بعد أن غرقوا فى

اليم ، قال محمود عبد الحليم : « إننى أرى أن شخصية جمال عبد الناصر كانت تستحق منا دراسة أكثر وعناية فى التعامل معها أكثر مما كنا نوليها» ٣ / ٤٨٣ وقال : « عبد الناصر . لا نستطيع أن ننكر أن فيه لمحة عبقرية ، وأن له طموحا يفوق كل تصور» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤١٣) .

فهل كان من الممكن أن يترك رجل بتلك الشخصية ، وهو صاحب الثورة والقوة السلطة لمن جبنوا عن تحمل أعبائها ؟ وهل كان من الممكن الاتفاق على شىء فى حالة انعدام الثقة البالغ بينهما؟ هذا أمر بعيد . وهم يريدون الركوب . ولا بد أن بركانا سينفجر.

٥- عودة التنظيم السري ..

لم يكن عبد الناصر هو المسئول الأوحد عن الدولة فى الفترة من ١٩٥٢م إلى ١٩٥٦م فقد كانت المسئولية ملقاة على مجلس قيادة الثورة ، الذى كان يتخذ القرارات بالإجماع .. غير أن عبد الناصر كان فى ذلك الوقت بمفرده هدفا للإخوان باعتباره العنصر الفعال فى الثورة .. وباعتباره كان محسوبا عليهم ثم خرج من الصف .. و لما كانت التقارير المنقولة إلى المسئولين تنذر بعروض كثيرة لقتل عبد الناصرعام ١٩٥٤م ؛ بدأ البوليس السياسي بجمع خيوط تلك الفكرة ، وذلك باستخدام التسجيلات السرية الدقيقة ، التى من أهمها تسجيل لقاء تم بين محمود عبد الحليم وبين المرشد العام حسن الهضيبي .. طلب فيه الأخير من محمود عبد الحليم تولى قيادة التنظيم الخاص .. وفى اللقاء الذى تم بين الضابطين الطحاوى وطعيمة " ممثلان عن مجلس قيادة الثورة " وبين محمود عبد الحليم ممثلا عن نفسه ومن معه من الإخوان ، أظهر له الاثنان حقيقة العرض الذى عرضه الهضيبي عليه ، واستفسرا منه عن سبب امتناعه عن الموافقة عليه ؟ قال الضابطان لمحمود عبد لحليم: « يافلان لماذا لم تقبل المنصب الفلانى " قيادة التنظيم السري " الذى عرضه عليك الأستاذ الهضيبي يوم كذا عندما اجتمعتما على انفراد بمكتبة المركز العام ؟ ».

وكان هذا أمرا مذهلا : أن تكون أسرار الاتفاقات التى تمت بين قادة الإخوان

فيما بينهم تحت يد عبد الناصر ، وهذا معناه أن الجماعة قد انكشفت فى أدق ما تعتز به من السرية .. ويحكى محمود عبد الحليم خبر هذا المنصب ، قائلا : « طلب إلى الأستاذ المرشد فى هذه الجلسة الثنائية طلبا بموضوع يعد فى دعوة الإخوان هو أدق أسرارها ، ذلك أنه طلب إلى أن أتولى قيادة النظام الخاص ، فلم أتوان عن الاعتذار عن إجابة هذا الطلب فقال لى أنت موضع ثقتى ولك صلة قديمة بهذا النظام والعاملون فيه يكنون لك الحب والثقة والاحترام.. الخ » (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٣٧٧) .

وهذا العرض يؤكد تراجع الهضيبي عن الخط الذى اتخذه من قبل بإلغاء التنظيم الخاص عندما فصل عبد الرحمن السندى ، وقال كلمته المشهورة " لا سرية فى الدعوة" ولا شك أن عودة التنظيم السري لممارسة نشاطه ينذر بمعركة كبرى مع ضباط الثورة ، الذين قبل الإخوان بهم كحركة إصلاحية .! وقد أثبتت التسجيلات أن المرشد يستعدى فى الخفاء . والضباط على علم بتخطيطاته .

وتقع المفاجأة ..لقد انكشف التنظيم السرى القديم وأصبح معروفا للجميع ، خاصة ضباط الثورة . فماذا سيفعل المرشد ؟

هل سيقوم بحل التنظيم أم ماذا يفعل .؟

والجواب : قام المرشد بعزل رئيس التنظيم القديم " بحجة أن لا سرية فى الدعوة " وبذلك تصل الرسالة لضباط الجيش بتوقف التنظيم عن العمل.ولكنه قام فى نفس الوقت بتكليف حلمى عبد المجيد بإدارة التنظيم السري الجديد بعد رفض محمود عبد الحليم له ، وانكشاف أمره . قال أحمد رائف : « قرر المرشد العام عزل عبد الرحمن السندى عن رئاسة التنظيم .. وصار حلمى عبد المجيد رئيسا للنظام الخاص بدلا من عبد الرحمن السندى » (الصفحات . ص/ ٢٤٨) .

ولكن المفاجأة أن التنظيم السري الجديد بجميع تشكيلاته أصبح معلوما بين يدى ضباط الجيش ، و المرشد لم يتراجع عن السرية .. وليس لهذا معنى إلا أن المرشد يدبر للانقلاب ، وهذا ينذر بمواجهة كبرى . الله أعلم بمداها ..

يقول أحمد رائف : « فكان عبد الناصر على علم بما يدور فى صفوف الإخوان وكانت تصل إليه أخبار الاجتماعات وما يقال فيها ويعرف وجهات النظر المختلفة ..وكان النظام الجديد سريا بطبيعة الحال أو هكذا ينبغى أن يكون .. ومع هذه السرية ذهب أحد الإخوان الذين ينتمون إلى النظام القديم ، والمفروض أنه لا يعلم شيئا عن طبيعة ما يدور فى النظام الجديد ، والتقى بالشيخ محمد فرغلى أحد أعمدة هذا النظام الجديد وسأله :

هل صحيح أنكم كونتم هيكلا إداريا جديدا للنظام ؟

قال له الشيخ فرغلى : ما الذى تريد قوله بالضبط ؟

ورد عليه الأخ بما يفيد معرفته بالكامل بأسماء رؤساء المناطق وكافة الأعضاء المهمين فى النظام الجديد . واصفر وجه الشيخ محمد فرغلى (رحمه الله) وسأل هذا الأخ : كل ما قلته صحيح ، فمن أين أتتك هذه المعلومات . ورد عليه : عرفتها من أحمد صالح داود. وهذا الاسم لمن لا يعرفه هو أحد أركان المباحث العامة فى ذلك الوقت .كان كل شيء عن الإخوان مكشوفا أمام الحكومة والمباحث العامة...». (صفحات من تاريخ الإخوان . ص/ ٣٠١ ، ٣٠٢).

وهذا التصريح المتناقض " لا سرية فى الدعوة " مع إعادة التنظيم السرى مرة أخرى كان من جملة الأسباب التى أدت إلى حل جماعة الإخوان ، كما بدا من بيان مجلس قيادة الثورة ، وكان أيضا من جملة الأسباب التى جعلت ضباط الثورة لا يثقون فى الهضيبي .. وقد جاء فى بيان مجلس قيادة الثورة الذى نقله السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان ص/ ٣٧٦) ما يدل على ذلك ، وفيه : « بعد أن تعين الأستاذ الهضيبي مرشدا للإخوان لم يأمن إلى أفراد الجهاز السري الذى كان موجودا فى وقت الإمام الشهيد حسن البنا برئاسة السيد عبد الرحمن السندى فعمل على إبعاده معلنا أنه لا يوافق على التنظيمات السرية ، لأنه لا سرية فى الدين ، ولكنه فى نفس الوقت بدأ إعداد تنظيمات سرية جديدة تدين بالولاء والطاعة له ، بل عمد إلى التفرقة بين أفراد النظام السري القديم ، ليأخذ منهم إلى صفه أكبر عدد ، لينضم إلى جهازه السري الجديد» أهـ

٦- رفض اتفاقية الجلاء ...

اعترض الإخوان على عبد الناصر فى اتفاقية الجلاء ، التى خرج بسببها ما يقرب من ثمانين ألف من جنود الاحتلال الإنجليزى من منطقة القنال بغير قتال .. بعد احتلال دام اثنين وسبعين عاما قال عنه محمود الصباغ : « بريطانيا التى احتلت أرض مصر سبعين سنة متصلة أذاقت فيها هذا الشعب من الذل والهوان والاستعمار ما يعجز عنه الوصف » (التنظيم الخاص . ص/ ٢٦٩) .

ولو نظرت فى اعتراضات الإخوان على اتفاقية الجلاء التى هددوا بسببها ضباط الثورة تهديدا مباشرا إذا تم إمرارها ، كما نقل عنهم يوسف القرضاوى أن : « هذه الاتفاقية لن تمر يعني : الاتفاقية التي عقدت مع الإنجليز » (سيرة ومسيرة . / ٢ ٧٧) لوجدت أن تلك الاعتراضات ليست إلا زوبعة فى فنجان ، ما كان ينبغى لها أن تأخذ هذا القدر، ولا أن تصل إلى هذا الحد من التهديد ، خاصة أن مصر فى ذلك الوقت لم يكن لها قدرة على إخراج الإنجليز بالقوة .. وما ذكر من جبن الإخوان واختبائهم خلف الأستار ، حتى لا تنسب إليهم الثورة دليل آكد على ذلك .. كما أن كل الثورات التى كانت فى مصر فى ذلك الزمان لم تكن قادرة على إخراج الاحتلال بأى صورة ..فالهضيبي كان يرى أن الاتفاقية تعطى لبريطانيا الحق فى العودة إلى تلك القواعد الموجودة فى مصر فى حالة الهجوم على الدول العربية أو تركيا وهذا يربط مصر بالمعسكر الغربي .. كما أنه اعترض على وجود مدنيين أجانب فى تلك القواعد بعد رحيل العسكريين .. وكان من جملة اعتراضاته أن الاتفاقية لم توقع تحت قبة برلمان منتخب . ! وقد أشار ريتشارد.ت. ميتشل فى كتابه عن الإخوان المسلمين . ص/ ٢٦١- ٢٦٨ إلى تلك الاعتراضات بالتفصيل ..

والحقيقة أن أى اتفاق يتم بين دولتين إحداهما ضعيفة والأخرى قوية ينظر إليه من جهة المصالح العائدة على الدولة الضعيفة .. فلو قدر أن كان لدولة الاحتلال مائة ألف جندى فى الدولة المحتلة فخرج منهم سبعون ألفا فهذه مصلحة بلا شك للدولة الضعيفة .. وإن قدر أنهم لم يلتزموا باتفاقات مسبقة كاتفاق ١٩٣٦م واشترطوا

للخروج اتفاقا آخر واجب النفاذ فلا مانع . .

وإن قدر أنهم كانوا سيخرجون فى خلال سنة فتأجل الخروج حتى سنتين فلا مانع .. وهذه كلها من أبواب الاجتهادات المعتبرة ، نتيجة لضعف تلك الدولة .. أما أن تكون الدولة ضعيفة .. ومع ذلك تريد أن تفرض شروطا أو تطلب ما لا يمكن لها تحقيقه إلا فى الأمانى والأحلام والخيالات ، كما يعيش الإخوان فى كل مكان ، فهذا ما لا يظن الاعتبار به .. فكيف مع ضعف الدولة يصدر الإخوان المنشورات التى تهدد الدولة والمجتمع إذا ما قبلت هذا الاتفاق .! ثم يقولون نحن لا نقبلها لأنها لم تخرج من تحت قبة برلمان منتخب .فهل كان هذا شرطا شرعيا لقبول العهود فى الإسلام .. ألم يقل النبى ﷺ : « المسلمون تتكافأ دماؤهم ويسعى بذمتهم أدناهم ...» (صحيح أبى داود للألبانى ٢٧٥١) فكيف مع كون الذى يسعى فى تلك الاتفاقية هو المسئول الأول عن الدولة ..!

هذا أمر عجيب من الإخوان . وقد ارتضوا من قبل حكم المنظمات الأجنبية ، التى تلعب لمصالحها الخاصة فى مصر ، فى ذلك الوقت - كما تبين من رسالة الإخوان للنقراشى باشا حين أشاروا عليه برفع قضية الاحتلال الإنجليزى لمصر إلى الأمم المتحدة ومحكمة العدل الدولية - بينما هم لا يرتضون ذمة ضباط الثورة ، الذين حكموا البلاد ووعدوهم بالحكم بالقرآن ..! فكيف لو أن محكمة العدل الدولية اتفقت مع البريطانيين على الخروج من مصر بعد عشر سنين .. هل كان لهم حينئذ أن يعترضوا عليها ، وقد ارتضوا رفع القضية إليها والتحاكم لمواثيقها ..؟

إن من أعجب الأمور فى اعتراضات الإخوان احتجاج المرشد العام على عبد الناصر بغياب الديمقراطية عند توقيع الاتفاقية .. فى الوقت الذى كان يترأس فيه جماعة لا تعرف إلا الطاعة العمياء .. فقد سبق أن كانت جماعة الإخوان كاملة فى صف عبد الناصر ، بينما كان الهضيبي بمفرده ، ومع ذلك لم يخضع لهذا الجمع الكبير فى الجماعة ، كما أكد أحمد رائف من قبل ..

كان ينبغى على الإخوان أن يقبلوا تلك الاتفاقية وأن يكفوا عن منازعة الحكام فيها ، لأن بنودها تحققت بالفعل وخرج الإنجليز من مصر ، بينما لم تتحقق جميع الاتفاقيات والوعود التى كانت من قبل ..كما أكد حسن البنا فى رسالته للسير كادوجان ، وفيها قال : « إن احتلال الإنجليز لمصر أمربيت بليل منذ سنوات طوال ، واستدرجت إليه مصر بفعل الدسائس البريطانية ، وأن ثلاثة وستين وعدا بالجلاء لا تزال قائمة » (الإصلاح السياسي عند البنا . طارق عبد الرحمن . إخوان أون لاين . نت) .

فكيف بعد ذلك يهدد الإخوان بعدم مرور الاتفاقية ..؟

ففى أيهما كانت المصلحة أن يخرج الإنجليز أم يبقى الإنجليز ..؟

ألم يكن بوسعهم تقدير الفارق بين الاحتلال الكلى والاحتلال الجزئي وعدم الاحتلال بالكلية ..؟

المحطة الأخيرة ...

رفض اتفاقية الصلح التى تمت بين عبد الناصر وبين أشراف الإخوان ..

القبض على ثمانمائة إخوانى عام ١٩٥٤م

الجو مشتعل والرياح تنذر بالمصائب ..

لم يعرف الشباب المعاصر الذى يلعب به الإخوان فى الجامعات والنقابات والانتخابات حقيقة تلك الحقبة التى تخبط فيها الإخوان خبط عشواء ، حتى أفسدوا البلاد والعباد .. ومن خلال تلك العاصفة السابق ذكرها بدا لمحمود عبد الحليم أن عبد الناصر أصبح على اطلاع بأدق أسرارهم ، كما تبين من خلال لقائه بالطحاوى وطعيمة .. وهذا السر لا يعرفه بعد الله تعالى إلا محمود عيد الحليم والمرشد العام .. فكيف اطلع عليه عبد الناصر ؟

فالأمر ينذر بخطر ، خاصة أنه قد انكشف أن الإخوان متفقون على التخلص من ضباط الثورة وقتل عبد الناصر .. فالمرشد أعاد التنظيم الخاص ، ثم نادى مؤخرا

بالمواجهة مع ضباط الثورة ورفع سلاح التكفير،كما شهد محمود عبد الحليم فى كتابه السابق (٣ / ٤١٨) بقوله : «والمرشد العام مستمر فى إصدار النشرات والبيانات من مخبئه لتزيد النار اشتعالا ، ومعلوماته ناقصة عن حقائق الموقف ، وما استجد بعد اختفائه من معلومات تدل على أننا مكشوفون للطرف الآخر دون أن ندري»أهـ ..

وأصبح عامة الإخوان فى القطر المصري ينساقون وراء الهيئة التأسيسية فى القاهرة، بزعامة المستشار عبد القادر عودة ، ويرفضون أى محاولة للإصلاح مع عبد الناصر ، مبررين ذلك بأن موقفهم أقوى ، وأن ضباط الثورة لابد أن يخضعوا لهم .
قال محمود عبد الحليم : « ويبدو أن اتصالا كان قد تم بين هؤلاء (إخوان القاهرة) وبين إخوان الأقاليم ألقى فى روعهم أن مذكرتى ومن يؤيدها ليست فى مصلحة الدعوة . وإذا لم يكن قد تم هذا الاتصال فيكفى لإثارة شعورهم حماسهم ضد كل ما فيه معني تقريب وجهات النظر ما تلقوه صادرا عن الأستاذ المرشد ساعة حضروا إلى المركز العام للاجتماع » (أحداث صنعت التاريخ٣ / ٤٢).

فاتفق إخوان الأقاليم مع إخوان القاهرة على مواجهة عبد الناصر وضباط الثورة، ورفضت مذكرة التفاهم ، بناء على التصريحات الأخيرة التى أطلقها المرشد ، وأصبح الكل يضمر الانقلاب على ضباط الثورة .. فلو قالوا المرشد العام كان مستسلما رافضا للمواجهة فيرد ذلك عامة الإخوان ، الذين لا يتقدمون ولا يتأخرون إلا بأوامر المرشد ، الذى كان يهيج للمواجهة .. فقد استباحوا جميعا مواجهة ضباط الثورة ، بناء على منشورات المرشد العام .. ويؤكد ذلك محمود عبد الحليم " كبير مؤرخى الإخوان " قائلا : « لم يكن إخواننا هؤلاء ولا إخوان الأقاليم يتوقعون ما كنا نتوقعه من أهوال ستنصب على رؤوسنا صبا ، لأنهم حجبوا أنفسهم عن الحقائق ، ورضوا أن يعيشوا سابحين في الأوهام ، ولم يصدقوا ما أنذرتهم به من أن أسرارنا مكشوفة لهؤلاء الناس..وأرادوا أن يفرضوا على الواقع ما تخيلوه من أوهام»(أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٤٢٥).

وهذا الإصرار وتلك المواجهة تنقل إلى عبد الناصر وضباط الثورة ، إما

بالتسجيلات السرية ، وإما عن طريق الإخوان المقربين له ..الخ

قال محمود عبد الحليم : « ولكن الجديد فى الأمر أننى اكتشفت أن القوم بكل الوسائل التى أتيحت لهم من خزائن الدولة ، وولاء بعض إخوان لهم ، ووسائل التسمع الحديثة استطاعوا أن يعرفوا أسرارنا مما يتصل بهذه القوة ، فلا ينبغى لنا أن نتعامى عن هذه الحقيقة المرة» (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٣٩٠).

مذكرة التفاهم ...

فى أثناء تلك المظاهر الملتهبة يتقدم محمود عبد الحليم بمذكرة إصلاح وتفاهم مع عبد الناصر ، دفعه إليها كما تقدم علمه أن عبد الناصر أصبح على اطلاع بأدق أسرار الإخوان . وفى ملخص تلك المذكرة أظهر عبد الحليم التأسف على ما حدث من نزاع بين طائفتين من المسلمين أخذ فى إشعاله شياطين الإنس والجن .. ثم سرد الأعمال الطيبة التى قام بها ضباط الثورة من الإفراج عن الإخوان ، والتحقيق فى مقتل حسن البنا ، وعزمهم على إقامة السد العالى ، وقال إنهم لم يرفضوا الحكم بكتاب الله صراحة ، ومثل هؤلاء لا ينبغى أن نرميهم بالكفر . ثم ذكرهم بألا ينسوا فضل الإخوان فى التمهيد للثورة ، وألا يستجيبوا لدواعى الغضب ، وألا يستبيحوا إلصاق التهم بالإخوان ومعاملتهم معاملة العدو ، واقترح لقاء بين الإخوان فى القطر المصرى كلهم وبين عبد الناصر ومن يشاء من رجاله.(انظر أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٣٨٦)...

وقرأ عبد الناصر مذكرة التفاهم ، ورحب بها ، وتحت يديه أدلة نظر الإخوان فى قتله ، ومنشورات المرشد لا تزال تلاحقه ، والاتهامات المختلفة بالتعامل مع الإسرائيليين فى الفالوجا حاضرة أمامه ، مع بعض الاتهامات الأخرى التى كانت تؤرقه كاتهامه بالاستيلاء على أموال التنظيم السري...

وفى أثناء اللقاء الذى تم بين عبد الناصر وبين محمود عبد الحليم موفدا من بعض الإخوان مع الدكتور خميس حميدة وعمر التلمسانى والدكتور عثمان نجاتى والأستاذ محمد حلمى نور الدين والشيخ أحمد شريت ، قال عبد الناصر : « لقد

قرأت مذكرة فلان وأرى فيها روحا طيبة ، ولهذا طلبت أن ألتقى بوفد يمثل الإخوان لمناقشة أسباب الخلاف بينى وبين الإخوان..فقلنا له : أليس من الممكن أن نتجاوز الخلاف ونتجه إلى وسائل الإصلاح .. ؟

فقال : إن هذا ليس بالطريق السليم لمعالجة الخلاف .. لابد أولا من معرفة أسباب الخلاف حتى نبحث بعد ذلك عن تلافى هذه الأسباب ..

فقلنا : إذن ما هى أسباب الخلاف :

فبين عبد الناصر أسباب الخلاف فى النقاط التالية :

١- أن الإخوان اتهموه بالاستيلاء على مبلغ من المال لنفسه ، وقد كان هذا المال معدا لشراء سلاح ، ولم يحصل على أسلحة إلا بجزء يسير منه ...

٢- أنه بالرغم من حرصه على استشارة المرشد العام منذ قيام الثورة إلا أن المرشد كان لا يهتم بلقائه.

٣- طلب من المرشد حل التشكيلات العسكرية التى فى الجيش فنفى وجود التشكيلات العسكرية ، فقال له : « يافضيلة المرشد أنا أعرف أن تشكيلات الإخوان فى الجيش لا زالت موجودة ولكنه أصر على الإنكار ...» .

٤- تحدث عن اتفاقية الجلاء ومحاسنها وبين أن معارضة الإخوان لها نوع من التحدى.

٥- نقض مطلب الإخوان بالانتخابات لأجل تأثرها بالتشكيلات العلنية والسرية للإخوان..

٦- عتب عتابا شديدا على مظاهرة مارس ١٩٥٤ ..

٧- تحدث عن تسلط الإخوان على الجامعات ..

وانتهت الجلسة باتخاذ القرارات الآتية :

قال عبد الناصر : كل الذى أستطيع أن أبذله لكم الآن هو أن أعقد معكم

هدنة، فإذا نجحتم فيها كان لكم أن تطالبوا بصلح ..

قلنا : وما شروط الهدنة ؟

قال : هما شرطان :

١- أن توقفوا حملتكم على اتفاقية الجلاء .

٢- أن توقفوا إصدار النشرات ..

قلنا : ولنا شرطان مقابلان هما :

١- أن توقف الاعتقالات والتشريد ..

٢- أن توقف الحملة الصحفية .

قال : أن موافق على شروطكم إذا وافقتم على شروطى ..

قلنا : إننا موافقون ..

قال : إذا نفذتم الشروط فلنا اجتماع آخر بعد اجتماع الهيئة التأسيسية ـ أما إذا لم تستطيعوا تنفيذ الشروط فلا اجتماع ولا تلومونى بعد ذلك ..

قال محمود عبد الحليم : « وهنا اختتمت الجلسة ، وخرجنا وكلنا أمل فى الوفاء بما اشترط علينا ، لنخرج بالدعوة من هذا المأزق الخطير الذى وضعت فيه »(أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٤٠٣-٤٥٥).

هذا هو الاتفاق . أراد عبد الناصر مواجهتهم بالأحداث التى وقعت منهم ، وأرادوا هم الفرار ، فأصر على مناقشتهم ثم الاتفاق معهم وإعطائهم المهلة. فمن الذى نقض الاتفاق ؟ ومن الذى سبح فى الأوهام ؟ ومن الذى تسبب فى القبض على ثمانمائة منتسب إلى تشكيلات الإخوان فى القطر المصرى (!) ، كما حكى السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان ص/ ٥٧٨) حيث قال : « فقد بلغ عدد المحكوم عليهم بأحكام مختلفة حوالى (٨٠٠) ثمانمائة من رجال الإخوان أودعوا جميع السجون »أهـ

نقض الاتفاقية .. المؤامرة الإخوانية الخسيسة .. دور الأستاذ عبد القادر عودة

عاد محمود عبد الحليم بالاتفاقية ، ليقوم بعرضها على المرشد العام ، ولكنه كان مختبئا ، وليس هناك من سبيل للقاء معه ، والجميع يرفض الإفصاح عن مكانه . والاتفاقية محددة الشروط ، هما فقط شرطان : (عدم نقض اتفاقية الجلاء ، وقف المنشورات السرية) ، وينتهى النزاع ، ويهدأ الجو ، وتسكن الرياح ..والذين عقدوا الاتفاقية كبراء الإخوان ..

فهل سيوافق أعضاء الهيئة التأسيسية وإخوان الأقاليم على الاتفاقية ؟ أم أنهم سيردونها ، ومن ثم يبدأ الصراع ..

عرضت الاتفاقية على الهيئة التأسيسية فقام المستشار / عبد القادر عودة متصدرا هيئة الرافضين للاتفاقية ، وقام بدفع الأستاذ خميس حميدة " نائب المرشد " الذى وقع على الاتفاقية مع عبد الناصر ، ومنعه من عرض الاتفاقية . أما المؤامرة الخسيسة فهى كالآتى ، كما حكاها محمود عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤١٩-٤٢٢) قائلا :

١- « وافتتحت الجلسة حيث صعد الأخ الدكتور محمد خميس حميدة نائب المرشد العام إلى المنصة ليدير الجلسة .. وما كاد يبدأ حتى رأينا منظرا عجيبا لم نصدق أبصارنا حين رأيناه ، ولا أعتقد أن أحدا كان يتصوره .. رأينا الأخ الأستاذ عبد القادر عودة يصعد هو الآخر إلى المنصة، وينحى الأخ الدكتور خميس فى غير رفق ويقول له : أنا أحق منك بإدارة الجلسة »أهـ

٢- وتحت عنوان خطة مدبرة وخطوات مدروسة . حدث خلاف فى قراءة المذكرة تقرأ أم لا تقرأ. قال الأستاذ عبد القادر واثقا :"حسما للخلاف نلجأ إلى الهيئة ونأخذ الأصوات هل تقرأ مذكرة فلان أم لا تقرأ " وأخذت الأصوات فكانت الأغلبية فى جانبهم ، وهو ما كانوا واثقين منه ، وإلا لما لجئوا إلى هذا الأسلوب.

٣- حدث تراشق بالألفاظ .. وخلاصة ما كان أن ظلل الاجتماع ما ظلل ، لا

تسمع إلا تهاترا ، هذا يطلب محاولة الإصلاح ، وآخرون يردون عليه بصوت أعلى يرفضون الإصلاح... ثم كان القرار وهو : " تكليف اللجنة التى كان موكلا إليها الاتصال برئيس الحكومة ، وإخطار الهيئة بنتائج هذا الاتصال فى اجتماع الهيئة التأسيسية القادم "» أهـ

هذا هو الذى نقله المؤرخ / محمود عبد الحليم مستاء من تصرفات الأستاذ عبد القادر عودة ، التى فرقت الجمع وشتت الشمل ، وعرضت الإخوان للفتن .. فلم تقرأ مذكرة الصلح التى وقعها عبد الناصر مع وفد الإخوان ، الذى وصفه عبد الحليم بأنه : « كان فوق الشبهات إذ يضم أعرق الإخوان فى الدعوة وأعلاهم ثقافة وأشدهم غيرة وأقدرهم على تقدير الموقف وهم موضع احترام الجميع »(أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ٤١٧) .

وقد أراد أعضاء الهيئة التأسيسية إما أن يتم الاتفاق مع اللجنة التى كانت موكلة من قبل بالاتصال بالحكومة ، وهى غير لجنة عبد الحليم وإلا فلا اتفاق ولا صلح . . وليكن ما يكون .. ورفضوا اللجنة التى كانت من كبرائهم ، وردوا ذمتها ، وأبطلوا سعيها بمكر فاضح ، استباحوا فيه مبدأ الغاية تبرر الوسيلة ، كما ذكر محمود عبد الحليم فى نفس كتابه . ولم يوفوا لمحمود عبد الحليم العهد الذى كان بينه وبين عبد الناصر ، كما أنهم لم يوفوا من قبل لخميس حميدة ماكان بينه وبين عبد الناصر من اتفاقات ، كما أشار عبد الحليم فى نفس كتابه ٣ / ٣٨٨ : « فقد سبق أن ذكرت أنه حين كان مفوضا فى الاتصال بجمال عبد الناصر تعهد لجمال بتعهدات خذله فيها الإخوان » أهـ

ولم يقف الأمر عند هذا الحد ، بل استمرت المنشورات تهاجم الثورة وتهيج العامة وتهدد بأعمال انتقامية فى حالة عدم إلغاء اتفاقية الجلاء .. وقد كان الأستاذ سيد قطب وراء تلك المنشورات ..

وترتب على تلك الخيبة أن غادر محمود عبد الحليم المركز العام للإخوان ، مودعا إياه ، وهو يعلم أنه لن يعود إليه مرة أخرى ، بسبب المرشد الهارب ، وبسبب

منشوراته التى كانت تدعو إلى قلب نظام الحكم ، وتكفر حركة الجيش .. وبسبب حماقة أغلب أعضاء الهيئة التأسيسية ، الذين لم يراعوا دماء أتباعهم ، الذين يخضعون لهم بلا مناقشة ولا مراجعة ، حتى تحملوا إثم المسئولية الكبرى فى القبض على ثمانمائة إخوانى فى القطر المصري . قال محمود عبد الحليم لعبد القادر عودة :« إن دماء هؤلاء أمانة فى أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم ، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة فمن حقهم علينا أن نطلعهم على ما عندنا. الخ» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٩١) وقال أيضا فى نفس كتابه (٣ / ٤٢٥) : « غادرنا اجتماع الهيئة التأسيسية ونحن نقول : وداعا أيتها الدار .. كنا نعرف ما نحن مقبلون عليه .. ولكننا أو أقول عن نفسى بالذات إننى كنت مرتاح الضمير ، لأننى بذلت آخر ما فى وسعى ، لدفع النكبة عن إخوان لى فى القاهرة والأقاليم ، ولكنهم رفضوا فكنت وإياهم كما قال الشاعر العربي :

أبتغى إصلاح سعدى بجهدى وهى تسعى جهدها فى فسادى » أهـ

واشتعلت النار ، وأراد إخوان القاهرة إطفاءها فيما بعد فلم يستطيعوا ، ووقعت حادثة المنشية ، وقبض على ثمانمائة من الإخوان المسلمين ، وهرب من هرب ، ورحل من رحل ، وتشتتوا فى البلاد ، يبكون على ما مضى ، ويرمون مخالفيهم بشتى التهم ، ولم ينظروا فى أنفسهم ، و لم يتهموا منهجهم ولا طريقهم .. حتى دخلوا السجون والمعتقلات ، ثم بدءوا يفكرون ، ولكن بعد وقوع المصائب وتلاطم الأمواج . وهكذا العامة ، كما قال الحسن البصرى : « إن هذه الفتنة إذا أقبلت عرفها كلُّ عالم ، و إذا أدبرت عرفها كل جاهل » أهـ

وذكر السيسي تلاوم الإخوان فى السجون قائلا :

« فمن قائل لو أننا صبرنا على الحكومة ولم نستعجل مخاصمتها ؟- ومن يقول : إن الحكومة كان فى نيتها الحكم بالشريعة ، ولكنها كانت ترى أن هذه خطوة يجب أن تكون متأخرة حتى تستقر الأوضاع ، وأن الإعلان عن الحكم بالشريعة يغلق علينا أبواب دول فى الشرق والغرب» (فى قافلة الإخوان . ص/ ٥٧٨) .

خاتمة أحداث ١٩٥٤م .. حادث المنشية ..

كانت تلك هى المواجهات التى انتهت بحادثة المنشية .. تلك الحادثة التى قام بها التنظيم الخاص .. وكما هو معلوم فالتنظيم الخاص يتكون من سلاسل عنقودية، لا يعرف بعضها شيئا عن الآخر .. يقومون بالجريمة .. ولا يعرف من الذى قام بها .. ولكن الوضع فى حادث المنشية أن الجميع متفق على التفكير فى قتل عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة .. ولكن كيف يتم ذلك ..؟ هل يضربونه بالنار .؟ أم يفجرون أنفسهم فيه . ؟ أم ماذا يفعلون ..؟

فى كتابه (سيرة ومسيرة . ٢ / ٨٦) أراد القرضاوى أن يبرىء الإخوان من حادث المنشية ، وكانت حجته أن الأستاذ الهضيبي كان ضد الاغتيالات ، وهذا وحده من وجهة نظره كاف لتبرئة الجماعة من تلك الحادثة ، وليتحمل هنداوى دوير المسئولية بمفرده . قال القرضاوى : « من الواضح الجلي ، ومن المؤكد المستيقن : أن قيادة الإخوان لا تتحمل وزر هذا الحادث ، عند كل دارس أو مراقب عنده ذرة من عقل أو إنصاف .. فقد أكدت كل المصادر : أن المرشد العام الأستاذ حسن الهضيبي كان ضد فكرة الاغتيالات بكل قوة ووضوح ، وأعلن هذا بصريح العبارة لرئيس الجهاز السري : " إنه برئ من دم أي شخص كان" وهذا ما شهد به الخاص والعام ، وأن النظام الخاص أو الجهاز السري للجماعة، لم يكن هو المدبّر لها ولا المسؤول عنها. إنها في رقبة هنداوي دوير(رحمه الله) ، الذي أراد أن يقوم عن الجماعة بتنفيذ ما فرطت فيه في نظره!ومن يدري ربما لو نجحت خطته لأصبح من الأبطال ، وعدّ منقذا للدعوة »أهـ

غير أن الحقيقة خلاف ما قال الشيخ القرضاوى . فليس ما قاله القرضاوى واضحا جليا ولا مؤكدا متيقنا ، إنما هى أوهام وخرافات . والمرشد كان مذبذبا فى الأمر .. والقرضاوى يحكى المرحلة الأولى للمرشد التى كان فيها ضد فكر الاغتيال، ويسكت عما انتهى إليه فكره من ضروررة التخلص من عبد الناصر وقتله .. وقد يقبل ما يقوله القرضاوى إن لم يكن للإخوان تاريخ بارع فى الاغتيالات السياسية

..والجو السياسي يبيح ذلك، فليس بعيدا علي من تمرسوا فى تلك الأعمال وأباحوا تلك الجرائم أن يدبروا قتل أى حاكم .. أليس جزاء من يخرج من التنظيم القتل .. فقد خرج عبد الناصر من التنظيم الإخوانى ! ألم يقل الإخوان فى مظاهرة عابدين " دم الشهداء بدم جمال " أم يحل عبد الناصر جماعة الإخوان .؟ ما جزاء من يفعل ذلك .؟ أسألوا النقراشى..؟ غير أن القرضاوي أراد فقط أن يغرق هنداوى دوير ومحمود عبد اللطيف ، لتبرأ جماعته مما قدمت فى حق نفسها وفى حق المجتمع المصري فى ذلك الزمان .. فليست كل المصادر معه ، فهناك مصادر كثيرة ضده ، والجميع متفق على القتل كفكرة ، غير أنهم كانوا يتناظرون فى آلية التنفيذ ..

فكرة قتل عبد الناصر ..

طبقا لقواعد التنظيم الخاص . لم يكن أمر القضاء على عبد الناصر أو قتله فى أول عهد الثورة بحاجة إلى براهين ، فقد ترك التنظيم ، وأصبحت أسرار التنظيم كلها معه ، وهو مع ذلك متهم بنقض العهد وخيانة الأمانة ، وعاقبة من وقع فى تلك الجرائر القتل ، مهما طال الزمان ومهما تحصن بالأسباب ، قال الصباغ : «فإن خنت العهد أو أفشيت السر فسوف يؤدى ذلك إلى إخلاء سبيل الجماعة منك ، ويكون مأواك جهنم وبئس المصير»(التنظيم الخاص. ص/ ١٣٢) .

فقضية قتل عبد الناصر كانت فى ذهن الإخوان وهو يقوم بالثورة ، وليست القضية متعلقة بكونه صار رئيسا ..

القضية أنه خرج عن الصف والتنظيم . وقد كانت الخطط المعدة لقتل عبد الناصر تنقل إليه بدقة كاملة ، إما من الإخوان أنفسهم ، وإما من غيرهم .. ويكفى أن عبد الناصر قام بحل جماعة الإخوان فى يناير ١٩٥٤م ، وقد كان عاقبة النقراشى باشا بسبب هذا القرار القتل . فما عاقبة عبد الناصر.. ؟

ولك أن تتصور ما يجيش فى نفس عبد الناصر قبل الإخوان ، وهو يعرف ما يكنون له من العداوة ، خاصة بعد أن رفعوا المناديل الملوثة بالدماء وقالوا " دم الشهداء بدم جمال " .. وذلك مظاهرة عابدين فى سيارة عبد القادر عودة وكيل

الجماعة والمسئول عنها وقت هروب المرشد فى الإسكندرية.

قال جابر رزق : « سيطر الإخوان على الساحة بهتافاتهم ، فجأة شقت صفوف أعظم مظاهرة شهدتها مصر طوال تاريخها عربة جيب مكشوفة يجلس إلى جوار السائق القاضي الشهيد عبد القادرعودة .. حوله ثلاثة أو أربعة من الشباب يلوحون بمناديل ملوثة بالدماء يهتفون : " دم الشهداء بدم جمال ") (إخوان أون لاين - ٦/ ١٢/ ٢٠٠٤) .

ومما يدل على مسئولية عبد القادر عودة عن تلك الهتافات قول ولده الدكتور/ خالد عبد القادر عودة : « المسؤول عن الإخوان المسلمين كاملا في هذا الوقت هو كان عبد القادر عوده » (الجزيرة نت ١ / ١ / ٢٠٠٧ م)

وقد كانت هناك أفكار كثيرة لقتل عبد الناصر، منها :

١- فكرة عبد المنعم عبد الرءوف ...

نشأت فكرة التخلص من عبد الناصر ومجلس قيادة الثورة فى رأس الضابط عبد المنعم عبد الرءوف فى ليلة الثورة ، وذلك عند توجهه إلى حصار قصر رأس التين .. قال أحمد رائف : « اقترح - عبد المنعم عبد الرؤوف - على عبد الرحمن السندى أن يمده بألف من الإخوان يرتدون ملابس الجيش ويقوم بالقبض على مجلس الثورة » (صفحات من تاريخ الإخوان ص/ ٢٣٢) .

٢- فكرة سيد قطب ..

كان سيد قطب من أبرز الناصحين للمرشد العام عام ١٩٥٤م بالتخلص من حركة الجيش، قائلا : « إننى نصحت الأستاذ المرشد أننا جماعة الإخوان يجب أن نقضى على حركة الجيش قبل أن تقضى علينا » (قافلة الإخوان . ص/ ٥٢٢)

٣- محمود عبد الحليم يندم ..

وتحت عنوان "فرصة أضعناها " كتب عبد الحليم فى كتابه (أحداث صنعت التاريخ٣ / ٣٢٢) : «كانت الفكرة التى فى رأسى منذ أواخر أيام الاعتقال هى أن

الإجراء الوحيد الذى علينا أن نتخذه فى اليوم التالى لخروجنا هو أن نضع أيدينا على مرافق البلاد ونتخذ لنا وضعا فى حكومة انتقالية يشل حركة جمال عبد الناصر شللا تاما» أهـ

٤- هنداوى دوير يهتف بقتل عبد الناصر ..

يقول عبد الحليم : « ففى إحدى مرات تردد محمد الجزار الذى كان ضابطا فى القلم السياسي ، وكانت العلاقة بين الحكومة والإخوان متوترة سمع هنداوى دوير – وكان من الشبان المتهورين – يردد : «لازم نقتل جمال » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٦٦).

٥- الهجوم الانتحارى والحزام الناسف ..

طرحت فكرة الحزام الناسف لأول مرة فى تاريخ الإسلام بين جماعة الإخوان فى أول عهد الثورة . قال أحمد رائف وهو يعدد الطرق التى كان يفكر فيها الإخوان للتخلص من عبد الناصر : « ودخلوا فى مناقشات بيزنطية حول الفتنة ودم عبد الناصر حلال أم حرام ؟ فى الوقت الذى كانت نفوس الإخوان تعبأ ضد الثورة ورجالها عبر المنشورات التى كانت سبب أرق عبد الناصر » (الصفحات. ص/ ٢٥٦).

وهذا سؤال وجهه أحمد رائف إلى سعد حجاج أحد أعضاء التنظيم الخاص قائلا له : هل كانت هناك فكرة لاغتيال جمال عبد الناصر ؟

قال : كان هناك كثير من المناقشات حول دور الإخوان فى الرد على الثورة عندما يحاول الضباط القضاء على الإخوان ، وكانت هناك بعض الأفكار تدور فى الأحاديث المختلفة بين الإخوان فى ضرورة المقاومة وعدم التسليم ببساطة ، وتطورت هذه الأفكار إلى ضرورة التخلص من هؤلاء الضباط ، وقتل واغتيال بعض منهم كنوع من الحماية ، ولكن هذه الأفكار وهذه الأحاديث لا تمثل نظر قيادة الإخوان فى هذا الأمر ! ووجهة نظر الإخوان قيادة الإخوان تمثل فى مجموعها رأى الجماعة ، فإن أخذنا بهذا فلم يكن عند الإخوان أدنى فكرة عن اغتيال عبد الناصر ..

وما قصة الحزام الناسف والمسدسات وسائر هذه الأشياء ؟

– الحزام الناسف كانت فكرة تستخدم عند الهجوم على الجماعة ، فلا بد من رد من جانبنا ، وكنت أنا المرشح لحمل هذا الحزام واحتضان عبد الناصر والموت معه ، ولم يكن هذا كلاما رسميا بمعنى أنه لم يأت من قيادة الإخوان للتنفيذ ولكنها أفكار نتبادل الحديث فيها،وقد رفضت هذه الفكرة.. لماذا ؟ لأننى كمسلم أقاتل وأقتل ، وموضوع الانتحار هذا لا أراه شرعيا» (الصفحات . ص/ ٥٠٩) .

قال أحمد رائف : وسألت الأخ سعد حجاج : هل جاءتكم أوامر حسب التسلسل القيادى الذى ذكرته باغتيال جمال عبد الناصر . الخ؟ قال سعد حجاج : لو جاءتنا أوامر بقتله لقتلناه ، وكنا نستطيع ذلك . كيف هذا ؟ وفى ابتسامة الواثق قال سعد : كانت عند الإخوان القدرة على قتل عبد الناصر فى أى وقت ، كان لدينا التنظيم الدقيق المسلح الواعى القادر على تنفيذ هذا ، واسأل التاريخ القريب يخبرك »(الصفحات .ص/ ٥١٢) .

انظر إلى قوله : لو جاءتنا أوامر بقتله لقتلناه . ! لتعلم عظم الانقياد الأعمى فى تلك الجماعة ..

وقد بلور سيد قطب هذا المفهوم وتلك الأفكار فى كتابه " لماذا أعدمونى " وفيه قال : « لابد من حماية الحركة من الاعتداء عليها من الخارج ... وهذه الحماية تتم عن طريق وجود مجموعات مدربة تدريبا فدائيا بعد تمام تربيتها الإسلامية من قاعدة العقيدة ثم الخلق . فإن هذه المجموعات لا تتدخل في الأحداث الجارية، ولكنها تتدخل عند الاعتداء على الحركة والدعوة والجماعة لرد الاعتداء وضرب القوة المتعدية بالقدر الذي يسمح للحركة أن تستمر في طريقها...» أهـ

٦ـ دور المرشد العام ..

كان المرشد فى أول الأمر هادئا فى مواجهة الضباط . قال أحمد رائف :

« كانت خطة الرجل بسيطة وسهلة وهى تجنب الصدام ولو أدى الأمر إلى تسليم مفاتيح المركز العام لجمال عبد الناصر ، مع الفتوى بعدم جواز قتله هو أو

غيره ، ولكن ماذا يفعل حيال جمهور قوى غاضب مسلح ، قد هيأ نفسه للنصر والحكم » (الصفحات ص/ ٢٤٣) وقال ص/ ٢٩٩: « وطرحت أفكار للاغتيال والتخلص من الضباط ، واستنكرها ونهى عنها المرشد العام » أهـ .. ولكن لما ضاقت الأمور بالهضيبي بدأ يلمح لأعوانه بالإعداد لقتل عبد الناصر والتخلص من ضباط الثورة .. وبدأ يجدد تشكيلات التنظيم السري .. وبعد الاختفاء فى الإسكندرية بدأ فى تهييج الواقع الإخوانى بالمنشورات السرية .. حريصا على أن يكون بعيدا عن تحمل المسئولية.

• تلميح المرشد الأول بقتل عبد الناصر...

ظهر هذا التلميح بعد فشل محاولة الغزالى وإخوانه فى الانقلاب على المرشد العام . يقول السيسي : « ولا زلت أذكر تلميحه اللطيف حين ذكر قصة العاص بن وائل ، ذلك الكافر الذى كان رسول الله ﷺ قد أهدر دمه حين دخل مكة منتصرا ، وبعد أن ضاقت به الأرض بما رحبت دخل على رسول الله ﷺ وهو يجلس فى حرم الكعبة ، وألقى عليه السلام عساه يعفو عنه ، ولكن الرسول ﷺ لم يرد عليه السلام إلا فى الثالثة ، فلما سأل الصحابة رسول الله ﷺ لماذا صمت فى الأولى والثانية؟ قال : لقد انتظرت حتى يقوم أحدكم فيضرب عنقه ، قالوا أو ما أومأت إلينا يا رسول الله ؟ قال ﷺ : « إنه لا ينبغى لنبي أن تكون له خائنة الأعين . » (فى قافلة الإخوان . ص/ ٣١٥) .

• النشرات التكفيرية والدعوة للانقلاب ...

وعقب انتشار إشاعة لا يعرف من الذى أطلقها بين صفوف الإخوان ، تشير بأن هناك خطة لقتل المرشد انطلق عبد القادر عودة وخميس حميدة إلى المرشد العام وأخبراه بها ، فما كان من المرشد إلا أن فر هاربا إلى الإسكندرية ، وقد أثبت الهضيبي حقيقة فراره بقوله : « وقيل لى إن الحكومة عاوزة تغتالنى ... فأنا إكمالا لخطتى أننى أبعد عنهم اعتزلت » (فى قافلة الإخوان . ص/ ٥٢٤) ومن مخبئه خرجت المنشورات النارية ، التى كانت تنادى بقلب نظام الحكم ، وتكفر الضباط ،

وتحرض عليهم ، قال محمود عبد الحليم واصفا تلك المنشورت : « ثم يذكى هذه النار ويؤججها ما يصدر عن المرشد من مخبئه بين يوم وآخر منشورات لا هبة » (أحداث صنعت التاريخ. ٣ / ٣٨٨) وقال فى موضع آخر : « وقد وجدت أن الإخوان فى المركز العام يغذون إخوان الأقاليم بسيل من المنشورات منها خطابات موجهة إليهم من المرشد العام من مخبئه . ولا حظت أن هذه المنشورات والخطابات مما يرفع من حرارة الالتهاب وفى أعصاب الإخوان ضد الحكومة حتى إن بعض هذه المنشبورات رمت رجال الثورة بما تستباح به الدماء» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٧٣) .

وقال فى موضع آخر فى نفس كتابه ٣ / ٤١٨ : « وقبل موعد الاجتماع بنحو ساعة فوجئنا بمنشور صادر عن المرشد العام يوزع على هؤلاء الإخوان ، يحرضهم فيه على رجال الثورة ويرميهم بالكفر...»أهـ.

وتلك الدعوة الانقلابية التكفيرية متناقضة مع فكر المرشد القديم الذى قال فيه لعبد الناصر : « سنعتبركم حركة إصلاحية .. الخ » ..

كما أنها تتنافى مع عزمه أن يسلم عبد الناصر مفتاح المركز العام للإخوان ، اتقاء لوقوع مواجهة بين الفريقين ، كما تقدم ..

وتتناقض كذلك مع كتاب"دعاة لا قضاة " الذى كان يحارب فيه الهضيبي الفكر التكفيرى ..

هذه هى المنشورات التى كانت تخرج من المركز العام لجماعة الإخوان ، لتوزع فى جميع أنحاء الجمهورية ، وتطالب بالقضاء على ضباط الثورة والتخلص منهم. وقد وزعت تلك المنشورات قبل حادث المنشية .. وكان لها الأثر الأكبر فى نفس هنداوى دوير حين فكر فى قتل عبد الناصر .

وقد كان هذا الاتجاه مسيطرا على ذهن سيد قطب بعد الثورة مباشرة ، كما تقدم ، فقد كان يكتب المنشورات السرية التى كانت تؤجج الصراع ، خاصة بعد عقد اتفاقية الجلاء ، بما يدل على أن فكرة قتل عبد الناصر كان لها تعلق كبير بتلك

الاتفاقية ..

وعلى وفق رواية المصريون نت .. فى ٧ / ٢ / ٢٠٠٩م فقد اعترف الأستاذ خليفة عطوة " أحد أعضاء التنظيم الخاص" بضلوع الإخوان فى محاولة قتل جمال عبد الناصر فى المنشية عام ١٩٥٤م ..

قال الأستاذ حسين البربري : « كشف خليفة عطوة المتهم السادس في محاولة اغتيال الزعيم الراحل جمال عبد الناصر عن أسرار محاولة اغتيال "الإخوان المسلمين" للرئيس الأسبق في عام ١٩٥٤ فيما تعرف تاريخيا بـ "حادثة المنشية"، بدعم من محمد نجيب ، أول رئيس لمصر بعد الإطاحة بالحكم الملكي، بعد أن تعرض للعزل في ذلك العام بقرار من مجلس قيادة الثورة.. وكشف عن اتصالات سرية تمت بين "الإخوان" ومحمد نجيب ، عندما طلب منهم الأخير أن يساعدوه في التخلص من عبد الناصر بعد توقيع اتفاقية الجلاء عام ١٩٥٤ ومكافئته "الإخوان" الدخول في الحكومة بمشاركة الأحزاب الأخرى...

وتابع عطوة : " إثر ذلك ، صدرت تعليمات بتنفيذ مهمة عاجلة وتم تقديم مجموعة انتحارية تتكون من محمود عبد اللطيف وهنداوي سيد أحمد الدوير ومحمد علي النصيري ،حيث كان مخططا أن يرتدي حزاما ناسفا يحتضن عبد الناصر وينسفه إذا فشل محمود عبد اللطيف في الضرب ، وأنا وأنور حافظ على المنصة بصفتنا من حراس الثورة، ونقوم بتوجيه محمود عبد اللطيف والإشارة له بتنفيذ خطة اغتيال عبد الناصر".. وأوضح أنه هو من أعطى شارة البدء لمحمود عبد اللطيف ببدء الهجوم ، عندما كان عبد الناصر يخطب في المنشية بالإسكندرية، في يوم ٢٢ أكتوبر ١٩٥٤، لكن المحاولة أخطأت هدفها، حيث مرت أول رصاصة، من تحت إبط عبد الناصر، واخترقت الجاكيت العسكري الواسع الذي كان يرتديه، واصطدمت بقلم حبري في جيبه ونجا منها بمعجزة، بينما مرت الرصاصة الثانية بجواره من بين كتفي جمال سالم وعبد الحكيم عامر، واستقرت في رأس الميرغني حمزة زعيم الطائفة الختمية بالسودان وأحد ضيوف الحفل ليلقى مصرعه في الحال» أهـ

فقادة الإخوان مسئولون بخلاف ما قال القرضاوى .بل ولا أكون جانيا إذا قلت أن سبب صراعات عبد الناصر مع بعض الدول العربية والإسلامية كانت بسبب الإخوان ومفكريهم ..ومن هنا يتبين عدم الأمانة التاريخية فيما ينقله القرضاوى لشباب الإخوان فى كتبه ، وأنه يكتب لخدمة جماعته ، لتظهر كالحمل الوديع النقى الطاهر ، وهى بخلاف ذلك . ولو أنه اعتذر هو وجماعته عما تورطوا فيه عند تعاملهم بالكبر مع ضباط الثورة لكان خيرا لهم .

الحقيقة الغائبة:

لم يكن أحد يتصور أن يكون رفض الإخوان لهذين الشرطين اللذين وضعهما عبد الناصر عند لقائه بوفد الإخوان ، وهما : " عدم معارضة اتفاقية الجلاء ، وقف المنشورات السرية " سببا لهذا البلاء الذى وقع فيه الإخوان .! ولقد فصلت هذا التاريخ ليعلم إخواننا أن الإخوان كانوا فتنة كبرى للعالم الإسلامي كله ولمصر المنكوبة بهم ، وكانوا فتنة لعبد الناصر ولضباط الثورة ، فى استفزازهم والتآمر عليهم .

ولو بدأ المرء معهم صالحا فلا يضمن إذا اختلف معهم ماذا ينتهى به السبيل. فهم فى الخصومة أشد ، وفى تجهيز الاتهامات أقوى .. ولو اجتمعت كل قوى الشر فى الانتقاص ممن يخالفهم مابلغوا مبلغ الإخوان ، فقد تآمروا حتى جعلوا القريب بعيدا، والبعيد بغيضا ..

فتنة سيد قطب وتنظيم ١٩٦٥م ...

المواجهة الثانية ...

أسرار القبض على ثلاثة آلاف إخواني .! عام ١٩٦٥م .

د/ جابر قميحة واستخفافه بأئمة السلف ..المنهج قبل الأشخاص ..

نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة ..

لماذا دخل سيد قطب السجن عام ١٩٥٤م ..؟

كيف اكتشف تنظيم ١٩٦٥م ..؟

علاقة سيد قطب بالتنظيم وهدفه .

هل حوكم سيد قطب من أجل إعلان الحاكمية ..؟

اتهامات القرضاوى وعلى عبد عشماوى وممثل النيابة لسيد قطب واحدة

أولاً : استخفاف جابر قميحة بعلماء السلف ..

كثير من كتاب الإخوان حين يواجهون ما تتعرض له جماعة الإخوان من نقد ونصيحة فإنهم لايحسنون تحرير المسائل وتتبع الأصول والقواعد للوصول إلى الحق ، ولا يناقشون خصومهم بالعدل ، إنما يدخلون فى قضايا لاعلاقة لها بموضع النقاش ولا بالبحث العلمى النزيه ، ويصرفون الدراسة إلى محور النزاعات الشخصية والعصبية .. متعمقين فى قواميس اللغة بحثا عن أساليب الاستخفاف والاستهزاء ، ليرموا خصومهم بها ، كأنهم يناضلون عن جماعة معصومة .. ومن هؤلاء الذين يسلكون هذا النهج الدكتور / جابر قميحة " أحد منظري الإخوان "

فهو لا يتعرض إلى القضايا موضع النقاش بالتحليل والبرهان ، وإنما يستخف ويستهزئ ويحتقر ، ويتهم بالعمالة ، ليصل فى النهاية إلى أن الإخوان هم فقط النور الساطع فى جبين الأمة ، وأن غيرهم هم الظلام الدامس .. فقضية الإسلام

عندهم تدور حول خدمة جماعة الإخوان ورفع تاريخها فى المقام الأول .

ومن اختلف معهم أو انتقدهم فكأنما اختلف مع الإسلام . ومن أجل ذلك فقط اقترفوا الجرائم والاغتيالات السياسية فى القرن الماضي . والرزية كل الرزية أن كثيرا من أفراد جماعة الإخوان عندما يرون الأمر متعلقا بالكبار فإنهم لا يسمعون ولا يقرءون ولا يفهمون ، كما قال الدكتور سعد الدين صالح ، إنما تلوك ألسنتهم بما لا وزن له فى موازين البحث العلمى المحترم .. فيقولون : هذا حسد ، هذا بغض لدعوة الإخوان ، هذا الكلام يصب فى مصلحة أمريكا . الخ

قلت : إذا كان الكلام عن مثالب القمم الإخوانية لا يكون إلا لمصلحة أمريكا فالسكوت لمصلحة من ؟ وتزييف الدين لمصلحة من ؟

إن تلك الحملة التى يديرها الإخوان تجاه من ينتقدهم ليست إلا من أجل التستر على مصائبهم المتتالية المؤثر بالسلب على الأمة الإسلامية ، وهذا التستر لا يصب إلا فى طريق إبليس .. أما بالنسبة للحسد الذى يتهم به الإخوان مخالفيهم . فلا أدرى أين العوالي فى حركة الإخوان حتى تكون موضعا للحسد ! جماعة منذ أن نشأت وهى فى السرية لا تظهر إلا إذا أذن لها ، وفى الخذلان لا تنتصر ، لم تصل إلى موقع المسئولية ، حتى تشرأب لها الأعناق ، رافقت أهل البدع من الشيعة الروافض والجهميين والاعتزاليين والخوارج والتكفيريين وتركت الحجة الرسالية ، ولعبت مع الأحزاب بالتكتيكات والمناورات ، وجعلت قواسم مشتركة ، لأجل الحكم والسلطان .. وقالت : " نعم للمشاركة لا للمغالبة " ، ثم قالت : " احمدوا ربنا فقد كان من الممكن ألا تجدوا لكم مكانا " .. جماعة تشبعت باللعب على العواطف منذ أن نشأت .. ليس فيها علماء ، حتى تطلب فتاواهم ويؤنس بصحبتهم .. فأى ظهور تحقق لهم حتى يكونوا موضع حسد .؟

فهم دائما مهزومون .. تطولهم سيوف أهل الحديث والسنة بالبراهين المسكتة ، وسيوف السلاطين والأمراء بالقوة المتمكنة ..

فهل رأى هؤلاء أحدا من علماء السلف أهل الحديث نازعهم فى مكانتهم

، حتى يكون نقده حسدا عليهم .؟

إن أهل الحديث حين يتعرضون لمثالب أقطاب الإخوان فإنهم لا يتعرضون بالافتراء والهوى ، إنما يتعرضون بموجب الدليل والبرهان ، لأن التعرض للأشخاص بالنقد والتجريح مسئولية يحاسب عليها المرء بين يدي الله تعالى..﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ ولقد قرأت كلاما للدكتور/ جابر قميحة تحت عنوان (الإخوان والمحرقة) وذلك فى جريدة (آفاق عربية . ٢٣ سبتمبر ٢٠٠٤ م) يعلق فيه على المعترضين على فكر سيد قطب بقوله : « وبعد إعدام سيد قطب عملت الأقلام عملها ، ولا أقصد الأقلام المريضة التى تكتب فى الصحف الصفراء الكالحة ، ولكننى أقصد ما شاهدته من كتب مطبوعة طباعة فاخرة ، وتباع بأسعار رمزية، وكلها مطاعن فى الإخوان ودعوتهم وقادتهم ، و نال سيد قطب منها الحديث الأوفى : فهو باطني يدعو إلى عقيدة الحلول ووحدة الوجود وهو يناصر دعوة عبد الله بن سبأ اليهودى وأنه عاش طيلة حياته رقيق الدين ، مستهينا بالعقيدة ، وأنه ... وأنه . ولو صحت هذه الافتراءات التى كتبها علماء «...طوال اللحى ـ لكان سيد قطب زنديقا مارقا عن الملة والعياذ بالله» أهـ .

تلك هى كتابات د/ جابر قميحة ..يستهزىء ويسخر . دفاعا ورفعا لمكانة الإخوان على الجميع .. والإخوان ومنهجهم إذا قارناه بغيره أضعف بكثير مما يعتقده فيهم .. والدكتور وجماعته فى العمل السياسي يريدون إزالة أفراد لا يختلفون كثيرا عنهم فى الوقوع فى الخطأ " فكل بنى آدم خطاء " ..

ولكن الخطأ إذا خرج من جماعة الإخوان فإنه لا يلام ولا يعاب ، بل يعظم ويصان ، وإذا كان فى غيرهم فهو شرك أكبر ، وصاحبه عميل وخائن ، وهو فى الآخرة فى قعر النار ، كأن الله تعالى خلق النار لخصوم الإخوان ..

وجابر قميحة فى هذا النص يلمز علماء أكابر ، لا أظن عاقلا ولا صاحب دين يقدح فى دينهم ولا فى علمهم ولا فى ورعهم ، وهو مع ذلك يشكك فى علمهم بعلامات التعجب ، ويطعن فى دينهم بأن كتبهم تباع بأسعار رمزية ليبين أنهم

عملاء، وليسوا أصحاب دعوة ، ويصفهم بأنهم أصحاب لحى طويلة ، منتقصا قدرهم . وهذه اللحى سنة رسول الله ﷺ ، وقد كانت لحيته تغطي نحره بأمر ربه (تعالى ذكره) .. قال عبد الله بن عباس (رضى الله عنهما) فى وصف لحية الرسول ﷺ : « قد ملأت لحيته من هذه إلى هذه حتى كادت تملأ نحره »(قال الهيثمي فى مجمع الزوائد : رواه أحمد ورجاله ثقات ٨ / ٤٨٦) .

هؤلاء الأئمة الذين يلمزهم جابر قميحة بالانتقاص هم : الشيخ عبد العزيز بن باز والشيخ الألبانى والشيخ صالح بن عبد العزيز آل الشيخ ، ومن مصر الشيخ محمود شاكر من أئمة الحديث والشيخ محمد عبد اللطيف السبكى من كبار شيوخ الأزهر . الخ

هؤلاء العلماء أثبتوا مثالب الأستاذ سيد قطب من كتبه . لم يفتروا عليه ، ولم يأخذوا كتبه بالظنون ، وإنما أخذوها بالحجة والبرهان ، أرادوا من ذلك حماية الدين والملة ، لأن كتب سيد قطب يقرؤها العالم والجاهل ، ويغتر بها من لا علم له بمداخل المذاهب والفرق.. ولولا ذلك ما تعرض له أحد ، ولا شك أن الحفاظ على الإسلام أولى من الحفاظ على قمم الإخوان وأدبائهم .

وقد شارك الشيخ القرضاوى والأستاذ فريد عبد الخالق - وهما من كبار الإخوان - علماء السلف ومشايخ الأزهر فى الحملة على فكر سيد قطب .. فهل من الممكن أن يجعل الدكتور جابر قميحة لهؤلاء الإخوانيين نصيبا من تلك التهم التى ألقاها على علماء السلف أهل الحديث .. ؟

إن هؤلاء العلماء الذين تكلموا فى دعوة الإخوان وفكر سيد قطب بالطعن وحذروا من كتبه لا تجد أحدا منهم كفر سيد قطب أو قال إنه زنديق ، بل إن أكثرهم كان يتمنى له الرحمة والمغفرة ،عند الترجمة له ، وذلك من باب حسن الظن فى إسلامه وغيرته على الإسلام ، على الرغم من ثبوت تلك التهم التى وجهت إليه ، ذلك لأن هؤلاء الأئمة لا يكفرون أحدا من المسلمين إلا بعد إقامة الحجة الرسالية ، اتباعا لمنهج السلف الصالح (رضى الله عنهم) وهؤلاء الأئمة يعلمون أن سيد قطب

لم يكن عالما من العلماء ، ولكنه كان كاتبا مرموقا وأديبا فاضلا ، وتلك الدرجة تمنع تنزيل الحكم بالعين عليه ، حتى إقامة الحجة الرسالية وانتفاء موانع التكفير (الجهل ، والخطأ ، والإكراه ، والنسيان) قال العلامة الشيخ صالح الفوزان تعليقا على تفسير سيد قطب لقول الله تعالى : ﴿وفي الرقاب﴾ ذلك حين كان الرق نظاما عالميا ، تجري المعاملة فيه على المثل في استرقاق الأسرى بين المسلمين وأعدائهم . ولم يكن للإسلام بد من المعاملة بالمثل حتى يتعارف العالم على نظام آخر غير الاسترقاق » (فى ظلال القرآن ٤) .قال : « هذا كلام باطل وإلحاد .. وهو وأمثاله نعذرهم بالجهل فلا نقول إنهم كفار، لأنهم جهال أو مقلدون ، وإلا الكلام خطير لو قاله إنسان متعمدا عالما ارتد عن الإسلام» (براءة علماء الأمة للسنانى ص/ ٤٨) .

ولكنه على كل حال يحذر من ضلالاته ، حتى لا يقتدى به العامة وضعفاء الدين ، ومن قال إن هذا ليس بلازم فهو من عبيد الأسماء ، وعليه أن يراجع ولاءه للإسلام .. كان من الواجب على الدكتور قميحة أن ينصر الدين الذى يزعم دعاة الإخوان أنهم يجاهدون فى سبيله ويموتون من أجله ، بدلا من الموت لأجل الأسماء والصور .. و أن يشكر هؤلاء العلماء الذين حذروا من مفاسد سيد قطب ، بدلا من انتقاصهم والاستخفاف بهم ؛ لأنهم فعلوا ذلك لأجل الإسلام .. ولهم فى ذلك القدوة فيمن سبقهم من الأئمة الربانيين ..

كما كان من الواجب عليه أن يبتعد عن التأثير الشعوري النفسي ، والكلام الإنشائي ، والجدل القائم على التعصب ، وينصر جانب التحليل العلمى ، بنقل تلك النصوص التى تناولها هؤلاء العلماء بأمانة لقراء مجلته ، ويبين مواضع الخلل التى وقع فيها سيد قطب ، أو يبين وجهة هؤلاء العلماء فى ذلك ، ليعرف القاصي والداني ماذا فعل سيد قطب فى أذهان شباب المسلمين ..

حفظ المنهج قبل الأشخاص ...

لقد أتعب كثير من الغلاة أنفسهم فى الدفاع عن سيد قطب ، ابتغاء رفع القلم عن مثالبه وأخطائه ، والاستبقاء عليها ولو أضلت العالمين .. ولكن دون جدوى ...حتى إن أخاه محمد قطب رفض رفضا قاطعا التعليق على كثير من الفقرات المنتقدة فى كتاب الظلال .

ومن المعلوم أن سيد قطب لم يكن له تلاميذ ، ولم تشتهر له مجالس ، ولم يعرف له شيوخ .. ولم يكن له مواجهة معلومة فى أى قضية من قضايا الدين مع أحد من خصومه ..فقد كان مع الثورة بفكرها الاشتراكى ، ثم تركها وانصرف عنها حين اختلفت مع الإخوان .. ولم يعرفه الناس إلا عن طريق كتبه – خاصة الظلال والمعالم – التى ألفها فى السجن من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م ..وهذا هو السبب فى عدم معرفة كثير من الناس بمقاصده .. خاصة أنها لم تكتب بطريقة شرعية فقهية أصولية ، كما يكتب أئمة العلم والدين ، إنما كتبها بطريقة أدبية بلاغية تنظيرية ، خلط فيها بين الحق والباطل .. وقد شهد هو على نفسه بأنه لم يخضع أبحاثه لقواعد دينية ، كما بين فى كتاب " التصوير الفنى " .

ومع ذلك فليست قضيتنا مع شخصه ، إنما قضيتنا مع الأتباع المغرورين به ، والنصوص التى قد تخفى عليهم ، والعامة الذين لايدركون عواقب النظر فى كتبه ، أما هو فقد أفضى إلى ربه (تعالى ذكره)..

فليس مقصدنا المذمة والتجريح ، وإنما قصدنا التحذير وإقامة الحجة .. وذلك لأنه لم يكن عالما فقيها من جهة ، ولم تقم عليه الحجة الرسالية . فأمره إلى الله تعالى فيما تأوله . . وأئمة السلف لا يمنعون الإنكار على المخالفين من الأئمة فى مسائل الخلاف ، ولا فى غيرها من المسائل ، لأن الغاية العظمى هى حفظ الدين والملة ، لمن أراد تعظيم الدين والملة ..أما من أراد الصور والأشخاص فإنه يفزع عند ذكر مثالبهم ، لأنه قد بنى دينه على فكرهم ..

فمن اعترف أن لسيد قطب أخطاء فى العقيدة فقد لزمه أن يحذر من تلك الأخطاء، حتى لا ينزلق فيها العامة .. هذا هو الحق الواجب ، أما التغنى بأدبه وبلاغته على حساب الدين والملة فهذا لايفيد الأمة بشىء .. فرفع نقيض الشىء هدم لهذا الشيء ، والبدعة نقيض الدين .. والمقصود التحذير من أخطائه وليس التغنى بحسناته ، لأن أخطاءه تهدم الإسلام ، قال إبراهيم بن ميسرة : « من وقر صاحب بدعة فقد أعان على هدم الإسلام » أهـ ..

وإذا كان لسيد قطب فضل فى الدعوة .. فهو يحمد عليه .. والفضل كله لله تعالى.. وقد سبقه المعتزلة وأئمتهم فى ذلك الفضل ، وهى فرقة ضالة كانت تقدم العقل على النقل ، ودخل بسببها كثير من الكفار دين الإسلام .. وقد كان للمعتزلة قدرة بالغة فى مناظرة الكفار وإبطال حججهم ، وهذا أمر بالضرورة يحمدون عليه ، إلا أنهم وضعوا تحت سيوف الأئمة بالنقد والتجريح ، بسبب أنهم نقلوا للكفار كل الشبهات الطاعنة فى الإسلام فضلوا وأضلوا ..

ولو قدر أن كان المخالف من الأخيار ومن أهل السبق فى الدعوة ، فالرد عليه واجب أيضا ، لمن له أهلية فى ذلك ، فقد كان الإمام أحمد يرد على الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة ، حفظا للمنهج وصيانة للعامة ..

قال ابن الجوزي في (مناقب الإمام أحمد . ص / ٢٥٣) :

« وقد كان الإمام أبو عبد الله لشدة تمسكه بالسنة ونهيه عن البدعة يتكلم في جماعة من الأخيار إذا صدر منهم ما يخالف السنة ، وكلامه محمول على النصيحة للدين » أهـ

وكذلك الإمام على بن المدينى الذى كان يقال عنه " إنه أعلم الناس بحديث رسول الله (وعلله "، كما قال عنه أبو حاتم الرازى كما نقل الحافظ المزى فى (تهذيب الكمال ٢١ / ٩) : « كان على علما فى الناس فى معرفة الحديث والعلل ، وكان أحمد لا يسميه إنما يكنيه تبجيلا ، وما سمعت أحمد سماه قط » أهـ

هذا الإمام تكلم فيه الإمام أحمد ، بعد ما ظهر من ضعفه فى محنة خلق

القرآن، وجنوحه إلى أحمد بن أبى دؤاد إمام الجهمية ؛ مخافة القتل .

قال الحافظ بن حجر فى (تهذيب التهذيب ٧/٣٥٦) : « تكلم فيه أحمد ومن تابعه لأجل ما تقدم من إجابته فى المحنة . وقد اعتذر الرجل عن ذلك وتاب وأناب » وقال عبد الله بن أحمد بن حنبل فى المسند بعد أن روى عن أبيه عن على حديثا : لم يحدث - أى : بعد المحنة - عنه بشىء ».

وقال ابن أبى حاتم : قال أبو زرعة : « لا يرتاب فى صدقه .. وترك أبو زرعة الرواية عنه من أجل المحنة » أهـ

وهذا الحسين بن على الكرابيسي كان مشهودا له بالإمامة فى الفقه ، قال أبو عمر بن عبد البر : « كان عالما مصنفا متقنا وكانت فتوى السلطان تدور عليه وكان نظارا جدليا وكان فيه كبر عظيم » (تهذيب التهذيب ٦١٨).

غير أنه لما تكلم فى مسألة اللفظ وطعن فى الإمام أحمد سقط فى العلم وترك الناس قوله .. قال الخطيب : « يعز وجود حديثه جدا لأن أحمد بن حنبل كان يتكلم فيه بسبب مسألة اللفظ ، وكان هو أيضا يتكلم في أحمد ، فتجنب الناس الأخذ عنه ، ولما بلغ يحيى بن معين أنه يتكلم في أحمد لعنه وقال ما أحوجه أن يضرب »(تهذيب التهذيب ٦١٨) .

كما كان الإمام أحمد يحذر من بعض العباد أمثال الحارث المحاسبي ، مع علمه بشدة زهده وورعه ، ولكنه كان مأوى للمتكلمة ، وكان يتكلم فى دقائق النفوس . وكان يقول : « حذروا الناس من الحارث أشد التحذير ، الحارث أصل البلية . يعنى فى حوادث كلام جهم ذاك جالسه فلان ، وفلان ، وأخرجهم إلى رأى جهم ، مازال مأوى أصحاب الكلام ، حارث بمنزلة الأسد المرابط ، انظر أى يوم يثب على الناس » (تلبيس إبليس ص/ ١٦٧) .

فحفظ المنهج أهم من حفظ الأشخاص بالضرورة ..

ولمن لايريد البرهان إلا من سيد قطب فقد أشار الأستاذ سيد قطب إلى ذلك ، وبين أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج ، وأنه يجب تعيين من وصف منهم

بالانحراف والخطأ ، مهما كانت منازلهم ، حفظا للمنهج .. وقال(رحمه الله) : « إن منهج الله ثابت ، وقيمه وموازينه ثابتة ، والبشر يبعدون أو يقربون من هذا المنهج ، ويخطئون ويصيبون في قواعد التصور وقواعد السلوك . ولكن ليس شيء من أخطائهم محسوبا على المنهج ، ولا مغيرا لقيمه وموازينه الثابتة .. وحين يخطيء البشر في التصور أو السلوك ، فإنه يصفهم بالخطأ . وحين ينحرفون عنه فإنه يصفهم بالانحراف . ولا يتغاضى عن خطئهم وانحرافهم - مهما تكن منازلهم وأقدارهم - ولا ينحرف هو ليجاري انحرافهم ! ونتعلم نحن من هذا ، أن تبرئة الأشخاص لا تساوي تشويه المنهج ! وأنه من الخير للأمة المسلمة أن تبقى مباديء منهجها سليمة ناصعة قاطعة ، وأن يوصف المخطئون والمنحرفون عنها بالوصف الذي يستحقونه - أيا كانوا- وألا تبرر أخطاؤهم وانحرافاتهم أبدا ، بتحريف المنهج ، وتبديل قيمه وموازينه .. فهذا التحريف والتبديل أخطر على الإسلام من وصف كبار الشخصيات المسلمة بالخطأ أو الانحراف.فالمنهج أكبر وأبقى من الأشخاص»(فى ظلال القرآن . ٥٣٣ . ط/ ١٤٠٧هـ) .

ولم يكن سيد قطب بمفرده الذى قرر هذا المنهج ، بل شاركه فيه الشيخ الغزالى، وأكده فى كتابه (من معالم الحق .ص/ ١٣٢) ، فقال : « لم تخف على علماء المسلمين هذه الحقيقة ، فقام علم الجرح والتعديل فى صميم الثقافة الإسلامية ، يتعرض لأقدار الرجال الذين ينقلون السنن ، فيصف هذا بالصلاح ، وهذا بالفسق ، وهذا باليقظة ، وذاك بالغفلة .. بل إن تاريخ الأمم قاطبة تناول الحكام والقادة تناول الناقد الممحص ، فهاجم ودافع وعظم وحقر .. والقرآن الكريم ذكر الأمم المفرطة ، وما أسلفت من سيئات ، وكيف هوت بها مصارعها إلى أسفل سافلين . والغرض المنشود إحقاق الحق وإبطال الباطل ، بغض النظر عن الأشخاص وشئونهم الذاتية .. الخ

وعندما انتقد أحد الساسة قيل له : إنك تغتاب المسلمين ..

فرد قائلا : بل أعرف الناس بأقدارهم وأنزلهم حيث يستحقون . ولو قلت

غير ذلك لغششت أمة محمد بن عبد الله ﷺ إن التزييف فى النقود جريمة ، لأنك تروج النحاس بكونه ذهبا . وأوغل من ذلك فى باب الإجرام أن تزور فى قيم الناس فتوهم تاجرا ما أن فلانا يصلح شريكا له ، وفلان هذا خائن ، أو توهم جماعة ما أن فلانا يصلح نائبا عنهم فى أحد المجالس ، وفلان هذا أعجز من أن ينوب عن نفسه بل عن غيره...» أهـ .

ولمن لا يريد الحجة إلا من حسن البنا .. فعلى الرغم من تجاوزه عن هذا المنهج فى القضايا الدينية والعقائدية إلا أنه أشار إلى وجوبه فى الرد على المخالفين له فقط ولجماعته ، وذلك عندما تعرض لنقد شديد من الوفديين القدامى .. فدعا إلى التحذير منهم ومقابلة إسفافهم بمثله ، وأعاد إصدار مجلة الكشكول الجديد من أجل ذلك وقال لمحرريها بعد مقدمة طويلة : « حاربوا كل هذا واكشفوا عن مخازيه للناس وحذروهم إياه ، وقد كان سفيان الثوري يقول لأصحابه إذا اجتمع إليهم : تعالوا نذم ساعة فى سبيل الله ..

لا تجالسوا فلانا فإنه كذاب ، ولا تأخذوا عن فلان فإنه يجمع الحديث ، ولا تثقوا بفلان فإنه متهم فى دينه أو رأية أو هكذا »(مع الإمام الشهيد . ص/ ١٩٢)

فعلم الجرح والتعديل علم ثابت فى الإسلام ، ليس من اختراع أئمة السلف المعاصرين ، وهذا ما يفهمه طلاب العلم .بل وكل من ينتقدون هذا العلم يلجأون إليه فى مواجهة من ينتقدهم ..فهذا العلم غير مجهول . قال الأستاذ / عبدالقادر شهيب " رئيس تحرير مجلة المصور المصرية " : « يجوز يا زملاء انتقاد الإخوان كفصيل سياسى هكذا تعلمنا ، والتعامل معهم بأصل من أصول الإسلام وهو الجرح والتعديل لأفكارهم وفتاواهم ، هكذا يحثنا إسلامنا، فهل هى جماعة معصومة من الخطأ ، أما تشويه الإخوان أو غيرهم فليس من طبعنا أو أخلاقنا ، ولا مما نلزم به أنفسنا » (جريدة العربي . ١٨ / ١٢ / ٢٠٠٥م).

فالحذر الحذر من التعامل مع أهل البدع أو التهوين من أمرهم ...

وقد اضطررنا أن نذكر أسماء قوم رحلوا عن دنيانا وصاروا بين يدى الله

تعالى .. الله أعلم بحالهم ...وقد يكون فى تلك الغيبة مصلحة عظمى لهم ، فتخفف عنهم الأوزار ؛ وذلك حين يتجاوز أتباعهم عن الأخطاء التى ورثوها منهم .. يحكى أن رجلا جادل يوسف بن أسباط (رحمه الله) فى الرد على أصحاب المقالات البدعية ، فقال له : « يا أحمق؟ أنا خير لهؤلاء من آبائهم وأمهاتهم! أنا أنهى الناس أن يعملوا بما أحدثوا ، فتتبعهم أوزارهم . ومن أطراهم كان أضر عليهم » (انظر تهذيب التهذيب لابن حجر العسقلاني ٢، ٢٤٩) .

وما قصدنا إهانة أحد ، وإنما أردنا حفظ الملة ، والذب عن سنة النبى محمد ﷺ، وما قسونا على أحد شماتة ، وإنما قسونا ليزدجروا ، وأردنا أن نذكرهم أن الغيرة على شعائر الله وحرماته أعظم من الغيرة على حسن البنا والغزالى وسيد قطب . الخ.

نشأة سيد قطب ودوره مع الثورة المصرية ..

نشأ سيد قطب فى كنف الأديب الشهير الأستاذ عباس محمود العقاد ، وتأثر به .. واهتم بالشعر والأدب وعلوم البلاغة ، وتفنن فى النقد الأدبي .. واشتغل بالسياسة منتميا لحزب الوفد ، وعمل بالصحافة وكتب فى صحف متعددة .. وتعرض للاعتقال على أثر مقال انتقد فيه رئيس الوزراء فى زمنه .. إلا أن أحد زملائه استطاع أن يهيأ له فرصة للسفر إلى أمريكا كمبعوث عن وزارة المعارف ، لدراسة مناهج التعليم فى أمريكا ، واستمرت بعثته من ١٩٤٨م إلى ١٩٥٠م .. أما بداية ارتباطه بجماعة الإخوان فقد كان ارتباطا عاطفيا ، ولم يكن ارتباطا علميا ، فقد نشأ كرد فعل رأه فى المستشفى التى كان يعالج فيها من مرض الدرن والقلب قبالة مقتل حسن البنا ، إذ وجد بعض العلوج يذكرون موته بفرح وسرور . فظن أن ذلك لا يكون إلا إذا كان حسن البنا على الحق . وعندما عاد إلى مصر فى أوائل ١٩٥١م انضم لجماعة الإخوان ، وعين مباشرة رئيسا للجنة الدعوة . وعندما آمن سيد قطب بفكر الإخوان لم يكن له شيخ من أئمة السلف ولا من أهل الحديث ، وإنما انتقل بمفرده بفكره القديم من صالونات الأدب المتعالمة بالفكر الفلسفى إلى العمل الديني ..ومن الإخوان من ينسب سيد قطب إلى مدرسة الإخوان كحسن الهضيبي ، كما

نقل عنه عباس السيسي أنه قال : « إنه لا يعلم أن للأستاذ سيد قطب فكرا يغاير فكر الإخوان المسلمين» (قافلة الإخوان ٢٠٠٣م) ومنهم من يتبرأ من ذلك ، ويؤكد أنه لم يكن له مع حسن البنا زمالة ولا صحبة كمحمود عساف وغيره ..حيث قال : « لم يكن الشهيد سيد قطب من الإخوان القدامى ، ولم يزامل الإمام حسن البنا ، بل كان كاتبا إسلاميا وأديبا فحسب ، ثم عمل رئيسا لتحرير مجلة الإخوان بعد سماح حكومة الثورة باستئناف نشاطهم ، لذلك فإنه لم يشرب فكر حسن البنا » (الإمام الشهيد ص/ ١٦٠) .

وأعتقد أن الهضيبي فى تحديد فكر سيد قطب أقرب ، فقد نادى سيد قطب بالعزلة الشعورية التى نادى بها حسن البنا فى رسالة التعاليم .. وقال بعدم إسلامية الدولة التى قال بها حسن البنا فى مذكرات الدعوة والداعية .

وقد كان سيد قطب يكتب مقالات متعددة فى جرائد الاشتراكيين (مصر الفتاة) واللواء الجديدة (الحزب الوطنى) والدعوة (الإخوان المسلمين) .

ومن خلال مقالاته فى جريدة الاشتراكيين تعرف عليه ضباط الثورة .. حتى إن اللواء محمد نجيب هاتفه ، وقال له ، كما حكى عنه شقيقه الأستاذ / محمد قطب: « نحن تلاميذك ، تتلمذنا على كتابك " العدالة الاجتماعية في الإسلام " ، وعلى مقالاتك في مجلة الاشتراكية، ونريد أن تكون أنت مستشارنا فى الأمور الداخلية، فذهب إليهم فاحتفوا به احتفاء شديدا في مبدأ الأمر على أساس أنه أستاذهم الذى وجههم ، وما كان يعرف وما كان التقى بهم أبدا قبل ذلك ، ولكن قالوا له نحن تتلمذنا على فكرك الموجود فى العدالة الاجتماعية ، وعلى مقالاتك فى الاشتراكية . ذهب إليهم وعاش معهم ستة أشهر»(حياة سيد قطب.موقع الإسلام اليوم ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م) وقد عهدوا إليه أن يكون مستشارا للأمور الداخلية ، خاصة المتعلقة بوزارة المعارف ، قال محمد قطب : « فتحوا أمامه كل الملفات الداخلية وطلبوا مشورته فى كل الأمور » أهـ وعين سكرتيرا لهيئة التحرير بعدما أن كان رافضا لذلك فى أول الأمر ، واختلف معهم فى بعض أنشطتها ، غير أنه لم يصرح

بماهية الاختلاف .. وعندما علم ببعض لقاءات أو اتصالات بين الضباط والسفارة الأمريكية نبههم إلى ذلك فقالوا له : « نحن نستعين بهم لطرد الإنجليز ، ولن يكون لهم نفوذ علينا ولا فى بلادنا » أهـ

وعندما وقعت النزاعات بين ضباط الثورة وبين الإخوان حاول سيد قطب التوفيق بينهم ، وكانوا يستجيبون لذلك ، قال محمد قطب :

« وكانوا يستجيبون له حرصا على إبقائه معهم »أهـ

فقد كان متحمسا للثورة تحمسا شديدا ، وكان خطيبا لها داعيا إليها ، حتى إنه لقب بـ " ميرابو الثورة " .. فقد أنكر فى صحف الثورة إنكارا شديدا على الذين يريدون عودة الضباط إلى الثكنات العسكرية ..وطالب الضباط بعدم تمكين السياسيين من الوثوب على الثورة ، بأى صورة من الصور ، بسبب كونهم كانوا مخلصين للملك .. وبين أن القوة المتمكنة المتمثلة فى رجال الجيش أقوى فى الوصول إلى المقصود من الجماهير الحمقاء والأحزاب البالية ... وطالب الضباط بإقامة ديكتاتورية عادلة ، ونادى الشعب أن يصبر عليها .. وقد شارك الأستاذ كامل عبد الفتاح الأستاذ محمد قطب فى بيان منهج سيد قطب وتحمسه للثورة المصرية ووقوفه ضد المناوئين لها ، قائلا : « وعندما قامت ثورة ٢٣ يوليو عام ١٩٥٢م أعلن تأييده لها وتبني أهدافها ودافع عن شرعية وجودها بمقالاته الصحفية . وكانت علاقته وثيقة بالثوار وازدادت توثقا بعد قيام الثورة ، فكان المدني الوحيد الذي يحضر جلسات مجلس قيادتها ؛ بل إن الثوار تأثروا بكتاباته ومقالاته ، ومنها كتاب " العدالة الاجتماعية في الإسلام "الذي قرأه معظمهم.. وبسبب شدة تأييده للثورة أطلق عليه لقب " ميرابو الثورة المصرية " تشبيها له بميرابو أشهر خطباء الثورة الفرنسية ؛ لأنه أيَد كل مطالب الثورة ، فأعلن تأييده لقانون الإصلاح الزراعي ، وندد بمحاولة الأحزاب احتواء الصورة ، ووقف معاديا بحركة عمال كفر الدوار ، واتهم الشيوعيين بتدبيرها، وطالب بإلغاء دستور ١٩٢٣م ، كما طالب محمد نجيب بتطبيق ما أسماه دكتاتورية عادلة لمدة ٦ شهور، حتى تستقر الأمور والأوضاع للثوار ، وتتدعم سلطاتهم السياسية

ثم اتزنت علاقته برجال الثورة ، فطالب بالإفراج عن المسجونين السياسيين بما فيهم الشيوعيين » (مقال بعنوان . الشهيد سيد قطب في ذكراه الـ٣٩ . إخوان أون لاين - ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٥) .

ثم بعد ذلك وقع صراع بينه وبينهم بسبب الإخوان .. وانفصل عنهم واعتزلهم وانضم لجانب الإخوان .. وذلك أواخر عام ١٩٥٣م

ومن هنا يتبين أن قضية التكفير وتجهيل المجتمعات الإسلامية التى تبناها سيد قطب بعد دخوله السجن عام ١٩٥٤م لم تكن متبلورة فى ذهنه وقت أن كان أديبا .. ولم تكن متبلورة فى ذهنه بعد عودته من أمريكا عام ١٩٥١م فمجرد اشتراكه مع ضباط الثورة ينفى ذلك .. ولكنه حين انضم للإخوان تشبع بفكرهم التكفيرى ، القائم على إنكار وجود الدول الإسلامية .. فآمن به وبلور حيثياته فيما بعد .. فنهى عن التدخل فى مشكلات الواقع الجاهلي ، والعمل على إصلاحه أو تعليمه أمور الدين ، أو حتى إفتائه فى القضايا التى يتعرض لها ، حتى يدخل الدين ويؤمن به أولا.. ومن هنا يتضح أن عرض قضية الحاكمية الإسلامية بمفهومها الصحيح على ضباط الثورة لم يقم به سيد قطب .. ولم يقع بينه وبينهم نزاع فى تلك القضية .. فقد كانت القضية الأولى فى ذهن سيد قطب فى ذلك الوقت هى قضية " العدالة الاجتماعية " بمنظورها الاشتراكى ، حيث دعا إلى نزع الملكيات وإعادة توزيعها ، ولو كانت قائمة على أساس شرعي ، وزعم أن حق المجتمع في المال حق مطلق ، وأن حق المملكة الفردية لا يقف في وجه هذا الحق العام .. كما دعا ضباط الثورة وطالب محمد نجيب شخصيا أن يطبق ديكتاتورية عادلة لمدة ستة أشهر ، كما تقدم . فلم تقم به حجة رسالية إسلامية على كتاب الله تعالى وسنة رسوله ﷺ كما يزعم أصحابه.

لماذا سجن سيد قطب من عام ١٩٥٤م ـ ١٩٦٤م ؟

لم يسجن سيد قطب عام ١٩٥٤م بسبب الحاكمية ، وإنما سجن بسبب التصريح بوجوب قتل ضباط الثورة .. والإشراف على المنشورات الإخوانية التى تدعو إلى الانقلاب على الثورة والخروج عليها بسبب اتفاقية الجلاء .

وذلك أن سيد قطب عاد من أمريكا فى ٢٣ أغسطس ١٩٥٠ ومكث مع ضباط الثورة ستة أشهر فقط:ابتداء من يوليو ١٩٥٢م حتى أوائل فبراير ١٩٥٣م ..

ثم ترك ضباط الثورة ، وارتمى بالكلية فى حركة الإخوان . وصار مديرا لقسم الدعوة .. وأصبح محسوبا عليهم .. فانقطعت نصائحه عن ضباط الثورة ، ولم يعد مستشارا فى شئون وزارة المعارف ، وإنما صار فى خندق لا يعرف إلا لغة الانقلاب والثورة .. فلم يرفع سيد قطب لواء الحاكمية ، إنما رفع لواء الانقلاب والثورة على الضباط ، الذين وضعوه فى موقع الصدارة..

ولا أدرى لماذا لم يتعرض سيد قطب للفصل من الإخوان كما تعرض الشيخ الباقورى .. فهل وجوده فى الثورة كان بموافقة الإخوان .. أم كان بغير موافقتهم ..أم أن فى المسألة كيلا بمكيالين .؟

وفى ١٨ نوفمبر ١٩٥٤م ، بعد عام واحد من ارتباطه بالإخوان وبعد القبض عليه فى حادث المنشية صرح فى المحكمة أنه نصح المرشد العام بالقضاء على ضباط الثورة ، قائلا : « إننى نصحت الأستاذ المرشد أننا جماعة الإخوان يجب أن نقضى على حركة الجيش قبل أن تقضى علينا " قال ذلك فى وجه رئيس محكمة الشعب جمال سالم» (قافلة الإخوان .ص/ ٥٢٢) .

وبعد عقد اتفاقية الجلاء هدد سيد قطب فى منشوراته السرية ضباط الثورة بوقف الاتفاقية . قال القرضاوي : « الإخوان كانت لهم نشرة سرية تصدر في هذا الوقت تحت عنوان (الإخوان في المعركة) تهاجم الثورة ورجالها بعنف ، وتتضمن المنشورات الثورية التي تصدر عن قيادة الإخوان مثل منشورعنوانه: "هذه الاتفاقية لن

تمر" يعني : الاتفاقية التي عقدت مع الإنجليز.. وكان ينسب إلى الأستاذ سيد قطب أنه محرر هذه المنشورات الثورية بقلمه) (سيرة ومسيرة ٢ / ٧٧) .

فحكم عليه بسبب ذلك بالسجن لمدة خمسة عشر عاما ، وذلك بعد عام واحد فقط من ارتباطه بالإخوان .. فعام واحد مع الإخوان غير حياته كلها ونقله تلك النقلة .. مع العلم أنه لم يتعلم من أحد منهم شيئا ، فلم يكن له فى الإخوان شيخ ولا إمام .. ولكن هكذا عشرة الإخوان ..

وفى السجن كتب كتابه (فى ظلال القرآن) – الذى غلبت عليه النزعة الأدبية – من بين مراجع مكتبات مستشفى السجن الحربي بالتحديد ، وذلك من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م ، حيث صدر عفو صحى عنه بعد مرور عشر سنوات . ومن كتاب " الظلال " كتب سيد قطب " معالم على الطريق" عام ١٩٦٢م .. الذى جعل فيه الأمة الإسلامية فى مصاف المجتمعات الجاهلية فالظلال هو المرجع الأول للفكر التكفيري ، ففيه قال (٣ / ١٦٣٤) :« إن المسلمين الآن لا يجاهدون ذلك أن المسلمين اليوم لا يوجدون !.. إن قضية وجود الإسلام ووجود المسلمين هي التي تحتاج اليوم إلى علاج » أهـ ..

وكتاب الظلال كتاب أدبي لا يمكن أن يوفق سيد قطب لكتابته بهذه التعبيرات الأدبية البلاغية وهو تحت تأثير السياط والتعذيب والظروف النفسية السيئة .. ومن لم يعرف ظروف سيد قطب سيقول إنه كان فى مكتبة إسلامية مكتظة بكافة أنواع الكتب والمراجع وليس فى زنزانة لاتدخلها الشمس ، كما كانوا يدعون بالكذب على علماء المسلمين .. والحقيقة أن سيد قطب قضى أغلب فتراته فى مستشفى السجن الحربي من عام ١٩٥٤م حتى عام ١٩٦٤م .. حيث كان مريضا بعدة أمراض ـ السكر والقلب والدرن – يستحيل معها أن يتعرض للتعذيب ، كما يزعم الإخوان .. لا فى الفترة الأولى من ١٩٥٤م حتى ١٩٦٤م ولا فى الفترة الثانية من ١٩٦٥م حتى ١٩٦٦م كما زعم عبد الله عزام فى كتابه (سيد قطب- عملاق الفكر الإسلامي) قائلا : « وقف الداعية الشهيد سيد قطب يسخر من المحكمة التي تحاكمه وطلب إليه

القاضي الفاجر جمال سالم أن يذكر الحقيقة ، فقال الشهيد وقد كشف عن صدره وظهره الممزق بالسياط وأنياب الكلاب البوليسية الثورية: أتريدون الحقيقة. هذه هي الحقيقة .! فضجت القاعة بالاشمئزاز وأشاح الجمهور بوجهه ؛ ألما وازدراء لما يقع في سجون مصر الثورة » أهـ

فهذا من أكاذيب الإخوان ..

وقد شهد الدكتور / محمود جامع " فى لقائه مع قناة " الجزيرة القطرية " أن سيد قطب كان مريضا بعدة أمراض ؛ وهذا بالضرورة يبين استحالة تعرضه للتعذيب وهو بتلك الصورة ، فقال : « كان سيد قطب مريضا بالدرن وبالقلب وبالسكر وعدة أمراض فقضى معظم وقته فى المستشفى ، فى مستشفى سجن مصر»(الجزيرة نت. ١٠ / ١ / ٢٠٠٥م).

ومن الضرورى أن يعلم أن سيد قطب لم يمرض تلك الأمراض فى السجن ، كما يدعى بعض الإخوان .. فقد كان يعاني منها قبل الثورة ، حتى إنه كان يعالج منها فى المستشفى الأمريكى ، حيث سمع بمقتل حسن البنا ... أما أمره فى سجن طرة فقد شهد الأستاذ أحمد عبد المجيد " أحد أعضاء تنظيم ٦٥م " أن سيد قطب كان على علاقة طيبة بضباط سجن طرة ، حتى قال : « كانت صلته بالضباط والجنود في السجن صلة طيبة ، حتى إن مأمور سجن طرة قال : إن سيدا هو مدير السجن لصلته القوية بالجميع » (إسلام أون لاين . ١٢ / ٧ / ٢٠٠٤) .

فلم يؤلف سيد قطب الظلال ولا المعالم تحت تعذيب استمر عشر سنين كما يدعون ، إنما كان وجوده دائما فى المستشفى ..

وقد بين سيد قطب أنه لم يكن يخضع دراساته وأفكاره إلا لعقله ، ولم تؤثر فيه أى ظروف نفسية ، بل ولم تؤثر فيه أى عقيدة ، فقال : « وأنا أجهر بهذه الحقيقة الأخيرة وأجهر معها بأنني لم أخضع في هذا لعقيدة دينية تغل فكري عن الفهم » (التصوير الفنى ص/ ٢٥٥) فكيف تكون الظروف النفسية السيئة هى التى أثرت فيه .. لو كان قولهم صحيحا ، كما يدعون فلماذا لم يرفعوا عنه هذه الظروف بعد موته ،

ويلزموا أخاه محمد قطب بتصحيح مساره ، أو بتوضيح المقصد الصحيح من كلامه فى نفس كتابه ، الذى طبعت منه طبعات عديدة ، بنفس الفكر ، بعد وفاته إلى الآن .. بما يزيد على أربعين سنة .

كذلك لم يؤلف سيد قطب كتاب " الظلال " بعد مجيئه من أمريكا فى نوفمبر ١٩٥١م فقد كانت جل اهتماماته فى ذلك الوقت متعلقة بالنقد : إما النقد السياسي القائم على المفاهيم الاشتراكية ، أو النقد الأدبي .. باعتبار أنه خريج دار علوم .. ثم بعد ذلك عندما جاءت الثورة كان ليله ونهاره مع ضباط الثورة ، بشهادة أخيه محمد قطب ، لمدة ستة أشهر . وبعد ذلك بعام واحد دخل السجن .. فمتى إذن كان يؤلف الظلال ؟ لم يؤلف سيد قطب كتاب الظلال إلا فى مستشفى السجن الحربي فى زمن عبد الناصر ، وليس فى زمن الملك فاروق . ولم يخرج سيد قطب منه إلا عام ١٩٦٤م. . وفى عام ١٩٦٥م قبض عليه مرة أخرى بسبب تنظيم ١٩٦٥م .. ولم يقبض عليه بسبب الحاكمية. وإنما قبض عليه بسبب اعتراضه لدى المخابرات العامة على القبض على أخيه محمد..

تنظيم ١٩٦٥م

القبض على ثلاثة آلاف إخوانى عام ١٩٦٥م ....

عندما تقرأ كتابات الإخوان فيما حدث لهم عام ١٩٦٥م تظن أن الشعب المصرى كله كان فى السجون والمعتقلات ، وأن ما يقرب من مائة ألف إخوانى كانوا فى حيز الاعتقال ..إذا قبض على مائة رجل قالوا قبض على مائة ألف .. وإذا قبض على ثلاثة آلاف قالوا قبض على ثلاثين ألف . والحقيقة خلاف ذلك ، فقد قبض فقط على ثلاثة آلاف إخوانى فى تنظيم ١٩٦٥م ، كما شهد السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان.ص/ ٦٧٠) حيث قال : « وهكذا أنهت نيابة أمن الدولة العليا التحقيق فى قضية الإخوان رقم ١٢ / ١٩٦٥م مع أكثر من ألف شخص من حوالى ثلاثة آلاف من الإخوان المعتقلين في زنازين السجن الحربي ، والذين عاشوا هذه الشهور المريرة تحت أنواع التعذيب الرهيب» أهـ ... وقد وقع التعذيب فقط أثناء فترة التحقيق ، من

٢١ أغسطس ١٩٦٥م حتى ٢١ أغسطس ١٩٦٦م ، وهو يوم النطق بالحكم على المتهمين فى التنظيم .. وهذا واضح تماما من قول الأستاذ عباس . وقد حكم على سبعة منهم بالإعدام ، وخفف الحكم على أربعة إلى الأشغال الشاقة .. ونفذ حكم الإعدام فقط فى ثلاثة منهم ، وحكم بالأشغال الشاقة على ٢٥ فرد ، وبخمسة عشر سنة على ٧ أفراد ، وبعشر سنين على ٥ أفراد .. وفى الدائرة الثانية إلى السادسة حكم بالمؤبد على ١٦ فرد منهم ٣ غيابي .. وبخمسة عشر سنة على ٤٢ ، وبعشر سنين على ٢٨ ، وبثمان سنين على ١٤ ، وبسبع سنين على ٥ ، وبخمس سنين على ١٣ ، وبثلاث سنين على ٥٥ ، وبأقل من ثلاث سنين على ٥ أفراد... وهذا حصر عباس السيسي ، وقد بين أن بقية الإخوان لم يصدر ضدهم أحكام ، قائلا : « كما أن هناك مئات من الإخوان لم تصدر ضدهم أحكام . وقد أفرج عنهم بعد وفاة عبد الناصر » (انظر " فى قافلة الإخوان . ص/ ٧٤٥) .

فقد حكم فقط على مائتين وخمسة من أفراد الإخوان بأحكام مختلفة ، وبقى المئات لم يحاكموا ، وصاروا قيد الاعتقال .. من أغسطس ١٩٦٦ حتى عام ١٩٧١م .. فلم يقبض على مئات الألوف كما يردد الإخوان ..

أول خيوط القبض على تنظيم ١٩٦٥م ..

حسب مصادر الإخوان . كانت أول الخيوط التى قادت إلى اكتشاف هذا التنظيم من الناحية الجنائية هي وجود قنابل لدى عبد اللطيف شاهين ، الذى كان له صحبة مع الأستاذ يوسف القرشى صديق حبيب عثمان " أحد أعضاء تنظيم ١٩٦٥م " وقد حكى ذلك السيسي فى كتابه (قافلة الإخوان ص/ ٧١١) قائلا : « كان الرقيب أول عبد اللطيف شاهين من رجال قوات الصاعقة ، قد طلب إجازة من الوحدة العسكرية لحضور حفل زفاف إحدى قريباته وجال بخاطره أن يأخذ معه ثلاث قنابل صوتية كهدية يفجرها فى الاحتفال ..! ونزل بلدته وهى قرية اسمها (سفنا) مركز ميت غمر دقهلية . وذهب إلى أحد أصدقائه وهو يوسف عطية القرش وطلب إيداع هذه القنابل عنده لحين يوم الاحتفال .. وانتشر أمر هذه القنابل فى القرية

...وبلغ أمرها إلى عمدة القرية فقام بإبلاغ الأمر إلى الشرطة ...التى اتجهت إلى منزل يوسف القرش ، فلم يجده حيث كان فى زيارة أحد أقاربه بالقاهرة .. وعثروا فى محله على القنابل ، وأسرعوا إلى القاهرة حيث قبضوا على يوسف القرش وصديقه حبيب عثمان وهو صاحب ورشة خراطة. (وتحت وطأة التعذيب) . بدأ يذكر أول خيوط التنظيم ، وتوالى القبض على العشرات والمئات من جميع المحافظات » أهـ

يلاحظ أن الأستاذ عباس السيسي حرص على التقليل من أمر القنابل . بأنها كانت قنابل صوتية . أراد صاحبها أن يفجرها فى الفرح ابتهاجا وسرورا .! ويرد ذلك حرص عبد اللطيف شاهين على إخفائها عند صديقه يوسف القرشى . فى وقت لم يكن أحد يجرؤ على حمل قنابل صوتية أو غير صوتية .

غرباء فى منتصف الليل ..

وفى سياق الحديث عن أسباب كشف هذا التنظيم حكت زينب الغزالى أمورا بعيدة كل البعد عن أخلاق الإسلام ، لا سلف لها فى نساء النبى ﷺ ، ولا فى نساء الصحابة (رضى الله عنهم).. انطلقت غلوا فى مصلحة الدعوة ، ولو خالفت شرائع الإسلام .. متأثرة بالأفكار التحررية التى كانت فى زمنها .. فقد اشترطت على زوجها ألا يمنعها من استقبال أقطاب الإخوان فى بيتها ، لتتدارس معهم الأعمال الفكرية والدعوية لتنظيم ١٩٦٥ م ، الذى أسسه سيد قطب . وتمتد الجلسة حتى الفجر ، بينما كان زوجها يغلق على نفسه غرفته وينام ، ولا يحضر تلك الاجتماعات – وقد كانت تلك التحركات والاجتماعات كلها مراقبة من قبل وزارة الحربية ووزارة الداخلية فى ذلك الوقت – كما أقرت بذلك فى كتابها (أيام من حياتى ص/ ٤١) حيث قالت " تحت عنوان " وقفه مع زوجي " :

« وكان الزوج المؤمن يسمع طرقات الباب في جوف الليل فيقوم من نومه ويفتح للطارقين ويدخلهم إلي حجرة المكتب ، ويذهب إلي حجرة السيدة التي تدير أعمال البيت فيوقظها ، ويطلب منها أن تعد للزائرين بعض الطعام والشاي ، ثم يأتي إليّ فيوقظني في إشفاق وهو يقول : بعض أولادك في المكتب وعليهم علامات جهد

أو سفر ، وأرتدي ملابسي وأذهب إليهم ويأخذ هو طريقه إلى مكان نومه وهو يقول لي : إذا صليتم الفجر جماعة فأيقظيني لأصلي معكم إن كان ذلك لا يضر ، فأجيب إن شاء الله.فإن صلينا الفجر أيقظته ليصلي معنا ثم ينصرف»أهـ

أما من ناحية الفكرة :

فقد اكتشف هذا التنظيم بعد خروج ملازم كتاب معالم على الطريق الذى ألفه سيد قطب وقال فيه بجاهلية الأمة الإسلامية ..

وحسب المصادر السياسية فقد اكتشف ذلك عبد الناصر وقال " إن هذا الكتاب يخفى وراءه تنظيما سريا " وقد اتضح ذلك جليا بعد تكليف المرشد العام حسن الهضيبي سيد قطب بإدارة أمر هذا التنظيم ...وقد أكدت ذلك زينب الغزالى فى كتابها (أيام من حياتي.ص/ ٤٨) ، بقولها : « فكان الهضيبي قد أوكل كل المسئوليات لسيد قطب ، وكانت اتصالاتنا كلها به حسب أمر الهضيبي ، وكان علينا أن نرجع إلى المرشد العام نستأذنه فيمن يتولى المسئولية بدلا من سيد»أهـ

إلا أن هناك من قال أن المرشد أنكر علمه بهذا التنظيم ، قال فريد عبد الخالق : « فكانت المفاجأة الكبيرة والأليمة أن لا علم للمرشد بهذا الأمر ، وأنه لم يأذن بشيء من ذلك قط ، وأن الأمر بالغ الخطورة على الجماعة كلها لا على التنظيم فحسب» (الإخوان فى ميزان الحق . ص/ ١١٣) وعندما التقى فريد عبد الخالق بزينب الغزالى فى انجلترا .. وتناول الإخوان الليبيون هذا الأمر كذب فريد عبد الخالق ما صرحت به زينب الغزالى فى كتابها " أيام من حياتى " أن الأستاذ الهضيبي كان على علم بتنظيم ١٩٦٥م ، غير أنها لم تتراجع عن إثبات ذلك ..

قال الأستاذ فريد : « ما ذكرته ـ يقصد زينب الغزالى – عن أن الذي جرى معها بصحبة عبد الفتاح إسماعيل وأنها أخذت إذن منه- يقصد حسن الهضيبي- بما كانت هي تعده مع عبد الفتاح وحصل أمر في تنظيم اللي خرج بينا من محنة ١٩٦٥ هذا للأسف غير صحيح . في إنجلترا . دعينا وتواجهنا والتقينا وهي قالت الكلام ده . فأنا قلت لها ياحاجة زينب مع احترامي . الحقيقة إن المرشد لم يأذن.

وكلفني شخصيا عندما أنهيت إليه أنني علمت بهذا التنظيم قال لي أنا لم آذن به وأكلفك بأنك أنت تقضي عليه» (الجزيرة نت . ٨ / ٣/ ٢٠٠٤م)

وإذا صح ماقاله فريد عبد الخالق فإن سيد قطب سيوضع فى جملة جين على الجماعة .. ليتحمل وحده مسئولية ماحدث للإخوان فى تلك الحقبة من التاريخ .. غير أن تلك التهمة لم توجه لسيد قطب من قبل المرشد ، وذلك لأن تنظيم ٦٥م كان تابعا فى الحقيقة للجماعة ، بل وللمرشد شخصيا ، فلم يكن سيد قطب من النوع الذى يتصرف بغير إذن . فقد سبق أن قال إن : « قانون الإخوان يجعل ـ الكلمة الرسمية حق المرشد العام » (أحداث صنعت التاريخ . ٢ / ٥٠٤)

وقد كان سيد قطب ملتزما بذلك ، ويكفى فقط أنه أرسل ملازم كتاب " معالم على الطريق " للأستاذ الهضيبي ليأخذ منه الإذن بطبعه ، كما ذكرت زينب الغزالى فى كتابها " أيام من حياتى " ، ص/ ٤٣ بقولها : « وعلمت أن المرشد اطلع على ملازم هذا الكتاب ، وصرح للشهيد سيد قطب بطبعه .. وحين سألته قال لي : على بركة الله .. وقالت : فقد كنت عنده لأخذ الإذن بطبعها » أهـ

فإذا كان سيد قطب لايقدر على طبع كتاب إلا بإذن المرشد فكيف يقيم تنظيما بهذه الدرجة من غير أن يأخذ إذنا من المرشد ؟

فزينب الغزالى عندها علم زائد بأمر التنظيم ، والمثبت مقدم على النافى ، لأنها كانت المحور الأساسي للتنظيم ، بخلاف فريد عبد الخالق فلم يكن له علم بنشأة التنظيم ..

وقد شهدت زينب الغزالى أن سيد قطب تولى المسئولية بعلم المرشد ، وكانت هي الواسطة بينهما .وعندما قبض عليه ذهبت إليه ليعين قائدا آخر .

ولكن المرشد كان يستخدم المناورة والتقية ، فيثبت لقوم وينكر لآخرين ؛ لتضيع الحقائق وتتداخل المفاهيم وتتنوع المقاصد.وتلك عادة الإخوان مع الأحداث .. الفرار من المسئولية .

اعترافات الإخوان وتلاومهم ...

ذكر فريد عبد الخالق أن أحد أعضاء تنظيم١٩٦٥م اعترف به اعترافا كاملا ، ولعله يشير إلى حبيب عثمان الذى ذكره عباس السيسي آنفا . وقال : « وقد اعترف أحد أفرادهم ضمن قيادة التنظيم للمحققين بكل حقائق التنظيم وقصته وأعضائه .. » (الإخوان فى ميزان الحق. ص/ ١١٣) وقال الأستاذ السيسي : « وتحت وطأة التعذيب . بدأ يذكر أول خيوط التنظيم ، وتوالى القبض على العشرات والمئات من جميع المحافظات » (فى قافلة الإخوان . ص/ ٧١١)

وقد أثبت حقيقة هذا التنظيم وتلاوم الإخوان على تكوينه فريد عبد الخالق ، وبين أنه بدأ نواة صغيرة ثم اتسع .. فقال : « ونبههم الأخ الذى اتصل بهم فى أمر هذا التنظيم إلى أن وجود تنظيم ما فضلا عن أن يكون استخدام القوة من وسائله خطأ ينضوى على أضرار بالغة ومفاسد كثيرة ، وضررها مقدم على ما قد يحتملون له من منافع ، وأن الموضوع كله مخالف لخط الجماعة وتعليمات قائدهم المرشد العام .الخ » (فى ميزان الحق .ص/ ١١٣)

ثم ذكر فريد عبد الخالق أن أحد أعضاء التنظيم بين أن منهج سيد قطب كان يعتمد الانقلاب الفكرى دون الانقلاب العسكري .. إلا أن الأستاذ فريد شكك فى ذلك ، وأكد أن منهج التنظيم منهج انقلابي بقوله : «.. والذى يحمل على الظن بأن استخدام القوة من وسائله وإن أخفى القائمون عليه ذلك . »أهـ

ويؤكد صدق ما قاله ما حكاه سيد قطب فى (الظلال ٣ / ١٤٥١) :

« أنه لا مندوحة للمسلمين أو أعضاء الحزب الإسلامى عن الشروع فى مهمتهم بإحداث الانقلاب المنشود والسعى وراء تغيير نظم الحكم فى بلادهم التى يسكنونها».أهـ ...

وقد اتهم فريد عبد الخالق سيد قطب بكل صراحة بالتآمر على عبد الناصر ، كما ظهر من اعتراض محمود جامع على حديثه فى (آفاق عربية ٣ , يونية ٢٠٠٤م) قائلا : « وتناولت – يا أستاذى الجليل – الشهيد الفاضل والداعية المجتهد المؤمن

الواعى .. سيد قطب شهيد الإسلام الغالى بالتقد والتجريح والاتهامات الظالمة ووضعته فى مرتبة المتآمر على عبد الناصر وعلى الدولة بالإرهاب»أهـ

وبين الأستاذ فريد فى حديثه لقناة " الجزيرة الفضائية " عن طريق وهبة الفيشاوى أحد أعضاء التنظيم أن مواجهة عبد الناصر والقضاء عليه كانت أحد مهمات تنظيم ١٩٦٥م ، فقال : « فيه مجموعة يجتمعون ويرتبون لمواجهة عبد الناصر والقضاء عليه وقتله » (الجزيرة نت . الاثنين ٨ / ٣ / ٢٠٠٤م)

وصرح فريد بأنه شهد ندم سيد قطب على ما قدم لنفسه من أعمال انتهت بإعدامه ، قائلا : « إن عينه التقت بعين سيد قطب فى السجن وشعر بأنه نادم على أفعاله .. وقال عنه : أحس أنه كان يشعر بالخوف من مصيره المتوقع بالإعدام» (آفاق عربية . ٢ يونية ٢٠٠٤م . مقال محمود جامع)

وعلى ذلك كانت كل المناقشات والتهم الموجهة إلى الإخوان دائرة فى نطاق التدبير لقلب نظام الحكم بالقوة ، وقتل عبد الناصر ، وقد كان تكفير المجتمعات الإسلامية فى كتاب " المعالم " هو العلامة الدالة على ذلك . وعندما قرأ شباب الإخوان مؤلفات سيد قطب تبلورت فى نفوسهم عمليات القتل والاغتيال ، حتى قابلوا سيد وعرضوا عليه الفكرة ، فقال لهم ، كما هو مدون فى سجلات محاكمته ، التى نقلها الإخوان فى كتبهم . حين سأله الدجوى أثناء محاكمته سنة ٦٥م : ألم يكن من خطتهم اغتيال الرئيس جمال عبد الناصر؟

قال الأستاذ : « لقد قلت لهم إن اغتيال جمال عبد الناصر مسألة تافهة لا تحتاج لمثل هذا التنظيم . فوجمت المحكمة وساد الجلسة صمت عميق »(قافلة الإخوان.ص/ ٧٠٦)

الاتهامات التى وجهت إلى سيد قطب ...

١- اتهام رئيس النيابة ...

عرض رئيس النيابة الذى باشر التحقيق مع سيد قطب حقيقة ماقاله سيد فى مفهوم جاهلية الأمة المسلمة ، وما تضمنه كتاب (معالم على الطريق) قائلا : « لكن جماعة (الإخوان) .. أبت إلا أن تفسر الدين حسبما تقتضي أهدافهم فيضع قطبهم (سيد قطب) دستورهم (معالم على الطريق) الذى يدعو حوارييه أن ينطووا على أنفسهم وينفصلوا عن مجتمعهم .. بقوله : « إننا اليوم فى جاهلية كالجاهلية التى عاصرها الإسلام أو أظلم ، كل ما حولنا جاهلية ، تصورات الناس وعقائدهم وعاداتهم وتقاليدهم ..وأن الإسلام يهدف إلى إزالة الأنظمة والحكومات الجاهلية » (فى قافلة الإخوان . ص/ ٧٠١) .

وهذا رد واضح على الأستاذ القرضاوى الذى زعم فى مذكراته أن المحكمة لم تكن على دراية بما كتبه سيد قطب باعتبار أنه مفكر ، لا ينبغى أن يحاكم إلا أمام مفكرين .. فممثل النيابة كان على دراية كبيرة بفكر سيد قطب .. وهذا هو نفس ما قاله القرضاوى فى سيد قطب . أما منصة القضاء فقد كانت تحاكم على التنظيم ، وليس على الفكر .. حيث لم تدر أى قضية فكرية فى المحكمة على الإطلاق ..

٢- اتهام القرضاوى أشد من اتهام رئيس النيابة ..

كان الاتهام الذى وجهه رئيس النيابة لسيد قطب هو نفس الاتهام الذى وجهه الدكتور القرضاوى لسيد قطب ، ونفس المطدر الذى صاغ منه رئيس النيابة الاتهام هو نفس المصدر الذى اعتمد عليه القرضاوى ، وهو كتاب

" معالم على الطريق " ، فقد بين القرضاوى أن كتب سيد قطب امتلئت بفكر التكفير والعزلة الشعورية فقال : « وأخطر ما تحتويه التوجهات الجديدة في هذه المرحلة لسيد قطب، هو ركونه إلى فكرة التكفير والتوسع فيه ، بحيث يفهم قارئه من ظاهر كلامه في مواضع كثيرة ومتفرقة من الظلال ومما أفرغه في كتابه معالم في

الطريق أن المجتمعات كلها قد أصبحت جاهلية. وهو لا يقصد بـ (الجاهلية) جاهلية العمل والسلوك فقط ، بل جاهلية العقيدة .. إنها الشرك والكفر بالله. »(آفاق عربية ٨ يوليو ٢٠٠٤م) ...

وهذا الكلام يدل على توافق مفهوم الدكتورالقرضاوى مع رئيس النيابة ممثل الدولة فى الادعاء على سيد قطب ، ومن ثم لم يجز للقرضاوى أن يتهم ممثل النيابة والقضاء بعدم التخصص فى فهم مراد سيد قطب ، إذا كان قد شهد على سيد قطب بما شهد به عليه.. ولو كان القرضاوى فى قفص الاتهام مع سيد قطب لكان فى صف ممثل الدولة ، بل لكان فى صف على عبده عشماوى الذى اتهمه الإخوان جميعا بالخيانة ، ورماه القرضاوى فى مستنقع الشرك فى العدد ٦٦٤ من آفاق عربية . بسبب اعترافه علي التنظيم . فقد أكد القرضاوى أن أعمال تنظيم ١٩٦٥م أعمال خطيرة . وحقيقة الأمر أن سيد قطب كان يعبر عما يعتقده عامة الإخوان فى ذلك الوقت ، بل عما كان يعتقده حسن البنا ..

مفهوم الحاكمية ...

هل حوكم سيد قطب بسبب الحاكمية أم بسبب التكفير والانقلاب ؟

سعى الإخوان فى تلك القضية إلى تحقيق هالة كبرى حول سيد قطب على حساب علماء السلف وأئمة الحديث ، وزعموا أنه رفع لواء الحاكمية حيث جعلوا لغيرهم من علماء السلف والحديث فقه الحيض والنفاس ، وجعلوا لعامة الشعب ومشيخة الأزهر التصفيق للظلمة والمستبدين .

لقد زعم القرضاوى أن سيد قطب حوكم بسبب كتابه (معالم على الطريق) وما حواه من أفكار .. ولم يحاكم بسبب الأعمال الخطيرة التى ارتكبها تنظيم ١٩٦٥م فقال : « الحقيقة أن سيد قطب وتنظيمه لم يحاكما من أجل " الأعمال الخطيرة " التي ارتكبها ، ولكن حوكم كلاهما من أجل " الأفكار الخطيرة" التي اعتنقها أو دعا الناس إليها.. ولو أنصفوا وامتلكوا الشجاعة لقالوا : إننا حاكمنا الرجل -بل حكمنا عليه بالإعدام- من أجل أفكاره لا من أجل أعماله.. لقد حوكم

سيد قطب على أخطر كتاب ألفه ، وهو كتاب "معالم في الطريق"، فهو الذي تتركز فيه أفكاره الأساسية فى التغيير الذي ينشده »(آفاق عربية . ٨ يوليو ٢٠٠٤م)

والحقيقة أن قضايا الإخوان أمام المحاكم التى أطلق عليها محاكم الشعب عامى ١٩٥٤م ، ١٩٦٥م لم تكن قضايا فكرية كما زعم .. إنما كانت قضايا تشكيلات وتنظيمات وأوكار ، و تصريح بقتل أو دراسة له .. ولم يناقش أمام أى محكمة من محاكم الثورة مسألة الحاكمية لله تعالى ، كما هو مشاع عن سيد قطب وغيره ، وأنه رفع تلك الراية فى المحاكم ، وأنه قتل بسببها .. فالقضية التى حوكم بسببها سيد قطب كانت قيادة تنظيم ١٩٦٥م الذى أقرت به زينب الغزالى .. أما مفهوم الحاكمية لله تعالى فلم يدر بشأنه أى نقاش فى المحكمة التى حاكمت سيد قطب .. أما كتاب " معالم على الطريق " فقد كان الخيط الدال على وجود تنظيم سري ..

والذى حدث كما أخبر عباس السيسي أن المحكمة سألت الأستاذ سيد قطب عن مقصوده من الحاكمية . ؟ فطلب سيد قطب الراحة ، فرفعت الجلسة ، ثم أعيدت الجلسة مرة أخرى ، ولم يسئل سيد قطب فيما سئل فيه من قبل .. قال عباس السيسي فى كتابه (فى قافلة الإخوان ص/ ٧٠٦) : « وبعد مناقشات استمرت أكثر من ساعة قال الدجوى للأستاذ سيد :

نريد أن نعرف تفسيراتك لما جاء فى كتاب معالم فى الطريق عن مقصودك من معنى الحاكمية ؟ وهنا انتاب الإخوان السرور .. (!)

ولكن الأستاذ سيد طلب من المحكمة أن تعطيه فرصة استراحة يستأنف بعدها الرد على السؤال وأوقفت الجلسة ودخل أعضاء المحكمة للاستراحة .. واستؤنفت الجلست ..

ووقف الأستاذ سيد تلتهمه العيون وترفرف حوله الدعوات وانتظرنا أن يعيد رئيس المحكمة عليه السؤال عن الحاكمية لله ... ولكن ... تغافل الفريق أول عن هذا السؤال وأخذ يلف ويدور حول أسئلة فرعية ...» أهـ

وعادت المحاكمات تدور حول التنظيم وأعماله وأفراده .. الخ

فلم يحاكم سيد قطب بسبب مسألة الحاكمية ..

فلم تكن المحاكمة فكرية ، بقدر ما كانت محاكمة تنظيم وانقلاب . ومن الشواهد الأخرى الدالة على أن سيد قطب لم يحاكم بسبب كتاباته عن الحاكمية أن كتاب " فى ظلال القرآن " الذى ألفه سيد قطب داخل السجن ، وهو الكتاب المكتظ بالحديث عن قضية الحاكمية قد وزع فى السجن الحربى ، ووضع فى مكتباته بعد موت سيد قطب ، كما أكد على ذلك السيسي بقوله : تحت عنوان كتاب فى ظلال القرآن : « وصلت إدار ة السجن رسالة عبارة عن صندوق من الكتب الخاصة بمكتبة السجن ، وفى حالة تفريغ هذا الصندوق كان من ضمن محتوياته كتاب " فى ظلال القرآن " للشهيد سيد قطب – رحمه الله – إنها مفاجأة خطيرة ، إن جميع كتب سيد قطب غير مصرح بتداولها فى مصر .فكيف تسمح بتداولها فى مؤسساتها ، وخاصة فى السجون والمعتقلات التى يعيش فيها أصحاب الدعوة الإسلامية التى ينتمى إليها الشهيد سيد قطب» (فى قافلة الإخوان . ص/ ٧٨٩)

فلو كان سيد قطب حوكم بسبب الفكر والحاكمية وقتل بسببها ، كما قال القرضاوي ، فكيف يصرح خصمه بتداول كتبه التى تحمل نفس أفكاره فى نفس السجن الذى قتل فيه ..؟

كذلك فإن الأستاذ عبد القادر عودة أتم أيضا كتابه " التشريع الجنائى فى الإسلام " فى السجن قبل أن يحكم عليه بالإعدام ، وبعد الحكم سلمت إدارة السجن الكتاب لأولاده وورثته من بعده . وقد ذكر ذلك ولده الدكتور خالد عبد القادر عودة ، بقوله إنه : « قد أتمه في السجن بعد ذلك – يقصد كتاب التشريع الجنائي الإسلامي – وتسلمنا الورق من داخل السجن مكتوبا بالقلم الرصاص ، والعجيب أنه أتمه قبل إعدامه بليلة واحدة فقط !!)(الإخوان أون لاين . ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٤/ م)

فلو كان القتل من أجل اعتناق فكر أو معتقد فلا أظن أحدا يصدق إبقاء إدارة السجن على هذا الكتاب ، الذى يحمى هذا الفكر ويؤيده بعد موت صاحبه . ومن أجل ذلك فلو كان سيد قطب اعتذر لعبد الناصر عن أخطاء التنظيم السري

والوقوف وراءه .. وأنجى نفسه من حبل المشنقة فهذا لا يضر دينه بشيء . لأنه ليس متعلقا بمسألة الحاكمية ولا بالدين على العموم. فلم تكن المناقشات فى محاكم الشعب دائرة على أمر الحاكمية لله .. ولم يكن هناك أحد ينقض الحاكمية لله (تعالى ذكره)، حتى عبد الناصر لم يكن ينكر ذلك ، كما صرح الإخوان على لسان المستشارعبد القادر عودة ، ولكنه كان يرى تهيئة الجو لذلك ، فقد قال :

« إننا سنحكم بالقرآن ، ولكن الظروف الآن لا تسمح بذلك ، ولا بد من تذليل العقبات وتهيئة الجو للحكم بالقرآن ، ولا بد من فترة نستطيع من خلالها أن نحقق ذلك...» (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ١٦٥) .

وهذا هو نفس المفهوم الذى يقوله الإخوان.. أن " الحدود لاتطبق إلا فى مجتمع كامل " كما قال السباعى . وأن " الحرية مقدمة على الشريعة " كما قال القرضاوي .

عبد الناصر والدماء ...

قام عبد الناصر بتلك الثورة دون أن تراق قطرة دم واحدة من خصومه باختلاف ألوانهم ، وكان هذا مثار دراسة فيما بعد ، خاصة أن مملكة محمد على باشا والتى كانت تحكم مصر فى ذلك الوقت كان لها جذور طويلة فى التاريخ ، وكان لمؤسسها محمد على باشا عداوة شديدة مع علماء السلف وأئمة التوحيد فى بلاد نجد فى الجزيرة العربية ، التى لم تكن تحت إمرة السلطان العثمانى فى ذلك الوقت .. وكان من قوة مملكته أن أرسل جيشا خارج مصر بقيادة ابنه إبراهيم باشا للقضاء على دعوة الإمام محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) وقتل شيوخها وعلمائها الأكابر .. حتى إنه قتل العلامة/ سليمان بن عبد الله بن محمد بن عبد الوهاب (رحمه الله) صاحب كتاب تيسير العزيز الحميد فى شرح كتاب التوحيد . ومع تلك القوة التى كانت لتلك المملكة فى مصر لم يقتل فى مواجهتها إلا جنديان إثنان فقط .. ولم يقتلا قصدا كما قال مؤرخو الثورة .. هذا أثناء الثورة .. أما قبل الثورة فقد اشترك عبد الناصر مع بعض زملائه فى محاولة لقتل اللواء حسين سري عامر ، بسبب بعض الاتهامات التى وجهت إليه بالتعامل مع القصر ، غير أن المحاولة فشلت ، فعدل عبد الناصر بالكلية عن الشروع فى الاغتيالات السياسية ، ورفض رفضا قاطعا الموافقة على قتل الملك فاروق ، ورفض كذلك محاكمته ، بينما كان كثير من الضباط يريد ذلك .. واكتفى فقط بنفيه خارج البلاد ..فرفض مبدأ الانتقام ، ورفض أن تبدأ الثورة بالدماء ، ورفض تمثيلية المحاكمة إذا كانت ستنتهى إلى القتل حتما .. وعمل على إغلاق الموضوع وتهدئة البلاد .. فدل ذلك على أن عبد الناصر لم يكن يميل إلى القتل والدماء ، ودل أيضا أن ما حدث للإخوان فى السجون والمعتقلات فيما بعد كان لأجل أنهم كانوا حمقى فى التعامل معه ..

فعلى الرغم من أن أحداث ١٩٥٤م كانت فى زمن الثورة الأول إلا أن مسئوليتها كانت موزعة بين ضباط الثورة جميعا ، وذلك باعتبار أن عبد الناصر لم يتول مسئولية الدولة إلا فى عام ١٩٥٦م . بل إن كثيرا من المؤرخين السياسيين

وكتاب الإخوان بينوا فى مذكراتهم أن ما حدث للإخوان فى الستينيات من القرن الماضي لم يكن من تدبير عبد الناصر ، وإنما كان من تدبير وزارتي الداخلية والحربية ، وقد أكد ذلك القرضاوى فى (آفاق عربية . ٨ يوليو ٢٠٠٤م) بقوله : «كان المسئول الأول عن دماء الإخوان في المرات السابقة، وعن محنتهم بصفة عامة وزارة الداخلية المصرية، وأجهزة الأمن فيها .. كانت هي التي تعتقل ، وهي التي تتهم ، وهي التي تحقق، وإن شاركتها وزارة الحربية ببعض الأشياء، مثل السجن الحربي بزنازينه وزبانيته وقائده المتجبر حمزة البسيوني.أما المسئول الأول عن دماء الإخوان ومحنتهم في هذه المرة ؛ فهو "وزارة الحربية"ووزيرها: شمس بدران، وإن شاركتها الداخلية بالمساعدة في القبض والاعتقال وغيرها» أهـ

لومان طره

أما ما وقع فى أول يونيو عام ١٩٥٧ فى سجن لومان طره . فقد تسبب فيه شاب متهور من شباب الإخوان .. حيث قام بخطف سلاح أحد ضباط السجن الحربي ، ثم حبس الضابط معه فى الزنزانة ، فتسبب ذلك فى وقوع مواجهة بين الضباط الحربيين وبين الإخوان قتل فيها بعض الإخوان .

قال الأستاذ / إبراهيم قاعود فى كتابه (الإخوان الحقيقة الغائبة الباب الرابع : « وحدث أنه فى يوم من الأيام دخل أحد الضباط العنبر الذى يوجد به الإخوان وحاول إدخالهم الزنازين فى وقت الفسحة فانتزع منه بعض الإخوان مسدسه ، وأدخلوه فى زنزانة من الزنازين ، فثارت ثائرة القائمين على السجن ، ووجدوا أنها الفرصة الملائمة ، فاستدعوا فرق المتطوعين فى الجيش بأسلحتهم ، ووقفوا على سطح العنبر ، وأخذوا يطلقون ا لنار على من فيه ، ثم دخلوا إلى الزنازين ، فقتلوا ٢٢ فى تلك الجريمة البشعة ، وانتهى الأمر بحفظ التحقيق فى هذه القضية ، وقالوا : إنها ثورة فى سجن وانتهت المسألة»أهـ

فتنة السبعينيات

الإخوان لا يتقيدون بضوابط أهل السنة . ودورهم فى الإسلام لن يعدو تهييج العامة على الحكام .. هذا هو جهادهم ، الذى عاشوا من أجله .. وبه وقعت المصائب واشرأبت الفتن .. وقد كان من الواجب عليهم بعد الفتن التى مروا بها إعادة ترتيب أوراقهم على منهج السلف الصالح أهل الحديث (رضى الله عنهم) .ولكن هيهات هيهات . فإنهم لا يتعلمون من التاريخ ، ولا يريدون دعوة السلف أهل الحديث . والواقع يثبت ذلك .ففى فترة السبعينيات انتهجوا سبل التشنيع ..واعترضوا على معاهدة السلام بالاتهامات البذيئة والأقوال الشنيعة .. وضيعوا ما يمكن أن يقال إنها فرص نادرة عرضت عليهم ..

١- التشنيع على الملأ ..

فتح الرئيس السادات باب الدعوة لجماعة الإخوان فى أوائل السبعينيات من القرن الماضي ، وأخرجهم من السجون والمعتقلات ، وفتح لهم باب الحرية ، وأعطاهم الكلمة .. حتى اتسع نشاطهم وانتشرت دعوتهم ، وفتح لهم الهيئات والمساجد والصحف ، بعد أن كانوا محصورين فى السجون والمعتقلات . قال التلمسانى : « كان البعض يعاتبنى لما قلت له : إنى أتمنى أن يطول عهد حكمك إلى أبعد مدى .. وكان هذا إحساسى نحوه حقا ، لأننا فى مدة حكمه أعدنا إصدار مجلة الدعوة فى ثوبها القشيب ، وكنا نقيم الاحتفالات الدينية وغيرها ، نقول فيها ما نشاء فى جرأة ووضوح ، لا نخشى فيما نقول إلا الله »(أيام مع السادات .ص/ ٣٥) .

وقد ظن الرئيس السادات بذلك أنه عالج مابين الإخوان والدولة من صراع ، ولكن هذا لم يحدث ، فاتهمهم بممارسة التقية .. بمعنى أنهم يتكلمون بلسان ويضمرون فى القلب شيئا آخر .. وقد بين أن التقية ليست من عمل أهل السنة ... كما أشار فى خطاب الخامس من سبتمبر ١٩٨١م ، وفيه قال :

« جمعية الإخوان المسلمين غير شرعية زى ما قلت للتلمساني ، لكن بروح

العائلة قلت له روح سجل وخذ الإذن ، لكن من هنا لهناك خلي الدعوة تمشى . ثم قال :.. لما جت سنة ٧٠م طلعت الإخوان المسلمين من السجن ، رجعتهم إلى وظائفهم ، صرفوا لهم فرق المهية التى كانوا معينين عليها .. فأنا اعتقدت إن الموضوع خلاص اصفى وانتهى . طلعوا بيعملوا بالتقية . بس التقية ليست عندنا نحن المسلمين السنة . التقية مش عند السنة أبدا . إن تكلم بلسان وإللى فى قلبك حاجة ثانية . لا ما عندناش كده » أهـ .

فسرعان ما رأوا أنفسهم كثرة ، فاغتروا وتكابروا ، وأرغوا فأزبدوا ونسوا فضائل الرئيس السادات عليهم بعد الله تعالى ، وبدأوا يشحذون همم الشباب بالهتافات ، ودخلوا فى صدامات مع الرئيس ، على الرغم من وضعه بندا فى الدستور المصري ينص على أن الشريعة الإسلامية هى المصدر الرئيسي للتشريع . بعد أن كانت المصدر الثانى فى القانون المدنى منذ سنة ١٨٨٣م ، وكذلك فى القانون المدنى الجديد منذ عام ١٩٤٨م . إلا أنهم لم يعبئوا بذلك .

وعلى سابقة غير متوقعة فتح الرئيس باب الحوار العلنى مع شباب الجامعة ؛ ليتصدر شاب من شباب الإخوان للتخاطب مع الرئيس ، ويا ليته ما تقدم .. فليس فى حديثه ما يبين عمق التدين والعلم ولا أدب الخطاب ، ولا تقدير المواقف .. فلم يفتح الطريق ، إنما أغلقه .. ولم يشرح الصدور إنما ضيقها .. إذ وقف بكل استخفاف وجرأة يتكلم مع الرئيس،فى قضية خاصة بمنع الشيخ الغزالى عن الخطابة ، وليس فى قضية إسلامية عامة ، وقد ظهر بكل بوضوح عدم قدرته على فهم مراد رئيس الدولة ، كما ظهر تناقضة الواضح بين مقدمة كلامه وبين مطالبه ، فقال :« أنا عبد المنعم أبو الفتوح رئيس اتحاد طلاب جامعة القاهرة : أنا لم أكن طبعا فى المسيرة، ليس بتبرأ منها ومن الطلاب اللى طلعوا فيها ، ولكن فيه أمور يجب أن تتضح..

إذا كان سيادتك اتهمت الإخوة اللى طلعوا فى المسيرة إنهم شرذمة ، وإنهم كانوا فى منتهى الوقاحة ، وإنهم لهم اتجاه معين وإنهم شيوعيون ، فأننا أؤيد حضرتك فى ذلك تماما .(!) ولكن فى ذات الوقت بحمل سيادتك المسئولية فى ذلك ، فإذا كان دول شرذمة وفى منتهى الوقاحة سيادتك تتحمل هذه المسئولية كاملة ،

وأنت وحدك ستسأل عن ذلك أمام الله .. لسبب أنا بأقول إننى دى الوقتى عاوز أسأل حضرتك سؤال ويكون الرد عليه بصراحة ، حضرتك بتقول احنا لازم نكلم بصراحة .. .

أنا كشاب مش عارف البلد القيادة السياسية عاوزه تربيني على أيه .. ! شيوعي ولا مسلم ولا زنديق ولا عابد بقر ولا أيه أنا مش فاهم .. الخ أجهزة الإعلام إللى السلطة تقدر تحركها كما تريد ، وإللى يتستنكر عليها اتجاهها دى الوقتى مع أنها تملك القرار إللى توجهها لأى شكل بتريده ، أنا مش عارف الأجهزة دى عاوزه تكون أى فكر فى دماغى كإنسان .

فقال الرئيس السادات : أنا باختصر عليك الكلام يابنى ، أنا باختصر عليك الكلام يابنى ، لأن اخواتك رددوا الكلام ده قبل كده ... شوف يابنى الدولة من سنة ٧١م أنا أعلنتها دولة العلم والإيمان ببساطة ..

فقال أبو الفتوح : متفقين مع سيادتك .. علشان نكون واقعيين أنا باضرب لسيادتك مثل علشان نكون واقعيين .. فى الوقت إللى حضرتك بتعلن دولة العلم والإيمان نلاقى الشيخ الغزالى بيتشال من جامع عمرو بقرار مش عارفين مينين .. نسأل ..د/ عبد العزيز كامل بيقول مليش دعوة .. سألت المهندس مرعى .. مش عارف ليه ...طب اشال إزاى.. الناس المصلين . ! طلعوا يعبروا عن رأيهم فى مجلس الشعب علشان يقولوا إن إحنا بنستنكر ذلك طلع لها الأمن المركزى ضربهم علقة سخنة وكويسه وفرقهم ..

أنا مش عارف علم وإيمان وبيتشال الشيخ الغزالى ، وبيتحنط فى وزارة الأوقاف، لقا مالويش شغله ، طلع ساب البلد ؛ وبالطريقة دى كل علماء مصر المخلصين ما يبقاش فى مصر إلا العلماء إللى بينافقوا السلطة وبينافقوا سيادتك وبينافقوا بقية الحكام ..

فرد الرئيس السادات قائلا : لأ .. قف ... أنا لا أسمح أبدا ... مفيش حد بينافقنى ولا أقبل النفاق ، ولو كان حد بينافقنى أو بأقبل النفاق كان حالكم النهاردة

كبلد غير كده خالص ، وما كنتوش جيتم النهاردة قدامى ، وما كانش سمح لكم إنكم تيجوا هنا قدامى أوتناقشونى أو تقولوا آراءكم ... إنما للبلد أمن وإجراءات . إللى عيز يعمل زعامات إما عن طريق استغلال الدين أو المذاهب المختلقة إللى احنا كلنا بنشتكى إنها مستوردة – واستغلال الدين لاتسمح به الدولة وأقف مكانك – مكانك .

قال الطالب الإخوانى : يافندم هل حقق معاه ؟

– اقف مكانك

فرد قائلا : أنا واقف يافندم ..

قال الرئيس : لأنه لا فصل من عمله ولا اعتقل ولا سجن ولا جرد ـ تعلموا الأدب فى مخاطبة الناس .

فرد أبو الفتوح قائلا : يافندم إحنا بنلمس ذلك وحضرتك بتقول نكلم بصراحة . رد الرئيس قائلا : دى مش صراحة ..

رد قائلا : هل حقق معاه يافندم ؟

رد الرئيس قائلا : دا مش شغلك .. مش شغلك ... تقدر تكتب هذا وتبعت بشكوى تحقق ، إنما دا مش شغلك ... لما واحد يحاول يفرض زعامة عن طريق الدين أو استغلالا للدين واستجداء لعواطف الناس المشبعة بالإيمان والدين ... هذا الرجل لا يجب أن يكون له تأثير فى فتنة .تحدث فتنة طائفية داخل البلد ..

متجيش قدامى وتقول لى بينفقوك بينافقونى .. محدش فى هذا البلد بينافقنى ولا بأقبل نفاق .. الزموا حدود الأدب..الدين والإسلام بيعلم الأدب ..

فرد قائلا : يافندم فيه فرق إن واحد بينافقك سيادتك وإنك تقبل النفاق ؟.

قال الرئيس السادات : أنا مش مستعد أقبل كلام لأن دا خرج عن حدود الأدب . الزم مكانك .. الزم مكانك وحدودك .. ومن اليوم ياولادى أنا جايبكم علشان أقول لكم هذا الاحترام للقيم وللمعانى.. الدين ما قالش إنه يقف ويقول هذا

الكلام أمام رئيس البلد .. إللى سمح له يجى علشان يقول رأيه بصراحة.. دا مش من الدين إطلاقا ..بيتكلم عن فرد لا حوكم ولا اعتقل ولا شرد ولا جرى له شيء إنما يستغل الدين لمحاولة إيجاد فتنة وزعامة » أهـ

وكانت مفاجأة . أن يتكلم المذكور أمام الرئيس بهذه الكيفية ، ويتهم الناس بالنفاق ، مخالفا حدود الأدب الشرعى فى لغة الخطاب .. وبدأت المعركة ولم يستفد الإخوان من هذا الموقف .. وتلك هى عادتهم فى استجداء المصائب وتضييع المكاسب .

لقد أظهر هذا الحور عدة أخطاء وقع فيها الطالب الإخواني ، ينبغى الوقوف عليها ، منها :

١– لقد بدا واضحا حقيقة التضارب بين مقدمة الطالب التى فسر فيها عدم اشتراكه فى المظاهرة بأنه لايعنى تبرأه منها أو من الطلاب الذين خرجوا فيها .. ثم بعد ذلك أقر الرئيس على حكمه على أصحاب المظاهرة أنهم شرذمة ، وأنهم أصحاب وقاحة ، وأنهم شيوعيون .. ولا يزال هذا المذكور قائما فى التردد والتقلب .. فهو من أكبر رفقاء الشيوعيين والليبراليين ، ولا يزال يتقرب إليهم بالطعن فى علماء الإسلام ..

٢– رأى خروج الغزالى من مصر لن يبقى فيها إلا المنافقين للمجتمع وللرئيس، وزعم أن كلامه واضح . وهذا بلا شك سوء أدب وعدم إنصاف .

٣– عندما قال له الرئيس : قف مكانك .. رد عليه قائلا : " ما أنا واقف يا فندم ".. ولم يفهم أنه أراد بذلك الالتزام بقدره . ففهم الكلام فهما سطحيا..

أما أصل الموضوع الذى فتح باب الحوار بسببه وهو الشيخ الغزالى وما ذكره الرئيس السادات من سبب توقيفه أنه من مثيرى الفتن .. فهذه هى الحقيقة التى شهد بها الشيخ الغزالى على نفسه ، قائلا : « والجهود التى بذلناها لتجرىء الجماهير على أخذ حقوقها ، وتحقير جلاديها ، نجحت فى إيغار الصدور على الباغين وتكثير السواد المتألب ضدهم » (الإسلام المفترى عليه.ص/ ١٤).

فهل هذا أسلوب خطاب .؟

هذا هو محور عمل الإخوان فى المجتمعات الإسلامية .. المواجهة بكل حمق، وتهييج الواقع وإثارة الفتنة ، حتى قتل الرئيس السادات . وصارت دعوتهم كأمس الذاهب .. ثم صفقوا للقتلة وهنأوهم ، وهم بين الناس يترحمون عليه ، ولكن حقيقة الأمر فى كتبهم خلاف ذلك ، فقد بارك الصباغ قتلة الرئيس السادات فى كتابه (حقيقة التنظيم الخاص . ص/ ٢٩) ، الذى قدمه مصطفى مشهور سنة ١٩٨٩م ، وفيه قال : « فسلط عليه شبابا من شباب مصر وأظلهم بظلة فباغتوه فى وضح النهار وفى أوج زينته وعزه يستعرض قواته المسلحة ولا يرى فيهم إلا عبيدا له ينحنون وبقوته وعظمته يشهدون وإذا بهم سادة يقذفونه بالنار ويدفعون عن أنفسهم وصمة الذل والعار والشنار...» أهـ .

وهذا كله افتراء باطل لا أساس له من الصحة .. فلم يكن الرئيس السادات (رحمه الله) يرى نفسه إلها يعبد من دون الله كما ادعى الصباغ .. وإنما هى حقيقة الإخوان إذا خالفهم أحد رموه بالعظائم وشنعوا عليه بالأكاذيب . فالرئيس السادات حين قال له عمر التلمسانى:" أنا أشكوك إلى الله ". رد عليه موضوع الشكوى، ثم قال له : « إذن لا حق لك فى شكوتى إلى الله، لأنه أنا أخافه أخافه فعلا ...» وقال : «لا . اسحب شكواك أمام الله...» أهـ

لقاء الرئيس السادات بالأستاذ التلمساني ..

فى هذا اللقاء لعب الشيخ التلمسانى " مرشد الإخوان الثالث " دور المهزوم المغلوب على أمره ، وسعى إلى كسب تعاطف الناس من حوله على حساب الحقائق، إلى درجة أنه لعب بمرض متوقع ، زعم أنه قد يكون سببا فى وفاته ، بسبب الاتهامات التى وجهت إليه ، وعدم قدرته على تحمل آثارها ، إلى الدرجة التى دفعته إلى أن يشتكى الرئيس إلى الله تعالى ..

وفى نص الحوار .. قال الرئيس السادات : « كان لعمر التلمساني عهد ولى أيضا عليه عهد ، جماعة الإخوان المسلمين بواسطة محاميها لرئيس الوزراء السابق ممدوح سالم إنذارا أو إعلانا بأنه قرار حل الجمعية بواسطة مجلس قيادة الثورة أنها لا تعترف به وأنه غير قائم ، أنا لم أعلم بهذا أبدا إلا بعد أن استقال ممدوح .. ولو علمت لقلت آسف لا .. القرار قائم وحقيقي . أقولها أمامكم جميعا .. وأصدرت الجمعية الصحيفة التى تصدرها الآن ويكتب افتتاحيتها الأستاذ عمر على أساس أن الجمعية مسجلة فى الشئون الاجتماعية .. نعم مسجلة ، ولكن قرار إلغائها قائم .. ومع ذلك لا أظن أنى أرسلت إليكم ووضعتكم فى المعتقل من أجل هذا.. يزيد الأمر مرارة فى نفسي يوم أن يكتب لشبابنا الذى يتحدث لكم عن تكوينه ليقابل هذا التحدى من حولنا ... يخرج عمر وفى صدر المجلة بخطاب وصله أن الحكومة الأمريكية أو المخابرات الأمريكية أرسلته لممدوح سالم رئيس الوزارة بتقوله فيه :" خدوا بالكم الجماعات الإسلامية ، لأن دول خطر جدا واضربوهم واخلصوا منهم .. هل هذا يصح ؟ هذا الأسلوب كان لابد أن ينتهى يا عمر فى الماضي .. ليس أبدا على الإشاعات .. وأريد أيضا ألا يكون سبيل جماعة الإخوان المسلمين هو السبيل الماضى الذى حدث قبل ٢٣يوليو ...أنت تعلم والجميع يعلمون والشيخ عبد الرحمن يعلم ... أن يدى كانت فى يد الشيخ البنا الله يرحمه . التنظيم السري أمامى وبأشخاصه وبما كان فيه من أسلحه .

ماذا فعلت أنا برغم كل هذا . لم يتعرض لكم أحد ، ولم أقفل الجريدة ، وإنما أرسلت لوزير الداخلية لكى يقول لك عيب .

وقال لك فعلا .. أيضا ياعمر ...

فى معركة نقيب من نقباء النقابات المهنية تصادف شىء غريب جدا بأنه الإخوان .. الشيوعيين .. الوفديين القدامى .. الانتهازيين ...

شوفوا المفارقات العجيبة ، جميعا يتكتلوا وراء مرشح معين لأنه بيشتم فى الدولة .. وبعت لعمر وقلت له ياعمر عيب .. عايز يدافع وله الحق ...لأنه أنا يمكن ركزت عليه شوية ... لكن هو كان طالب وأنا رفضت .. إلى أن قابلته النهارده لكى نتكلم أمام الشعب ، لأن هذا هو أسلوبي ...

فرد الشيخ التلمسانى قائلا : « زعماء الحزب الشيوعي الموجودين في مصر أكثر من مرة يدعونني لحضور ندوات عندهم فكنت أرفض في كل مرة لأني أعلم ما بين الإسلام وما بين الشيوعية من عداء وأن الاثنين لا يمكن أن يجتمعا في ركب واحد أو أن يسيرا في طريق واحد.. أعلم تماما أنهم أرسلوا إلى لأحضر ندوات لا لأنهم يتعاونون أو يريدون أن يشاركوا فى اتجاه ، إنما يريدون أن يرسموا عمر التلمساني جالسا مع زعماء الشيوعيين ويصدر هذا للشعب ، ويقال أن الإخوان والشيوعيين نظاف .. ولن يكون الإخوان والشيوعيون فى يوم من الأيام مع بعضهم ..(!) أرسل إلى من الأحزاب التى تحدثت سيادتك عنها للزيارة ...

قلت : إن كانت الزيارة للسلام وللتحية والسؤال عن الأمور العادية أهلا وسهلا .. وإذا كانت الزيارة للكلام فى سياسة .. فى جبهات .. الإخوان المسلمون لن يسيروا فى جبهة مع أحد أبدا ، لأن طريقهم إسلامي ومحدود ومعروف..

سيادة الرئيس أرسلت إلى السفارة الإنجليزية بخطاب تخطرني أن أحد كبار رجال وزارة الخارجية الإنجليزية سيزور مصر وسيزورنى فى يوم ١٢ / ٦ الساعة ١٢ .. أرسلت الخطاب إلى وزير الداخلية .. وأرسلت الرد وقلت لهم :

" لن أسمح بزيارة إلا إذا استأذنت ثم إن كانت الزيارة لمعالم صحفية أهلا

وسهلا .. إن كانت لسياسة فأنا لن أتحدث مع أجنبي فى أمر سياسي بينى وبين دولتى .. (!)

سألنى أكثر من صحافى أجنبي عن علاقتى بالدولة ..

قلت : هذه أمور تخص المصريين فقط ولا تخص غير المصريين ولا يجوز لمصري أن يتحدث فى هذا .. أنا لا أتآمر على الدولة .. سيادتك اتهمتنى وأنت رئيس الدولة .. لو أن غيرك اتهمنى كنت أرفع الأمر إليه ، إنما اليوم إلى من أرفع .. أرفع أمري إلى الله . أنا برىء من كل ما قلت ، أنا طاهر من كل ما قلت ، أنا نظيف أنا مسلم أنا مخلص غاية الإخلاص ويسمعنى الكثيرين (!)

أننى دعوت الله أن يديم حكم السادات إلى أطول عهد ممكن لأننا نستمتع فيه بحريتنا(!) فإن كان هذا هو جزائى عند أنور السادات . الحمد لله . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته ..

قال الرئيس السادات : أخشى إنك عايز تطلعنى إنى استغليت موقعى ووجهت لك هذا الكلام يا عمر .. لا .! أنت استدعاك وزير الداخلية ..كم مرة يا عمر ؟ فقال : فى أى شىء ؟ فرد عليه : فيما يخص الانتخابات ما قال لك شىء ؟

فأجاب قائلا : تعلم سيادتك إن فى فترة الانتخابات وأبلغ هذا أحد الإخوان أحد كبار الوزراء كنت فى السعودية كنت بأحج .ثم قال : وذهلت وسألت أحدهم. قال لى :

هؤلاء كتبوا أسماءنا بغير إذن ، وهؤلاء كتبوا أسماءنا بغير إذن ، وهذه شئون انتخابية ، ولا دخل لنا مع هؤلاء ولا مع أولئك ، وإذا قال إنسان أننى أمرت أو كلفت أن فلان يؤيد فلان فأنا أستحق ما يمكن..

قال الرئيس السادات : يا عمر علشان نجلو الأمر ، وحتى لا أكون أنا متجنيا : أخبرك وزير الداخلية بهذا ..

أخبرك وزير الداخلية أيضا فى شأن المقال ..إذن أنا لم أذكر وقائع تجنيت فيها

عليك ، لم تحدث ، ولم أتخذ إجراء ، ولن أتخذ إجراء ، وإلا كان ما كانش السبيل هو الكلام إللى إحنا بنقوله النهاردة.. إذن لا حق لك فى شكوتى إلى الله ، لأنه أنا أخافه أخافه فعلا .. أنا حكيت ما حدث فعلا أنا أحكيه ، وأقول يا عمر لو أنا هناك نية مسبقة أو رأيا كونته ما تركت مجلتك تسير على أساس غير قانونى ، ولا جمعية الإخوان تقوم على أساس غير قانوني . وهى قائمة إلى اليوم على أساس غير قانونى .لو أننى كونت لاتخذت الإجراءات ولدى . والقانون معى . لا . اسحب شكواك أمام الله..

قال عمر : المدعى الاشتراكى أرسل إلى وحقق معى ومضى على هذا التحقيق مايو يونية أغسطس .ثلاثة أشهر ... ولا أدرى ماذا تم . ولو كنت أعتقد أن هناك خطأ أو إساءة ما كان المدعى الاشتراكى يتأخر فى إقامة الدعوة أو اتخاذ الإجراء الذى يتخذه القانون لم يحدث هذا. أنت الآن يا سيادة الرئيس عوفا ستجعلنى ألازم فراشى أشهرا (!) ، لأن هذا الذى وجه إلى آذانى نفسيا وآذانى معنويا ، وأسأل الله أن يلطف بي فى هذه السن ، وألا ألازم الفراش ، وأن أغادر الدنيا فورا خير لى من أن ألازم الفراش مريضا ، وأنا إذا شكوت إلى الله فإنما أشكو إلى عادل . إن كنت أنا قد تجنيت فيعلم الله أنا لا أشكو إلى ظالم ، أنا أشكو إلى عادل ، بيده الحكم .. بدلا من أنا أ سحب الشكوى بتاعتى .. سيادتك اتخذ طريق تعالج به التعب الذى نالنى ..

قال الرئيس السادات : أنا كان همى كله إنى أنا أضع أمامكم صورة برغم العملية مع عمر هو هدفى منها ماكان إنى عاوز أسىء إلى عمر ولا إلى جماعة الإخوان ، وهم يعلمون إنى فى يوم من الأيام كان يدى فى يد الشيخ البنا ، ونحن نكافح ضد عدو مشترك هو الملك والإنجليز والأحزاب ...

أقترح إن فضيلة الإمام الأكبر مع إخوانا منكم ننتهز هذه الفرصة لنشكل مجلس إسلامى أعلى يبقى جميع الجمعيات الإسلامية ممثلة فيه ، جميع النشاط الإسلامى ممثل فيه ، ويكون مجلس عائلة لما يجد أى شيء نقعد ونتناقش ، ونضع كل شيء بكل الصراحة والأخوة والود ، وكل ما علمه لنا الإسلام من سماحة وصدق

ويقين ، أدعو الله لكم جميعا بالتوفيق ...» أهـ

هذا هو الحور الذى دار مع التلمساني .. انظر إلى الاتهامات التى وجهت إليه، وانظر إلى الإجابات التى أجاب بها ، وقارن لتعلم حقيقة الشخصية الإخوانية فى الهروب وعدم القدرة على مواجهة الحقائق أو الاعتراف بها .! وقد دار حوار الرئيس مع الأستاذ عمر على ثلاثة محاور ..

المحور الأول : التحذير من استخدام الإشاعات سبيلا للوصول أو لنشر الدعوة أو لتجريح الهيئات والأشخاص .. فلم يرد .! وهو يعلم أن فى حركة الإخوان أجهزة سرية ، خاصة بنشر الإشاعات ، أنشأها حسن البنا فى التنظيم الخاص ، ولا زالت باقية إلى الآن ، وقد أكد على ذلك أحمد رائف قائلا : « وكان لا بد من عمل إعلامى مضاد لإعلام الحكومة ، وبدأت الشائعات تخرج من الصفوف الإخوانية، بعضها عن غير قصد ، والآخر وفق خطة مرسومة» (صفحات من تاريخ الإخوان.ص/ ٢٤٥) وقال محمود عبد الحليم : « كنا نطبع منشورات بكلام غير ذى هدف معين ، غير أنه كلام يلفت النظر يثير الاستغراب ، وكان إخوان النظام يوزعونها على المنازل والمكاتب والمتاجر والمدارس والملاهى . الخ »(أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٩٠).

فلم يخالف الرئيس السادات الحقيقة حين بين أن الإخوان يعتمدون الإشاعات سبيلا من سبل الانتشار ومواجهة الخصوم ـ والتلمساني لم يرد .

المحور الثانى : العتاب على وضع الأيدى مع الانتهازيين والشيوعيين والوفديين القدامى .. وقد أكد التلمسانى أنه فعلا دعى من قبل تلك الطوائف ..

أما اتفاق الإخوان معهم فى مواجهة الدولة فهذا ما لايحتاج إلى دليل لإثباته .

فإذا كان التلمسانى لم يتفق معهم فلا مانع لدى الإخوان أن يتفق غيره باعتبار تنوع الأدوار .. هذا موجود فى دعوة الإخوان .. ومعلوم أمر المرشد السري فى دعوة الإخوان فى فترة السبعينييات .. ولا شك أن إنكار التلمسانى هذا الأمر من الناحية الفكرية يعتبر حجة على منظرى الإخوان الآن ، الذين يتحالفون مع جميع

الأطياف السياسية العلمانية والشيوعية للوصول إلى أغراضهم .وقد بين التلمسانى أن هدفه الإسلامي المعروف يتناقض مع ذلك .

المحور الثالث : العتاب على نشر خطاب فى مجلة الدعوة الإخوانية زعم التلمسانى أنه وجه إلى رئيس الوزراء من قبل جهاز المخابرات الأمريكية تحذر فيه الحكومة من خطر الجماعات الإسلامية... ولم ينكر التلمساني ذلك .فقد نشرت المجلة الخطاب حقا . ففى أى شيء خالف الرئيس السادات الحقيقة.؟ ولعل التلمسانى وهو يعرض هذا الخطاب تناسى دورالرئيس السادات فى فتح الأبواب له ولجماعته على هيئة لم تكن من قبل ـ كما شهد فى نفس اللقاء بأنه نال حريته التى تمنى على أثرها أن يطول حكم السادات - فكيف تنتظر الدولة خطابا أو تتأثر به وهى التى أقامت الدعوة وأعدتها برضاها .. ؟

ولكن التلمسانى حاد عن عرض الرئيس السادات ، وذكر قضية أخرى لم تكن محورا للنقاش ، إذ بين رفضه اللقاء مع ممثل للسفارة الإنجليزية فى القاهرة للحديث معه إلا بعد الاستئذان من وزير الداخلية .. ثم قال أن لا أتآمر على الدولة ... والرئيس لم يكلمه فى تآمر ، ولم يكلمه فى لقاء مع السفارة الإنجليزية .. مع العلم أن الالتقاء مع السفارات الأجنبية أمر ثابت فى دعوة الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن . . ثم قام التلمسانى يزكى نفسه على غير هدى السلف ، قائلا : " أنا مخلص فى غاية الإخلاص " ثم رمى الكرة فى ملعب الرئيس ، كما يقولون فى المفهوم السياسي ، ليحمله جناية اللقاء معه ..

ليقوم الرئيس بالدفاع عن نفسه أمام الناس ، ويكون هو البريء ، وما قاله الرئيس هو الباطل .. ثم مثل دور المتمارض ، ليستعطف الرئيس نحوه ونحو جماعته .. وإمعانا فى الاستعطاف شكى الرئيس إلى الله تعالى فى غير جناية منه ، وهو ممثل لجماعة متهمة فى دعوتها وفكرها وتاريخها .. وليس ذلك من العدل والإنصاف .. أن يمثل الجانى دور المجنى عليه ..لكى يحقق لجماعته أكثر المكاسب . تلك هى طريقة الإخوان فى التحاور.. لا يبرزون الحقائق ، كما ينبغى لها أن تكون .. إنما يدورون حول القضايا ، دون الدخول فيها والتثبت منها .. ومن الغبن حقا أن يكون المقابل

الذى عرضه الرئيس السادات .. من سعة صدره فى تناول القضايا ، وأدبه وحرصه على إظهار خوفه من الله تعالى ، وإفساحه لتلك الجماعة كى تعمل فى مجال الدعوة بحسن نية ، بجوار حرصه على اجتماع المهتمين بشأن الدعوة لتناول القضايا الإسلامية ، بعيدا عن النزاعات والإشاعات .. هو إشعال المجتمع ضده من قبل تلك الجماعة وعدم الاستفادة من تلك الروح ، التى كان يتمتع بها فى العمل لصالح الإسلام ولصالح المجتمع ، بعيدا عن روح الانتقام التى عاملوه بها ، بسبب أنه كان عضو يمين فى المحكمة التى حكمت على تنظيم ١٩٥٤م ..

ماذا كان يقصد الرئيس السادات بكلمة : " لا دين فى السياسة " ؟

أيضا من جملة ما وقف عليه الإخوان فى تهييج الواقع واستثارة المجتمع ما قاله الرئيس السادات فى أحد خطبه : « لا دين فى السياسة ولا سياسة فى الدين ».

وعلى طريقتهم فى فصل الأمور وعدم تفسيرها بحقيقة الوقت الذى قيلت فيه والتفسير الذي ارتبطت به أنهم قالوا إن الرئيس السادات أراد من قوله هذا :

فصل الدين عن السياسة . . وقد ظنّ كثير من الناس ذلك..

ولم يكن الرئيس السادات يقصد ذلك .. خاصة أنه وضع بندا في الدستور ، جعل فيه الشريعة الإسلامية مصدرا رئيسيا للتشريع ..

وكان يقول دائما : " الإسلام دين ودولة " كما يقول كل مسلم . وعندما تطاول عليه بعض أقباط نصارى المهجر العلمانيين ، قال لهم : « " أنا رئيس مسلم لدولة مسلمة " » أهـ .

وعندما كثر لغط الإخوان حول مقصد الرئيس من تلك الكلمة قام بتوضيح حقيقة قوله هذا فى خطابه للأمة بتاريخ ١٤ سبتمبر ١٩٨١م قائلا :

« الإخوان المسلمين عاملين نفسهم الناس اللى واقفين بعيد وبتوع الدين وبس وساعة ما نقول " لا سياسة فى الدين ولا دين فى السياسة ".. يقولوا : أبدا .. الدين

سياسة والإسلام دين ودولة .. آه . دين ودولة صح ، لكن أن تفرض وصاية على مصر باسم الدين على طريقة الخمينى كما يكتبون الآن ... لا .. إنه يتقتل فى مصر ٩٠٠ (قتيل) زى الخمينى ما عمل فى شهر علشان الثورة الإسلامية .. لا دى ثورة إسلامية ، ولا ده إسلام » أهـ

فقد كان مقصد الرئيس واضحا : وهو عدم استغلال الدين للوصول إلى مآرب سياسية .. لا على طريقة الخمينى ولا على طريقة الإخوان . والإخوان كانوا من أعظم خلصاء الخمينى ضد العالم الإسلامي كله ، وكانوا يؤيدون ثورته ، التى أشاعوا فى العالم أنها ثورة إسلامية ، وأن حكومة الخمينى هى الحكومة الإسلامية الوحيدة فى العالم كله .

غير أنه ينبغى أن نبين بعيدا عن الروابط السابقة أن تلك التقسيمات :

(حقيقة وشريعة ، وعقل ونقل ، وظاهر وباطن ، ودين وسياسة) تقسيمات غير جائزة فى الإسلام .. لأن أفعال الإنسان باختلاف صورها فيها الحق وفيها الباطل، وفيها الخطأ وفيها الصواب ، وفيها الخير وفيها الشر . لا بد أن يخضع ذلك كله لحكم الله تعالى وشرعه ، الذى لايأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه .

طرق التعامل مع الحكام

لم تكن الشريعة الإسلامية مرجعية للإخوان فيما يسلكون عند التخاطب مع الملوك والرؤساء ، إنما تكمن مرجعيتهم فى سيرة شيخهم التى تعلمها من جمال الدين الأفغاني ، فقد كان يخاطب الحكام والملوك مخاطبة جهرية ، من خلال الصحف ؛ حتى يأخذوا برأيه ، وإلا فلن تهدأ البلاد ولن تستقر .

وهكذا عامة المرشدين . حتى محمد عاكف نوه عن ذلك - بأثر ضعيف وفهم مغلوط - قائلا : « وعمر بن الخطاب يقبل جدال الإعرابي له في طول ثوبه الذي زاد عن باقي ما حصلَ عليه المسلمين من الفيء، ويوضح له سبب الزِّيادة ، من دونِ أن يتعرض للأعرابي بأذى أويحاسبه حتى على غلظةِ أسلوبه !! ومن قبلِ ذلك محمد ﷺ وقف يتقبل بسعة صدر اتهام أعرابى له بعدمِ العدلِ في توزيع الغنائم » (نافذة مصر ٢٦/ ٧/ ٢٠٠٧م) . .

وليست تلك الأمثلة التى ذكرها أصولا يقتفى آثارها فى التعامل مع الحكام فى الإسلام ، فليست من آداب وأخلاق الأخيار فى التعامل مع الحكام ..ولم يكن أبو خويصرة التميمى الخارجي الذي طعن فى عدل النبى ﷺ مثلا للأخيار من أمة محمد ﷺ... غير أنه يصح أن يكون مثلا للإخوان فهذا هو دربهم ..

فليس مع الإخوان شيء من الإسلام فى التطاول على الحكام ، ولا شيء معهم فى مناصحتهم جهرا - لو استطاعوا - غير أنهم يلتفون حول بعض القوانين الوضعية والمفاهيم المقتبسة من الديمقراطية الغربية والأمريكية ، لتكون نبراسا لهم يهتدون به .. أما حقيقة التعامل مع الرؤساء فى الإسلام فهى قائمة فى الحقوق على الصبر ، وفى الدعوة على الحكمة والموعظة الحسنة ويجب على الرعية مع الراعي أربعة أمور:

١- الطاعة فى المعروف لما أمر به النبى ﷺ بقوله لحذيفة بن اليمان : « تسمع وتطيع للأميرِ ، وإن ضُرِبَ ظهرك ، وأُخِذَ مالك ، فاسمع وأطع » (متفق عليه.رواه

مسلم. ١٨٤٧).

٢- المناصرة والتأييد .. فإذا جاء أحد ينازعه في سلطانه فقد وجبت نصرته في ذلك وعدم إسلامه لعدوه لقوله ﷺ : « من بايع إماما فأعطاه صفقة يده وثمرة قلبه فليطعه ما استطاع فإن جاء آخر ينازعه فاضربوا عنق الآخر»(رواه مسلم وغيره ١٤٧٢/ ٣ عن عبد الله بن عمرو).

٣- عدم الإهانة والاحتقار .. فلا يجوز إهانته ولا التطاول عليه ولا تتبع عوراته .. فإن في ذلك إهانة لسلطان الله تعالى وتهديدا للمجتمع ..

روى الترمذي عن زياد بن كسيب العدوي قال : كنت مع أبي بكرة تحت منبر ابن عامر وهو يخطب وعليه ثياب رقاق فقال أبو بلال : انظروا إلى أميرنا يلبس ثياب الفساق . فقال أبو بكرة : اسكت سمعت رسول الله ﷺ يقول :

« من أكرم سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أكرمه الله يوم القيامة ومن أهان سلطان الله تبارك وتعالى في الدنيا أهانه الله يوم القيامة » (الترمذي .ص / الألباني في المشكاة ٣٦٩٥)

٤- النصيحة بالحكمة والموعظة الحسنة .. فقد أمر الله تعالى أمر نبيه موسى عليه السلام أن يكون لينا في دعوته لفرعون مصر مع جبروته وطغيانه ، قال تعالى : ﴿ فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيِّنًا لَّعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَىٰ ﴾ [طه ٤٤] فكيف تكون النصيحة بين رجل من عامة المسلمين وبين حكام المسلمين.؟

فلا يخفى أن أخطر أنواع الأمر والنهي ما كان متعلقا بأصحاب المسئولية ، لما لهم من مكانة مؤثرة في نظام المجتمع.. وأهل السنة لا يمانعون نصح الحكام ، كما يزعم الإخوان وغيرهم ، بل إنهم حضوا على ذلك ، لقول النبي ﷺ: « الدين النصيحة . ثلاثا . قلنا لمن ؟ قال لله ولكتابه ولرسوله ولأئمة المسلمين وعامتهم » (رواه مسلم.كتاب الإيمان . ٥٥).

قال الإمام البربهاري (رحمه الله) : « ولا يحل أن تكتم النصيحة أحدا من المسلمين برهم وفاجرهم في أمر الدين ، فمن كتم فقد غش المسلمين ، ومن غش

المسلمين فقد غش الدين ، ومن غش الدين فقد خان الله ورسوله والمؤمنين » (شرح السنة . ص/ ٤٣) .

والنصيحة لأئمة المسلمين كما قال القرطبي (رحمه الله) في تفسير الآية . ٩١ من سورة التوبة : « ترك الخروج عليهم ، إرشادهم إلى الحق وتنبيههم فيما أغفلوه من أمور المسلمين ، ولزوم طاعتهم والقيام بواجب حقهم » أهـ

وقد حدد الشرع لتلك النصيحة قواعد محكمة .. تتعلق بالمصلحة العائدة على الأمة .. وليس من المصلحة الشرعية باتفاق الأئمة التشنيع علي الحكام على المنابر وفي الصحف ، إنما المصلحة في الرفق والسرية .. غير أن الإخوان لا يعبأون بها ، ويزعمون مع ذلك أن الجهر بالإنكار على الحكام في المجالس والهيئات والصحف والمنابر أمر مباح في الشريعة ، ولا يعد خروجا عليها. وهذا غير صحيح .

فالسلف الصالح أهل الحديث (رضى الله عنهم) لم يعرفوا ما انتحله الإخوان من الإثارة ولم يعملوا بها ، إنما كانوا يكتفون بالأمر بالمعروف وبالنهي عن المنكر على المنابر ، دون الإشارة إلى الولاة والسلاطين ، حفظا لقوتهم ولسلطانهم ولمجتمعاتهم ، وذلك لأن نصح الحاكم يختلف عن نصح غيره ، لما تعلق في عنق قومه من البيعة له ، وقد تؤدى النصيحة الجهرية إلى تمزيق المجتمع.. وقد حث النبي ﷺ أصحابه على اتخاذ السرية سبيلا إلى مناصحة الحكام ، وذلك فيما رواه أحمد عن شريح بن عبيد الحضرمي وغيره وصححه الألباني في " ظلال الجنة"، قال :

« جلد عياض بن غنم صاحب دار حين فتحت ، فأغلظ له هشام بن حكيم القول حتى غضب عياض ، ثم مكث ليالي فأتاه هشام بن حكيم فاعتذر إليه ..

ثم قال هشام لعياض ألم تسمع النبي ﷺ يقول : « إن من أشد الناس عذابا أشدهم عذابا في الدنيا للناس » قال عياض بن غنم : ياهشام بن حكيم قد سمعنا ما سمعت ورأينا ما رأيت أولم تسمع رسول الله ﷺ يقول : « من أراد أن ينصح لسلطان بأمر فلا يُبد له علانية ، ولكن ليأخذ بيده فيخلو به ، فإن قبل منه فذاك وإلا كان قد أدى الذي عليه له » وإنك ياهشام لأنت الجريء إذ تجترئ على سلطان الله

فهلا خشيت أن يقتلك السلطان فتكون قتيل سلطان الله تبارك وتعالى».أهـ ..

فقد كان السلف يعلمون أن التشنيع على الولاة قسم من أقسام الخروج ، ولذلك كانوا يحذرون من افتتاح هذا الأمر في الأمة ، والشاهد على ذلك أنه لما وقعت الفتنة في زمن عثمان (رضي الله عنه) ، قيل لأسامة : « ألا تدخل على عثمان فتكلمه ؟ فقال : أترون أني لا أكلمه إلا أسمعكم؟ والله! لقد كلمته فيما بيني وبينه . ما دون أن أفتتح أمرا لا أحب أن أكون أول من فتحه» (متفق عليه ، مسلم كتاب الزهد والرقائق . ٢٩٨٩)

ومثله ما أخرجه أحمد في مسنده (٤ / ٣٨٢) عن سعيد بن جمهان قال : لقيت عبد الله بن أبي أوفى ، وهو محجوب البصر فسلمت عليه قال لي:من أنت؟ فقلت : أنا سعيد بن جمهان. قال :فما فعل والدك . قال قلت : قتلته الأزارقة.

قال : لعن الله الأزارقة لعن الله الأزارقة حدثنا رسول الله ﷺ أنهم كلاب النار. قال قلت : الأزارقة وحدهم أم الخوارج كلها ؟ قال : بلى الخوارج كلها. قال قلت : فإن السلطان يظلم الناس ويفعل بهم .

قال : فتناول يدي فغمزها بيده غمزة شديدة ، ثم قال :

ويحك يا ابن جمهان عليك بالسواد الأعظم عليك بالسواد الأعظم إن كان السلطان يسمع منك فأته في بيته فأخبره بما تعلم فإن قبل منك وإلا فدعه فإنك لست بأعلم منه » (أخرجه الحاكم ٣ / ٦٦٠)، والطيالسي (٨٢٢)، وابن عدي في الكامل ٢ / ٤٤١ ، وابن أبي عاصم في السنة (٩٠٥)، (قال الألباني في تخريج كتاب السنة ٢ / ٤٣٨ :إسناده حسن) .

فطرق الاتصال بولى الأمر ليست مسدودة على الإطلاق ، حتى يضطر إلى الجهر بالنصيحة على الملأ ، خوفا من ضياع أصل الحق ، ولكن الأمر يحتاج إلى الصبر والأناة ، والنصيحة لها أهلها ، ولها وسائطها من الوزراء والعلماء والمسئولين..

قال الإمام عبد العزيز بن باز في " العلاقة بين الحاكم والمحكوم " : « ليس من منهج السلف التشهير بعيوب الولاة وذكر ذلك على المنابر ، لأن ذلك يفضي إلى الفوضى وعدم السمع والطاعة في المعروف ، ويفضي إلى الخوض الذي يضر ولا ينفع ، ولكن الطريقة المتبعة عند السلف النصيحة فيما بينهم وبين السلطان والكتابة إليه أو الاتصال بالعلماء الذين يتصلون به حتى يوجه إلى الخير »أهـ

٢- معاهدة السلام ...

لم يعرف فى تاريخ الإسلام واقع يجمع بين النقيضين ، إنما يعرف الثبات ووحدة الهدف ..ولقد مرت أمتنا بزمن لم يتحقق فيه اتجاه ثابت فى قضايا الحرب والسلام، وهو واقع اللاحرب واللاسلم .. ذلك الواقع الذى لا يعرفه الفقهاء ولا العلماء ؛ ولهذا الواقع أضرار كثيرة على المجتمعات الإسلامية .. والاتجاه الصحيح الذى يحدد ما يجب على الأمة في مواجهة النوازل يدور بين أمرين :

الأول : إما الحرب التى تقطع القضايا وتفصل الأمور.

الثاني : وإما السلم الذى يتعايش فيه المسلمون مع أعدائهم بهدنة معلومة إلى أجل ، حتى يقضي الله أمرا كان مفعولا..

وإذا كان الرئيس السادات قد نادى بالصلح مع اليهود فليس هذا أمرا مبتدعا فى الدين ، بل هو أمر ثابت فى الدين والشريعة ، وثابت فى سنة النبى ﷺ فقد تصالح النبى ﷺ مع كفار قريش فى الحديبية إلى زمن معلوم بشروط معلومة ، لم ير فيها كثير من الصحابة إنصافا لهم ولدينهم ، ومع ذلك قبلها النبى ﷺ وهو المنصور المؤيد .. ولم يتطرق النبى ﷺ فى بنود الصلح إلى الأرض التى طرد منها ، ولا إلى الممتلكات التى حرم منها، وإنما كان هدف الصلح هو وضع السلاح فقط ، وتأمين الناس على دينهم ، ومن ثم يتيسر للمخالفين المهلة التى تتيح لهم الاطلاع على حقيقة الدين الثابت ، فيكون ذلك عونا لهم فى الإقبال عليه ، دون توجس خوف ولا تداخل شبهة .. والله تعالى ناصر دينه ورافع أوليائه ، ولن يحول حائل دون ذلك ، فعن تميم الداري قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول: « ليبلغن هذا الأمر ما بلغ الليل والنهار ولا يترك الله بيت مدر ولا وبر إلا أدخله الله هذا الدين بعز عزيز أو بذل ذليل عزاً يعز الله به الإسلام وأهله وذلاً يذل الله به الكفر» (قال الهيثمى فى مجمع الزوائد ٩٨٠٧:رواه أحمد والطبراني ورجال أحمد رجال الصحيح.) (صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة . ١ / ٣).

والاتفاق على عهد صلح بين المسلمين وبين خصومهم أمر ثابت فى فهم السلف (رضى الله عنهم) بالإجماع ، أنه يجوز للمسلمين إذا عجزوا عن مناجزة عدوهم مصالحته إلى أجل معلوم ، غير دائم ، بعهد مشروط أو غير مشروط ، من الممكن أن يتجدد حسب المصلحة التى يراها الإمام.قال الإمام القرطبي (رحمه الله) فى تفسير قوله تعالى : ﴿وإن جنحوا للسلم فاجنح لها﴾ [الأنفال: ٦١] : « دل على جواز صلح المشركين ومهادنتهم دون مال يؤخذ منهم، إذا رأى ذلك الإمام وجها. ويجوز عند الحاجة للمسلمين عقد الصلح بمال يبذلونه للعدو، لموادعة النبي (عيينة بن حصن الفزاري ، والحارث بن عوف المري يوم الأحزاب ، على أن يعطيهما ثلث ثمر المدين، وينصرفا بمن معهما من غطفان ويخذلا قريشا، ويرجعا بقومهما عنهم»أهـ ..

وهذا هو الذى اتفق عليه الأئمة المعاصرون ..

فلم تقف مشيخة الأزهر ضد معاهدة السلام ، بل إن أئمة الأزهر فى زمن الشيخ الإمام جاد الحق على جاد الحق (رحمه الله) أصدروا فتاوى واضحة حددوا فيها موقفهم من معاهدة السلام ، وبينوا شرعيتها ، وحاجة المسلمين إليها فى هذا الوقت .. وقد ساق الشيخ الإمام جاد الحق عددا من الأدلة والبراهين المؤكدة لمشروعية تلك المعاهدة ، وبعد أن ساقها قال :

« إذا عرضنا اتفاقية السلام بين مصر وإسرائيل على قواعد الإسلام التي أصلها القرآن وفصلتها السنة وبينها فقهاء المذاهب جميعا على نحو ما أجملنا الإشارة إليه نجد أنها قد انطوت تحت لواء أحكام الإسلام ..

فهي قد استخلصت قسماً كبيراً من الأرض التي احتلتها إسرائيل في هزيمة سنة ١٩٦٧ بما فيها وعليها من مواطنين عادت إليهم حريتهم وثروات نستفيد بها بدلاً من أن يستنزفها الخصوم فهل استرداد الأرض والثروة مما يأمر به الإسلام أو ما ينهي عنه ؟!

وهل في هذا مصلحة محققة للمسلمين أو شر ما حق لا حق بهم ؟

وهل في عودة المواطنين الذين تحررت أرضهم إلى دولتهم ترعى شئونهم من تعليم وصحة ودعوة وتجارة وكل مسئوليات الدولة نحوهم ؟ وهل هذا مما أمر به الإسلام أو ما نهى عنه ؟ حين نعرض هذه الاتفاقية في ضوء مسئوليات الحاكم المسلم نجد أن رئيس مصر قد نصح للأمة وقام بالمسئولية فحافظ على الرعية حفاظه على نفسه ،حارب حين وجد ألا مندوحة عم الحرب بعد أن أستعد وأعد وفاوض وسالم حين ظهر إلا مفر من السلم وإنه يستطيع الوصول إلى الحق والحصول عليه سلما لا حربا والإسلام يقرر أن الحرب ليست حرفة ولا غاية وإنما هي ضرورة دفاع أو وقاية وكمال قال الرسول الأكرم «إن الله يحب الرفق في الأمر كله » أي أن الله سبحانه يحب لين الجانب في الفعل والقول كما يحب الأخذ بالأيسر والأسهل في أمور الدنيا ومعاشرة الناس فإذا استعصت الحرب كوسيلة لاسترداد الحق وتيسر السلم أفلا يكون هو الأول والأولى ؟ أهـ

وقال العلامة عبد العزيز بن باز (رحمه الله): « تجوز الهدنة مع الأعداء مطلقة ومؤقتة ، إذا رأى ولي الأمر المصلحة في ذلك ؛ لقول الله سبحانه : ﴿وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ﴾ ولأن النبي ﷺ فعلهما جميعا، كما صالح أهل مكة على ترك الحرب عشر سنين، يأمن فيها الناس ، ويكف بعضهم عن بعض ، وصالح كثيرا من قبائل العرب صلحا مطلقا، لما فتح الله عليه مكة نبذ إليهم عهودهم ، وأجّل من لا عهد له أربعة أشهر، كما في قول الله سبحانه: ﴿ براءة من الله ورسوله إلى الذين عاهدتهم من المشركين فسيحوا فى الأرض أربعة أشهر﴾ الآية وبعث صلى الله عليه وسلم المنادين بذلك عام تسع من الهجرة بعد الفتح مع الصديق لما حج رضي الله عنه ، ولأن الحاجة والمصلحة الإسلامية قد تدعو إلى الهدنة المطلقة ثم قطعها عند زوال الحاجة ، كما فعل ذلك النبي ﷺ ،وقد بسط العلامة ابن القيم – رحمه الله – القول في ذلك في كتابه (أحكام أهل الذمّة)، واختار ذلك شيخه شيخ الإسلام ابن تيمية وجماعة من أهل العلم .. والله ولي التوفيق...»أهـ .

ورد على الشيخ يوسف القرضاوي فى مجلة (المجتمع الكويتية ٦ / ١٠ /

١٤١٥ هـ) ، مبطلا جميع حججه التى عارض بها معاهدة السلام ، مبينا منهج السلف وأهل الحديث بالأدلة والبراهين ، قائلا : « لا مانع من الصلح معهم إذا اقتضت المصلحة ذلك ؛ ليأمن الفلسطينيون في بلادهم ، ويتمكنوا من إقامة دينهم. وقد رأى فضيلة الشيخ يوسف أن ما قلته في ذلك مخالف للصواب ؛ لأن اليهود غاصبون فلا يجوز الصلح معهم . إلى آخر ما ذكره فضيلته . ثم قال : ونقول للشيخ يوسف وفقه الله وغيره من أهل العلم : إن قريشا قد أخذت أموال المهاجرين ودورهم ، كما قال الله سبحانه في سورة الحشر : ﴿ للفقراء المهاجرين الذين أخرجوا من ديارهم وأموالهم يبتغون فضلا من الله ورضوانا وينصرون الله ورسوله أولئك هم الصادقون﴾ ومع ذلك صالح النبي ﷺ قريشا يوم الحديبية سنة ست من الهجرة ، ولم يمنع هذا الصلح ما فعلته قريش من ظلم المهاجرين في دورهم وأموالهم ، مراعاة للمصلحة العامة التي رآها النبي ﷺ لجميع المسلمين من المهاجرين وغيرهم ، ولمن يرغب الدخول في الإسلام ..

أقول أيضا : جوابا لفضيلة الشيخ يوسف عن المثال الذي مثل به في مقاله وهو: لو أن إنسانا غصب دار إنسان وأخرجه إلى العراء ثم صالحه على بعضها. أجاب الشيخ يوسف : أن هذا الصلح لا يصح . وهذا غريب جدا ، بل هو خطأ محض ، ولا شك أن المظلوم إذا رضي ببعض حقه ، واصطلح مع الظالم فى ذلك فلا حرج ؛ لعجزه عن أخذ حقه كله ، وما لا يدرك كله لا يترك كله ، وقد قال الله عز وجل : ﴿ فاتقوا الله ما استطعتم ﴾ وقال سبحانه : ﴿ والصلح خير ﴾ ولا شك أن رضا المظلوم بحجرة من داره أو حجرتين أو أكثر يسكن فيها هو وأهله ، خير من بقائه في العراء.. أما قوله عز وجل : ﴿ فلا تهنوا وتدعوا إلى السلم وأنتم الأعلون والله معكم ولن يتركم أعمالكم﴾ فهذه الآية فيما إذا كان المظلوم أقوى من الظالم وأقدر على أخذ حقه ، فإنه لا يجوز له الضعف ، والدعوة إلى السلم ، وهو أعلى من الظالم وأقدر على أخذ حقه ، أما إذا كان ليس هو الأعلى في القوة الحسية فلا بأس أن يدعو إلى السلم ، كما صرح بذلك الحافظ ابن كثير (رحمه الله) في تفسيره هذه الآية .وقد دعا النبي (إلى السلم يوم الحديبية ؛ لما رأى أن ذلك هو الأصلح للمسلمين والأنفع

لهم ، وأنه أولى من القتال ، وهو عليه الصلاة والسلام القدوة الحسنة في كل ما يأتي ويذر؛ لقول الله عز وجل : ﴿ لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة ﴾ الآية ولما نقضوا العهد وقدر على مقاتلتهم يوم الفتح غزاهم في عقر دارهم ، وفتح الله عليه البلاد ، ومكنه من رقاب أهلها حتى عفا عنهم ، وتم له الفتح والنصر ولله الحمد والمنة .

فأرجو من فضيلة الشيخ يوسف وغيره من إخواني أهل العلم إعادة النظر في هذا الأمر بناء على الأدلة الشرعية ، لا على العاطفة والاستحسان ، مع الاطلاع على ما كتبته أخيرا من الأجوبة الصادرة في صحيفة (المسلمون) في ١٩ / ٨ ١٤١٥/ هـ ، الموافق ٢٠ / ١ / ١٩٩٥ م ، وقد أوضحت فيها :

« أن الواجب جهاد المشركين من اليهود وغيرهم مع القدرة حتى يسلموا أو يؤدوا الجزية ، إن كانوا من أهلها ، كما دلت على ذلك الآيات القرآنية والأحاديث النبوية وعند العجز عن ذلك لا حرج في الصلح على وجه ينفع المسلمين ولا يضرهم؛ تأسيا بالنبي ﷺ في حربه وصلحه ، وتمسكا بالأدلة الشرعية العامة والخاصة ، ووقوفا عندها ، فهذا هو طريق النجاة وطريق السعادة والسلامة في الدنيا والآخرة . والله المسئول أن يوفقنا وجميع المسلمين - قادة وشعوبا- لكل ما فيه رضاه»أهـ

تناقضات الإخوان العملية ...

عارض الإخوان اتفاقية الصلح مع اليهود معارضة شديدة ، بغير علم ولا سلف وذلك بالمقالات الشنيعة والمظاهرات الهوجاء ، وعرضوا مصر للفتن زمنا طويلا ، واتهموا الحكام بخيانة الأمة ، وكانوا سببا رئيسا فى قتل الرئيس السادات من جهة ، وتضييع الفرصة على الفلسطينيين لأخذ جزء كبير من أرضهم من جهة أخرى . قال التلمسانى : « لقد عارضه الإخوان المسلمون فى أسوأ غلطة أساءت إلى تاريخه وهى معاهدة السلام ، عارضوا مبادرته إلى القدس ، ووثيقتى كامب ديفيد ومعاهدة السلام وعارضوه وحدهم دون غيرهم من الأحزاب والجماعات ، من أول خطوة خطاها فى هذا الطريق الضار الخطير» (أيام مع السادات ص/ ١٠٨)..

ويرجع القصور فى فهم تلك القضية إلى أن دعاة الإخوان يظنون أن إقرار الصلح مع اليهود يؤدى إلى إعطائهم حقا ثابتا فى بلاد المسلمين .وقد تغافلوا أن المعاهدات التى تتم بين الدول باختلاف توجهاتها لها زمن تنتهى فيه ، وبانتهائها يكون المسلمون فى حل منها . فكيف إذا كان اليهود من أكثر الناس نقضا للعهود.! وهم على كل حال لن يقبلوا معاهدة أبدية مع المسلمين..كما أن الصلح مع اليهود لا يقتضى تمليكهم الأرض تمليكا أبديا ، قال الإمام عبد العزيز بن باز : « الصلح بين ولي أمر المسلمين في فلسطين وبين اليهود لا يقتضي تمليك اليهود لما تحت أيديهم تمليكا أبديا ، وإنما يقتضي ذلك تمليكهم تمليكا مؤقتا ، حتى تنتهي الهدنة المؤقتة أو يقوى المسلمون على إبعادهم عن ديار المسلمين بالقوة في الهدنة المطلقة » (المسلمون ١٩ / ٨ / ١٤١٥ هـ)...

والذى ينظر إلى واقع الإخوان يعلم تمام العلم أنهم مضطربون فى قضية فلسطين .. فقد اتهموا الرئيس السادات بسبب معاهدة السلام بالخيانة ، وهم الآن يصفون من يقوم بنفس العمل من قادة حركة حماس الفلسطينية بالأمانة .

قال محمد عاكف فى (العربى . ١٨ يناير ٢٠٠٤ م) ردا على سؤال - وحول ما إذا كان الإخوان المسلمون سيحاولون منع حركة المقاومة الإسلامية حماس من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل .. قال عاكف " لا علاقة لنا بالسياسة الداخلية الفلسطينية » أهـ .

وقد عرض أحد قادة حماس على إسرائيل عرضا تاريخيا بقبول دولتين واحدة فلسطينية وأخرى إسرائيلية جنبا إلى جنب ، مع توقيع هدنة مع إسرائيل لمدة عشر سنين . وأعلن ذلك الشيخ حسن يوسف لوكالة أنباء أسوشيتدبرس ووكالة رويتر ، كما ذكرت ذلك جريدة آفاق عربية المتحدثة باسم الإخوان فى مصر فى عددها الصادر فى (٢٦ شوال ١٤٢٥هـ . ٦٨٦) .

وفى (فبراير ٢٠٠٦م) تكرر هذا العرض من قبل حماس ، حيث عرضت على إسرائيل هدنة طويلة المدى ، وذلك عقب توليها مسئولية السلطة الفلسطينية

مباشرة بعد سقوط سلطة حركة فتح . وفى يونيو ٢٠٠٦م نشرت جريدة الجمهورية خبرا مفاده ..« أن حركة حماس مستعدة لعقد هدنة مدتها ٥٠ إلى ٦٠ عاما مع إسرائيل إذا انسحبت إلى حدود ١٩٦٧م على أن يترك التوصل إلى اتفاق سلام بين الفلسطينيين والإسرائيليين إلى الأجيال القادمة بعد أن تثبت رغبة الإسرائيليين فى السلام » أهـ

وفى يونيو ٢٠٠٧م ، عقب استيلاء حماس على ق غزة والانقلاب على سلطة الرئيس الفلسطيني صرح إسماعيل هنية " رئيس الوز ء الفلسطيني المقال " في حديث الجمعة لصحيفة " لوفيغارو الفرنسية " عن تأييد مة دولة فلسطينية في غزة والضفة الغربية عاصمتها القدس ، موضحا أن منظمة ا ير الفلسطينية ستظل مكلفة بالمفاوضات بهذا الشأن .

وقال هنية "إننا نتعهد باحترام كافة الاتفاقيات الماضية الموقعة من قبل السلطة الفلسطينية معربا عن الأمل في التوصل " إلى هدنة متبادلة وشاملة ومتزامنة مع إسرائيل» (العربية نت . ١٥ يونيو٢٠٠٧م) .

وفى نفس الشهر .. وبرهانا على قدرة الحركة على التواصل مع العدو الصهيونى بكل قوة ، وإثباتا للميل تجاه الخيار السياسي ، وتطمينا لإسرائيل بأن سيطرة الحركة الإخوانية على قطاع غزة لن يضر إسرائيل بشىء صرح الدكتور محمود الزهار " أحد قادة حركة حماس : " بأن حركة " حماس " على استعداد لترك جميع سبل المقاومة وعدم القيام بأى عمليات عسكرية تجاه إسرائيل ، بقوله :

« إن الحركة تريد الحفاظ على الهدوء في المنطقة ولكنها لن تكون حامية للحدود الصهيونية.. وأوضح الزهار في تصريحات صحفية أن حماس :"حركة منفتحة إزاء وقف إطلاق النار مع الكيان شرط إن يوقف الجيش الصهيوني عملياته العسكرية في القطاع والضفة الغربية ، وأضاف أن حماس قادرة على وقف الهجمات الصاروخية المتكررة من قطاع غزة » (نافذة مصر نت . ٢٢ / ٦ / ٢٠٠٧م)

وقد سبق أن أقر الشيخ محمد حامد أبو النصر " مرشد الإخوان السابق "

بجواز إبرام صلح دائم مع اليهود على حدود معلومة. وقال : « ينبغى علينا أن نصر إصرارا لا تفريط فيه ولا مساومة معه على ضرورة اعتراف إسرائيل بحق تقرير المصير للفلسطينيين ؛ حتى يقيموا دولة مستقلة على ترابهم الوطني وعاصمتها القدس » (المجتمع . ٢٤ / ٣ / ١٩٨٧ م)

ومع هذا كله نجد القرضاوى وجميع رفقائه فى الجماعة يسكتون ولا ينطقون اعتراضا على عروض حركة حماس المتكررة بالهدنة طويلة المدى مع اليهود .. كل ذلك حفاظا على وحدة الصف الإخوانى . أما صفوف علماء المسلمين وأطروحاتهم فلهم العمالة والخيانة وعدم الفهم والفقه ..

الفتن المعاصرة في مصر ...

الإخوان يحاسبون كل الحكومات على تاريخها وأخطائها ..قال د/ محمد حبيب : « إن تسليط الضوء على فساد واستبداد الحزب الحاكم ... يجب أن يتم بشكل مستمر حتى لا ينسى الناس ، وحتى لا ينخدع البعض فى وقت ما بشعارات براقة تزعم أن هناك فكرا جديدا، وأن ثمة خطوات ما على طريق الإصلاح ! »(نافذة مصر١٢ يونيو ٢٠٠٧م) .. ومع فساد سبلهم لا يريدون أن يحاسبهم أحد على أخطائهم .. وإذا حاسبهم شنعوا عليه بشتى الأكاذيب والتهم .. أقلها أنه يريد شهرة ، وأوسطها أن يتهم بالمرض النفسي ، وأعلاها أن يتهم بالعمالة ، فليس هناك أحد على وجه الأرض ينصحهم لوجه الله .! لا يتورعون من عالم ولا داع ولا ناصح .. والله تعالى سيحاسبهم على ذلك ﴿ يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ وقال ﷺ : « من قال في مؤمن ما ليس فيه أسكنه الله ردغة الخبال – عصارة أهل النار – حتى يخرج مما قال وليس بخارج» (صحيح الجامع ٦١٩٦) ...

وقد ابتليت الأمة العربية والإسلامية ومصر خاصة بنكبة الإخوان ، وقد شغلها هذا الابتلاء عن نهضتها وتقدمها زمنا طويلا ، حتى حصرت جهود الدولة فى حفظ كيان المجتمع من التدهور والانفلات أكثر من أى شيء آخر من أمور الدين والحياة .. وهى فتنة مزمنة ، قائمة على النزاع الطويل على الحكم ، فالإخوان أحرص الناس على بقاء هذا الصراع ظاهرا فى المجتمع ، وكل مكان فيه توتر لابد أن يضع الإخوان فيه أرجلهم . وأعظم الأوساط التى يلعب بها الإخوان لتهييج العامة هى أوساط طلبة الجامعة ؛ يستغلون حماسهم وقلة خبرتهم بالدين والحياة ، ليظهروا بهم قوتهم فى صورة ميليشيات ملثمة ، كتلك التى قاموا بها فى جامعة الأزهر فى أواخر عام ٢٠٠٦م ، تكرارا لاستعراضات فرق الجوالة ، التى كانوا يخفون وراءها أعمال التنظيم الخاص ..

وقد ارتبك الإخوان فى أمر الاستعراضات الكنغوفية التى أداها طلبة الإخوان

فى جامعة الأزهر ارتباكا كبيرا ، لما رأوا من آثارها العكسية فى المجتمع .. فقالوا فى أول الأمر على لسان محمد عاكف " لا نعرف عنها شيئا ولم نأمر بها .. ولو أردنا استعراضا عسكريا لأعددنا له إعدادا يليق به . " وعندما تبين أنها منسوبة إليهم قالوا إنها فقرات تمثيلية ..قال الدكتور محمد حبيب : « ما قام به الطلاب كان مجرد عرض لفقرات تمثيلية داخل المدينة الجامعية » (نافذة مصر . ٢٢ / ١١ / ١٤٢٧) وقال الطلاب :« إن ممارسة رياضات عنيفة كالكاراتيه والكونغ فو مباحة قانونا في جميع الأندية الرياضية » (المصري اليوم) ..

وعندما بدأوا يفكرون فى شدة الصراع قالوا تلاعبا بعقول الناس إن ماحدث فى جامعة الأزهر سلوك ديمقراطى .. قال عبد المنعم أبو الفتوح : « ما قام به الطلبة من الاعتصام هو سلوك ديمقراطي تعبيرا عما حدث لزملائهم ، مطالبا الجهات المسؤولية بتقديم الشكر لهم وليس عقابهم» (المصري اليوم ١٣ / ١٢ / ٢٠٠٦م)

وعندما تعمق تفكيرهم ووجدوا أن الصورة القديمة عادت إلى الأذهان ، وأن القلق بدأ يدخل القلوب ، قاموا بترقيع أقوالهم ، وتركوا طلب الشكر والثناء ، وقالوا لقد اعتذر الطلاب واعترفوا بأخطائهم والحادث شاذ . ولا ينبغي تضخيم الموضوع .. قال الأستاذ عاكف : « أما استعراض طلبة الأزهر .. فهو حادث فريد فى تاريخ ناصع استمر أكثر من ثلاثة عقود ، خصوصا إذا نظر إليه بإنصاف فى إطار ظروفه وملابساته ، ومع ذلك فقد استنكرناه واعتذر عنه فاعلوه »(نافذة مصر١٦ / ١ / ٢٠٠٧م) وقال الدكتور العريان فى حواره مع " إسلام أون لاين " المنشور فى ١٨ / ١ / ٢٠٠٧م : « حادث الأزهر خطأ اعترف به الطلاب واعتذروا عنه واستنكره الإخوان وهو حادث شاذ في سياق ناصع البياض خلال الثلاث عقود الأخيرة » أهـ

فبعد أن كانت الاستعراضات تمثيلية ديمقراطية يجب الشكر عليها صارت جريمة يجب الاعتذار عنها ، خاصة أنها خرجت من طلبة سذج ، لايفهمون ولا يعقلون ،وذلك بالنظر إلى زمن خال من الإرهاب . وجاء الدكتور حبيب نائب المرشد بما ينافى قول المرشد " أنه لا يعرف عنها شيئا " وأكد أن الاسكتش كان رسالة للنظام فى تعامله مع طلبة الجامعة ، ولكنه كان ساذجا.. فرمى طلاب الإخوان فى

الوحل فى لحظة ، قائلا : « كان اسكتشا رياضيا يعني تم عمله بصورة ساذجة ، نظرا للأعمال الوحشية التي عومل بها الطلاب في جامعة عين شمس ، فأراد شباب جامعة الأزهر أن يعطي إحساسا وانطباعا أنهم قادرون على التعامل مع البلطجية » (الجزيرة نت . ١٥ / ٨ / ٢٠٠٧م) ..

إذن هى رسالة مقصودة ، كتلك الرسالات التى كان يرسلها التنظيم الخاص للملك فاروق فى استعراضات الجوالة .. تخبط واضح وفكر مهزوم .. والحقائق عن عامة الشعب غائبة ..

• حقيقة اللقاءات السرية ..

من أعظم الفتن التى تعرضت لها مصر من الإخوان فى العصر الحديث هى فتنة الالتقاء بالمنظمات الغربية والأمريكية الرسمية .. لا من أجل نشر الإسلام والدعوة إلى الله تعالى ، كما هو المعهود من الهيئات الدينية ، ولكن من أجل ترتيب الدولة الإخوانية ، وعرض وجهة نظر الإخوان فى القضايا التى تشغل بال الإعلام الغربي ..ولا منفعة فى ذلك ..فإنها تؤدى فى النهاية إلى القضاء على وحدة المجتمع وترابطه ، وتؤدى بالضرورة إلى كثرة العروض الاستعمارية فى المنطقة العربية .. فهموا ذلك أم لم يفهموا ..

فقد ظهر أن الإخوان هم الأداة التى تلوح بهاالدول الغربية لتغيير نظم الحكم فى العالم العربي .. وهذا يثير أكثر من علامة استفهام عن سر اختيار أمريكا للإخوان المسلمين خاصة للقيام بهذا الدور ، خاصة فى مصر .!

لقد شارك الإخوان من أجل الظهور السياسي فى مظاهرات جماهيرية متعددة وتحالفات سياسة متنوعة ، وأظهروا عدة مراجعات فكرية عام ١٩٩٢م تتلائم مع الواقع السياسي المعاصر وتعتمد الالتفاف حول الأيدولوجيات والديمقراطيات والقوانين من أجل الوصول إلى سدة الحكم..

وقد اقتنع كثير من المفكرين المعاصرين أن دولة لن تقوم للإخوان إلا بمغازلة الدول الغربية .. وقد توافق ذلك مع رغبة أوربية أمريكية تدعو إلى رفع ما أسموه

بالتيارات الإسلامية المعتدلة المتمثلة عندهم فى حركة الإخوان المسلمين .. ومن أجل ذلك تعمقت الدراسات الإخوانية فى قضايا المرأة والتعددية الحزبية والحرية والديمقراطية ومبدأ المشاركة دون المغالبة وحقوق الأقليات وحد الردة وإسرائيل والأقباط .. الخ تلك القضايا التى يهتم بها الغرب .. ويريد أن يطمئن على رأى الإخوان فيها .. فقامت جماعة الإخوان عن طريق عملائها المتخصصين فى دراسة تلك القضايا بالالتقاء مع الهيئات الغربية والأمريكية فى المنتديات والمراكز الأوربية ، لبيان وجهة نظرهم فى تلك القضايا الشائكة ، تطمينا للغرب فى حالة صعود الإخوان إلى سدة الحكم .. ولأجل حساسية تلك اللقاءات فسترى قادة الإخوان يبررون تلك المواقف إذا ظهرت أسرارها ، قالوا : " إن الذى اشترك فى تلك اللقاءات أفراد لايمثلون الجماعة " ومنهم من يقول : هذه أكاذيب يراد بها تشويه وجه الجماعة ، هذا لم يحدث أبدا ، ليس بيننا وبين أحد اتفاقات أولقاءات ، ولن نجلس مع أحد إلا فى حضور وزارة الخارجية المصرية وبموافقة الدولة ..

وقد أنكر مرشد الإخوان محمد عاكف التهم الموجهة إليهم بالتعامل مع جهات أجنبية واتهم الأجهزة التى رصدت تلك التحركات بالكِذب ، قائلا :

« أعلنا أننا لن نتحاور مع أي حكومة إلا من خلال وزارة الخارجية المصرية احتراما لها واحتراما لنظامنا واحتراما لدولتنا»أهـ

وقال فى حواره مع جريدة " الزمان اللندنية" : « **إن هذا كذب وافتراء ولا أثر له ؛ فنحن لا نتحاور مع شيطان لا يحترم أي قواعد للقيم والأخلاق وحقوق الإنسان» (إخوان أون لاين ٢٠ / ١ / ٢٠٠٤م)** .

وهذا الكلام معناه أن عاكف لا يقبل الالتقاء مع بأى جهة خارجية رسمية سواء بموافقة الدولة والخارجية المصرية أم بعيدا عنها ، لأنها شيطانلا يجوز التحاور معه ! فهل صدق عاكف فى ذلك ، وليس هناك حوار مع جهات رسمية غربية وأمريكية حقا .. أم أنه يناور ويتقى .؟ وهل قبوله الجلوس مع الأمريكان تحت رعاية الخارجية المصرية يعد تنازلا عن وصف أمريكا بالشيطان الأكبر ، أم أنه خلل فى

العقول والموازين . ؟

الجواب : من حظ الأستاذ عاكف السيىء أن الإخوان الذين التقوا مع الهيئات الأوربية والأمريكية الرسمية اعترفوا بالتقائهم بها مرارا لهذا الغرض السابق .. فضلا عن ذلك فإن الأستاذ عاكف يسعى دائما فى تطمين الإدارات الغربية والأمريكية ، ويؤكد أنه لن يغير السياسة المصرية تجاه الغرب وأمريكا وإسرائيل فى حالة وصول الإخوان إلى الحكم .. وهذا بالضرورة يضعه فى صف المتحاورين مع أمريكا والغرب شاء أم أبى ..

ولا يخفى أن الحوار القائم بين الإخوان وبين المؤسسات الغربية والأمريكية ليس حوارا دينيا شرعيا متعلقا بالدين والدعوة ، إنما هو حوار سياسي متعلق بحدود الخدمات والتنازلات الفكرية والأيدلوجية والعسكرية ، التى سيعطيها الإخوان للغرب وأمريكا فى حالة وصولهم إلى الحكم ...

وتعليقا على ما قاله السيناتور الأمريكي " تشيك هيجل " أثناء زيارته لمصر : «الإدارة الأمريكية لا تمانع في إدماج جماعة الإخوان في الحياة السياسية من خلال منحها حزبا سياسيا ، طالما التزمت الجماعة بقواعد اللعبة السياسية ، وقدمت من الضمانات التي تؤكد التزامها بالخط العام للسياسة المصرية الخارجية ، بما في ذلك الاتفاقيات والمعاهدات الدولية »أهـ ..

سعى عاكف لتبديد المخاوف الغربية من الصعود اللافت لجماعته في هذه الانتخابات بالتأكيد على أن الإخوان لن يسعوا فى تغيير السياسة الخارجية لمصر ومن ضمنها معاهدة السلام مع إسرائيل. وأوضح أن الإخوان لا يعترفون بإسرائيل لكنهم لن يحاربوها، بل سيحترمون جميع المعاهدات التي وقعتها مصر معها) حوار مع وكالة " الأسوشيتد برس " نافذة مصر . نت) ..

وحول ما إذا كان الإخوان سيحاولون منع حركة المقاومة الإسلامية حماس من توقيع معاهدة سلام مع إسرائيل قال عاكف " لا علاقة لنا بالسياسة الداخلية الفلسطينية "» (إسلام أون لاين.نت/ ٢٩ -١١-٢٠٠٥)

وهذا هو نفس الخط الذى سار عليه المرشد السابق الأستاذ المأمون الهضيبي .. حيث قال : « الحوار الذي دار في هذا اللقاء لم يخرج عن بعض القضايا العامة مثل: موقف الأقباط وحد الردة والمرأة والحريات العامة وتعدد الأحزاب والانتخابات»أهـ

وهذا هو نفس ما ردده عصام العريان ، بشأن اجتماع الإخوان مع هيئات أوربية فى النادى السويسري بالقاهرة : « الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات المعهودة ، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان» أهـ

أما زعم بعضهم أن الذى يتكلم من الإخوان لايعبر عن الجماعة وليس من قيادى الجماعة . فهذا خلاف الحقيقة . إذا لا يمكن لأى فرد إخوانى أن يتكلم أو ينطق أو يعرض رأيا على أى جهة إلا بعد الاستئذان من المرشد العام وإلا صار خارجا على الجماعة كالمليجي وغيره . ولا يمكن أن يقول إلا ما هو متفق عليه ، فقد قال محمد عاكف : « وأنا منذ أن انتخبت مرشدا عاما سمحت لجميع قادة الإخوان - بلا استثناء - بالحديث للصحف وأجهزة الإعلام وألغيت تماما ما كان يسمى بالمتحدث الرسمي للجماعة » (الشرق الأوسط . ٣٠ يونيو ٢٠٠٥)

فالأمر واضح .. أن الإخوان يوكلون من بينهم من يقوم بتلك الاتصالات مع الدول الأجنبية ، ويجعلون له كافة الصلاحيات ، بشرط عدم الزج باسم الإخوان فى الظاهر ، فرارا من المسئولية التى قد يتعرضون لها من قبل الدولة . أو حرصا على عدم ضياع مصداقيتهم عند الشعب ، خاصة أنهم يعتبرون أنفسهم المدافعين عن الإسلام والمناهضين للسياسة الأمريكية فى المنطقة العربية ، بل وفى العالم كله .. فكيف مع ذلك يجلسون مع الأمريكان .؟ فهناك وسائط غير مباشرة للهروب من تلك التبعات .. وقدوتهم فى ذلك حسن البنا ، الذى التقى من وراء دولة الملك فاروق الأول ملك مصر مع فيلب أيرلاند سكرتير السفارة الأمريكية ، وذلك للتفاهم معه فى بعض الأمور الخاصة بالدعوة ، واتفق معه على أن تتم المعاملة مع الإخوان عن طريق وسطاء دون الدفع باسم الإخوان فى الظاهر ، كما ذكر محمود عساف ، قائلا : « فيلب أيرلاند السكرتير الأول للسفارة الأمريكية أرسل مبعوثا من قبله

للأستاذ الإمام كى يحدد موعدا لمقابلته بدار الإخوان ، وافق الأستاذ على المقابلة ، ولكنه فضل أن تكون فى بيت ايرلاند حيث أن المركز العام مراقب من القلم السياسي .. وتم اللقاء وتبادلا الحديث عن الشيوعية ، ثم قال أيرلاند :

« لقد طلبت مقابلتكم حيث خطرت لى فكرة ، وهى لماذا لا يتم التعاون بيننا وبينكم فى محاربة هذا العدو المشترك وهو الشيوعية ؟ أنتم برجالكم ومعلوماتكم ونحن بمعلوماتنا وأموالنا ..

قال حسن البنا : « فكرة التعاون فكرة جيدة ... وحبذا لو فكرتم فى إنشاء مكتب لمحاربة الشيوعية ، فحينئذ نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين فى هذا الأمر على أن يكون ذلك بعيدا عنا بصفة رسمية ، ولكم أن تعاملوا هؤلاء الرجال بما ترونه ملائما دون تدخل من جانبنا غير التصريح لهم بالعمل معكم ولك أن تتصل بمحمود عساف فهو المختص بهذا الأمر إذا وافقتم على هذه الفكرة» (مع الإمام الشهيد. حسن البنا . ص,١٣/ مكتبة عين شمس . ١٩٩٣م . رقم الإيداع . ٤٤١٥ . ترقيم دولى (١-١٥٦- ٢٠٤-٩٧٧)

وقد حكى فريد عبد الخالق أن لقاء مثل هذا اللقاء السري ولنفس الهدف تم فى المركز العام للإخوان بين ممثل الحكومة البريطانية وبين حسن البنا مباشرة ، فقال : « حصل لقاء رسمي بين رجل السفارة باسم الحكومة البريطانية مع حسن البنا في مكتب حسن البنا نفسه، في المركز العام ، وأنا حضرت اللقاء وقال له : « نحن نشجع كحكومة جلالة الملكة النشاط الذي يقوم به جريدة الإخوان في نشر المفاهيم الدينية، والتعزير أو الإبعاد بالناس عن الإلحاد، لأن إحنا فعلاً ضد الإلحاد، ولذلك إحنا لينا موقف مع.. مع الاتحاد السوفيتي باعتباره، إنه هو قائم على علمانية إلحادية، وعلى إنه هو بيدرس الإلحاد في مدارسه .. أنتم ضد الإلحاد ، وإحنا كمان ضد الإلحاد، وأنتم مع الأديان وإحنا مع الأديان وإحنا حريصين إن النشاط دا يستمر.. وعندكم شيك على بياض نودعه لدعم منا لما فيه مصلحة مشتركة ، المصلحة " هذه " لا غبار عليها ، اللي هي نشر المفاهيم الإسلامية .

قال حسن البنا : أنا أقدر لكم هذا التوجه ، وإحنا كلنا كفاية بيجمعنا الحرص على الدين وعدم الوقوع في الإلحاد، والمروق عن الدين، لأنه دا مش فى مصلحة البلد كوضع عام ، ولكن قبولي.. قبول الإخوان لأي دعم مالي هيكون ضد تحقيق المصلحة اللي أنتم حريصين عليها» (الجزيرة نت . ٢٤ / ١٢ / ٢٠٠٣م)

وعلى نفس الطريق صار الإخوان المعاصرون بدفع بعض الشخصيات الإخوانية الشهيرة أمثال عصام العريان للالتقاء مع وفد أوروبي رسمي فى النادى السويسرى فى الجيزة ، وذلك فى يوم الإثنين الموافق ٣١ / ٣ / ٢٠٠٣م ..

وكان الواسطة فى هذا اللقاء هو سعد الدين إبراهيم - رئيس مركز ابن خلدون - الذى اتهمه مشايخ الأزهر بالعمالة والخيانة . وتلك هى الأدلة والشواهد التى تثبت تعامل الإخوان مع الأمريكان والأوربيين تعاملا رسميا ، والتقائهم بهم فى الجيزة على خفية ، على نفس القواعد التى أصلها حسن البنا فى لقائه مع فليب أيرلاند : « نستطيع أن نعيركم بعض رجالنا المتخصصين فى هذا الأمر ، على أن يكون ذلك بعيدا عنا بصفة رسمية » أهـ..

وكما جاء فى الموقع الرسمى لجماعة الإخوان على شبكة الإنترنت .. فقد اعترف المستشار المأمون الهضيبي المرشد العام لجماعة الإخوان بتعدد لقاءات أفراد من جماعة الإخوان مع الأمريكان والأوربيين فى القاهرة : « واعتبر المرشد العام للجماعة اللقاء الذي تم بين أعضاء في الإخوان وممثلين لبعض السفارات الغربية، نهاية مارس الماضي بالنادي السويسري "بإمبابة"، حوارا مع أشخاص لا يمثلون سوى أنفسهم ، ولا دخل للجماعة بهم.. مشيرا إلى أن هذا اللقاء "لم يحضره قيادي واحد من الجماعة" وأوضح المرشد العام للإخوان أن الحوار الذي دار في هذا اللقاء لم يخرج عن بعض القضايا العامة مثل : موقف الأقباط وحد الردة والمرأة والحريات العامة وتعدد الأحزاب والانتخابات، وكلها أمور أعلنت جماعة الإخوان موقفها فيها بكل صراحة ووضوح ،علنا أمام الجميع. . وتساءل الهضيبي : لماذا يحاول البعض الزج باسمنا في حوار مع الأمريكان في هذا التوقيت بالذات ؟

وكشف المرشد العام للإخوان عن مفاجأة جديدة عندما أشار إلى أن هذا الحوار لم يبدأ حسبما أشارت المصادر في شهر مارس الماضي ، لكنه "امتد لحوالي ثلاثة أشهر مضت" لكنه نفى في الوقت نفسه نية الجماعة في الاستمرار في عقد لقاءات مع الأمريكان أو الإنجليز سابقًا أو حاليًا، باعتبارهم "غزاة للعراق "»(الإخوان أون لاين . ٢٧ / ٣ / ٢٠٠٤ م)

فى تلك المحاورات كان المستشار مأمون الهضيبي يبحث عن رضا أمريكا ، كما أكد الأستاذ ثروت الخرباوى ، الذى كان عضوا بارزا من أعضاء الإخوان المسلمين ، ولكنه انشق عنهم .. فى حديثه لمجلة (الأهرام العربى ١٤ يونيو ٢٠٠٣ ص/ ٢٥) قائلا : « وكانت تصريحات المرشد – مأمون الهضيبي – للفرانس برس هى رسالة أخرى ، ولكن لأمريكا وكانت هذه التصريحات من أعجب ما صرح به مرشد للإخوان فى تاريخهم ، ووضح من خلال ما قاله أنه يبحث عن رضاء أمريكا حتى لو أسخط عليه المسلمين » أهـ

فلم ينكر المستشار المأمون الهضيبي الالتقاء بالأمريكان ، ولكنه صوب فقط تاريخ اللقاء وزمنه ، كما أنه لم ينكر التقاء الإخوان بقادة أوربيين فى المركز السويسري فى الجيزة ، غير أنه زعم أن قيادات الإخوان لم تشترك فى هذا اللقاء ، إنما هم أفراد عاديون .. فهل صدق المأمون الهضيبي فى ذلك ؟

والجواب يحكيه العريان فى لقائه مع الأستاذ عبد الرحيم علي- إسلام أون لاين.نت/ ٢٢-٤-٢٠٠٣ .. قال د / عصام العريان القيادي الإخواني البارز :" هذا الحوار لا يخرج عن كونه اتصالا عاديا، كما يحدث معنا دائما ، وليس له أي أهمية خاصة " وأضاف العريان في تصريحات لـ " إسلام أون لاين.نت " : «إن د . سعد اجتهد مثل أناس كثيرين، وقام بالاتصال بي وأخبرني أن بعض الأوروبيين يريدون دعوتي على فنجان شاي ، وقد قبلت الدعوة ".. وأشار إلى أن الاجتماع الذي استضافه النادي السويسري لم يخرج عن المناقشات المعهودة ، والتي دارت حول موقف الإخوان من الديمقراطية وحقوق الإنسان، وحضره مندوبون للسفارتين الإنجليزية والسويسرية.. » أهـ

فقد تم اللقاء مع قيادى بارز وليس مع شخصية عادية ..

وقد اعترف القيادى البارز أن هذه اللقاءات تتم دائما وبصفة مستمرة – مع هيئات رسمية متمثلة فى السفارتين الإنجليزية والسويسرية – خلافا لما زعم المستشار مأمون الهضيبي أنها تمت فى زمن محدد وانتهت . وقد أكد العريان وساطة الدكتور سعد الدين إبراهيم رئيس مركز ابن خلدون الذى شهد على نفسه بالعمالة للغرب وأمريكا ، واعترف بذلك صراحة فى جريدة (الدستور . عدد٢٦ . ١٤سبتمبر ٢٠٠٥م) .. فهذا المركز هو الوسيط الظاهر بين الإخوان وبين الأمريكان والإنجليز ، ويؤكد ذلك أن تحليل مادلين أولبرايت للشخصية الإخوانية ينبع من مفاهيم الدراسات التى أعدها رئيس هذا المركز د/ سعد الدين إبراهيم ، وهو أستاذ متخصص فى الدراسات الاجتماعية والعرقية والمذهبية .

وقد خرجت مادلين أولبرايت بانطباعها عن الإخوان بأنهم قوم نفعيون ، وذلك بقولها : « الإخوان براجماتيون وهم على استعداد للتعاون مع الأمريكان إذا رأوا أن مصلحتهم الحقيقية تكمن فى ذلك » (آفاق عربية . ١٠ فبراير ٢٠٠٥م)

وهذا يدل على وجود حوار بين هذا المركز وبين الإخوان لمعرفة اتجاهات الإخوان تجاه المطالب الأمريكية والأوربية فى حالة وصولهم إلى الحكم ...

ولقد تباحث الإخوان أيضا فى تلك القضايا مع المفوضية الأوربية ، وذلك أثناء الالتقاء بوفد تابع للاتحاد الأوربي ..وقد مثل الإخوان فى ذلك الدكتور عصام العريان والدكتور محمد مرسي . وجرى خلال اللقاء دراسة موقف الجماعة من القضايا ذات الاهتمام المشترك . .

ومما يؤكد حقيقة ولاء الإخوان للهيئات الدولية ، واستقوائهم بها ، بل وانهزامهم أمامها ، وإعجابهم بها . أنهم دائمو التهديد باللجوء إليها والاحتكام إليها عند وقوع نوع من الخصومة بينهم وبين الدولة .. وعلى سبيل المثال فقد طالب محمد جمال حشمت عقب سقوطه فى انتخابات مجلس الشعب لعام ٢٠٠٥م بتدخل دولى للانتصاف للإخوان من الدولة والمجتمع والقضاة ، قائلا : « أنه في حال لم

يسفر هذا التحرك عن نتيجة إيجابية .. فسأصعد الأمر دوليا) (إسلام أون لاين . ٢١-١١-٢٠٠٥) وكذلك : « هدد الدكتور ياسر حمود باللجوء إلى المنظمات الدولية .. للدفاع عن حقِّه وحق البرلمــان » نافذة مصر . نت . ٢٧ / ٥ / ١٤٢٨هـ) .

وأعلن أعضاء الكتلة البرلمانية للإخوان « أنهم سيسلكون جميع السبل القانونية لمساندة المرشحين الذين تم منعهم من تقديم أوراق ترشحهم ، وهددوا باللجوء للمنظمات الدولية » (المصريون نت) تلك هى الشخصيات الإخوانية التى قالت إن جماعة الإخوان مرشحة للوقوف أمام الهجمة الأمريكية المعاصرة .. هى نفسها التى شرعت فى إذلال الأمة المصرية وتقديمها صاغرة أمام محكمة العدل الدولية ، لتنفذ أحكامها فى مصر ومحاصرتها اقتصاديا واجتماعيا وسياسيا ..

وهذا يدلك على أن الإخوان فى مصر فى مرحلة من مراحل صراعهم مع الدولة على استعداد لأن يقوموا بدور الشيعة الروافض فى العراق مع الأمريكان . كى يصلوا إلى السلطة ، وليفتحوا الأبواب أمام الاستعمار مرة أخرى .. فقد كانت هذه مقدمات قام بها الشيعة فى الدول الأوربية وأمريكا .. يظهرون العورات ويؤججون العداوة والصراع ويدفعون الغرب لاحتلال العراق .. وهذا هو نفس ما قام به الإخوان ونوابهم عندما شاركوا فى مؤتمرات فى دول أوربية . وقد كان آخر مؤتمر دولى عقد فى العاصمة البريطانية لندن ، حول " حقوق الإنسان في مصر " شارك فيه الدكتور محمد البلتاجي " الأمين العام للكتلة البرلمانية للإخوان ":

« وتحدث عن الواقع السياسي في مصر في اللحظة الراهنة ، مستعرضا ـ عبر أمثلة حية ـ الأساليب المتبعة لضرب المعارضة السياسية والنشاطات المدنية في مصر»(المصري اليوم. ١ / ٦ / ٢٠٠٧م)

أين ملهم الدعوة ..؟

كان من الواجب على الإخوان المهرولين إلى الهيئات الدولية لتنتصف لهم من الدولة أن يرجعوا إلى ملهم دعوتهم ، ليسمعوا قوله فى تلك المسألة . فقد قال حسن البنا ردا على مذكرة النحاس باشا لمجلس الأمن كما جاء فى " جريدة الإخوان " تحت عنوان " لا دخل لأحد في شئوننا الداخلية " : « وسواء أكانت حكومة مصر ديمقراطية أو ديكتاتورية ، فإن الشعب المصري يعلن على الملأ أمام هيئة الأمم المتحدة أن ذلك أمر يعنيه وحده ولن يسمح لأية دولة أجنبية أو هيئة دولية أن تتدخل في أخص شئونه الداخلية » (جريدة الإخوان المسلمين ، عدد (٣٧٥) الصادرة فى ٢٢ يوليو ١٩٤٧م . الإصلاح السياسي عند البنا)

الوجه القبيح ...

عندما استشعر الإخوان نوعا من القوة ، وظنوا لأنفسهم أنيابا تستطيع أن تفترس رفعوا برقع الحياء ، الذي كانوا يختفون خلفه ويتسترون به عند اللقاء مع أحد من السفراء الأجانب بعيدا عن أعين الدولة .. وصاروا يلتقون بالسفراء علانية من أجل مصالح أيدلوجية للجماعة . فمهدى عاكف يطمئن الغرب بأنه لن يحارب إسرائيل وسيلتزم بمعاهدة السلام . وعصام العريان يقدم تطمينات حول قضية المرأة والأقليات والحريات والديمقراطيات والتجارة والمقاطعة .. الخ ولا أظن فعل الإخوان فى الاستقواء بالغرب والسعي فى طمأنتهم إلا نوعا من التآمر القبيح على المجتمع المصري قبل أن يكون تآمرا على الدولة .. وحتى لايظن الإخوان أنا ظلمناهم بذلك وطعنا فى مروءتهم وشهامتهم بغير حق . فهذا هو الذى قاله التلمساني عند لقائه مع الرئيس السادات كما تقدم : « سألنى أكثر من صحافى أجنبي عن علاقتى بالدولة قلت هذه أمور تخص المصريين فقط ولا تخص غير المصريين ولا يجوز لمصري أن يتحدث فى هذا . أنا لا أتآمر على الدولة» (انظر موسوعة الإخوان . نت)

كيف رتب الإخوان اللقاءات العلنية .؟

فى أواخر ٢٠٠٧م استطاع مكتب الإرشاد أن يتوصل إلى طريقة يحقق بها أمنية الإخوان فى اللقاء مع الأمريكان . وأمريكا تريد أن تطمئن على التوجهات السياسة المعاصرة لجماعة الإخوان .. فكيف يمكن الالتقاء مع الأمريكان دون استغلال الحكومة هذا اللقاء فى اتهام الإخوان بالخيانة والعمالة ، ودون أن يفقدوا مصداقيتهم فى المجتمع المصري .. ؟ لقد تفتق الذهن الإخوانى عن خطة خفية نقلتها وكالات الأنباء العالمية وجرائد المعارضة التى يكتب فيها الإخوان . فقد كتب المهندس/ خيرت الشاطر مقالا فى الجارديان البريطانية بتاريخ ٢٣ / ١١ / ٢٠٠٥م أكد فيه للغرب أنهم لا يجب عليهم أن يخافوا من الإخوان خاصة من تلك الجوانب التى يهتم بها الغرب قائلا : « نجاح الإخوان لا يجب أن يخيف أحدا فنحن نحترم حقوق جميع الجماعات السياسية والدينية » (الدستور. ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦م)

فما الطريقة ..؟ الجواب : الطريقة هى أن تلتقى المؤسسات الرسمية الأجنبية بالإخوان علنا عن طريق نواب مجلس الشعب ، حيث يقوم نواب الإخوان ببيان موقف جماعتهم من أجندة العمل السياسي والفكر الديمقراطي ، الذى يدور مع الأهداف الأمريكية .. ليس إلا أن يطلب السفير الأمريكى والبريطانى والكندي والاسترالي .. لقاء نواب الإخوان ... وكى تزول التهمة يطلب السفراء اللقاء مع نواب مجلس الشعب من جميع الاتجاهات .. ومن خلال ذلك يتم توصيل رسائل المرشد العام للأمريكان .. وإذا سئل الإخوان عن ذلك قالوا لقد طلب لقاؤنا عن طريق مؤسسة رسمية ، ولم نطلب من أحد شيئا. وهم الذين دبروا ذلك مع الغرب والأمريكان .. وقد أكدت وكالة رويترز في أوائل ديسمبر ٢٠٠٧ ذلك الأمر .. فى البيان الذي نقلته الأستاذة أميرة فودة الصحفية في جريدة الدستور : « كشفت مصادر الإخوان المسلمين عن اتجاه بعض قيادات الجماعة بالدخول في حوارات مع جهات أمريكية رسمية وشعبية ، والتفاوض مع أعضاء بارزين بالسفارة الأمريكية بالقاهرة عبر قنوات معلنة ، من أجل تلافي الانتقادات التي تواجها الجماعة نتيجة عقد مثل هذه اللقاءات بشكل سري " » (الدستور. ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٦م) .

وبعد نشر هذا البيان فى ديسمبر ٢٠٠٦م التقى ممثلو الإخوان محمد سعد الكتاتني رئيس الكتلة البرلمانية لـ "الإخوان المسلمين"، والأمين المساعد المهندس سعد الحسيني ـ بسفير أستراليا بالقاهرة روبرت بوك على حفل غداء أقامه الأخير بمنزله أمس الأول ، وبحضور سفيري كندا فيليب ماك ينون ونيوزيلندا رينيه ويلسون ـ وذلك فى يناير ٢٠٠٧م .. أى فى خلال شهر واحد من الاتفاق . وكانت تلك هى الطريقة التى ظن الإخوان أنهم خرجوا بها من الملام والعتاب والاتهام بالخيانة

الإخوان والغرب ..

هل هناك توافق أيدلوجى يعطى انطباعا بوجود إسلام إخوانى تهواه الدول الغربية؟ كيف تمت تلك الصفقة الفكرية . ؟

كان المتسببون إلى الإخوان فى بلادنا ترتعد فرائصهم إذا قيل لأحدهم : أنت إخوانى .. غير أنه بعد إطلاق عدة تصريحات من بعض الخبراء الأمريكيين لصالح الإخوان تغير الحال وخرجت مظاهرات علنية باسم الإخوان ، وظهرت لافتات انتخابية باسم الإخوان ، وفتحت مقرات علنية وأقيمت حفلات واجتماعات جماهيرية باسم الإخوان ..لعل صفقات خفية كانت وراء ظهور الإخوان على غير عادتهم فى الشارع المصري ..

غير أنه بعد التصريحات الأمريكية التى طالبت بفتح باب الحوار مع الإخوان ، وإظهار عدم الخوف من صعودهم لسدة الحكم استشعر الإخوان أن الدنيا تغيرت لصالحهم وأن القوى العظمى معهم ؛ فركبوا الموجة ، وانطلقت المظاهرات ، وقام قادة الإخوان يسبون النظام ويشنعون على التاريخ ، ويقولون نحن النور المضيء فى هذا المجتمع المظلم .. ووقع الإخوان فى فخ الدمار والهلاك ..

فدعوة أمريكا لإظهار الإخوان بهذه الدرجة فى عهد جورج بوش على الساحة السياسية ليست إلا مخططا أمريكيا يراد به إظهار الإخوان فى تجربة فاشلة ، تسمن فيها بسرعة .. لا تستمر طويلا حتى تصاب بهزال شديد ومرض عضال .. بالإضافة إلى مقصد أوسع من ذلك وهو إسقاط الدول العربية والإسلامية وهز

استقرارها تمهيدا لاستعمارها وتقسيمها ..بالتعاون مع إيران .. والإخوان من أنسب الفرق لمد يد العون لإيران . فهم ذراع الشيعة فى مصر .

وقد استعد الإخوان وتجرؤا بكل قوة لتحقيق أهدافهم بعد تصريحات السفير "ريتشارد هاس" مدير قسم التخطيط السياسي (السابق) ، رئيس "معهد تنمية الديمقراطية في العالم العربي" حين قال :

« إن واشنطن لا تعارض الأحزاب الإسلامية، وإن الإدارة الأمريكية تدرك أن تكثيف الديمقراطية في العالم الإسلامي ينطوي على مغامرة بانتخاب قادة لا تفضلهم واشنطن ، وإن واشنطن - كما قال - عاقدة العزم على دعم الديمقراطية، حتى وإن أدت إلى تولي أشخاص (لا تحبهم) السلطة في بلادهم . » (إسلام أون لاين . / ١٢ / ١٢ / ٢٠٠٢م) كما أنهم تأثروا بتصريحات كونداليزا رايس وزيرة الخارجية الأمريكية ، فى مجلة "واشنطن بوست" ٢٦ مارس ٢٠٠٥ حين قالت : إنها : «لا تعير اهتماما لمخاوف من انتصار الإسلاميين المتشددين وحلولهم مكان الأنظمة القمعية" ؛ لأن جذور التطرف تنشط في "غياب القنوات البديلة للنشاط السياسي » (٢٥ / ٣ / ٢٠٠٥م . إسلام أون لاين) كما أنهم تأثروا من قبل بتصريحات مادلين أولبرايت وزيرة الخارجية الأمريكية السابقة ، حين قالت : « سيكون من الخطأ استبعاد الأحزاب الإسلامية على أساس الافتراض بأنها غير ديمقراطية بصورة متأصلة أو أنها تميل إلى العنف". وذكرت أن " أفضل طريقة لتهميش المتطرفين الذين يلجئون إلى العنف هو إفساح الطريق لأوسع مدى ممكن من وجهات النظر (الإسلامية) غير العنيفة»(إسلام أون لاين.نت/ ٢٨-١١-٢٠٠٥)

ولو تتبع الباحث فى الشئون السياسية تصريحات كونداليزا رايس الخاصة بالإخوان المسلمين لأثيرت لديه الظنون .. لماذا الإخوان .؟

فقد سئلت كوندا ليزا رايس عن المخاطر التي تنتظر سوريا في ظل حكم " الاخوان المسلمين" ! قالت : « إن بلادها قادرة على التفاهم معهم ، وأن وصولهم الى السلطة لا يخيفها " »أهـ

فلماذا لم تتعامل أمريكا مع حماس فى فلسطين إذا كانت قادرة على التعامل معهم ، كما أكدت بكل ثقة ..؟

وعادت كونداليزا رايس بعد ذلك تؤكد أن أمريكا لن تضع عصاها عن عاتقها ، حتى تحقق ما تريد من فوضى تصب فى صالح إسرائيل والصهيونية العالمية ، عن طريق أتباعها وأعوانها المنتشرين فى البلاد الإسلامية ، وذلك باستخدام لعبة السياسة ، وهذا بالضرورة أهون من الدماء الكثيرة التى خسرتها فى العراق .. وهذا هو الذى يسمونه فى علم النفس " التعويض ".. ويراد به استبدال الضغط السياسي والتهييج الشعبى والأحزاب العميلة بالآلة العسكرية والتكتيكات الحربية ..

لقد أكدت كونداليزا رايس فى المحاضرة التى ألقتها بالجامعة الأمريكية فى القاهرة أن أمريكا ستستخدم الآلة السياسية عن طريق عملائها ، سبيلا لتغيير الدول والنظم بقولها : « أقول لشعوب المنطقة .. إن دول العالم الحرة لن تهدأ حتى تنعموا بحريتكم » (إسلام أون لاين.نت/ ٢٠-٦-٢٠٠٥)

تلك هى الهدية التى تقدمها أمريكا لعملائها الليبراليين والإخوان ، كى ترفعهم إلى الكراسى ، باسم الإصلاح والديمقراطية ، كما أكدت على ذلك فى نفس لقائها، بقولها : « في الشرق الأوسط العديد من المواطنين يطالبون بالتحرير، هؤلاء تجدونهم في الرياض ورام الله وبيروت وهنا في القاهرة .. وهذا دليل على أن عملية التغيير الديمقراطي بدأت تتجلى في الشرق الأوسط » (المصدر السابق)

قلق المفكرين الإسلاميين ..

ولأجل ما رآه بعض المفكرين الإسلاميين فى مصر من فرح الإخوان بالضغوط الأمريكية على مصر والدول العربية واستعدادهم لتقديم تنازلات فكرية تهدف إلى تسهيل ظهورهم على الساحة السياسية حذروهم من الانزلاق فى هذا المعترك إذا كان المقصد منه مغازلة الأمريكان ، وبينوا لهم أن التقدم الذى أحرزوه فى الانتخابات لم يكن إلا بسبب عداوة أمريكا للإسلام وللمسلمين ..

وتلك المغازلة ستؤدى بالضرورة إلى فقدان مصداقيتهم وضعف مكانتهم فى

العالم الإسلامي .

وقد دعا ذلك الأستاذ محمد مور رئيس تحرير مجلة " المختار المصرية " الإخوان إلى أن يكفوا عن مغازلة الأمريكان .. بقوله : « ولعل أكبر وأهم العوامل التي ساهمت في صعود الإسلاميين في كل انتخابات تقريبا أجريت بعد إعلان الولايات المتحدة الحرب على الإرهاب ، هو الشعور الشعبي - في إيران وتركيا والبحرين والآن مصر وغدا جميع الدول- بأن الولايات المتحدة تشن حربا على الإسلام ذاته.. الخ هذا العامل الأهم ينبغي على "الإخوان" احترامه بجدية ، وليس بمجرد تصريحات، وأن يكفوا تماما عن مغازلة أمريكا أو ادعاء إمكانية التفاهم معها بدعوى المصلحة ..) (إسلام أون لاين . ٠٧ / ١٢ / ٢٠٠٥)

محاولات قديمة واتصالات مريبة بين قنصل فرنسا و"بلنت" الإنجليزى ..

لو فقه الإخوان أن الدول الاستعمارية تنظر إليهم باعتبارهم آلة الفتن والإثارة فى العالم الإسلامي ، لتبرر تدخلها فى شئونه بحجة الإصلاح ، لعلموا عظم الجناية التى يقترفونها فى حق الأمة والمجتمع جراء خروجهم على الولاة والسلاطين ..

فتلك الدول ترقب أحوال الأمة بكل دقة ، بما عندها من معاهد ومؤسسات ، وبما لديها من خبراء ومتخصصين ، بل وبما لها من عملاء متميزين ، يقومون بالتجسس على الأمة ونقل أسرارها وعوراتها. . انظر كيف فعل ملك الرومان مع الصحابى الجليل كعب بن مالك حين هجره النبى ﷺ وهجره الصحابة (رضى الله عنهم) إبان تأخره عن الخروج مع النبى ﷺ فى غزوة تبوك - فلم يكن متظاهرا ولا خارجا ولا منافقا - إذ أرسل إليه كتابا يدعوه فيه إلى اللحاق به ، فلما قرأه كعب وجد فيه : « أما بعد : فإنه قد بلغني أن صاحبك قد جفاك، ولم يجعلك الله بدار هوان ولا مضيعة ، فالحق بنا نواسك» .. قال كعب : « قلت لما قرأتها: وهذا أيضا من البلاء، فتيممت بها التنور فسجرته بها»(متفق عليه)

فقد كان ملك الرومان يرقب أحوال الصحابة (رضى الله عنهم) فى مثل أمر الهجران .. فكيف لو كان الأمر تظاهرا وخروجا ماذا كان سيفعل .؟! ولقد تفطن الساسة المعاصرون ، وعلموا أن أعداء الإسلام يستغلون الاختلاف والشقاق فى الدول الإسلامية للتدخل فى شئونها بحجة فض النزاع.. وقد أشار إلى ذلك الرئيس مبارك فى خطابه الموجه للمجلس الأعلى للشئون الإسلامية المنعقد فى القاهر فى ١٠ مايو ٢٠٠٣ م ، وفيه طالب بضرورة : « العمل فى التغلب على الخلافات التى تضعف من شأن الأمة الإسلامية وتضر بمصالحها وتفتح الباب على مصراعيه لغير المسلمين للتدخل بدعوى فض النزاع وتسوية الخلاف» أهـ

ولكن الإخوان إلى الآن لم يستوعبوا أنهم بأفعالهم وإثارتهم الدائمة

للمجتمع سيكونون جزءا من هذا المخطط الاستعمارى .. وقد رأينا بأعيننا كيف وضع ضعاف الدين والأصالة أيديهم مع أعداء الإسلام ، للنظر فى شؤون الأمة والتدخل فى خصوصياتها، واستغلوا الأحداث العالمية وهددوا أمن الأمة . ولا يزال التاريخ يتكرر.. أن يقوم الاستعمار بتزكية طائفة من المجتمع للخروج على أولياء الأمور بقصد الإصلاح ، وهم فى حقيقة الأمر يريدون تأليب المجتمعات الإسلامية وهز استقرارها ، ليتخذ ذلك ذريعة لاستعمارها والقضاء على دينها وتاريخها وثقافاتها .. فقد خرج من قبل أحمد عرابى على الخديوى توفيق - متأثرا بدعوة جمال الدين الأفغانى ، القائمة على الثورة والاعتراض على الحكام والتشنيع عليهم ، ببعض الأخطاء التى وقعت منهم أو من عمالهم - معترضا على تصرفات وزير الحربية فى عهد الخديوى توفيق " عثمان رفقى" وقد كان شركسيا ظالما للضباط المصريين ، مضيعا لحقوقهم .. فاستجاب الخديوى توفيق لأحمد عرابى ونفذ مطالبه .. غير أن أحمد عرابى رفع درجة المواجهة والتظاهر ضد الخديوى توفيق ..

ومن هنا التقط الفرنسيون والإنجليز هذا التغير المثير فى المجتمع ، وقاموا بإصدار البيانات وإرسال الرسائل على طريقة كونداليزا رايس وإبريل كرسبي ومادلين أولبرايت إلى الإخوان وغيرهم ، مؤيدين تلك الطريقة التى ابتدعها أحمد عرابى ، بزعم الإصلاح ، وهم فى الحقيقة يريدون تهيئة الجو واستغلال ظروف الاضطراب والقلق لاحتلال مصر..

وقد بين محمد عبده فى مذكراته عن الثورة العرابية أن قنصل فرنسا أرسل إلى أحمد عرابي وإخوانه يقول لهم : « إنه يسره ما يراه من صلابتهم وعزيمتهم ، واشتدادهم في المطالبة بالعدل، فعليهم أن يثبتوا في مطالبهم ولا يضعفهم ما يهددون به» (الأعمال الكاملة لمحمد عبده ، ١ / ٥٢٨ ، ٥٣١)

وكذلك فعل الإنجليز عن طريق المدعو " بلنت " ، الذى كان يتنقل فى المدن والقرى والبوادى يهيىء ويهنيء بثورة عرابى "

وقد وضح الأستاذ مصطفى غزال دور" بلنت " فى كتابه (دعوة جمال

الدين الأفغاني في ميزان الإسلام .ص ١٢٣) فقال : « كان من أشد الناس تفانيا في مصالح الإنجليز، رغم أنه يتظاهر بصداقته للشرق المتمثل بالشعوب التابعة لتركيا، وبعدائه للحكومات البريطانية، بل كان أحيانا يتظاهر بالدفاع عن قضايا الشعوب الشرقية ، ويقف بجانبهم ، كما وقف بجانب عرابي ، ودافع عنه بعد أسره ، كان هذا نوعا من الدهاء والحنكة الإنجليزية» أهـ ... وعندما اشتد خطر أحمد عرابى على الخديوى توفيق لجأ إلى الإنجليز لحماية عرشة .. عند ذلك بدا للإنجليز احتلال مصر ، وذلك عام ١٨٨٢م ، بزعم الدفاع عن حقوق رعاياها وحقوق الأقليات ، حتى إنهم أحدثوا بأنفسهم قلاقل ومذابح فى الإسكندرية برروا بها الاحتلال ..

ودخل الإنجليز مصر بسبب التهييج السياسي الذى أحدثه أحمد عرابى فى المجتمع المصري ، ولم يستطع عرابى أن يفعل شيئا ، ومنى بهزيمة فاضحة قبالة قوات الإنجليز ، حتى قيل إن قواته كانت تقيم حلقات ذكر وطبول للصوفية طول الليل ، وعند اللقاء والمناجزة تنام .. واحتلت مصر ، ودام هذا الاحتلال زمنا طويلا بحجة الحاجة إلى تهدئة الجو وعودة الاستقرار، كما يحدث الآن فى العراق ، حتى خرج الإنجليز باتفاقية الجلاء التى أبرمها عبد الناصر معهم عام ١٩٥٤م .. فاستمر احتلال مصر أكثر من سبعين عاما ، بسبب المظاهرات والانقلابات السياسية . فماذا يريد الإخوان ..؟

الفصل التاسع
الإخوان والإفلاس السياسي

الإخوان والإفلاس السياسي

فقه الواقع ..

قد يغيب عن العلماء بعض الأحداث السياسية .. وهذا ليس قدحا فى علمهم ولا فهمهم ، فكثير من الناس كذلك ..فالعالم يعرض فيه يوميا ملايين القضايا والأحداث ..ولا يستطيع أحد أن يدعي الإحاطة بكل ما يعرض فيه .. فليس ذلك إلا لله تعالى .. لكن الفارق بين العلماء وبين غيرهم .. أن العلماء إذا عرفوا الواقع بصورته الصادقة حكموا فيه بحكم الشرع الثابت ، إذ الحكم على الشيء فرع من تصوره ، وهم أولى الناس بجمع أطراف القضايا والأحداث ، كما أنهم أولى الناس بجمع أطراف الأدلة والأحكام ، والتوفيق بينها ومعرفة الحق فيها .. فلا يمكن أن يقول أحدهم لرجل يشرب البرتقال : كيف تشرب الخمر وقد حرمه الله .؟ ولا لرجل أسر سرا لصاحبه : كيف تبيح لصاحبك بيع الخمر وقد حرمه الله .؟ وإنما يقول للأول : ما هذا الشراب . ؟ ويقول للثانى : ماذا أسررت لصاحبك ؟ فهم من ناحية التصور لا يتغافلون عن فهم الواقع .. ومن ناحية القضاء يقدرون المصالح والمفاسد ببعد قائم على الحكمة والعدل ، فى إطار الكتاب الكريم والسنة النبوية الصحيحة . تلك هى الواقعية التى ينظر إليها علماء الأمة بعيدا عن التحليلات النظرية والمفاهيم الفلسفية الخيالية ، أو التجارب الفكرية التى تخطئ تارة وتصيب تارة أخرى .. ومع ذلك يظن أصحابها أنهم صاروا من الأئمة والعلماء، الذين لهم الحق فى الصدارة والريادة .. قال العلامة الألبانى : « وأنا لا أخالف في صورة هذا العلم الذي ابتدعوا له هذا الاسم ، ألا وهو « فقه الواقع » ؛ لأن كثيرا من العلماء قد نصوا على أنه ينبغي على من يتولون توجيه الأمة ووضع الأجوبة لحل مشاكلهم : أن يكونوا عالمين وعارفين بواقعهم ؛ لذلك كان من مشهور كلماتهم :" الحكم على الشيء فرع عن تصوره ".

ولا يتحقق ذلك إلا بمعرفة (الواقع) المحيط بالمسألة المراد بحثها ؛ وهذا من

قواعد الفتيا بخاصة ، وأصول العلم بعامة . ففقه الواقع ـ إذا ـ هو الوقوف على ما يهم المسلمين مما يتعلق بشؤونهم ، أو كيد أعدائهم ؛ لتحذيرهم ، والنهوض بهم ، واقعيا ، لا كلاما نظريا ، أو انشغالا بأخبار الكفار وأنبائهم . أو إغراقا بتحليلاتهم وأفكارهم ! » (حول فقه الواقع ص/ ١٤، ١٥)

هذه هي ضوابط الأئمة التي يترتب عليها جنى الفوائد والثمار ، وبلوغ الأهداف والمقاصد .. غير أن الإخوان لا يعبأون بها ولا بمن قالها .. وهم مع ذلك ينظرون إلى المجتمع بمرآة الأخبار المقلوبة والإذاعات المضللة والصحف المثيرة للفتن ، ويرون ذلك هو الواقع الواجب على المسلم أن يحكم على المجتمع والأحداث بمقتضاه . والأدهى من ذلك أنهم صاروا يقدمون تصورات كثير من الشيوعيين والناصريين والليبراليين والأقباط العلمانيين .. ويسجلونها في مواقعهم الإلكترونية ، كأنها ثقافة إسلامية . وصار مدونوهم على الإنترنت يرون هؤلاء نماذج يقتدى بها في العمل السياسي .. وهم لا يفعلون ذلك إلا لأنهم يروون ظمأهم في تفعيل المفاهيم الانقلابية . ولو فرض صحة تصورهم للواقع فإنهم لا يصلحون للحكم عليه .. وفي تاريخهم ما يقطع الحيرة في ذلك ...فهؤلاء وأولئك ينطبق عليهم قول الله تعالى : ﴿ وإذا جاءهم أمر من الأمن أو الخوف أذاعوا به ﴾ في طوائف لا تدرك شيئا ، ولا تقدر حكما ، ولا تفقه دينا ولا تعرف سياسة .. وإذا فقهوا فلا حيلة لهم في جلب منفعة ولا في دفع مضرة .. فالأمر ليس بأيديهم .. والواقع لا يحتاج إلى ما يفكرون فيه ، إنما يحتاج إلى النصيحة والإصلاح ، وهم مع ذلك لا يهتمون به ولا يدعون إليه ، اكتفاء بإثارة قضايا سياسية متعلقة بالتعددية والحزبية والليبرالية وحقوق الإنسان .. قضايا لا يفقهها كثير من الناس .. ولا يدركون مقاصدها ولا يعرفون كنه الهيئات التي تشعلها ، وتسعى في إثارتها في المجتمع ... فهي حقا هيئات متطفلة على أفكاره ، لأكثرها علاقات بدول لها أجندات خاصة تريد أن تطبقها في العالم الإسلامي . ثم هم يوهمون أنفسهم بالوصول إلى الحكم .. فيقولون ماذا سنفعل إذا وصلنا إلى الحكم . وما خطتنا في التعامل مع أمريكا وإسرائيل .. فيرفعون راية في غير ميدان ، ويقيمون جهادا في غير جهاد ، ويصيحون في الناس ، وهم

أحوج الناس إلى تلك الصيحات . ومع هذا الفشل الذريع وهذا الوهن المستمر لا يزالون يرون في أنفسهم النباهة في فقه الواقع ، والتفرد في فهم السياسة ، والتميز في إدراك الأولوليات ، مسفهين غيرهم من العلماء والساسة ..

ومن أجل ذلك فإنهم إذا وصلوا إلى الحكم سيتعاملون مع إسرائيل بواقعية تفوق حقيقة المفهوم الفكرى الذى تربوا عليه .وإن ترتب على ذلك تهدئة الصراع ، واستبقاء المعاهدات الموقعة ، وفتح المكاتب التجارية .. غير أنهم يرثى عليهم عدم تقدير تلك الواقعية في التعامل مع الحكومات العربية والإسلامية ... فهم معها في صراع دائم لا يفتر ولا ينتهى .. ولو قدر أن سكت الصراع مع إسرائيل فإنه لن يسكت مع الحكام ..والإخوان عندهم استعداد لإنهاء الصراع مع إسرائيل ، في حالة واحدة فقط ، هي إذا ما وصلوا إلى الحكم .. فإذا حدث ذلك فلإسرائيل أن تطمئن أن الإخوان كما قال محمد عاكف " لن يحاربوها." . تلك هي الواقعية التي يتعالى بها الإخوان على جميع الطوائف .. ولك أن تعيش هذا التصور دائما ـ إذا كنت تحت راية الإخوان – أن أحدا لم يفقه الواقع في التاريخ كما فقهه الإخوان .هم فقط ..أما غيرهم فهو غارق في جهل مطبق في فهم الواقع وإدراك الأولويات والكليات .. والإخوان لا يقصدون من الجهل بفقه الواقع الجهل بفقه الأحكام ، فهذا أمر لا يشتغلون به ـ ولو أنهم سمعوا أحدا يتكلم في أى قضية من قضايا الدين، لا تتعلق بالواقع من وجهة نظرهم أعرضوا عنه ، وقالوا هؤلاء فقهاء حيض ونفاس ، مسفهين العلوم الشرعية التي هي جزء لا يتجزأ من الدين .

إنما يقصدون من الجهل بفقه الواقع الجهل بالتفاعلات السياسة والمشاركات الميدانية في الهيئات والنقابات والأحزاب والأحداث والمظاهرات والتحالفات والانتخابات ، قال العلامة صالح الفوزان : « ليس المقصود بفقه الواقع عند هؤلاء فقه اللغة ، وإنما المراد به عندهم الاشتغال بأمور السياسة والتهييج السياسي وصرف الأوقات والهمم إليه. أما فقه الأحكام فيسمونه فقه الجزئيات وفقه الحيض والنفاس تهجينا وتنفيرا منه ومن الاشتغال به» (الأجوبة المفيدة . ص/ ٥)

هذا هو الذى جعل اهتمامات الإخوان بالقضايا السياسية فوق اهتماماتهم

بالمفاسد المتعلقة بالشرع والدين ، إن لم يحتقروها.. فقد قال عبد المنعم أبو الفتوح: « فليس هناك شك في أن الإسلاميين والمتدينين عموما عندهم أرتكاريا من بعض المسائل ويضخمونها مثل المخالفات الجنسية ، والإسلام ليس معها بالطبع ، ولكن لماذا نهتم بها أكثر من المخالفات السياسية » (العربى . ٢٨ / ٩ / ٢٠٠٣) وقد انتهى د/ عصام العريان إلى القول بأن قضية الحلال والحرام لا علاقة لها بالعمل السياسي فى حركة الإخوان ، قائلا : « ونزول الجماعات السياسية التي تستند إلى مرجعية إسلامية إلى الساحة السياسية لا تستند في عملها السياسي على قضية الحـرام والحلال ، هى تستند . بالفعل على قضية المصالح والخطأ والصواب » (قناة الجزيرة ٥ / ٤ / ٢٠٠٥ م) .

ولا شك أن قضية المصالح والمفاسد والخطأ والصواب الذى ادعاه لا يوزن بموازين دينية صحيحة ولا سياسة شرعية صريحة ، إنما هى تجارب فاشلة مارستها الجماعة زمنا طويلا ، ولم تستطع أن تصوب أخطاءها فيها إلى الآن ، كما أن تلك الآراء فى الغالب تمليها مصالح الجماعة لا مصالح المسلمين .. هى فى الحقيقة أقرب إلى آراء العلمانيين منها إلى آراء الاسلاميين ، ولكنهم يخرجونها من أوساط تدعى الوسطية ، ويغلفونها بكلمات تقترب إلى الإسلامية .. وما هى من الإسلامية بشىء .. إنما هى هزيمة نفسية مشهورة فى دعوة الإخوان ..

ولم يقف تهاون الإخوان عند المحرمات ، بل امتد حتى وصل إلى الشرك .. فليترك الشرك كما هو دون زجر والتوحيد دون أمر ، حتى يصل الإخوان إلى الحكم قال حسن الترابي : « إنـهم يهتمون بالأمور العقائدية وشرك القبور ، ولا يهتمون بالشرك السياسي ، فلنترك هؤلاء القبوريين يطوفون حول قبورهم حتى نصل إلى قبة البرلمان »(م. الاستقامــة ربيع الأول ١٤٠٨ هـ)

وهذا بالضرورة طعن فى مفهوم الشمولية الذى يتعاظم به الإخوان على غيرهم من الطوائف والجماعات .. ودليل آكد أن " شعار الإسلام " هو الحل ، الذى يتلاعب به الإخوان مع العامة شعار منزوع من حقيقته ، التى يعرفها كل مسلم ، ليتلائم مع قضايا الإخوان التاريخية التى يعيشون من أجلها .

سيد قطب وفقه الواقع ..

هذا التوجه المعاصر للإخوان يخالف ما كان عليه سيد قطب ، فقد كان يرى عدم جدوى التدخل فى الواقع السياسي ، وكان يمنع الاشتغال به ، وكان ينادى بالعزلة الشعورية الكاملة عن المجتمع ، باعتبار أنه مجتمع جاهلى ،لا يجدى فيه الإصلاح إلى أن يعود إلى الدين من جديد ؛ ومن أجل ذلك كان ينهى عن التدخل فى إصلاح أي قضية من قضايا المجتمع الجاهلى ، قائلا :

« ليس من المنطق ـ كما أنه ليس من الإنصاف ـ أن تطلب من نظام معين حلولا لمشكلات لم ينشأها هو إنما أنشأها نظام آخر مختلف فى طبيعته وطريقته عن هذا النظام . والمنطق المعقول ينادى بأن من أراد أن يستفتى نظاما معينا فى حل مشكلات الحياة ، فليطبق أولا هذا النظام فى واقع الحياة » (دراسات إسلامية . ص/ ٨٦ . دار الشروق ط. ٢٠٠٢م) وكان يرى عدم جدوى تعليم المجتمع الجاهلى مسائل الفقه ، فقال : « أما الاشتغال بالفقه الآن على ذلك النحو بوصفه عملاً للإسلام فى هذه الفترة فـأحسـب ـ والله أعلم ـ أنه مضيعة للعمر، وللأجر أيضـا»(الظلال ٢٠١٢/ ٤)...

وهذا المنطق يدل أن شعار " الإسلام هو الحل " الذى يرفعه الإخوان فى الانتخابات على مفهوم سيد قطب لا معنى له إلا أن يدخل الناس فى دين الله تعالى من جديد ، وذلك لأنهم لو أردوا به مجرد الإصلاح فهذا نوع من أنواع الترقيع . وهذا فى المفهوم القطبي مضيعة للعمر ، واستهلاك للجهد .. ولا تصلح الدعوة فى المضمار الإخوانى الأول إلا إذا دخل الناس فى الإسلام أولا . أو فهموه وتربوا عليه من جديد ، كما قال عاكف : « هدفنا هو تربية الفرد والأسرة والمجتمع حتى نصل للمستوى الذى نضمن من خلاله أن يقف وراءنا جميع الناخبين » (الأخبار ٢٧ أغسطس٢٠٠٥م)..

فالإخوان المعاصرون والقدامى متفقون على عدم الاهتمام بالعلم ، وكل ما من شأنه أن يصفى أمور العبادة من الدخن ، أو يؤهل المرء للتدبر والوقوف بين يدى الله

تعالى ، طامعا فى جنته هاربا من ناره ، طالما أنهم بعيدون عن كرسى الحكم . ولكنهم يختلفون مع سيد قطب من ناحية التدخل فى الأحداث السياسية ، فالمعاصرون يرون ضرورتها ، أما هو فلم يكن يرى ذلك .

وعلى الرغم من ذلك فإنى أرى سيد قطب كان متناقضا هو الآخر مع نفسه فى تلك القضية أو لعله مر بمراحل متناقضة فى حياته ، ذلك لأنه كان فى وقت من الأوقات ينادى بالعدالة الاجتماعية ، وكان يكافح من أجلها فى صحف القوميين والاشتراكيين والوطنيين . وعندما عوتب فى ذلك من قبل إخوانه فى الجماعة .. رد عليهم، قائلا : « إن الإسلام يكافح فى ميدان العدالة الإجتماعية الذى يكافح فيه الاشتراكيون ، وفى ميدان العدالة الوطنية والسياسية الذى يكافح فيه الوطنيون ، وهذه الصحف بالنسبة لى ليست إلا ميدانا للكفاح » (دراسات إسلاميةص/ ٩٧).

مجالات السياسة ...

السياسة : القيام على الشىء بما يصلحه .. إما فى جلب مصلحة ، أو فى دفع مضرة .. ولا طريق أحق لبلوغ تلك الغاية من طريق الإسلام . قال تعالى : ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ اللَّهِ حُكْمًا لِّقَوْمٍ يُوقِنُونَ﴾ [المائدة : ٥٠) ومع ذلك فإن الإسلام لم يضيق مباحث العدل والمصلحة على ما ثبت بالنص ، وذلك أن مجالات السياسة تتسع لما ثبت بالاجتهاد ، سواء فى فهم النص إذا كان محتملا لأكثر من وجه ، أو فى حالة عدم وجود النص .. وأكثر أعمال الساسة واجتهاداتهم تكون عند تعارض مفسدتين أو مصلحتين .. فالعامة يميزون الحلال عن الحرام ، لكن تمييز المفاسد واختيار أدناها ، وتمييز المصالح واختيار أعظمها .. هذا أمر لا يحسنه إلا المجتهدون من العلماء والساسة . . ومن أجل ذلك يحدث الخلاف والنزاع بسببه بين العامة ، فينقسمون فيه أقساما متعددة بين مؤيد ومعارض ، وذلك لجهلهم بالواقع ولجهلهم بأدوات الاختيار .. ومثله المتشابه الخاص بالعلماء ودقيق العلم فى مسائل الأسماء والصفات لا يفقهه العامة كذلك ، وإنما يدركه خواص العلماء .. وعلى ذلك فكل طريق من طرق السياسة يوصل إلى العدل والمصلحة فهو من الشرع .. سواء وجد له دليل فى الشرع أم لم يوجد .. أما إذا وجد الدليل وثبت النص . فالمصلحة فيما حكم به الشرع والعدل فيما انتهى إليه . قال القيم : « فإن اللَّه أرسل رسله وأنزل كتبه ليقوم الناس بالقسط ، وهو العدل الذي قامت به السماوات والأرض ، فإذا ظهرت أمارات الحق، وقامت أدلة العقل ، وأسفر صبحه بأي طريق كان ، فذلك من شرع اللَّه ودينه ، ورضاه وأمره »(إعلام الموقعين عن رب العالمين. ٤ / ٣٧٣) .

فالسياسة من هذا الوجه من الدين ، وليست شيئا غريبا عليه ..

ولو لم يكن لإثبات مشروعية السياسة إلا جمع أبى بكر للمصحف ، وتحريق عثمان المصاحف التى فى أيدى الناس ، إبقاء على مصحف واحد متفق عليه لكان ذلك كافيا فى بيان مشروعية السياسة . وذلك مع عدم وجود أدلة شرعية تدل على

تلك الأعمال . إلا المصلحة . ومثل ذلك أيضا : نفى عمر بن الخطاب صبيغ بن عسل التميمى ، وتحريق على بن أبى طالب (رضى الله عنه) للسبأية .. أراد من ذلك التشنيع عليهم – وقد خالفه فى ذلك ابن عباس للنص الوارد بالنهى عن التعذيب بالنار ـ وقد يصل الأمر فى السياسة إلى تقييد المباح ، كمنع عمر تزويج المسلم من اليهودية والنصرانية مخافة الفتنة ..وقد يكون من أجل التأديب والتعزير ، كتمرير عمر يمين الطلاق ثلاثا بلفظ واحد ثلاث طلقات ، ولم يكن ذلك فى زمن النبى ﷺ ولا فى زمن أبى بكر ، وإنما فعله عمر من أجل المصلحة .. وكذلك تقديم أبى بكر وعمر حج الإفراد على حج التمتع مع أفضليته ، حتى لا يهجر الناس البيت وحتى تتعدد السفرات إليه .. وكل ما فعله الأئمة من ذلك فهو اتباع لنهج النبى ﷺ ، والتزام بمقاصد الشريعة، فقد ترك النبى ﷺ بعض ما فيه مصلحة ثابتة مخافة الوقوع فى مفسدة أكبر ، مثل تركه إعادة بناء الكعبة على قواعد إبراهيم (عليه السلام) ، وفى هذا قال النبى ﷺ لعائشة (رضى الله عنها) :« يا عائشة ! لولا أن قومك حديثو عهد بشرك، لهدمت الكعبة. فألزقتها بالأرض. وجعلت لها بابين بابا شرقيا وبابا غربيا. وزدت فيها ستة أذرع من الحجر. فإن قريشا اقتصرتها حيث بنت الكعبة » (رواه مسلم .كتاب الحج . ١٣٣٣) .

قال الإمام النووى فى (شرح مسلم . ٩ / ٨٩) : « وفي هذا الحديث دليل لقواعد من الأحكام :

منها إذا تعارضت المصالح أو تعارضت مصلحة ومفسدة وتعذر الجمع بين فعل المصلحة وترك المفسدة بدئ بالأهم ، لأن النبي ﷺ أخبر أن نقض الكعبة وردها إلى ما كانت عليه من قواعد إبراهيم ﷺ مصلحة ، ولكن تعارضه مفسدة أعظم منه وهي خوف فتنة بعض من أسلم قريبا، وذلك لما كانوا يعتقدونه من فضل الكعبة ، فيرون تغييرها عظيما فتركها ﷺ. ومنها : فكر ولي الأمر في مصالح رعيته واجتنابه ما يخاف منه تولد ضرر عليهم في دين أو دنيا إلا الأمور الشرعية كأخذ الزكاة وإقامة الحدود ونحو ذلك..

ومنها : تألف قلوب الرعية وحسن حياطتهم ، وأن لا ينفروا ، ولا يتعرض لما يخاف تنفيرهم بسببه ، ما لم يكن فيه ترك أمر شرعي كما سبق . »أهـ

وتتعلق مباحث السياسة بالنظر فيما لانص فيه ، كما تقدم ، فيختار الحاكم ما يناسب المجتمع من تشريعات ونظم إدارية تتأتى بالخير والمصلحة .. ويختار من عماله من يؤدى المهام الموكلة إليه حسب مسئولية المرحلة ، وإن دعاه الأمر إلى تقديم المفضول على الفاضل ..

كما تتعلق مباحث السياسية بتيسير أمور الدنيا التى تخضع للتجارب والخبرات باختلاف أشكالها وألوانها ومصادرها ، فالإسلام يفتح المجال للأخذ بكل ما هو نافع وميسر لسبل الحياة – طالما أنه لايتعارض مع الدين – وذلك من باب قوله ﷺ : «أنتم أعلم بشئون دنياكم » وذلك لما رواه مسلم باب وجوب امتثال ما قاله شرعا ، دون ما ذكره من معايش الدنيا ، على سبيل الرأي .. عن عائشة ، وعن ثابت ، عن أنس ؛ أن النبي ﷺ مر بقوم يلقحون. فقال "لو لم تفعلوا لصلح" قال فخرج شيصا« والشيص هو البسر الرديء الذي إذا يبس صار حشفا » فمر بهم فقال " ما لنخلكم ؟ "قالوا : قلت كذا وكذا. قال : « أنتم أعلم بأمر دنياكم » (رواه مسلم . ٢٣٦٣)

ومن أبواب السياسة ما يتعلق بأمور الحرب والسلام ابتداء وانتهاء ، فللحاكم عقد معاهدات السلام وتبادل السفراء بين كافة الدول ، وعقد التحالفات والمواثيق ، وفيما إذا خير الإمام فى الأسرى بين الاسترقاق وبين المن والفداء أو القتل ، فيراعى مصلحة المسلمين ، ويختار ما فيه إرضاء الله تعالى ، وذلك اتباعا لقوله ﷺ : «وإذا حاصرت أهل حصن فأرادوك أن تنزلهم على حكم الله فلا تنزلهم على حكم الله ولكن أنزلهم على حكمك فإنك لا تدري أتصيب حكم الله فيهم أم لا » (رواه مسلم .كتاب الجهاد والسير . ١٧٣١) .

ومن اجتهد فأخطأ فله أجر ، ومن اجتهد فأصاب فله أجران . غير أنه إذا أخطا المجتهد لم يكن له أن يجعل خطأه دينا يلزم به غيره ، فلا بد أن ينزه شرع الله

تعالى من أخطاء المجتهدين .. قال شيخ الإسلام : « ولهذا كان الصحابة كأبي بكر وعمر وابن مسعود يقولون باجتهادهم ويكونون مصيبين موافقين لسنته لكن يقول أحدهم " أقول فى هذا برأيي فإن يكن صوابا فمن الله وإن كان خطأ فمني ومن الشيطان والله ورسوله بريئان منه " فإن كل ما خالف سنته فهو شرع منسوخ أو مبدل، لكن المجتهدون وإن قالوا بآرائهم وأخطأوا فلهم أجر وخطؤهم مغفور لهم » (مجموع الفتاوى ٢٧ / ٢٩٧)

من السياسي ... ؟

كل شيء له حقيقة وحد ووقت . هذه أصول ضرورية لبلوغ الحكمة فى الأقوال والأفعال . والسياسة لا تكون سياسة إلا إذا اقترنت بالحكمة . ولأجل ذلك فلابد للسياسي أن يعرف مقاصد الشريعة ويدور فى رحاها ، كما لا بد أن يكون صاحب ثقافات واسعة ومفاهيم ثاقبة ، وتجارب محترمة ، ورأى راسخ.

كما لا بد أن يكون على دراية بأحوال الفرق والأحزاب المناوئة ومقاصدها وغاياتها . والعمل فى السياسة يحتاج إلى أصحاب القرائح ، والدواهى الفواقر ، وهم قوم لهم خاصية فى :

القراءة والتحليل وبعد النظر .الاطلاع على دقائق الأمور . القدرة على تنزيل الأحكام على الواقع . القدرة على إعداد البرامج والخطط الملائمة للمرحلة التى تمر بها الأمة.القدرة على اتخاذ القرارات المناسبة فى الوقت المناسب لها.تفويت الفرص على الخصوم .. الخ

هل الإخوان يفهمون السياسة .. ؟

هل الإخوان يفقهون تجارب الأمم ، ويستخرجون منها العبر؟ هل الإخوان عندهم إدراك سياسي لمخطات الدول ؟

هل الإخوان عندهم بعد سياسي فى التعامل مع تلك المخططات ؟ هل الإخوان على دراية بمنهج الأنبياء فى الدعوة إلى الله تعالى . ؟ هل الإخوان يفقهون الدين فقها صحيحا ، يؤهلهم للحكم على القضايا والأحداث . ؟

هل الإخوان يقيسون الأمور بموازين المصالح والمفاسد قياسا صحيحا . ؟ هل الإخوان عندهم صدق فى التعامل وأمانة فى الحكم وقوة فى الخبر وبعد عن المبالغة والتضليل ؟ هل الإخوان عندهم عدالة فى التعامل مع خصومهم .؟

هل الإخوان عندهم قوة نفسية ونزاهة عقلية تجعلهم يظهرون المعتقدات ويوضحون المناهج ، أم أنهم متأثرون بهزيمة نفسية قبالة الواقع الفكرى والاستعمار الغربي تجعلهم يقولون ما لا يفعلون ويفعلون ما لا يؤمرون ..

هل الإخوان عندهم قدرة على مخاطبة الجماهير بالحق ، أم أنهم ضعفاء فى خطاب الخاصة ، مراوغون فى خطاب العامة .؟ هل الإخوان عندهم تجارب ناجحة فى التاريخ ، أم أن تجاربهم جميعا موؤودة بالفشل .؟ هل الإخوان فى مسائل الإجتهاد عندهم بدائل متنوعة وسعة فى تناول الآراء المخالفة لآرائهم أم أنهم يظنون قداسة آرائهم وأنها لا تنال ولاتناقش ولا تعاتب ؟

حقيقة التذبذب السياسي ..

بقليل من الجهد و بالنظر فى تاريخ الإخوان .. يتضح أنهم متخبطون فى فكر التغيير والإصلاح ، فما يثبتونه فى موضع ينكرونه فى غيره .. ودعوتهم من أكثر الدعوات تناقضا مع فكرها الذى تنشده ، فهى تحرم ما يبيحه فكرها ، وتحارب ما ينشده فكرها ؛ وهذا بالضرورة يثير الشك فى مقاصدهم وأهدافهم . هل هم يريدون حقيقة الفكر الذى يدعون إليه . أم أنهم يتسترون من خلاله للوصول إلى مقاصدهم ، ثم بعد ذلك يظهرون الكفر به . ؟

وبالاطلاع على تاريخ الإخوان يتبين لكل بصير حقيقة التذبذب فى الفكر السياسي للإخوان ، ويتبين أن الإخوان الذين يعيبون على الساسة فى كل شيء لو وصلوا إلى الحكم لن يفعلوا أكثر مما يفعل الساسة ، ولكنهم لاينظرون إلى الواقع إلا بعين عوراء : المباح عندهم جريمة إذا فعله غيرهم ، والشرك إذا وقع فيه غيرهم لم إذا وقعوا هم فيه ..

وتلك هى الشواهد الدالة على تذبذبهم السياسي واضحة جلية :

الأول : الإخوان يرفضون الحزبية على الإطلاق ثم يقبلونها على الإطلاق .

الثاني من التناقض : حدد حسن البنا متى يلجأ الإخوان إلى استخدام القوة العملية ثم تناقض وقال : « وأما الثورة فلا يفكر الإخوان المسلمون فيها) أهـ

الثالث : قالوا إذا ضاقت بنا الأمور فلا مخرج لنا إلا الجيش وعندما نفذ الجيش ما كانوا يأملون تظاهروا عليه قائلين له : لاحق لك فى الحياة المدنية ، ارجع إلى الثكنات يا عدو الإنسانية ! وهم الآن يريدون الوصول إلى الحكم عن طريق الديمقراطية ، ويعيبون على الإصلاح إذا تم عن طريق الجيش .

الرابع : قالوا " القرآن دستورنا " ثم تنازعوا مع عبد الناصر بعد الثورة لوضع دستور جديد . وأخيرا قالوا للخاصة : « إن شعار الجماعة " القرآن دستورنا " شعار عاطفي وأدبي . الخ » (الشرق الأوسط ٢٥ مايو ٢٠٠٥)

الخامس : قالوا " الإسلام هو الحل " ثم قالوا " الدستور هو الحل " ، ثم قالوا " الإصلاح السياسي هو الحل " ، ثم قالوا " الحرية قبل الشريعة" . وعندما غلبتهم التحالفات الأيدلوجية قالوا " نعم للمشاركة لا للمغالبة " ثم تركوا جميع الشعارات وتحالفوا مع الليبراليين والشيوعيين ، وقالوا " كفاية هى الحل " ..

السادس : كان حسن البنا يحصر الاستفتاء فى أهل الحل والعقد ، وكان يحصر أبواب الترشيح للمجالس النيابية فيمن تتوفر فيهم صفات أهل الحل والعقد ..غير أن الإخوان المعاصرين تراجعوا عن هذا وذاك ، وقالوا تعظيما للديمقراطية يجب استفتاء الشعب بجميع طوائفه فى كل الأمور ..

السابع : عندما تعمقت أفكارهم السياسية نتيجة لمصاحبتهم أعضاء حركة " كفاية " وأعضاء حزب " الغد " وسمعوا منهم أحاديث تتكلم عن المواطنة ؛ قالوا نحن أولى الناس بتحقيق المواطنة من أى فصيل سياسي آخر .. قال عصام العريان : «نؤمن بحق المواطنة وأن للجميع كل الحقوق والواجبات ، وأن المواطنة حق للجميع» (لقاء مع قناة دريم.نافذة مصر.نت) وعلى العكس من ذلك رفض نواب الإخوان فى مجلس الشعب مفهوم المواطنة ، كما جاء فى جريدة (المصري اليوم) تمسك نواب الإخوان المسلمين في مجلس الشعب برفض مبدأ المواطنة ، وطالبوا بعدم النص علي ذلك في الدستور .. قال النائب رجب أبوزيد : « المواطنة مبدأ تم استيراده من الغرب ، ويعني فصل الدين عن الدولة ، والمناخ السياسي في مصر لا يمكنه قبول هذه الكلمة » أهـ وهؤلاء البرلمانيون أيضا متخبطون فى أقوالهم منقلبون على أفهامهم .. إذ أنهم أقروا من قبل مايخالف هذا الاتجاه ، وقالوا: « ولو ترشح قبطي للرئاسة واستوفي كل الشروط الدستورية فإن نواب الكتلة سيوافقون علي ترشيحه بل سيدعمونه » (المصري اليوم ١٣ سبتمبر ٢٠٠٦م).

الثامن : طالبوا الحكومات بتقنين النظم التى تؤدى إلى اختيار الحاكم من بين عدة مرشحين إيمانا بالنظام الديمقراطي ، بينما هم يختارون مرشديهم ببيعة المقابر تارة، وبكبر السن تارة ، وبترشيح مكتب الإرشاد تارة أخرى .. ولا حق للأسر فى اختيار المرشد ولا فى اختيار أعضاء مكتب الإرشاد ..

التاسع : جعلوا الشورى ملزمة للحاكم ، وجعلوا لمرشدهم الطاعة المطلقة .. فالمرشد فوق الدولة وفوق الرئيس ..

العاشر : قالوا للمسلمين فى الانتخابات البرلمانية..صوتكم أمانه ستحاسبون عليه بين يدى الله ، أعطوه لمرشح الإخوان من أجل الإسلام . وفى دوائر أخرى قالوا لأتباعهم ولعامة المسلمين صوتكم أمانة أعطوه للشيوعيين والناصريين والأقباط .الحادى عشر : قالوا الإسلام هو الاشتراكية ، وأصلوا الحجج والبراهين لنصرة المذهب الاشتراكى ، ثم تبرأوا من الاشتراكية ، وكفروا دعاتها . ثم انقلبوا إلى الديمقراطية فلعبوا بها ، وقالوا نحن نؤمن بها ونذود عنها حتى الموت.

الثانى عشر : دعوا إلى مواجهة الشيوعية بالاشتراك مع أصحاب الملل والأديان الأخرى .. وكانوا يدعون من قبل لحرب الشيوعية فى أفغانستان ، وكان شيخهم الأول يتحالف مع الأمريكان والإنجليز من أجل حرب الشيوعية . ثم انقلبوا على أنفسهم وتحالفوا مع الشيوعيين فى البلاد الإسلامية ونادوا بأحقيتهم فى إقامة أحزاب شيوعية ..

الثالث عشر : اتهموا الدول الإسلامية بالعمالة والخيانة لتعاملها مع أمريكا ، وسكتوا عن الحزب الإخوانى المعبر عنهم فى العراق حين وضع يده مع بول بريمر الحاكم العسكرى الأمريكى فى العراق ، وقالوا : « هم أدرى بشئونهم . وأهل مكة أعلم بشعابها » أهـ

حقيقة الإفلاس ...
قواعد غافلة وكوادر مناورة ...

نحن فى الحقيقة نتهم الإخوان بالإفلاس .. والإفلاس مصطلح يطلق على من فقد الدنانير والدراهم ، ولم يبق معه إلا الفلوس .. والفلوس هى الأموال التافهة التى لا كرامة لها .. والإفلاس الذى نقصده هنا ليس هو الإفلاس المادى ، فالإخوان تفننوا فى جمع الأموال ، واستخدموها فى عمل شركات لا تقبل إلا من ينتسب إليهم ، ولا ترفع إلا من يبايعهم ـ فقد أظهرت الانتخابات البرلمانية الأخير عظم الأموال التى يكنزها الإخوان للوصول إلى الحكم - إنما نقصد الإفلاس السياسي ، الذى يتعاملون فيه بمنظور من لا يتعلم ولا يفهم إلا إذا نزلت المصائب وحلت الأحزان .. ولذا فنحن نتهمهم بالجهل بحقائق الأحداث والأحكام وحدودها ووقتها المناسب . فجوانب الإفلاس السياسي فى تاريخ الإخوان كالمعين الذى لا ينضب . فالإخوان متأثرون بهزيمة نفسية تجاه ضغط الواقع المعاصر ومتطلباته .. تدفعهم إلى التذبذب والتلون .. ولقد سعى الإخوان فى السياسة بشتى السبل ، كى يصلوا إلى الحكم ، حتى أتوا بنتائج مخيبة للأمال .. وتاريخ الإخوان سلسلة متصلة من الفشل السياسي .. فقد تعامل الإخوان مع كل الأنظمة والحكومات فتخبطوا وفشلوا .. ولم يجنوا من الزهور إلا الشوك ، ومن الثمار إلا الحنظل . يقول محمد بن سيف العجمى فى (الوقفات .ص/ ٨٠) : « فأى معركة سياسية خاضها الإخوان ونجحوا فيها ووصلوا فيها إلى أهدافهم ومقاصدهم .. إلا أن تكون مقاصد الإخوان هى التسبب فى الزج بالشباب المسلم إلى السجون والمعتقلات والبلاء ثم الرقص على الأشلاء ، والافتخار فقط بتقديم الضحايا والقرابين . فهل للإخوان من مآثر سياسية يقدمونها أكثر من تقديمهم الضحايا والقرابين طيلة " أربعين عاما " اليوم من عمر الدعوة.؟

وهل كان الأستاذ حسن البنا (رحمه الله) إلا ضحية للانفلات الحزبى ودخول التنظيم السري الإخوانى ـ الذى لم يستطع الأستاذ البنا نفسه أن يسيطر عليه

ـ درب الاغتيالات السياسية !»أهـ

إن الحقيقة تنادى أن الإخوان يلعبون باسم الإسلام على الأمة الإسلامية .. فالقادة متأثرون بهزيمة نفسية تجاه متغيرات العالم المعاصر .. تدعوهم إلى تبنى الفكر الليبرالى بنوع من التذبذب والتردد ، وهم مع ذلك يستغلون قاعدة مغيبة ، يستخدمون معها شعارا دينيا " الإسلام هو الحل " غير أنها تمثل بالنسبة لهم حصان طروادة ، الذى يوصلهم إلى الحكم .! وقد شهد عصام العريان بوجود نوع من المفارقات الذهنية والفكرية بين فكر القيادات الإخوانية وبين القاعدة الجاهلة التى يسيطرون عليها : « فالقيادة أكثر تفهما للمتغيرات السياسية ، ولكن القاعدة -كما قلت لك- علاقتها بالسياسة علاقة موسمية»(إسلام أون لاين. ٢٤ / ١٠ / ٢٠٠٢م)

وقد شاركه فى ذلك الأستاذ عصام تليمة ، قائلا : « عندما تلتقي بكوادر كبيرة في الإخوان تجد تفهما لما تقول ، وما تطرح ، بينما يغيب هذا التفاهم عند الدرجات ، التي تلي مستوى الكبار، وقد قال بعض الكتاب مرة : إن الإخوان جسد بلا رأس . ويبدو أن الصورة ليست كما قال الكاتب ، فهناك رأس يفكر ويتعقل ويفهم ، ولكن يبدو أن إشارات الرأس أو المخ لا تصل بصورة جيدة لباقي الأطراف»(المصريون ٢٤ / ٢ / ٢٠٠٧) .

ومع هذا فالدكتور عبد الستار المليجي يرى أن القيادة والقواعد فى هذا الفشل على السواء : « هناك بالفعل تفاوتا في فهم الإخوان فيما يتعلق بجماعتهم وأهدافها حتى في القيادة العليا »(إسلام أون لاين . ٢٣ / ٤ / ٢٠٠٧م شيرين نصر)

الإخوان مطية الأحزاب ..

على الرغم من زعم الإخوان أنهم سياسيون إلا أنهم لم يكونوا فى المواجهة ، ولم يباشروا السياسة من مواقعها ، فهم وراء الستائر ، يلعبون دائما لمصلحة الغير أو يلعب بهم ، ثم يعودون بخفى حنين لا ناقة ولا جمل .. فالملك فاروق يترك لهم الساحة ليضرب بهم حزب الوفد .. والوفد يتحالف معهم ليضرب السعديين .. والثورة تستخدمهم مطية للهتافات.. والكنيسة تستخدمهم لرفع مرشحيها فى الانتخابات ، ولتحقيق أهداف أخري . وأمريكا تستخدمهم لتحقيق أهدافها الاستعمارية فى الدول العربية ، فهموا ذلك أم لم يفهموا .

فليسوا إلا مطية توجه شاءوا أم أبوا . ومن أعطاهم أكثر من ذلك فقد أطال المسافة وأبعد النجعة .. ولم يكن هذا الاتهام الموجه إلى الإخوان ـ أنهم مطية ، وأنهم مجرد وسيلة تركبها الأحزاب للضغط السياسي - آتيا من فراغ .. فهم الذين يقولون ذلك عن أنفسهم ، وهذا هو الذى يظهرونه للأحزاب القديمة والمعاصرة .. وتلك هى شهادتهم على ذلك : يقول عباس السيسى فى(قافلة الإخوان . ص٢٤٥/) : « فى الثانى عشر من يناير ١٩٥٠ اكتسح حزب الوفد الانتخابات بأغلبية ساحقة ، وكان الإخوان هم أكبر عون لحزب الوفد فى هذه المعركة ضد الحزب السعدى ، الذى قتل مرشدهم وعذب إخوانهم» أهـ

وقد أكد هذا المضمون أحمد رائف ، قائلا : « وقد تعلموا كثيرا من النظم الديمقراطية ، فهم الذين جاءوا بصدقى رئيسا للوزراء وهم الذين أسقطوه ، وكان شعارهم هو حسن الظن إلى أن يثبت العكس .. وهم الذين جاءوا بالنقراشى ، وهم الذين دعموه وأيدوه بإرسال العرائض والمكتوبات التى تبين تأييد الشعب له فى مجلس الأمن ضد شعبية الوفد والنحاس باشا بصفة خاصة .. وهم أيضا الذين قتلوه» (صفحات من تاريخ الإخوان ص/ ١٣٠) .

وفى الوقت المعاصر عندما تراجعت أحزاب المعارضة عن التحالف معهم

ضد الحزب الحاكم فى وقت من الأوقات . قال الإخوان " نحن أكثر عددا وتنظيما. فلماذا لا تستفيدون منا." ! هذا ما أكدته جريدة آفاق عربية فى عددها الصادر فى ١٠ ذى الحجة ١٤٢٥هـ (٦٩٢) قال د/ محمد حبيب : « إنهم باستبعادهم الإخوان يفقدون الرصيد والزخم الشعبي للإخوان الذى يلعب دورا مهما فى الضغط السياسي على النظام الحاكم»أهـ

وقال فى نفس العدد : « فاستبعاد فصيل سياسي شعبي تعلمون يقينا أنه الفصيل الأقوى تنظيما وانتشارا على الساحة يجعلكم تخسرون (وتخسر قضية الإصلاح معكم) رصيدا شعبيا أنتم فى مسيس الحاجة إليه»أهـ

وقال عصام العريان : «فأحزاب المعارضة ستجد نفسها مضطرة في النهاية لوضع يدها في يد الجماعة بصفتها السبيل الوحيد للوصول إلى الشعب» (نافذة مصر نت/ ٢٠ مارس ٢٠٠٧م) .

ربما يتكابر أحدهم لأجل اتهامنا الإخوان المسلمين بالإفلاس السياسي ، غير أن المطلع على تاريخ الإخوان لو كان منصفا فلن يخرج بغير هذه النتيجة .. وليعلم الناس أن وصول الإخوان إلى الحكم سيكون على حساب الأمة التى ستسقط فى الوحل ، جراء حمق الإخوان فى فهم المعادلات الدولية والمتغيرات السياسية .. وهذه شهادة أحمد رائف .. وقد اتهمهم بالسذاجة السياسية ، وقصر النظر فى مرحلة الثورة وما بعدها . حيث ظنوا أن الرص والتجميع أمر كاف لإقامة الدول . والقضية أكبر من ذلك ، فقال عنهم فى كتابه (صفحات من تاريخ الإخوان .ص/ ٢٣٣) : « إنهم كانوا فى مرحلة لا يعرفون من معهم ومن عليهم ، وخططهم غير واضحة ، وخبرتهم السياسية ضعيفة» أهـ

وقال ص/ ٢٣٦ : « كان جسم الإخوان المسلمين أو البنية الأساسية لهم تعتمد على مدرسى المدارس الإلزامية والصناع بمختلف تخصصاتهم .. لهذا كان الإدراك السياسي العام ضعيفا مع انعدام القدرة على تكوين الكوادر السياسية وقيادة الشارع المصرى من خلال تبنى مشاكله الرئيسية .. وبوجه عام لم تمنحهم الأحداث

الفرصة الكافية العادلة للتفكير والتخطيط ، وتصوروا خطأ أن طبيعة المرحلة تقتضى الحشد والجمع ورص الصفوف لجند قد لا يتبينون الخطة الكلية ، وقادة لا يعرفون غاية هذا الحشد على وجه واضح مبين .. كل هذا ترك أثره على الجماعة عندما دخلت حربا من نوع جديد لم تعهده من قبل ، واستغرقتها تفصيلات لم تكن ببالها» أهـ .

وقال ص/ ٢٣٧ : « كانوا عاطفيين أكثر مما ينبغي فى بساطة المؤمنين وسذاجة الصالحين وغفلة المتحمسين» أهـ

وأكد عبد المنعم أبو الفتوح أن الإخوان لا يزالون على هذا الوصف ، قائلا : «ليس في صالح مصر أن يصل الإخوان في هذه المرحلة إلى السلطة .. لكنني أدرك أيضا أن القدرة على الوصول إلى كرسي الحكم ليست المعيار الوحيد لصلاحية الفكرة. ولكن هناك معيارا آخر حاسما يتمثل في مدى قدرتك على قيادة البلاد والخروج بها من أزمتها وتحقيق مصلحة هذا الشعب في مثل تلك الظروف والمعطيات الإقليمية والدولية ، وأزعم أن الإخوان لن يتمكنوا من تحقيق كل هذه الأهداف إن هم وصلوا للسلطة في هذا التوقيت»(إسلام أون لاين. نت.عبد الرحيم على١٧ / ٤ / ٢٠٠٥م) .

وقد عبر الأستاذ فتحى يكن " المنظر الإخوانى المعروف " عن هذا الفشل الذريع فى دعوة الإخوان وعدم قدرتهم على الوصول إلى الحكم بعد ما يقرب من سبعين عاما من إنشاء دعوة الإخوان ... وذلك فى كتابه " مشكلات الدعوة والداعية " بقوله : « المراقب لما يجرى في نطاق العمل للإسلام خلال نصف القرن الماضي تبدو له ملامح ظاهرة مخيفة ، وهي أن الأعمال والتجارب التي قامت في هذا النطاق تجريان في دوامة مغلقة من التكامل والتآكل ... والمقصود بالتكامل ، والتآكل هو أن التجارب التي قامت لا تكاد عناصرها تتكامل حتى تأخذ بالانفراط قبل أن تحقق الهدف الرئيسي من وجودها بإقامة المجتمع الإسلامي واستئناف الحياة الإسلامية ، وتبدو ملامح هذه الظاهرة بشكل بارز وملحوظ على صعيد (المنطقة العربية) حيث عجزت الحركات الإسلامية عن تحقيق ولو تجربة واحدة في قطر واحـد على الأقل»أهـ

نهاية العمل السياسي عند حسن البنا ..

كان حسن البنا يرى أن المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا ، فقال : «المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا مهتما بها غيورا عليها .. وأن على كل جمعية إسلامية أن تضع على رأس برنامجها الاهتمام بشئون أمتها السياسية وإلا كانت تحتاج هى نفسها أن تفهم معنى الإسلام » (الرسائل ص/ ٣١٢) .

ودعاة أنصار السنة وأهل الحديث لا يسفهون قضايا المسلمين ، ولا يقللون من مكانتها ، ولا يزعمون أن سياسة المجتمعات والاهتمام بأمور المسلمين ليس من الإسلام ، بل هو حق من حقوق الإسلام والمسلمين ، وبالتخصيص من حقوق الولاء والبراء ، ومن لوازم الحب فى الله والبغض فى الله .. ولكنهم يؤكدون أن سلوك السياسة ونصح الحكام لايكون بإثارة الفتن والمظاهرات والاعتصامات ، كما أنهم يؤمنون أن الحكم فى دقائق النوازل ليس للعامة ولا للسفهاء ، ولكنه حق محض لأهل العلم والاجتهاد والدراية من الساسة والعلماء ولا يحق لأحد أن ينازعهم فيه . قال الإمام ابن القيم : « العالم بكتاب الله وسنة رسوله وأقوال الصحابة فهو المجتهد في أحكام النوازل» (إعلام الموقعين ٤ / ٢١٢) .

ولعظم المسئولية السياسية كان أنبياء بنى إسرائيل يسوسون قومهم ، ثم صار هذا الأمر حقا محضا للخلفاء والأئمة والعلماء وأصحاب الاختصاص ، لايجوز للعامة منازعتهم فيه ، وفى الحديث : « كانت بنو إسرائيل تسوسهم الأنبياء ، كلما هلك نبي خلفه نبي، وإنه لا نبي بعدي ، وسيكون خلفاء فيكثرون » (متفق عليه)

فليس لكل أحد أن يتناول تلك القضايا ، أو يتخذها تكأة لإثارة السفهاء والرويبضة ، ليتكلموا فى أمر الأمة ، و يحددوا لها ما يجوز وما لا يجوز .. والرويبضة كما عرفهم الرسول ﷺ : « الرجل التافه يتكلم في أمر العامة » (رواه أحمد وابن ماجه ، انظر صحيح الجامع برقم ٣٦٥٠) .

هذا هو الذى ينكره أهل السنة على الإخوان المسلمين .. كما ينكرون أن

تكون الحكومة ركنا من أركان الإسلام .. كما زعم حسن البنا .. أو تكون شرطا من شروطة ، لايتم إسلام المسلم إلا به ،كما قال فى رسالة المؤتمر الخامس : « وهذا الإسلام الذي يؤمن به الإخوان المسلمون يجعل الحكومة ركنا من أركانه » (مجموعة الرسائل ص٢٧١-٢٧٢) بل الحكومة واجب من واجبات الإسلام

فماذا إذا تعارضت السياسة مع دعوة الإخوان .؟

لو أن أحد الدعاة المصلحين طلب من الإخوان ترك النزاعات السياسية والتفرغ للدعوة الخالصة إلى الله تعالى لاتهموه بالجبن والعمالة ، فضلا عن اتهامه بعدم إدراك المسئولية الكاملة ، وعدم فهم شمولية الدين ، وعدم فقه الواقع ... لكن حين يأتى الأمر من الداخل ، ويكون تعبيرا عن عمق الأخطاء التى ارتكبوها فى هذا المجال ، فهذا شأن آخر .. فهم أهل النباهة والفطنة والذكاء .!

فقد تغيرت الأمور وظهرت الخفايا ، وكثرت الأخطاء ، ولا بد من التراجع وترك السياسة لأصحابها ولو للحزب الوطنى . !

لقد وقعت أحداث جسام ، ولا بد من التعامل مع الأحداث بما يناسبها ، ولو أدى ذلك إلى التنازل عن الدور السياسي .. نعم الدور السياسي ..! فهل من الممكن أن يتنازل حسن البنا عن الدور السياسي لجماعة الإخوان المسلمين ، ويتحمل تلك التهم التى كان يلقيها على مخالفيه ، أم ماذا يكون الأمر .. ؟

فى ١١ / ١ / ١٩٤٩م أصدر حسن البنا بيانا للناس نشر فى الصحف حينها، وقد كان هذا البيان صفقة بين الحكومة وبين حسن البنا إذ تقوم الحكومة بموجيه بالإفراج عن أعضاء " مكتب الإرشاد " ، فى مقابل إصدار بيان يستنكر مقتل النقراشي باشا .. و جاء فى هذا البيان دعوة صريحة من حسن البنا إلى الإخوان أن ينصرفوا إلى أعمالهم ، ولا يكدروا الأمن ، وليعلموا أن الدولة والملك والحكومة تقوم بدورها المنوط بها فى إخلاص ودأب .. وبين أن من يخالف هذا البيان يعد عونا لأعداء الوطن فى بلبلة البلاد .. وفيه قال : « ولما كانت بلادنا تجتاز الآن مرحلة من أدق مراحل حياتها مما يوجب أن يتوفر لها كامل الهدوء والطمأنينة والاستقرار -

وكان جلالة الملك المعظم (حفظه الله) قد تفضل فوجه الحكومة القائمة – وفيها الخلاصة من رجالات مصر – هذه الوجهة الصالحة وجهة العمل على جمع كلمة الأمة وضم صفوفها وتوجيه جهودها وكفاياتها مجتمعة لا موزعة إلى ما فيه خيرها وصلاح أمرها فى الداخل والخارج ، وقد أخذت الحكومة من أول لحظة تعمل على تحقيق هذا التوجيه الكريم فى إخلاص ودأب وصدق .. وكل ذلك يفرض علينا أن نبذل كل جهد ونستنفذ كل وسع فى أن نعين الحكومة فى مهمتها ونوفر لها كل وقت ومجهود للقيام بواجبها والنهوض بعبئها الثقيل ، ولا يتسنى ذلك لها بحق إلا إذا وثقت تماما من استتباب الأمن واستقرار النظام ، والعمل على استتباب الأمن واستقرار النظام واجب فى الظروف العادية ، فكيف بهذه الظروف الدقيقة الحاسمة التى لا يستفيد فيها من بلبلة الخواطر وتصادم القوى وتشعب الجهود إلا خصوم الوطن وأعداء نهضته ..لهذا أناشد إخوانى لله وللمصلحة العامة أن يكون كل منهم عونا على تحقيق هذا المعنى وأن ينصرفوا إلى أعمالهم ويبتعدوا عن كل عمل يتعارض مع استقرار الأمن وشمول الطمأنينة حتى يؤدوا بذلك حق الله والوطن عنهم .. والله أسأل أن يحفظ جلالة الملك المعظم بعين رعايته ويسدد خطى البلاد حكومة وشعبا فى عهده الموفق إلى ما فيه الخير والفلاح آمين » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ٦٤) .

لقد نظر حسن البنا للأحداث ووجد أنها دامية .. وتبين له أن ثمار عمله باءت بالفشل ، فبدأ يقيم دعوته ، ويراجع خططه ، وينظر فى منهجه ، حتى خلص إلى أن المظاهرات الصاخبة والمقالات اللاسعة ، و الزيارات التى كان يقوم بها للشعب الإخوانية ، والصيحات التى كان يسمعها من أتباعه لا تربي ولا تثمر شيئا فى أمر الدين ، وأنه لو قام بتربية مائة شاب على الدعوة الصحيحة والمنهج السليم لكان خيرا له من هذا الهباء المنثور. . وقد بلور الدكتور / عبد العزيز كامل حقيقة المشاعر التى كانت تجيش فى نفس حسن البنا ، قائلا : « ولكن الرجل عاد ـ من رحلة الحج ـ ليجد حوادث القنابل والانفجارات فى القاهرة .. سلسلة توالت حلقاتها : انفجار ممر شيكوريل ، شركة الإعلانات الشرقية ، حارة اليهود .. وإلى جوار الانفجارات

مصرع المستشار الخازندار من رجال القضاء ، ومصرع سليم زكى من رجال الأمن .. ملامح الصورة يرسمها المسدس والقنبلة والديناميت .. وكانت ملامح القلق بادية على وجهه ، حتى المحاضرات وزيارات الأقاليم زهد فيها . بأذنى سمعت منه فى وصف هذه الاحتفالات العامة بأنه " شغل دكاكيني " أى عمل صغير متفرق لا قيمة له. ويأتى مصرع النقراشي باشا رئيس الحكومة ليضع الأستاذ فى أشد المواقف حرجا..

كان كل أمله ـ كما سمعت منه بنفسي ـ أن يخلص باسم الإخوان المسلمين ومائة شاب أربيهم ينتشرون فى الأرض داعين إلى الإسلام ، ويجادلون الله عنى يوم القيامة حين يسألنى أقول يا رب ربيت هؤلاء ونشرتهم فى الأرض يدعون إلى دينك "... حصاد العمر الطويل : آلاف الشعب وآلاف المعسكرات ، وآلاف الحفلات والجرائد والمجلات والمنشورات ، ترتكز عنده فى مائة شاب يلقى الله بهم » (مذكرات . عبد العزيز كامل . ص/ ٥٩) .

وأكد حسن البنا حقيقة تلك المشاعر ، وبين أنه على استعداد أن يساير الدولة فى توجهاتها ، أو يتنازل بالكلية عن دوره فى المجتمع ، سواء كان دورا سياسيا أو غير سياسي ، قائلا : « إنى خيرت المسئولين فى واحدة من ثلاث هى: إما أن يطلقوا سراح كبار الإخوان ، لنعمل معا جادين مخلصين حسب توجيه الحكومة ، حتى تطمئن ويزول ما فى النفوس وتهدأ الخواطر ، وإما أن يختاروا قرية ألجأ إليها ولو كانت مكانا قفرا ، وإما أن يسمحوا لى بمغادرة القطر إلى أى بلد عربى أو إسلامى ، فلم يستجيبوا إلى أى واحدة من الثلاث » أهـ

تلك هى نهاية الرحلة السياسية لحسن البنا . قال القرضاوى (سيرة ومسيرة . ٢ / ٧٦، ٧٧) : « وقد حاول الإمام الشهيد حسن البنا بعد حل الإخوان عام ١٩٤٨م أن يسلك كل السبل ليجنب الإخوان الصدام الدامى مع الحكومة ، ولو تنازل عن بعض الأشياء فى سبيل هذا الهدف ، حتى إنه قبل أن يترك السياسة فى تلك الفترة ويتفرغ للتربية » أهـ وأكد على ذلك محمود عبد الحليم ، نقلا عن الأستاذ فتحى رضوان قال : « فى شتاء ١٩٤٨م كنت دائم الاتصال بالمرحوم الأستاذ البنا ، وقد

أسفر هذا الاتصال عن تفكيره رحمه الله جديا أن يكل نشاط الإخوان المسلمين السياسي إلى الحزب الوطنى ، وأن يقتصر عمله هو ودعوته على الناحية الدينية » (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ١٢٩) .

وعلق محمود عبد الحليم على هذا التصرف قائلا : « تفكير الأستاذ المرشد العام فى أن يكل نشاط الإخوان السياسي إلى الحزب الوطنى أمر لم يكن لى به علم سابق حيث ، كنت فى ذلك الوقت فى القاهرة . ولكنى لا أستبعده ، فالأستاذ (رحمه الله) كان لبيبا مرنا، واسع الحيلة ألمعيا» (أحداث صنعت التاريخ ٢ / ١٣٠) فالشيخ حسن البنا إذا قال بالسياسة فهو ألمعى لبيب،ومن خالفه فهو ناقص الإسلام.! وإذا قال بترك السياسة فلا رجل مثله ، ومن خالفه فهو غبى .!

وقد سبق لحسن البنا أن تنازل عن خوض العمل السياسي فى صورة الانتخابات البرلمانية ، ليفسح الطريق للدعوة ، وذلك فى أوائل الأربعينات ...ويعد هذا أيضا من حكمته البالغة .. كما صورها عباس السيسي فى كتابه(مواقف فى الدعوة والتربية) قال : « وفي مارس سنة ١٩٤٢م تقدم الأستاذ المرشد ورشح نفسه في دائرة الإسماعيلية، واكتفى الإخوان بترشيح المرشد فقط عملا بسنة التدرج في الخطوات » أهـ ..

غير أن النحاس باشا مراعاة لحال البلاد طلب منه التنازل عن الترشيح فى مقابل أن يفتح له باب الدعوة . فوافق على التنازل عن العمل السياسي وخضع لإملاءات النحاس باشا .. قال حسن البنا : « ولقد جئت اليوم لأضع أمام الإخوان هذه التطورات الجديدة ، فقد دعاني مصطفى النحاس باشا رئيس الحكومة إلى مكتبه وطلب مني ضرورة أن أتنازل عن ترشيح نفسي عن دائرة الإسماعيلية، فلما سألته عن الأسباب المبررة لهذا الطلب، قال لي : البلد في حالة حرب، ومصلحة البلد أن تتنازل .. وقال : إنه في حالة قبول التنازل ، لا مانع عندي من أن يكون لك حرية الدعوة في كل مكان .. وأمام هذا التصريح وافقت على أن أتنازل عن ترشيح نفسي» أهـ ..

وتحقق له من عام ١٩٤٢م حتى عام ١٩٤٨م فى مجال الدعوة ما لم يتحقق له فى السياسة .. قال عباس السيسي : « فكانت الفترة الزمنية ما بين عام ١٩٤٢م إلى نهاية عام ١٩٤٨م من أكثر فترات الدعوة بركة وأنجحها في تاريخ الدعوة ، حيث أتيح للإمام أن يسابق الزمن في الوصول بالدعوة الإسلامية إلى مضمونها الكامل في كل مناحي الحياة الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتربوية» أهـ

وقبل ذلك بثلاثة أعوام خطط حسن البنا لترك العمل السياسي وعدم التدخل فى الأحداث الجارية واتخاذ مواقف سياسية معينة ، وذلك مع بدء اندلاع الحرب العالمية الثانية فى عام ١٩٣٩م .. مكتفيا بالعمل التربوى والاجتماعي ، ليقطع شوطا كبيرا فى الدعوة ، يسهم فيه انشغال المستعمر والحكومة بالحرب . قال محمود عبد الحليم: « وكان المرشد يرى أن الحرب العالمية تغير وجه العالم وتفعل فى سنواتها ما لايتم فعله من تغيير فى مئات السنين .. فهى تختصر الزمن .. وعلى العقلاء الانتفاع بهذه الميزة قبل فواتها ..الخ

ومن هنا كان يرى : « أنه فى سبيل إنجاز هذا العمل الكبير يجب على الإخوان ـ فى خلال فترة الحرب - أن يغضوا الطرف عن الشئون السياسية فيتجنبوا اتخاذ مواقف سياسية محددة ما استطاعوا إلى ذلك سبيلا ، مكتفين بالتعرض لما سوى ذلك من الشئون التربوية والاجتماعية والاقتصادية ، وإذا دهمهم أمر سياسي معين فعليهم أن يتفادوه وأن يطوعوه لخدمة هدفهم الكبير .. ثم قال : إذا سلك الإخوان هذا المسلك فإنهم سيفاجئون العالم بعد انتهاء الحرب بأقوى هيئة قادرة على المواجهة وقادرة على النهوض بأثقل التبعات ويستحيل على أية قوة أن تقضي عليها لأنها تكون قد تركزت فى النفوس واختلطت بالمنهج وضربت بجذور الأعماق » (أحداث صنعت التاريخ ١ / ٢٤٤) .

ولم يكن حسن البنا بمفرده الذى انتهى إلى ترك العمل السياسي وإسناده إلى الساسة المخالفين له فى الرأى والمنهج ، المتهمين من وجهة نظره بالتذبذب والانشغال بالمصالح الشخصية على حساب مصالح الأمة ، بل شاركه فى ذلك حسن الهضيبي فيما بعد .. وذلك بقوله لحسن عشماوى : « قل لعبد الناصر نحن مستعدون أن

نسلمه مفتاح المركز العام (أى ننهى وجودنا كجماعة ولا تراق نقطة دم واحدة من أى مصرى » (آفاق عربية عدد٦٤٨ مقال د/ جابر قميحة) وذهب سيد قطب إلى : «عدم إضاعة الجهد بالتدخل في الأحداث السياسية المحلية الجارية » (لماذا أعدموني) ..

وفى مؤتمر ملتقى الفكر الإسلامى الذى انعقد فى الجزائر في الثمانينات : « وقف الدكتور سعيد رمضان البوطى يتحدث عن ضرورة اشتغال الدعاة بالتربية الروحية ، وترك السياسة لأربابها ، ويكفى الحكام أو الساسة ما يعانون من متاعب الحكم وآفات السياسة » (الشيخ الغزالى كما عرفته. ص/ ٢٨٠)

كذلك لم يستطع الإخوان المعاصرون الصمود أمام الضغوط الفكرية الذى تعرضوا لها فى الآونة الأخيرة ، خاصة بعد حصولهم على بعض الكراسى فى المجالس النيابية. فقاموا بعرض مرحلة جديدة فى حياة الجماعة تقوم على فصل العمل الدعوى عن العمل السياسي ، وذلك بتأهيل مجموعة من الشباب للخطاب السياسي وأخرى للعمل الدعوى . ولاعلاقة لهؤلاء بأولئك .. أرادوا طمأنة جميع الأطياف السياسية فى حالة وصولهم إلى الحكم ، والتأكيد على أن الخطاب الدينى لن يؤثر بشكل مباشر فى توجهاتهم السياسية ، وأنهم يقبلون كل الاتجاهات الفكرية، ولو فى صورة حزب محافظ يتكلم فقط عن الآداب والأخلاق ، بعيدا عن القضايا الشرعية والدينية الخاصة ..

وقد كشف حقيقة هذا التوجه الدكتور/ عصام العريان ، كما نقل عنه الأستاذ حمدي الحسيني مراسل إسلام أون لاين.نت فى ٢٦-١٢-٢٠٠٥ حيث قال : «صرح القيادي البارز بجماعة الإخوان المسلمين الدكتور عصام العريان أن الجماعة مستعدة للفصل بين النشاط الدعوي والنشاط الحزبي السياسي، شريطة أن يسمح المناخ السياسي في مصر بذلك.. وحول دوافع عملية الفصل بين النشاط الدعوي والحزبي قال د/ العريان : « نريد طمأنة الجميع ، وتحميلهم المسئولية معنا ، خاصة الشعب الذي غاب عن المشاركة السياسية الفعالة"» أهـ .

.. وعندما شرع الإخوان فى عرض مشروعهم السياسي أكدوا أنه لا علاقة له بأى دين من الأديان .. ونادى جمال حشمت بتغيير لغة الخطاب فيه ، وإخراجه من هيمة النص الديني ، حتى يتلائم مع الجميع ، قائلا : « كل ما نرجوه فى برنامج الحزب الذى طال انتظاره أن يراعى عدة أمور إجمالية وتفصيلية .. أن يصاغ بلغة سياسية بعيدا عن الصيغات التراثية الدينية - رغم مرجعيته الإسلامية- كى يفهمها الجميع ولكى يتجمع عليها كل من يقتنع بها بغض النظر عن مرجعيته أو ديانته هو ! وهى مهمة لاشك فى صعوبتها» (نافذة مصر.نت ٣٠/ ٧/ ٢٠٠٧م)

تلك هى دعوة الإخوان تتناقض مع مبادئها وتهدم ثوابتها .. وتنزل منبطحة مهزومة ، تاركة الصيغة الشرعية الدينية ، التى أنشأت الجماعة من أجلها ، لتلبي احتياجات جميع الأطياف والأيدلوجيات . ولاشك أن العمل المستمسك بالمبادىء والقواعد التى تعبر عن حقيقة المعتقدات والأصول التى بنيت عليها الجماعة .. أى جماعة .. غير العمل المتأثر بالاتجاهات والمتغير بالعوارض ، القائم على الوصول إلى الحكم ، كغاية عظمى فى المقام الأول .

كانت هذه تجربة خاصة خاضها حسن البنا لم يصل بها إلى غايته الكبرى ، ولم يكن يدرك عظم المصائب التى ستمر بها جماعته ، كما كان يراها العلماء فى زمنه .. حتى انتهى إلى التنازل عن العمل السياسي ، والاستراحة من شروره وفتنه إلى الحزب الوطني ،و نقض ما كان يدعو إليه حين قال : بأن « المسلم لن يتم إسلامه إلا إذا كان سياسيا ».!! لعل الإخوان يستوعبون النصيحة النبوية . التى أشار إليها حديث العرباض بن سارية وفيه قال النبى ﷺ : « إنه من يعش منكم فسيرى اختلافا كثيرا فعليكم بسنتي وسنة الخلفاء الراشدين المهديين من بعدى عضوا عليها بالنواجذ وإياكم ومحدثات الأمور فإن كل محدثة بدعة وكل بدعة ضلالة» (رواه الترمذي وقال : حديث حسن صحيح)

الفكر الاشتراكي فى دعوة الإخوان

فى الزمن الماضي لم يكن عند الإخوان مانع من أن يعيشوا فى ظل أى فكر ، سواء كان فكرا اشتراكيا أو فكرا رأسماليا . فقد كان الشيوعيون يوجهون الأسئلة للإخوان قائلين لهم : لنا برنامج اقتصادى فهل لكم برنامج ؟ فقام محمود عساف يسأل حسن البنا عن ذلك فقال : « إن برنامجنا الاقتصادى هو ما يقضى به الإسلام وهو العدل . والعدل يمكن أن يتحقق فى الشيوعية وفى الرأسمالية على السواء .. لذلك فإن المذاهب السياسية لا تعنينا ، ويمكن أن يطبق الإسلام فى ظل نظام اشتراكى يقوم على العدل ، كما يمكن أن يطبق فى ظل نظام رأسمالى يتوخى العدل ، ونحن لا نسبق الظروف ، وحينما يحين الوقت الملائم الذى لا بد أن نقدم فيه برنامجنا فسنفعل هناك مثلا : الملكية الزراعية التى ينبغى تحديدها . الخ » (الإمام الشهيد ص/ ٢٢) .

وفى زمن الثورة ..كان الإخوان من أكبر دعاة الاشتراكية .. والاشتراكية هى المرحلة الاقتصادية فى الفكر الشيوعي ، ومنها برز فكر التأميم والتضييق على الممتلكات الخاصة ، وفيها يأخذ العامل ما يكفيه لا مايستحقه .. والواقع يشهد أنه ما من دولة سلكت هذا السبيل إلا افتقرت وأفلست ، كما افتقر الاتحاد السوفيتى وتفكك ، أو تحولت عنه إلى اقتصاديات السوق الرأسمالى ، كما تحولت الصين فى المجال العملى التطبيقى.. فالاشتراكية فضلا عن كونها نظام اقتصادي فاشل ، لم يثبت نجاحها بالتجربة والبرهان .. فإنها مخالفة لفطرة الله التى فطر الناس عليها .. فقد خلق الله تعالى الناس درجات متفاوتة ، وقسم بينهم أرزاقهم ، كما قسم بينهم أخلاقهم ، قال تعالى : ﴿ نحن قسمنا بينهم معيشتهم في الحياة الدنيا ورفعنا بعضهم فوق بعض درجات ليتخذ بعضهم بعضاً سخرياً ورحمة ربك خير مما يجمعون﴾ [الزخرف : ٣٢].

وقد أمر الله تعالى عباده المؤمنين بالإيمان بالقضاء والقدر ليعيش المرء فى

كنف الرضا بما قسم الله تعالى .. والواجب على المؤمن أن يقنع بما أعطاه الله ، ولا يطمع فيما فى أيدى الغير ، وأن يؤدى ماعليه من حقوق لمجتمعه المسلم ، ولا يتفنن فى الاعتداء على عباد الله ، لتميزهم عليه بشىء من المال أوالولد والجاه ، فهذا اعتراض على قدر الله ، ومشاركة لإبليس في حسده على عباد الله . والاشتراكية كذلك .سخط على الأرزاق .. واعتراض على القدر .

وقد أسس الأستاذ / محمد الغزالى للنظرية الاشتراكية فى مصر فى زمن الثورة، فهو أستاذ سيد قطب فى هذا الفكر . ومن جملة ما قال فى هذا الباب : « وأرى أن بلوغ هذه الأهداف يستلزم أن نقتبس من التفاصيل التي وضعتها الاشتراكية الحديثة مثلما اقتبسنا صورا لا تزال مقتضبة - من الديمقراطية الحديثة- ما دام ذلك في نطاق ما يعرف من عقائد وقواعد ، وفي مقدمة ما نرى الإسراع بتطبيقه في هذه الميادين تقييد الملكيات الكبرى وتأميم المرافق العامة » (الإسلام المفترى عليه.ص٧٠) وقال فى نفس الكتاب . ص/ ٧٩ : « إن أبا ذر استقى نزعته الاشتراكية من الرسول صلوات الله وسلامه عليه . » أهـ وقال ص/ ٨٤ : « عمر أعظم فقيه اشتراكي تولى الحكم».أهـ ووضع الخطط الكاملة والبرامج المتنوعة للنظام الاشتراكي على مستوى الدولة ، فى كتابه (الإسلام والأوضاع الاقتصادية) ، فقال : « وخطط الإصلاح التى رسمناها توجب علينا ـ دينا ودنيا ـ أن تشكل أوضاعنا الاقتصادية على نحو جديد ؛ إن كنا جادين فى دفع غوائل الفوضى والفساد فى بلادنا .. وأمامنا صور حية وبرامج مدروسة وأنظمة مطبقة فى كثير من أقطار الأرض يجب أن نقتبس منها ما نقيم به العوج ، ونحسم به الداء ، ونقترح على سبيل المثال لا الحصر الحلول الآتية لإنهاء بعض مشاكلنا السياسية والاجتماعية والأخلاقية .. وذكر منها:

١ - تأميم المرافق العامة وجعل الدولة هى المالكة الأولى لموارد الاستغلال ..، وإلغاء الشركات المحتكرة لخيرات الوطن أجنبية أم غير أجنبية ..

٢ - تحديد الملكيات الزراعية الكبرى ... الخ

٣- فرض ضرائب على رؤوس الأموال الكبرى يقصد بها تحديد الملكيات

الغير زراعية.الخ

٤- تفرض ضريبة تصاعدية على التركات .. الخ (الإسلام والأوضاع الاقتصادية . ص/ ١٨٢ . ط. دار القلم ٢٠٠٠م)

وقد كان لسيد قطب الدور الأكبر بعد الغزالى فى تأصيل المفهوم الاشتراكى القائم على نزع الملكيات ، ولو كانت آتية بطريق شرعى ، لضباط الثورة المصرية ، وذلك قبل الثورة .. ثم قدمه لضباط الثورة على أساس أن هذا من صميم الدين والإسلام ، فقال فى كتابه (معركة الإسلام والرأسمالية.ص/ ٤٣، ٤٤) : « وفى يد الدولة أن تنزع الملكيات وتأخذ من الثروات ـ بنسب معينة ـ كل ما تجده ضروريا لتعديل أوضاع المجتمع أو لمواجهة نفقات إضافية ضرورية لحماية المجتمع من الآفات آفات الجهل ، وآفات المرض وآفات الحرمان .. إلى أن قال : بل فى يد الدولة أن تنزع الملكيات والثروات جميعا وتعيد توزيعها على أساس جديد ولو كانت هذه الملكيات قد قامت على الأسس التى يعترف بها الإسلام ونمت بالوسائل التى يبررها - لأن دفع الضرر عن المجتمع كله أو اتقاء الأضرار المتوقعة أولى بالرعاية من حقـوق الأفراد » أهـ

وعندما طبق عبد الناصر قانون الإصلاح الزراعى فى مصر عام ١٩٥٩م بارك مصطفى السباعى " المرشد العام للإخوان فى سوريا" خطواته . وقال فى.كتابه (اشتراكية الإسلام . ص/ ١٠٦ سلسلة اخترنا لك . عدد ١٠٨ .الدار القومية للطباعة والنشر . دار الكتب والوثائق - ى : ٣١٩٣٠ ، ٣١٩٣١): « ولهذا كله نرى أن تحديد الملكية الزراعية بقانون كقانون الإصلاح الزراعى ، الذى صدر فى مصر أولا ثم فى إقليمنا الشمالى ثانيا أمر تجيزه مبادىء التشريع فى الإسلام والواقع التاريخى لنحكم الإسلامى » . أهـ

ولم يكن هذا هو الكتاب الوحيد الذى اعتمد عليه فى الترويج للنظرية الاشتراكية فقد سبقه إلى ذلك كتاب " العدالة الاجتماعية لسيد قطب ".. الذى تأثر به قادة الثورة .. وقد أكد ذلك اللواء محمد نجيب أول رئيس لمجلس قيادة الثورة ..

وشهد بذلك الأستاذ محمد قطب الشقيق الأصغر لسيد قطب ، قائلا : قال محمد نجيب لسيد قطب تلفونيا : « نحن تلاميذك ، تتلمذنا على كتابك " العدالة الاجتماعية في الإسلام " ، وعلى مقالاتك في مجلة الاشتراكية، ونريد أن تكون أنت مستشارنا فى الأمور الداخلية . » (محمد قطب .تسجيل . ترجمة لحياة سيد قطب . موقع الإسلام اليوم . ١٣ / ٢ / ٢٠٠١م) .

ولم يكن الموقف من الاشتراكية ومشروع الإصلاح الزراعى ، الذى أصدره عبد الناصر موقفا خاصا بمفكرى الإخوان فقط ، بل هو موقف عامة الإخوان ، كما أكد على ذلك محمود عبد الحليم ، قائلا : « ومشروع الإصلاح الزراعى من المشاريع التى دار الحديث عنها قبل الثورة .. ولما قامت الثورة وجهت جل اهتمامها لوضع هذا المشروع موضع التنفيذ . ولما طلب رأى الإخوان فى المشروع وأبدوا رأيهم فيه تبين أن هناك نقطة معينة يختلف الإخوان مع الحكومة حولها ، وهى مقدار الحد الأعلى للملكية ، فالحكومة تراه مائتي فدان والإخوان يرونه خمسمائة فدان» (أحداث صنعت التاريخ . ٣ / ١٠٧) .

النظرية الثالثة لمعمر القذافى ...

لم يكن عبد الناصر بمفرده الذى تأثر بالفكر الاشتراكى ، الذى دعا إليه مفكرو الإخوان ، فقد زعم الإخوان أن العقيد معمر القذافى " قائد الثورة الليبية " اقتبس فكرة النظرية الثالثة من كتبهم وأقوال مفكريهم ..

وقد أكد ذلك الشيخ الغزالى فى كتابه (قذائف الحق.ص/ ١٢٣ منشورات المكتبة العصرية . بيروت) وفيه قال أحد قدامى الإخوان لمحمد الغزالى : « إننى فى حيرة ، وما أحسبنى كنت واهما عندما عددته من الجماعة ، إنه ليس فقيها إسلاميا ، ولا مفكرا إنسانيا يمكن وصفه بأنه أتى من عند نفسه بما أتى به ، إنه يردد كل ما كتبه الإخوان من نظرات اقتصادية وحماسة للشريعة الإسلامية .. وأنت خبير بأن ما نشر فى أرجاء العالم الإسلامي والعربي من هذه الكتابات لمؤلفى الإخوان أو لأصدقائهم العاملين معهم فى هذا الحقل والمتعرضين معهم للاضطهاد والبلاء .. لقد تبناه القذافى بما فيه من خطأ أو صواب ..

قلت (الغزالى) : أى خطأ ؟

قال : إنك أصدرت فى أوائل الأربعينات عدة كتب فى هذا الموضوع ، ثم نشر الأستاذ سيد قطب رحمه الله فى أواخر الأربعينات كتاب العدالة الاجتماعية ، ثم نشر الأستاذ مصطفى السباعى كتابه اشتراكية الإسلام فى أوائل الخمسينات ، وفى هذه الغضون تمت ترجمة رسائل الأستاذ أبى الأعلى المودودى ، وقد خلطتم الإسلام بالاشتراكية على نحو لا يرضى أعدادا من المسلمين ..

قلت : إننا أرينا الأجيال الناشئة من ديننا ما يغنى عن استيراد الفلسفات الأجنبية الشاردة ، وأنا شخصيا قد أكون تجوزت فى بعض العبارات ، لكن جوهر الموضوع إنصاف رائع لديننا الحنيف . قال : على أى حال فعن هذه الكتابات كلها نقل" القذافى"ما أسماه بالنظرية الثالثة...»أهـ

مرجعية عبد الناصر الاقتصادية ...

تكونت بنيات أفكار عبد الناصر فى الوجهة الاقتصادية أو توافقت مع فكر سيد قطب ومحمد الغزالى ، فقد قال الغزالى : " عمر أكبر فقيه اشتراكى " وكذلك قال عبد الناصر.. وقال سيد قطب " لقد طبق عمر الاشتراكية فى سواد العراق ووزع الأرض على العامة ".. وكذلك قال عبد الناصر ..

وقال محمد نجيب لسيد قطب نحن تتلمذنا على كتابك العدالة الاجتماعية .. فقد كان عبد الناصر يسعى إلى تطبيق الاشتراكية - بمرجعية دينية - ظنا منه أنها السبيل الأوحد لدفع الاستغلال .. وكان يحتج ببعض النصوص الواردة فى كتاب " العدالة الاجتماعية " لسيد قطب .. وكتاب " اشتراكية الإسلام" للسباعي وكتاب " أوضاعنا الاقتصادية " للغزالى .. وكان يرى أن للاشتراكية مرجعية دينية .وتلك هى الشواهد الدالة على ذلك : حدث ذات مرة خلاف بين عبد الناصر وبين كمال الدين حسين فى ٤ مارس ١٩٦٤م بشأن الإشتراكية .

قال كمال : « إن ما ورد فى الدين كاف لرفع الاستغلال » فحاول عبد الناصر أن يقنعه بأن الاشتراكية العلمية التى وردت فى الميثاق ليست ضد الإسلام .. وأن النبى محمد عليه الصلاة والسلام كان يقول : « الناس شركاء فى ثلاث.. الماء والنار والكلأ» وهى العناصر الرئيسية للحياة فى ذلك الوقت .. وذكره بأن عدد المساجد قد زاد فى عهد الثورة حتى كاد يتضاعف من ١١ ألف مسجد إلى ٢١ ألف مسجد » (قصة ثورة ٢٣ يوليو لحمروش. مدبولى)

وقال فى يوم الوحدة ٢٢ فبراير ١٩٦٢م : « الدين الإسلامى ضد الظلم الاجتماعى وضد الاستعمار بكل معانيه ، إن الدين الإسلامى كان أول ثورة وضعت المبادىء الاشتراكية التى هى خاصة بالعدالة والمساواة » (عبد الله إمام .دراسة فى فكر عبد الناصر ص/ ٣٦٥) .

وحين التقى مع هيئة كبار العلماء فى اليمن . صنعاء ١٩٦٤م قال :« الإسلام

لم يكن دينا فقط .. ولكنه كان دينا ينظم العدالة على الأرض وينظم المساواة وينظم تكافؤ الفرص .. وهذا كله عبرنا عنه لكم فى كلمة واحدة هى الاشتراكية ..الاشتراكية التى سنها محمد ﷺ ..الاشتراكية التى سنها عمر بن الخطاب ، الذى كان يخطب فى الناس ويقول لهم من رأى منكم فى اعوجاجا فليقومه ، وكانوا يقولون له بكل جرأة لو رأينا فيك اعوجاجا لقومناه » أهـ

وفى لقائه مع أعضاء اللجنة التنفيذية يومى ٧، ٨ مارس ١٩٦٨ م قال :« أما النقطة الخاصة بعدم وضوح الرؤية وعلاقة الاشتراكية بالدين ، فقد تكلمت فى مؤتمر قوى الشعب العاملة بكل وضوح وصراحة وفى التلفزيون وفى الراديو ، وأوضحت الفرق بين الشيوعية وبين اشتراكيتنا وعددت أسباب ذلك .. وسبق أن تكلمت فى بورسعيد ، ولا ينقصنى إلا الصعود لمئذنة القلعة وأن أقسم على ذلك ، ورغم هذا ستجد من يتشكك و لا يصدق ، إذن يوجد أناس لايريدون التصديق أبدا .. هل حجرنا على الدين ؟ . لا . هل منعنا الصلاة .؟ لا .. بل العكس .. جعلنا تدريس الدين إجباريا فى المدارس ، وجعلناه مادة أساسية يترتب عليها الرسوب أوالنجاح فى الامتحان ، وكذلك نبى الكثير من المساجد ، زاد اهتمامنا بالجامعة الأزهرية .. أنا مثلا عندما تكلمت عن الاشتراكية والإسلام ضربت أمثلة حتى يعلم الناس أنه فى وقت ظهور الإسلام طبقت الاشتراكية والعدالة الاجتماعية فى موضوعات كثيرة .. فعندما دخل الإسلام العراق طبقت الاشتراكية بالنسبة للأرض وكذلك فى الأندلس» (دراسة فى فكر عبد الناصر ص/ ٣٧٠ -٣٧١)

ونفى أن يكون له علاقة بالماركسية ، قائلا : « اشتراكيتنا اشتراكية علمية ، قائمة على العلم ، وليست قائمة على الفوضى ... مقلناش اشتراكيتنا اشتراكية مادية

ومقلناش إن احنا اشتراكيتنا اشتراكية ماركسية ، ومقلناش إن احنا خرجنا على الدين ... بل قلنا إن الدين بتاعنا أول دين اشتراكى ، وأن الإسلام فى القرون الوسطى حقق أول اشتراكية فى العالم ...» (لقاء الرئيس مع أعضاء المكاتب التنفيذية ٧-٨ مارس ١٩٦٨ عبد الله إمام ص/ ٣٦٩ . دراسة فى فكر عبد الناصر) فهذه

النصوص تؤكد ربط عبد الناصر الاشتراكية بالإسلام من خلال تلك المناهج التى عرضها الإخوان .. وقد كان من الممكن أن تعالج قضية الفقراء على أسس شرعية ، وأن يفتح الباب للأغنياء لاستثمار أموالهم ، وأرض مصر واسعة الأرجاء وطرق التملك فى الإسلام كثيرة ، غير أن سيد قطب ومحمد الغزالى نسوا ذلك ، وفتحوا الأبواب لسلب الأموال والممتلكات ، ولو كانت ناشئة من طرق معترف بها فى الإسلام .. وقد خلط سيد قطب والغزالى بين الغنائم التى كانت تجمعها الجيوش الإسلامية فى الحروب والفتوحات ، وبين الأموال التى فى حيازة أهلها .. فغنائم الحروب يجوز لولى الأمر أن يوزعها فى المصالح الشرعية العامة ، كما وزع النبى ﷺ أموال حنين على سائر العرب وقريش تأليفا لقلوبهم ، وكما وزع عمر الأرض فى سواد العراق على أهلها . . الخ أما الأموال التى فى حيازة أصحابها فلا يجوز الاعتداء عليها .. غير أن هاذين الرجلين أجازا سلبها وانتزاعها من أصحابها عنوة بغير رضا ، وقالا هذه تعامل معاملة تلك ، على غير هدى من السلف الصالح (رضى الله عنهم) ولو أنهم سلكوا طريق النبى ﷺ فى حفظ الأموال العامة ، وضيقوا السبل على الأموال المحرمة بمعرفة مصادرها لكان هذا أعظم للمجتمع وللأمة من التضييق على الأموال الحرة العفيفة ...

انتقاد عبد الناصر للمفهوم الاشتراكى ...

لم يكن عبد الناصر فى أول أمر الثورة مندفعا فى اتجاهاته الوطنية من خلال المفاهيم الاشتراكية ، إنما كان متأثرا بمعاناة الفقراء . وعلى الرغم من أن سيد قطب ومحمد الغزالى قدما الشبهات للساسة والمفكرين فى تعزيز المفهوم الاشتراكي فإن عبد الناصر لم يكن قانعا بهذا الفكر ، ولذلك انتقد المفهوم الاشتراكى أمام الجماهير فى مناقشات المؤتمر الوطنى عام ١٩٦٢م فقال : « إن الفكر الثورى قد وقع فى الخطأ حين توهم أن الطبقة المحتكرة التى كان لا بد أن تسلبها الثورة امتيازاتها الاستغلالية يمكن لها أن تقبل الوحدة الوطنية ».

ويفسر عبد الناصر ذلك فيما بعد فيقول فى يوم السد العالى ١٥ يناير عام ١٩٦٧م : « الأساس الذى بنى عليه الاتحاد القومى لم يكن بالأساس السليم ، شيء

ضد العقل .. وضد الطبيعة ، واحنا كنا طيبين جدا ، وعاوزين نلم الاقطاعى اللى أخدنا منه ألف فدان مع الفلاح اللى وزعنا عليه خمسة أفدنة ، وكنا بنعتبر أنه حينسى ويقول إن احنا بنمشى فى المجتمع الجديد» (قصة ثورة ٢٣ يوليو لحمروش .مطبعة مدبولى.ص/ ١٨٨)

عودة الحقوق إلى أصحابها ...

المحافظة على الملكية الفردية محافظة على الدولة ، وذلك لأن الدولة تمثل مجموع الأفراد . وإهدار الملكية الفردية إهدار للدولة ، وتضييع لمكانتها وذهاب لهيبتها ؛ لأن ذهاب الجزء يقضى بالضرورة على الكل .. والذى يعيش فى مصر يعلم أن قضية العقود والإيجارات المؤبدة من أعقد القضايا التى وقعت فى مصر ، لما تسببه من النزاعات والأحقاد بين الناس..وإصلاح هذا الأمر يحتاج إلى أزمنة طويلة ومع ذلك فقد تم علاجها بفضل الله تعالى ، وهذا من أعظم الأمور التى تحمد للرئيس مبارك ، إذ رد الأملاك الزراعية إلى أهلها الأصليين ، وغير صيغ العقود العامة ، بما يتوافق مع النظام الإسلامى ، الذى يجعل للفرد حرية التصرف فى أملاكه عند تأجيرها إلى أجل ، لا يمنعه أن يستردها إذا شاء ، كما هو الحال فى المملكة العربية السعودية .. وقد اعترض الاشتراكيون على تلك القرارات اعتراضا شديدا .. وأظن من تراجع الرئيس عبد الناصر عن المفهوم الاشتراكى وبيانه لفساده فى آخر حياته لو طال به العمر لانتهى إلى نفس ما انتهى إليه الرئيس مبارك .. فعبد الناصر لم يكن يطبق الاشتراكية فى مصر تطبيقا كاملا ، فهناك شركات ومؤسسات لم تكن تخضع للمفهوم الاشتراكى كشركات البترول ..وبينما كان عبد الناصر يملك الأرض للفلاحين كان لايملك المصانع للعمال . وهذا اتجاه متناقض مع المفهوم الاشتراكى .

فعبد الناصر لم تكن تشغله المفاهيم الاشتراكية بقدر ما كان يشغله الفقراء ، ولذاكان يقول " ليس فى الاشتراكية باباوات " ، ولكنه أخطأ عندما تصادم مع حقوق الأغنياء ، كما أنه أخطأ عندما لم يفرق بين العدالة والمساواة .

وقد اعترف بذلك فى خطاباته الأخيرة . وأظن أن هذا يدفع تمسك بعض

الاشتراكيين المقلدين للمفاهيم الموروثة مهما كان فيها من ظلم.. ويؤكد أن رد الأمور إلى العلم والشرع والدين أولى من التعصب للأشخاص والأفراد ، وأن الاعتراف بالخطأ أعظم من التمادى فى الباطل . وأن النظر فى المصالح العامة لا يكون على حساب المصالح الخاصة..

الفكر الديمقراطي فى دعوة الإخوان

الإسلام والممارسات الفكرية المعاصرة ..

الديمقراطية لها صور وأشكال حسب موقعها : فهى فى المفهوم السياسي يطلق عليها نفس الاسم " الديمقراطية " ، وفى المفهوم الاقتصادي يطلق عليها الرأسمالية ، وفى المفهوم الفكرى الثقافي يطلق عليها العلمانية .. وهى فى جميع المجالات تدور حول مفهوم الحرية المطلقة .. التى يروج للبعض أن يسميها بالليبرالية .. وهى كلمة لاتينية مشتقة من " ليبر" يعنى " الحر " وخلفها يتستر العلمانيون المعاصرون .

والإسلام لا يرد الأفكار لكونها مستوردة من بلاد كافرة ، فالأفكار المستوردة فيها الحق وفيها الباطل ، فهى لا تقبل على الإطلاق ولا ترد على الإطلاق ، بل لا بد من التفصيل ، فما كان منها حق قبلناه ، وما كان منها باطل رددناه .. وقد كان الإسلام أسبق فى بيان ماينفع الخلائق وما يضرهم .. ففى الإسلام الشورى قبل أن يعرف الغرب الديمقراطية التى يحلو للبعض أن يجعلها مرادفة لمفهوم الشورى .. وفى الإسلام الحرية المنضبطة قبل أن يعرف الغرب الحرية الإباحية ، فقد فتح الإسلام مجال الفكرة العلمية ، التى تميز بين الحق والباطل ، كما فتح مجال الفكرة التى تفرق بين النافع والضار . قال تعالى : ﴿ قل إنما أعظكم بواحدة أن تقوموا لله مثنى وفرادى ثم تتفكروا ﴾ [سبأ : ٤٦) فإذا انضبطت الفكرة وانتهى مراد السالكين إلى عبادة قوامها الحب والخوف والرجاء قذف الله تعالى فى قلوبهم نورا يضيىء سبلهم وسعادة خالصة يحسدهم عليها أهل الأرض باختلاف مللهم .. وإن حرموا ذلك غرقوا فى بحور الجنون والسفه .. قال تعالى : ﴿ ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه﴾ [البقرة : ١٣٠) ..

أما بالنسبة لأمور الدنيا وتجارب الحياة فلم يصادر الإسلام اختراعا .. ولم يرد رأيا ثابتا له قواعده وأصوله - سواء فى أمور الدين التى ترجع إلى الاجتهاد فى فهم النصوص وتنزيلها على الواقع ، أو فى أمور الدنيا التى تعتمد على التجربة

والبرهان.

بينما كان الغرب مغلولا فى ظلمات الطغيان والاستبداد ، وذلك بتسلط كهنة الكنائس على جميع فئات المجتمع ، فلا يستطيع عالم أن يناقش فكرا ، ولا أن يظهر اختراعا ، إلا إذا وافق عليه الكهنة والقساوسة.. وكذلك فى المعتقدات الدينية ، فلم يكن لأحد أن يناقش مفهوما دينيا على سبيل الدراسة والطلب ، بل عليه أن يؤمن به جبرا ، دون دليل من النقل الثابت أو العقل الصريح .. وهذا هو السبب فى بغض الغرب لمفهوم الدولة الدينية .

أما فى مجال الحقوق . فقد أوصى الإسلام بأهل الذمة خيرا ، واستطاع المجتمع المسلم أن يتعايش معهم بضوابط آمنة ، وضمن لهم أداء عبادتهم ، وحفظ كنائسهم ، ومنع إكراههم فى الدين ، قال تعالى : ﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي ﴾ ورفض الإساءة إليهم ، طالما أنهم موفون بالعهد الذى بينهم وبين الحاكم المسلم ، قال ﷺ : « من قتل معاهدا لم يرح رائحة الجنة » (رواه البخارى فى الجزية والموادعة ٣١٦٦) وقال ﷺ : « ألا إن من ظلم معاهدا أو انتقصه أو كلفه فوق طاقته أو أخذ منه شيئا بغير طيب نفس فأنا حجيجه يوم القيامة »(رواه أبو داود والبيهقي عن صفوان بن سليم ، وصححه الألباني فى صحيح الجامع . ٢٦٥٥) ولولى الأمر أن يدافع عنهم إذا تعرضوا لمظلمة ، ولعامة المسلمين أن لا يخفروا ذمة محمد ﷺ معهم .. فقد حكى ابن حزم فى مراتب الإجماع : « أن من كان في الذمة وجاء أهل الحرب إلى بلادنا يقصدونه وجب علينا أن نخرج لقتالهم بالكراع والسلاح ونموت دون ذلك ، صونا لمن هو في ذمة الله تعالى وذمة رسوله ﷺ ، فإن تسليمه دون ذلك إهمال لعقد الذمة ، وحكى في ذلك إجماع الأمة » (الموسوعة الفقهية ٢ / ٥٣٥٢) .

كما أن لهم كافة حقوق التقاضي بالعدل ، ولهم البر والإحسان والصدقة والزيارة والمراسلة والهدية والملاطفة فى القول والفعل ، والتعزية عند حلول المصائب ... وللمسلمين أن يتزوجوا من نسائهم ، وأن يأكلوا من طعامهم ، وأن يقبلوا هداياهم ، وأن يستعينوا بهم فى صد العدوان ، وأن يردوا عليهم السلام « وعليكم»

.. وإذا ارتضوا التناظر فى حقيقة المعتقدات فالإسلام يفتح باب التناظر ، بضوابط معلومة وقواعد ثابتة ..

قال القرافي المالكي فى (أنوار البروق في أنواع الفروق للقرافي المالكي . الفرق ١١٩) : « وأما ما أمر به من برهم ومن غير مودة باطنية فالرفق بضعيفهم ، وسد خلة فقيرهم ، وإطعام جائعهم ، وإكساء عاريهم ، ولين القول لهم على سبيل اللطف لهم والرحمة ، لا على سبيل الخوف والذلة ، واحتمال إذايتهم في الجوار مع القدرة على إزالته لطفا منا بهم لا خوفا وتعظيما ، والدعاء لهم بالهداية وأن يجعلوا من أهل السعادة ، ونصيحتهم في جميع أمورهم في دينهم ودنياهم ، وحفظ غيبتهم إذا تعرض أحد لأذيتهم ، وصون أموالهم وعيالهم وأعراضهم وجميع حقوقهم ومصالحهم ، وأن يعانوا على دفع الظلم عنهم ، وإيصالهم لجميع حقوقهم ، وكل خير يحسن من الأعلى مع الأسفل أن يفعله ومن العدو أن يفعله مع عدوه فإن ذلك من مكارم الأخلاق » أهـ .. وقد أقر الإسلام تلك المبادىء، بينما كان قسطنطين ملك الرومان لايمكن المخالفين لمذهبه النصراني من الاحتفال بأعيادهم وإقامة صلواتهم .. أما بالنسبة للملكيات الخاصة فقد كان الإسلام أسبق وأحرص على الملكيات الخاصة من النظم الأوربية القديمة والمعاصرة على السواء ، وفى الإسلام تشريعات ونظم تعاقب من اعتدى على الملكيات الخاصة عقابا شديدا ، وما ذلك إلا لأجل كرامتها ومكانتها.

وفى النظام الاقتصادى ضبط الإسلام قواعد التصرف فى الأموال العامة والخاصة وحرر الضعفاء والفقراء ، فلم يجعلهم عبيدا للدولة ، كما فى النظام الاشتراكى ، ولا عبيدا للمعاملات الربوية وتوابعها ، كما فى النظام الرأسمالى ، وإنما ضمن لهم الحقوق كاملة من خلال منظومة شرعية متكاملة متعلقة بالاعتقاد ، تقوم على الرحمة والعدل والتكافل . وتحترم العقول وتمنع الظلم والبغي والغش والاحتكار والاستغلال، وتبيح البيع ، وتحرم الربا بجميع صوره .

أما فى مجال الحرية الذى يطلقون عليه العلمانية . أو علمانية الفكر.. فليست حرية كل إنسان فوق الشريعة .. ولا مقدمة عليها .. ولا فوق كل شيء كما يقولون

.. هذا من أبطل الباطل .. فلا بد من قواعد تضبط حركة الإنسان فى الحياة .. ليس بشهادة علماء المسلمين بمفردهم ، بل بشهادة الفلاسفة الذين قالوا إن العدل فوق الحرية .. فلم تكن الحرية مطلقة فى أى أمة من الأمم ، وإلا كيف اتفقت الأمم فى الرجوع إلى ضوابط تضبط حركة الإنسان .. إما ضوابط شرعية منزلة من قبل الله تعالى على الأنبياء والرسل هى أعلى الضوابط وأرقاها .. وإما ضوابط يتفقون عليها فيما بينهم .. والإنسان على مر التاريخ يفقد حريته المطلقة عند الوقوف أمام نظام المجتمع الذى يعيش فيه .. وما ذلك إلا لأن العدل أعلى القيم ، فهو أسمى من تلك الحرية التى تبيح للإنسان أن يفعل ما يشاء فى ماله وعرضه ونفسه وعقله ودينه وأرضه . ولو لم تكن الضوابط أعلى من الممارسات لفسد الناس ولفسدت الحياة . ولو لم يكن لإثبات علو الضوابط على الممارسات إلا ما يستشعره كل إنسان من وازع وإرادة فى النفس متمثلة فى الجوانب المتعلقة بالمشاعر ، وكذلك الجوانب المتعلقة بالعقل تمنعه من الوقوع فى المحرمات والخطايا الظاهرة والباطنة لكان ذلك كافيا فى الدلالة على أن سلطان القانون أعلى من سلطان الممارسات العامة ، وأعلى من قيم الحرية المطلقة - التى يعمل الإخوان على فتح المجال لها فى أيدلوجياتهم المعاصرة ، كى تنتهك كل مقدس وتضيع كل كرامة - كيف وقد أنزل الله تعالى شريعة محكمة شاملة ضابطة للممارسات العامة ، داعية إلى حفظ الدين والدماء والعقول والأنفس والأعراض والأموال، ثم يجعلها العلمانيون دون الحرية التى هى على مفهومهم أن يفعل الإنسان ما يشاء .؟

الشاهد : أن الإنسان لابد أن يكون عبدا فى جميع أحواله ، إما أن يكون عبدا لله تعالى أو عبدا لغير الله . وهو فى جميع أموره يخضع لمعايير خاصة فى مسائل الحب والخوف والرجاء .. إما أن تكون من عند الله تعالى فيكون عبدا له فيها .. أو تكون من عند غير الله فيكون عبدا لمن وضعها ..

فكيف يستبيح العلمانيون تنفير الناس من عبادة الله الواحد القهار وترك شرائعه وعصيان رسله وأنبيائه ليعبدوا غير الله ويتبعوا أنفسهم وأهواءهم ..؟

* أما بالنسبة لنظام الحكم فقد ضمن الإسلام نظاما مستقرا آمنا قائم على البيعة لولى الأمر ، سواء كان ملكا أو رئيسا .. ونظام البيعة لايستغرق وقت المجتمع فى صراعات دائمة ترهق العقول ، وتشيع الذعر، وتضيع الأموال فى الدعايات والمؤتمرات ، وتهدر المبادىء وتضيع القيم والأخلاق ، كما فى النظم المعاصرة.

الديمقراطية مفهوم وضعي ...

الديمقراطية كمفهوم وضعى لا تهتم بحقوق الله تعالى ، الذى خلق وأبدع ، والذى ضمن لمن اهتدى بهداه واتبع أنبياءه ورسله السعادة فى الدنيا والآخرة .. ولا تهتم بالخوف من الله تعالى ولا بالرجاء منه ولا بالحب فيه .. ولا تهتم بالسبل الموصلة إلى ذلك ولا تراعيها .. إنما تدور المفاهيم الديمقراطية حول حقوق البشر خاصة ، وتدور بمفهوم قاصر لا يضمن الصلاح ولا يحقق السعادة ..

فلم يثبت بالضرورة التلازم بين حرية الاختيار فى التشريع القائم على المفهوم البشري فى النظام الديمقراطي مع تحقيق المصلحة والسعادة للمجتمع جنبا إلى جنب ، بل على العكس من ذلك فالديمقراطية فى صراع دائم بين الأقلية وبين الأغلبية ، صراع بين جميع فئات المجتمع وبين من يمثلهم . صراع حول تحقيق الذات .. بما يحول دون تحقيق المصلحة والسعادة للجميع أغلبية كانت أو أقلية . والتفكك الأسري والانهيار الأخلاقى والخلل الدينى والشقاء الروحى والجرائم المتنوعة فى بلاد الغرب دليل آكد على ذلك.

والديمقراطية مفهوم بشرى متفاوت الصور ، نظرا لتفاوت الطبقات وتفاوت المعايير وتفاوت الملل .. ومن أجل ذلك فحكمها حكم الممكن ، الذى يتعثر ويتخبط ويزول .. فالشعب الذى أقر الاشتراكية فى كثير من بلاد العالم وجعل لها أصولا وبنودا فى الدساتير ، هو نفس الشعب الذى انقلب عليها باسم الديمقراطية ، وغير من أجلها الدساتير ، وذلك فى عقود متقاربة ..

والنواب الديمقراطيون الذين أقسموا على حفظ القانون والدستور هم نفس النواب الذين يعملون بالليل والنهار على تغيير القانون والدستور. وهم فى نفس

الوقت يستغلون تفويضا عاما من الشعب فى أن يقولوا ما مايشاءون دون الرجوع إلى الشعب كى يحدد لهم وجهته ومراده .. ولا يستطيع الشعب أن يتخلص من هذا التفويض إلا فى نهاية الدورة الانتخابية المقررة له .. كما أن الشعوب مذبذبة فى الاختيار والحكم . فالشعب الألماني الذى اختار الحزب النازى بالطريقة الديمقراطية هو نفسه الشعب الذى أسقطه باسم الديمقراطية .

ويضاف إلى ذلك أن المفهوم الديمقراطى يفتح الباب لملايين التشريعات والاجتهادات التى يقف دون احتوائها أذهان عامة البشر ، لكثرتها وتغيرها المستمر . فوراء كل قانون قانون وخلف كل دستور دستور. وليس هناك مجال للتربية .! ومن أجل ذلك فلا يمكن للديمقراطية أن تكون مرجعا ثابتا أو سبيلا معصوما..

والديمقراطية بمفهوم أصحابها لا يمكن أن تتناوب الآراء وتخضع لها إذا اختلفت الملل والعقائد والأجناس والدول .. فكل دولة لها رأى ، وكل مجتمع له عاداته ، وكل أمة لها فلسفتها الخاصة فى الحياة .. وأعتى الدول ديمقراطية فى العالم تجعل لنفسها فى مجلس الأمن حق النقض الفيتو ضد دول العالم .. لو اجتمعت على شيء ، فبقدرتها أن تلغيه بمفردها ، من منطلق القوة والسيادة . . فأمريكا حين احتلت العراق لم تعبأ بمجلس الأمن ولا بالأمم المتحدة ، وداست على كل المفاهيم الديمقراطية.. وانجلترا من قبل احتلت نصف العالم وفعلت جميع الجرائم والقبائح وارتكبت جميع المظالم ، تحت ستار الديمقراطية .

وما ذلك إلا لأنها تخضع لقواعد ونظم وثقافات خاصة ، هى بالضرورة أكبر من المفهوم الديمقراطي .. تلك القواعد نابعة من عاداتها وعقائدها وجنسها ، وبجوارها تهدر آراء الدول والشعوب ، مهما كانت مكانتها .

وهذا يدل على أن الاتفاق على المفهوم الديمقراطي بين الأمم من المستحيلات .. فهؤلاء فى الحقيقة ينظرون للحياة البشرية والأجناس المختلفة معهم والملل المعارضة بمنظور محدود قاصر .. فالعدل الذى ينشدون ليس عدلا مطلقا من حق جميع الدول أن تنعم به ، إنما هو عدل قاصر على مللهم ومذاهبهم وأجناسهم ..

والأخلاق التى يدعون إنما هى أخلاق تدور فى دائرتهم ، أما خارج نطاقهم فجميع أنواع التلون والانحطاط من نصيب من يتعاون معهم .. وتبادل الآراء وتناوبها إنما هو أمر خاص بهم ، أما الدول الأخرى فلها الدكتاتورية والاستبداد . وحقوق الإنسان التى يتشدقون إنما هى حقوق الإنسان الأصفر أو الأحمر الذى تجري في عروقه الدماء الزرقاء ، أما العرب والسودان والهنود والترك فهؤلاء همل لاقيمة لهم ولاكرامة.. فكل القوانين التى يفرضون وكل التشريعات التى يلزمون والديمقراطية التى يلهثون إنما هى لهم فقط .

فهم يعذبون السجون عرايا فى أبى غريب بالعراق وجوانتاناموا فى بنما ، أما إذا قطع زرار أحد العملاء المنتمين إليهم فى دول العالم العربي انتفخوا وهاجوا وماجوا . فهم يكيلون بمكيالين ويزنون بميزانين كشأن المنافقين فى كل زمان ..

ديمقراطية الإخوان فى نطاق الممارسات الحزبية ..

كان حسن البنا ضِد الأحزاب ، وكان يراها سيئة الوطن ، وكان يدعو إلى اعتزال : « المحاكم الأهلية وكل قضاء غير إسلامى ، والأندية والصحف والجماعات والمدارس ، والهيئات التى تناهض فكرتك الإسلامية ! مقاطعة تامة» (الرسائل.ص/ ٤٠٣) وكان يرفض الائتلاف بين الأحزاب ، وقال :

« إن الإخوان يعتقدون عقم فكرة الائتلاف بين الأحزاب ويعتقدون أنها مسكن لا علاج ، وسرعان ما ينقض المؤتلفون بعضهم على بعض ، فتعود الحرب بينهم جذعة على أشد ما كانت قبل الائتلاف » (الرسائل ص/ ٢٠٢) .

وقد أكد على ضرورة حلها ، قائلا : « ولا مناص بعد الآن من أن تحل هذه الأحزاب جميعا وتجتمع قوى الأمة فى حزب واحد » (الرسائل .ص/ ٢٤٥) وكان يؤكد أن جماعته جماعة دعوة ، وليست حزبا من الأحزاب . وقد سأله محمود عساف ، قائلا : لماذا لا نكون حزبا سياسيا كباقى الأحزاب وندخل الانتخابات ببرامج مثلهم ؟ فقال :" نحن دعوة . ولسنا جمعية ولا هيئة ولا حزبا ". » (مع الإمام الشهيد. ص/ ١٩) .. وقد أكد حسن البنا كما تقدم رفضه بكل وضوح للأحزب ،

دون تعلق بحالها فى زمنه ، باعتبار أنها تتنافى مع الوحدة التى يريدها الإسلام (سلسلة الرسائل . ص/ ٣٢٠).

وقد وضح التلمسانى فيما نقل إبراهيم قاعود فى كتابه (الإخوان فى دائرة الحقيقة الغائبة) علة رفضه تكوين حزب للإخوان باعتبار أن لها : « " أسلوبا معيبا فى العمل " ، ولأن للحزب برنامجا ونحن ليس لنا برنامج أو منهاج ، لأننا ندين بكتاب الله وسنة رسوله (وهو منهاجنا لهذا المعنى ، ولأننا لا نقر الأساليب التى تتخذها الأحزاب سبيلا للوصول إلى أهدافها ومن بينها الحكم . » أهـ

وكان حسن البنا يرى الدعوات المخالفة لدعوة الإخوان دعوات متذبذبة مصيرها الزوال والانقراض ، طالما لم تنضم إلى جماعته ، وتؤمن بفكرته . فقال فى (الرسائل . ص/ ١٩) : « موقفنا من الدعوات المختلفة التي طغت في هذا العصر ففرقت القلوب وبلبلت الأفكار أن نزنها بميزان دعوتنا فما وافقها فمرحبا به وما خالفها فنحن براء منه» أهـ .

وقال ص/ ١٨١ تحت عنوان " إلى الشباب" : « أيها الشباب : على هذه القواعد الثابتة وإلى هذه التعاليم السامية ندعوكم جميعا. فإن آمنتم بفكرتنا ، واتبعتم خطواتنا ، وسلكتم معنا سبيل الإسلام الحنيف، وتجردتم من كل فكرة سوى ذلك ، ووقفتم لعقيدتكم كل جهودكم فهو الخير لكم في الدنيا والآخرة ..

وإن أبيتم إلا التذبذب والاضطراب ، والتردد بين الدعوات الحائرة والمناهج الفاشلة ، فإن كتيبة الله ستسير غير عابئة بقلة ولا بكثرة : ﴿ وَمَا النَّصْرُ إِلا مِنْ عِنْدِ اللهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمِ ﴾ [آل عمران : ١٢٦]. » أهـ

وكان يرى خصومه غثاء لا قيمة لهم ، فقال : « فليس لنا ولله الحمد فى الداخل خصوم ، وإن كانوا فغثاء كغثاء السيل إما ثاروا وإما غاروا » (فى قافلة الإخوان.ص/ ١٤٦)

❋ أما بالنسبة للفكر الديمقراطى فى نطاق الممارسات العامة .. فقد كان حسن البنا يرفض الترشيح للمجالس النيابية لمن لم يكن متصفا بصفات أهل الحل والعقد ،

فقال : «والإسلام لا يأبى هذا التنظيم ما دام يؤدى إلى اختيار أهل الحل والعقد .. وعدم السماح لغيرهم بالتقدم للنيابة عن الأمة» (رسائله. ص / ٢٤٦)

وكان يحصر الاستفتاء فى القضايا العامة بين أهل الحل والعقد ، وقال فى(الرسائل . ص/ ٢٤٦): « الإسلام لم يشترط استبانة رأى أفرادها جميعا فى كل نازلة وهو المعبر عنه فى الاصطلاح الحديث بالاستفتاء العام ، ولكنه اكتفى فى الأحوال العادية بأهل الحل والعقد » أهـ

وهذا مما يعده المعاصرون من الإخوان تطرفا وانغلاقا عن النظام الديمقراطى ، الذى يفتح الباب لجميع الطوائف والأيدلوجيات، للمشاركة فى الحياة السياسة .

أما بالنسبة لأطر التعبير فى الممارسات الداخلية فى الجماعة ..

فلم يعرف الإخوان طيلة حياتهم إلا الرأى المنبثق من المرشد . وكان حسن البنا لا يقرب إليه إلا ضعاف الناس اكتفاء بمولاتهم له ، مما يشير إلى موقفه من الرأى والرأى المخالف له فى المجال العملى التطبيقي .. كما قال محمد الغزالى آنفا .

وكان يفرض علي أتباعه الطاعة المطلقة ، كما فسر ذلك بقوله :

« وأريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توا فى العسر واليسر والمنشط والمكره» (رسالة التعاليم .ص/ ٣٩٧) ...

فإذا بلغ العضو منهم درجة الأخ الركيزة فإنه لا يستطيع الإقدام على أداء فريضة الحج أو التفكير فى الزواج أو الطلاق إلا بعد أخذ الإذن على ذلك من القائد المسئول عن تكوينه . كما قال الصباغ فى كتابه (التنظيم الخاص . ص/ ١٤٠) وقد بلغ حد استخدام السلطة المطلقة فى زمن حسن البنا أن أصدر فرمانا فى جريدة الإخوان الرسمية أمر فيه أتباعه بعدم إطلاق اللحية إلا بعد أن يؤذن له بذلك من المرشد العام . وكان بعضهم يستجيب لذلك لظنه أن المرشد لا يخطىء ولا يجرى على قوله الاحتمال .كما تقدم بيانه . وقد كتب الغزالى كتابه " فى كفاحنا الإسلامي " واعترض على هذا المفهوم ، فسحبوه من الأسواق ، وهددوه بالقتل ، لأجل أن يصير المجتمع جاهلا بأمورهم ، قال القرضاوى : « ومما هيج الشيخ أكثر واستثار

غضبه أن بعض المتحمسين من الإخوان تحداه وهدده بالقتل إن تكلم أو كتب » (آفاق عربية . ٢٦ شوال ١٤٢٥هـ) وقد أكد الدكتور عبد العزيز كامل تلك النظرة فى دعوة الفى دعوة الإخوان ، قائلا : « كان هناك اتجاه محافظ يرمى إلى المحافظة على ماضى الجماعة كأنه تراث مقدس لا يمس .. وكان دم الأستاذ البنا وكفاحه الطويل وما له من مكانة فى قلوب الإخوان حائلا دون القدرة على النقد والتقييم ، وكيف يقيمون وفى هذا اختلاف للآراء ، فى وقت هم أحوج ما يكونون فيه إلى الوحدة .؟ هكذا قالوا » (مذكرات عبد العزيز كامل . ص/ ٦٣)

ولا يزال هذا هو المنظور المعاصر الذى يتعامل به الإخوان مع ناصحيهم .. فالنقد عندهم سباب ، والناصح عميل .. والواجب الكتمان ، حتى لا يعرف الناس عنا شيئا ، وتبقى صورتنا مقدسة فى نظر الناس ، لا تشوبها شائبة .. ويوضح تلك الحقيقة المهندس أبو العلا ماضى " أحد منظرى الإخوان السابقين " قائلا : « المشكلة أن الإخوان اعتبروا النقد شتيمة .. وعندما عاتبونى على هذا النقد ..قلت لهم : وهل أنا أخطأت .. فردوا : ليس خطأ ولكن المفروض ماتقولش ..لأن الناس ما تعرفش عنه حاجة ...» (جريدة الخميس المصرية ٥ / ١ / ٢٠٠٦) ..

وفى حواره مع (محيط . نت للمعلومات العربية) بين أبو العلا ماضى حقيقة الكبت داخل المجتمع الإخوانى ، قائلا : « المشكلة تكمن في أن أغلب القيادات تربى الأفراد على ألا تناقش أو تعترض أو تنتقد وإذا فعل ذلك يوصف بالتمرد وأنه يعاني من حب الذات وحب الظهور وتضخيم الذات .. وأصبح الشاب المسلم بين نارين السكوت علي بعض الأوضاع التى تحتاج إلي تقويم رغم أنه يريد أن يشارك بالنقد فيما يستحق النقد والتصويب أو يطبق السمع والطاعة ويتحول إلى آلة دون أن يكون له أدني قدر من المشاركة فى صنع القرار والتفكير » أهـ

فالمرشد هو الخصم و الحكم .. وله الحق كما فى القانون الأساسي للجماعة أن يوقفهم .. وللمطرود أن يتظلم إليه هو فقط .

وطريق الإخوان مرسوم لا يجوز فيه الجدال ، وهكذا قال حسن البنا : « إن

طريقكم هذا مرسومة خطواته موضوعة حدوده .. من أراد منكم أن يستعجل ثمرة قبل نضجها أو يقتطف زهرة قبل أوانها فلست معه في ذلك بحال ، وخير له أن ينصرف عن هذه الدعوة إلي غيرها من الدعوات » (رسالة المؤتمر الخامس)

وهذا ما أكده المؤرخون منهم فى التعامل مع من يختلف معهم .

قال السيسي : « فمن كان يؤمن بما يؤمن به الإخوان فهو منهم ، ومن كان يؤمن بأفكار أخرى غير أفكارهم فعليه أن ينصرف إلى المحيط الذي يتلاءم مع أفكاره، وأوضحنا لهم أننا لن نسمح في دارنا لمن يخالف اتجاهنا » (فى قافلة الإخوان ص/ ٢٥٩) .. وقد أخبرنى شيخنا الفاضل الأستاذ/ عبد العزيز عاشور (حفظه الله) " وهو أحد قدامى أنصار السنة فى المركز العام بعابدين بالقاهرة " أن : «شباب الإخوان المسلمين الذين تعلموا التوحيد والسنة وتدربوا على وسائل الطلب والتحقيق فى جماعة أنصار السنة فى الفترة التى كان فيها الإخوان فى السجون .. هؤلاء الشباب لم يقبلهم الإخوان معهم بنفس الاعتقاد والمنهج عندما خرجوا من السجون ، وخيروهم بين ترك هذا المنهج الذى انتهوا إليه فى مقابل البقاء معهم فى الجماعة وإلا الطرد والإبعاد » أهـ ..

وهكذا الإخوان إلى الآن .قال الشيخ جاسم المهلهل : « دعوة الإخوان ترفض أن يكون فى صفوفها أى شخص ينفر من التقيد بخططهم ونظامهم ، ولو كان من أروع الدعاة فهما للإسلام وعقيدته » (للدعاة فقط.ص/ ١١٢، وانظر الوقفات للعجمى ص/ ٩٤) .

وقد أقر الدكتور/ عصام العريان بوجود هذا النوع من الاستئصال فى الجماعة إلى الآن ، قائلا : « الإخوان يفقدون أعدادا هائلة كل عام بسبب شروط العضوية ، وأنا من أنصار أن من لا يصلح كعضو لا يجب فقده ، ولكن عندما يستيطر فكر " التنظيم أولا "يحدث هذا» (الشاهد للدراسات السياسية . نت) .

آثار الفكر الاستئصالي ... فى دعوة الإخوان ..

ونتيجة لهذا الفكر الاستئصالى الذى تربى عليه دعاة الإخوان من زمن حسن البنا إلى الآن لم يستطع عالم من علماء الشريعة المشهود له بالدين والدراية أن يتقلد أمرها .. وحلا للأزمات وخروجا عن الخلافات فأكبر الأعضاء سنا هو الذى له الحق فى تولى المسئولية والوصول إلى درجة المرشد ، بقطع النظر عن علمه أو فقهه.. وقد كان هذا المنطلق التنظيمى أحد أوجه الاختلاف الواقع بين الإخوان والغزالى ، وقد حذرهم من ذلك ، قائلا كما فى كتابه (من معالم الحق فى كفاحنا الإسلامي) : « فاحذروا على كيانكم أيها الإخوان هذا التطاول الذى ـ إذا كره طارد العلماء المجاهدين وإذا رضى قرب المداهنين أوالقاعدين ثم ادعى بعد ذلك أنه يحكم بما أنزل الله » أهـ ..

ونتيجة لذلك لم يكن لمثل هذه الجماعة أن تستوعب المثقفين والمفكرين ، الذين يبلورون المفاهيم الفكرية للجماعة نفسها داخل التنظيم ، حتى إن أمثال هؤلاء يؤثرون العمل خارج الإطار التنظيمى للجماعة من العمل داخلها . فقد خرج كثير منهم ضجرا من الجماعة وهربا من ضغوطها التى لاتتيح لأحد أن يسمع أو يتكلم أو يفكر إلا بالكيفية التى يفرضها القادة . وكثير من هؤلاء ممن يحملون على كاهلهم فكر التغيير الديمقراطي الليبرالى دعوة الإخوان . ومع ذلك لم يتح لهم السيادة فى الجماعة ، كما أتيح للعامة منهم ..

وفى الجانب الديني خرج منهم أحمد الباقوري ، وعبد العزيز كامل ، ومحمد الغزالى ، و سيد سابق ، والقرضاوي . لم يستطع هؤلاء جميعا العمل داخل الإطار التنظيمى لجماعة الإخوان ، بينما استطاع أكثرهم أن يفعل ما يريد ، من خلال الدولة التى يحاربها الإخوان ، حتى فى زمن عبد الناصر .. ولا أظن عاقلا يقبل الاستمرار فى تلك الجماعة إلا إذا ألغى عقله ، وتنازل عن كافة حقوقه فى التفكير والنقد والاعتراض ، واستسلم للأمر غير مأسوف عليه .. ورضى بالجماعة وهى تلفظ أكبر مفكريها وأدبائها ، بل وتتبرأ منهم .. وأناس بهذا الوصف لا يعرفون مبادلة الآراء

والأفكار ولا ينزلون على حكم الآخرين مهما كان قدره ..

والإخوان ينقلون فى كتبهم عن عبد الناصر أنه كان يريد أن يحرك البلاد بزر فى أول عهد الثورة ، كما حكى فريد عبد الخالق عنه قوله :

« أنا أشعر أننى خلال سنتين أو ثلاث إلى وضع يمكننى أن أضغط على زر تتحرك البلد كما أريد لها وأن أضغط على زر فتقف» (الإخوان فى ميزان الحق . ص/ ٨٨) ونسي هؤلاء أنهم أول من أنشد ذلك .. فقد أوجب عليهم حسن البنا تنفيذ الأوامر فى التو واللحظة ، قائلا : «أريد بالطاعة التامة امتثال الأمر وإنفاذه توا » (رسالة التعاليم .ص/ ٣٩٧) فنظام الطاعة " نظام عسكرى بحت من الناحية العملية " كما قال . فأى زر أشد من هذا الزر .؟

لأجل ما تقدم يشكك كثير من الناس فى تصريحات كثير من المتحدثين الرسميين للإخوان ، الذين يزعمون أنهم يعيشون داخل مجتمع حر ، أو حتى فى مجتمع ديمقراطى بالمفهوم المعاصر أو بمفهوم الشورى ، وذلك لأنهم لايعبرون عن حقيقة ما يدور فى الداخل ، الذى يمارس الاستبداد القهري ، على وجه لا مثيل له إلا فى المجتمعات الكهنوتية الباطنية . حتى وردوا المهالك والمحن .

وقد شهد بذلك محمود عبد الحليم حين عاتب المستشار عبد القادر عودة على موقفه من لجنة الإصلاح ، بقوله : « إن دماء هؤلاء أمانة فى أعناقنا نحن الذين اختارونا قادة لهم ، يتلقون منا دون مناقشة ولا مراجعة ، فمن حقهم علينا أن نطلعهم على ماعندنا . الخ » (أحداث صنعت التاريخ ٣ / ٣٩١).

ويكفى إلى الآن أننا لم نر أحدا من منظري الإخوان اعترض على تصرفات المرشد العام التى تمس الحياة العامة على الملأ ، كما يعترضون على الرؤساء على الملأ ... وهذا التعتيم لاينتج إلا من عقول ترى أن المرشد إذا أخطأ فلا ينبغى تخطئته على الملأ ، حتى يبقى علما مقدسا فى أذهان الناس فى مقابل مجتمع مظلم مشوه .. قال أبو العلا ماضي : « ودائما كنت أقول لهم هو مطلوب منى أن أكون شجاعا أمام الرئيس وأكون أرنبا أمام المرشد العام .! أنتقد رئيس الدولة ولا أستطيع أن أنتقد أى

رمز فى الإخوان .؟!» (جريدة الخميس . ٥ / ١ / ٢٠٠٦) .

ولو قدر أن انتقد أحدهم المرشد على صفحات الجرائد .. فالعقوبة هى تحذير القواعد الشبابية منه ، وتجميد عضويته ، كما حدث مع الدكتور المليجي حين انتقد الجماعة فى الناحية المالية والدعوية على الملأ .. فانتقده الأستاذ عاكف . وقال فى جريدة الكرامة : « إذا كان لدي المليجي استفسار أو تساؤل فلماذا لم يأت إلينا ، ويجلس معنا ويناقشنا ، ساعتها سنرد عليه ، وإذا كان من يسأل عنه يحتاج إلي دراسة أو مشورة سنقوم بها ، أما الكلام في الجرائد فهذا أسلوب معيب ولا أقره ، فهو خارج عن المألوف في الجماعة » (الكرامة . ١ / ٥ / ٢٠٠٧م . محمد سعد عبد الحفيظ) .

فالنصيحة الخاصة بالجماعة لا تكون على الملأ ، حفاظا على الجماعة ، أما تعرية المجتمع ونشر عوراته فهذا من أوجب واجبات الجماعة .. فالمفهوم الديني لحفظ صورة الجماعة نقية أمام المجتمع ..والمفهوم الديمقراطي للدولة والمجتمع ، لأنه السبيل الأوحد لتتربع الجماعة على كرسى الحكم .

الإخوان بين الحرية والشريعة ..

ظهر بمرور الأيام والتجارب أن نظرات حسن البنا قبالة الأحزاب والديمقراطية صارت عائقا أمام وصول الإخوان إلى سدة الحكم ، ولا بد من مراجعة هذا المنهج ، كى تتوافق السبل مع الواقع الجديد .. فالأمة لم تعد تجتمع على تلك المفاهيم التى تقوم على مبدأ المغالبة ، ولا بد من المشاركة – ولو فى المرحلة الدعوية ـ ولا مانع من استبدال الخطاب السياسي بالخطاب الدينى . ولا مانع من التنازل عن المقدسات التى أسسها حسن البنا . ولا مانع من الموافقة على إقامة الأحزاب باختلاف توجهاتها الفكرية . علمانية ليبرالية كانت ، أو شيوعية ، أو نصرانية أو شيعية أو يهودية . ولا ضرر من الموافقة على الائتلاف مع جميع الأحزاب ، ولا مانع من اختراق الهيئات والنقابات ، إما بالانتخابات ، وإما بالأموال ، وإما بالخدمات الاجتماعية . . وتأكيدا على حسن النية ، وتدليلا على الوفاء للديمقراطية جعل الإخوان غياب الأيدلوجيات

الفكرية المعاصرة مشكلة كبرى تهدد استقرار المجتمع وأمنه .. قال عصام العريان : « الإخوان ليسوا استئصاليين ، ولا يستبعدون أحدا ، من واجب الإخوان المحافظة على وجود تيارات متنوعة فى المجتمع ، لأنه ضمان له ، فالمجتمع إذا تكلم بلغة واحدة واجتمع على رأى واحد فهذه مشكلة كبيرة لأنه لابد أن تتنوع الآراء وتتعدد الاتجاهات»(الأسبوع . ٢٤ أكتوبر ٢٠٠٥م) وحتى تطمئن جميع الأطياف السياسية لدعوة الإخوان فتح عبد المنعم أبو الفتوح أبواب الترشيح لرئاسة الجمهورية للزنادقة ، فقال : « حق لأى مواطن بغض النظر عن ديانته وعقيدته السياسية ، فحتى لو كان زنديقا فمن حقه أن يرشح نفسه ، وإذا اختاره الشعب فهذه إرادته ، لأن البديل فى هذه الحالة هو أن تحارب الشعب وتصبح مستبدا ، وهذا ما نرفضه تماما فنحن مع ما يختاره الشعب أيا كان»(العربى ٥ أكتوبر/ ٢٠٠٣ م) وقال مثل ذلك فى (آفاق عربية . ١٧ فبراير ٢٠٠٥م) وذهب إلى ما هو أكثر من ذلك ، فقال :

« إذا أراد الشعب أن ينحي الإسلام ويرفضه ويرفض أن يكون مرجعية فنحن نحترم أيضا خياره إذا أختار غير ذلك ، نحن مع خيار الشعب»(الجزيرة . نت . ١٤ / ٢ / ٢٠٠٥ م) .. ولم يقف الأمر عند ذلك .. فقد اتسع نطاق الحرية فى الاتجاهات الإخوانية المعاصرة ، ليشمل الدعوة بكل صراحة إلى الإلحاد والزندقة .. بشرط أن تنشر تلك الأعمال على نفقة أصحابها . قال عبد المنعم أبو الفتوح :

« الأعمال المختلف عليها من حق صاحبها أن ينشرها على نفقته أو على نفقة ناشر خاص ، ويقول فيها ما يشاء، حتي لو كان يدعو إلى الإلحاد...» (العربى . ٢٨ سبتمبر ٢٠٠٣م)

وقد شاركه فى تلك الدعوة محمد عاكف إذ طالب الدولة : « بإعطاء الشعب حريته فى الحركة والدعوة إلى الله ، وحتى الدعوة إلى العلمانية والإباحية وأن تكون الحرية للجميع » (نافذة مصر . نت . ٤ / ١٢ / ١٤٢٧) .

وانتهى القرضاوي إلى القول بأن : « المطالبة بإطلاق الحريات مقدمة على تطبيق الشريعة » (الأهرام . الأحد ٢٩ / ٨ / ٢٠٠٤)

وقد يغتر بعض الأغمار ويصفق لما يسمع من الإخوان فى الفضائيات والمنتديات السياسية من الثناء المستمر على الحرية وقبول التعددية الحزبية والديمقراطية بمفهوم تبادل الآراء والشورى .. الخ

والحقيقة أن هذا الأمر لا يعرضه الإخوان من باب الحرية .. فإنهم لم يعرفوا الحرية ولم يمارسوها فى حياتهم ، فقد كانوا كالموتى بين يدى مرشديهم .. وإنما ذلك من باب فرق تسد . شتت جهود المجتمع فى أحزاب هزيلة ، لتبقى فقط قوة الإخوان ظاهرة على الساحة من أجل الضغط السياسي ، أو لمن أراد استخدامها فى ذلك ، حتى يدرك من تولى عنهم أنه لن يصل إلى شيءبدونهم .

ثم إن الحرية بمفهومها المطلق فيها ما يتناقض مع الإسلام ويدعو إليه .. فلابد أن يعرف ماذا يقصدون بهذا المفهوم ؟

فالحرية عند الليبراليين لها مفهوم مطلق يبيح الكفر بالله وعبادة الشيطان وممارسة الرذيلة والزواج المثلي والدعوة إلى الإلحاد .. وإقامة المنظمات والهيئات التى تتفنن فى نشر تلك الدعوات ، وتهيئة المجتمع لها .. بحجة أن هذه حرية شخصية .. فهذا حق من الحقوق التى يقدسها الفكر الليبرالى . فهل يؤمن الإخوان بذلك .؟ نعم هذا أمر ثابت فى كتابات عبد المنعم أبو الفتوح وتصريحات محمد عاكف .. فعندهما ما يدل على جواز فتح الباب لنشر الإباحية والعلمانية والإلحاد .. وليس هذا من نهج الدعوات الإسلامية .. ولا شك أن مقصدهم من الحرية يرمي إلى نوع من الفوضى الداعية إلى تهييج المجتمع للتخلص من الدولة ..

ولو أرادوا حرية التعبير .. فالناس فى هذه الأيام يعبرون عن آرائهم فى الصحف وفى المجلات ، إلى أقصى حد.. وعلى كل فقد تبين من تقديم الحرية على الشريعة فى دعوة الإخوان عدة مسائل ينبغى التنبيه عليها :

المسألة الأولى : أن الإخوان يعتقدون أن فتح الباب للممارسات السياسية وإعادة الشعب الإخوانية أهم وأولى من تطبيق الشريعة .. تلك هى الحرية التى تؤمن للإخوان الاستحواذ على المجتمع قبل الحكم حتى يكون الجميع تحت تصرفهم وفى مملكتهم ..

المسألة الثانية : أن الإخوان يسلكون هذا النهج تطمينا لطائفة معينة وكسبا لودها ، ولو على حساب المناهج ، التى كانوا يكفرون مخالفيها من قبل ..

المسألة الثالثة : إذا كان المقصود أن الله تعالى خلق الإنسان قادرا مختارا وأن له كسبا مؤثرا يحاسب عليه يوم القيامة فهذا صحيح ، ولا يجب أن يجبر الإنسان على خلاف ما يعتقد.قال تعالى :﴿ لا إكراه فى الدين قد تبين الرشد من الغي﴾ [البقرة . ٢٦٥) وقال تعالى : ﴿ فمن شاء فليؤمن ومن شاء فليكفر ﴾ الكهف . ٢٩) وتلك الآيات تخص من أراد أن يدخل فى الإسلام ابتداء.

فلا بد من الرضا واليقين . أما أن يدخل فى الدين بالنفاق ، ليتلاعب به ويرتد عنه ، ليشكك الناس فى دينهم . فقد حدد الدين للمتلاعب به عقوبة القتل مرتدا، قال النبي ﷺ : « من بدل دينه فاقتلوه » (البخاري . ٣ / ١٠٩٨)

وقد قاتل أبو بكرالمرتدين ، وحرق علي السبأية . وعلى ذلك فلا يمكن أبدا أن يقال إن الحرية فى الإسلام تعنى إباحة الكفر والردة والمعصية . فهذه أمور نهى الله تعالى عنها وحرمها ، وحد حدودا تحفظ المجتمع من شرورها. فمن جعل الكفر من المباحات الشرعية فقد قلب الدين وزيف الشريعة وضل عن سبيل الله .

المسألة الرابعة : أن الإخوان لم يعرفوا الحرية فى تاريخهم ، كي يكونوا من دعاتها .. فقد تربوا على الطاعة العمياء ... وكانوا بين يدى شيوخهم كالموتى بين يدى مغسلهم ..وجعلوا الفكر البشري لإمامهم فى درجة المقدس .. ولم يفهموا إلا بالأمر .. ولم يتزوجوا إلا بالأمر .. فكيف يكون أمثال هؤلاء من دعاة الحرية.؟

المسألة الخامسة : أما قول الإخوان بتقديم الحرية على الشريعة فهو قول ناتج من خلل بالغ فى فهم الشريعة ، واتهام عظيم لها بالقصور أمام مقومات النفس الإنسانية الضرورية وحوائجها ..وما تقدم يكفى لبيان ذلك .. ولا ينقطع العجب من قول الإخوان أنهم من دعاة الحرية المطلقة ، بينما هم ينطلقون بغير وعى على من ينتقدهم أو يتعرض لتاريخهم المهين ولأفكارهم الشاذة بالمحاربة والتشنيع والتضييق ، كأنهم أبرياء من كل نقيصة ، ولو نزلت صحفية أوكتاب بفضح أحوالهم كانوا أسرع

الناس فى إخفاء أسراره ..

وأخيرا فليعلم كل امرىء أن الله تعالى رقيب على العباد . لا تخفى عليه خافية ، وكل إنسان راجع إليه ، وكل راجع واقف بين يديه ، وكل واقف مسئول على ما قدم وآخر ، فهو الرب الرقيب الحسيب . والخلق عباده لم يخلقهم سدى بلا حساب ولا عقاب . ليفعل من شاء ما يشاء . بل هناك حساب وعقاب ، قال تعالى : ﴿ فمن يعمل مثقال ذرة خيرا يره ومن يعمل مثقال ذرة شرة يره﴾ [الزلزلة . ٧ ، ٨].

الدول الغربية تطلب الحوار مع الإخوان ...

عندما وصل الإخوان إلى هذا الحد فتحت لهم دول أوروبا وأمريكا أبواب الحوار للتعاون والتلاقى .. وبدأت تقوى شوكتهم ، وتمارس الضغوط على الدول العربية والإسلامية من أجل إتاحة فرص الظهور لهم ...فهذا هو الإسلام المعتدل ، الذى يريدهً الغرب بديلا عن الإسلام المتطرف والأنظمة العربية القائمة .. فالأهداف واحدة .. بل إن الديمقراطية التى يسعى إليها الإخوان أشد انحرافا من التى ينادى بها الغرب..فالديمقراطية المطلقة عند الغرب لها قواعد تحكمها وضوابط تقيدها ، تبعا لدينها الذى تدين به ، وأغلبية أهلها .. فألمانيا لا توافق على وجود أحزاب نازية ، وفرنسا لاتوافق على وجود أحزاب ملكية ، وأمريكا لا توافق على وجود أحزاب شيوعية .. لا للدعوة إلى الإلحاد ، ولا لمناقشة قضايا المجتمع .. غير أن عبد المنعم أبو الفتوح أبى إلا أن يسلك مسلك " أندروز راسموسين رئيس الوزراء الدنماركى " ففتح الباب لحرية الفكر ، ولو كان يدعو إلى الكفر والزندقة . .

والعجب أنه على الرغم من أن أمريكا لم تراع مشاعر المسلمين ، عندما احتلت بعض الدول الإسلامية إلا أنه عندما نشرت صحفية دنماركية صورة مشينة فى حق الرسول (، وادعت أن هذا يعبر عن حرية الفكر اعترضت أمريكا على ذلك ، وقالت على لسان رئيسها جورج بوش : « إن احترام الأحاسيس الدينية مقدم على حرية الفكر والنشر والتعبير». وقال كورتيس كوبر " المتحدث باسم الخارجية الأمريكية " : « كلنا نقر حرية الصحافة والتعبير ولكنها يجب أن تقترن بالمسئولية » (الأخبار ٤ فبراير ٢٠٠٦م).

وعندما رفض" راسموسين " الاعتذار للمسلمين ، وقال : « إنه لا يستطيع أن يمنع الصحافة فى بلاده عن أن تكتب أو ترسم أو تنشر ما تراع مؤكدا أنه يقف إلى جانب حرية الفكر » (الأهرام ٤ فبراير ٢٠٠٦م)..

رد عليه الرئيس مبارك فى تصريح لـ " وكالة أنباء الشرق الأوسط " قائلا : «إن حرية الرأى والتعبير التى نكفلها ونحترمها لا ينبغى أن تكون ذريعة للنيل من المقدسات والمعتقدات » (الأخبار. ٤ فبراير ٢٠٠٦م) ..

هذا هو موقف الدول .. غير أن مفكرى جماعة الإخوان يغازلون الدول الغربية بأكبر قدر من الضلال ، ليكونوا بديلا عن الحكومات والجماعات . فلم يلتزموا أى ضوابط ، ولم يراعوا أى قواعد. لا قواعد الإسلام ، ولا ثوابت المجتمع ، بل ولا مكانة الدستور الذى يقول الدولة مسلمة ودينها الإسلام ، والمصدر الأول للتشريع هو الإسلام .. يريدون أن يقولوا نحن واجهة شريفة للديمقراطية ، نحن البديل المناسب لمواجهة التطرف .. نحن الإسلام الديمقراطي المتطور ..

وإن كان الإخوان يرفضون هذا الاتهام ، ويقولون إنما أردنا فقط أن ندعم موقف الدولة ضد الاتجاه الداعى إلى الإصلاح السياسي فى المنطقة بمنظور أمريكى .. ونحن نريده بمنظور داخلى.! فالحقيقة تشهد أن منظور الإخوان الداخلى أشد خطرا على الأمة الإسلامية من المنظور الأمريكى .. فالمنظور الأمريكى فى ظاهره يريد أن يجعل للاتجاهات الإسلامية المعتدلة التى عد الإخوان واحدة منها مساحة فى الحرية والظهور ..كما قال ريتشارد هاس". كما تقدم ..

أما الإخوان فإنهم يفتحون الطريق للزنادقة للوصول إلى الحكم ، ويقدمون فروض الولاء الفكرى للغرب على طبق من ذهب ..

وقد أرادت أمريكا ذوبان ثقافات الدول الإسلامية فى ثقافات الدول الغربية وأمريكا . . وقد وقفت الدول الإسلامية أمام المشروع الأمريكى ، باعتبار أن للأمة الإسلامية خصوصية فى الدين والحضارة واللغة ..

ففى مصر حذر الرئيس مبارك من الحداثة فى الدين باسم الإصلاح والديمقراطية، وحث على اقتفاء آثار الصحابة الشرفاء ، وقال فى خطابه الذى ألقاه

فى السادس والعشرين من رمضان ١٤٢٥هـ :

« فعلى علماء المسلمين توخى الحذر فى التعامل مع ما ينادى به البعض من تطوير وتحديث للديانة الإسلامية بادعاء أن ذلك يجعلها أكثر تمشيا مع التيار الدولى المتصاعد نحو الإصلاح والتحديث ، الذى اتخذ أحد مظاهره أخيرا مطالبة البعض بتغيير مفردات اللغة العربية ، التى أنزل الله بها القرآن على نبينا الكريم ، واتخذت فى بعضها الآخر مظهر التعرض بالتشكيك والتأويل لسيرة نبينا الكريم وصحابته الشرفاء ، وأؤكد هنا بكل صراحة ووضوح أن القيم والمبادىء السامية التى نزل بها قرآننا الكريم ـ باللغة العربية – لا تحتاج إلى أى تغيير أو تطوير ، إلا أن ما نحتاج إليه اليوم هو تطوير سلوكياتنا كمسلمين ، حتى تتفق على نحو أكبر من هذه القيم والمبادىء وحتى يظهر الإسلام بصورته الحقيقية» (الأهرام . ٢٧ رمضان ١٤٢٥هـ) .ولا يمكن أن تتوفر تلك الضوابط الواردة فى هذا الخطاب عند مخرفى الطرق الصوفية الذين يردون الشرع والعقل ويعظمون الخرافات والخيالات ، ولا عند الأشاعرة الذين جعلوا العقل شرطا لصحة النقل والإيمان ..حتى دعاهم إلى التعطيل والتأويل ، ولا عند العلمانيين الليبراليين الذين يسقطون التكاليف الشرعية ويعظمون الفلسفات الغربية ..إنما تنحصر تلك الضوابط فقط فى منهج السلف أهل الحديث .. (رضى الله عنهم وأرضاهم)

وفى المملكة العربية السعودية أكد سمو الأمير نايف بن عبد العزيز أن المملكة منفتحه على العالم فى التقدم والتكنولوجيا ، أما الفكر والثوابت والتراث والدين فلا .. وقال : « ان بلاده ترفض أن تُجر إلى فكر أو حياة الآخرين، مؤكدا " تمسكنا بثوابتنا وأخلاقنا النابعة من العقيدة الإسلامية " .

وقال : نأمل أن نشارك الآخرين في التقدم الصحيح.. التقدم العلمي والاقتصادي والمعرفي، أما الثقافة والفكر والحياة لا.. نحن نرفضها تماما فنحن لنا ثوابتنا ولنا أخلاقنا النابعة من عقيدتنا ومن تراثنا نتمسك بها لأن فيها صلاح أمرنا » (القدس العربي . ١٩ / ٥ / ٢٠٠٩) .

(الخاتمة)

الحمد لله وكفى وصلاة وسلاما على عباده الذين اصطفى وبعد : فلو كانت ضوابط الحق وموازين التوحيد والسنة فى حركة الإخوان آخذة بزمام المبادرة فى إصلاح الدين ورأب الصدع لما قمنا بالرد عليهم ، ولكنا رأينا انتكاسا فى الأمر والنهى ، وخلطا فى المفاهيم والأفكار، وتهوينا للسنن ، واحتقارا للأئمة ، وتعظيما للسفهاء والضعفاء ، وهذا يدفعنا إلى توجيه النصائح وبذل المعروف بكلمة الحق ، خاصة أن كثيرا من الدعاة أصبحوا أداة لتوظيف الدين لخدمة تلك الجماعة ، كما أن كثيرا من دهماء الناس اغتروا بما يدعيه قادة تلك الحركة بأنهم كثرة .. ولولا ذلك مارددنا عليهم .. وحتى لا تتعثر مسيرة دعوة أهل السنة والحديث أردنا أن نبين الموقف من تلك النكبات الإخوانية ، ونوضح أنه لا علاقة لها بالإسلام ، ونحن نبرأ إلى الله تعالى من كل ما خالف معتقد أهل الحديث وسبلهم ، سواء من حركة الإخوان أو من غيرهم . .ولقد كتبت هذا الكتاب تحذيرا للشباب وطلبة المدارس والجامعات والمسلمين عامة باختلاف طبقاتهم العلمية ودرجاتهم الوظيفية من تلك المنزلقات الخطيرة وهذا التقليد الأعمى فى تلك الجماعة.. وهو مجرد نصيحة فى الله لم يحملنا فيها الجدال إلى السباب واللعان ، فليس هذا هو طريقنا ، كما تلوكه ألسنة الخصوم ، وإنما هو بيان لتعلو كلمة الله تعالى ، ولتدحض البدعة مهما كان فاعلها ، وما قسونا إلا ليزدجروا ، ومسلكنا فيه أن نعرف الرجال بالحق لا أن نعرف الحق بالرجال ، وأن نتعصب للدليل والبرهان لا إلى قول فلان وفلان ..

هذا ما أردت بيانه إحقاقا للحق وإبطالا للباطل . والله تعالى أسأل أن يهدى بهذا الكتاب من قرأه ونشره ، وأن يجعله فى ميزان حسناتنا يوم القيامة ﴿ يوْم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم ﴾ [الشعراء . ٨٩) كما اسألك اللهم بأسمائك الحسنى وصفاتك العليا أن تحفظ بلادنا وبلاد المسلمين عامة من فتن الإخوان وأذيالهم ، وأن تبصرنا بطريق السلف الصالح أهل الحديث (رضى الله

عنهم ، طريق التوحيد الخالص والسنة المطهرة .. وأنت تجعل أعمالنا ابتغاء وجهك الكريم . كما أسألك اللهم أن تغفر لى ولوالدى ولمشايخنا ، وأن تغفر لأهل ولأولادى وإخواننا فى الله تعالى وللمسلمين أجمعين ، وصل اللهم على محمد وعلى آله وصحبه وسلم ..

وكتب : أبو عبد الرحمن /

على بن السيد الوصيفى

فهرس الموضوعات